صفة الصفوة

للإمام ابن الجوزي

(ت : ٥٩٧ هـ)

تحقيق

أبي علي مسلم الحسيني

المجلد الأول

مكتبة الإيمان بالمنصورة

الطبعة الأولى
١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

مكتبة الإيمان بالمنصورة
أمام جامعة الأزهر
ت ٣٥٧٨٨٢

مقدمة المحقق

الحمد لله العزيز الوهاب ، مرسل الريح ومجري السحاب هذا بالخير والأول بالعذاب ، قدر الأقدار وسبب الأسباب ، جعل في قصص الأولين عظة وعبرة لأولي النهى والألباب .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله شهادة موقن بها غير شاك بها أو مرتاب ادخرها ليوم العرض والحساب .

صلى اللهم وسلم على سيدنا محمد العالي الجناب ، سيد ولد آدم بلا فخر أو طعن في الأنساب ، وعلى آله الطاهرين وصحبه الطيبين : خير من اعتبر بالقصص والآيات ، وامتثل لربه وأناب .

أما بعد . . . لما كانت « القدوة الصالحة » خير حافز للإنسان للالتزام بالأوامر الدينية ، والابتعاد عن المنهيات الشرعية ، والتحلي بالأخلاق السوية ، فرض الله - سبحانه - على الإنسان أن ينظر في أخبار الأمم السابقة ، وأن يطالع أحوال القرى السالفة ؛ ليعلم العاقبة الحسنى لمن كان عمله خير ورشاد ، والعاقبة السوء لمن أضاع عمره في اللهو والفساد .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ * أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحىً وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (١) .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ (٢) .

وقال : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ * أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (٤) .

---

(١) الأعراف : ٩٦ - ٩٩ .

(٢) النحل : ١١٢ .

(٣) الإسراء : ١٦ .

(٤) الحج : ٤٥ - ٤٦ .

وقال : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا من قَرْيَةٍ بَطِرتْ مَعِيشَتَها فَتلكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكن مِّن بَعْدهمْ إلا قَليلاً وكُنَّا نَحْنُ الوارثينَ * وما كانَ ربُّكَ مُهْلكَ القُرَى حَتَى يَبْعَثَ في أُمِّها رَسُولاً يَتْلو عَلَيْهمْ آياتنَا ومَا كُنَّا مُهلكي القُرَى إلا وأَهْلُها ظَالمون ﴾ [1] .

قال تعالى : ﴿ فَاقْصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [2] .

فانبعاث النهضة وإصلاح المجتمع – مع تجنب جوانب الزلل ، وأسباب الهلاك – لم يقم في كل الحضارات إلا على دراسة قصص الأولين وأحوالهم ، فهي خير ما يؤثر في النفوس ويجتذبها ، ويبعثها إلى أن تكون كباراً ، ليدرك أصحابها شأو الأولين من رفع الشأن وحسن الذكرى .

علم سلفنا الصالح ذلك ، فصنفوا الكتب التي تترجم للصالحين ، وتذكر من خير أعمالهم ، وحُسن عبادتهم واجتهادهم ، والسعي الحثيث ، والعمل الدؤوب لمرضاة ربهم ، من أخبار العلماء والأمراء والزاهدين والملوك والأغنياء ، فأكثروا من تلك المصنفات بين تراجم وسير وطبقات ، وما شابهها .

ومن هذه الكتب كتاب « صفة الصفوة » للإمام ابن الجوزي ، وهو اختصار لكتاب «حلية الأولياء » للحافظ أبي نعيم الأصبهاني ، وقد أوضح الإمام ابن الجوزي في مقدمته للكتاب الأسباب الباعثة لتأليفه وخطة العمل فيه وطريقة تصنيفه بأحسن بيان بما لا يدع مجالاً لتكرار القول فيه هنا .

ولا تتعجب – عند مطالعتك في الكتاب – أن أحدهم سمع آية من كتاب الله فخر مغشياً عليه ، أو أن فلاناً ظل يصلي طول الليل وهو يردد آية واحدة – لا يتعداها – وهو يبكي ، أو أن أحدهم عاين النار عند الحداد أو في تنور فغشي عليه ، وهذا فلان سمع بآية وعيد فسقط من طوله أو اقشعر بدنه ، أو لهي عن الخلق . . . إلخ هذه القصص والمواقف . . لا تتعجب منها . . ولا تستبعدها . . إنما أنت البعيد ، وقلبك صخر حديد . . وتستبعد الموت وهو أقرب إليك من حبل الوريد .

وإني سائلك – أخي القارئ هنا سؤالاً – : « كم مرة في حياتك زرت المقابر للعبرة ، وكم ليلة أقمتها لله ولو بركة » ؟!

ولا تغرنك حياة الزهد والورع – التي كانت المطلب الأساسي للسلف الصالح – كما جاءت أخبارهم وقصصهم بذلك – لا يحملنك ذلك على الاستهانة بالقوم ، أو التوهم بأنهم كانوا في حالة ذل وخنوع للأعداء ، أو خوف ومسكنة للحكام والأمراء ، بل كانت لا تخلو منهم – على عبادتهم – الثغور ، ولا يتأخرون عن غزوة في سبيل الله ، والدفاع عن الوطن والدين ، وإعلاء لكلمة التوحيد .

(١) القصص : ٥٨ – ٥٩ .   (٢) الأعراف : ١٧٦ .

ولكنهم طلبوا الموت فوهبت لهم الحياة ، وباعوا الدنيا فسعت لهم ، وتركوها وراء ظهورهم فأتتهم وهي صاغرة .

أخلصوا عبادتهم لله فرضي عنهم ، وخافوه فأخاف منهم كل شيء وانتصر لهم ، قال ﷺ : « نصرت بالرعب مسيرة شهر » ، وقال : « إنما تنصرون بضعفاءكم » يعني : بدعائهم وحالهم مع الله ، وقد روي عن القائد المسلم الفاتح « قتيبة بن مسلم » أنه خرج مرة للغزو ، فأمر أحد جنوده أن يمر على المساجد وينظر فيها ، فرأى عابداً رافعاً يديه يشير بأصبعيه إلى السماء يدعو ، فقال قتيبة : « لأصبع فلان عندى خير من ألف سيف»، وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - مرة وهو يودع جيش : « إنما تنصرون من هاهنا » - وأشار إلى السماء - .

وفي رواية له : « لستم تنصرون بكثرة ، وإنما تنصرون من السماء » ، وكان يقول : «إني لا أحمل هم الإجابة ، ولكن هم الدعاء » - يعني : أن يخرج بإخلاص ومن قلوب على علاقة بالله : غير مشحونة بالشهوات ، أو مشغولة بالدنيا والملذات ، ولا من إنسان لا يتحرى في أكله من حلال كان أم من حرام ، وفي « صحيح مسلم » من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أيها الناس ، إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ، وأن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : ﴿ **يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم** ﴾ [1] ، وقال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم** ﴾ [2] ، ثم ذكر الرجل يطيل السفر ، أشعث ، أغبر ، يمد يديه إلى السماء : يا رب ، يا رب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذي بالحرام ، فأنى يستجاب له » .

وقال أبو ذر - رضي الله عنه - : « يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام من الملح» [3] .

فما أحرانا - ونحن في زمن قد ضعف فيه إيمان أهله ، وفسدت أخلاقهم - إلا من رحم ربي - ، وتجرأوا على ارتكاب الفواحش والموبقات ، وعمدوا إلى تعطيل شريعة الله وحدوده ، وعملوا بالربا ، أن ننظر فى سيرة سلفنا الصالح ، وأن نخطوا خطاهم ونعمل بعملهم .

فاللهم اجعل لنا فى بصرنا عبرة ، وفي نظرنا فكرة ، واغفر لنا وارحمنا ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا .

وكتبه أبو علي مسلم الحسيني

القاهرة في غرة رجب ١٤١٨هـ

---

(١) سورة المؤمنون : ٥١ . (٢) سورة البقرة : ١٧٢ .

(٣) وللمزيد في هذا الباب راجع (شأن الدعاء للإمام الخطابي ، ومقدمة الجواب الكافي لابن القيم) .

التعريف بالمصنف [1]

هو الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن القاسم بن النفر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن الفقيه عبد الرحمن بن الفقيه القاسم بن محمد بن خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق ، القرشي التيمي البكري البغدادي الحنبلي الواعظ المتقن ، وكان اسمه قبل ذلك المبارك فسماه شيخه الإمام الحافظ ابن ناصر عبد الرحمن ، صاحب التصانيف الكثيرة الشهيرة في كافة أنواع العلوم من تفسير وحديث وفقه وزهد ووعظ وتاريخ ، وغير ذلك .

وسئل الموفق عبد اللطيف عن عدد تصانيفه فقال : زيادة على ثلاثمائة وأربعين مصنفاً منها ما هو عشرون مجلداً أو أقل ، وقال الإمام الذهبي : ما علمت أن أحداً من العلماء صنف ما صنف هذا الرجل .

قال ابن الجوزي يوماً في مناجاته : « إلهي لا تعذب لساناً يخبر عنك ، ولا عيناً تنظر إلى علوم تدل عليك ، ولا قدماً تمشي إلى خدمتك ، ولا يداً تكتب حديث رسولك ، فبعزتك لا تدخلني النار فقد علم أهلها أني كنت أذب عن دينك » .

توفي رحمه الله بين العشاءين من شهر رمضان سنة (٥٩٧ هـ) وكان ذلك في تموز - يوليو - فأفطر بعض من حضر جنازته لشدة الزحام والحر رحمه الله ورضى عنه وشملنا معه بعفوه وغفرانه .

* * *

---

(١) انظر ترجمته بتوسع في : سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٦٥ وما بعدها رقم ١٩٢) ، البداية والنهاية (١٣/ ٣١) ، وفيات الأعيان (٣/ ١٤٠ رقم ٣٧٠) ، هداية العارفين (٥/ ٥١٩ وما بعدها) ، طبقات المفسرين للداودي (١/ ٢٧٠ وما بعدها) ، شذرات الذهب (٤/ ٣٢٩) ، غاية النهاية (١/ ٣٧٥/ ١٥٩٢) ، طبقات الحفاظ للسيوطي (ص/ ٨٤) ، تذكرة الحفاظ للذهبي (٤/ ١٣٤٢) ، والذيل على طبقات الحنابلة (١/ ٣٩٩) ، العبر (٤/ ٢٩٧) ، مرآة الجنان لليافعي (٣/ ٤٨٩) ، مفتاح السعادة (١/ ٢٤٥) ، النجوم الزاهرة (٦/ ١٧٤) .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ربِّ يسِّر وأعن

قال الشيخ الإمام العالم العلامة ، (شمس) (١) الأعلام ، لسان المتكلمين ، أوحد العلماء العاملين ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي - رحمه الله: الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، حمدًا إذا قابل النعم وفَى ، وسلامًا إذا بلغ المصطَفين شفَى ، وخصَّ الله بخاصة ذلك نبينا المصطَفى ، ومن احتذى حذوه من أصحابه وأتباعه واقتفى، وفقنا لسلوك طريقهم فإنه إذا وفَّق كفى .

أما بعد: فإنك أيها الطالب الصادق ، والمريد المحقق لـمَّا نظرتَ في كتاب «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصبهانيِّ (٢) ، أعجبك ذكر الصالحين والأخيار ، ورأيته دواء لأدواء النفس ، إلا أنك شكوت من إطالته بالأحاديث المسندة التي لا تليق به ، وبكلامٍ عن بعض المذكورين كثير قليل الفائدة ، وسألتَني أن أختصره لك وأنتقي محاسنه ، فقد أعجبني منك أنك أصبتَ في نظرك ، إلا أنه لم يكشف لك كل الأمر ، وأنا أكشفه لك فأقول:

اعلم أن كتاب « الحلية » قد حوى من الأحاديث والحكايات جملة حسنة إلا أنه تكدّر بأشياء وفاتته أشياء ، فالأشياء التي تكدر بها عشرة :

الأول : أن هذا الكتاب إنما وضع لذكر أخبار الأخيار ، وإنما يراد من ذكرهم شرْح أحوالهم وأخلاقهم ليقتدي بها السالك ، فقد ذكر فيه أسماء جماعة ثم لم ينقل عنهم شيئًا من ذلك ، ذكر عنهم ما يروونه عن غيرهم أو ما يسندونه من الحديث ، كما ملأ ترجمة هشام بن حسان بما يروى عن الحسن ، وتلك الحكايات ينبغي أن تدخل في ترجمة الحسن لا في ترجمة هشام ، وكذلك ملأ ترجمة جعفر بن سليمان بما يروى عن مالك بن دينار ونظرائه ؛ ولم يذكر عنه شيئًا .

---

(١) بياض بالأصل مقدار كلمة وقد زيدت لاستكمال سياق الكلام .

(٢) هو الحافظ أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهانى ، أبو نعيم ، قال عنه الخطيب البغدادى : لم أر أحداً أطلق عليه اسم الحفظ غير أبى نعيم ، وأبى حازم ، مات سنة (٤٣٠ هـ) انظر ترجمته فى البداية والنهاية (١٢/ ٤٥) ، وشذرات الذهب (٣/ ٢٤٥) ، وتذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٩٢) ، وتبيين كذب المفترى (ص ٢٤٦) .

والثاني : أنه قصد ما ينقل عن الرجل المذكور ، ولم ينظر هل يليق بالكتاب أم لا ؟ مِثْلَ ما ملأ ترجمة مجاهد : بقطعة من تفسيره ، وترجمة عكرمة : بقطعة من تفسيره ، وترجمة كعب الأحبار : بقطعة من التوراة ، وليس هذا بموضع هذه الأشياء .

والثالث : أنه أعاد أخبارًا كثيرة مثل ما ذكر في ترجمة الحسن البصري من كلامه ، ثم أعاده في تراجم أصحابه الذين يَرْوُنَ كلامه ، وذكر في ترجمة أبي سليمان الداراني [1] من كلامه ، وأعاده في ترجمة أحمد بن أبي الحواري [2] بروايته عن أبي سليمان .

والرابع : أنه أطال بذكر الأحاديث المرفوعة التي يرويها الشخص الواحد فينسى ما وُضع له ذكر الرجل من بيان آدابه وأخلاقه ، كما ذكر شُعبة ، وسفيان [3] ، ومالك، وعبد الرحمن بن مهدي ، وأحمد بن حنبل ، وغيرهم ، فإنه ذكر عن كل واحد من هؤلاء من الأحاديث التي يرويها مرفوعة جملة كثيرة ، ومعلوم أن مثل كتابه الذي يقصد به مداواة القلوب إنما وضع لبيان أخلاق القوم لا الأحاديث، ولكل مقام مقال ، ثم لو كانت الأحاديث التي ذكرها من أحاديث الزهد اللائقة بالكتاب لَقَرُبَ الأمر ، ولكنها من كل فن وعمومها من أحاديث الأحكام والضعاف . أو لو كان اقتصر على الغريب من روايات المكثرين ، أو رخم ما يرويه المقلون ـ كما روى عن الجنيد [4] أنه لم يُسنِد إلا حديثًا واحدًا ـ لكان ذِكْرُ مثلِ هذا حسنًا لكنه أمعن فيما لا يتعلق ذكره بالكتاب .

والخامس : أنه ذكر في كتابه أحاديث كثيرةً باطلة وموضوعة ، فقصد بذكرها تكثير

---

(١) هو أبو سليمان الدارانى العنسى ، نسبة إلى عنس بن مالك - وهو رجل من مذحج - وينسب إلى « داريا » وهى قرية بغوطة دمشق ، أو « داران » من أوائل الصوفية ، توفى سنة (٢٠٥ هـ) .

(٢) هو أبو الحسن أحمد بن ميمون أبى الحوارى ، من أهل دمشق ، وضعه السلمى ضمن رجال الطبقة الأولى من الصوفية ، صحب الدارانى ، وسفيان بن عيينة والجنيد وكان يدعوه « ريحانة الشام»، توفى ابن أبى الحوارى سنة (٢٣٠ هـ) وقيل : (٢٤٦ هـ) .

(٣) هو الثورى : أبو عبد الله سفيان بن سعيد ، فقيه ، عالم ، محدث ، قال عنه يحيى بن معين: سفيان أمير المؤمنين فى الحديث ، وقال أحمد : لا يتقدم على سفيان أحد فى قلبى ، توفى سنة (١٦١ هـ) .

(٤) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد الخراز البغدادى ، أصله من نهاوند ، ولد ونشأ بالعراق ، وكان فقيهاً على مذهب أبى ثور ، وصوفيا من المتمسكين بالكتاب والسنة ، صحب السُرى السقطى والحارث المحاسبى وغيرهما ، من أقواله - رحمه الله - : « الطرق كلها مسدودة إلا طريق من اقتفى اثار النبى ﷺ ، فإن الله عز وجل يقول : وعزتى وجلالى لو أتونى من كل طريق ، واستفتحوا من كل باب ، لما فتحت لهم حتى يدخلوا خلفك » . طريق الهجرتين لابن القيم (ص ١٠ - بتحقيقى) ، ومن كلامه أيضاً : « إن الكلمة من القوم اسمعها فتقع فى قلبى ، فلا أقبلها إلا بشاهدى عدل من الكتاب والسنة » .

حديثه وتنفيقَ رواياته ، ولم يبين أنها موضوعة . ومعلوم أن جمهور المائلين إلى التبرّر يخفى عليهم الصحيح من غيره ، فَسَتْرُ ذلك عنهم غش من الطبيب لا نُصح .

والسادس : السجع [1] البارد في التراجم ، الذي لا يكاد يحتوي على معنى صحيح خصوصًا في ذكر حدود التصوف .

والسابع : إضافة التصوف إلى كبار السادات كأبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، والحسن ، وشُريح ، وسفيان ، وشعبة ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد ، وليس عند هؤلاء القوم خَبَر من التصوف .

فإن قال قائل : إنما عنى به الزهد في الدنيا وهؤلاء زهاد ، قلنا : التصوف مذهب معروف عند أصحابه لا يقتصر فيه على الزهد بل له صفات وأخلاق يعرفها أربابه ولولا أنه أمر زِيدَ على الزهد ما نُقل عن بعض هؤلاء المذكورين ذمُّه ، فإنه قد رَوى أبو نُعيم في ترجمة الشافعي – رحمة الله عليه – أنه قال : «التصوف مبني على الكسل ، ولو تصوف رجل أول النهار لم يأت الظهر إلا وهو أحمق». وقد ذكرتُ الكلام في التصوف ووسَّعتُ القول فيه في كتابي المسمى بتلبيس إبليس [2] .

---

(١) السجع : الكلام المقفى غير الموزون .

(٢) كتاب « تلبيس إبليس » للمصنف ، كتاب شامل فى بابه ، عظيم القدر فى موضوعه ، قال المؤلف فى مقدمته : « اعلم أن الأنبياء جاءوا بالبيان الكافى ، وقابلوا الأمراض بالدواء الشافى ، وتوافقوا على منهاج لم يختلف ، فأقبل الشيطان يخلط بالبيان شبهاً ، وبالدواء سماً ، وبالسبيل الواضح جرداً مضلاً ، ومازال يلعب بالعقول إلى أن فرق الجاهلية فى مذاهب سخيفة ، وبدع قبيحة ، فأصبحوا يعبدون الأصنام فى البيت الحرام ، ويحرمون السائبة والبحيرة ، والوصيلة ، والحام ، ويرون وأد البنات ، ويمنعونهن الميراث ، إلى غير ذلك من الضلال الذى سوّله لهم إبليس ، فابتعث الله سبحانه وتعالى محمداً ﷺ : فرفع المقابح ، وشرع المصالح ، فسار أصحابه معه وبعده ، فى ضوء نوره ، سالمين من العدو وغروره ، فلما انسلخ نهار وجودهم ، أقبلت أغباش الظلمات ، فعادت الأهواء تنشىء بدعاً ، وتضيق سبيلاً ما زال متسعاً ، ففرق الأكثرون دينهم وكانوا شيعاً ، ونهض إبليس يلبس ويزخرف ، ويفرق ويؤلف ، وإنما يصح له التلصص فى ليل الجهل فلو قد طلع عليه صبح العلم افتضح .

قال المؤلف : فرأيت أن أحذر من مكايده ، وأدل على مصايده ، فإن فى تعريف الشر تحذيراً عن الوقوع فيه ، ففى الصحيحين من حديث حذيفة – رضى الله عنه – قال : « كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى » . . . إلخ كلامه رحمه الله .

وانظر كلامه رحمه الله عن أصل التصوف تلبيس إبليس (ص ٢٠٢ – وما بعدها) ، ورسالة الصوفية والفقراء ، ورسالة أهل الصفة لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ضمن مجموع الرسائل والمسائل (١/ ٢٦ – ٣٠) ، وانظر : دائرة المعارف الإسلامية (٩/ ٣٣٧) .

والثامن : أنه حكى في كتابه عن بعض المذكورين كلامًا أطال به لا طائل فيه ، تارةً لا يكون في ذلك الكلام معنى صحيح كجمهورِ ما ذَكر عن الحارث المحاسبى ، وأحمد ابن عاصم ، وتارة يكون ذلك الكلام غير اللائق بالكتاب ، وهذا خلل فى صناعة التصنيف، وإنما ينبغى للمصنف أن ينتقي فيتوقَّى ولا يكونَ كحاطب ليلٍ ، فالنِّطاف العِذاب تروي لا البحر .

والتاسع : أنه ذكر أشياء عن الصوفية لا يجوز فعلها ، فربما سمعها المبتدىء القليل العلم فظنها حسنةً فاحتذاها ، مثل ما روي عن أبي حمزة الصوفي أنه وقع في بئر فجاء رجلان فَطمَّاها ،فلم ينطق حملاً لنفسه على التوكل بزعمه ، وسكوت هذا الرجل في مثل هذا المقام إعانة على نفسه وذلك لا يحل ، ولو فهم معنى التوكل لعلم أنه لا ينافي استغاثته في تلك الحال ، كما لم يخرج رسول الله ﷺ من التوكل بإخفائه الخروج من مكة واستئجاره دليلاً واستكتامه ، واستكفائه ذلك الأمر واستتاره في الغار ، وقوله ﷺ لسُراقة: « أخفِ عنا » [1] .

فالتوكل الممدوح لا يُنال بفعل محذور ، وسكوت هذا الواقع في البئر محظور عليه ، وبيان ذلك أن الله - عز وجل - قد خلق للآدمي آلة يدفع بها عن نفسه الضرر وآلة يجتلب بها النفع ، فإذا عطلها مدعيًا للتوكل كان جهلاً بالتوكل وردًا لحكمة الواضع . لأن التوكل إنما هو اعتماد القلب على الله - سبحانه - وليس من ضرورته قطع الأسباب، ولو أن إنسانًا جاع فلم يأكل ، أو احتاج فلم يسأل ، أو عري فلم يلبس ، فمات دخل النار ؛ لأنه قد دُلَّ على طريق السلامة فإذا تقاعد عنها أعان على نفسه .

وقد أخبرنا محمد بن عبد الباقي قال : أخبرنا محمد بن . . .[*] قال : أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله قال : حدثنا محمد بن العباس بن أيوب ، قال: حدثنا عبد الرحمن بن يونس الرَّقي قال : حدثنا مُطَرِّف بن مازن عن الثوري قال: « من جاع فلم يسأل حتى مات دخل النار » .

قلت : ولا التفات إلى أبي حمزة في حكايته « فجاء أسد فأخرجني» ، فإنه إن صح ذلك فقد يقع مثله اتفاقًا ، وقد يكون لطفًا من الله تعالى بالعبد الجاهل ، ولا يُنكر أن يكون الله تعالى لطف به ، إنما يُنكر فعلُه الذي هو كسبه ، وهو إعانته على نفسه التي هي وديعة الله تعالى عنده وقد أُمر بحفظها .

---

(١) رواه البخارى (٣٩٠٦) مطولاً ، وسيأتى فى ذكر هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وقصة أبى حمزة الصوفى ذكرها المصنف فى « التلبيس » بإسناده بتوسع فانظره (ص ٣٦١ - ٣٦٣) .
وسراقة : هو سراقة بن مالك بن جعشم المدنى وهو صحابى جليل توفى سنة (٢٤ هـ) .
(*) بياض بالأصل .

وكذلك روي عن الشبلي أنه كان إذا لبس ثوبًا خرقه وكان يحرق الثياب والخبزَ والأطعمة التي ينتفع بها الناسُ بالنار ، فلما سئل عن هذا احتج بقوله : ﴿ **فطفق مَسْحًا بالسُّوق والأعناق** ﴾ [1] وهذا في غاية القبح ؛ لأن سليمان - عليه السلام - نبي معصوم فلم يفعل إلا ما يجوز له ، وقد قيل في التفسير : إنه مسح على نواصيها وسُوقها وقال: أنت في سبيل الله ، وإن قلنا : إنه عَقَرها فقد أطعمها الناس ، وأكْل لحم الخيل جائز ، فأما هذا الفعل الذي حكاه عن الشبلي فلا يجوز في شريعتنا فإن رسول الله ﷺ نهى عن إضاعة المال [2] ، وحكي عنه لما مات ولده حلق لحيته وقال : قد جزت أمَّه شعرها على مفقود أفلا أحلق أنا لحيتي على موجود ؟ !.

إلى غير ذلك من الأشياء السخيفة الممنوع منها شرعًا .

والعاشر : أنه خلط في ترتيب القوم فقدَّم من ينبغي أن يؤخر وأخَّر من ينبغي أن يقدَّم ، فعل ذلك في الصحابة وفيمن بعدهم ، فلا هو ذكرهم على ترتيب الفضائل ، ولا على ترتيب المواليد ، ولا جمع أهل كل بلد في مكان ، وربما فعل هذا في وقت ثم عاد فخلط، خصوصًا في أواخر الكتاب فلا يكاد طالب الرجل يهتدي إلى موضعه ، ومن طالع كتاب هذا الرجل ممن له أنس بالنقل انكشف له ما أشرت إليه .

وأما الأشياء التي فاتته فأهمها ثلاثة أشياء :

أحدها : أنه لم يذكر سيد الزهاد وإمام الكل وقدوة الخلق وهو نبينا ﷺ فإنه المتَّبَعُ طريقه المقتدى بحاله .

والثاني : أنه ترك ذكر خلق كثير قد نُقل عنهم من التعبد والاجتهاد الكبير ، ولا يجوز أن يُحمل ذلك منه على أنه قصد المشتهرين بالذكر دون غيرهم ، فإنه قد ذكر خلقًا لم يُعرفوا بالزهد ولم ينقل عنهم شيء ، وربما ذكر الرجل فأسند عنه أبيات شعر فحسب ، ففعله يدل على أنه أراد الاستقصاء ، وتقصيره في ذلك ظاهر .

والثالث : أنه لم يذكر من عوابد النساء إلا عددًا قليلاً ، ومعلوم أن ذكر العابدات مع قصور الأنوثية ، يوثِب المقصِّر من الذكور ، فقد كان سفيان الثوريُّ ينتفع برابعة [3] ويتأدب بكلامها .

---

(١) سورة ص آية : ٣٣ .

(٢) روى البخاري برقم (١٤٧٧) وفي مواطن أخرى ، ومسلم (١٧١٥) وغيرهما من حديث المغيرة ابن شعبة يرفعه بلفظ : « إن الله كره لكم ثلاثا : قيل وقال ، وإضاعة المال ، وكثرة السؤال » .

(٣) هي رابعة بنت إسماعيل العدوية من أهل البصرة واشتهرت بالزهد والعبادة ، ومن مشاهير الصوفية ، توفيت سنة (١٣٥ هـ) راجع : شذرات الذهب (١/١٩٣) .

وقد حداني جدُّك أيها المريد ، في طلب أخبار الصالحين وأحوالهم أن أجمع لك كتابًا يغنيك عنه ، ويحصِّل لك المقصود منه ، ويزيد عليه بذكر جماعة لم يذكرهم ، وأخبار لم ينقلها ، وجماعة وُلدوا بعد وفاته ، وينقص عنه بترك جماعة قد ذكرهم لم ينقل عنهم كبير شيء وحكاياتٍ قد ذكرها ، فبعضها لا ينبغي التشاغل به ، وبعضها لا يليق بالكتاب على ما سبق بيانه .

فصل : في بيان وضع كتابنا والكشف عن قاعدته

لما كان المقصود بوضع مثل هذا الكتاب ذكر أخبار العاملين بالعلم ، الزاهدين في الدنيا ، الراغبين في الآخرة ، المستعدين للنقلة بتحقيق اليقظة والتزود الصالح، ذكرت مَنْ هذه حاله دون مَن اشتهر بمجرد العلم ولم يشتهر بالزهد والتعبد .

ولما سَمَّيتُ كتابي هذا « صفة الصفوة » رأيت أن أفتتحه بذكر نبينا محمد ﷺ فإنه صفوة الخلق وقدوة العالم .

فإن قال قائل : فهلاّ ذكرت الأنبياء قبله فإنهم صفوة أيضًا ؟ .

فالجواب : إن كتابنا هذا إنما وُضع لمداواة القلوب وترقيقها وإصلاحها ، وإنما نُقل إلينا أخبار آحاد من الأنبياء ثم لم يُنقل في أخبار أولئك الآحاد ما يناسب كتابنا إلا أن يَذكر عن عبَّاد بني إسرائيل ما حملوا على أنفسهم من التشديد ، أو عن عيسى - عليه السلام - وأصحابه ما يقتضيه الترهبن ، وذلك منقسم إلى ما تبعد صحته ، وإلى ما نهي عنه في شرعنا ، وقد ثبت أن نبينا ﷺ أفضل الأنبياء ، وأن أمته خير الأمم ، وأن شريعته حاكمة على جميع الشرائع ، فلذلك اقتصرنا على ذكره وذكر أمته .

فصل : في بيان ترتيب كتابنا

أنا أبتدىء بتوفيق الله سبحانه ومعونته فأذكر بابًا فى فضل الأولياء والصالحين ، ثم أردفه بذكر نبينا محمد ﷺ وشرح أحواله وآدابه وما يتعلق به ، ثم أذكر المشتهرين من أصحابه بالعلم المقترن بالزهد والتعبد ، وآتي بهم على طبقاتهم في الفضل ثم أذكر المصطفيات من الصحابيات على ذلك القانون ، ثم أذكر التابعين ومَن بعدهم على طبقاتهم في بلدانهم .

وقد طفت الأرض بفكري شرقًا وغربًا ، واستخرجت كل من يصلح ذكره في هذا الكتاب من جميع البقاع . ورب بلدة عظيمة لم أَر فيها من يصلح لكتابنا . وقد حصرتُ أهل كل بلدة فيها وترتيبهم على طبقاتهم ؛ أبدأ بمن يُعرف اسمه من الرجال ، ثم أذكر بعد ذلك من لم يُعرف اسمه ، فإذا انتهى ذكرت عابدات ذلك البلد على ذلك القانون ، وربما كان في أهل البلد من عقلاء المجانين من يصلح ذكره من الرجال والنساء فأذكره .

وإنما ضبطت هذا الترتيب تسهيلاً للطلب على الطالب ، ولما لم يكن بد من مركز

يكون كنقطة للدائرة رأيت أن مركزنا وهو بغداد أولى من غيره ، إلا أنه لما لم يمكن تقديمها على المدينة ومكة لشرفهما ، بدأت بالمدينة لأنها دار الهجرة ، ثم ثنَّيت بمكة ثم ذكرت الطائف لقربها من مكة ثم اليمن وعدت إلى مركزنا بغداد فذكرت المصطَفين منها ثم انحدرت إلى المدائن ، ونزلتُ إلى واسط ، ثم إلى البصرة ، ثم إلى الأُبلَّة ، ثم عَبّادان ، ثم تبستر ، ثم شيراز ، ثم كَرمان ، ثم أرّجان ، ثم سجستان ، ثم دَيْبُل ، ثم البحرين ، ثم اليمامة ، ثم الدينَورَ ، ثم همذان ، ثم قزوين ، ثم أصبهان ، ثم الرّي ، ثم دامغان ، ثم بِسطام ، ثم نَيسابور ، ثم طُوس ، ثم هراة ، ثم مَرو ، ثم بَلخ ، ثم تِرمِذ ، ثم بخارى، ثم فرغانة ، ثم نخشب .

ثم ذكرت عبَّاد المشرق المجهولين البلاد والأسماء ، فلما انتهى ذكر أهل المشرق عدنا إلى مركزنا وارتقينا منه إلى المغرب ، وقد ذكرنا أهل عُكْبَرا ، ثم الموصل ، ثم البرقة ، ثم طبقات أهل الشام ، ثم المقْدسيين ، ثم أهل جبلة ، ثم أهل العواصم والثغور ، ثم من لم يعرف بلده من عبّاد أهل الشام ، ثم عسقلان ، ثم مصر ، ثم الإسكندرية ، ثم المغرب ، ثم عبَّاد الجبال ، ثم عبَّاد الجزائر ، ثم عبَّاد السواحل ، ثم أهل البوادي والفلوات ، ثم من لم نعرف له مُسْتَقَرا من العبَّاد وإنما لُقي في طريق : فمنهم من لقي في طريق مكة ، ومنهم من لُقي بعرفة، ومنهم من لقي في الطواف ، ومنهم من لُقي في غزاة ، ومنهم من لقي في طريق سفر أو طريق سياحة .

ثم ذكرت من لم يُعرف له اسم ولا مكان من العباد ، ثم ذكرت طرفًا من أخبار بُنيات صغار تكلمن بكلام العابدات الكبار ، ثم ذكرت طرفًا من أخبار عبّاد الجِنِّ فختمت بذلك الكتاب ، والله الموفق .

خطة المؤلف فيما ينقله في سيرة المترجم له :

وإنما أنقل عن القوم محاسن ما نُقل مما يليق بهذا الكتاب ولا أنقل كل ما نقل، إذ لكل شيء صناعة ، وصناعة العقل حسن الاختيار ، وكما أني لا أذكر ما لا يصلح أن يقتدى به ممن هو في صورة العلماء والزهاد . وقد تجوزت بذكر جماعة من المتصوفة وردت عنهم كلمات منكرة وكلمات حسان ، فانتخبت من محاسن أقوالهم لأن الحكمة ضالة المؤمن ، ومع تنقّينا وتوقينا وحذف من لا يصلح وما لا يصلح ، فقد زاد عدد من في كتابنا على ألف شخص : يزيد الرجال على ثمانمائة زيادة بيِّنة ، وتزيد النساء على مائتين زيادة كثيرة . ولم يبلغ عدد رجال «الحلية » الذين ذكرت أحوالهم في تراجمهم ستمائة ، بل قد ذكر جماعة لم يذكر لهم شيئًا ولا أظنه ذكر في جميع الكتاب عشرين امرأة .

وإلى الله سبحانه أرغب فى النفع بكلمات المتقين ، واللحوق بدرجات أهل اليقين ، إنه وليٌّ ذلك والقادر عليه .

* * *

باب ذكر فضل الأولياء والصالحين

الأولياء والصالحون هم المقصود من الكون ، وهم الذين علموا فعملوا بحقيقة العلم .

عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى قال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تَقَرَّبَ إلي عبدي بأفضل من أداء ما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينَّه ، ولئن استعاذني لأعيذنَّه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته » رواه البخاري [1] .

وعن أنس بن مالك ، عن النبي ﷺ عن جبريل ، عن ربه - عز وجل - قال :

« من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ، ما ترددت في قبض نفس مؤمن أكره مساءته ولا بد له منه ، وأن من عبادي المؤمنين من يريد بابًا من العبادة فأكفَّه عنه لئلا يدخله عُجْب فيفسده ذلك ، وما تقرب إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتنفل حتى أحبه ، ومن أحببته كنت له سمعًا وبصرًا ويدًا ومؤيدًا ، دعاني فأجبته ، وسألني فأعطيته ، ونصح لي فنصحت له . وإن من عبادى المؤمنين من لا يُصلح إيمانه إلا الفقر ، وإن بسطت حاله أفسده ذلك ، وإن من عبادي من لا يُصلح إيمانه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك ، وإن من عبادي المؤمنين من لا يُصلح إيمانه إلا السقم ولو أصححته لأفسده ذلك ، وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلا الصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك . إني أُدبِّر عبادي بعلمي بقلوبهم ، إني عليم خبير » . ورواه عبد الكريم الجزري عن أنس مختصرًا وقال فيه : « إني لأسرع شيء إلى نصرة أوليائي ، إني لأغضب لهم أشدَّ من غضب الليث الحرب » .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من عبادِ الله من لو أقسم على الله لأبرَّه» [2] .

وعن عطاء بن يسار : قال موسى - عليه السلام : يا رب من أهلك الذين هم أهلك؟ الذين تظلُّهم في عرشك ؟ قال : هم البريئة أيديهم ، الطاهرة قلوبهم، الذين يتحابُّون بجلالي ، الذين إذا ذُكرت ذُكروا وإذا ذُكروا ذُكرت بذكرهم ، الذين يسبغون الوضوء في

---

(١) رواه البخارى فى « صحيحه » كتاب الرقاق ، باب : التواضع ، حديث رقم (٦٥٠٢) .

(٢) رواه البخاري (٢٧٠٣) ومسلم (القسامة / ٢٤) باب إثبات القصاص في الأسنان وما في معناها.

المكاره ، ينيبون إلى ذكري كما تنيب النسور إلى وكورها ، ويكلفون بحبي كما يكلفُ الصبي بحب الناس ، ويغضبون لمحارمي إذا استُحلَّت كما يغضب النَّمِرُ إذا حَرِبَ .

وعن وهب بن منبِّه قال : لما بعث الله موسى وأخاه هارون إلى فرعون قال : لاتعجبنَّكما زينته ولا ما مُتِّعَ به ، ولا تمدّا إلى ذلك أعينكما فإنها زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين ، ولو شئت أن أزينكما من الدنيا بزينة ، ليعلم فرعون حين ينظر إليها أن مقدرته تعجز عن مثل ما أوتيتما لفعلت ، ولكني أرغب بكما عن ذلك وأزويه عنكما، وكذلك أفعل بأوليائي . وقديمًا خِرتُ لهم فإني لأذودهم عن نعيمها ورخائها كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة . وإني لأجنِّبهم سلوتها وعيشها كما يجنب الراعي الشفيق إبله عن مبارك العُرَّة وما ذاك لهوانهم علي ، ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالمًا موفرًا لم تكلمه الدنيا [1] ، ولم يُطغه الهوى . واعلم أنه لم يتزين العباد بزينة أبلغ فيما عندي من الزهد في الدنيا ، فإنها زينة المتقين ، عليهم منها لباس يُعرفون به من السكينة والخشوع ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ، أولئك هم أوليائي حقًا حقًا فإذا لقيتَهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك . واعلم أنه من أهان لي وليًا أو أخافه فقد بارزني بالمحاربة وباراني ، وعرض لي نفسه ودعاني إليها وأنا أسرع شيء إلى نصرة أوليائي ، أفيظن الذي يحاربني أن يقوم لي ؟ أو يظن الذي يعاديني أن يعجزني؟ أو يظن الذي يبارزني أن يسبقني أو يفوتني ؟ وكيف ؟! وأنا الثائر لهم في الدنيا والآخرة ، لا أكِلُ نصرتهم إلى غيري [2] .

وعنه قال : قال الحواريون : يا عيسى من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؟ فقال عيسى - عليه السلام : الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها ، والذين نظروا إلى آجل الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلها ، فأماتوا منها ما خشَوا أن يميتهم ، وتركوا ما علموا أن سيتركهم ، فصار استكثارهم منها استقلالاً ، وذكرهم إياها فواتًا ، وفرحهم بما أصابوا منها حزنًا فما عارضهم من نائلها رفضوه ، أو من رفعتها بغير الحق وضعوه . خَلَقت الدنيا عندهم فليسوا يجددونها ، وخربت بينهم فليسوا يعمرونها ، وماتت في صدورهم فليسوا يُحيونها ، يهدمونها فيبنون بها آخرتهم ، ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم ، رفضوها وكانوا برفضها فرحين ، وباعوها وكانوا

---

(١) الكَلْمُ : الجَرْحُ .

(٢) هذا الأثر رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ١١) من طريق إسحاق بن إبراهيم حدثنا محمد بن سهل ابن عسكر حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم حدثنا عبد الصمد بن معقل قال: سمعت وهب بن منبه يقول : . . . فذكره . أهـ .

ببيعها رابحين ، نظروا إلى أهلها صرعى قد حلَّت بهم المَثُلات ، فأحيوا ذكر الموت وأماتوا ذكر الحياة ، يحبون الله ويحبون ذكره ، ويستضيئون بنوره ، لهم خبر عجيب ، وعندهم الخبر العجيب. بهم قام الكتاب وبه قاموا ، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا ، وبهم علم الكتاب وبه علموا ، فليسوا يرون نائلاً مع ما نالوا ، ولا أمانًا دون ما يرجون، ولا خوفًا دون ما يحذرون ، رواه الإمام أحمد .

وعن كعب قال : « لم يزل في الأرض بعد نوح - عليه السلام - أربعة عشر يُدفع بهم العذاب » رواه الإمام أحمد .

وعن ابن عيينة قال : عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة . قال محمد بن يونس: ما رأيت للقلب أنفع من ذكر الصالحين .

* * *

١ ـ باب ذكر نبينا محمد ﷺ وذكر نسبه ﷺ

عن عمر بن حفص السَّدوسي قال : هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف بن قصيٍّ بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤيٍّ بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار . وأم رسول الله ﷺ، آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهرة بن كلاب بن مُرَّة .

قلت : وأما نزار فهو ابن معدّ بن أدّ بن أُدَد بن الهميسع بن حمل بن النبت بن قيدار ابن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام .

(ذكر طهارة آبائه وشرفهم)

عن واثلة بن الأسقع أن النبي ﷺ قال : « إن الله - عز وجل - اصطفى من ولد إبراهيم : إسماعيل ، واصطفى من بني إسماعيل : كنانة ، واصطفى من بني كنانة . قريشًا، واصطفى من قريش : بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم » [١] .

(ذكر خبر المرأة الخثعمية التى تعرضت لعبد الله أبي النبى ﷺ)

كان عبد المطلب قد خطب آمنة لابنه عبد الله ، فزوجها إياه فبقي معها مدة وجرت له قصة قبل حملها برسول الله ﷺ :

عن أبي فياض الخثعميِّ ، قال : مرَّ عبد الله بن عبد المطلب بامرأة من خثعم يقال لها « فاطمة بنت مرٍّ » ، وكانت من أجمل الناس وأشبَّه وأعفَّه ، وكانت قد قرأت الكتب، وكان شباب قريش يتحدثون إليها فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فقالت : يا فتى : من أنت ؟ فأخبرها . فقالت : هل لك أن تقع علي وأعطيك مائة من الإبل ؟ فنظر إليها وقال :

أما الحرام فالممات دونه والحِلّ لا حلٌّ فأستبينه
فكيف بالأمر الذي تنوينه

ثم مضى إلى امرأته آمنة فكان معها ثم ذكر الخثعمية وجمالها وما عرضت عليه فأقبل إليها فلم يرَ منها من الإقبال عليه آخرًا كما رآه منها أولاً ، فقال : هل لك فيما قلت لي؟ فقالت : « قد كان ذلك مرةً فاليوم لا » ، فذهبت مثلاً . وقالت : أيّ شيء صنعت بعدي ؟ قال : وقعت على زوجتي آمنة بنت وهب . قالت : والله إني لست بصاحبة

---

(١) رواه مسلم (الفضائل / ١) باب فضل نسب النبى ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة .

زنية [1] ولكني رأيت نور النبوة في وجهك فأردت أن يكون ذلك في ، فأبى الله إلا أن يجعله حيث جعله .

وبلغ شباب قريش ما عرضت على عبد الله بن عبد المطلب وتأبّيه لها فذكروا ذلك لها فأنشأت تقول :

إني رأيت مَخيلةً عَرضت ... فتلألأتْ بحنَـــاتِم القَــطْرِ
فلمائهـا نور يضــيء له ... ما حوله كإضـــاءة الفــجر
فرأيتــه شـــرفًا أبوء به ... ما كلّ قــادحِ زَنــده يُوري
لله ما زُهْـــرية ســلبت ... ثوبيك ما سلبت وما تدري

وقالت أيضًا :

بني هاشم ما غادرت من أخـيكم ... أمينـــةُ إذ للـــباه يعتلـــجان
كما غادر المصباحُ بعـــد خبـــوّه ... فتــائلَ قد ميثــت له بدهـان
وما كلّ ما يحوي الفتى من تلاده ... لحـــزمٍ ولا ما فــاته لِتَـــواني
فأجمل إذا طالـــبت أمــــرًا فإنه ... سيكفـــيكه جَدّان يصطــرعان
سيكفــــــيكه إما يد مقـــفعلة ... وإما يـــد مبســـوطة ببنـــان
ولمــا قضــت منه أمينة ما قضت ... نبَا بصــــري عنه وكَــلَّ لساني

وقد روى أبو صالح عن ابن عباس أن هذه المرأة من بني أسد بن عبد العزّى وهي أخت ورقة بن نوفل ، وكذلك قال ابن إسحاق وقال : هي أم قتال . وقال عروة في آخرين: هي قتيلة بنت نوفل ، أخت ورقة .

وروى جرير بن حازم عن أبي يزيد المدائني : أن عبد الله لما مر على الخثعمية رأت بين عينيه نورًا ساطعًا إلى السماء ، فقالت : هل لك فيَّ ؟ قال : نعم ، حتى أرمي الجمرة . فانطلق فرمى الجمرة ، ثم أتى امرأته آمنة . ثم ذكر الخثعمية فأتاها فقالت : هل أتيت امرأة بعدي ؟ قال : نعم ، آمنة . قالت : فلا حاجة لي فيك ، إنك مررت وبين عينيك نور ساطع إلى السماء ، فلما وقعت عليها ذهب فأخبرْها أنها حملت بخير أهل الأرض [2] .

(١) جاء في نسخة : « زينة » - وهو تصحيف .

(٢) وقد أورد ابن هشام قصة هذه المرأة في سيرته مع اختلاف يسير (١/ ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧) قلت : ولهذه القصة عدة طرق يثبت بها أن هذه الحادثة لها أصل .وانظر دلائل النبوة للبيهقي (١/ ١٠٥) (١/ ١٠٧) وتاريخ الطبرى (٢/ ٢٤٤) وشعب الإيمان للبيهقي (١٣٢٥) والبداية والنهاية (٢/ ٢٤٩) وأبو نعيم في دلائل النبوة (ص ٣٨ / ٣٩) وهذه الطرق لا تخلو من ضعف أو انقطاع .

(ذكر حمل آمنة برسول الله ﷺ)

روى يزيد بن عبد الله بن وهب بن زمعة عن عمته قالت : كنا نسمع أن آمنة لما حملت برسول الله ﷺ كانت تقول : ما شعرت أني حملت ولا وجدت له ثقلاً كما تجد النساء إلا أني أنكرت رفع حيضي وأتاني آت وأنا بين النوم واليقظة فقال : هل شعرت أنك حملت ؟ فكأني أقول : ما أدري . فقال : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ونبيها ، وذلك يوم الاثنين . قالت : فكان ذلك مما يَقَّن عندي الحمل . فلما دنت ولادتي أتاني ذلك الآتي فقال : قولي أعيذه بالواحد الصمد من شر كل حاسد .

(ذكر وفاة عبد الله)

قال محمد بن كعب : خرج عبد الله بن عبد المطلب في تجارة إلى الشام مع جماعة من قريش ، فلما رجعوا مروا بالمدينة وعبد الله مريض فقال : أتخلف عند أخوالي بني عدي ابن النجار . فقام عندهم شهرًا ومضى أصحابه فقدموا مكة، فأخبروا عبد المطلب فبعث إليه ولده الحارث فوجده قد توفي ودُفن في دار النابغة وهو رجل من بني عدي ، فرجع إلى أبيه فأخبره فوجد عليه [١] وجدًا شديدًا ورسول الله ﷺ يومئذ حمْل . ولعبد الله يوم توفي خمس وعشرون سنة [٢] .

وقد روي عن عوانة بن الحكم أن عبد الله توفي بعد ما أتى على رسول الله ﷺ ثمانية وعشرون شهرًا ، وقيل سبعة أشهر ، والقول الأول أصح ، وأن رسول الله ﷺ كان حملاً يومئذ [٣] . وترك عبد الله أم أيمن وخمسة أجمال وقطعة غنم فورث رسول الله ﷺ ذلك وكانت أم أيمن تحتضنُه .

(ذكر مولد رسول الله ﷺ)

اتفقوا على أن رسول الله ﷺ ولد يوم الإثنين في شهر ربيع الأول عام الفيل. واختلفوا فيما مضى من ذلك الشهر لولادته على أربعة أقوال ـ أحدها : أنه ولد لليلتين خلتا منه . والثاني : لثمان خلون منه ، والثالث : لعشر خلون منه ، والرابع : لاثنتي عشرة خلت منه .

وروى محمد بن سعد عن جماعة من أهل العلم أن آمنة قالت : لقد علقتُ به فما وجدت له مشقة ، وأنه لما فُصل عنها خرج له نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب ووقع إلى الأرض معتمدًا على يديه .

---

(١) وجد عليه : حزن .

(٢) ، (٣) راجع : زاد المعاد (١/ ٧٦) ، ودلائل النبوة (١/ ١٨٧) .

وقال عكرمة : لما ولدته وضعته بُرمةٍ فانقلعت عنه ، قالت : فنظرت إليه فإذا هو قد شق بصره ينظر إلى السماء [١] .

وقال العباس بن عبد المطلب : ولد رسول الله ﷺ مختونًا مسرورًا [٢] ، فأعجب ذلك عبد المطلب وحظي عنده وقال : ليكونن لابني هذا شأن من شأن، فكان له شأن .

وروى يزيد بن عبد الله بن وهب عن عمته : أن آمنة لما وضعت رسول الله ﷺ أرسلت إلى عبد المطلب ، فجاءه البشير وهو جالس في الحجْر ، فأخبره أن آمنة ولدت غلامًا ، فسرَّ بذلك وقام هو ومن معه فدخل عليها فأخبرته بكل ما رأت وما قيل لها وما أُمرت به فأخذه عبد المطلب فأدخله الكعبة وقام عندها يدعو الله ويشكر ما أعطاه ، وروي أنه قال يومئذ :

الحمد لله الـــذي أعطـــاني	هـــذا الغلام الطـيب الأردان
قد ساد في المهد على الغلمان	أعيـــــذه بالله ذي الأركــان
حتـــى أراه بالــغ البنيــــان	أعيـــذه من شـــر ذي شنَـآن

من حاســد مضـــطرب العيان

وفي حديث العباس بن عبد المطلب أنه قال : يا رسول الله إني أريد أن أمتدحك . قال قل لا يَفضُضِ الله فاك : فأنشأ يقول :

مـــن قبلها طِبْتَ في الظّلال وفي	مستودعٍ حيث يُخصف الورق
ثـــم هبطـــتَ البـــلادَ لا بشـــر	أنـــت ولا مضـــغة ولا علـــق
بـــل نطفـــة تركب الســفين وقد	ألجـــم نســـرًا وأهلـــه الغرق
تنقَـــل من صالب إلـــى رحـــم	إذا مضـــى عالـــم بدا طبـــق
حتى احتوى بيـــتك المهيمن من	خنـــدف عليـــاءَ تحتـها النطق
وأنت لمـّا ولـــدت أشــــرقتِ	الأرض وضـــاءت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور	وسُبْـــلِ الرشـــاد نختـــرق

(ذكر أسماء رسول الله ﷺ)

عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « لي خمسة

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ١٠٢) بسند صحيح .
(٢) مختوناً : الختان قطع القلفة .

أسماء: أنا محمد ، وأحمد ، وأنا الماحي الذى يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب » ، رواه البخاري ومسلم[1] .

وفي أفراد مسلم من حديث أبي موسى قال : سمَّى لنا رسول الله ﷺ نفسه فقال: «أنا محمد ، وأحمد ، والمقفّي ، والماحي ، والحاشر ، ونبي التوبة ، والمَلْحَمة » ، وفي لفظ « نبي الرحمة »[2] .

وقد ذكر أبو الحسين بن فارس اللغوي أن لنبينا ﷺ ثلاثة وعشرين اسمًا : محمد وأحمد والماحي ، والحاشر ، والعاقب ، والمقفي ، ونبي الرحمة ، ونبي التوبة ، والملحمة ، والشاهد ، والمبشر ، والبشير ، والنذير ، والسراج المنير ، والضحوك ، والقتَّال ، والمتوكل ، والفاتح ، والأمين ، والخاتم ، والمصطفى ، والنبي ، والرسول ، والأمي ، والقُثَم .

والماحي : الذي يُمحى به الكفر ، والحاشر : الذي يحشر الناس على قدميه - أي يقدمهم وهم خلفه ، والعاقب : آخر الأنبياء ، والمقفي : بمعنى العاقب - لأنه تبع الأنبياء وكل شيء تبع شيئًا فقد قفّاه . والملاحم : الحروب ، والضحوك : صفته في التوراة - قال ابن فارس : وإنما قيل له الضحوك ؛ لأنه كان طيب النفس فَكِهًا، وقال ﷺ : « إنى لأمزح » [3] .

والقُثَم من معنيين : أحدهما من القَثْم وهو الإعطاء - يقال : قَثَم له من العطاء يقثم إذا أعطاه - وكان عليه السلام أجود بالخير من الريح الهبابة . والثاني : من القَثْم الذي هو الجمع - يقال للرجل الجموع للخير : قَثُوم وقُثَم - والله أعلم .

(ذكر من أرضعنه)

قالت برَّة بنت أبي تجرأة : أول من أرضع رسول الله ﷺ ثُويبة بلبن ابنٍ لها - يقال له مسروح - أيامًا قبل أن تُقدِم حليمة . وكانت قد أرضعت قبله حمزة بنَ عبد المطلب ، وأرضعت بعده سلمة بن عبدِ الأسد ، ثم أرضعته حليمة بنت عبد الله السعدية [4] .

وعن حليمة ابنة الحارث - أم رسول الله ﷺ التي أرضعته ، السعدية ـ قالت :

---

(١) رواه البخاري (٣٥٣٢) ومسلم (الفضائل / ٢٣٥٤) باب في أسمائه ﷺ .

(٢) رواه مسلم (الفضائل / ٢٣٥٥) باب فى أسمائه ﷺ .

(٣) رواه الطبرانى (١٢/ ٣٩١) ، والقاضى عياض فى الشفا (٢/ ٤٢٤) ، وأورده الحافظ الهيثمى فى المجمع (٩/ ١٧) ، وعزاه للطبرانى فى الأوسط وقال : إسناده حسن .

(٤) انظر : صحيح البخارى كتاب النكاح ، باب : ﴿ وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم ﴾ ، ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب .

خرجت في نسوة من بني سعد بن بكر بن هوازن نلتمس الرضعاء بمكة فخرجت على أتان[١] لي قَمْراء قد أدَمَّتْ بالرَّكْب قالت : وخرجنا في سنة شهباء [٢] لم تبق لنا شيئًا أنا وزوجي الحارث بن عبد العزَّى ، وقالت : ومعنا شارف [٣] لنا والله إنْ تَبِضّ علينا بقطرة من لبن ، ومعي صبي لنا والله ما ننام ليلنا من بكائه ما في ثديي لبن يغنيه ولا في شارفنا من لبن يغذِّيه ، إلا أنَّا نرجو الخصب والفرج . فلما قدمنا مكة لم تبق منا امرأة إلا عرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه ، وإنما كنا نرجو الكرامة في رضاعة من نُرضع له، من والد المولود ، وكان يتيمًا ﷺ فقلنا : ما عسى أن تصنع بنا أمه ؟ فكنا نأبى حتى لم تبق من صواحباتي امرأة إلا أخذت رضيعًا ، غيرى . قالت : فكرهت أن أرجع ولم آخذ شيئًا وقد أخذ صواحباتي . فقلت لزوجي الحارث : والله لأرجعن إلى ذلك اليتيم فلآخذنَّه .

قالت : فأتيته فأخذته ثم رجعت به إلى رحلي . قالت : فقال لي زوجي : قد أخذته؟ قلت : نعم ، وذلك أني لم أجد غيره . قال : قد أَصَبْتِ عسى أن يجعل الله فيه خيرًا .

قالت : والله ما هو إلا أن وضعته في حجرى فأقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن فشرب حتى روي ، وشرب أخوه حتى روي ، وقام زوجي الحارث إلى شارفنا من الليل فإذا هي تحلب علينا ما شئنا ، فشرب حتى روي ، وشربت حتى رويت . قالت : فبتنا بخير ليلة شباعًا رواءً . قالت : فقال زوجي : والله يا حليمةُ ما أراك إلا قد أصبت نسمةً مباركةً ، قد نام صَبِيَّانا وقد روينا ورَويا .

قالت : ثم خرجنا . قالت : فوالله لخرجت أتاني أمام الركب قد قطعتهم حتى ما يتعلق بها منهم أحد ، حتى إنهم ليقولون : ويحك يا بنت الحارث ، كفِّي علينا ، أليست هذه أتانك التي خرجت عليها ؟ فأقول : بلى والله . فيقولون : إن لها لشأنًا . حتى قدمنا منازلنا من حاضر منازل بني سعد بن بكر . قالت : فقدمنا على أجدب أرض الله . قالت: فوالذى نفس حليمة بيده إن كانوا ليسرحون أغنامهم إذا أصبحوا ، وأَسَرِّحُ راعي غنمي ، وتروح غنمي حُفَّلاً بطانًا ، وتروح أغنامهم جياعًا هالكة ما لها من لبن ، فنشرب ما شئنا من اللبن وما من الحاضر من أحد يحلب قطرة ولا يجدها . قالت: فيقولون لرعاتهم : ويلكم ألا تسرحون حيث يسرح راعي غنم حليمة ؟ فيسرحون في الشِّعْب الذي تسرح فيه غنمي وتروح أغنامهم جياعًا ما لها من لبن وتروح غنمي حفلاً لبنًا .

---

(١) الإتان : أنثى الحمار .

(٢) سنة شهباء : أى سنة قحط .

(٣) الشارف : هى الناقة المسنة .

قالت : وكان يشب في اليوم شباب الصبي في شهر ، ويشب في الشهر شباب الصبي في سنة . قالت : فبلغ سنتين وهو غلام جفر [1] . قالت : فقدمنا به على أمه فقلت لها أو قال لها زوجي : دعي ابني فلنرجع به فإنا نخشى عليه وباء مكة. قالت : ونحن أضنُّ شيء به لما رأينا من بركته ﷺ فلم نزل بها حتى قالت: ارجعا به . قالت : فمكث عندنا شهرين .

قالت : فبينما هو يلعب يومًا من الأيام هو وأخوه خلف البيت إذا جاء أخوه يشتد فقال لي ولأبيه : أدركا أخي القرشي فقد جاءه رجلان فأضجعاه فشقَّا بطنه. قالت فخرجت وخرج أبوه يشتد نحوه فانتهينا إليه وهو قائم ممتقع لونه فاعتنقتُه واعتنقه أبوه وقال : مالك يا بني ؟ قال : أتاني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني فشقَّا بطني ، والله ما أدري ما صنعا [2] .

قالت : فاحتملناه فرجعنا به . قالت : يقول زوجي : والله يا حليمة ما أرى الصبي إلا قد أصيب . فانطلقي فلنرده إلى أمه قبل أن يظهر به ما نتخوف عليه . قالت : فرجعنا به إلى أمه ، فقالت: ما ردَّكما به فقد كنتما حريصين عليه ؟ فقلنا: لا والله إلا أنّا كفلناه وأدينا الذي علينا من الحق فيه ، ثم تخوفنا عليه الأحداث فقلنا : يكون عند أمه فقالت : والله ما ذاك بكما فأخبراني خبركما وخبره . قالت : فوالله ما زالت بنا حتى أخبرناها خبره

قالت : أتخوفتما عليه؟ لا والله إن لابني هذا شأنًا ألا أخبركما عنه : إني حملت به فلم أحمل حملاً قط هو أخف منه ولا أعظم بركة منه ، لقد وضعته فلم يقع كما يقع الصبيان، لقد وقع واضعًا يده في الأرض رافعًا رأسه إلى السماء دعاه والْحقا بشأنكما .

قال الشيخ : وظاهر هذا الحديث يدل أن آمنة حملت غير رسول الله ﷺ ؛ وقد قال الواقدي : لا يُعرف عند أهل العلم أن آمنة وعبد الله ولدا غير رسول الله ﷺ .

فأما حليمة : فهي بنت أبي ذؤيب ، واسمه : عبد الله بن الحارث بن شحنة بن جابر السعدية ، قدمت على رسول الله ﷺ وقد تزوج خديجة ، فشكت إليه جدب البلاد فكلَّم خديجة فأعطتها أربعين شاة وأعطتها بعيرًا ، ثم قدمت عليه بعد النبوة فأسلمت وبايعت وأسلم زوجها الحارث بن عبد العزَّى .

---

(١) الجفر : ما عظم واستكرش من ولد الشاة والمعزى ، وهنا بمعنى أنه أصبح غلاماً قوياً .
(٢) سيأتي تخريجه بعد صفحة .

قال محمد بن المنكدر : استأذنت امرأة على النبي ﷺ وقد كانت أرضعته فلما دخلت قال: أمي أمي ، وعمد إلى ردائه فبسطه لها فجلست عليه [١] .

فأما « ثُويبة » : فهي مولاة أبي لهب ، ولا نعلم أحدًا ذكر أنها أسلمت غير ما حكى أبو نعيم الأصفهانيّ أن بعض العلماء قال : قد اختلف في إسلامها .

وروى الواقدي عن جماعة من أهل العلم أن رسول الله ﷺ كان يكرمْ «ثُويبة » ويصلها وهي بمكة ، فلما هاجر كان يبعث إليها بكسوةٍ وصلة ، فجاءه خبرها سنة سبع مرجعه من خيبر أنها توفيت .

عن عروة قال : كانت ثُويبة لأبي لهب وأعتقها فأرضعت النبي ﷺ فلما مات أبو لهب رآه بعض أهله في النوم ، قال : ماذا لقيت يا أبا لهب ؟ فقال : ما رأيت بعدكم روحًا غير أني سقيت في هذه مني بعتقي ثُويبة . قال : وأشار إلى بين الإبهام والسبابة .

قال الشيخ : وقد جاء حديث شرح صدره ﷺ في « الصحيح » .

عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل - عليه السلام - وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه [وشق عن] قلبه ، فاستخرج القلب ، فاستخرج منه علقة فقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثمَّ غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ، ثم أعاده في مكانه . وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعني ظئره - فقالوا : إن محمدًا قد قتل . فاستقبلوه وهو [ممتقع] اللَّون . قال أنس: وقد كنت أرى أثر المخيط في صدره ﷺ انفرد بإخراجه مسلم[٢] . وقد ذكرنا أن حليمة أعادته إلى أمه بعد سنتين وشهرين . وقال ابن قتيبة : لبث فيهم خمس سنين.

(ذكر وفاة أمه آمنة)

لما ردَّته حليمة أقام رسول الله ﷺ عند أمه آمنة إلى أن بلغ ستَّ سنين ثم خرجت به إلى المدينة إلى أخواله بني عدي بن النجار تزورهم به ومعها أم أيمن تحضنه . فأقامت عندهم شهرًا ثم رجعت به إلى مكة فتوفيت بالأبواء فقبرها هنالك . فلما مر رسول الله ﷺ بالأبواء في عمرة الحديبية ، زار قبرها وبكى .

---

(١) رواه أبو داود (٥١٤٤) من حديث أبى الطفيل وفيه : « إذ أقبلت امرأة حتى دنت إلى النبى ﷺ فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت : من هى ؟ فقالوا : هذه أمه التى أرضعته » .

(٢) حادثة شق صدره ﷺ قبل النبوة فى طفولته ، رواها مسلم فى صحيحه (الإيمان / ٢٦١) ، وحدثت مرة أخرى بعد النبوة وقبل الإسراء فى رواية للبخارى فى صحيحه (٣٨٨٧) مطولاً فى قصة الإسراء ، وقيل : حدث شق صدره ﷺ عدة مرات . انظر : فتح البارى (١/ ٥٤٩) .

وأخرج مسلم في أفراده من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : «استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي ، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي[1] .

(ذكر ما كان من أمره ﷺ بعد وفاة أمه آمنة)

روى محمد بن سعد عن جماعة من أهل العلم ، منهم مجاهد والزهري . أن آمنة لما توفيت قبض رسولَ الله ﷺ جدُّه عبد المطلب وضمه إليه ورقَّ عليه رقة لم يرقها على ولده وقربه وأدناه ، وأن قومًا من بني مدلج قالوا لعبد المطلب: احتفظ به فإنا لم نر قدمًا أشبه بالقدم التي في المقام منه . فقال عبد المطلب لأبي طالب : اسمع ما يقول هؤلاء . فكان أبو طالب يحتفظ به . فلما حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظه . ومات عبد المطلب فدفن بالحجون ، وهو ابن اثنتين وثمانين سنة ، وقيل : ابن مائة وعشر سنين ، ويقال : وعشرين سنة .

وسئل رسول الله ﷺ أتذكر موت عبد المطلب ؟ قال : « نعم ، وأنا يومئذ ابن ثمان سنين » . قالت أم أيمن : رأيت رسول الله ﷺ يومئذ يبكي عند قبر عبد المطلب . وذكر بعض العلماء أنه كان لرسول الله ﷺ يوم موت عبد المطلب ثماني سنين وشهران وعشرة أيام .

(ذكر كفالة أبي طالب للنبي ﷺ)

ذكر جماعة من أهل العلم أنه لما توفي عبد المطلب قبض رسولَ الله ﷺ أبو طالب ، وكان يحبه حُبا شديدًا ويقدِّمه على أولاده . فلما بلغ رسول الله ﷺ اثنتي عشرة سنة وشهرين وعشرة أيام ارتحل به أبو طالب تاجرًا نحو الشام فنزل « تيماء » فرآه حبر من اليهود يقال له « بحيرا الراهب » فقال : من هذا الغلام معك ؟ فقال : هو ابن أخي فقال: أشفيقٌ عليه أنت ؟ قال : نعم . قال : فوالله لئن قدمت به الشام ليقتلنه اليهود. فرجع به إلى مكة .

(حديث بحيرا الراهب)

عن داود بن الحصين ، قال : لما خرج أبو طالب إلى الشام وبها راهب يقال له : «بحيرا» في صومعة له ، وكان علماء النصارى يكونون في تلك الصومعة يتوارثونها عن كتاب يدرسونه . فلما نزلوا ببحيرا وكانوا كثيرًا ما يمرون به لا يكلمهم حتى إذا كان ذلك العام ونزلوا منزلاً قريبًا من صومعته قد كانوا ينزلونه قبل ذلك كلما مروا ، فصنع لهم طعامًا ثم دعاهم ، وإنما حمله على دعائهم أنه رآهم حين طلعوا وغمامةٌ تظلُّ رسول الله

---

(١) رواه مسلم (كتاب الجنائز / ٩٧٦) باب : استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه .

ﷺ من بين القوم حتى نزلوا تحت الشجرة . ثم نظر إلى تلك الغمامة أظلت تلك الشجرة وأخضلت أغصان الشجرة على النبى ﷺ حين استظل تحتها . فلما رأى بحيرا ذلك نزل من صومعته وأمر بذلك الطعام فأتي به . وأرسل إليهم فقال : إني قد صنعت لكم طعامًا يا معشر قريش وأنا أحب أن تحضروه كلكم ولا تخلفوا منكم صغيرًا ولا كبيرًا ، حرًا ولا عبدًا، فإن هذا شيء تكرمونني به . فقال رجل : إنَّ لك لشأنًا يا بحيرا . ما كنت تصنع بنا هذا فما شأنك اليوم ؟ قال : فإني أحببت أن أكرمكم فلكم حق .

فاجتمعوا إليه وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنه ليس في القوم أصغر منه في رحالهم تحت الشجرة ، فلما نظر بحيرا إلى القوم فلم ير الصفة التي يعرف ويجدها عنده ، وجعل ينظر فلا يرى الغمامة على أحد من القوم ، ورآها متخلفة على رأس رسول الله ﷺ فقال بحيرا : يا معشر قريش لا يتخلفنَّ أحد منكم عن طعامي . قالوا : ما تخلف أحد إلا غلام هو أصغر القوم سنًا في رحالهم . فقال: ادعوه فليحضر طعامي فما أقبح أن يتخلف رجل واحد مع أني أراه من أنفسكم . فقال القوم : هو والله أوسطنا نسبًا وهو ابن أخي هذا الرجل - يعنون أبا طالب - وهو من ولد عبد المطلب ، فقال الحارث بن عبد المطلب : والله إن كان بنا للؤمٌ أن يتخلف ابن عبد المطلب من بيننا. ثم قام إليه فاحتضنه وأقبل به حتى أجلسه على الطعام ، والغمامة تسير على رأسه، وجعل بحيرا يلحظ لحظًا شديدًا ، وينظر إلى أشياء في جسده قد كان يجدها عنده من صفته ، فلما تفرقوا عن طعامهم قام إليه الراهب فقال : يا غلام أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه ، فقال رسول الله ﷺ : لا تسألني باللات والعزى ، فوالله ما أبغضت شيئًا بغضهما . قال : فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه؟ قال : سلني عما بدا لك. فجعل يسأله عن أشياء من حاله حتى نومه ، فجعل رسول الله ﷺ يخبره فيوافق ذلك ما عنده ، ثم جعل ينظر بين عينيه ، ثم كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على الصفة التي عنده ، فقبَّل موضع الخاتم . وقالت قريش : إن لمحمد عند هذا الراهب لقدرًا، وجعل أبو طالب لما يرى من الراهب يخاف على ابن أخيه . فقال الراهب لأبي طالب : ما هذا الغلام منك ؟ قال أبو طالب : ابني. قال : ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيًا. قال: فابن أخي . قال : فما فعل أبوه ؟ قال: هلك وأمه حبلى به ، قال : فما فعلت أمه ؟ قال : توفيت قريبًا . قال : صدقت ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود ، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما أعرف ليبغنه بغيًا ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم نجده في كتبنا وما روينا عن آبائنا ، واعلم أني قد أديت إليك النصيحة .

فلما فرغوا من تجارتهم خرج به سريعًا ، وكان رجال من يهود [١] قد رأوا رسول الله ﷺ وعرفوا صفته فأرادوا أن يغتالوه فذهبوا إلى بحيرا فذاكروه أمره فنهاهم أشد النهي وقال لهم : أتجدون صفته ؟ قالوا : نعم . قال : فما لكم إليه سبيل. فصدقوه وتركوه.

ورجع به أبو طالب فما خرج به سفرًا بعد ذلك خوفًا عليه . قال الشيخ رحمه الله : وما زال ﷺ في صغره أفضل الخلق مروءة وأحسنهم خلقًا وأصدقهم حديثًا وأبعدهم من الفحش والأذى حتى سماه قومه الأمين .

(ذكر رعيه ﷺ الغنم)

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « ما بعث الله نبيًا إلا رعى الغنم » ، فقال أصحابه : وأنت ؟ قال: « نعم ، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة » - انفرد بإخراجه البخارى[٢] . وقد رواه سويد بن سعيد عن عمرو بن أبي يحيى عن جده سعيد بن أحيحة ، فقال فيه : كنت أرعاها لأهل مكة بالقراريط . قال سويد بن سعيد : يعنى كلَّ شاة بقيراط . وقال إبراهيم الحربي : القراريط موضع ولم يُرد بذلك القراريطَ من الفضة[٣] .

(ذكر خروجه ﷺ إلى الشام مرة أخرى)

قدْ ذكرنا أنه خرج مع أبي طالب وهو ابن اثنتي عشرة سنة فلما بلغ خمسًا وعشرين سنة قال له أبو طالب : أنا رجل لا مال لي وقد اشتدَّ علينا الزمان ، وهذه عِير قومك قد حضر خروجها إلى الشام ، وخديجة تبعث رجالاً من قومك، فلو جئتها فعرضت نفسك عليها لأسرعت إليك .

وبلغ خديجة ما قال له أبو طالب فقالت : أنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلاً من قومك فقال أبو طالب : هذا رزق قد ساقه الله إليك .

فخرج مع غلامها ميسرة ، وجعل عمومته يوصون به أهل العير حتى قدما «بُصْرى»[٤] من الشام فنزلا في ظل شجرة ، فقال نسطورا الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي . ثم قال لميسرة : أفي عينيه حمرة ؟ قال : نعم لا تفارقه . فقال : هو نبى ، وهو آخر الأنبياء . ثم باع سلعته فوقع بينه وبين رجل تلاحٍ فقال له : احلف باللات والعزى . فقال رسول الله ﷺ : ما حلفت بهما قط وإني لأمرؤ أعرض عنهما .

---

(١) أورد البيهقى فى دلائل النبوة (٢/ ٩٧) اسماؤهم فقال : « زبير ، وثمام ، ودريس » .

(٢) رواه البخارى (٢٢٦٢) . (٣) والقيراط : نصف دانق والدانق : سدس درهم .

(٤) بصرى : كشبرا ، وهى مدينة حوران ، وهى أول مدينة فتحت بالشام . وانظر : تهذيب الأسماء للنووى (١/ ٣٧) .

فقال الرجل : القول قولك . وكان ميسرة - إذا كانت الهاجرة واشتد الحرُّ - يرى ملكين يظلان رسول الله ﷺ من الشمس .

ودخل رسول الله ﷺ مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في عُلِيَّة لها ، فرأت رسول الله ﷺ على بعيره ، وملكان يظلان عليه ، فأرته نساءها فعجبن لذلك ، ودخل عليها رسول الله ﷺ فأخبرها بما ربحوا في وجههم فسرّت بذلك . فلما دخل ميسرة أخبرته بما رأت ، فقال : قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام . وأخبرها بما قال الراهب .

(ذكر تزويج رسول الله ﷺ خديجة)

قالت نفيسة بنت مُنْيَة : كانت خديجة بنت خُويلد بن أسد بن العزى بن قُصيٍّ، امرأة حازمة جلدة شريفة ، أوسط قريش نسبًا ، وأكثرهم مالاً ، وكلُّ قومها كان حريصًا على نكاحها لو قدر على ذلك . قد طلبوها وبذلوا لها الأموال ، فأرسلتني دسيسًا إلى محمد بعد أن رجع من الشام ، فقلت : يا محمد ما يمنعك أن تزوج ؟ فقال : ما بيدي ما أتزوج به ، قلت : فإن كفيت ذلك ودُعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة ألا تجيب؟ قال : فمن هي ؟ قلت : خديجة .قال : وكيف بذلك ؟ قلت : عليَّ . قال : وأنا أفعل . فذهبت فأخبرتها ، فأرسلت إليه أن ائت لساعة كذا وكذا وأرسلت إلى عمها عمرو بن أسد ليزوجها فحضر ، ودخل رسول الله ﷺ في عمومته فتزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة، وخديجة يومئذ بنت أربعين سنة .

وقد ذكر بعض العلماء أن أبا طالب حضر العقد ومعه بنو مُضر ، فقال أبو طالب : الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم ، وزرْع إسماعيل ، وضِئْضِئي معدّ ، وعنصر مضر، وجعلنا حضنة بيته ، وسوَّاس حرمه ، وجعل لنا بيتًا محجوجًا ، وحرَمًا آمنًا ، وجعلنا الحكّام على الناس . ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل إلا رجح به، فإن كان في المال قُل ، فإن المال ظل زائل ، وأمر حائل ، ومحمد من قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها الصداق ما آجله وعاجله من مالي، وهو بعد هذا والله له نبأ عظيم وخطر جليل .

فتزوجها رسول الله ﷺ .

(ذكر علامات النبوة في رسول الله ﷺ قبل أن يوحى إليه)

قال الشيخ : قد ذكرنا أن أمه آمنة رأت عند ولادته نورًا أضاء له المشرق والمغرب، وقد روي عنه ﷺ أنه قال : « رأت أمي نورًا أضاءت له قصور الشام» [١] . وقد ذكرنا شق

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٦٢) من حديث أبي أمامة . قال الحافظ الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٢٢) : رواه أحمد وإسناده حسن وله شواهد تقويه ورواه الطبراني . اهـ . ورواه الحاكم (٢/ ٦٠٠) وقال الذهبي : صحيح .

بطنه في صغره وحديث ميسرة والراهب ، وحديث بحيرا ، والغمامة التي كانت تظله والأحاديث في هذا كثير ، إلا أنا نروم الاختصار فلهذا نحذف .

عن عمرو بن سعيد أن أبا طالب قال : كنت بذي المجاز ومعي ابن أخي - يعني النبي ﷺ - فأدركني العطش فشكوت إليه فقلت : يا ابن أخي قد عطشت . وما قلت له ذلك وأنا أرى أن عنده شيئًا ؛ إلا الجزع . فثنى وركه ثم نزل فأهوى بعقبه إلى الأرض فإذا بالماء فقال : « اشرب يا عم » فشربت [1] .

وعن ابن عباس قال : أول شيء رأى النبي ﷺ من النبوة أن قيل له استتر ، وهو غلام، فما رئيت عورته من يومئذ .

وقالت برَّة بنت أبي تجرأة : لما ابتدأه الله تعالى بالنبوة كان إذا خرج لحاجته أبعدَ حتى لا يرى بيتًا، ويفضي إلى الشعاب وبطون الأودية ، فلا يمر بحجر ولا شجرة إلا قال : « السلام عليك يا رسول الله » فكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحدًا.

وعن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إني لأعرفُ حجرًا بمكة كان يسلِّم عليَّ قبل أن أُبعث . إني لأعرفه الآن ». رواه الإمام أحمد . وانفرد بإخراجه مسلم [2] .

فصــــل

فلما بلغ رسول الله ﷺ خمسًا وثلاثين سنة شهد بنيان الكعبة وتراضت قريش بحكمه فيها ، وكانوا قد اختلفوا فيمن يضع الحجر ، فاتفقوا على أن يحكم بينهم أول داخل يدخل المسجد فدخل رسول الله ﷺ فقالوا : هذا الأمين ، فقال ﷺ : هلمُّوا ثوبًا ، فوضع الحجر فيه وقال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من نواحيه وارفعوه جميعًا ، ثم أخذ الحجر بيده فوضعه في مكانه .

فلما أتت له أربعون سنة ويوم بعثه الله - عز وجل - وذلك في يوم الاثنين .

(ذكر بدو الوحي)

روى مسلم في « الصحيح » أن النبي ﷺ سُئل عن صوم الاثْنَيْنِ ، فقال : «فيه ولدت وفيه أُنْزِلَ عَلَيَّ » [3] .

وقد روي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال : نزل جبرائيل على رسول الله

---

(١) رواه ابن سعد في طبقاته (١/١/٩٨) .

(٢) رواه مسلم (الفضائل / ٢) باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة .

(٣) رواه مسلم (الصيام / ١٩٨) .

ﷺ بالرسالة يوم سبع وعشرين من رجب ، هو أول يوم هبط فيه . وقال ابن إسحاق : ابتدىء رسول الله ﷺ بالتنزيل في شهر رمضان .

وعن عائشة أنها قالت : أول ما ابتدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة،وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .ثم حُبِّب إليه الخلاء فكان يأتى جبل حراء يتحنَّث فيه ،وهو التعبد الليالي ذوات العدد ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فتزوِّده لمثلها ، حتى فَجِئَهُ الحق وهو في غار حراء فجاءه الحق فيه فقال : اقرأ فقال رسول الله ﷺ : « فقلت : ما أنا بقارىء ». قال: فأخذنى فغطَّني حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ . فأخذني فغطَّني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارىء . فأخذني فغطَّني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: ﴿ **اقرأ باسم ربِّكَ الذي خلقَ** ﴾حتى بلغ ﴿ **ما لم يعلم** ﴾ [(١)]» ، قال : فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال : «زمِّلونى، زمِّلونى » ، فزمَّلوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال : « يا خديجة مالى» ، وأخبرها الخبر، قال : « قد خشيت علىَّ » ، فقالت له : كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدًا ؛ إنك لتصل الرَّحم ، وتصدُق الحديث ، وتحمل الكلَّ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق .

ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزَّى بن قصي وهو ابن عم خديجة أخي أبيها ، وكان امرأ تنصَّر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العربي ، فكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت خديجة : أىْ ابنَ عَمِّ اسمع من ابن أخيك . قال ورقة : يا ابن أخي ما ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ ما رأى ، فقال ورقة : هذا الناموس الذي أُنزل على موسى ﷺ ، يا ليتني فيها جذعًا أكون حيًا حين يخرجك قومك. قال رسول الله ﷺ : « أوَ مُخرجيَّ هم ؟ » فقال ورقة : نعم ، لم يأت رجلٌ قطُّ بما جئت به إلا عُودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزَّراً.

ثم لم ينشب ورقة أن توفي . وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله ﷺ ـ فيما بلغنا ـ حزنًا غدا منه مرارًا لكي يتردَّى من رءوس شواهق الجبال ، فكلما أوفـى بذروة جـبلٍ لكـي يلقـي نفسه منه يبدي له جبريل عليه السلام فقال : يا محمد إنك رسول الله حقًا. فيسكن لذلك جأشه وتقرّ نفسه ﷺ فيرجع ، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك

(١) أول سورة العلق .

فإذا أوفى بذروة جبلٍ تبدى له جبريل عليه السلام فقال مثل ذلك . أخرجاه في «الصحيحين » [1] .

وعن جابر بن عبد الله قال : سمعت النبي ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي قال في حديثه : « فبينا أنا أمشي : سمعت صوتًا من السماء ، فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض ، فجُئثتُ منه رعبًا فجئتُ فقلت زملوني . فدثروني ، فأنزل الله - عز وجل - » . ﴿ **يا أيها المدثر** ﴾ [2] أخرجاه في «الصحيحين » [3] .

ومعنى « فجُئثت » فرقت يقال رجل مجؤوث .

(ذكر كيفية إتيان الوحي إليه ﷺ)

عن عائشة : أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أحيانًا يأتيني في مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي ، فيُفصم عني وقد وعيت ما قال ، وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول » قالت عائشة : وقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه ، وإن جبينه ليتفصد عرقًا . أخرجاه في « الصحيحين » [4] .

وأخرجا من حديث يعلى بن أمية أنه كان يقول لعمر : ليتني أرى رسول الله ﷺ حين ينزل عليه الوحي . « فلما كان النبي ﷺ بالجِعْرانة جاءه رجل فسأله عن شيء ، فجاءه الوحي ، فأشار عمر إلى يعلى أن تعالَ ، فجاء يعلى فأدخل رأسه ، فإذا هو محمرٌّ الوجه يغطُّ كذلك ساعةً ثم سُرِّي عنه » [5] .

وعن زيد بن ثابت قال : « إني قاعد إلى جنب النبي ﷺ يومًا إذ أوحي إليه وغشيته السكينة ، ووقع فخذُه على فخذي حين غشيته السكينة . قال زيد : فلا والله ، ما وجدت شيئًا قط أثقل من فخذ رسول الله ﷺ . ثم سُرِّي عنه فقال: اكتب يا زيد » .

---

(١) رواه البخاري (٣) ومسلم (الإيمان / ٢٥٢) باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ، وانظر : أسباب النزول للواحدى ، الباب الأول ، رواه البخارى ومسلم فى باب « بدء الوحى » .

(٢) أول سورة المدثر .

(٣) رواه البخاري (٤٩٢٢ ، ٤٩٢٣ ، ٤٩٢٦) ، ومسلم (الإيمان / ٢٥٥) باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ .

(٤) رواه البخارى (٢/ ٣٢١٥) ، ومسلم (الفضائل / ٨٧) باب عرق النبى ﷺ فى البرد وحين يأتيه الوحى.

(٥) رواه البخارى (١٨٤٧) ، ومسلم (الحج ٦ - ١٠/ ١١٨٠) باب : ما يباح للمحرم بحج أو عمرة وما لا يباح وبيان تحريم الطيب عليه .

وفي أفراد البخاري من حديث زيد بن ثابت قال : « أملى عليَّ رسول الله ﷺ : ﴿ **لا يستوي القاعدون من المؤمنين** ﴾ [1] فجاءه ابن أمِّ مكتوم وهو يمليها عليَّ فقال : والله يا رسول الله لو أستطيع الجهاد لجاهدت . وكان أعمى . فأنزل الله - عز وجل - على رسوله وفخذه على فخذي . فثقلت عليَّ حتى خفت أن ترضَّ فخذي . ثم سُرِّي عنه فأنزل الله عز وجل ﴿ **غير أولي الضَّرر** ﴾ [2] .

وقال عبادة بن الصامت : « كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي كرب له وتربَّد وجهه » .

وقال أبو أروى الدوسي : « رأيت الوحي ينزل على رسول الله ﷺ وإنه على راحلته ، فترغو ، وتفتل يديها ، حتى أظن أن ذراعها تنفصم ، وربما بركت ، وربما قامت موئدة يديها حتى يسرى عنه من ثقل الوحي ، وإنه ليتحدر منه مثل الجُمان » .

(ذكر رمي الشياطين بالشهب لمبعثه ﷺ)

قال العلماء بالسِّير : رأت قريش النجوم يُرمى بها بعد عشرين يومًا من مبعث رسول الله ﷺ [3] .

عن ابن عباس قال : انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حِيلَ بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأُرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم ، فقالوا : ما لكم ؟ فقالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب . قالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث [4] ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ؛ فانظروا ما هذا الأمر الذي حال بينكم وبين خبر السماء . قال: فانطلق الذين توجَّهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة [5] ، وهو عامد إلى سوق عكاظ ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن ؛ تسمعوا له فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء . فهنالك رجعوا إلى قومهم ؛ فقالوا : ﴿ **إنَّا سمعنا قرآنًا عَجَبًا يهدي إلى الرُّشد فآمنَّا به ولن نُشرك بربِّنا أحدًا** ﴾ [6] وأنزل الله على نبيه : ﴿ **قل أوحي إليَّ أنه استمع نفر منَ الجن** ﴾ [7] أخرجاه في « الصحيحين » [8] .

وعنه قال : كان الجن يسمعون الوحي ، فيسمعون الكلمة فيزيدون عليها عشرًا فيكون

---

(١) ، (٢) سورة النساء آية : ٩٥ ، والحديث رواه البخارى (٢٨٣٢ ، ٤٥٩٢) .

(٣) سيعقب المصنف على ذلك قريباً . (٤) كذا بالأصل ، والصواب حذف « ما » .

(٥) نخلة : وادى على مسافة ليلة من مكة .

(٦) سورة الجن آية : ٢ . (٧) أول سورة الجن .

(٨) رواه البخارى (٧٧٣) ومسلم (الصلاة / ١٤٩ - ٤٤٩) .

ما سمعوه حقًا وما زادوه باطلا. وكانت النجوم لا يُرمى بها قبل ذلك، فلما بُعث النبي ﷺ؛ كان أحدهم لا يقعد مقعده إلا رمى بشهاب يحرق ما أصاب. فشكوا ذلك إلى إبليس، فقال: ما هذا إلا من أمر قد حدث، فبث جنوده فإذا هم بالنبي ﷺ يصلي بين جبلي نخلة، فأتوه فأخبروه فقال: هذا الذي حدث في الأرض.

قال الشيخ: وهذا الحديث يدل على أن النجوم لم يرم بها قبل مبعث نبينا ﷺ وقد روينا عن الزهري أنه قال: قد كان يرمى بها قبل ذلك، ولكنها غلظت حين بُعث النبي ﷺ.

(ذكر اعتراف أهل الكتاب بنبوته ﷺ)

قال كعب الأحبار: نجدُ نعت رسول الله ﷺ في التوراة: محمد بن عبد الله عبدي المختار، مولده بمكة، ومهاجره المدينة، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق.

وعن أبي هريرة قال: « أتى رسول الله ﷺ بيت المدراس[1]. فقال: أخرجوا إليَّ أعلَمكم. فقالوا: عبد الله بن صوريا. فخلا به رسول الله ﷺ فناشده بدينه وبما أنعم الله به عليهم وأطعمهم من المنّ والسلوى وظلّلهم به من الغمام: أتعلم أني رسول الله؟ قال: اللهم نعم، وإن القوم ليعرفون ما أعرف، وإن صفتك ونعتك لمبيَّنٌ في التوراة، ولكنهم حسدوك. قال: فما يمنعك أنت؟ قال: أكره خلاف قومي، وعسى أن يتبعوك ويسلموا فأسلم ».

وعن ابن عباس قال: كانت يهود قُريظة والنّضير وفَدك وخيبر يجدون صفة النبي ﷺ عندهم قبل أن يبعث، وأن دار هجرته المدينة، فلما ولد رسول الله ﷺ قالت أحبار يهود: ولد أحمد الليلة. فلما نبيء قالوا: قد نبيء أحمد. يعرفون ذلك ويقرون به ويصفونه. فما منعهم عن إجابته إلا الحسد والبغي.

وعن عبد الحميد بن جعفر، عن أبيه قال: كان الزبير بن باطا - وكان أعلم اليهود - يقول: إني وجدت سِفرًا كان أبي يختمه عليَّ، فيه ذُكر أن أحمد نبيٌّ صفته كذا وكذا. فحدث به الزبير بعد أبيه والنبي ﷺ لم يبعث، فما هو إلا أن سمع بالنبي ﷺ قد خرج إلى مكة فعمد إلى ذلك السفر فمحاه، وكتم شأن النبي ﷺ وقال: ليس به.

وعن سلمة بن سلامة بن وقش قال: كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل، قال: فخرج علينا يومًا من بيته قبل أن يبعث النبي ﷺ بيسير، حتى وقف على مجلس بنى عبد الأشهل. قال سلمة: وأنا يومئذ أحدثُ من فيه سنًا عليَّ بردة مضطجعًا فيها

(١) المدراس: لليهود كالكنائس للنصارى.

بفناء أهلي ، فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار ، فقال ذلك لقوم أهل شرك ، أصحاب أوثان ، لا يرون أن بعثًا كائن بعد الموت ، فقالوا له : ويحك يا فلان، ترى هذا كائنًا ، أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار ، يجزون فيها بأعمالهم؟ قال : نعم والذي يُحلف به ، يود أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدنيا يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطبقونه عليه وأن ينجو من تلك النار غدًا . قالوا له : ويحك. وما آية ذلك ؟ قال : نبي يبعث من نحو هذه البلاد - وأشار بيده نحو مكة واليمن - قالوا: ومتى تراه ؟ قال : فنظر إليَّ - وأنا من أحدثهم سنًا - فقال: إن يستنفد هذا الغلام عمره ؛ يدركه.

قال سلمة : فوالله ، ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله - تعالى - رسول الله ﷺ وهو حي بين أظهرنا ، فآمنا به ، وكفر به ؛ بغيًا وحسدًا ، فقلنا : ويلك يا فلان ، ألست الذي قلت لنا فيه ما قلت ؟ قال : بلى . وليس به .

(ذكر بدو دعاء رسول الله ﷺ الناس إلى الإسلام)

روى عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه أن رسول الله ﷺ كان يدعو من أول ما أنزلت عليه النبوة ثلاث سنين مستخفيًا . ثم أمر بإظهار الدعاء .

وقال يعقوب بن عتبة : كان أبو بكر ، وعثمان ، وسعيد بن زيد ، وأبو عبيدة بن الجراح ، يدعون إلى الإسلام سرا ، وكان عمر ، وحمزة ، يدعوان علانية ، فغضبت قريش لذلك .

(ذكر طرف من معجزاته ﷺ)

اعلم أن معجزات رسول الله ﷺ كثيرة ، ونحن نذكر طرفًا منها :

(معجزة القرآن)

وأكبر معجزاته الدالة على صدقه القرآن العزيز : الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لم يقدروا ، وكفى به .

(انشقاق القمر)

عن ابن مسعود قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين، حتى نظروا إليه، فقال رسول الله ﷺ : اشهدوا» . أخرجاه في « الصحيحين »[١] والروايات في «الصحيح» بانشقاق القمر عن ابن عمر ، وابن عباس ، وأنس[٢] .

---

(١) رواه البخاري (٣٦٣٦ ، ٣٨٦٩ ، ٣٨٧١ ، ٤٨٦٤ ، ٤٨٦٥) ، ومسلم صفات المنافقين (٤٣) باب : انشقاق القمر .

(٢) انظر المصدر السابق .

(زيادة الماء بين يديه ﷺ):

وعن عمران بن حصين ، قال : « كنا في سفر مع رسول الله ﷺ وكنا أسرينا حتى إذا كنا في آخر الليل وقعنا تلك الواقعة ، ولا وقعة عند المسافر أحلى منها ، قال : فما أيقظنا إلا حرّ الشمس ، وكان أول من استيقظ فلان ، ثم فلان ثم فلان ـ وكان يسمّيهم أبو رجاء ونسيهم عوف ـ ثم عمر بن الخطاب الرابع ، وكان رسول الله ﷺ إذا نام لم نوقظه حتى يكون هو يستيقظ ؛ لأنا ما ندري ما يحدث أو حدث له في نومه .

فلما استيقظ عمر ورأى ما أصاب الناس ـ وكان رجلاً أجوف جليدًا ـ قال: فكبر ورفع صوته بالتكبير فما زال يكبر ويرفع صوته حتى استيقظ لصوته رسول الله ﷺ، فلما استيقظ رسول الله ﷺ شكوا إليه الذي أصابهم . فقال : لا ضير ، أو : لا يضير ، ارتحلوا، فارتحل فسار غير بعيد ، ثم نزل فدعا بالوضوء فتوضأ، ونودي بالصلاة فصلى بالناس، فلما انفتل من صلاته، إذا هو برجل معتزل لم يصلِّ مع القوم ، فقال ﷺ : «ما منعك يا فلان أن تصلي مع القوم» ؟ فقال: يا رسول الله ، أصابتني جنابة ولا ماء. قال: « عليك بالصعيد الطيب فإنه يكفيك » .

ثم سار رسول الله ﷺ فاشتكى إليه الناس العطش ، فنزل فدعا فلانًا ـ كان يسميه أبو رجاء ونسيه عوف ـ ودعا عليا ـ عليه السلام ـ فقال : اذهبا فابغيا الماء. فذهبا فلقيا امرأة بين مزادتين ـ أو سطيحتين ـ من ماء على بعيرها فقالا لها : أين الماء؟ فقالت: عهدي بالماء أمس هذه الساعة ، ونَفَرنا خُلوف . قال : فقالا لها: فانطلقي إذًا . قالت: إلى أين؟ قالا : إلى رسول الله ﷺ . قالت : هذا الذي يقال له : الصابىء ؟ قالا : هو الذي تعنين فانطلقي . فجاءا بها إلى رسول الله ﷺ فحدّثاه الحديث ، فاستنزلوها عن بعيرها ، ودعا رسول الله ﷺ بإناء فأفرغ فيه من أفواه المزادتين أو السطيحتين ، وأوكى أفواههما وأطلق العزالي، ونودي في الناس : أن اسقوا واستقوا . فسقى من شاء واستقى من شاء ، فكان آخر ذلك أن أعطى الذي أصابته الجنابة إناء من ماء فقال : اذهب فأفرغه عليك. قال : وهي قائمة تنظر ما يفعل بمائها . قال : وأيم الله لقد أقلع عنها وإنه ليخيل إلينا أنها أشد ملئة منها حين ابتديء فيها . فقال رسول الله ﷺ : « اجمعوا لها» . فجمع لها من بين عجوة ودقيقة وسويقة حتى جمعوا لها طعامًا كثيرًا وجعلوه في ثوب وحملوه على بعيرها ووضعوا الثوب بين يديها ، فقال لها رسول الله ﷺ : «تعلمين والله ما رزأناك من مائك شيئًا ولكن الله - عز وجل - هو الذي سقانا » .

قال : فأتت أهلها وقد احتبست عنهم فقالوا : ما حبسك يا فلانة ؟ قالت : العجب، لقيني رجلان فذهبا بي إلى هذا الذي يقال له الصابيء ففعل بمائي كذا وكذا ، فوالله إنه

لأسحر من بين هذه وهذه - وقالت بأصبعها الوسطى والسبابة ، فرفعتهما إلى السماء ، تعني السماء والأرض - أو إنه لرسول الله ﷺ حقًا . قال : فكان المسلمون بعد ذلك يغيرون على ما حولها من المشركين ولا يصيبون الصِّرم الذي هي منه . فقالت يومًا لقومها : ما أدري هؤلاء القوم الذين يدعونكم عمدًا فهل لكم في الإسلام ؟ فأطاعوها فدخلوا في الإسلام . أخرجاه في « الصحيحين » (١) .

وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان بالزوراء ، فأتي بإناء فيه ماء لا يغمر أصابعه أو قدر ما يواري أصابعه فأمر أصحابه أن يتوضؤا فوضع كفه في الماء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه وأطراف أصابعه ، حتى توضأ القوم قال : فقلنا لأنس : كم كنتم؟ قال : كنا ثلاثمائة . أخرجاه في « الصحيحين » (٢) .

وعن جابر قال : عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة، فتوضأ منها ثم أقبل الناس نحوه ، فقال رسول الله ﷺ : ما لكم ؟ قالوا : يا رسول الله ليس عندنا ما نتوضأ به ولا نشرب ماءً إلا في ركوتك فوضع النبي ﷺ يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون. قال : فشربنا وتوضأنا ، فقلت لجابر: كم كنتم يومئذ ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة ، أخرجاه في «الصحيحين » (٣) .

وعن أنس بن مالك قال : أصابت الناس سنةٌ على عهد رسول الله ﷺ فبينما رسول الله ﷺ يخطب على المنبر يوم الجمعة إذ قام أعرابي فقال : يا رسول الله ﷺ هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا أن يسقينا . فرفع رسول الله ﷺ يديه وما في السماء قزعة ، فثار سحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأينا المطر يتحادر عن لحيته. قال فمطرنا يومنا ذلك ، ومن الغد ، ومن بعد الغد ، والذي يليه إلى الجمعة الأخرى ، فقام ذلك الأعرابي أو رجل غيره فقال : يا رسول الله تهدَّم البناء وغرق المال ، ادع الله لنا. فرفع رسول الله ﷺ يديه وقال : اللهم حوالينا ولا علينا قال : فما جعل يشير بيده إلى ناحية من السماء إلا انفرجت حتى صارت المدينة في مثل الجَوبة . حتى سال الوادي وادي قناة - شهرًا فلم يجيء أحد من ناحية إلا حدث بالجود ، أخرجاه في «الصحيحين»(٤) .

---

(١) رواه البخارى (٣٤٤ ، ٣٥٧١) ، ومسلم (المساجد / ٣١٢) باب : قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها ، والإمام أحمد (٤/ ٤٣٤ - ٤٣٥) ، والبيهقى فى الدلائل (٤/ ٢٧٦ - ٢٨١، ٦/ ١٣٠ - ١٣١) .

(٢) رواه البخاري (٣٥٧٢) ومسلم (الفضائل / ٦/ ٢٢٧٩) باب في معجزات النبي ﷺ .

(٣) رواه البخاري (٣٥٧٦ ، ٤١٥٢) ومسلم (الفضائل / ٤ ، ٥) بنحوه باب فى معجزات النبي ﷺ.

(٤) رواه البخارى (٩٣٢ ، ٩٣٣ ، وفي مواطن أخرى من صحيحه) ومسلم (صلاة الاستسقاء/ ٩) باب الدعاء في الاستسقاء .

(حنين الجذع إلى رسول الله ﷺ)

وعن جابر بن عبد الله قال : كان جذع يقوم عليه النبي ﷺ فلما وضع له المنبر سمعنا للجذع مثل أصوات العشار حتى نزل النبي ﷺ فوضع يده عليه، رواه البخاري[1] .

(ما حدث لصحيفة المقاطعة)

وقد روى محمد بن سعد عن أشياخ له أن قريشًا لما تكاتبت على بني هاشم حين أبوا أن يدفعوا إليهم رسول الله ﷺ ، وكانوا تكاتبوا أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم في شيء ولا يكلموهم فمكثوا ثلاث سنين في شعبهم محصورين ، ثم أطلع الله نبيه على أمر صحيفتهم ، وأن الآكلة قد أكلت ما كان فيها من جور أو ظلم ، وبقي فيها ما كان من ذكر الله . فذكر ذلك رسول الله ﷺ لأبي طالب فقال أبو طالب أحقٌ ما تخبرني به يا ابن أخي؟ قال: نعمْ والله . فذكر ذلك أبو طالب لإخوته وقال : والله ما كذبني قط ، قالوا : فما ترى ؟ قال : أرى أن تلبسوا أحسن ثيابكم وتخرجوا إلى قريش فنذكر ذلك لهم قبل أن يبلغهم الخبر ، فخرجوا حتى دخلوا المسجد ، فقال أبو طالب : إنا قد جئنا لأمر فأجيبوا فيه . قالوا : مرحبًا بكم وأهلاً . قال : إن ابن أخي قد أخبرني ولم يكذبني قط أن الله قد سلَّط على صحيفتكم التي كتبتم الأرضة فلحست كل ما كان فيها من جور أو ظلم أو قطيعة رحم ، وبقي فيها كل ما ذكر به الله ، فإن كان ابن أخي صادقًا نزعتم عن سوء رأيكم ، وإن كان كاذبًا دفعته إليكم فقتلتموه أو استحييتموه إن شئتم . قالوا : أنصفتنا ، فأرسلوا إلى الصحيفة فلما فتحوها إذا هي كما قال رسول الله ﷺ ، فسقط في أيدي القوم ثم نكسوا على رءوسهم . فقال أبو طالب : هل تبين لكم من أولى بالظلم والقطيعة . فلم يراجعه أحد منهم ، ثم انصرفوا [2] .

(ذكر طرف من إخباره بالغائبات ﷺ)

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا هَلَك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هَلَك قيصر فلا قيصر بعده ، والذي نفسي بيده لَتُنفقنَّ كنوزهما في سبيل الله » ، أخرجاه في « الصحيحين » [3] .

---

(١) رواه البخاري (٣٥٨٤) .

(٢) انظر خبر مقاطعة قريش لبني المطلب وخبر الصحيفة في :

الطبقات الكبرى (١/٢٠٨) ، دلائل النبوة لأبي نعيم (١/٣٥٧) ، والبيهقي (٢/٨٢) ، وتاريخ ابن جرير الطبري (٢/٣٣٦) ، والسير والمغازي لابن إسحاق (١٥٦) ولعروة (١١٤) ، وأنساب الأشراف (١/٢٢٩) ، وسيرة ابن هشام (٢/٥) ، والبداية والنهاية (٣/٩٦) ، وسيرة ابن كثير (٢/٤٤) ، والسيرة الحلبية (١/٣٦٦) ، وعيون الأثر (١/١٢٦) ، والكامل في التاريخ (٢/٨٧) ، وعيون التواريخ (١/٧٨) ، ونهاية الأرب (١٦/٢٥٨) ، وتاريخ الخميس (١/٢٩٧) .

(٣) رواه البخاري (٣١٢٠ ، ٣٦١٨ ، ٦٦٣٠) ومسلم (الفتن وأشراط الساعة / ٧٦).

وعنه قال شهدنا مع رسول الله ﷺ خيبر فقال لرجل ممن يدَّعي الإسلام : « هذا من أهل النار » . فلما حضرنا القتال قاتل الرجل قتالاً شديدًا فأصابته جراحة، فقيل : يا رسول الله ، الرجل الذي قلت من أهل النار قاتل قتالاً شديدًا وقد مات . فقال رسول الله ﷺ : « إلى النار » - وكاد بعض القوم يرتاب - فبينما هم على ذلك إذ قيل إنه لم يمت ولكن به جراح شديدة ، فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه ، فأخبر النبي ﷺ بذلك فقال : « الله أكبر أشهد أني عبد الله ورسوله » . ثم أمر بلالاً فنادى في الناس أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، وأن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر. أخرجاه في « الصحيحين » [1] .

وعن عبد الله بن مسعود قال : انطلق سعد بن معاذ معتمرًا فنزل على أمية بن خلف ، وكان أمية إذا انطلق إلى الشام فمرَّ بالمدينة نزل على سعد . فقال أمية لسعد انتظر حتى إذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت فطفت ، فبينا سعد يطوف إذا أبو جهل قال : من يطوف بالكعبة ؟ فقال : أنا سعد . فقال أبو جهل: تطوف بالكعبة آمنًا وقد آويتم محمدًا وأصحابه ؟ قال : نعم . فتلاحيا بينهما ، فقال أمية لسعد : لا ترفع صوتك على أبي الحكم فإنه سيد أهل الوادي . ثم قال سعد : والله لئن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعنك متجرك بالشام . قال : فجعل أمية يقول لسعد : لا ترفع صوتك . وجعل يمسكه فغضب سعد فقال : دعنا عنك فإني سمعت محمدًا ﷺ يزعم أنه قاتلك . قال : إياى ؟ قال : نعم، قال : والله ما نكذب محمدًا إذا حدَّث .

فرجع إلى امرأته فقال : أما تعلمين ما قال لي أخي اليثربي ؟ قالت : وما قال لك ؟ قال : زعم أن محمدًا يزعم أنه قاتلي ، قالت : فوالله ما يكذب محمد .

قال : فلما خرجوا إلى بدر وجاء الصريخ قالت له امرأته : أما ذكرت ما قال لك أخوك اليثربي ؟ قال : فأراد أن لا يخرج . فقال له أبو جهل : إنك من أشراف الوادي فسرْ معنا يومًا أو يومين فسار معهم فقتله الله [2] .

وعن أنس قال : كنا مع عمر بين مكة والمدينة فتراءينا الهلال ، وكنت حديد البصر فرأيته ، فجعلت أقول لعمر : أما تراه ؟ فقال : سأراه وأنا مستلق على فراشي . ثم أخذ يحدثنا عن أهل بدر ، قال : إن كان رسول الله ﷺ ليرينا مصارعهم بالأمس ، يقول هذا مصرع فلان غدًا إن شاء الله ، وهذا مصرع فلان غدًا إن شاء الله . قال : فجعلوا

---

(١) رواه البخارى (٣٠٦٢ وفى مواطن أخرى) ومسلم (الإيمان /١٧٨) باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وإن من قتل نفسه بشيء عذب به فى النار وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة .

(٢) رواه البخاري (٣٦٣٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

يصرعون عليها . قال : قلت والذي بعثك بالحق ما أخطأت رؤيتك ، كانوا يصرعون عليها ، ثم أمر بهم فطرحوا في بئر فانطلق إليهم فقال : يا فلان ، يا فلان ، هل وجدتم ما وعدكم الله حقًا فإني وجدت ما وعدني الله حقا ؟ فقال عمر : يا رسول الله أتكلم قومًا قد جيَّفوا فقال : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا ، انفرد بإخراجه مسلم[1] .

(ذكر طرف مما لاقى رسول الله ﷺ من أذى المشركين وهو صابر)

كان أبو طالب يدافع عن رسول الله ﷺ فلما أتت لرسول الله ﷺ تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يومًا مات عمه أبو طالب للنصف من شوال في السنة العاشرة من المبعث ، وهو ابن بضع وثمانين سنة ، وتوفيت بعده خديجة بشهر وخمسة أيام ، ويقال بثلاثة أيام فحسب ، وهي ابنة خمس وستين سنة ، وكانت قريش تكفُّ بعض أذاها عن رسول الله ﷺ حتى مات أبو طالب، فلما مات بالغوا في أذاه ، فلما ماتت خديجة أقام بعدها ثلاثة أشهر ، ثم خرج هو وزيد بن حارثة إلى الطائف فأقام بها شهرًا ثم رجع إلى مكة في جوار المطعم بن عدى وما زال يلقى الشدائد .

وعن عبد الله ، قال : ما رأيت رسول الله ﷺ دعا على قريش غير يوم واحد، فإنه كان يصلي ورهط من قريش جلوس وسلى جزور قريب منه ، فقالوا : من يأخذ هذا السّلى فيلقيه على ظهره ؟ قال : فقال عقبة بن أبي معيط : أنا . فأخذه فألقاه على ظهره. فلم يزل ساجدًا حتى جاءت فاطمة - صلوات الله عليها - فأخذته عن ظهره ، فقال رسول الله ﷺ: « اللهم عليك الملأ من قريش ، اللهم عليك بعتبة بن ربيعة ، اللهم عليك بشيبة بن ربيعة ، اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، اللهم عليك بعقبة بن أبي مُعيط ، اللهم عليك بأبيٍّ بن خلف - أو أمية بن خلف » .

قال عبد الله : فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر جميعًا ثم سحبوا إلى القليب غير أُبيٍّ - أو أمية - فإنه كان رجلاً ضخمًا فتقطع ، أخرجاه في « الصحيحين » [2] .

وعن عروة ، إن عائشة زوج النبي ﷺ حدثته أنها قالت للنبي ﷺ : هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد ؟ قال ﷺ : « لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال فلم يجبني

---

(١) رواه مسلم (الجهاد والسير / ٨٣) باب غزوة بدر .

(٢) رواه البخاري (٣١٨٥ ، ٣٨٥٤) ومسلم (الجهاد والسير / ١٠٧ ، ١٠٨) باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين .

إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال : إنَّ الله قد سمع قول قومك لك وما ردُّوا عليك ، وقد بعث إليك ملَك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال فسلم عليَّ ثم قال : يا محمد لك ما شئت ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين . فقال النبي ﷺ : بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا » ، أخرجاه في « الصحيحين » [1] .

وعنه قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص : أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله ﷺ . قال : بينا النبى بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه فخنقه به خنقًا شديدًا فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله ﷺ وقال : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟[2] .

فصل : فى قدوم وفد جن نصيبين

فلما أتت لرسول الله ﷺ خمسون سنة وثلاثة أشهر قدم عليه جنُّ نصيبين فأسلموا .

• ذكر معراجه ﷺ :

فلما أتت له إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر أُسري به [3] .

عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة [رضى الله عنهما - أن نبى الله] ﷺ حدثه عن ليلة أُسرى به، قال :

بينما أنا في الحطيم - وربُما قال في الحجر - مضطجعاً ، إذ أتاني آتٍ فجعل يقول لصاحبه: الأوسط بين الثلاثة . قال : فأتاني وقعد .

قال : وسمعت قتادة يقول : فشق ما بين هذه إلى هذه . قال قتادة : فقلت للجارود،وهو إلى جنبي ما يعني به ؟ قال : من ثغرة نحره إلى شعرته وسمعته يقول من قصِّه إلى شعرته . قال فاستخرج قلبي ، قال فأتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانًا [وحكمة] فغسل قلبي ثم حشى ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض ،

(١) رواه البخاري (٣٢٣١) ومسلم (الجهاد والسير /١١١) باب ما لقي النبى ﷺ من أذى المشركين والمنافقين .

(٢) رواه البخارى (٣٨٥٦) باب : ما لقى النبى ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة .

(٣) قصة جن نصيبين ثابتة فى أحاديث صحيحة كثيرة ، وانظر صحيح البخارى (٤٩٢١) ومسلم (٤٩٩) ، (٤٥٠) .

قال [له] : فقال الجارود : أهو البراق يا أبا حمزة ؟ قال أنس : نعم . يقع خطوه عند أقصى بصره .

قال : فحملت عليه فانطلق بي جبريل ﷺ حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحبًا به فنعم المجيء جاء ، ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم فقال : هذا أبوك آدم فسلِّم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحبًا بالابن الصالح والنبي الصالح .

ثم صَعدَ حتى أتى بي السماء الثانية فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل: ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل: مرحبًا به فنعم المجيء جاء قال : ففتح ، فلما خلصت إذا يحيى وعيسى - وهما ابنا خالة - قال : هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما ، قال : فسلمت ، فردّا السلام ، ثم قالا : مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد بي حتى أتى السماء الثالثة فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل: مرحبًا به ونعم المجيء جاء . قال : ففتح ، فلما خلصت إذا يوسف ، قال: هذا يوسف فسلم عليه، قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل: مرحبًا به ونعم المجيء جاء ، قال : ففتح ، فلما خلصت إذا إدريس قال : هذا إدريس فسلم عليه، قال : فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح .

قال : ثم صعد حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال جبريل ، قيل: ومن معك ؟ قال محمد ، قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحبًا به ونعم المجيء جاء ، قال : ففتح ، فلما خلصت قال : فإذا أنا بهارون قال : هذا هارون فسلم عليه قال : فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح .

قال : ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل: مرحبًا به ونعم المجيء جاء . ففتح فلما خلصت . قال : فإذا أنا بموسى ، قال: هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحبًا بالأخ الصالح والنبي

الصالح . قال : فلما تجاوزت بكى فقيل : وما يبكيك ؟ قال أبكي لأن غلامًا بعث بعدى، يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي .

قال : ثم صعد حتى أتى السماء السابعة فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل. قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبًا به ونعم المجيء جاء . قال : ففتح ، فلما خلصت فإذا إبراهيم قال : هذا إبراهيم فسلم عليه . قال : فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحبًا بالابن الصالح والنبي الصالح .

قال : ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر ، وإذا أوراقها مثل آذان الفيلة . قال : هذه سدرة المنتهى . قال : فإذا أربعة أنهار ، نهران باطنان ونهران ظاهران. قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات . قال : ثم رفع إلى البيت المعمور .

قال قتادة : وحدثنا الحسن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه أُري البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون فيه .

ثم رجع إلى حديث أنس ، قال : ثم أُتيت بإناء من خمر ، وإناء من لبن ، وإناء من عسل ، قال : فأخذت اللبن . قال : هذه الفطرة أنت عليها وأمتك . قال : ثم فرضت على الصلاة خمسين صلاة كل يوم . قال: فرجعت فمررت على موسى فقال: بم أمرت ؟ قلت: أمرت بخمسين صلاة كل يوم . قال: إن أمَّتك لا تستطيع خمسين صلاة، وإنى قد خبرت الناس (١) قبلك وعالجت (٢) بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك – عز وجل – وسله التخفيف لأمتك . قال: فرجعت فوضع عني عشرًا، فرجعت إلى موسى فقال: بم أمرت؟ قلت: بأربعين صلاة كل يوم، قال : إن أمتك لا تستطيع أربعين صلاة كل يوم وإنى قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. قال: فرجعت فوضع عني عشرًا أخر، فرجعت إلى موسى فقال: بم أمرت ؟ قلت: أمرت بثلاثين صلاة كل يوم . قال: إن أمتك لا تستطيع ثلاثين صلاة كل يوم وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. قال: فرجعت فوضع عني عشرًا أخر فرجعت إلى موسى فقال : بم أمرت؟ قلت : أمرت بعشرين صلاة كـــل يوم . قال: إن أمتك لا تستطيع عشرين صلاة كل يوم فإني قـــد خـبرت الناس قبلك

---

(١) خبرت الناس : امتحنتهم .

(٢) عالج الشيء معالجة وعلاجاً : زاوله ومارسه .

وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك - عز وجل - فاسأله التخفيف لأمتك. قال : فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم . فرجعت إلى موسى فقال : بم أمرت ؟ قلت بعشر صلوات كل يوم قال : إن أمتك لا تستطيع عشر صلوات كل يوم وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك - عز وجل - فاسأله التخفيف لأمتك . قال : فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم . قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وإني خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك . قال قلت : قد سألت ربي حتى استحييت ولكني أرضى وأسلم . فلما نفذت ناداني منادٍ قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي » ، أخرجاه في « الصحيحين » [1] .

عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « رأيت ربي تبارك وتعالى » رواه الإمام أحمد .

(ذكر أمر رسول الله ﷺ أصحابه بالهجرة إلى أرض الحبشة) [2]

لما أظهر رسول الله ﷺ الإسلام أظهر له المشركون العداوة فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأمر أصحابه بالخروج إلى أرض الحبشة وقال لهم : إنَّ بها ملكًا لا يظلم الناس ببلاده فتحرزوا عنده حتى يأتيكم الله بفرج منه . فهاجر جماعة واستخفى آخرون بإسلامهم . وكان جملة من خرج إلى أرض الحبشة ثلاثة وثمانين رجلاً وإحدى عشرة امرأة قرشية وسبع غرائب .

فلما سمعوا بمهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة رجع منهم ثلاثة وثلاثون رجلاً وثماني نسوة . فمات منهم رجلان بمكة ، وحبس منهم سبعة، وشهد منهم بدرًا أربعة وعشرون.

فلما كانت سنة سبع من الهجرة كتب رسول الله ﷺ إلى النجاشي [3] يدعوه إلى

---

(١) رواه البخاري (٣٨٨٧) ، ومسلم (الإيمان / ٢٦٤) باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات .

(٢) انظر في شأن الهجرة إلى الحبشة : الطبقات الكبرى (١/٢٠٣) ، والكامل في التاريخ (٢/٧٦)، وأنساب الأشراف (١/١٩٨) ، وتاريخ الطبري (٢/٣٣٥) ، والسيرة النبوية لابن كثير (٢/٣) ، والفصول له : هجرة الحبشة ، والبداية والنهاية له (٣/٦٦) ، وسيرة ابن هشام (١/٣٤٩ - ومابعدها)، ونهاية الأرب (١٦/٢٣٢) ، وجوامع السيرة (٥٥) ، وفتح الباري (كتاب مناقب الأنصار، باب ٣٧ : هجرة الحبشة) ، وزاد المعاد (٣/٢٣ - ومابعدها) ، والرحيق المختوم (ص ١٠٥ - وما بعدها) .

(٣) النجاشي : لقب لكل من ملك الحبشة ، وانظر في الخلاف هل النجاشي الذي هاجر إليه المهاجرون الأوائل هو الذي أرسل إليه النبي ﷺ كتاباً يدعوه إلى الإسلام (الفصول لابن كثير ، الجزء الأول : فصل هجرة الحبشة ، والجزء الثاني : رسله ﷺ إلى الملوك) .

لإسلام فأسلم وكتب إليه أن يزوجه بأم حبيبة ، وأن يبعث إليه من بقي من أصحابه ففعل فقدموا المدينة فوجدوا رسول الله ﷺ قد فتح خيبر .

(ذكر مقدار إقامة رسول الله ﷺ بمكة بعد النبوة)

اختلفوا في ذلك : فروى ربيعة عن أنس ، وأبو سلمة عن ابن عباس : أنه أقام عشر سنين - وهو قول عائشة ، وسعيد بن المسيِّب . وروي عن ابن عباس : أنه أقام خمس عشرة سنة .

عن ابن عباس قال : أقام النبي ﷺ بمكة خمس عشرة ، سبع سنين يرى الضوء ويسمع الصوت ، وثماني توحى إليه .

والصحيح ما أخرجه البخاري ومسلم في « الصحيحين » من حديث ابن عباس : أن النبي ﷺ أقام بمكة ثلاث عشرة سنة [1] . ويحمل قول من قال عشر : سنين على مدة إظهار النبوة ؛ فإنه لما بعث استخفى ثلاث سنين ، ويحمل قول من قال : خمس عشرة سنة على مبدأ ما كان يرى قبل النبوة من أعلامها ﷺ .

(ذكر عرض رسول الله ﷺ نفسه بالموقف على الناس لينصروه)

عن جابر بن عبد الله قال : كان النبي ﷺ يعرض نفسه بالموقف ويقول : « ألا رجل يحملني إلى قومه فإن قريشًا منعوني أن أبلغ كلام ربي » ، رواه الترمذى [2] وعنه قال : مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين يتتبع الناس في منازلهم بعكاظ ومجنة وفي المواسم بمنى ، يقول : من يؤويني ؟ من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة ؟ حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو من مصر - كذا قال - فيأتيه قومه فيقولون : احذر غلام قريش لا يفتنك ، ويمشي بين رحالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع ، حتى بعثنا الله له من يثرب فآويناه ونصرناه وصدقناه ، فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه ، حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام . ثم ائتمروا جميعًا ، فقلنا : حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطرد فى جبال مكة ويخاف ؟ فرحل إليه منا سبعون رجلاً حتى قدموا عليه في المواسم فواعدناه شعب العقبة [3] ، واجتمعنا عندهم من رجل ورجلين حتى توافقنا فقلنا : يا رسول الله علام نبايعك، قال : « بايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، والنفقة في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن تقولوا في الله ، ولا تخافوا في

---

(١) رواه البخاري (٣٩٠٢) .

(٢) رواه الترمذى (٢٩٢٥) ، وأبو داود (٤٧٣٤) ، وابن ماجة (٢٠١) .

(٣) العقبة : مكان بين منى ومكة ومنها ترمى جمرة العقبة .

الله لومة لائم ، وعلى أن تنصروني وتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة » .

قال : فقمنا إليه فبايعناه وأخذ بيده أسعد بن زُرارة - وهو من أصغرهم - وقال : رويدًا يا أهل يثرب ، فإنا لم نضرب أكباد الإبل إلا ونحن نعلم إنه رسول الله ، وإن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة وقتل خياركم وأن تعضكم السيوف ، فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك وأجركم على الله ،وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم جبينة فبينوا ذلك فهو أعذر لكم عند الله . قالوا: أمط عنا يا أسعد فوالله ما ندع هذه البيعة أبدًا ولا نسلبها أبدًا . قال : فقمنا إليه فبايعناه فأخذ علينا وشرط . ويعطينا على ذلك الجنة [1] .

(ذكر بيعة العقبة [2])

قال ابن إسحاق : لما أراد الله تعالى إظهار دينه وإعزاز نبيه وإنجاز موعده خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقيه في النفر من الأنصار فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم ، فبينما هو عند العقبة لقي رهطًا من الخزرج فذكروا أنه قال لهم : ممن أنتم ؟ قالوا له : من الخزرج . قال : أفلا تجلسون أكلمكم ؟ قالوا : بلى فجلسوا معه فدعاهم إلى الله تعالى وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن ، وقد كانوا يسمعون من اليهود أن نبيًا مبعوثًا قد أظل زمانه ، فقال بعضهم لبعض : والله يا قوم إن هذا النبي الذي تعدكم به اليهود فلا يسبقنكم إليه فأجابوه وهم فيما يزعمون ستة: أسعد بن زُرارة ، وعوف بن مالك وهو ابن عفراء ، ورافع بن مالك بن العجلان ، وقطبة بن عامر بن حديدة ، وعقبة بن عامر بن نابى ، وجابر بن عبد الله بن رئاب .

فلما انصرفوا إلى بلادهم وقد آمنوا ذكروا لقومهم رسول الله ﷺ ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم ، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ حتى إذا كان العام المقبل أتى الموسم اثنا عشر رجلاً من الأنصار فلقوا رسول الله ﷺ بالعقبة وهي العقبة الأولى ، فبايعوه بيعة النساء قبل أن تفترض الحرب ، وفيهم عبادة بن الصامت، قال عبادة : بايعنا رسول الله ﷺ ليلة العقبة الأولى على أن لا نشرك بالله شيئًا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٣٢٢) ، والحاكم (٢/ ٦٢٤) وقال : صحيح الإسناد .

(٢) انظر : صحيح البخارى (٣٨٩٣) ، وصحيح مسلم (١٧٠٩) ، والطبقات الكبرى (١/ ٢١٩) ، وتاريخ الطبرى (٢/ ٣٥٥) ، ومسند أحمد (٥/ ٣٢١ - ٣٢٣) ، والسيرة النبوية لابن كثير (٢/ ١٧٨) ، ولابن هشام (٢/ ٧٩) ، والكامل فى التاريخ (٢/ ٩٥) ، وزاد المعاد (٣/ ٤٥) ، وعيون الأثر (١/ ١٥٥)، والروض الأنف (٢/ ١٩٥) ، والرحيق المختوم (١٦١ - وما بعدها) ، وفقه السيرة للبوطى (١٢٣ - وما بعدها) .

فلما انصرف القوم عن رسول الله ﷺ بعث معهم مصعب بن عمير إلى المدينة يفقه أهلها ويقرئهم القرآن ، فنزل على أسعد بن زرارة ، فكان يسمى بالمدينة « المقريء » فلم يزل يدعو الناس إلى الإسلام حتى شاع الإسلام ، ثم رجع مصعب إلى مكة قبل بيعة العقبة الثانية .

قال كعب بن مالك : خرجنا في الحجة التي بايعنا فيها رسول الله ﷺ بالعقبة مع مشركي قومنا ، فواعدنا رسول الله ﷺ العقبة أواسط أيام التشريق ، ونحن سبعون رجلاً ، ومعهم امرأتان فلما كانت الليلة التي واعدنا فيها رسول الله ﷺ نمنا أول الليل مع قومنا فلما استثقل الناس من النوم تسللنا من فراشنا تسلل القطا حتى اجتمعنا بالعقبة فأتانا رسول الله ﷺ ومعه عمه العباس ليس معه غيره ، فقال العباس : يا معشر الخزرج . إن محمدًا منا حيث قد علمتم ، وهو في منعة من قومه وبلاده وقد أبى إلا الانقطاع إليكم فإن كنتم تخشون من أنفسكم خذلانًا فاتركوه في قومه فإنه في منعة من عشيرته وقومه . فقلنا : قد سمعنا ما قلت ، تكلم يا رسول الله فتكلم رسول الله ﷺ ودعا إلى الله ورغب إلى الإسلام وتلا القرآن فأجبناه بالإيمان به والتصديق له وقلنا له : يا رسول الله خذ لربك ولنفسك، قال ﷺ : « إني أبايعكم على أن تمنعوني مما منعتم منه أبناءكم ونساءكم » . فأجابه البراء بن معرور ، فقال : نعم والذي بعثك بالحق مما نمنع منه أزرنا، فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابرًا عن كابر.

فعرض في الحديث أبو الهيثم بن التَّيِّهان، فقال: يا رسول الله إن بيننا وبين أقوام جبالاً وإنا قاطعوها ، فهل عسيت إن أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ فقال رسول الله ﷺ: «بل الدم الدم والهدم الهَدم أنا منكم وأنتم مني، أسالم من سالمتم وأحارب من حاربتم». فقال له البراء بن معرور: ابسط يدك يا رسول الله نبايعك. فقال رسول الله ﷺ أخرجوا إليَّ منكم اثني عشر نقيبًا فأخرجوهم وهم: أسعد بن زرارة، وعبد الله ابن عمرو بن حزام، وسعد بن عبادة، والمنذر بن عمرو، ورافع بن مالك بن العجلان، وعبد الله بن رواحة، وسعد بن الربيع، وعبادة بن الصامت، وأسيد بن حضير. وأبو الهيثم بن التيهان. وسعد بن خيثمة .

فأخذ البراء بن معرور بيد رسول الله ﷺ فضرب عليها فكان أول من بايع وتتابع الناس فبايعوا .

قال ابن إسحاق : فلما أيقنت قريش أن رسول الله ﷺ قد بويع وأمر أصحابه أن يلحقوا بالمدينة ، تآمروا بينهم فقالوا : والله لكأنه قد كرَّ عليكم بالرجال فأثبتوه أو اقتلوه أو اخرجوه ، فاجتمعوا على قتله ، وأتاه جبريل وأمره أن لا يبيت في مكانه الذي يبيت فيه ، فبات في غيره ، فلما أصبح أذن له في الخروج إلى المدينة .

وعن ابن عباس في قوله : ﴿ **وإذ يمكُرُ بك الذين كفروا ليثبتوك** ﴾ (١) قال تشاورت قريش ليلة بمكة فقال بعضهم : إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق ، يريدون النبي ﷺ وقال بعضهم بل اقتلوه ، وقال بعضهم بل أخرجوه ، فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك فبات علي – عليه السلام – على فراش النبي ﷺ تلك الليلة ، وخرج النبي ﷺ حتى لحق بالغار ، وبات المشركون يحرسون عليا يحسبونه النبي ﷺ فلما أصبحوا ثاروا إليه فلما رأوا عليا ردَّ الله مكرهم فقالوا : أين صاحبك؟ قال : لا أدري ، فاقتصوا أثره .

(ذكر هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة)

كانت بيعة العقبة في أوسط أيام التشريق وقدم رسول الله ﷺ المدينة لاثنتي ليلة خلت من ربيع الأول .

قال يزيد بن أبي حبيب (٢) : خرج رسول الله ﷺ من مكة في صفر وقدم المدينة في ربيع الأول . قال ابن إسحاق : دخلها حين ارتفع الضحى وكادت الشمس تعتدل .

عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت : لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين ، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشية، فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجرًا نحو أرض الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد ، لقيه ابن الدَّغنة هو سيد القارة فقال : أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال أبو بكر : أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض فأعبد ربي . قال ابن الدَّغنة : فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرُجُ ولا يُخرجُ ، أنت تُكسبُ المعدوم ، وتصل الرحم، وتحمل الكلَّ ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق فأنا لك جار ارجع واعبد ربك ببلدك فرجع وارتحل معه ابن الدَّغنة فطاف ابن الدَّغنة عشية في أشراف قريش فقال لهم : إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج ، أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكلَّ ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق فلم تكذِّب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا لابن الدغنة : مر أبا بكر فليعبد ربه في داره فليصلِّ فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلنُ به فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا . فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر ، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره .

ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجدًا بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فينقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يعجبون منه وينظرون إليه . وكان أبو بكر رجلاً بكاء لا

---

(١) سورة الأنفال آية : ٣٠ .

(٢) هو أبو رجاء يزيد بن أبى حبيب الأزدى فقيه مصر وشيخها لقى عبد الله بن الحارث بن جزء وطائفة من كبار العلماء ، توفى سنة (١٢٨ هـ) .

يملك عينيه إذا قرأ القرآن . فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا : إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدًا بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه وإنا [قد] خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا ، فانهه فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل . وإن أبى إلا أن يعلن ذلك فسله أن يرد إليك ذمتك ، فإنا قد كرهنا أن نخفرك ولسنا مقرِّين لأبي بكر الاستعلان .

قالت عائشة : فأتى ابن الدَّغنة إلى أبي بكر فقال : قد علمت الذي عاقدتُ لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترجع إليَّ ذمتي فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدت له ، فقال أبو بكر : فإني أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله – عز وجل – والنبي ﷺ يومئذ بمكة فقال النبي ﷺ للمسلمين : « إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين » ـ وهما الحرتان ـ فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة وتجهز أبو بكر قبل المدينة فقال له رسول الله ﷺ : على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي. فقال أبو بكر : وهل ترجو ذلك بأبي أنت ؟ قال نعم. فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه ، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السَّمر – وهو الخبط[1] أربعة أشهر .

قال ابن شهاب ، قال عروة ، قالت عائشة : فبينما نحن جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر : هذا رسول الله متقنعًا في ساعة لم يكن يأتينا فيها ، فقال أبو بكر : فِدًى له أبي وأمي ، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر . قالت : فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له فدخل فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر : « أخرج مَن عندك» . فقال أبو بكر : إنما هم أهلك بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال : « فإني قد أُذن لي في الخروج » . فقال أبو بكر : الصحبة ، بأبي أنت يا رسول الله . قال رسول الله : نعم . قال أبو بكر : فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين ، قال رسول الله ﷺ : « بالثمن » .

قالت عائشة : فجهزناهما أحث الجهاز ، وصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت أسماء ابنة أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين قالت ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شابٌ ثقف لقف ، فيدلج من عندهما بسحر

---

(١) الخبط : ما سقط من ورق الشجر بالخبط والنفض .

فيصبح مع قريش كبائت ، فلا يسمع أمرًا يُكادان به إلا وعاه ، حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة - مولى لأبي بكر - منحة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل ، وهو لبن منحتهما ورضيفهما حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الدِّيل وهو من بني عبد بن عدي هاديًا خرّيتًا - والخريت : الماهر بالهداية - قد غمس حلفًا في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش فأمناه ، فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صُبحَ ثلاث . فانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم على طريق السواحل .

قال ابن شهاب : واخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي - وهو ابن أخي سراقة بن جعشم - أن أباه أخبره أنه سمع سراقة بن جعشم يقول : جاءنا رسول كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال : يا سراقة إني قد رأيت آنفًا أسودة بالساحل أراها محمدًا وأصحابه قال سراقة : فعرفت أنهم هم ، فقلت إنهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلانًا وفلانًا انطلقوا بأعيننا يبغون ضالة لهم ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي من وراء أكمة فتحبسها عليَّ وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه [1] الأرض وخفضت عاليهُ حتى أتيت فرسي فركبتها فرفعتها تقرِّب بي حتى دنوت منهم فعثرت بي فرسي فخررت عنها فقمت فأهويت يدى إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها أضرُّهم أم لا فخرج الذى أكره فركبت فرسي ، وعصيت الأزلام، تقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها . فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان ، فاستقسمت بالأزلام فخرج الذى أكره فناديتهم بالأمان فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ فقلت له : إن قومك قد جعلوا فيك الدية وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع ، فلم يرزآني ، ولم يسألاني ، إلا أن قال

(١) الزُّجُّ : الحديدة فى أسفل الرمح .

ﷺ : « أخف عنا » . فسألته أن يكتب لي كتاب أمن ، فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أديم ثم مضى رسول الله ﷺ .

قال ابن شهاب : فأخبرني عروة بن الزبير [١] أن رسول الله ﷺ لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارًا قافلين من الشام فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياب بياض وسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله ﷺ من مكة فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرَّة[٢]، فينتظرونه حتى يردهم حرُّ الظهيرة فانقلبوا يومًا بعدما أطالوا انتظارهم فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من [يهود] على أطم [٣] من آطامهم لأمر ينظر إليه ، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب ، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته : يا معشر العرب هذا جَدُّكم [٤] الذي تنتظرونه . فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرَّة ، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف ، وذلك يوم الإثنين من شهر ربيع الأول فقام أبو بكر للناس ، وجلس رسول الله ﷺ صامتًا ، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يحيى أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ ، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه ، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة وأسس المسجد الذي أسس على التقوى ، وصلى فيه رسول الله ﷺ ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان مربدًا [٥] للتمر لسهل وسهيل - غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة - فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته : هذا إن شاء الله المنزل . ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدًا فقالا بل نهبه لك يا رسول الله فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ، ثم بناه مسجدًا وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللَّبِن فى ثيابه ويقول:

هذا الحمالُ لا حِمالَ خيبر ... هـذا أبـرُّ ربَّنـا وأطهــر

ويقول :

اللهم إنَّ الأجر أجرُ الآخرة ... فاغفـر للأنصار والمهاجـرة

---

(١) هو أبو محمد عروة بن الزبير بن العوام الأسدى ، أحد فقهاء المدينة السبعة ، حفظ عن والده، وكان من الزهاد العباد واشتهر عنه أنه قطعت رجله وهو فى الصلاة - للعلاج من أكلة وقعت فيها - فلم يتحرك لانشغاله بالصلاة ، توفى سنة (٩٤ هـ) . انظر : شذرات الذهب (١٠٣/١) .

(٢) الحرة : أرض خارج المدينة ذات حجارة سوداء . (٣) الأُطُمُ : الحصن ، الجمع : آطام .

(٤) يعنى : حظكم . (٥) المربد : الموضع الذى يجفف فيه التمر .

فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لي .

قال ابن شهاب : ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله ﷺ تمثل ببيت شعرٍ تام غير هذه الأبيات ، انفرد بإخراجه البخاري (١) .

وعن البراء بن عازب قال: اشترى أبو بكر من عازب سرجًا بثلاثة عشر درهمًا قال: فقال أبو بكر: مر البراء فليحمله إلى منزلي فقال: لا ، حتى تحدثنا كيف صنعت حين خرج رسول الله ﷺ وأنت معه . قال: فقال أبو بكر: خرجنا فأدلجنا فاحتثثنا يومنا وليلنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة فضربت ببصري هل نرى ظلاً نأوي إليه فإذا أنا بصخرة فأويت إليها ؛ فإذا بقية ظلها فسويته لرسول الله ﷺ وفرشت له فروة وقلت: اضجع يا رسول الله ﷺ ، فاضجع ثم خرجت أنظر هل أرى أحدًا من الطلب فإذا أنا براعي غنم فقلت: لمن أنت يا غلام ؟ فقال لرجل من قريش ، فسماه فعرفته فقلت: هل في غنمك من لبن ؟ قال نعم . قال قلت: هل أنت حالب لي ؟ قال: نعم ، فأمرته فاعتقل شاة منها ثم أمرته فنفض ضرعها من الغبار ، ثم أمرته فنفض كفيه من الغبار ومعي إداوة على فمها خرقة ، فحلب لي كثبة (٢) من اللبن فصببت على القدح حتى برد أسفله ، ثم أتيت رسول الله ﷺ فوافيته وقد استيقظ فقلت: اشرب يا رسول الله فشرب حتى رضيت ، ثم قلت: هل آن الرحيل ؟ فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركنا أحد منهم إلا سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له فقلت: يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا فقال: « لا تحزن إن الله معنا » حتى إذا دنا منا وكان بيننا وبينه قيد رمح أو رمحين أو ثلاثة قلت: يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا وبكيت فقال: « لماذا تبكي؟» قال قلت: أما والله ما على نفسي أبكي ولكني أبكي عليك ، قال: فدعا عليه رسول الله ﷺ فقال: « اللهم اكفناه بما شئت » فساخت قوائم فرسه إلى بطنها في أرض صلد ووثب عنها وقال: يا محمد قد علمت أن هذا عملك فادع الله - عز وجل - أن ينجيني مما أنا فيه ، فوالله لأعمين على من ورائي من الطلب ، وهذه كنانتي فخذ منها سهمًا فإنك ستمر بإبلي وغنمي في موضع كذا وكذا فخذ منها حاجتك فقال رسول الله ﷺ: «لا حاجة لي فيها » . قال: ودعا له رسول الله ﷺ فأطلق ورجع إلى أصحابه . ومضى رسول الله ﷺ وأنا معه حتى قدمنا المدينة فتلقاه الناس فخرجوا في الطرق وعلى الأناجير(٣) ، واشتد الخدم والصبيان في الطريق: الله أكبر جاء رسول الله ﷺ جاء محمد ، قال: وتنازع القوم أيهم ينزل عليه، قال: فقال رسول الله ﷺ « أنزل الليلة على بني النجار أخوال عبد المطلب لأكرمهم بذلك » فلما أصبح غدا حيث أمر (٤) .

(١) رواه البخاري (٣٩٠٥) مطولاً .

(٢) الكُثبة: كل قليل مجتمع من طعام أو لبن أو غير ذلك .

(٣) الأناجير: الأسطح .

(٤) رواه البخاري (٣٦١٥ ، ٣٦٥٢) ، ومسلم (الزهد والرقائق / ٢٠٠٩) باب : حديث الهجرة .

قال البراء بن عازب : أول من قدم علينا ابن أم مكتوم الأعمى أخو بني فهر، ثم قدم علينا عمر بن الخطاب في عشرين راكبًا ، فقلنا : ما فعل رسول الله ﷺ؟ قال : هو على أثري . ثم قدم رسول الله ومعه أبو بكر قال البراء : ولم يقدم رسول الله ﷺ حتى قرأت سورًا من المفصل - أخرجاه في « الصحيحين » [1] .

وعن أنس أن أبا بكر حدثه قال : قلت لرسول الله ﷺ ونحن في الغار : لو أن أحدهم نظر إلى تحت قدميه لأبصرنا . فقال : يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ أخرجاه في « الصحيحين » [2] .

.(حديث أم معبد)

عن أبي معبد الخزاعي : أن رسول الله ﷺ لما هاجر من مكة إلى المدينة هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ودليلهم عبد الله بن أُرَيْقط الليثي فمروا بخيمتي أم معبد الخزاعية ، وكانت امرأة جلدة برزة تحتبي وتقعد بفناء الخيمة تسقي وتطعم ، فسألوها تمرًا ولحمًا يشترون ، فلم يصيبوا عندها شيئًا من ذلك فإذا القوم مرملون مسنتون فقالت : والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى [3] . فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كسر الخيمة فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد قالت : هذه شاة خلَّفها الجهد عن الغنم فقال : هل بها من لبن ؟ قالت : هي أجهد من ذلك . قال : أتأذنين لي أن أحلبها ؟ قالت : نعم بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حلبًا . فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسح ضرعها وذكر اسم الله وقال: اللهم بارك لها في شاتها . قال : فتفاجت ودرت واجترت فدعا بإناء لها يُربض الرهط فحلب فيه ثجًا حتى غلبه الثمال فسقاها فشربت حتى رويت وسقى أصحابه حتى رووا وشرب رسول الله ﷺ آخرهم وقال : « ساقي القوم آخرهم شربًا » فشربوا جميعًا عللاً بعد نهل حتى آراضوا ثم حلب فيه ثانيًا عودًا على بدء فغادره عندها حتى ارتحلوا عنها فقلما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد [4] يسوق أعنزا حيلاً عجافًا هزلى ما تساوق مخُّهن قليل لا نقى بهن ، فلما رأى اللبن عجب فقال : من أين لك هذا والشاة عازبة ولا حلوبة في البيت ؟ قالت : لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كَيْت كيت. قال : والله إني لأراه صاحب قريش الذى يطلب ، صفيه لي يا أم معبد ؟ قالت : رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة متبلج الوجه ، حسن الخلق لم تعبه ثجلة ، ولم

---

(١) رواه البخاري (٤٩٤١) ، مسلم (الزهد والرقائق / ٧٥) باب حديث الهجرة .
(٢) رواه البخاري (٣٦٥٣) ، مسلم (فضائل الصحابة / ٢٣٨١)باب من فضائل أبى بكر الصديق .
(٣) القرى : ما يقدم للضيف . (٤) هو أكثم بن أبى الجون ، يقال له : «عبد العزى» .

تزر به صعلة ، وسيم ، قسيم ، في عينيه دعج ، وفي أشفاره وطف ، وفي صوته صحل، أحور أكحل، أزجّ أقرن ، شديد سواد الشعر ، في عنقه سطع ، وفي لحيته كثاثة، إذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء ، وكأن منطقه خرزات عقد يتحدرن، حلو المنطق ، فصل ، لا نزر ولا هذر ، أجهر الناس ، وأجملهم من بعيد ، وأحلاهم وأحسنهم من قريب ، ربعة لا تشنؤه من طول ، ولا تقتحمه عين من قصر ، غصن بين غصنين ، فهو أنظر الثلاثة منظرًا وأحسنهم قدرًا ، له رفقاء يحفُّون به ، إذا قال استمعوا لقوله ، وإن أمر تبادروا إلى أمره محفود محشود لا عابس ولا مفند [(١)] .

قال : هذا والله صاحب قريش الذي ذُكر لنا من أمره ما ذكر ولو كنت وافقته لالتمست أن أصحبه ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً .

وأصبح صوت بمكة عاليًا بين السماء والأرض يسمعونه ولا يرى من يقوله وهو يقول :

جزى الله ربُّ الناسِ خيرَ جَزَائه   رفيقين حلاّ خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبر وارتحلا به   فأفلح من أمسى رفيق محمد
فيالَ قصي ، ما زوى الله عنكم   به من فعال لا تجازى وسؤدد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها   فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت   له بصريح ضرةُ الشاة مزبد
فغادره رهنًا لديها لحالب   بدرتها من مصدر ثم مورد

فأصبح القوم وقد فقدوا نبيهم ، وأخذوا على خيمتي أم معبد حتى لحقوا النبي ﷺ قال فأجابه حسان بن ثابت يقول :

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم   وقُدِّس من يَسرِي إليه ويغتدي
تــرَحَّلَ عن قوم فزالت عقولهم[(٢)]   وحل على قوم بنور مجدَّد
فهل يستوي ضلال قوم تسكعوا[(٣)]   عمى وهداةٌ يهتدون بمهتد
نبي يرى مالا يرى الناسُ حوله   ويتلو كتاب الله في كل مشهد
فإن قال في يوم مقالة غائب   فتصديقها في ضحوة اليوم أو غد
ليهن أبا بكر سعادةُ جده   بصحبته من يسعد الله يسعد

(١) سيأتى تفسير المصنف لغريب الحديث عقبه .
(٢) فى دلائل البيهقى : « فضلت عقولهم » .
(٣) فى الدلائل : « تسفهوا » .

ويَهْـنِ بني كـعب مكانُ فتاتهم ومقـعدها للمسـلمين بمـرصـد

قال عبد الملك بن مروان : فبلغنا أن أم معبد هاجرت إلى النبي ﷺ وأسلمت.

(تفسير غريب الحديث)

البرزة : الكبيرة ، **والمرملون** : الذين نفد زادهم ، **ومسنتون** : من السنة وهي الجدب، **وكسر الخيمة** : جانبها ، **والجهد** : المشقة ، **وتفاجت** : فتحت ما بين رجليها للحلب ، **ويربض الرهط** : يثقلهم فيربضوا ، **والثج** : السيلان ، **والثمال** : الرغوة، وقوله : **عللاً بعد نهل** : أي مرة بعد أخرى ، **حتى أراضوا** : أي رووا ، **والحيل** : اللواتي لسن بحوامل ، **والنقى** : المخ ، **والشاة عازب** : أي بعيدة في المرعى ، **متبلج الوجه** : مُشرقُهُ، **والثجلة** : عظيم البطن واسترخاء أسفله ، **والصعلة** : صغر الرأس ، **والوسيم**: الحسن ، وكذلك **القسيم والدعج** : السواد في العين ، **والوطف** : الطول في هدب العين، **والصَّحل** : كالبحة ، **والأحور** : الشديد سواد أصول أهداب العين خلقة ، **والأزج** : من الزجج وهو دقه الحاجبين وحسنهما ، **والأقرن** : المقرون الحواجب ، **والسطع** : الطول ، وقولها : « إذا تكلم سما » تريد : علا رأسه أو يده ، وقولها : «لا نزر ولا هذر » تريد : أنه ليس بقليل ولا كثير ، وقولها : **لا تقتحمه عين من قصر** : أي لا تحتقره ، **والمحفود** : المخدوم ، **والمحشود** : من قولك احتشدت لفلان فى كذا - إذا أعددت له وجمعت - وقولها : **ليس بعابس** : الوجه ولا فيه أثر هرم ، **والفَنَد** : الهرم ، **والصريح** : الخالص ، **والضرَّة** : لحم الضرع .

(ذكر ما جرى لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة)

قال الزهرى : نزل رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بقباء ، فأقام فيهم بضع عشرة ليلة وقال عروة : مكث بقباء ثلاث ليال ، ثم ركب يوم الجمعة فمر على بني سالم فجمع بهم ، وكانت أول جمعة صلاها حين قدم المدينة . ثم ركب في بني سالم فمرت الناقة حتى بركت في بني النجار على دار أبي أيوب الأنصاري فنزل عليه في سفل داره وكان أبو أيوب في العلو، حتى ابتنى رسول الله ﷺ مسجدًا ومساكنه (1) .

عن عائشة قالت : قدم النبي ﷺ المدينة وهي وبيئة (2) ، فمرض أبو بكر فكان إذا أخذته الحمى يقول :

كل امـريء مصبَّح في رحله والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا أخذته الحمى يقول :

---

(1) انظر : فتح البارى (٧/ ٢٢٧) .

(2) وبيئة : أى ذات وباء .

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بـوادٍ وحـولي إذخرٌ وجليـل ؟
وهل أرِدن يومًا مـياه مِجنَّـةٍ ... وهـل يبدون لي شامةٌ وطفيل ؟

اللهم العن شيبة بن ربيعة ، وأمية بن خلف كما أخرجونا من مكة فلما رأى رسول الله ﷺ ما لقوا قال : « اللهم حبِّب إلينا المدينة كحبِّنا مكة أو أشد ، اللهم صححها وبارك لنا في صاعها ومدِّها وانقل حماها إلى الجحفة » ، قالت : فكان المولود يولد بالجحفة فما يبلغ الحلم حتى تصرعه الحمى - أخرجاه في « الصحيحين » [1] .

(ذكر عمومة رسول الله ﷺ)

قال ابن السائب : هم أحد عشر : الحارث ، والزبير ، وأبو طالب ، وحمزة ، وأبو لهب ، والغيداق ، والمقوّم ، وضرار ، والعباس ، وقثم ، وجحل - واسم جحل المغيرة. وقال غيره : هم عشرة - ولم يذكر قثم ، وقال : اسم الغيداق « جحل » [2] .

(ذكر عماته ﷺ)

وهن ستٌ : أم حكيم - وهي البيضاء [3] - وبرَّة ، وعاتكة ، وصفية ، وأروى ، وأميمة ، فأما صفية : فأسلمت من غير خلاف ، وأما عاتكة وأروى فقال محمد بن سعيد: أسلمتا وهاجرتا إلى المدينة . وقال آخرون : لم تسلم منهن إلا « صفية » [4] .

(ذكر أزواج النبي ﷺ [5])

خديجة بنت خويلد ، سودة بنت زمعة ، عائشة بنت أبـي بكر ، حفصة ابنة عمر ، أم سلمة واسمها هند بنت أبي أمية ، أم حبيبة واسمها رملة بنت أبي سفيان ، زينب بنت جحش أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، زينب بنت خزيمة بن الحارث بن أبي ضرار ، صفية بنت حُيي بن أخطب ، ميمونة بنت الحارث بن حزن .

وقد تزوج رسول الله ، جماعة من النساء فلم يدخل بهنَّ وخطب جماعة فلم يتم النكاح ، ويقال : إن أم شريك وهبت نفسها للنبي ﷺ .

---

(١) رواه البخارى (١٨٨٩ ، ٦٣٧٢) ومسلم (الحج / ٤٨٠) باب الترغيب فى سكنى المدينة والصبر على لأوائها .

(٢) وذكرهم الإمام ابن القيم فى كتابه « زاد المعاد » (١/ ١٠٤) : ولم يسلم منهم إلا حمزة والعباس. ا هـ.

(٣) هى توأم عبد الله والد النبى ﷺ .

(٤) قال الإمام ابن القيم (الزاد ١/ ١٠٥) : وصحح بعضهم إسلام أروى .

(٥) راجع كتاب « الفصول » لابن كثير الجزء الثانى .

(ذكر سراري رسول الله ﷺ)

مارية القبطية ، بعث بها إليه المقوقس ، ريحانة بنت زيد - ويقال إنه تزوجها، وقال الزهري : استسرّها ثم اعتقها فلحقت بأهلها وقال أبو عبيدة : كان له أربع: مارية ، وريحانة ، وأخرى جميلة أصابها في السبي ، وجارية وهبتها له زينب بنت جحش .

(ذكر أولاده ﷺ)

أما الذكور فالقاسم - وبه كان يكنى ﷺ - وهو أول من مات من أولاده ، وعاش سنتين .

عبد الله : وهو الطاهر والطيب ، ولد له في الإسلام .

وقال عروة : ولدت خديجة : القاسم والطاهر وعبد الله والمطَّيب [1] .

وقال سعيد بن عبد العزيز : كان للنبي ﷺ أربعة غلمة : إبراهيم ، والقاسم، والطاهر ، والمطهر .

قال أبو بكر البرقي : ويقال إن الطاهر هو الطيب وهو عبد الله ، ويقال إن الطيب والمطَّيب ولدا في بطن ، والطاهر والمطهر ولدا في بطن .

إبراهيم : أمه مارية القبطية ، ولد في ذى الحجة سنة ثمان من الهجرة وتوفي ابن ستة عشر شهراً ، وقيل ثمانية عشر شهراً ودُفِن بالبقيع .

(الإناث من أولاده ﷺ)

فاطمة عليها السلام : ولدت قبل النبوة بخمس سنين ، زينب : تزوجها أبو العاص بن الربيع ، رقية ، وأم كلثوم : تزوجهما عثمان بن عفان ، تزوج أم كلثوم بعد رقية .

وجميع أولاده من خديجة رضي الله عنها سوى إبراهيم .

(ذكر موالى رسول الله ﷺ [2])

أَسَلمُ - ويكنى أبا رافع ، أبو رافعٍ آخر والدُ البهىّ ، أحمر ، أسامة بن زيد، أفلح، أنسة - ويكنى أبا مسروح أيمن ابن أم أيمن ، ثَوْبان - ويكْنَى أبا عبد الله ، ذكوان ويقال: هو مهران وقيل طهمان ، رافع ، رباح الأسود ، زيد بن حارثة ، زيد بن بُولا ، سابق ، سالم ، سلمان الفارسي ، سليم - ويكنى أبا كبشة وقيل اسمه أوس ، سعيد

---

(١) ونقل البيهقى فى « الدلائل » عن بعض العلماء قولهم : ما نعلمها ولدت غلاماً إلا القاسم ، وولدت بناته الأربع : زينب ، وفاطمة ، ورقية ، وأم كلثوم . اهـ .

(٢) انظر : الفصول : الجزء الثانى ، وزاد المعاد (١/ ١١٥ - ١١٦) .

أبو كندير ، شُقران - واسمه صالح ، ضميرة بن أبي ضُميرة ، عبيد الله بن عبد الغفَّار، فُضالة اليماني ، كيسان ، مهران - ويكنى أبا عبد الرحمن وهو سفينة في قول إبراهيم الحربي ، وقال غيره: اسم سفينة : رومان وقيل عيس ، مدعم ، نافع ، نُفيع - ويكنى أبا بكرة الثقفي ، نبيه ، واقد ، وردان ، هشام ، يسار ، أبو أثيلة ، أبو الحمراء ، أبو السَّمح، أبو ضميرة ، أبو عبيد - واسمه سعيد وقيل عُبيد ، أبو مويهبة ، أبو واقد .

قال إبراهيم الحربي : ليس في موالي رسول الله ﷺ عبيد إنما هو أبو عبيد ، وإنما التيمي غلط في الحديث فقال عبيد ، وذكر ابن أبي خيثمة أنهما اثنان عبيد وأبو عبيد .

وفرق الحربي بين رافع وأبي رافع فجعلهما اثنين ، وحكى ابن قتيبة أنهما واحد .

وقال أبو بكر بن حزم : من غلمان رسول الله ﷺ : كركرة ، وقال مصعب: أهدى إليه المقوقس خصيًا اسمه مابورا وذكر محمد بن حبيب الهاشمي : من موالى رسول الله ﷺ أبو لبابة وأبو لقيط وأبو هند .

(ذكر موليات رسول الله ﷺ)

أم أيمن - اسمها بركة ، أميمة ، خضرة ، رضوى ، ريحانة ، سلمى ، مارية، ميمونة بنت سعد ، ميمونة بنت أبي عسيب ، أم ضميرة ، أم عيَّاش وقيل أم عياش مولاة ابنته رُقية .

(ذكر مراكبه ﷺ [١])

كان له فرس يقال له « السَّكب » [٢] ، وفرس يقال له « المرتجز » ، وهو الذي اشتراه من الأعرابي وشهد فيه خزيمة بن ثابت [٣] ، وربما جعل بعضهم الأسمين لواحد . وفرس

---

(١) انظر المصدر السابق (١/ ١٣٣ - ١٣٤) .

(٢) قيل : وهو أول فرس ملكه وكان اسمه عند الأعرابى الذى اشتراه منه بعشر أواق : الضرس وكان أغرا محجَّلاً طلق اليمين كميتاً ، وقيل : كان أدهم . (الزاد : ١/ ١٣٣) .

(٣) وذلك على ما رواه الإمام أحمد (٥/ ٢١٦) ، وأبو داود فى « الأقضية » ، والبيهقى (٧/ ٦٦ ، ١٠/ ١٤٦) ، والطحاوى فى شرح المعانى (٤/ ١٤٦) وغيرهم عنه قال : ابتاع النبى ﷺ فرساً من أعرابى فاستتبعه النبى ﷺ ليقضيه ثمن فرسه ، فأسرع النبى ﷺ المشى وأبطأ الأعرابى ، فطفق رجال يعترضون الأعرابى فيساومون الفرس لا يشعرون أن النبى ﷺ ابتاعه حتى زاد بعضهم للأعرابى فى السوم على الثمن الذى ابتاعه به النبى ﷺ ، فنادى الأعرابى النبى ﷺ فقال : إن كنت مبتاعاً هذا الفرس فابتعه وإلا بعته . فقام النبى ﷺ فقال : « أليس قد ابتعته منك » ؟ قال : لا .

فطفق الناس يلوذون بالنبى ﷺ والأعرابى ، وهما يتراجعان .

فطفق الأعرابى يقول : هلم شهيداً يشهد أنى قد بايعتك فمن جاء من المسلمين قال للأعرابى : ويلك إن النبى ﷺ لا يقول إلا حقاً . حتى جاء خزيمة فاستمع لمراجعة النبى ﷺ ومراجعة الأعرابى =

يقال له « اللزاز » ، وفرس يقال له « الظَّرِب » ، وفرس يقال له « الورد » ، وفرس يقال له « النحيف » ، وبعضهم يقول اللحيف باللام ، وبعضهم يسمى بعض خيله «اليعسوب». وكان له الناقة « القصواء » ، وهي « الغضباء » ، وهي « الجدعاء » ، وبغلة تسمى « الشهباء والدُّلْدُل » ، وحمار يقال له « اليعفور » .

(حديث أنس فى وصف النبى ﷺ)

عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن أنه سمع أنس بن مالك ينعت رسول الله ﷺ فقال : كان رسول الله ﷺ ربعة من القوم ليس بالقصير ولا بالطويل البائن ، أزهر ليس بالآدم ولا الأبيض الأمهق ، رجل الشعر ليس بالسَّبط ولا الجعد القطط ، بعث على رأس أربعين، أقام بمكة عشرًا وبالمدينة عشرًا وتوفي على رأس ستين ليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء ، أخرجاه في « الصحيحين » (١) .

وعنه قال : ما مسستُ حريرًا ولا ديباجًا ألين من كف النبى ﷺ ، ولا شممت ريحًا قط ولا عَرْفًا قط أطيب من ريح أو عرف النبي ﷺ - رواه البخاري (٢) .

وقال أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر : قلت للربيِّع بنت معوذ : صفي لي رسول الله ﷺ ؟ فقالت : لو رأيته لرأيت الشمس الطالعة .

قال إبراهيم بن محمد - من ولد علي بن أبي طالب - قال : كان علي - رضي الله عنه - إذا وصف رسول الله ﷺ يقول : لم يكن بالطويل الممغَّط ولا بالقصير المتردد، كان ربعة من القوم ، لم يكن بالجعد القطط ولا بالسَّبط كان جعدًا رجلاً ولم يكن بالمطهَّم ولا بالمتكلثِم ، وكان في وجهه تدوير ، أبيض ، مشربًا ، أدعج العينين ، أهدب الأشفار، جليل المُشاش والكَتَد ، أجرد ، ذو مسْرُبة ، شثن الكفين والقدمين ، إذا مشى تقلَّع ، كأنما ينحطُّ من صَبَب ، وإذا التفت التفت معًا ، بين كتفيه خاتم النبوة وهو خاتم النبيين ، أجود الناس صدرًا ؛ وأصدق الناس لهجة ، وألينهم عريكة ،

= فطفق الأعرابى يقول : هلم شهيداً يشهد إنى قد بايعتك فقال خزيمة : أنا أشهد أنك قد بايعته . فأقبل النبى ﷺ على حذيفة وقال : « بم تشهد » ؟ فقال : بتصديقك يا رسول الله فجعل النبى ﷺ شهادة خزيمة بشهادة رجلين .

وفى رواية أخرى أن النبى ﷺ قال لخزيمة : « لم تشهد ولم تكن معنا » ؟ قال : يا رسول الله أنا أصدقك بخبر السماء أفلا أصدقك بما تقول ؟! لفظ المصنف فى كتاب « الأذكياء » الباب الثامن .

(١) رواه البخاري (٣٥٤٧) ومسلم (الفضائل / ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣) باب فى صفة النبي ﷺ .

(٢) رواه البخاري (٣٥٦١) .

وأكرمهم عشْرةً ، من رآه بديهةً هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه ، يقول ناعتُه : لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ رواه الترمذي(١) .

(تفسير غريب الحديث)

وقال : سمعت أبا جعفر محمد بن الحسين يقول : سمعت الأصمعي يقول : **الممغط** : الذاهب طولاً ، **والمتردد** : الداخل بعضه في بعض قصرًا . وأما **القطط** : فشديد الجعودة والرَّجل الذي في شعره حجونة أي تثنٍ قليل ، **والمطهم** : البادن الكثير اللحم ، **والمتكلثم** : المدور الوجه ، **والمشرب** : الذي في بياضه حمرة ، **والأدعج** : الشديد سواد العين ، **والأهدب** : الطويل الأشفار ، **والكتد** : مجتمع الكتفين وهو الكاهل ، **والمَسْرُبَةُ** : الشعر الدقيق الذي كأنه قضيب من الصدر إلى السرة ، **والششن** : الغليظ الأصابع من الكفين والقدمين ، **والتقلُّع** : المشي بقوة ، **والصَّبب** : الحُدور - تقول: انحدرنا في صبوب وصبب - وقوله: **جليل المُشاش** : يريد رءوس المناكب ، **والعشرة** : الصحبة ، **والعشير** : الصاحب ، **والبديهة** : المفاجأة .

(حديث الحسن فى وصف النبى ﷺ)

وعن الحسن بن على قال : سألت خالي هند بن أبي هالة - وكان وصافًا - عن حلية النبي ﷺ وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئًا أتعلق به . فقال : كان رسول الله ﷺ فخمًا، مفخمًا ، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ، أطول من المربوع وأقصر من المشذَّب عظيم الهامة ، رجل الشَّعر ، إن انفرقت عقيقته فرق وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره ، أزهر اللون ، واسع الجبين ، أزّج الحواجب سوابغ في غير قرن ، بينهما عرق يُدرُّه الغضب ، أقنى العرنين ، له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشمَّ، كث اللحية ، سهلُ الخدين ، ضليع الفم ، مفلَّج الأسنان ، دقيق المسرُبة ، كأن عنقه جيد دُمية في صفاء الفضة ، معتدل الخلق ، بادن متماسك ، سواءٌ البطن والصدر، عريض الصدر ، بعيد ما بين المنكبين ، ضخم الكراديس ، أنور المتجرَّد ، موصول ما بين اللَّبَّة والسُّرة بشعر يجري كالخيط ، عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك ، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر ، طويل الزندين رحب الراحة ، شثن الكفين والقدمين، سابل الأطراف - أو قال : سائل الأطراف - خمصان الأخمصين ، مسيح القدمين، ينبو عنهما الماء ، إذا زال زال قلعًا - يخطو تكفّيًا ويمشي هونًا ، ذريع المشية إذا مشى كأنما

(١) رواه الترمذى (٣٦٣٨) وفى سنده عمر بن عبد الله مولى غفرة وهو ضعيف .

ينحط من صبب ، وإذا التفت التفت جميعًا ، خافض الطرف ، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء ، جُلُّ نظره للملاحظة ، يسوق أصحابه، ويبدر من لقيه بالسلام .

قلت : فصِف لي منطقه ، قال : كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست له راحةَ ، طويل السَّكت ، لا يتكلم في غير حاجة ، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه ، ويتكلم بجوامع الكلم فصلاً ، لا فضول ولا تقصير ، ليس بالجافي ولا المهين، يعظم النعمة وإن دقّت ولا يذم منها شيئًا غير أنه لم يكن يذم ذواقًا ولا يمدحه ، ولا تغضبه الدنيا وما كان لها فإذا تعدّى الحقّ لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له ، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها ، إذا أشار أشار بكفه كلِّها ، وإذا تعجّب قلبها ، وإذا تحدث اتصل بها وضرب براحته اليمنى بطن إبهامها اليسرى ، وإذا غضب أعرض وأشاح، جُلَّ ضحكه التبسم .

قال الحسن : فكتمتُها الحسين زمانًا ثم حدثته بها فوجدته قد سبقني إليه ، فسأله عما سألته عنه ، ووجدته قد سأل أباه عن مدخله ومخرجه وشكله فلم يدع منه شيئًا .

(حديث الحسين فى وصف النبى ﷺ)

قال الحسين : سألت أبي عن دخول رسول الله ﷺ ؟ فقال : كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى منزله جزّأ دخوله ثلاثة أجزاء : جزءًا لله ، وجزءًا لنفسه ، وجزءًا لأهله ، ثم جزّأه بينه وبين الناس ، فيردّ ذلك بالخاصة على العامة ولا يدَّخر عنهم منه شيئًا ، وكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج ، فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم والأمة من مسألته عنهم وإخبارهم بالذي ينبغي لهم ، ويقول : « ليبلّغ الشاهدُ منكم الغائب » ، « وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبَّت الله قدميه يوم القيامة » ، لا يذكر عنده إلا ذلك ولا يقبل من أحد غيره ، يدخلون روادًا ولا يفترقون إلا عن ذواق ويخرجون أدِّلة – يعني على الخير .

قال : فسألته عن مخرجه ﷺ كيف كان يصنع فيه ؟ قال : كان رسول الله ﷺ يخزُن لسانه إلا فيما يعنيه ، ويؤلفهم ولا ينفِّرهم ، ويكرم كريم كل قومٍ ويوليه عليهم ، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد منهم بشره ولا خلقه ، ويتفقد أصحابه ويسأل الناس عما في أيدي الناس ، ويحسن الحَسن ويقويه ويقبح القبيح ويوهيه، معتدل الأمر غير مختلف لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا ، لكل حالٍ عنده عتاد ، لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه ، الذين يلونه من الناس خيارهم ، أفضلهم عنده أعمَّهم نصيحةً ، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهُم مواساةً ومؤازرة .

قال : فسألته عن مجلسه ؟ فقال : كان رسول الله ﷺ **لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر،** وكان إذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ، ويأمر بذلك ، ويعطي كل جلسائه نصيبهم لا يحسب جليسه أنَّ أحدًا أكرمُ عليه ممن جالسه ، ومن سأله حاجة لم يردَّه إلا بها أو بميسور من القول ، قد وسع الناس بسطُه وخُلقه فصار لهم أبًا وصاروا عنده في الحق سواء ، مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة ، لا تُرفع فيه الأصوات ، ولا تؤبنُ فيه الحُرم يتعاطفون فيه بالتقوى متواضعين ، يوقرون فيه الكبير ، ويرحمون فيه الصغير ، ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب .

قلت : وكيف كانت سيرته في جلسائه ؟ فقال : كان رسول الله ﷺ **دائم البشر ، سهل** الخُلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحَّاش ولا عيَّاب ولا مدَّاح ، يتغافل عما لا يشتهي ، ولا يؤيس منه ، ولا يخيب فيه مؤمليه ، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء ، والإكثار ، وما لا يعنيه ، وترك الناس من ثلاث : لا يذم أحدًا ولا يعيبه، ولا يطلب عورته ، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه ، وإذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رءوسهم الطير ، وإذا سكت تكلموا ، لا يتنازعون عنده الحديث ، من تكلَّم عنده أنصتوا له حتى يفرغ ، حديثهم عنده حديث أوَّلهم يضحك مما يضحكون منه ، ويتعجب مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته ، حتى إن كان أصحابه ليستجليونهم ، ويقول : إذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فارفدوه ، ولا يقبل الثناء إلا من مكافيء ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهي أو قيام - رواه الترمذي .

وقد روى هذا الحديث أبو بكر بن الأنباري فزاد فيه : **قال : فسألته عن سكوت رسول الله** ﷺ ؟ فقال : كان سكوته على أربع : على الحلم ، والحذر ، والتقدير ، والتفكر ، فأما التقدير : ففي تسوية النظر والاستماع من الناس ، وأما تفكره : ففيما يبقى ويفنى ، وجمع له الحلم في الصبر ، ولا يغضبه شيء ولا يستفزه ، وجمع له الحذر في أربع : أخذه بالحسن ليقتدى به ، وتركه القبيح ليتناهى عنه ، واجتهاده الرأي في إصلاح أمته ، والقيام لهم فيما جمع لهم من خير الدنيا والآخرة .

(تفسير غريب هذه الأحاديث)

الفَخم المفخَّم : هو العظيم المعظم في الصدور والعيون . **والمشذَّب** : الطويل الذي ليس بكثير اللحم ، **والرَّجلُ الشعر** : الذي في شعره تكسُّر ، فإذا كان الشعر منبسطًا قيل: **شعر** سبط وسبط ، **والعقيقة** : الشعر المجتمع في الرأس ، **الأزهر اللون** : النير . **وأزجّ الحواجب** : أي طويل امتدادهما لوقور الشعر فيهما وحسنه إلى الصدغين . فأما جمع الحواجب فله وجهان : أحدهما على مذهب من يُوقع الجمع على التثنية ، والثاني : على أن كل قطعة من الحاجب تسمى حاجبًا .

قوله : **أقنى العرنين** : القنا أن يكون في عظم الأنف احديداب في وسطه ، **والعرنين**: الأنف ، **والأشم** : الذي عظم أنفه طويل إلى طرف الأنف ، **وضليع الفم** : كبيره ، والعرب تمدح بذلك وتهجو بصغره ، **والمسرُبة** : قد فسرناها في الحديث قبله ، **والدُمية**: الصورة وجمعها دُمى

وقوله : **بادن متماسك** : أي تام خلق الأعضاء ليس بمسترخي اللحم ولا كثيره، وقوله: **سواءٌ البطن والصدر** ، معناه : أن بطنه ضامر وصدره عريض فلهذا ساوى بطنه صدره . والكراديس : رءوس العظام . وقوله : **أنور المتجرد** : أي نيِّر الجسد إذا تجرد من الثياب ، **والنِّير** : الأبيض المشرق .

وقوله : **خُمصان** : الأخمصين : معناه أن أخمص رجله شديد الارتفاع من الأرض، والأخمص : ما يترفع من الأرض من وسط باطن الرجل . وقوله : **مسيح القدمين** : أي ليس بكثير اللحم فيهما وعلى ظاهرهما فلذلك ينبو الماء عنهما ، **والتقلُّع ، والصَّبب** : قد فسرناهما في الحديث قبله .

وقوله **ذريع المشية** : واسع المشية من غير أن يظهر منه استعجال . **والمهين** : الحقير . **ويسوق أصحابه** : يقدِّمهم بين يديه ومن ورائه ، **يفوق** : أراد يفضلهم دينًا وحلمًا وكرما. وقوله : **لكل حال عنده عتاد** : أي عدّة ، يعني أنه قد أعدَّ للأمور أشكالها . وقوله : **يردّ بالخاصة على العامة** . فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه كان يعتمد على أن الخاصة ترفع علومه وإرادته إلى العامة .

والثاني : أن المعنى يجعل المجلس للعامة بعد الخاصة فتنوب الباء عن « من » ، و«على» عن « إلى » .

والثالث : فيردُّ ذلك بدلاً من الخاصة على العامة فتفيد الباء معنى.البدل .

والروَّاد : جمع رائد، وهو الذي يقدم القوم إلى المنزل يرتاد لهم الكلأ ، وهو هنا مثل، والمعنى أنهم ينفعون بما يسمعون من وراءهم ، **والذَوَاق** ، ههنا : العلم يذوقون من حلاوته ما يذوقون من الطعام . **وتُؤبَن فيه الحُرمُ** : أي تعاب . وقوله : **لا يقبل الثناء إلا من مكافيء** : أي من صح عنده إسلامه حسن موقع ثنائه عليه ، ومن استشعر منه نفاقًا أو ضعفًا في دينه ألغى ثناءه ولم يحفل به ، **وارفدوه** : بمعنى أعينوه .

(ذكر حسن خلقه ﷺ)

عن أبي عبد الله الجدلي قال : قلت لعائشة : كيف كان خُلق رسول الله ﷺ في أهله؟

قالت : كان أحسن الناس خُلقًا ، لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا ولا سخابًا في الأسواق ولا يجزي بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح - رواه الإمام أحمد[١] .

وعن أنس قال : خدمتُ رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي أفٍ ، ولا لِمَ صنعت، ولا ألا صنعت - رواه البخاري [٢] .

وعن سماك قال : قلت لجابر بن سمرة : أكنت تجالس رسول الله ﷺ ؟ قال: نعم ، كان طويل الصمت قليل الضحك ، وكان أصحابه يذكرون عنده الشعر وأشياء من أمورهم فيضحكون وربما تبسَّم - انفرد بإخراجه مسلم [٣] .

(ذكر تواضعه ﷺ)

عن عمر - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تُطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبدُ الله ورسوله » - أخرجه البخاري [٤] .

وعن جابر قال : جاءني النبي ﷺ يعودني ليس براكبٍ بغلاً ولا بِرذَونًا - انفرد بإخراجه البخاري [٥] .

وعن أنس قال : كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به في حاجتها - انفرد بإخراجه البخاري . وفي بعض ألفاظ الصحيح: « فتنطلق به حيث شاءت» .

وعن الأسود ، قال : قلت لعائشة : ما كان رسول الله ﷺ يصنع إذا دخل بيته؟ قالت كان يكون في مهنة أهله فإذا حضرت الصلاة خرج فصلى - انفرد بإخراجه البخاري[٦]

وعن البراء ، قال : رأيت النبي ﷺ يوم الأحزاب ينقل التراب وقد وارى التراب بياض بطنه وهو يقول :

والله لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصــدَّقنــا ولا صلَّينا
فأنزلــن ســكينةً علينــا ... وثبت الأقدام إن لاقيــنا
إن الأُلــى قد بغوا علينا ... إذا أرادوا فتــــنة أبيـــنا

أخرجاه في « الصحيحين » [٧] وفي بعض الألفاظ :

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٢١٢ ، ٢٧٠ ، ٦/ ٢٣٦) .
(٢) رواه البخاري (٦٠٣٨) .
(٣) رواه مسلم (الفضائل / ٦٩/ ٢٣٢٢) .
(٤) رواه البخاري (٣٤٤٥) .
(٥) رواه البخاري (٥٦٦٤) .
(٦) رواه البخاري (٦٧٦) .
(٧) رواه البخاري (٢٨٣٦ ، ٢٨٣٧) ، مسلم (الجهاد والسير / ١٢٥) باب : غزوة الأحزاب .

وعن أنس بن مالك ، قال : كان رسول الله ﷺ يعود المرضى ، ويشهد الجنازة ، ويأتي دعوة المملوك ، ويركب الحمار ، ولقد رأيته يومًا على حمار خطامه لِيف [١] .

وعن الحسن أنه ذكر رسول الله ﷺ ، فقال : لا والله ما كانت تغلق دونه الأبواب ولا يقوم دونه الحُجَّاب ، ولا يُغدى عليه بالجِفان ، ولا يُراح عليه بها، ولكنه كان بارزًا ، من أراد أن يلقى نبيَّ الله لقيه ، وكان يجلس بالأرض ويوضع طعامه بالأرض [٢] ، يلبس الغليظ ، ويركب الحمار ويردف عبده ، ويعلف دابته بيده ﷺ .

(ذكر حيائه ﷺ)

عن أبي سعيد الخدري ، قال : كان رسول الله ﷺ ، أشد حياءً من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئًا عرفناه في وجهه . أخرجاه في « الصحيحين » [٣] .

وعن أنس بن مالك أن النبي ﷺ رأى على رجل صُفرة فكرهها وقال : « لو أمرتم هذا أن يغسل هذه الصفرة » . قال : وكان لا يواجه أحدًا في وجهه بشيء يكرهه . رواه الإمام أحمد [٤] .

(ذكر شفقته ومداراته ﷺ)

عن أنس بن مالك أن نبي الله ﷺ قال : « إني لأدخل الصلاة وأنا أريد أن أطيلها فأسمع بكاء الصبي فأتجوَّز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه » - أخرجاه في « الصحيحين » [٥] .

وعنه قال : قال رجل للنبي ﷺ : أين أبي ؟ قال : « في النار » ، فلما رأى ما في وجهه قال : « إن أبي وأباك في النار » . انفرد بإخراجه مسلم [٦] .

(ذكر حلمه وصفحه ﷺ)

عن أنس بن مالك ، قال : كنت أمشي مع رسول الله ﷺ ، وعليه رداء نجراني غليظ

---

(١) رواه الترمذى (٤١٧٨) وفى « الشمائل » (١٧٣) والطيالسى (٢٤٢٥) والبغوى (٣٦٧٣) وفى سنده « مسلم الأعور » وهو ضعيف .

(٢) رواه البغوي فى شرح السنة (١/ ٢٨٨) ، وأحمد فى الزهد (٣٩٢) .

(٣) رواه البخارى (٦١٠٢) ، ومسلم (الفضائل / ٦٧) باب كثرة حيائه ﷺ.

(٤) رواه أبو داود (٤٧٨٩) وأحمد (٣/ ١٣٣ ، ١٦٠) .

(٥) رواه البخاري (٧٠٩ ، ٧١٠) ومسلم (الصلاة / ١٩٢) باب أمر الأمة بتخفيف الصلاة في تمام .

(٦) رواه مسلم (الإيمان / ٣٤٧) باب بيان أن من مات على الكفر فهو فى النار ولا تناله شفاعة ولا تنفعه قرابة المقرَّبين .

الحاشية ، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عنق رسول الله ﷺ وقد أثرت بها حاشية [الرداء] من شدة جبذته . ثم قال: يا محمد مُرْ لي من مال الله الذي عندك . فالتفت إليه رسول الله ﷺ ، فضحك ، ثم أمر له بعطاء - أخرجاه في «الصحيحين » [(١)] .

وعن عبد الله بن مسعود ، قال : لما كان يوم حنين آثر رسول الله ﷺ أناسًا في القسمة فأعطى « الأقرع بن حابس » مائة من الإبل وأعطى « عُيينة » مثل ذلك وأعطى أُناسًا من أشراف العرب وآثرهم يومئذ في القسمة . فقال رجل : والله إن هذه لقسمةٌ ما عُدل فيها، وما أريد بها وجهه الله [قال :] فقلت : والله لأخبرن رسول الله ﷺ [قال :] فأتيته فأخبرته بما قال . قال : فتغير وجهه حتى كان كالصرف ثم قال : من يعدُل إذا لم يعدل الله ورسوله [ثم قال] رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر - أخرجاه في «الصحيحين » [(٢)] .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : جاء الطُّفيل بن عمرو الدّوسي إلى النبي ﷺ فقال: إنّ دوسًا قد عصت وأبت فادع الله عليهم . فاستقبل القبلة رسول الله ﷺ ورفع يديه فقال : اللهم اهدِ دوسًا وائتِ بهم ، اللهم اهدِ دوسًا وائت بهم اللهم اهدِ دوسًا وائت بهم . أخرجاه في « الصحيحين » [(٣)] .

وعن عبد الله بن عمر أن عبد الله بن أبيّ لما توفي جاء ابنه إلى النبي ﷺ فقال : أعطني قميصك أكفنه فيه وصلّ عليه واستغفر له . فأعطاه قميصه وقال : آذنّي أصلي عليه فآذنه . فلما أراد أن يصلي جذبه عمر فقال : أليس الله نهاك أن تصلي على المنافقين؟ فقال : أنا بين خيَرتين ، قال : ﴿ **استغفر لهم أو لا تستغفر لهم** ﴾ [(٤)] . فصلّى عليه فنزلت هذه الآية ﴿ **ولا تصلِ على أحد منهم مات أبدًا** ﴾ [(٥)] . أخرجاه في «الصحيحين » [(٦)] .

وعن عائشة ، قالت : ما ضرب رسول الله ﷺ خادمًا له قطُّ ، ولا امرأةً له قطُّ ، وما

---

(١) رواه البخاري (٣١٤٩ ، ٥٨٠٩ ، ٦٠٨٨) ومسلم (الزكاة /١٢٨) باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة .

(٢) رواه البخاري (٣١٥٠) ومسلم (الزكاة / ١٤٠) باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوى إيمانه .

(٣) رواه البخاري (٢٩٣٧ ، ٤٣٩٢ ، ٦٣٩٧) ومسلم (فضائل الصحابة / ١٩٧) باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة ودوس وطيء .

(٤) سورة التوبة آية : ٨٠ .

(٥) سورة التوبة آية : ٨٤ .

(٦) رواه البخاري (١٢٦٩) ومسلم (صفات المنافقين / ٣) .

ضرب بيده إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وما نيل منه شيء فانتقمه من صاحبه إلا أن تنتهك محارم الله فينتقم لله - عز وجل - وما عُرض عليه أمران أحدهما أيسر من الآخر إلا أخذ بأيسرهما ، إلا أن يكون مأثمًا ، فإن كان مأثمًا كان أبعد الناس منه . أخرجاه في « الصحيحين » (١) .

(ذكر مُزاحه ومداعبته)

وعن أنس : أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهرًا وكان يهدي للنبي ﷺ الهدية من البادية فيجهزه رسول الله إذا أراد أن يخرج . فقال رسول الله ﷺ « إن زاهرًا بادينا ونحن حاضروه » وكان رسول الله ﷺ يحبه ، وكان رجلاً دميمًا . فأتاه النبي ﷺ وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه ولا يبصر الرجل ، فقال : أرسلني ، من هذا ؟ فالتفت فعرف النبي ﷺ فجعل لا يألو ما ألصق ظهره ببطن النبي حين عرفه ، وجعل النبي ﷺ يقول : « من يشترى العبد ؟ » ، فقال : يا رسول الله ﷺ إذًا والله تجدنى كاسدًا ، فقال رسول الله ﷺ : « لكن عند الله - عز وجل - لست بكاسد - أو قال - أو قال : لكن عند الله أنت غال » - رواه الإمام أحمد (٢) قال لنا محمد بن أبي منصور ، قال لنا أبو زكريا : الدميم ، بالدال المهملة في الخلق ، وبالذال المعجمة : في الخُلُق .

وعن عائشة قالت : خرجت مع النبي ﷺ فى بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن ، فقال للناس : « تقدموا » ، ثم قال لي : « تعالى حتى أسابقك » . فسابقته فسبقته فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت نسيت ، خرجت معه في بعض أسفاره فقال للناس : « تقدموا » ، فتقدموا ثم قال لي : « تعالي حتى أسابقك » فسابقته فسبقنى، فجعل يضحك ويقول : « هذه بتلك » : رواه الإمام أحمد (٣) .

وعن أنس ، أن النبي ﷺ دخل على أم سليم فرأى أبا عمير حزينًا فقال : يا أم سليم ، ما بال عُمير حزينًا ؟ قالت : يا رسول الله مات نُغَيْره . فقال رسول الله ﷺ : « يا أبا عُمير ما فعل النغير » أخرجاه في « الصحيحين » (٤) .

---

(١) رواه مسلم (الفضائل / ٧٩) باب مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته واللفظ له فى أغلبه ، ورواه البخاري (٣٥٦٠ ، ٦١٢٦) ومسلم (الفضائل / ٧٧) بلفظ : « ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله عز وجل » .

(٢) رواه أحمد (٣/ ١٦١) والبيهقي (٦/ ١٩٦) وعبد الرزاق في مصنفه (١٩٦٨٨) والبغوي في شرح السنة (١٣/ ١٨١) .

(٣) رواه أحمد (٦/ ٢٦٤) وابن ماجة (١٩٧٩) وأبو داود (٢٥٧٨) .

قال الشيخ الألباني : وهذا سند صحيح على شرط الشيخين وقد صححه العراقى في تخريج الإحياء. ا هـ والنغير : عصفور صغير .

(٤) رواه البخاري (٦١٢٩ ، ٦٢٠٣) ومسلم (الآداب / ٣٠/ ٢١٥٠) .

(ذكر كرمه وجوده ﷺ)

عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله ﷺ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين [يلقاه] جبريل - عليه السلام - [وكان يلقاه] في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، قال : فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة . أخرجاه في «الصحيحين » (1) .

وعن أنس أن رسول الله ﷺ لم يكن يسأل شيئًا على الإسلام إلا أعطاه . قال: فأتاه رجل فسأله فأمر له بشاء كثير بين جبلين من شاء الصدقة قال فرجع إلى قومه فقال : يا قوم أسلموا فإن محمدًا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة . انفرد بإخراجه مسلم (2).

(ذكر شجاعته ﷺ)

عن أنس ، قال : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس ، وكان أجود الناس ، وكان أشجع الناس ، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس قِبَل الصوت فتلقاهم رسول الله راجعاً وقد سبقهم إلى الصوت وهو على فرس لأبى طلحة ، عُرْي في عنقه السيف [وهو يقول :] لمَ تراعُوا لمَ تراعوا . قال : وجدناه بحراً أو : إنه لبحر وكان فرساً يُبَطأُ . أخرجاه فى « الصحيحين » (3) .

وعن أبي إسحاق ، قال : سألت البراء ، وسأله رجل فقال : فررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين ؟ فقال البراء : ولكن رسول الله ﷺ لم يفر ، كانت هوازن ناسًا رماة وإنا لـمَّا حملنا عليهم انكشفوا فأكبينا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام ، ولقد رأيت رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء وإن أبا سفيان بن الحارث آخذ بلجامها وهو يقول :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

أخرجاه في « الصحيحين » (4) .

(ذكر فضله ﷺ على الأنبياء وعلو قدره)

عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : أعطيت خمسًا لم يُعطهنَّ أحد قبلي ، نُصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجُعلتْ لي الأرض مسجدًا وطهورًا ، فأيُّما رجلٍ من أمتي

---

(1) رواه البخاري (3554 ، وفى مواطن أخرى) ، ومسلم (الفضائل / 50) باب كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة .

(2) رواه مسلم (الفضائل / 57) باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا قط فقال لا وكثرة إعطاءه .

(3) رواه البخاري (3040 ، 6033) ومسلم (الفضائل / 48) باب في شجاعة النبي ﷺ وتقدمه للعرب.

(4) رواه البخاري (2864 ، وفى مواطن أخرى) ، ومسلم (الجهاد / 78) باب في غزوة حنين .

أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصـة وبعثت إلى الناس عامة . أخـرجاه في «الصحيحين » [١] .

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال : بُعثت بجوامع الكلم ونُصرت بالرعب ، وبينما أنا نائم رأيتني أُتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي ، قال أبو هريرة – رضي الله عنه : فلقد ذهب رسول الله ﷺ وأنتم تنتثلونها [٢] ، أخرجاه في «الصحيحين » [٣] .

وعن أُبيٍّ بن كعب . قال : كنت في المسجد فدخل رجل فصلّى فقرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه . فلما [قضينا] الصلاة دخلنا جميعًا على رسول الله ﷺ ، فقلت : إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه ، فأمرهما رسول الله ﷺ فَقَرءا فحسّن النبي ﷺ شأنهما ، فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غشيني ضرب في صدري ففضتُ عرقًا وكأنما أنظر إلى الله – عز وجل – فَرَقًا ، فقال لى : يا أُبىّ إن ربي أرسل إليَّ أن اقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هوِّن على أمتي ، فرد إليَّ الثانية أن اقرأهُ على حرفين فرددت إليه أن هون على أمتي فرَّد إليَّ الثالثة اقرأه على سبعة أحرف فلك بكل ردة رددتها مسألة تسألنيها فقلت : اللهم اغفر لأمتي ، اللهم اغفر لأمتي ، وأخرت الثالثة ليوم ترغب إليَّ الخلق كلُّهم حتى إبراهيم ﷺ . انفرد بإخراجه مسلم [٤] .

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح ، فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد ، فيقول : بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك . انفرد بإخراجه مسلم [٥] .

وعن أنس أن النبي ﷺ قال : أنا أول الناس خروجًا إذا بُعثوا ، وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا يئسوا ، لواء الحمد بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر . رواه الترمذي [٦] .

---

(١) رواه البخاري (٣٣٥ ، وفى مواطن أخرى) ، ومسلم (المساجد / ٣) .

(٢) يقال : مثل الركية ينثلها : استخرج ترابها .

(٣) رواه البخاري (٢٩٧٧ ، وفى مواطن أخرى) ، ومسلم (المساجد / ٦) .

(٤) رواه مسلم (المسافرين / ٢٧٣) باب بيان القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه .

(٥) رواه مسلم (الإيمان / ٣٣٣) باب : أنا أول الناس يشفع فى الجنة .

(٦) رواه الترمذى (٣٦١٠) وقال : حديث حسن غريب .

قال ابن الأنباري : المعنى لا أتبجَّح بهذه الأوصاف وإنما أقولها شكرًا لربى ومنبّهًا أمتي على إنعامه عليَّ ، وقال ابن عقيل : إنما نفى الفخر الذي هو الكبر الواقع في النفس المنهيّ عنه ، الذي قيل فيه : ﴿ **لا يحب كل مختال فخور** ﴾ [1] ولم ينف فخر التجمل بما ذكره من النعم التي بمثلها يفتخر ؛ ومثله قوله : ﴿ **لا يحب الفرحين** ﴾ [2] يعني : الأشِرين ، ولم يُرد الفرح بنعمة الله تعالى .

قال الخطابي : ما زلت أسأل عن معنى قوله : « لواء الحمد بيدي » حتى وجدته في حديث يُروى عن عقبة بن عامر أن أول من يدخل الجنة الحمَّادون الله على كل حال ، يُعقَد لهم لواء فيدخلون الجنة .

وقد روى مسلم في أفراده من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال : **أنا أوّل الناس يشفع يوم القيامة ، وأنا أكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة ، وأنا أول من يقرع باب الجنة** [3] .

وفي أفراده من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : **أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشقّ عنه القبر وأول شافع ومشفع** [4] .

وعن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي ﷺ ، قال فغضب وقال : « **أمُتَهَوِّكون فيها يا ابن الخطاب ؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقيةً ، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحقٍّ فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به والذي نفسي بيده لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني** . رواه الإمام أحمد [5] .

(ذكر مثله ومثل الأنبياء من قبله ﷺ)

عن أبي هريرة ، قال : قال أبو القاسم ﷺ : « **مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل ابتنى بيتاً فأحسنها [وأجملها وأكملها] إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها ، فجعل الناس يطوفون ويُعجبهم البنيان فيقولون : ألا وُضعت هاهنا لبنة فيتم بنيانك ، فقال : محمد ﷺ فكنت أنا اللبنة** » أخرجاه في « الصحيحين » [6] .

(ذكر مثله ومثل ما بعثه الله به ﷺ)

عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : « **إن مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى**

---

(١) سورة لقمان آية : ١٨ .　　(٢) سورة القصص آية : ٧٦ .

(٣) رواه مسلم (الإيمان / ٣٣١) باب أنا أول الناس تبع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً.

(٤) رواه مسلم (الفضائل / ٣) باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق .

(٥) رواه أحمد (٣/ ٣٨٧) ، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٧) وغيرهما، وانظر الإرواء (١٥٨٩).

(٦) رواه البخاري (٣٥٣٥) ، ومسلم (الفضائل / ٢٢) باب : ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين .

قومه فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العُريان، فالنجاء ، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلتهم ، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم . فذلك مَثل من أطاعني واتَّبع ما جئت به ، ومَثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق ». أخرجاه في « الصحيحين » (١) .

(ذكر مشى الملائكة من ورائه ﷺ)

عن جابر قال : كان أصحاب النبي ﷺ يمشون أمامه إذا خرج ويدعون ظهره للملائكة. رواه الإمام أحمد (٢) .

(ذكر وجوب تقديم محبته ﷺ على النفس والولد والوالد)

عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من نفسه ووالده وولده والناس أجمعين » . أخرجاه في « الصحيحين » (٣) .

وعن عبد الله بن هشام قال : كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر : يا رسول الله لأنت أحبُّ إليَّ من كل شيء إلا نفسي : فقال لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك . فقال له عمر : فإنه الآن والله لأنت أحبُّ إليَّ من نفسي فقال النبي ﷺ : الآن يا عمر . رواه البخاري منفردًا (٤) .

(ذكر تعظيم الصحابة للنبي ﷺ وحبهم إياه)

عن أنس ، قال : لقد رأيت النبي ﷺ والحلاق يحلقه وقد أطاف به أصحابه، فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل . انفرد بإخراجه مسلم (٥) .

وعنه قال ، لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبى ﷺ وأبو طلحة بين يدي النبي ﷺ مُجوِّبٌ عليه بحَجفَة له ، وكان أبو طلحة رجلاً راميًا شديد النزْع ، كسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً ، قال : وكان الرجل يمر ، معه الجعبة من النبل ، فيقول : انثرها لأبي طلحة . قال : ويشرف النبي ﷺ ينظر إلى القوم ، فيقول أبو طلحة : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لا تُشْرف يُصبك سهم من سهام القوم ، نحري دون نحرك . رواه البخاري (٦) .

---

(١) رواه مسلم (الفضائل / ١٦) باب شفقته ﷺ على أمته ومبالغته فى تحذيرهم مما يضرهم .

(٢) رواه أحمد (٣/ ٣٢) .

(٣) رواه البخاري (برقم / ١٥) ومسلم (الإيمان / ٧٠) باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين ، وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة .

(٤) رواه البخاري (٣٦٩٤ ، وفى مواطن آخرى) .

(٥) رواه مسلم (كتاب الحج / ٣٢٣) باب بيان أن السُّنَّة يوم النحران يرمى ثم ينحر ثم يحلق . بنحوه .

(٦) رواه البخاري (٣٨١١) .

وفي الصحيحين [1] من حديث أبي جُحَيفة قال : أتيت النبي ﷺ فخرج بلال بوضوئه، فرأيت الناس يبتدرون ذلك الوضوء فمن أصاب منه شيئًا تمسَّح به ومن لم يصب منه أخذ من بلل يد صاحبه وخرج النبي ﷺ ، وقام الناس فجعلوا يأخذون يده ويمسحون بها وجوههم ، فأخذت يده فوضعتها على وجهي فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب من ريح المسك .

وعن أنس ، قال : لما كان يوم أحد حاص الناس حَيْصة وقالوا : قتل محمد ، حتى كثرت الصوارخ في نواحي المدينة . قال : فخرجت امرأة من الأنصار فاستُقبلت بأخيها وأبيها وزوجها وابنها ، لا أدري بأيِّهم استقبلت أولاً ، فلما مرَّت على آخرهم قالت : من هذا ؟ قالوا : هذا أخوك وأبوك وزوجك وابنك . قالت : فما فعل النبي ﷺ ؟ فيقولون أمامك ، حتى ذهبت إلى رسول الله ﷺ فأخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا أبالي إذا سلمتَ من عطب .

(ذكر عبادة رسول الله ﷺ واجتهاده)

عن علقمة ، قال : سألت عائشة : أكان رسول الله ﷺ يخص شيئًا من الأيـام؟ قالت: لا ، كان عمله ديمةً ، وأيكم يطيق ما كان رسول الله ﷺ يطيق؟ أخرجـاه في «الصحيحين » [2] .

وعن كُريب أن ابن عباس أخبره أنه بات عند خالته ميمونة ـ زوج النبي ﷺ قال : فاضطجعت في عرض الوسادة ، واضطجع رسول الله ﷺ وأهله في طولها فنام رسول الله ﷺ حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل ، استيقظ رسول الله ﷺ فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده ثم قرأ العشْر الآيات الخواتم من سورة آل عمران ثم قام إلى شَنٍّ معلقة فتوضأ منها فأحسن وضُوءه ثم قام يصلي ، قال ابن عباس – رضي الله عنهما: فقمت فصنعت مثل ما صنع ثم ذهبت فقمت إلى جنبه فوضع رسول الله ﷺ يده اليمنى على رأسي وأخذ بأذني اليمنى يفتلها ، فصلى ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم أوتر ، ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين ، ثم خرج فصلى الصبح . أخرجاه في « الصحيحين » [3] .

---

(١) رواه البخاري (١٨٧ ، ٣٧٦ ، ٤٩٥ ، ٤٩٩) ومسلم (الصلاة / ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢، ٢٥٣) باب سترة المصلي .

(٢) رواه البخاري (١٩٨٧) ومسلم (صلاة المسافرين / ٢١٧) باب فضيلة العمل الدائم .

(٣) رواه البخاري (١٨٣ ، ٩٩٢ ، وفى مواطن أخرى) ، ومسلم (المسافرين / ١٨٢) باب الدعاء فى صلاة الليل قيامه .

وعن عبد الله بن شقيق ، قال : سألت عائشة – رضي الله عنها – عن صلاة رسول الله ﷺ من التطوع . فقالت : كان يصلي قبل الظهر أربعًا في بيتي ، ثم يخرج فيصلي بالناس، ثم يرجع إلى بيتي فيصلي ركعتين وكان يصلي بالناس المغرب ثم يرجع إلى بيتي فيصلي ركعتين ، وكان يصلي بهم العشاء ثم يدخل بيتي فيصلي ركعتين ، وكان يصلي من الليل تسع ركعات فيهن الوتر ، وكان يصلي ليلاً طويلاً قائمًا ، وليلاً طويلاً جالسًا فإذا قرأ وهو قائم ركع وسجد وهو قائم وإذا قرأ وهو قاعد ركع وسجد وهو قاعد، وكان إذا طلع الفجر صلى ركعتين ثم يخرج فيصلي بالناس صلاة الفجر . انفرد بإخراجه مسلم [1] .

وقد اختلفت الرواية في عدد الركعات اللواتي كان رسول الله ﷺ يصليهن بالليل ، فقال الترمذي : أقل ما روي عنه تسع ركعات وأكثره ثلاث عشرة مع الوتر وقد روي عنه إحدى عشرة ركعة .

قلت : وقد روى البخاري من حديث مسروق قال : سألتُ عائشة – رضي الله عنها – عن صلاة رسول الله ﷺ بالليل ، فقالت : سبع وتسع وإحدى عشرة، سوى ركعتي الفجر وهذا غير ما قال الترمذي [2] .

وعن حُميد ، قال : سئل أنس بن مالك – رضي الله عنه – عن صلاة رسول الله ﷺ من الليل ، فقال : ما كنا نشاء من الليل أن نراه مصليًا إلا رأيناه ، وما كنا نشاء أن نراه نائمًا إلا رأيناه وكان يصوم من الشهر حتى نقول لا يفطر شيئًا . أخرجاه في «الصحيحين» [3] .

وعن عبد الله ، قال : صلَّيت مع النبي ﷺ ذات ليلة فلم يزل قائمًا حتى هممت بأمر سوءٍ . قلنا : ما هممت ؟ قال : هممت أن أجلس وأدعه . أخرجاه في «الصحيحين»[4] .

وعن حذيفة ، قال : صلَّيت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت : يركع عند المائة . قال : ثُمَّ مضى فقلت : يصلي بها في ركعة فمضى ، فقلت : يركع بها ثم افتتح «النساء » فقرأها ، ثم افتتح آل عمران فقرأها ، يقرأ مترسلاً إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبَّح ، وإذا مرَّ بسؤال سأل ، وإذا مر بتعوُّذ تعوَّذ ، ثم ركع فجعل يقول : سبحان ربي

---

(١) رواه مسلم (صلاة المسافرين / ١٠٥) باب جواز النافلة قائمًا وقاعدًا .

(٢) رواه البخاري (١١٣٩) . (٣) رواه البخاري ومسلم .

(٤) رواه البخاري (١١٣٥) ومسلم (المسافرين / ٢٠٤) باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل.

العظيم ، فكان ركوعه نحواً من قيامه ، ثم قال: سمع الله لمن حمده ، ثم قام طويلاً قريبًا مما ركع ، ثم سجد فقال : سبحان ربي الأعلى ، فكان سجوده قريبًا من قيامه . انفرد بإخراجه مسلم [1] .

وسورة النساء في هذا الحديث مقدمة على آل عمرن وكذلك هي في مصحف ابن مسعود.

وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت : كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تتفطّر رجلاه. قالت عائشة :يا رسول الله أتصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : يا عائشة ، أفلا أكون عبدًا شكورًا ؟ . أخرجاه في « الصحيحين » [2] .

(ذكر عيشه وفقره ﷺ)

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : اللهم اجعل رزق آل محمد قُوتًا . أخرجاه في « الصحيحين » [3] .

وعن أبي حازم ، قال : رأيت أبا هريرة يشير بإصبعه مرارًا : والذي نفس أبي هريرة بيده ما شبع رسول الله ﷺ وأهله ثلاثة أيام تباعًا من خبز حنطة حتى فارق الدنيا . أخرجاه في « الصحيحين »[4] .

وعن عائشة قالت : كان ضجاع النبي ﷺ ينام عليه بالليل من أَدَم محشوا ليفًا . أخرجاه في « الصحيحين »[5] .

وعن سماك بن حرب قال : سمعت النعمان بن بشير يخطب ، قال : ذكر عمر ما أصاب الناس من الدنيا فقال : رأيت رسول الله ﷺ يظل اليوم يلتوى ما يجد دَقَلاً [6] يملأ بطنه . انفرد بإخراجه مسلم [7] .

---

(١) رواه مسلم (صلاة المسافرين /٢٠٣) باب استحباب تطويل القراءة فى صلاة الليل .

(٢) رواه مسلم (صفات المنافقين/٨١) عن عائشة بهذا اللفظ وانفرد به مسلم لكن رواه البخاري (١١٣٠ ، ٤٨٣٦ ، ٦٤٧١) ومسلم (صفات المنافقين /٧٩) وغيرهما من حديث المغيرة بن شعبة ولفظه « أن النبي ﷺ صلى حتى انتفخت قدماه فقيل له : أتكلف هذا ؟ وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : « أفلا أكون عبدًا شكورًا ؟! » .

(٣) رواه البخارى (٦٤٦٠) ومسلم (الزكاة /١٢٦) باب فى الكفاف والقناعة .

(٤) رواه البخارى (٥٣٧٤) ومسلم (الزهد /٣٢ ، ٣٣) باب الدنيا سحن المؤمن وجنة الكافر .

(٥) رواه البخاري (٦٤٥٦) ومسلم (اللباس /٣٨) باب التواضع فى اللباس والاقتصار على الغليظ واليسير فى اللباس والفراش وغيرهما .

(٦) الدقل : هو الردئ من التمر .

(٧) رواه مسلم (الزهد / ٣٦) باب : الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر .

وعن قتادة قال : كنا نأتي أنسًا وخبّازه قائم ، قال : فقال يومًا : كلوا فما أعلم رسول الله ﷺ رأى رغيفًا مرّققًا ولا شاة سميطًا قط . انفرد بإخراجه البخاري[1] .

وعن أبي هريرة أنه مرّ بقوم بين أيديهم شاة مصلية ، فدعوه فأبى أن يأكل وقال: خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير . رواه البخاري[2] .

وروي عن عائشة قالت : ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام البُرِّ ثلاث ليال تباعًا حتى قُبض [3] .

وعن أبي حازم قال : سألت سهل بن سعد فقلت له : هل أكل رسول الله ﷺ النَقيَّ؟ قال سهل : ما رأى رسول الله النَّقِيَ من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله . قال : فقلت : كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول ؟ قال : كنا نطحنه وننفخه فيطير ما طار ، فما بقي ثرّيناه فأكلناه [4] .

وعن ابن عباس ، قال : كان رسول الله ، يبيت الليالي المتتابعة طاويًا وأهله لا يجدون عشاء ، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير . رواه الترمذي [5] .

وعن جابر قال : لما حفر النبي ﷺ وأصحابه الخندق أصابهم جهد شديد حتى ربط النبي ﷺ على بطنه حجرًا من الجوع . رواه الإمام أحمد [6] .

وعن عروة أنه سمع عائشة - رضي الله عنها - تقول : كان يمر بنا هلال وهلال ما تُوقد في بيت من بيوت رسول الله ﷺ نار قال : قلت : يا خالة فعلى أى شيء كنتم تعيشون ؟ قالت : على الأسودين التّمرِ والماء . رواه الإمام أحمد [7] .

وعن ابن عباس قال : قبض النبي ﷺ وإن درعه لمرهونة عند رجل من يهود على ثلاثين صاعًا من شعير أخذها رزقًا لعياله . رواه الإمام أحمد [8] .

وعن عائشة ، قالت : ما رفع رسول الله ﷺ قطّ غداء لعشاء ولا عشاء قط لغداء ولا اتخذ من شيء زوجين ، لا قميصين ، ولا ردائين ولا إزارين ، ولا من النعال ، ولا رئي قطّ فارغًا في بيته إما يخصف نعلاً لرجل مسكين أو يخيط ثوبًا لأرملة .

---

(١) رواه البخاري (٦٤٥٧) . (٢) رواه البخاري (٥٤١٤) . (٣) رواه البخاري (٦٤٥٤) .

(٤) رواه الترمذي (٢٣٦٤) وصححه ، وأصله في صحيح البخاري ورواه ابن ماجه (٣٣٣٥) وقد صححه الشيخ الألباني .

(٥) **رواه** الترمذي (٢٣٦٠) وابن ماجة (٣٣٤٧) وأحمد (١/ ٢٥٥ ، ٣٧٤) والترمذي فى الشمائل (٨٧) وقد حسنه الشيخ الألباني وانظر الصحيحة (٢١١٩) ومختصر الشمائل (١٢٥) .

(٦) رواه أحمد (٣/ ٣٠١) . (٧) رواه البخاري (٦٤٥٩) بنحوه ورواه أحمد (٦/ ٧١ ، ٨٦) .

(٨) رواه البخارى (٢٩١٦ ، وفى مواطن أخرى) .

وعن أنس بن مالك أن فاطمة - عليها السلام - جاءت بكسرة خبز إلى النبي ﷺ فقال : ما هذه الكسرة يا فاطمة ؟ قالت : قرصٌ خبزتهُ فلم تَطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة. فقال : أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام [١] .

(عدد غزواته وسراياه ﷺ)

غزا رسول الله ﷺ سبعًا وعشرين غزاة ، وقاتل منها في تسع : بدرٍ وأُحد ، والمُرَيْسيع ، والخندق ، وقريظة ، وخيبر ، والفتح ، وحنين ، والطائف ، وقيل : إنه قاتل في بني النضير ، وفي غزاة وادي القرى مُنصرفَه من خيبر ، وقاتل في الغابة .

(ذكر فصاحته ﷺ)

كان رسول الله ﷺ أفصح العرب ، وكان يقول : إن الله - عز وجل - أدَّبني فأحسن أدبي ، ونشأت في بني سعد . وقال : بُعثت بجوامع الكلم .

وقد روي أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال له : يا رسول الله ما بالك أفصحنا ؟ قال : لأن كلام إسماعيل - عليه السلام - كان درس فأتى به جبريل - عليه السلام - فعلمنيه .

وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : ما سمعت كلمة عربية من العرب إلا وقد سمعتها من رسول الله ﷺ ، وسمعته يقول : « مات حتْفَ أنفه » وما سمعتها من عربي قبله . ومعنى هذا : أن الميت على فراشه يتنفس حتى ينقضي رمقه.

(ومن كلامه المتقن وأمثاله العجيبة ﷺ)

قوله : « إيَّاكم وخَضْرَاءَ الدمَن » ، قيل له : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : «المرأة الحسناء في المنبت السُّوء » [٢] .

وقوله : « إن مما يُنبت الربيعُ لما يقتل حبَطًا أو يُلِمُّ »[٣] . والمعنى : أن الماشية يروقها نبت الربيع فتأكل فوق حاجتها فتهلك . والحبط : أن تَرِمَ بطونها وتنتفخ ، فزجر بهذا الكلام عن فضول الدنيا .

وقوله : « لا يَنتطح فيها عنزان » [٤] ، و « لا يُلدغ المؤمن من جُحرٍ مرتين» [٥] .

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٢١٢) وابن سعد في الطبقات (١/ ١٢/ ١١٤) .

(٢) انظر السلسلة الضعيفة (١٤) ، والتلخيص الحبير (٣/ ١٤٥) وقد ذكره العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٤٢) وذكره الفتني في تذكرة الموضوعات (١٢٧).

(٣) رواه أحمد (٣/ ٩١) ، والبيهقي (٣/ ١٩٨) ، وانظر الفتح (١١/ ٢٤٨) .

(٤) رواه ابن سعد في طبقاته (٣/ ١/ ١٨) ، والخطيب البغدادي (١٣/ ٩٩) .

(٥) رواه البخاري (٦١٣٣) ، ومسلم (الزهد / ٦٣) .

وقوله : « هدنة على دخن ، وجماعة على أقذاء » (١) .

وقوله : « الآن حميَ الوطيس » (٢) .

وقوله : « الناس كأسنان المشط » (٣) .

و« المرء كثير بأخيه » (٤) .

و« لا خير في صحبةِ مَن لا يرى لك من الحق مثل ما يرى لنفسه » (٥) .

وقوله في الخيل « بطونُها كنز وظهورها حِرْز » .

و« خير المال مُهرة مأمورة أو سكَّة مأبورة » (٦) .

وقوله للأنصار : « إنكم لَتقِلُّون عند الطمع وتكثرون عند الفزع » .

وقوله : « خير المال عين ساهرة لعين نائمة ».

و« من بَطَّأ به عملُه لم يُسرع به نَسبه » (٧) .

وقوله « حبُّك للشيء يُعمي ويُصِمّ (٨) ، و« كلُّ الصَّيد في جوْف الفرا » (٩) .

« جُبِلت القلوب على حبِّ من أحسن إليها » (١٠) .

و« البلاء وكَّل بالمنطق » (١١) .

« الناس معادن كمعادن الذهب والفضة » (١٢) .

« ما نحل والد ولدًا أفضل من أدب حسن » (١٣) .

---

(١) رواه أبو داود (أول كتاب الفتن) ، والحاكم (٤/ ٤٣٣) وابن عساكر (٥/ ١٦٥) .

(٢) رواه أحمد (١/ ٢٠٧) ، والطبرانى فى الكبير (٧/ ٣٥٨) ، وأبو نعيم في دلائل النبوة (٤/ ٣٦٩، ٥/ ١٣٢ ، ١٣٩) ، وانظر : مجمع الزوائد (٦/ ١٨٢) .

(٣) انظر السلسلة الضعيفة (٥٩٦) .

(٤) انظر السلسلة الضعيفة (٥٩٦) .

(٥) المصدر السابق وقد ذكره الحافظ العراقي فى المغني (٢/ ١٨٧) .

(٦) رواه أبو داود (٥١٣٠) ، وانظر الفتح (٨/ ٣٩٥) ، والمجمع (٥/ ٢٥٨) .

(٧) رواه مسلم (الذكر والدعاء / ٣٨) وأحمد (٢/ ٢٥٢) ، وأبو داود (٣٦٤٢) والترمذي (٢٩٤٨).

(٨) رواه أبو داود (٥١٣٠) ، وأحمد (٥/ ١٩٤، ٦/ ٤٥٠) ، وانظر السلسلة الضعيفة (١٨٦٨) .

(٩) انظره فى تذكرة الموضوعات للفتني (١٦٨) وكشف الخفا (٢/ ١٧٧) .

(١٠) رواه الخطيب البغدادي (٤/ ٢٧٧ ، ١١/ ٩٤) ، وابن عدي في الكامل (٢/ ٧٠١) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٢١) ، وانظر الضعيفة (٦٠٠) .

(١١) المصدر السابق (٢٣٧٨ ، ٢٣٧٩) والفوائد المجموعة للشوكاني برقم (٦٨٢-بتحقيقى) .

(١٢) رواه مسلم (البر والصلة / ١٦٠) باب الأرواح جنود مجندة ، وأبو داود (٤٨٣٤).

(١٣) رواه أحمد (٤/ ٧٧) ، والترمذي (١٩٥٢) والحاكم (٤/ ٢٦٣) .

« زُر غبًّا تزددْ حبا » (١) .

« الصَّمت حُكمٌ وقليلٌ فاعله » (٢) .

« الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » (٣) .

« إنما الأعمال بالنيات » (٤) .

« نية المؤمن أبلغ من عمله » (٥) .

« إنكم لن تسعُوا الناس بأموالكم فسَعوهم بأخلاقكم » (٦) .

« الخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل » (٧) .

« المتشبّع بما لم يُعط كلابس ثَوبْي زور » (٨) .

« ليس الخبرُ كالمعاينة » (٩) .

« لا حليم إلا ذو أناة ، ولا حكيم إلا ذو تجربة » (١٠) .

« الحرب خدْعة » (١١) .

« يا خيل الله اركبي » (١٢) .

« إن هذا الدِين مَتينٍ فأوْغل فيه برفق » (١٣) .

---

(١) رواه الحاكم (٣/ ٣٤٧ ، ٤/ ٣٣٠) ، والطبرانى (٤/ ٢٦) وابن عدي (٢/ ٤٤٨ ، ٣/ ١٠٠٦) ، والخطيب البغدادي فى تاريخ بغداد (١٠/ ١٨٢ ، ١٢/ ١٨ ، ١٤/ ١٠٨) ، وانظر مجمع الزوائد (٨/ ١٧٥) ، وصحيح الجامع (٣٥٦٨) .

(٢) رواه ابن عدى (٥/ ١٨١٦) وانظر ضعيف الجامع (٣٥٥٧) .

(٣) رواه مسلم (أول كتاب الزهد) والترمذي (٢٣٢٤) وابن ماجة (٤١١٣) .

(٤) رواه البخاري الحديث الأول ، ومسلم (الإمارة / ١٥٥) باب إنما الأعمال بالنية .

(٥) رواه الطبرانى (٦/ ٢٢٨) ، وانظر ضعيف الجامع (٥٩٨٨) .

(٦) انظر الضعيفة (٦٣٤) ، وفتح البارى (١٠/ ٤٥٩) ، وذكره المنذري في الترغيب (٣/ ٤١١) .

(٧) رواه الطبراني (١٠/ ٣٨٨) ، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤١١) ، وانظر المجمع (٨/ ٢٤) ، والضعيفة (٤٤١) .

(٨) رواه البخاري (٥٢١٩) ، ومسلم (اللباس / ١٢٦ ، ١٢٧) .

(٩) رواه أحمد (١/ ٢٧١) ، وابن حبان (٢٠٨٧)، وابن عدي (١/ ٢٠٣ ، ٤/ ١٥٨٠) والخطيب (٣/ ٣٦٠) ، وانظر المجمع (١/ ١٥٣) .

(١٠) رواه الترمذي (٢٠٣٣) ، وأحمد (٣/ ٨ ، ٦٩)، والحاكم (٤/ ٢٩٣) بنحوه .

(١١) رواه مسلم (١٣٦١ ، ١٣٦٢) والترمذي (١٦٧٥) ، وأحمد (٣/ ٢٩٦) .

(١٢) رواه ابن سعد (٢/ ١/ ٥٨) والطبري (٦/ ١٣٣) ، وانظر فتح البارى (٧/ ٤١٣) .

(١٣) رواه البيهقي (٣/ ١٨ ، ١٩)، وابن عبد البر في التمهيد (١/ ١٩٥) ، وابن المبارك فى الزهد (٤١٥) ، والحافظ العراقى فى المغنى عن حمل الأسفار (٤/ ٧٧) ، وانظر فتح البارى (١١/ ٢٩٧) ، ومجمع الزوائد (١/ ٦٢) ، والسلسلة الضعيفة (٢٢٤٦) للألبانى .

« إن المُنْبتَّ لا أرضًا قطعَ ولا ظهرًا أبقى »[1] .

« من يشادَّ هذا الدين يغلبه » [2] .

« المؤمن مرآة المؤمن » [3] .

« الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني » [4] .

« ما قل وكفى خير مما كثر وألهى » [5] .

« من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يَعنيه » [6] .

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلْيقل خيرًا أو ليصمت » [7] .

« تُنكح المرأة لمالها ولجمالها ودِينها وحسبها ، فعليك بذات الدين تَربت يداك» [8] .

« الشتاء ربيع المؤمن ، قَصُر نهاره فصامه وطال ليْلُه فقامه » [9] .

« ليس الشديد الذي يغلب الناس ،ولكن الشديد الذي يغلب نفسه » [10] .

« مَن ضَمِن لي ما بين لَحْيَيه ورجليه ضمنتُ له الجنة » [11] .

« اليد العليا خير من اليد السفلى » [12] .

« خير الصدقة ما كان عن ظهر غنىً وابدأ بمن تعول » [13] .

---

(١) هو تمام الحديث الذي قبله .

(٢) رواه أحمد (٥/ ٣ ، ٣٦١) ، والبيهقي (٣/ ١٨) وابن أبي عاصم (١/ ٤٦) .

(٣) رواه أبو داود (٤٩١٨) ، والبيهقي (٣/ ٣٧٥)، وابن عدي في الكامل (٢٢٣٦) والحافظ العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ١٨١) ، والبخاري في الأدب المفرد (٢٣٩) .

(٤) رواه أحمد (٤/ ١٢٤) ، والبيهقي (٣/ ٣٦٩) ، والحاكم (١/ ٥٧ ، ٤/ ٢٥١) ، والطبراني (٧/ ٣٣٨ ، ٣٤١) ، وفي الصغير (٢/ ٣٦) ، والبغوي في شرح السنة (١٤/ ٣٠٨، ٣٠٩) .

(٥) رواه ابن عدي (١/ ٢٧٦) ، وانظر السلسلة الصحيحة (٩٢٧) ، والمجمع (١٠/ ٢٥٥) .

(٦) رواه الترمذي (٢٣١٧) ، وأحمد (١/ ٢٠١) .

(٧) رواه البخاري (٦٠١٩) ، ومسلم (الإيمان / ٧٤).

(٨) رواه البخاري (٥٠٩٠) ، ومسلم (الرضاع / ٥٣) باب استحباب نكاح ذات الدين .

(٩) رواه أحمد (٣/ ٧٥) والبيهقي (٢/ ٢٩٧) وابن عدي في الكامل (٣/ ٩٨١ ، ٩٨٢) ، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٢٥) وانظر الصحيحة (١٩٢٢) ، والمجمع (٣/ ٢٠٠) .

(١٠) رواه البخاري (٦١١٤) ، ومسلم (البر والصلة / ١٠٧ ، ١٠٨) بلفظ : « ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب . . » .

(١١) انظر المجمع (١٠/ ٣٠٠) . (١٢) رواه البخاري (١٤٢٩) ، ومسلم (الزكاة / ٩٤) .

(١٣) رواه البخاري (١٤٢٦) ، ومسلم (الزكاة / ٩٥) .

« أفضل الصدقة جهدٌ من مُقِل » [١] .

« كلمة الحكمة ضالة كل حكيم » [٢] .

« القناعة مال لا ينفد » [٣] .

« استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك »[٤] .

« الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة ، والتودد إلى الناس نصف العقل ، وحسن السؤال نصف العلم »[٥] .

« المؤمن من أَمِنه الناس [٦] » .

«والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » [٧] .

« شرُّ ما فى الرجل : شُحٌّ هالع وجبن خالع » [٨] .

« أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تَخُن من خانك » [٩] .

« لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له » [١٠] .

« حُسن العهد من الإيمان » [١١] .

« جمال الرجل فصاحة لسانه » .

---

(١) رواه ابن عدي (٣/ ١٠٨٥) والحميدي في مسنده (١٢٧٦) ، وانظر الصحيحة (٥٦٦) والإرواء (٣/ ٤١٤) .

(٢) انظر كشف الخفا (١/ ٤٣٥) .

(٣) رواه ابن عدي في الكامل (٤/ ١٥٠٧) ، والشجرى في آماليه (٢/ ١٩٨) .

(٤) رواه الطبراني (١١/ ٤٤٤) ، وذكره المنذري في الترغيب (١/ ٥٨٤) ، والبيهقي في الشعب (٣٥٢٧)، وانظر الصحيحة (١٤٥٠) .

(٥) رواه الخطيب فى الفقيه (٢/ ٣٣) ، وانظر الفتح (١٢/ ١٣٨) .

(٦) رواه الترمذي (٢٦٢٧) ، وابن ماجة (٢٩٣٤)، وأحمد (٢/ ٣٧٩، ٣/ ١٥٤) والحاكم (١/ ١١).

(٧) رواه البخاري (٦٤٨٤) عن عبد الله بن عمرو ، ومسلم (الإيمان / ٦٥) عن جابر ، ورواه البخاري أيضاً (١٠) عن ابن عمر .

(٨) رواه أبو داود (٢٥١١) ، وأحمد (٢/ ٣٠٢ ، ٣٢٠) والبيهقي (٩/ ١٧٠) ، وابن حبان (٨٠٨) وابن أبي شيبة (٩/ ٩٨) ، وانظر الصحيحة (٥٦٠) .

(٩) رواه أبو داود (٣٥٣٤) ، والترمذي (١٢٦٤) ، وأحمد (٣/ ٤١٤)، والبيهقي (١٠ / ٢٧١) والحاكم (٢/ ٤٦) ،والدارقطني (٣/ ٣٥) ، وانظر التلخيص الحبير (٣/ ٩٧) والصحيحة (٤٢٤) .

(١٠) رواه أحمد (٣/ ١٣٥ ، ١٥٤ ، ٢١٠ ، ٢٥١) ، والطبرانى في الكبير (٨/ ٢٣٠ ، ١٠/ ٢٨٠) وابن أبي شيبة (١١/ ١١) وابن عدي (٣/ ١١٩٢ ، ٦/ ٢٢٢١) .

(١١) رواه البخاري في التاريخ (١/ ٣١٥) ، وانظر الأسرار المرفوعة (١٨٢) .

« منهومان لا يشبعان : طالبُ علم وطالب دنيا » [1] .

« لا فقر أشدُّ من الجهل ، ولا مال أعْوَد من العقل ، ولا وحشة أشدُّ من العجب»[2] .

« الذنب لا يُنسى ، والبِرُّ لا يبلى ، والديَّان لا يموت ، فكن كما شئت » [3] .

« كما تدين تدان » [4] .

« الظلم ظلمات يوم القيامة » [5] .

« ما جمع شيء إلى شيء أحسن من حِلْم إلى علم » [6] .

« التمسوا الرزق في خبايا الأرض » [7] .

« كن في الدنيا كأنك غريب أو كعابر سبيل وعُدَّ نفسك من أهل القبور » [8] .

« العفو لا يزيد العبد إلا عزًا ، والتواضع لا يزيده إلا رفعة » [9] .

« ما نقص مال من صدقة » [10] .

« صنائع المعروف تقي مصارع السوء » [11] .

« صلة الرحم تزيد في العمر » [12] .

« اللهم إني أسألك واقيةً كواقية الوليد » [13] .

« اللهم إني أعوذ بك من شرِّ فتنة الغنى وشر فتنة الفقر » .

---

(١) انظر : تذكرة الموضوعات للفتني (١٧٧) .

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٣/ ٦٨) وأبو نعيم في الحليه (٢/ ٣٦) ، والمجمع (١٠/ ٢٨٣) .

(٣، ٤) انظر : كشف الخفا (٢/ ١٨٣ ، ١٨٤) .

(٥) رواه البخاري (٢٤٤٧).

(٦) انظر المجمع (١/ ١٢١) .

(٧) انظر كشف الخفا (١/ ٢٠٣) .

(٨) انظر الصحيحة (١١٥٧) .

(٩) انظر : « إتحاف السادة المتقين » (٨/ ٣٩ ، ٣٥٣) .

(١٠) رواه مسلم (البر والصلة / ٦٩) بنحوه . عن أبي هريرة بلفظ : (ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله) .

(١١) انظر الصحيحة (١٩٠٨) .

(١٢) المصدر السابق والمجمع (٣/ ١١٥) .

(١٣) الترغيب والترهيب (٢/ ٣٢) .

« الدنيا عرض حاضر يأكل منه البَرُّ والفاجر ، والآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر فكونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن كلَّ أم يتبعها ولدها » (١) .

« أخسر الناس صفقة من أذهب آخرته بدنيا غيره » (٢)

« المجالس بالأمانة » (٣) .

« إياكم والطَّمع فإنه فقر حاضر » (٤) .

« استعينوا على نجاح الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود » (٥) .

« إنَّ من كنوز البرِّ كتمان المصائب » .

« الدّالّ على الخير كفاعله » (٦) .

« نعمتان مغبونٌ فيهما كثير من الناس : الصحَّة والفرغ » (٧)

« الناس كإبلٍ مائة لا تجد فيها راحلة » (٨) .

« ليس شيء أفضل من ألف مثله إلا الإنسان »(٩) .

« اليمين حنْث أو ندم » (١٠)

« لا تُظهر الشماتة لأخيك ، فيعافيه الله ويبتليك » (١١) .

« اليوم الرِّهانُ وغدًا السباق ، والغاية الجنة ، والهالك من دخل النار » (١٢) .

قلت : ولو ذهبنا نذكر من كلام رسول الله ﷺ العجيب الوجيز البليغ لطال، إذ كلُّ كلامه يتضمن حكمًا ، وكذلك لو ذهبنا نستقصي آدابه وأخلاقه وأحواله لجاءت مجلدات، وإنما اقتطفنا من كل فن قطفًا ، وأشرنا إلى جملةٍ برمزٍ لأن مثل كتابنا هذا لا يتَّسع للبسط .

---

(١) رواه الشافعي في مسنده (٦٧) . (٢) ذكره السيوطي في جمع الحوامع (٨٣١) .

(٣) رواه أبو داود (٤٨٦٩) وأحمد (٣/ ٣٤٢) والبيهقي (١٠/ ٢٤٧) .

(٤) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٩٠) ، والسيوطي في جمع الجوامع (٩٣٧٠) .

(٥) انظر الفوائد المجموعة . (٦) انظر الصحيحة (١٦٦٠) ، والترغيب(٦٦٢).

(٧) رواه البخارى (٨/ ١٠٩) ، والترمذى (٢٣٠٤) .

(٨) رواه ابن ماجة (٣٩٩٠) ، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٤٤٧) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٩/ ٢٣١) .

(٩) انظر كشف الخفا (٢/ ٢٣٩) .

(١٠) المصدر السابق (٢/ ٥٥٨) ، وميزان الاعتدال (١١٧٩) .

(١١) رواه الترمذى (٢٥٠٦) . (١٢) رواه الطبراني (١٢/ ١١٩) .

(ذكر وفاته ﷺ)

ابتدأ برسول الله ﷺ صداع في بيت عائشة ، قالت : دخل عليَّ رسول الله ﷺ في اليوم الذي بديء فيه ، فقلت : وارأساه . فقال : بل أنا وارأساه ثم اشتد أمره في بيت ميمونة، واستأذن نساءه أن يمرَّض في بيت عائشة فأذِنَّ له ، وكانت مدة علته اثني عشر يومًا ، وقيل أربعة عشر [(١)] .

عن عبيد الله بن عبد الله ، قال : دخلتُ على عائشة فقلت لها : ألا تحدثيني عن مرض رسول الله ﷺ ؟ قالت : بلى ، ثقُل النبى ﷺ ، فقال: أصلَّى الناس ؟ قلنا : لا وهم ينتظرونك يا رسول الله فقال : ضعوا لي ماء في المخضب ففعلنا ، فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه ، ثم أفاق قال : أصلَّى الناس ؟ قلنا : لا وهم ينتظرونك يا رسول الله فقال : ضعوا لي ماء في المخضب ففعلنا ، فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه ثم أفاق فقال أصلى الناس ؟ قلنا :لا وهم ينتظرونك يا رسول الله ، فقال : ضعوا لي ماءً في المخضب ففعلنا ، فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه ثم أفاق فقال : أصلى الناس : فقلنا لا وهم ينتظرونك يا رسول الله قالت : والناس عكوف في المسجد ينتظرون رسول الله ﷺ لصلاة العشاء الآخرة ، قالت : فأرسل رسول الله ﷺ إلى أبي بكر أن يصلي بالناس ، فأتاه الرسول فقال : إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تصلى بالناس فقال أبو بكر وكان أبو بكر رجلاً رقيقًا : يا عمر صلِّ بالناس ، قال: فقال أنت أحق بذلك قالت فصلّى بهم أبو بكر تلك الأيام .

ثم إن رسول الله ﷺ وجد من نفسه خفَّةً فخرج بين رجلين ، أحدهما العباس ، لصلاة الظهر وأبو بكر يصلي بالناس فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر فأومأ إليه النبي ﷺ أن لا يتأخر . وأمرهما فأجلساه إلى جنبه . فجعل أبو بكر يصلى قائمًا ورسول الله ﷺ يصلى قاعدًا .

فدخلتُ على قال عبيد الله : عبد الله ابن عباس فقلت: له : ألا أعرض عليك ما حدثتني عائشة عن مرض رسول الله ﷺ ؟ فقال : هات فحدَّثته بحديثها فما أنكر منه شيئًا ، غير أنه قال : أسمَّت لك الرجل الذي كان مع العباس ؟ قلت : لا . قال : هو علي . أخرجاه في « الصحيحين » [(٢)] .

قال ابن حبيب الهاشمي : صلى أبو بكر بالناس في مرض رسول الله ، سبع عشرة صلاة ، ويقال : ثلاثة أيام .

---

(١) رواه البخاري (٥٦٦٦ ، ٧٢١٧) . (٢) رواه البخارى (٦٨٧) ، ومسلم (الصلاة / ٩٠) .

وعن أنس بن مالك الأنصاري : أن أبا بكر كان يصلِّي بهم في وجع النبي ﷺ الذي توفي فيه ، حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف فى الصلاة فكشف النبي ﷺ ستْر الحجرة ينظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف ، ثم تبسم يضحك، فهممنا أن نفتَتن من الفرح برؤية النبي ﷺ فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصفَّ وظن أن النبي ﷺ خارج إلى الصلاة ، فأشار إلينا النبي ﷺ أن أتموا صلاتكم وأرخى السِّتْر ، فتوفى في يومه ﷺ . أخرجاه في « الصحيحين » [١] .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : كان رسول الله ، يعوذ بهؤلاء الكلمات: «أذهب البأس ربَّ الناس ، اشف وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقماً». قالت : فلما ثقل رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه أخذت بيده فجعلت أمسح بها وأقولها . قالت : فنزع يده مني وقال : « رب اغفر لي وألحقني بالرفيق الأعلى » قالت : فكان هذا آخر ما سمعت من كلامه ﷺ . أخرجاه في «الصحيحين»[٢] .

وعنهما قالت : مات رسول الله ﷺ في بيتى ، ويومي وبين سَحْري ونحري [٣] ، فدخل عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه سواك رَطْب فنظر إليه فظننت أن له فيه حاجة . قالت : فأخذته فمضغته ونفضته وطيَّبته ، ثم دفعته إليه فاستنَّ كأحسن ما رأيته مستنًّا قطُّ ثم ذهب يرفعه إلي فسقط في يده ، فجعلت أدعو الله - عز وجل - بدعاء كان يدعو له به جبريل - عليه السلام - وكان هو يدعو به إذا مرض فلم يدْعُ به في مرضه ذاك ، فرفع بصره إلى السماء وقال : « الرفيق الأعلى ، الرفيق الأعلى » يعني وفاضت نفسه ، فالحمد الذي جمع بين ريقي وريقه في آخر يوم من أيام الدنيا . رواه الإمام أحمد[٤] وعنها - رضي الله عنها - كانت تقول : « إن من نعم الله عليَّ أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي وفي يومي وبين سَحْري ونحري ، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته . دخل عليَّ عبد الرحمن وبيده سواك وأنا مسندة رسول الله ﷺ ، فرأيته ينظر إليه فعرفت أنه يحب السواك، فقلت : آخذه لك ؟ فأشار برأسه أن نعم ، فناولته فاشتدَّ عليه فقلت: ألِّينه لك ؟ فأشار برأسه أن نعم ، فليَّنته فأخذه فأمرَّه وبين يديه ركوة أو علبة - يشك أبو عمرو - فيها ماء ، فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول : لا إله إلا الله ،

---

(١) رواه مسلم (الصلاة / ٩٨) باب : استخلاف الإمام إذا عرض له عذر .

(٢) رواه البخاري (٤٤٦٣) ، ومسلم (فضائل الصحابة / ٨٧) باب : من فضائل عائشة بنحوه .

(٣) السُّحر : الرئة ، والنحر : موضع القلادة من الصدر ، وهو أيضاً موضع نحر الهدى وغيره .

(٤) ورواه البخاري (٤٤٣٨ ، ٨٩٠) .

إن للموت لسكراتٍ ثم نصب يدهُ فجعل يقول : في الرفيق الأعلى ، حتى قبض ومالت يده» .

انفرد بإخراجه البخاري [1] ، والسحْر : الرئة وما يتعلق بها .

عن أبي بُردة قال : أخرجت إلينا عائشة - رضي الله عنها - كساء ملبَّدًا وإزارًا غليظًا، فقالت : قُبض رسول الله ﷺ في هذين . أخرجاه في « الصحيحين » [2] .

وعنها - رضي الله عنها - قالت : ما ترك رسول الله ﷺ دينارًا ولا درهمًا ولا شاة ولا بعيرًا ولا أوصى بشيء . انفرد بإخراجه مسلم[3] .

عن أبي هريرة أن جبريل أتى النبي ﷺ في مرضه الذي قبض فيه فقال : « إن الله - عز وجل - يقرئك السلام ويقول : كيف تجدك ؟ قال : أجدني وجعًا يا أمين الله » ثم جاءه من الغد فقال : يا محمد إن الله - عز وجل - يقرئك السلام ويقول: كيف تجدك قال : «أجدُني يا أمين الله وجعًا . ثم جاءه في اليوم الثالث ومعه ملك الموت فقال : يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول كيف تجدك ؟ قال : « أجدني يا أمين الله وجعًا ، مَنَ هذا معك» ؟ قال : هذا ملك الموت - عليه السلام - وهذا آخر عهدي بالدنيا بعدك وآخر عهدك بها ، ولن آسى على هالك من ولد آدم بعدك ، ولن أهبط إلى الأرض إلى أحد بعدك أبدًا . فوجد النبى ﷺ سكْرة الموت وعنده قدح فيه ماء ، فكلما وجد سكْرةً أخذ من ذلك الماء ، فمسح به وجهه ويقول : « اللهمَّ أعنِّي على سكرة الموت » [4] .

وعن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال : قُبض رسول الله ﷺ يوم الاثنين فمكث ذلك اليوم وليلة الثلاثاء ، ودفن من الليل .

(ذكر إعلام أبي بكر الناس بموت رسول الله ﷺ)

عن عائشة - رضي الله عنها - أن أبا بكر أقبل على فرس من مسكنه بالسُّنْح [5] حتى

---

(١) رواه البخاري (٦٥١٠) .

(٢) رواه البخاري (٥٨١٨) ، ومسلم (اللباس والزينة / ٣٤ ، ٣٥) باب التواضع في اللباس والاقتصار على الغليظ منه واليسير في اللباس والفراش وغيرهما وجواز لبس الثوب الشعر وما فيه أعلام .

(٣) رواه مسلم (الوصايا / ٢٧٤٠) ورواه البخاري عن عمرو بن الحارث (٤٤٦١) ولفظه : « ما ترك رسول الله ﷺ دينارًا ولا درهمًا ولا عبدًا ولا أمة إلا بغلته البيضاء التى كان يركبها ، وسلاحه وأرضًا جعلها لابن السبيل صدقة » .

(٤) رواه الترمذى (٢٩٧٨) ، وابن ماجة (١٦٢٣) ، والحاكم (٢/ ٤٦٥ ، ٣/ ٥٦) ، وأحمد (٦/ ٦٤ ، ٧٠ ، ٧٧ ، ١٥١) وفى سنده جهالة .

(٥) السنح : منازل بنى الحارث وهى بضواحى المدينة .

نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيمم رسول الله ﷺ وهو مغشّى بثوب حبرة [1] فكشف عن وجهه ثم أكبَّ عليه فقبله وبكى ثم قال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، والله لا يجمع الله عليك موْتتين ، أما الموتة التي كُتبت عليك فقد متّها[2] .

قال ابن شهاب : وحدثني أبو سلمة عن عبد الله بن عباس أن أبا بكر خرج وعمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - يكلم الناس ، فقال : اجلس يا عمر فأبى عمر أن يجلس، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر ، فقال أبو بكر : أما بعد ، فإن من كان منكم يعبد محمدًا ﷺ فإن محمدًا قد مات ، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، قال الله تعالى: ﴿ وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خَلَتْ من قَبْله الرسُل ﴾ إلى قوله ﴿ الشاكرين ﴾ [3] .

وقال : والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس كلهم ، فما أسمع بشرًا من الناس إلا يتلوها . فأخبرني سعيد بن المسيب أن عمر قال : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعُقِرتُ حتى ما تُقلُّني رِجلاَي ، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعتُه تلاها إن النبي ﷺ قد مات انفرد بإخراجه البخاري [4] .

(ندب فاطمة عليها السلام عليه ﷺ)

عن أنس - رضي الله عنه - قال : لما ثقل النبى ﷺ جعل يتغشاه الكرب فقالت فاطمة [عليها السلام] : واكرب أبتاه ، فقال لها : ليس على أبيك كرب بعد اليوم . فلما مات قالت : يا أبتاه أجاب ربًا دعاه ، يا أبتاه من جنَّةُ الفردوس مأواه ، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه، فلما دفن قالت فاطمة - عليها السلام - : يا أنس أطابت أنفسكم أن تَحثُوا على رسول الله ﷺ التراب . انفرد بإخراجه البخاري [5] .

(ذكر مبلغ سنه ﷺ)

عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال : أُنزل على رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين ، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشرًا . وتوفي وهو ابن ثلاث وستين . أخرجاه في «الصحيحين » [6] .

وقد ذكرنا في حديث ربيعة عن أنس أنه توفي على رأس ستين . قال أبو بكر

---

(١) الحبرة : نوع من ثياب اليمن .
(٢) رواه البخاري (٤٤٥٢ ، ٤٤٥٣) .
(٣) سورة آل عمران آية : ١٤٤ .
(٤) رواه البخاري (٤٤٥٤) .
(٥) رواه البخاري (٤٤٦٢) .
(٦) رواه البخاري (٣٩٠٢) ، ومسلم (الفضائل /١١٨) باب كم أقام النبي ﷺ بمكة والمدينة .

الخطيب: من قال « ستين » قصد أعشار السنين ، ومن قال « ثلاث وستين » قصد جميع السنين : والإنسان يقول : سني أربعون ولعله قد زاد عليها إلا آن الزيادة لم تبلغ عشرًا. وقد روى عمار مولى بني هاشم عن ابن عباس أن النبي ﷺ توفي وهو ابن خمس وستين، وهذا وهم ، والصحيح الأول .

(ذكر غسل رسول الله ﷺ)

عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال : لما أجمع القوم لغسل رسول الله ﷺ وليس في البيت إلا أهله : عمه العباس ، وعلي بن أبي طالب ، والفضل بن العباس ، وقُثم بن العباس ، وأسامة بن زيد ، وصالح مولاه . فلما أجمعوا على غسله نادى من وراء الباب أوس بن خولى الأنصاري - وكان بدريًا - عليَّ بن أبي طالب فقال : يا علي نشدتك الله حظَّنا من رسول الله ﷺ فقال له علي - عليه السلام : ادخل . فدخل فحضر غسل رسول الله ﷺ ولم يلِ من غسله شيئًا ، قال فأسنده علي إلى صدره وعليه قميصه ، وكان العباس والفضل وقثم يقلبونه مع علي ، وكان أسامة وصالح يصبان الماء ، وجعل علي يغسله ولم يرَ من رسول الله ﷺ شيء مما يُرى من الميت وهو يقول : بأبي وأمي ما أطيبك حيا وميتًا .

حتى إذا فرغوا من غسل رسول الله ﷺ وكان يُغسل بالماء والسِّدر [1] جففوه ثم صُنع به ما يُصنع بالميت ثم أُدرج في ثلاثة أثواب : ثوبين أبيضين وبُرد حبرة .

قال : ثم دعا العباس رجلين فقال : ليذهب أحدكما إلى أبي عبيدة بن الجراح - وكان أبو عبيدة يضرح لأهل مكة - وليذهب الآخر إلى أبي طلحة بن سهل الأنصاري - وكان أبو طلحة يَلَحد لأهل المدينة - قال : ثم قال العباس حين سرحهما : اللهم خرْ لرسولك. قال : فذهبا فلم يجد صاحب أبي عبيدة أبا عبيدة ، ووجد صاحبُ أبي طَلحة، فلحد لرسول الله ﷺ - رواه الإمام أحمد [2] .

وروى جعفر بن محمد قال : كان الماء يَستَنقع في جفون النبي ﷺ فكان علي يَحسُوه.

(ذكر موضع قبره ﷺ)

عن ابن جُريج قال : أخبرني أبي أن أصحاب محمد ﷺ لم يَدروا أين يُقبر النبي ﷺ؟ حتى قال أبو بكر رضي الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لم يُقبر نبي إلا حيث يموت » [3] . فأخَّروا فراشه وحفروا له تحت فراشه .

---

(١) السدر : شجر النبق ، الواحدة « سدرة » والجمع « سدرات » .

(٢) رواه أحمد (١/ ٢٦٠) وفي سنده حسين بن عبد الله . وهو ضعيف .

(٣) رواه عبد الرزاق في مصنفه (٦٥٣٤) ورواه الترمذي (١٠١٨) بلفظ : (ما قبض الله نبيا إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه) .

(ذكر الصلاة عليه ﷺ)

لما غُسل وكُفن ﷺ صلى الناس عليه أفذاذًا لا يؤمهم أحد .

فأما فضل الصلاة عليه باللسان ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه بها عشرًا » . انفرد بإخراجه مسلم [1] .

وعن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشر صلوات ، وحط عنه عشر خطيئات » . رواه الإمام أحمد[2] .

وعن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة . رواه الترمذي [3] .

(ذكر بلوغ سلام أمته إليه ورد السلام على من يسلم عليه ﷺ)

عن عبد الله : قال رسول الله ﷺ : إن لله - عز وجل - في الأرض ملائكة سيَّاحين يبلغوني من أمتي السلام . رواه الإمام أحمد [4] .

وروي أيضًا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « ما من أحد يسلم عليَّ إلا رد الله إليَّ روحي حتى أردَّ عليه السلام » [5] .

آخر المتعلق بأخبار نبينا محمد ﷺ

* * *

(١) رواه مسلم (الصلاة / ٧٠) باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد .

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٢٦١) .

(٣) رواه الترمذي (٤٨٤) بلفظ : « أولى الناس بي ......» .

(٤) رواه الإمام أحمد (١/ ٤٥٢) والحاكم (٢/ ٤٢١) .

(٥) رواه أبو داود (٢٠٤١) وأحمد (٢/ ٥٢٧) والبيهقي (٥/ ٢٤٥) .

ذكر المشهورين بالعلم والزهد والتعبد من أصحاب رسول الله ﷺ
وذكر جمل من أحوالهم وكلامهم – رضى الله عنهم – بدأت بذكر العشرة ثم ذكرت من بعدهم على ترتيب طبقاتهم

٢ ـ أبو بكر الصديق رضى الله عنه

(ذكر اسمه ونسبه)

اسمه عبد الله بن عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب[١] بن لؤي.

واسم أمه : أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر ، ماتت مسلمة .

وفي تسميته بعتيق ثلاثة أقوال :

أحدها : ما روي عن عائشة أنها سئلت : لِمَ سُمي أبو بكر عتيقًا ؟ فقالت : نظر إليه رسول الله ﷺ فقال : هذا عتيق الله من النار [٢] .

والثاني : أنه اسم سمَّته به أمه – قاله موسى بن طلحة .

والثالث : أنه سمي به لجمال وجهه – قاله الليث بن سعد [٣] .

وقال ابن قتيبة : لقَّبه النبي ﷺ بذلك لجمال وجهه ، وسماه النبي ﷺ صدِّيقًا وقال: «يكون بعدي اثنا عشر خليفة ، أبو بكر الصديق لا يلبث إلا قليلا » [٤] . وكان علي

---

(١) ومن هنا يجتمع فى نسبه – رضى الله عنه – مع النبى ﷺ .

(٢) أخرجه الترمذى برقم (٣٦٧٩) ، وقال : هذا حديث غريب .

(٣) قال الإمام النووى فى « تهذيب الأسماء : وما ذكرناه من أن اسم أبى بكر « عبد الله » : هو الصحيح المشهور ، وقيل : اسمه « عتيق » .

قال : والصواب الذى عليه كافة العلماء أن عتيقاً لقب له لا اسم ، ولقب عتيقاً لعتقه من النار – كما ورد فى حديث رواه الترمذى – وقيل : لعتاقة وجهه – أى : حسنه وجماله – قاله مصعب بن الزبير، والليث بن سعد وجماعة ، وقيل : لأنه لم يكن فى نسبه شىء يعاب به . اهـ ، وانظر : تاريخ الخلفاء للسيوطى ، باب : الخليفة الأول ، ومجمع الزوائد : (٩/ ٤٠ – ٤١) .

(٤) رواه الطبرانى فى الكبير (١/ ٧ ، ٤٧) ، وابن عدى فى الكامل (٤/ ١٥٢٤) ، وانظر السلسلة الصحيحة (٣/ ٦٣) ، ومجمع الزوائد (٥/ ١٧٨) .

ابن أبي طالب يحلف بالله : أن الله أنزل اسم أبي بكر من السماء « الصديق »[١] .

(ذكر صفته)

كان أبو بكر - رضي الله عنه - نحيفًا ، خفيف العارضين ، معروق الوجه ، ناتيء الجبهة ، أجنى [٢] ، لا يستمسك ، إزاره ، يسترخي عن حِقْوَيْه [٣] ، عاري الأشاجع[٤]، يخضب بالحناء والكتم . عن أنس قال : كان أبو بكر يخضب بالحناء والكتم[٥] .

وعن قيس بن أبي حازم قال : دخلت مع أبي على أبي بكر وكان رجلاً نحيفًا خفيف اللحم ، أبيض .

(ذكر تقدم إسلامه)

قال حسان بن ثابت وابن عباس وأسماء بنت أبي بكر وإبراهيم النَّخعي : أول من أسلم أبو بكر .

وقال يوسف بن يعقوب بن الماجشون : أدركت أبي ومشيختنا : محمد بن المنكدر ، وربيعة بن أبي عبد الرحمن ، وصالح بن كيسان ، وسعد بن إبراهيم، وعثمان بن محمد الأخنسي ، وهم لا يشكُّون أن أول القوم إسلامًا أبو بكر. وعن ابن عباس قال : أول من صلَّى : أبو بكر رحمه الله ، ثم تمثل بأبيات حسان :

إذا تذكَّرتَ شجوًا من أخي ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البرية أتقاها وأعدلها ... إلا النبيَّ وأوفاها بما حملا

الثاني التالَي المحمود مشهده ... وأول الناس حقًا صدّق الرُّسلا

رواه عبد الله بن الإمام أحمد .

وعن إبراهيم قال : « أول من صلَّى : أبو بكر » [٦] .

---

(١) أورده الهيثمى فى المجمع (٩/ ٤١) ، وعزاه للطبرانى وقال : ورجاله ثقات . اهـ .

(٢) الأجنا : الأحدب .

(٣) الحقو : الخصر ، يقال : أخذ بحقوه .

(٤) الأشاجع : عروق ظاهر الكف .

(٥) أورده الهيثمى فى المجمع (٩/ ٤٢) ، وعزاه للطبرانى من حديث عائشة ، وقال : وفيه الواقدى وهو ضعيف . اهـ ، وحديث أنس أورده السيوطى فى تاريخ الخلفاء (فصل فى صفته رضى الله عنه) وعزاه لابن سعد فى الطبقات .

(٦) انظر : فى هذا الباب كتاب « الأوائل من الصحابة » لرضوان جامع رضوان ، الباب الأول . فقد ذكر فيه بحثاً مطولاً فى الاختلاف فى أول من أسلم فأشفى وأكفى .

(ذكر أولاده)

وكان له من الولد : عبد الله ، وأسماء ذات النطاقين - وأمهما قُتيلة ، وعبد الرحمن، وعائشة ـ أمهما أم رومان ـ ومحمد ، وأمه أسماء بنت عُميس ، وأم كلثوم . وأمها حبيبة بنت خارجة بن زيد ، وكان أبو بكر لما هاجر إلى المدينة نزل على « خارجة » فتزوج ابنته .

فأما عبد الله : فإنه شهد الطائف .

وأما أسماء : فتزوجها الزبير فولدت له عدة ثم طلقها ، فكانت مع ابنها عبد الله إلى أن قتل وعاشت مائة سنة .

وأما عبد الرحمن : فشهد يوم بدر مع المشركين ثم أسلم .

وأما محمد : فكان من نساك قريش ، إلا أنه أعان على عثمان يوم الدار ، ثم ولاه علي بن أبي طالب مصر فقتله هناك صاحب معاوية .

وأما أم كلثوم : فتزوجها طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه .

(سياق أفعاله الجميلة)

عن أسماء بنت أبي بكر قالت : جاء الصريخ إلى أبي بكر ، فقيل له : أدرك صاحبك . فخرج من عندنا وإنّ له غدائر ، فدخل المسجد وهو يقول : ويلكم ﴿ **أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم** ﴾ [1] ؟ قال : فلهوا عن رسول الله وأقبلوا إلى أبي بكر . فرجع إلينا أبو بكر ، فجعل لا يمس شيئًا من غدائره إلا جاء معه، وهو يقول : تباركت يا ذا الجلال والإكرام [2] .

وعن أنس قال : لما كان ليلة الغار قال أبو بكر : يا رسول الله دعني أدخل قبلك فإن كان حية أو شيء كانت لي قبلك قال : ادخل . فدخل أبو بكر فجعل يلتمس بيده كلما رأى جحرًا قال بثوبه فشقه ثم ألقمه الجحر ، حتى فعل ذلك بثوبه أجمع . قال : فبقي جُحر فوضع عَقِبَه عليه ثم أدخل رسول الله ﷺ فلما أصبح قال له النبي ﷺ : فأين ثوبك يا أبا بكر ؟ فأخبره بالذي صنع ، فرفع رسول الله ﷺ يديه وقال : « اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي يوم القيامة » [3] . فأوحى الله - عز وجل - إليه أن الله تعالى قد استجاب لك .

---

(١) سورة غافر آية : ٢٨ . (٢) انظر : فتح البارى (٧/٧٠٢) .

(٣) رواه أبو نعيم فى الحلية (١/٣٣) ، وابن سعد فى الطبقات (٣/١/١٢٣) وفى إسناده انقطاع ، والحاكم (٣/٧٧ - ٧٨) وفى إسناده وضاع ومجهول .

وعن الزهري قال : قال رسول الله ﷺ لحسان : « هل قلت في أبي بكر شيئًا ؟ » فقال: نعم . فقال : « قل وأنا أسمع » . فقال :

وثانَي اثنين فـي الغار المنيـف وقد   طاف العدوُّ به إذ صعـّد الجبلا

وكان حبَّ رسول الله ، قد علموا   مـن البرية لم يعدِل به رجلا

فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ، ثم قال : « صدقت يا حسان ، هو كما قلت » .

وقال المدائني : وكان ردْفَ رسول الله ﷺ .

وعن عمر بن الخطاب قال : أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق ووافق ذلك مالاً عندي فقلت : اليوم أسبق أبا بكر إن سبقتُه يومًا . قال : فجئت بنصف مالي . قال : فقال لي رسول الله ﷺ : ما أبقيت لأهلك ؟ قلت : مثله . وأتى أبو بكر بكل ما عنده ، فقال له رسول الله ﷺ : ما أبقيت لأهلك ؟ فقال : أبقيت لهم الله ورسوله . فقلتُ : لا أسابقك إلى شيء أبدًا [(١)] .

وعن قيس ، قال : اشترى أبو بكر - رضي الله عنه - بلالاً وهو مدفون في الحجارة، بخمس أواق ذهبًا . فقالوا : لو أبيت إلا أوقية لبعناك . قال : لو أبيتم إلا مائة أوقية لأخذته[(٢)] .

(سياق جمل من فضائله ومناقبه - رضي الله عنه)

ذكر أهل العلم بالتواريخ والسير أن أبا بكر شهد مع رسول الله ﷺ بدرًا وجميع المشاهد، ولم يفته منها مشهد ، وثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد حين انهزم الناس ، ودفع إليه رسول الله ﷺ رايته العظمى يوم تبوك ، وأنه كان يملك يوم أسلم أربعين ألف درهم ، فكان يعتق منها ويقوي المسلمين ، وهو أول من جمع القرآن ، وتنزه عن شرب المسكر في الجاهلية والإسلام ، وهو أول من قاء تحرجًا من الشبهات [(٣)] .

وذكر محمد بن إسحاق أنه أسلم على يده من العشرة خمسة : عثمان بن عفان،

---

(١) رواه أبو داود (١٦٧٨) ، والترمذي في المناقب (٣٦٧٦) ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) وعن عروة قال : أعتق أبو بكر سبعة ممن كان يعذب في الله منهم بلال ، وعامر بن فهيرة قال الهيثمي : رواه الطبراني ورجاله إلى عروة رجال الصحيح اهـ. مجمع [٩ / ٥] .

(٣) سيذكر المصنف قصة ذلك فى آخر هذا الفصل عن زيد بن أرقم ، وانظر : الأوائل من الصحابة، باب : (١٦ - فى أوليات مجموعة لبعض الصحابة) .

وطلحة بن عبيد الله ، والزبير ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم [١] .

عن أبي سعيد قال : خطب رسول الله ﷺ الناس فقال : « إن الله - عز وجل - خيَّر عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبدُ ما عنده » [٢] فبكى أبو بكر رحمة الله عليه فعجبنا من بكائه أن أخبر رسول الله ﷺ من عبد خُيِّر ، فكان رسول الله ﷺ المخير وكان أبو بكر أعلمَنا به . فقال رسول الله ﷺ إن من أمنّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر ، ولو كنت متخذًا خليلاً غير ربي - عز وجل - لاتخذت أبا بكر ، لكن أخوَّة الإسلام ومودُته ، لا يبقى في المسجد بابٌ إلا سُدَّ إلا باب أبي بكر » أخرجاه في «الصحيحين »[٣] .

عن أبي الدرداء ، قال : كنت جالسًا عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذًا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبتيه ، فقال النبي ﷺ أما صاحبكم فقد غامر [٤] ، فسلَّم وقال : يا رسول الله إنه كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه ، ثم ندمت فسألته أن يغفر لي فأبى عليَّ ، فأقبلت إليك . فقال : يغفر الله لك يا أبا بكر ، ثلاثًا . ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فسأل : أثَّم أبو بكر فقالوا : لا . فأتى إلى النبي ﷺ فسلم عليه فجعل وجهُ النبي ﷺ يتمعَّر حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال : يا رسول الله ، والله أنا كنت أظْلَمَ مرَتين . فقال النبي ﷺ : إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت ، وقال أبو بكر صدق ، وواساني بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي ؟ - مرتين - فما أوذي بعدها . انفرد بإخراجه البخاري [٥] .

وعن أبي قتاده قال : خرجنا مع النبي ﷺ عام حُنين ، فلما التقينا كانت للمسلمين جوله فرأيت رجلاً من المشركين علا رجلاً من المسلمين ، فاستدرت له حتى أتيته من ورائه حتى ضربته بالسيف على حبل عاتقه ، فأقبل عليَّ فضمني ضمة وجدت منها ريح الموت ، ثم أدركه الموت فأرسلني ، فلحقت عمر بن الخطاب فقلت : ما بال الناس ؟ فقال أمر الله . ثم إن الناس رجعوا وجلس النبي ﷺ فقال : من قتل قتيلاً له عليه بيِّنة فله سلبه ، فقمت فقلت : من يشهد لى ؟ ثم جلست ثم قال : من قتل قتيلاً له عليه بيِّنة فله سلبه . فقمت فقلت : من يشهد لى ؟ ثم جلست، ثم قال الثالثة مثله . فقال رجل : صدق يا رسول الله ، وسَلَبُه عندى فأرضه عنى . فقال أبو بكر الصديق : لاها

---

(١) انظر سيرة ابن هشام (١/ ٢٥٠) .

(٢) ، (٣) رواه البخاري (٤٦٦ ، ٣٦٥٤) ومسلم (فضائل الصحابة / ٢) .

(٤) غامر : أى خاصم ولابس الخصومة .　　(٥) رواه البخارى (٣٦٦١ ، ٤٦٤٠) .

الله إذًا لا يعمد إلى أسد من أُسْد الله يقاتل عن الله ورسوله يعطيك سلبه ، فقال النبي ﷺ : صَدق فأعطه . فبعت الدرع فابتعت به مخرفًا في بني سلمة فإنه لأوَّلُ مالٍ تأثَّلته في الإسلام . رواه البخاري[1] .

هكذا روى لنا في هذا الحديث أن أبا بكر قال : لاها الله إذًا . وقد ذكر أبو حاتم السجستاني فيما تلحن فيه العامة أنهم يقولون : لاها الله إذًا ، والصواب : لاها الله ذا ،[2] والمعنى لا والله لا أقسم به فأدخل اسم الله بين « ها » و « ذا » فعلى هذا يكون هذا من الرواة ، لأنهم كانوا يروون بالمعنى دون اللفظ .

وهذا الحديث يتضمن فتوى أبي بكر بحضرة النبي ﷺ وهي من المناقب التي انفرد بها .

وعن سهل بن سعد [3] قال : كان قِتال في بني عمرو بن عوف فبلغ النبي ﷺ ، فأتاهم بعد الظهر ليصلح بينهم ، وقال : يا بلال إن حضرتِ الصلاة ولم آت فمر أبا بكر فليصلِّ بالناس . فلما أن حضرت الصلاة أقام بلال العصر ثم أمر أبا بكر فتقدم بهم وجاء رسول الله ﷺ بعد ما دخل أبو بكر في الصلاة فلما رأوه صفَّحوا [4] وجاء رسول الله ﷺ يشق الناس حتى قام خلف أبي بكر . قال : وكان أبو بكر إذا دخل في الصلاة لم يلتفت ، فلما رأى التصفيح لا يمسك عنه التفت فرأى النبى ﷺ خلفه فأومأ إليه رسول الله ﷺ بيده .أن امضهْ فقام أبو بكرٍ على هيئته فحمد الله على ذلك ثم مشى القهقرى . قال : فمضى رسولَ الله ﷺ فصلَّى بالناس ، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال : أبا بكر ما منعك إذ أومأت إليك أن لا تكون مضيت ؟ فقال أبو بكر : لم يكنِ لابن أبي قحافة أن يؤم رسول الله ﷺ. فقال للناس : إذا نابكم شيء في صلاتكم فليسبح الرجال ، ولتصفِّح النساء . أخرجاه في « الصحيحين » [5] .

وعنِ عائشة قالت : لما ثَقل رسول الله ﷺ جاء بلال يؤْذنه بالصلاة فقال : مُروا أبا بكر فليصلِّ بالناس . قالت : فقلت : يا رسول الله إن أبا بكر رجلٌ أسيف [6] . وأنه

---

(١) رواه البخارى (٣١٤٢ ، ٤٣٢١) .

(٢) فى « اللسان » : معناه : لا والله لا يكون ذا ، ولا والله الأمر ذا ، فحذف تخفيفاً .

(٣) هو أبو العباس سهل بن سعد الساعدى الأنصارى ، وهو آخر من توفى بالمدينة من الصحابة ، وقد قارب المائة وذلك سنة (٩١ هـ) ، وانظر: الأوائل من الصحابة (باب ١٨ – فى أخريات الصحابة).

(٤) التصفيح مثل التصفيق ، وفى الأثر : « التسبيح للرجال ، والتصفيح للنساء » ، ويروى بالقاف أيضاً ، انظر : مختار الصحاح (ص / ٣٦٤) .

(٥) رواه البخارى (٦٨٤) ، ومسلم (الصلاة / ١٠٢) .

(٦) أسيف : أى سريع الحزن والبكاء .

متى يقم مقامك لا يُسمع الناس ، فلو أمرت عمر . فقال : مروا أبا بكر فليصل بالناس. قالت : فقلت لحفصة : قولي له إن أبا بكر رجل أسيف ، وإنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس ، فلو أمرت عمر ، فقال رسول الله ﷺ : إنكن لأنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس .

قالت : فأمروا أبا بكر يصلي بالناس قالت : فلما دخل في الصلاة وجد رسول الله ﷺ من نفسه خفَّة ، قالت : فقام يهادي [1] بين رَجُلين ورجْلاه تخطّان في الأرض ، فلما دخل المسجد ، سمع أبو بكر حِسَّه ذهب ليتأخر ، فأومأ إليه رسول الله ﷺ : أن قُم مكانك فجاء رسول الله ﷺ حتى جلس عن يسار أبي بكر قالت : فكان رسول الله ﷺ يصلي بالناس جالساً وأبو بكر قائمًا ، يقتدي أبو بكر بصلاة النبي ﷺ ويقتدي الناس بصلاة أبي بكر . أخرجاه في الصحيحين [2] .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « ما نفعني مالٌ قطُّ ما نفعني مال أبي بكر » فبكى أبو بكر وقال : هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله ؟ رواه أحمد [3] .

وعن محمد بن جُبير بن مُطعم عن أبيه ، قال : أتت امرأة إلى النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه ، قالت : أرأيت إن جئتُ ولم أجدك ؟ كأنها تقول الموت قال ﷺ « إن لم تجديني فائتي أبا بكر » . رواه البخاري [4] .

وعن ابن عمر ، قال : كنت عند النبي ﷺ وعنده أبو بكر الصديق ، وعليه عباءة قد خلها [5] في صدره بخلال فنزل عليه جبريل فقال : يا محمد مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلَّها في صدره ؟ قالَ : يا جبريل أنفق ماله عليَّ قبل الفتح ، قال : فإن الله - عز وجل - يقرأ عليك السلام ويقول لك قل له أراضٍ أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟ فقال رسول الله ﷺ يا أبا بكر ، إن الله - عز وجل - يقرأ عليك السلام ويقول لك : أراضٍ أنت عني في فقرك هذا أم ساخط ؟ فقال أبو بكر - عليه السلام - أسخط على ربي؟ أنا عن ربي راضٍ عن ربي راضٍ ، أنا عن ربي راضٍ [6] .

---

(١) يهادى بين رجلين : أى يمشى بينهما معتمداً عليهما لضعفه .

(٢) رواه البخارى (٧١٣) ، ومسلم (الصلاة / ٩٥) .

(٣) رواه أحمد (٢/٢٥٣) ، والترمذي (٣٦٦١) ، وابن ماجة (٩٤) ، وابن حبان (٢١٦١) ، والطحاوى فى مشكل الآثار (٢/ ٢٣٠ ، ٢٣١) ، وفى المعانى (٤/١٥٨) ، والسنة لابن أبي عاصم (٢/٥٧٧) ، والخطيب فى تاريخه (٨/٢١ ، ١٠/٣٦٤ ، ١٢/١٣٥) ، وأبو نعيم (٨/٢٥٧) . وصححه الألباني .

(٤) رواه البخاري (٣٦٥٩) . (٥) أى : جمع بين طرفيها .

(٦) رواه ابن شاهين في « السنة» ، والبغوى في « تفسيره » ، وابن عساكر من حديث ابن عمر وسنده ضعيف جدًا أفاده الحافظ السيوطى فى « تاريخ الخلفاء » .

وعن أبي رجاء العطاردي قال : دخلت المدينة فرأيت الناس مجتمعين ورأيت رجلاً يقبِّل رأس رجل ويقول : أنا فداء لك لولا أنت هَلَكْنا فقلت : مَن المقبِّل ومن المقبَّل ؟ قالوا ذاك عمر يقبِّل رأس أبي بكر في قتاله أهل الردة إذ منعوا الزكاة حتى أتوا بها صاغرين .

وعن محمد بن الحَنفيَّة قال : قلت لأبي : أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ ؟ قال : أبو بكر . قلت : ثم من ؟ قال : ثم عمر . وخشيت أن يقول : عثمان، قلت : ثم أنت فقال : ما أنا إلا رجل من المسلمين - انفرد بإخراجه البخاري (١) .

وعن أبي سريحة قال : سمعت عليًا - عليه السلام - يقول على المنبر : ألا إن أبا بكر مُنيب القلب .

وعن أبي عمران الجَوْني قال : قال أبو بكر الصديق لوددت أني شعرة في جنب عبدٍ مؤمن - رواه أحمد (٢) .

وعن الحسن ، قال : قال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه : يا ليتني شجرة تُعضد ثم تؤكل (٣) .

وعن زيد بن أرقم قال : كان لأبي بكر الصديق مملوك يغلُّ عليه فأتاه ليلة بطعام فتناول منه لقمة ، فقال له المملوك : ما لك كنت تسألني كل ليلة ولم تسألني الليلة ؟ قال : حملني على ذلك الجوع من أين جئت بهذا ؟ قال مررت بقوم في الجاهلية فرقيت لهم فوعدوني فلما أن كان اليوم مررت بهم فإذا عرس لهم فأعطوني فقال : أفّ لك كدت تهلكني فأدخل يده في حلقه فجعل يتقيأ ، وجعلت لا تخرج فقيل له : إن هذه لا تخرج إلا بالماء ، فدعا بعُس من ماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى بها فقيل له يرحمك الله ، كل هذا من أجل هذه اللقمة ؟ فقال : لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : كل جسد نبت من سُحت فالنار أولى به فخشيت أن ينبت شيء من جسدي من هذه اللقمة .

وقد أخرج البخاري في أفرداه من حديث عائشة طرفًا من هذا الحديث .

وعن هشام عن محمد قال : كان أغْيَرَ هذه الأمة بعد نبيّها أبو بكر .

وعن محمد بن سيرين قال : لم يكن أحد أهيْب لما يعلم بعد النبي ﷺ من أبي بكر(٤) .

---

(١) رواه البخاري (٣٦٧١) . (٢) أخرجه أحمد فى الزهد وإسناده منقطع .
(٣) رواه أحمد فى الزهد والحسن لم يسمع من أبى بكر .
(٤) أخرجه ابن سعد ، وانظر : تاريخ الخلفاء (فصل : فى كلماته الدالة على شدة خوفه من ربه) .

وعن قيس قال : رأيت أبا بكر آخذًا بطرف لسانه ويقول : هذا الذي أوردني الموارد .

وعن ابن أبي مُلَيكة ، قال : كان ربما سقط الخطام من يد أبي بكر الصديق ، قال : فيضرب بذراع ناقته فيُنيخها فيأخذه قال : فقالوا له : أفلا أمرتنا نُناوِلُكَه ؟ قال : إن حِبي ﷺ أمرني أن لا أسأل الناس شيئًا - رواه الإمام أحمد [(١)] .

(ذكر خلافة أبي بكر - رضي الله عنه)

ذكر الواقدي عن أشياخه أن أبا بكر بويع يوم قُبض رسول الله ﷺ يوم الاثنين لإثني عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من مُهاجَر رسول الله ﷺ .

وعن ابن عباس ، قال : قال عمر بن الخطاب : كان من خبرنا حين توفي رسول الله ﷺ أن عليًا والزبير تخلفوا في بيت فاطمة وتخلف عنا الأنصار بأجمعهم في سقيفة بني ساعدة واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر فقلت له : يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار فانطلقنا نؤمّهم حتى لقينا رجلان صالحان، فذكرا لنا الذي صنع القوم فقالا : أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟ فقلت : نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار . فقالا : لا عليكم أن لا تقربوهم واقْضوا أمركم . فقلت : والله لنأتينهم ،فانطلقنا حتى جئناهم في سقيفة بني ساعدة ، فإذا هم مجتمعون ، وإذا بين ظهرانيهم رجل مزمَّل ، فقلت : من هذا ؟ قالوا سعد بن عُبادة . فقلت : ما له ؟ قالوا : وَجِعٌ . فلما جلسنا قام خطيبهم فأثنى على الله - عز وجل - بما هو أهله وقال :

أما بعد ، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأنتم يا معشر المهاجرين رهطٌ منا، وقد دَفَّت دافَّة منكم ، تريدون أن تختزلونا منْ أصلنا وتحضنونا [(٢)] من الأمر .

فلما سكت أردتُ أن أتكلم وكنت قد زوَّرت مقالة [(٣)] أعجبتني أريد أن أقولها بين يدي أبي بكر وكنت أداري منه بعض الحد ، وهو كان أحلم مني وأوقر فقال أبو بكر : على رِسلك . فكرهت أن أغضبه والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قالها في بديهته وأفضل حتى سكت . فقال : أما بعد فما ذكرتم من خير فأنتم أهله ، ولم تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش ، هم أوسط العرب نسبًا ودارًا ، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين أيَّهما شئتم .

وأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح فلم أكره مما قال غيرها وكان والله أن أقدَّم

---

(١) رواه أحمد (١/ ١١) وقد ضعف إسناده الشيخ أحمد شاكر لانقطاعه .

(٢) يقال « حضنه » ، أي : أخرجه ونحاه .

(٣) زور الشيء تزويراً : حسنه وقوّمه .

فتُضرب عنقي ، لا يقرِّبني ذلك إلى إثم ، أحبَّ إليَّ من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر إلا أن تغير نفسي عند الموت .

فقال قائل من الأنصار : أنا جُذَيلها [١] المحكَّك وعُذَيقها [٢] المرجَّب [٣] ، منا أمير ومنكم أمير، فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى خشيت الاختلاف ، فقلت : ابسط يديك يا أبا بكر فبسط يده فبايعتُه وبايعه المهاجرون ثم بايعه الأنصار - رواه الإمام أحمد[٤].

وعن إبراهيم التَّيمي قال : لما قُبض رسول الله ﷺ أتى عمر أبا عبيدة بن الجراح فقال: ابسط يدك فلأبايعك ، فإنك أمين هذه الأمة على لسان رسول الله ﷺ فقال أبو عبيدة ابن الجراح لعمر : ما رأيت لك فَهَّةً [٥] مثلها منذ أسلمت ، أتبايعني وفيكم الصديق وثاني اثنين! .

وعن الحسن ، قال : قال علي - عليه السلام : لما قبض رسول الله ﷺ نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي ﷺ قد قدَّم أبا بكر في الصلاة فرضينا لدنيانا من رضي رسول الله ﷺ لديننا، فقدَّمنا أبا بكر .

وعن عطاء بن السائب قال : لما استُخلف أبو بكر أصبح غاديًا إلى السوق وعلى رقبته أثواب يتجر بها ، فلقيه عمر وأبو عبيدة فقالا له : أين تريد يا خليفة رسول الله ؟ قال : السوق . قالا : تصنع ماذا وقد وُلِّيت أمر المسلمين ؟ قال : فمن أين أطعم عيالي ؟ قالا له: انطلق حتى نفرض لك شيئًا . فانطلق معهما ففرضوا له كل يوم شطر شاةٍ وماكسوه في الرأس والبطن .

وعن حميد بن هلال ، قال : لما ولي أبو بكر الخلافة قال أصحاب رسول الله ﷺ : أفرضوا لخليفة رسول الله ﷺ ما يُغنيه : فقالوا : نعم بُرداه إذا أخلقهما وضعهما وأخذ مثلهما ، وظهره إذا سافر ، ونفقتُه على أهله كما كان ينفق قبل أن يستخلف . فقال أبو بكر - رضي الله عنه : رضيت .

وعن عمير بن إسحاق قال : خرج أبو بكر وعلى عاتقه عباءة له ، فقال له رجل : أرني أكفك فقال : إليك عني لا تغرني أنت وابن الخطاب عن عيالي .

---

(١) الجذيل : تصغير « جذل » - أى : العود الذى ينصب للإبل لتحتك به .

(٢) العذيق : تصغير « عذق » - أى : النخلة .

(٣) المرجب : أى : المعظم الذى يستشفى برأيه .

(٤) رواه أحمد وقد روي القصة الإمام البخاري أيضًا في صحيحه (٣٦٦٧) عن عائشة بنحوه .

(٥) الفهة : السقطة والجهلة .

قال علماء السير : وكان أبو بكر يحلب للحيِّ أغنامهم فلما بويع قالت جارية من الحي: الآن لا يحلب لنا منائح [1] دارنا فسمعها فقال : بلى لأحلبنَّها لكم وإني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلتُ فيه عن خُلق كنت فيه . فكان يحلب لهم ، وأنه لما ولي استعمل عمر على الحج ، ثم حج أبو بكر من قابل ثم اعتمر في رجب سنة اثنتي عشرة، فدخل مكة ضحوة فأتى منزله ، وأبو قحافة جالس على باب داره معه فتيان يحدثهم ، فقيل له: هذا ابنك فنهض قائمًا وعجل أبو بكر أن ينيخ راحلته ، فنزل عنها وهي قائمة، فجعل يقول : يا أبهْ لا تقم ، ثم التزمه وقبَّل بين عيني أبي قحافة وجعل أبو قحافة يبكي فرحًا بقدومه وجاء والي مكة عتَّاب بن أسيد ، وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل ، والحارث بن هشام، فسلموا عليه فقالوا : السلام عليك يا خليفة رسول الله ﷺ وصافحوه جميعاً ، فجعل أبو بكر يبكى حين يذكرون رسول الله ﷺ ، ثم سلموا على أبى قحافة فقال أبو قحافة : يا عتيق هؤلاء الملأ فأحسن صحبتهم فقال أبو بكر : يا أبه لا حول ولا قوة إلا بالله طوّقت عظيمًا من الأمر لا قوة لي به ولا يدان إلا بالله .

وقال : هل من أحد يتشكى ظُلامةً ؟ فما أتاه أحد . فأثنى الناس على واليهم.

(سياق طرف من خطبه ومواعظه وكلامه – رضى الله عنه)

عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : لما ولى أبو بكر خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال :

« أما بعد أيها الناس ، قد وليت أمركم ولست بخيركم ، ولكن قد نزل القرآن وسن النبي ﷺ السنن فعلَّمنا ، اعلموا أن أكيْس الكَيْس التقوى ، وأن أحمق الحمق الفجور ، إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه ، وإن أضعفكم عندي القويُّ حتى آخذ منه الحق ، أيها الناس إنما أنا متبَّع ولست بمبتدع ، فإن أحسنت فأعينوني وإن زغت فقوّموني» .

وعن الحسن قال : لما بويع أبو بكر قام خطيبًا ، فلا والله ما خطب خطبته أحد بعد . فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أما بعد ، فإني وليت هذا الأمر وأنا له كاره ، والله لوددت أن بعضكم كفانيه ، ألا وإنكم إن كلفتموني أن أعمل فيكم مثل عمل رسول الله ﷺ لم أقم به . كان رسول الله ﷺ عبدًا أكرمه الله بالوحي وعصمه به ، ألا وإنما أنا بشر ولست بخير من أحد منكم

(١) المنائح : جمع « منيحة » وهى الغنم ذوات اللبن .

فراعوني [١] فإذا رأيتموني استقمت فاتبعوني وإذا رأيتموني زغت فقوِّمونى واعلموا أن لي شيطانًا يعتريني فإذا رأيتموني غضبت فاجتنبوني لا أوثر في أشعاركم وأبشاركم » .

وعن يحيى : أن أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - كان يقول في خطبته « أين الوضاء الحسنةُ وجوهُهم المعجبون بشأنهم ؟ أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان ؟ أين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب ؟ قد تضعضع بهم الدهر فأصبحوا في ظلمات القبور ، الوَحا الوَحا [٢] ، النجاء النجاء » .

وعن عبد الله بن عكيم قال : خطبنا أبو بكر فقال :

« أما بعد : فإني أوصيكم بتقوى الله وأن تثْنوا عليه بما هو أهله ، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة وتجمعوا الإلحاف بالمسألة . إن الله أثنى على زكريا وأهل بيته فقال: ﴿ **إنهم كانوا يُسارِعون في الخيرات ويدعوننا رغبًا ورهبًا وكانوا لنا خاشعين** ﴾ [٣] اعلموا عباد الله أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم ، وأخذ على ذلك مواثيقكم واشترى منكم القليل الفاني بالكثير الباقي ، وهذا كتاب الله فيكم لا تفنى عجائبه ، ولا يطفأ نوره فصدِقوا قوله وانتصحوا كتابه واستضيئوا منه ليوم القيامة ، وإنما خلقكم لعبادته ووكل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون ، ثم اعلموا عباد الله أنكم تغدون وتروحون في أجل قد غُيب عنكم علمه ، فإن استطعتم أن تنقضي الآجال وأنتم في عمل الله فافعلوا ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله فسابقوا في مهل آجالكم قبل أن تنقضى آجالكم فتردكم إلى سوء أعمالكم ، فإن أقوامًا جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم ، الوحا الوحا النجاء النجاء إن وراءكم طالبًا حثيثًا مرُّه سريع » [٤] .

(ذكر مرض أبي بكر ووفاته - رضي الله عنه)

عن عبد الله بن عمر قال : كان سبب موت أبي بكر وفاة رسول الله ﷺ، كمِد فما زال جسمه يحري حتى مات [٥] .

---

(١) فراعونى : أى راقبونى . (٢) الوحا : أى السرعة - يمد ويقصر .

(٣) سورة الانبياء آية : ٩٠ .

(٤) رواه الحاكم (٢/ ٣٨٣ ، ٣٨٤) وصححه وتعقبه الذهبى بأن فيه عبد الرحمن بن إسحاق وهو ضعيف .

(٥) رواه الحاكم (٣/ ٦٣ ، ٦٤) وفي سنده سيف بن محمد الكوفي ابن أخت سفيان الثوري وقد كذبه الإمام أحمد وابن معين وأبو داود وله شاهد من طريق أياد بن حنظلة بنحوه رواه سيف بن عمر فى كتاب الفتوح ، كما في الكنز (١٢/ ٥٣٨) ، ومعنى « يحرى جسمه » : أى يضعف وينقص ، وفى كتاب الفتوح لسيف « يضوى » .

وعن ابن هشام أن أبا بكر والحارث بن كَلَدَة كانا يأكلان حريرةً أهديت لأبي بكر . فقال الحارث لأبي بكر : ارفع يا خليفة رسول الله ، والله إن فيها لسم سنة ، وأنا وأنت نموت في يوم واحد فرفع يده فلم يزالا عليلين حتى ماتا في يوم واحد عند انقضاء السنة [(١)].

وقيل : كان بدء مرضه أنه اغتسل في يوم بارد فحمَّ خمسة عشر يومًا [(٢)] .

وعن أبي السفر قال : مرض أبو بكر فعاده الناس ، فقالوا : ألا ندعو لك الطبيب ؟ قال: قد رآني . قالوا : فأيَّ شيء قال لك ؟ قال : إني فعَّال لما أريد [(٣)] .

وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط قال : لما حضر أبا بكر الصديق الموت دعا عمر فقال له « اتق الله يا عمر ، واعلم أن لله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل ، وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار ، وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى فريضته ، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في دار الدنيا وثقله عليهم ، وحقَّ لميزان يوضع فيه الحقُ غدًا أن يكون ثقيلاً ، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم ، وحقَّ لميزانٍ يوضع فيه الباطل غدًا أن يكون خفيفًا ، وإن الله تعالى ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئه ، فإذا ذكرتهم قلت : إني لأخاف أن لا ألحق بهم ، وإن الله تعالى ذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ، ورد عليهم أحسنه، فإذا ذكرتهم قلت : إني لأرجو أن لا أكون مع هؤلاء ليكون العبد راغبًا راهبًا ، لا يتمنى على الله ، ولا يقنط من رحمة الله . فإن أنت حفظت وصيتي فلا يك غائب أحب إليك من الموت وهو آتيك ، وإن أنت ضيَّعت وصيتي فلا يك غائب أبغض إليك من الموت، ولست تعجزه .

وعن عائشة قالت : لما مرض أبو بكر مرضه الذي مات فيه قال : انظروا ماذا زاد في مالي منذ دخلت في الإمارة فابعثوا به إلى الخليفة من بعدي ، فنظرنا فإذا عبد نُوبيّ كان يحمل صبيانه ، وإذا ناضح كان يسقي بستانًا له ، فبعثنا بهما إلى عمر . قالت : فأخبرني جدي أن عمر بكى وقال : رحمة الله على أبي بكر لقد أتعب من بعده تعبًا شديدًا .

وعنها قالت : لما حضر أبا بكر الوفاة جلس فتشهد ثم قال : « أما بعد يا بنية، فإن

---

(١) رواه الحاكم (٣/ ٦٤) عن ابن شهاب - وليس ابن هشام - بسند صحيح صححه الحافظ السيوطى فى تاريخ الخلفاء (فصل فى مرضه ووفاته) .

(٢) رواه الحاكم (٣/ ٦٣) من طريق الواقدى وهو متروك على علمه ، وانظر : تاريخ الخلفاء الباب السابق .

(٣) انظر المصدر السابق .

أحب الناس غنى إلي بعدي أنتِ ، وإن أعز الناس علي فقرًا بعدي أنت، وإني كنت نحلتُك جداد عشرين وَسْقًا [١] من مالي فوددت والله أنك حُزْته وإنما هو أخواك وأختاك. قالت : قلت : هذان أخواي فمن أختاي ؟ قال : ذو بَطْن ابنة خارجة فإني أظنها جارية. وفي راوية : قد ألقي في روعي أنها جارية - فولدت أم كلثوم [٢] .

وعنها قالت : لما ثقل أبو بكر قال : أي يوم هذا ؟ قلنا : يوم الإثنين . قال : فإني أرجو ما بيني وبين الليل قالت : وكان عليه ثوب عليه رَدْع من مِشْق فقال : إذا أنا مت فاغسلوا ثوبي هذا وضموا إليه ثوبين جديدين وكفنوني في ثلاثة أثواب فقلنا : أفلا نجعلها جددًا كلَّها ؟ قال : لا ، إنما هو للمُهلة فمات ليلة الثلاثاء . أخرجه البخاري .

قال أهل السير : توفي أبو بكر ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، وهو ابن ثلاث وستين ، وأوصى أن تغسله أسماء زوجته فغسلته وأن يدفن إلى جنب رسول الله ﷺ وصلى عليه عمر بين القبر والمنبر، ونزل في حفرته ابنه عبد الرحمن وعمر وعثمان وطلحة بن عبيد الله .

رحمه الله ورضي عنه وحشرنا في زمرته وأماتنا على سنته ومحبته .

٣ - أبو حفص عمر بن الخطاب رضى الله عنه

ابن نُفيل بن عبد العزَّى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي. وأمه : حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، أسلم سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس .

(ذكر سبب إسلامه)

عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال : اللهم أعزَّ الإسلام بأحبِّ الرجلين إليك بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام فكان أحبهما إليه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه [٣].

وعن شريح بن عبيد قال : قال عمر بن الخطاب : خرجت أتعرض لرسول الله ﷺ قبل أن أسلم ، فوجدته قد سبقني إلى المسجد فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقَّة فجعلت

---

(١) الوسق : ستون صاعاً ، وهى ثلاثمائة وعشرون رطلاً عند أهل الحجاز .

(٢) أورده السيوطى فى الخلفاء وعزاه لمالك .

(٣) رواه الترمذي (٣٦٨١) وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر .

وقال الحافظ: وصححه ابن حبان أيضًا وفي إسناده خارجة بن عبد الله صدوق فيه مقال لكن له شاهد من حديث ابن عباس أخرجه الترمذي أيضًا ومن حديث أنس وله شاهد مرسل أخرجه ابن سعد من طريق سعيد بن المسيب والإسناد صحيح إليه اهـ . انظر : فتح البارى (٧/ ٥٩) .

أتعجب من تأليف القرآن قال : فقلت هذا والله شاعر كما قالت قريش قال : فقرأ ﴿ **إنَّه لقولُ رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلاً ما تُؤمنون** ﴾ قال : قلت : كاهن . قال : ﴿**ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكَّرون تنزيلٌ منّ رب العالمين ولو تقَّول علينا بعض الأقاويل لأخذْنا منه باليمين** ﴾ إلى آخر الآية [1] فوقع الإسلام في قلبي[2] .

وعن أنس بن مالك ، قال : خرج عمر متقلدًا بالسيف فوجده رجل من بني زُهْرة فقال : أين تعمد يا عمر ؟ قال : أريد أن أقتل محمدًا . قال : وكيف تأمن في بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمدًا ؟ فقال له عمر : ما أراك إلا قد صبأت وتركت دينك الذي أنت عليه . قال : أفلا أدلك على العجب ؟ يا عمر إن أختك وختنك [3] قد صبوا وتركا دينك الذي أنت عليه فمشى عمر ذامرًا حتى أتاهما وعندهما رجل من المهاجرين يقال له خبَّاب فلما سمع خباب حس عمر توارى في البيت . فدخل عليهما فقال : ما هذه الهينمة التي سمعتها عندكم ؟ قال: وكانوا يقرأون « طه » فقالا : ما عدا حديثًا تحدثناه بيننا قال : فلعلكما قد صبوتما ! فقال له ختنه : أرأيت يا عمر إن كان الحق في غير دينك ؟ فوثب عمر على ختنه فوطئه وطئًا شديدًا فجاءت أخته فدفعته عن زوجها فنفحها نفحة بيده فَدَمِيَ وجهها ، فقالت وهي غضبى : أرأيت يا عمر إن كان الحق في غير دينك أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله .

فلما يئس عمر قال : أعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فأقرأه وكان عمر يقرأ الكتب - فقالت أخته : إنك رجس ولا يمسه إلا المطهَّرون فقم فاغتسل أو توضأ فقام فتوضأ ثم أخذ الكتاب فقرأ « طه » حتى انتهى إلى قوله ﴿ **إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبُدني وأقِم الصلاة لذْكري** ﴾ [4] فقال عمر : دلوني على محمد . فلما سمع خبَّاب قول عمر خرج من البيت فقال : أبشر يا عمر فإني أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ لك ليلة الخميس « اللهم أعزَّ الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام » [5] قال : ورسول الله في الدار التي في أصل الصفا فانطلق عمر حتى أتى الدار. قال : وعلى الباب حمزة وطلحة وناس من أصحاب رسول الله ، فلما رأى حمزة وجَل الناس من عمر قال حمزة : نعم

---

(١) سورة الحاقة آية : ٤٠ - ٤١ .

(٢) رواه أحمد (١/ ١٧) ، وعزاه الهيثمي فى المجمع (٩/ ٦٢) للطبراني فى الأوسط وقال : رجاله ثقات .

(٣) ختنك : يعني زوج اختك وهو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل .

(٤) سورة طه آية : ١٤ .

(٥) رواه أبو نعيم فى الدلائل (١/ ٨٠) ، وانظر : فتح الباري (٧/ ٢٢٠) ، وعزاه السيوطي فى الخلفاء لابن سعد ، وأبي يعلى ، والحاكم ، والبيهقي فى الدلائل عن أنس .

هذا عمر ، فإن يُرد الله بعمر خيرًا يسلم ويتبع النبي ﷺ ، وإن يُرد غير ذلك يكن قتله علينا هيِّنًا قال : والنبي ﷺ داخل يُوحَى إليه . قال : فقام رسول الله ﷺ حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف فقال : ما أنت منتهيًا يا عـــمر حتى يُنزِلَ الله - يعني بك - من الخزي والنكال ما نزل بالوليد بن المغيرة ؟ اللـــهم هذا عـــمر بن الخطاب اللهم أعـز الـدين بعمر بن الخطاب . فقال عمر : أشهد إنك لرسول الله . فأسلم وقـال : اخرج يا رسول الله .

وعن ابن عباس ، قال : سألت عمر بن الخطاب لأي شيء سُميت الفاروق ؟ قال: أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام ، ثم شرح الله صدري للإسلام فقلت : الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى ، فما في الأرض نسمة أحب إليَّ من نسمة رسول الله ﷺ فقلت: أين رسول الله ؟ فقالت أختي : هو في دار الأرقم بن أبي الأرقم عند الصفا فأتيت الدار وحمزة في أصحابه جلوس في الدار ، ورسول الله ﷺ في البيت ، فضربت الباب ، فاستجمع القوم فقال لهم حمزة : ما لكم ؟ قالوا : عمر بن الخطاب . قال : فخرج رسول الله ﷺ فأخذ بمجامع ثيابه ثم هزه هزة فما تمالك أن وقع على ركبته ، فقال: ما أنت بمنته يا عمر ؟ قال : قلت : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، قال : فكبَّر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد . قال: فقلت: يا رسول الله ألسنا على الحق إن متْنا وإن حيينا ؟ قال : بلى والذي نفسي بيده إنكم على الحق إن متُّم وإن حييتم . فقلت : ففيم الاختفاء ؟ والذي بعثك بالحق لنخرجنَّ فأخرجْناه في صفَّيْن ، حمزة في أحدهما ، وأنا في الآخر ، له كديد ككَديد الطحين ، حتى دخلنا المسجد . قال : فنظرت إليَّ قريش وإلى حمزة فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها فسماني رسول الله ﷺ يومئذ الفاروق .

قال أهل السير : أسلم عمر وهو ابن ست وعشرين سنة بعد أربعين رجلاً وقال سعيد ابن المسيب : بعد أربعين رجلاً وعشر نسوة .

وقال عبد الله بن ثعلبة بن صُعَير : بعد خمسة وأربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة .

وعن داود بن الحُصين ، والزهري ، قالا : لما أسلم عمر نزل جبريل - عليه السلام - فقال : يا محمد استبشر أهل السماء بإسلام عمر(١) .

---

(١) وأخرجه ابن ماجه (١٠٣) والحاكم (٣/ ٨٤) عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال الإمام البوصيري في الزوائد : هذا إسناد ضعيف لاتفاقهم على ضعف عبد الله بن خراش إلا ابن حبان فإنه ذكره في الثقات وأخرج هذا الحديث من طريقه في صحيحه . اهـ .

وقال ابن مسعود : ما زلنا أعزةً منذ أسلم عمر[١] .

وقال صهيب : لما أسلم عمر جلسنا حول البيت حلقًا ، وطفنا وانتصفنا ممن غلظ علينا .

(ذكر صفة عمر - رضي الله عنه)

كان أبيض أمهق [٢] ، تعلوه حمرة ، طُوالاً أصلع أجلح [٣] ، شديد حمرة العين ، في عارضه خفة وقال وهب : صفته في التوراة : قرن من حديد ، أمير شديد .

(ذكر أولاده)

كان له من الولد : عبد الله ، وعبد الرحمن ، وحفصة : أمهم زينب بنت مظعون . وزيد الأكبر ، ورقية : أمهما أم كلثوم بنت علي ، وزيد الأصغر ، وعبيد الله : أمهما أم كلثوم بنت جرول ، وعاصم : أمه جميلة ، وعبد الرحمن الأوسط : أمه لهية أم ولد ، وعبد الرحمن الأصغر : أمه أم ولد ، وفاطمة : أمها أم حكيم بنت الحارث ، وعياض : أمه عاتكة بنت زيد ، وزينب : أمها فكيهة أم ولد .

(ذكر نزول القرآن بموافقته)

عن أنس قال : قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه : وافقت ربي - عز وجل - في ثلاث: قلت : يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى ، فنزلت ﴿**واتَّخذوا من مقام إبراهيم مصلى**﴾ [٤] وقلت : يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البرُّ والفاَجر ، فلو أمرتهن أن يحتجبن . فنزلت آية الحجاب . واجتمع على رسول الله ، نساؤه في الغيرة فقلت : عسى ربه إن طلقكن أن يُبدله أزواجًا خيرًا منكن . فنزلت كذلك . حديث متفق عليه [٥] .

(ذكر جملة من مناقبه وفضائله)

قال أهل العلم : لما أسلم عمر عزَّ الإسلام ، وهاجر جهرًا ، وشهد بدرًا وأُحُدًا والمشاهد كلها . وهو أول خليفة دُعي بأمير المؤمنين ، وأول من كتب التاريخ للمسلمين ، وأول من جمع القرآن في المصحف ، وأول من جمع الناس على صلاة التراويح ، وأول من عَسَّ[٦] في عمله ، وحمل الدِّرَّة وأدَّب بها ، وفتح الفتوح ، ووضع الخراج ومصَّر

---

(١) رواه البخاري (٣٦٨٤) ، (٣٨٦٣) .
(٢) الأمهق : شديد البياض .
(٣) الأجلح : منحسر الشعر عن جانبي الرأس .
(٤) سورة البقرة آية : ١٢٥ .
(٥) رواه البخارى فى فضائل عمر ، وفى تفسير سورة البقرة آية : ١٢٥ .
(٦) عس : أى طاف بالليل يتفقد الرعية .

الأمصار ، واستقضى القضاة ، ودوَّن الديوان ، وفرض الأعطية [1] ، وحج بأزواج رسول الله ﷺ في آخر حجة حجها .

عن عائشة ، عن النبي ﷺ ، قال : « قد كان في الأمم محدثون ، فإن يكن في أمتي فعمر » . حديث متفق عليه [2] .

وعن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ أنه قال لعمر : « والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكًا فجًا قط إلا سلك فجا غير فجِّك » . أخرجاه في « الصحيحين » [3] .

وعن ابن عمر ، قال : استأذن عمر الرسول ﷺ في العمرة ، فقال : « يا أخي أشركنا في صالح دعائك ولا تنسنا » [4] .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة » [5] .

وعن أنس عن النبي ﷺ قال : « أشد أمتي في أمر الله عمر» [6] .

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : « رأيت الناس مجتمعين في صعيد فقام أبو بكر فنزع ذنوبًا أو ذنوبين ، وفي بعض نزعه ضعف ، والله يغفر له . ثم أخذها عمر فاستحالت في يده غَرْبًا ، فلم أر عبقريًا يفري فَرِيَّه حتى ضرب الناسُ بعطَن » . حديث متفق على صحته [7] .

وعنه قال : كان النبي ﷺ يحدث فقال : « بينما أنا نائم أُتيت بقدح فشربت منه حتى إني أرى الريَّ يخرج من أطرافي ثم أعطيت فضلي عمر » ، فقالوا : فما أوّلتَ ذلك يا رسول الله؟ قال : « العلم » - وهذا متفق على صحته [8] .

---

(١) انظر : الأوائل من الصحابة .

(٢) رواه البخاري (٣٦٨٩) ، ومسلم (فضائل الصحابة / ٢٣) باب من فضائل عمر .

(٣) رواه البخاري (٣٦٨٣) ومسلم (فضائل الصحابة / ٢٣) باب من فضائل عمر - رضي الله عنه .

(٤) رواه أبو داود (١٤٩٧) وابن ماجه (٢٨٩٤) وقد ضعفه الشيخ الألباني .

(٥) رواه أبو نعيم فى الحلية (٦/ ٣٣٣) وقال : غريب من حديث مالك تفرد به عنه الواقدى . اهـ، ورواه البزار (١٨٨٧ - زوائد) ، وأورده الهيثمى فى المجمع (٩/ ٧٤) ، وضعفه بعبد الله بن إبراهيم ابن أبى عمرو الغفارى فى إسناد البزار .

(٦) أخرجه الترمذي (٣٧٩٠ ، ٣٧٩٢) وابن ماجة (١٥٤) وابن حبان (٢٢١٨) ، (٢٢١٩) والحاكم (٣/ ٤٢٢) وانظر الصحيحة (٣/ ٢٢٣) للألبانى .

(٧) رواه البخاري (٣٦٦٤) ومسلم (فضائل الصحابة / ١٧) باب من فضائل عمر - رضي الله عنه .

(٨) رواه البخاري (٧٠٠٦) ، ومسلم (الباب السابق / ١٦) .

(ذكر خلافته)

قال حمزة بن عمرو : توفي أبو بكر مساء ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة من سنة ثلاث عشرة ، فاستقبل عمر بخلافته يوم الثلاثاء صبيحة موت أبي بكر .

عن جامع بن شداد ، عن أبيه ، قال : كان أول كلام تكلم به عمر حين صعد المنبر أن قال : اللهم إني شديد فليِّنّي ، وإني ضعيف فقوني ، وإني بخيل فسخنّي [(١)] .

(ذكر اهتمامه برعيته)

عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، قال : خرجت مع عمر - رضي الله عنه - إلى السوق فلحقت عمر امرأة شابة فقالت : يا أمير المؤمنين هلك زوجي وترك صبية صغارًا والله ما ينضجون كراعًا ، ولا لهم زرع ولا ضرع وخشيت أن تأكلهم الضَّبعُ وأنا بنت خُفاف بن إيماء الغفارى وقد شهد أبي الحديبية مع رسول الله ﷺ فوقف معها عمر ولم يمض [ثم قال :] مرحبًا بنسب قريب ثم انصرف إلى بعير ظهير كان مربوطًا في الدار فحمل عليه غرارتين ملأهما طعامًا وجعل بينهما نفقة وثيابًا ثم ناولها خطامه [ثم] قال : اقتاديه فلن يفنى حتى يأتيكم الله بخير . فقال رجل : يا أمير المؤمنين أكثرت لها ! قال عمر : ثكلتك أمك والله إني لأرى أبا هذه وأخاها قد حاصرا حصنًا زمانًا فافتتحاه ثم أصبحنا نستفيء سُهْمَانهما فيه . انفرد بإخراجه البخاري [(٢)] .

وعن الأوزاعي ، أن عمر بن الخطاب خرج في سواد الليل فرآه طلحة فذهب عمر فدخل بيتًا ثم دخل بيتًا آخر . فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا بعجوز عمياء مقعدة، فقال لها : ما بال هذا الرجل يأتيك ؟ قالت : إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا ، يأتيني بما يصلحني ويُخرج عني الأذى . قال طلحة : ثكلتك أمك طلحة أعثرات عمر تتبع ؟ [(٣)] .

وعن ابن عمر ، قال : قدمت رفقة من التجار فنزلوا المصلَّى فقال عمر لعبد الرحمن : هل لك أن تحرسهم الليلة من السرق ؟ فباتا يحرسانهم ويصليّان ما كتب الله لهما ، فسمع عمر بكاء صبيٍ فتوجه نحوه فقال لأمه : اتقي الله وأحسني إلى صبيك . ثم عاد إلى مكانه فسمع بكاءه فعاد إلى أمه فقال لها مثل ذلك ، ثم عاد إلى مكانه فلما كان من آخر الليل سمع بكاءه فأتى أمه فقال لها : ويحك إني لأراك أمَّ سوءٍ ، ما لي أرى ابنك لا يقرُّ منذ الليلة ؟ قالت : يا عبد الله قد أبرمتني منذ الليلة ، إني أريغه عن الفطام فيأبى، قال : ولِمَ ؟ قالت : لأن عمر لا يفرض إلا للفُطُم . قال : وكم له ؟ قالت :

---

(١) رواه ابن سعد فى طبقاته عن الحسن ، وأبو نعيم فى الحلية (١/٥٣) ، وانظر : كتاب الأوائل من الصحابة ، باب : فى الخطب .

(٢) رواه البخارى (٤١٦٠ ، ٤١٦١) . (٣) رواه أبو نعيم فى الحلية (١/ ٤٧ ، ٤٨) .

كذا وكذا شهرًا . قال : ويحك لا تعجليه ، فصلَّى الفجر وما يستبين الناس قرأته من غلبة البكاء فلما سلم قال : يا بؤسًا لعمر ، كم قتل من أولاد المسلمين ثم أمر مناديًا فنادى أن لا تعجلوا صبيانكم على الفطام فإنا نفرض لكل مولود في الإسلام . وكتب بذلك إلى الآفاق أن يُفرض لكل مولود في الإسلام (١) .

وعن زيد بن أسلم ، عن أبيه قال : كان عمر يصوم الدهر ، وكان زمان الرمادة إذا أمسى أتي بخبز قد ثرد في الزيت ، إلى أن نحروا يومًا من الأيام جزورًا فأطعمها الناس وغرفوا له طيبها فأتي به فإذ قدر من سنام ومن كبد فقال : أنَّى هذا ؟ قالوا : يا أمير المؤمنين من الجزور التي نحرنا اليوم قال : بَخٍ بَخٍ ، بئس الوالي أنا أكلت أطيبها وأطعمت الناس كراديسها . ارفع هذه الجفنة ، هات لنا غير هذا الطعام . فأتى بخبز وزيت فجعل يكسر بيده ويثرد ذلك الخبز ثم قال : ويحك يا يَرْفأ ارفع هذه الجفنة حتى تأت بها أهل بيت بِثمْغ فإني لم آتهم منذ ثلاثة أيام وأحسبهم مُقْفرين فضعها بين أيديهم(٢) .

(ذكر زهده – رضي الله عنه)

عن الحسن، قال : خطب عمر الناس وهو خليفة وعليه إزار فيه ثنتا عشرة رقعة (٣) .

وعن أنس قال : كان بين كتفي عمر ثلاث رقاع .

وعن مصعب بن سعد قال : قالت حفصة لعمر : يا أمير المؤمنين اكتسيت ثوبًا هو ألين من ثوبك ، وأكلت طعامًا هو أطيب من طعامك ، فقد وسع الله من الرزق وأكثر من الخير . فقال : إني سأخاصمك إلى نفسك ، أما تذكرين ما كان رسول الله ﷺ يلقى من شدة العيش ، وكذلك أبو بكر ؟ فما زال يذكرها حتى أبكاها . فقال لها: أما والله لأشاركنهما في مثل عيشهما الشديد لعلّي أدرك عيشهما الرَّخي . رواه أحمد .

(ذكر تواضعه)

عن عبد الله بن عباس قال : كان للعباس ميزاب على طريق عمر فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة وقد كان ذُبح للعباس فرخان ، فلما وافى الميزاب صُبَّ ماء بدم الفرخين فأصاب عمر ، فأمر عمر بقلعه ، ثم رجع عمر فطرح ثيابه ولبس ثيابًا غير ثيابه ، ثم جاء فصلَّى بالناس فأتاه العباس فقال : والله إنه للموضعُ الذي وضعه رسول الله ﷺ . فقال عمر

---

(١) رواه ابن سعد في طبقاته (٣/١/١٢٧) . (٢) انظر طبقات ابن سعد (٣ / ١ / ٢٢٣) .

(٣) رواه أبو نعيم فى الحلية (١/ ٥٢ ، ٥٣) .

للعباس : وأنا عزم عليك لما صعدت على ظهري حتى تضعه في الموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ ففعل ذلك العباس . رواه أحمد .

(ذكر خوفه من الله – عز وجل – وبكائه)

عن عبد الله بن عمر قال : كان عمر بن الخطاب يقول : لو مات جديٌ بطفٍ الفرات لخشيت أن يحاسب الله به عمر [1] .

وعن عبد الله بن عامر قال : رأيت عمر بن الخطاب أخذ تبنة من الأرض فقال: ليتني كنت هذه التبنة ، ليتني لم أخلق ، ليت أمي لم تلدني ، ليتني لم أكن شيئًا ، ليتني كنت نسيًا منسيًا .

وعن عبد الله بن عيسى قال : كان في وجه عمر خطان أسودان من البكاء .

(ذكر تعبده – رحمة الله عليه)

عن ابن عمر قال : ما مات عمر حتى سرد الصوم .

وعن سعيد بن المسيب قال : كان عمر يحب الصلاة في جوف الليل – يعني في وسط الليل .

(ذكر نبذة من كلامه ومواعظه – رضي الله عنه)

عن ثابت بن الحجاج ، قال : قال عمر : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا فإنه أهون عليكم في الحساب غدًا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم ، تزينوا للعرض الأكبر ﴿ **يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية** ﴾ [2] .

وعن الأحنف ، قال : قال لي عمر بن الخطاب : يا أحنف ، من كثر ضحكه قلّت هيبته ، ومن مزح استُخفَّ به ، ومن أكثر من شيء عُرف به ، ومن كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه قلَّ حياؤه ، ومن قلَّ حياؤه قلَّ ورعه ومن قلَّ ورعه ، مات قلبه .

وعن وديعة الأنصارى قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول وهو يعظ رجلا : لا تكلم فيما لا يعنيك واعرف عدوك ، واحذر صديقك إلا الأمين ، ولا أمين إلا من يخشى الله ، ولا تمش مع الفاجر فيعلّمك من فجوره ، ولا تطلعه على سرك ، ولا تشاور في أمرك إلا الذين يخشون الله عز وجل .

---

(١) رواه أبو نعيم فى الحلية (١/٥٣) .

(٢) سورة الحاقة آية : ١٨ ، والأثر رواه أبو نعيم فى الحلية (١/٥٢) ، والإمام أحمد فى الزهد (١١٤) .

(ذكر وفاته رضى الله عنه)

عن عمرو بن ميمون ، قال : إني لقائم ما بيني وبين عمر إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب ، وكان إذا مرَّ بين الصفَّين قال : استووا حتى إذا لم ير فيهن خللاً تقدم فكبر ، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس ، فما هو إلا أن كبَّر فسمعته يقول : قتلني أو أكلني الْكَلْبُ - حين طعنه - فطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمرُّ على أحد يمينًا ولا شمالاً إلا طعنه ، حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً مات منهم سبعة فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه بُرنسًا فلما ظنَّ العلج أنه مأخوذ نحر نفسه [1] .

وتناول عمر بيد عبد الرحمن بن عوف فقدمه . فمن يلي عمر فقد رأى الذي أرى ، وأما نواحي المسجد فإنهم لا يدرون غير أنهم قد فقدوا صوت عمر وهم يقولون : سبحان الله سبحان الله ، فصلى بهم عبد الرحمن بن عوف صلاة خفيفة فلما انصرفوا قال : يا ابن عباس انظر من قتلني ؟ فجال ساعة ثم جاء فقال : غلام المغيرة . قال : الصَّنُع [2] ؟ قال: نعم . قال : قاتلُه الله لقد أمرت به معروفًا ، الحمد لله الذي لم يجعل ميتتى بيد رجل يدَّعي الإسلام ، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن يكثر العلوج بالمدينة ـ وكان العباس أكثرهم رقيقًا ـ فقال : إن شئت فعلت ، ـ أى قتلناهم ـ قال : كذبت بعد ما تكلموا بلسانكم ، وصلَّوا إلى قبلتكم، وحجُّوا حجكم .

فاحتمل إلى بيته فانطلقنا معه ، وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ ، فقائل يقول لا بأس . وقائل يقول : أخاف عليه . فأتي بنبيذ فشربه فخرج من جوفه ، ثم أتي بلبن فشربه فخرج من جرحه فعلموا أنه ميت ، فدخلنا عليه وجاء الناس يثنون عليه، وجاء رجل شاب فقال : أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله ﷺ وقَدَم في الإسلام ما قد علمت ، ثم وليت فعدلت ثم شهادة . قال : وددتُ أن ذلك كان كفاف لا على ولا لى .

فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض ، قال : ردوا عليَّ الغلام . قال : ابن أخي ارفع ثوبك فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك . يا عبد الله بن عمر انظر ما عليَّ من الدَّيْن فحسبوه فوجدوه [ستة] وثمانين ألفًا أو نحوه . قال : إن وفىَ له مال آل عمر فأدِّه من أموالهم، وإلا فسل في بني عدي بن كعب . فإن لم تف أموالهم فسل في قريش ولا تَعْدُهم إلى غيرهم ، فأدِّ عني هذا المال ، انطلق إلى عائشة أمِّ المؤمنين فقل لها : يقرأ عليك عمر

(١) رواه البخارى (٣٧٠٠) .

(٢) الصنع : بفتحتين : الصانع الحاذق فى صناعته .

السلام ، ولا تقل أمير المؤمنين ، فإني لست اليوم للمؤمنين أميرًا وقل : يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه . فسلَّم واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي ، فقال: يقرأ عليك عمر [بن الخطاب] السلام ، ويقول لك : يستأذن أن يُدفن مع صاحبيه . فقالت : كنت أريده لنفسي ولأوثرنَّه به اليوم على نفسي .

فلما أقبل قيل : هذا عبد الله بن عمر قد جاء قال : ارفعوني فأسنده رجل إليه فقال : ما لديك ؟ قال : الذي تحب يا أمير المؤمنين ، أَذِنَتْ . قال : الحمد لله ما كان [منه] شيء أهمَّ إليَّ من ذلك ، فإذا أنا قضيت فاحملوني ، ثم سلِّم فقل : يستأذن عمر بن الخطاب فإن أَذِنَتْ لي فأدخلوني ، وإن ردَّتني فردُّوني إلى مقابر المسلمين .

وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء يسرن معها ، فلما رأيناها قمنا فولجت عليه فبكت عنده ساعة فاستأذن الرجال فولجت داخلاً لهم ، فسمعنا بكاءها من الداخل ، فلما قُبض خرجنا به ، فانطلقنا به . فسلَّم عبد الله بن عمر وقال : يستأذن عمر . قالت (*) أدخلوه، فأدخل فوضع هنالك مع صاحبيه . انفرد بإخراجه البخاري .

وعن عثمان بن عفان قال : أنا آخركم عهدًا بعمر ، دخلت عليه ورأسه في حجر ابنه عبد الله ، فقال له : ضع خدي بالأرض . قال : فهل فخذي والأرض إلا سواء ؟ قال : ضع خدي بالأرض لا أمَّ لك ، في الثانية أو الثالثة . وسمعته يقول : ويلي وويل أمي إن لم تغفر لي ، حتى فاضت نفسه .

قال سعد بن أبي وقاص : طُعن عمر يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ، ودفن يوم الأحد صبيحة هلال المحرم ، قال معاوية : كان عمر ابن ثلاث وستين .

وعن الشعبي : أن أبا بكر قُبض وهو ابن ثلاث وستين ، وأن عمر قُبض وهو ابن ثلاث وستين .

وعن سالم بن عبد الله (١) أن عمر قُبض وهو ابن خمس وستين ، وقال ابن عباس : كان عمر ابن ست وستين ـ وقال قتادة : ابن إحدى وستين ، وصلى عليه صهيب ـ وقال سليمان بن يسار : ناحت الجن على عمر رضي الله عنه .

(*) يعنى عائشة رضى الله عنها .

(١) وأخرج الحاكم عن الشعبي قال : رثت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل عمر فقالت :

عيـــن جـــودي بعـــبرة ونحـــيب ... لا تملى علـى الإمام الصلـــيب

فجعـــتنى المنـــون بالفـــارس المـعـ ... ـلم يـــوم الهـــياج والتأنيـــب

عصمة الدين والمعـــين عـــلى الدهـ ... ـر وغيـــث الملهوف والكـــروب

قل لأهل الضراء والبؤس : موتوا ... إذ سقتنا المنون كأس شـــعوب

عليـك سـلام من أمير وباركت ... يد الله في ذاك الأديـم الممـزَّقِ
قضيتَ أُمورًا ثـم غـادرت بعدها ... بوائـق في أكمامهـا لـم تُفتَّـقِ
فمن يسعَ أو يركب جناحي نعامة ... ليدرك ما قدَّمـت الأمـس يُسبق
أبعـدَ قتيـلٍ بالمـدينة أظلمـت ... لـه الأرض تهـتز العضاهُ بأسْوُق

وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال : لما غسل عمر وكفن وحمل على سريره وقف عليه، علي - عليه السلام - فقال : والله ما على الأرض رجل أحب إليَّ أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسجَّى بالثوب .

وعن عبد الله بن عبيد الله بن العباس قال : كان العباس خليلاً لعمر ، فلما أصيب عمر جعل يدعو الله أن يريه عمر في المنام . قال : فرآه بعد حول وهو يمسح العرق عن وجهه ، قال : ما فعلت ؟ هذا أوان فرغت ، إن كاد عرشي ليُهَدُّ لولا أني لقيت رؤوفًا رحيمًا .

قال الشيخ - رضي الله عنه : أخبار عمر - رضي الله عنه - من أولى ما استكثر منه، وإنما اقتصرت هاهنا على ما ذكرت منها لأني قد وضعت لمناقبه وأخباره كتابًا كبيرًا يجمعها ، فمن أراد استيعاب أخباره فلينظر في ذلك والسلام .

٤ ـ أبو عبد الله عثمان بن عفان - رضي الله عنه

ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، أمه : أروى بنت كريز بن ربيعة ابن حبيب بن عبد شمس ، أسلمت . وكان عثمان يكنى في الجاهلية أبا عمرو ، فلما ولدت له في الإسلام رُقَيَّةُ غلامًا سماه عبد الله واكتنى به .

أسلم عثمان قديمًا قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم ، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين، ولما خرج رسول الله ﷺ إلى بدر خلَّفه على ابنته رقية يمرِّضها ، وضرب له بسهمه وأجره، فكان كمن شهدها وزوَّجه رسول الله ﷺ أم كلثوم بعد رقية وقال : « لو كان عندي ثالثة لزوَّجتها عثمان » [1] ، وسمي ذا النورين لجمعه بين بنتي رسول الله ﷺ [2]، وبايع عنه رسول الله ﷺ بيده في بيعة الرضوان.

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ١/ ٣٨) ، وانظر : البداية والنهاية (٥/ ٣٩ ، ٧/ ٢٠٠).

(٢) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٦٧) : وقد اشتهر أن لقبه ذو النورين وروى خيثمة في «الفضائل» والدارقطني في « الأفراد » من حديث علي أنه ذكر عثمان فقال : « ذاك امرؤ يدعى في السماء ذا النورين » .

(ذكر صفته رضي الله عنه)

كان رَبْعة ، أبيض - وقيل أسمر - رقيق البشرة ، حسن الوجه ، عظيم الكراديس ، بعيد ما بين المنكبين ، كثير شعر الرأس ، عظيم اللحية يصفِّرها .

عن الحسن قال : نظرت إلى عثمان فإذا رجل حسن الوجه ، وإذا بوجنته نكاتُ جُدرَي، وإذا شعره قد كسا ذراعه .

(ذكر أولاده)

وكان له من الولد : عبد الرحمن بن رقية ، عبد الله الأصغر : أمه فاختة بنت غزوان، وعمرو وخالد وأبان وعمر ومريم : أمهم أم عمرو بنت جُندب من الأزد ، والوليد وسعيد وأم سعيد : أمهم فاطمة بنت الوليد ، وعبد الملك : أمه أم البنين بنت عُيينة بن حصن، وعائشة وأم أبان وأم عمرو : أمهن رملة بنت شيبة بن ربيعة ، ومريم أمها نائلة ابنة الفرافصة ، وأم البنين : أمها أم ولد .

(ذكر جملة من فضائله - رضي الله عنه)

عن عائشة أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ كان جالسًا كاشفًا عن فخذه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على حاله ثم استأذن عمر وهو على حاله ثم استأذن عثمان فأرخى عليه ثيابه. فلما قاموا قلت : يا رسول الله استأذن عليك أبو بكر وعمر فأذنت لهما وأنت على حالك ، فلما استأذن عثمان أرخيت عليك ثيابك . فقال : يا عائشة ألا أستحي من رجل والله إن الملائكة لتستحي منه » . انفرد بإخراجه مسلم (١) .

وعن عثمان - هو ابن موهب - قال : جاء رجل من أهل مصر حج البيت ، فرأى قومًا جلوسًا فقال : من هؤلاء القوم قالوا : هؤلاء قريش ، قال : فمن الشيخ فيهم ؟ قالوا : عبد الله بن عمر . قال : يا ابن عمر إني سائلك عن شيء : فحدِّثني عنه هل تعلم أن عثمان فرَّ يوم أحد ؟ قال : نعم . قال : هل تعلم أنه تغيّب عن يوم بدر ولم يشهدها ؟ قال : نعم. قال : هل تعلم أنه تغيَّب عن بيعة الرضوان ولم يشهدها ؟ قال: نعم . قال : الله أكبر .

قال ابن عمر : تعال أبيِّن لك . أما فراره يوم أُحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له ، وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة، فقال له رسول الله ﷺ : إن لك أجر رجلٍ ممن شهد بدرًا وسَهمُه، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه ، فبعث رسول الله ﷺ عثمان وكانت بيعة

(١) رواه مسلم (فضائل الصحابة /٢٦) باب من فضائل عثمان بن عفان (رضي الله عنه) .

الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة ، فقال رسول الله ، بيده اليمنى « هذه يد عثمان » فضرب بها على يده فقال : هذه لعثمان .

فقال له ابن عمر : اذهب بها الآن معك . رواه البخاري [1] .

وعن أبي سعيد الخدري قال : رأيت رسول الله ﷺ من أول الليل إلى أن طلع الفجر رافعًا يديه يدعو لعثمان : « اللهم عثمان ، رضيت عنه فارض عنه » .

(ذكر تنبيه الرسول – عليه السلام – عثمان على ما سيجرى عليه)

عن عائشة قالت : كنت عند النبي ﷺ فقال : يا عائشة لو كان عندنا من يحدثنا . قالت : قلت : يا رسول الله ألا أبعث إلى أبي بكر ؟ فسكت ثم قال : لو كان عندنا من يحدثنا. فقلت: ألا ابعث إلى عمر ؟ فسكت. قالت: ثم دعا وصيفًا بين يديه فسارّه فذهب .

قالت : فإذا عثمان يستأذن ، فأذن له ، فدخل فناجاه النبي ﷺ طويلاً ثم قال : « يا عثمان إن الله – عز وجل – مقمصك قميصًا فإذا أرادك المنافقون على أن تخلعه فلا تخلعه لهم ولا كرامة . يقولها له مرتين أو ثلاثًا » . رواه أحمد [2] .

وعن أبي موسى أنه كان مع النبي ﷺ في حائط من حيطان المدينة فجاء رجل يستفتح، فقال النبي ﷺ : افتح له وبشره بالجنة ففتحت ، فإذا أبو بكر ، فبشره بالجنة، ثم استفتح رجل آخر فقال : افتح له وبشره بالجنة . فإذا عمر ، ففتحت له وبشرته بالجنة. ثم استفتح رجل آخر وكان متكئًا فجلس فقال : افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه أو تكون ، فإذا عثمان ففتحت له وبشرته بالجنة فأخبرته بالذي قال . فقال : الله المستعان [3] .

وعن سهل بن سعد قال : ارتجَّ أُحدٌ وعليه النبي ﷺ ، وأبو بكر وعمر وعثمان . فقال النبي : « اسكن أحد ، فما عليك إلا نبي وصدِيق وشهيدان » . رواه أحمد [4] .

(ذكر أفعاله الجميلة وطاعاته)

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : أشرف عثمان من القصر وهو محصور ، فقال : أنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم حراء إذا اهتز الجبل فركضه بقدمه ثم قال : اسكُن حراء ليس عليه إلا نبي أو صدِّيق أو شهيد وأنا معه . فانتشد له رجال .

---

(١) رواه البخاري (٣٦٩٨ ، ٤٠٦٦) .

(٢) رواه أحمد (٦/ ٧٥ ، ٨٦) ، والترمذي (٣٧٠٥) وحسنه الشيخ الألباني .

(٣) رواه البخاري (٣٦٩٣) ، ومسلم (فضائل الصحابة / ٢٨) باب من فضائل عثمان بن عفان .

(٤) رواه البخاري (٣٦٩٩) وأحمد (٣/ ١١٢) .

قال : أنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم بيعة الرضوان إذ بعثني إلى المشركين من أهل مكة قال : هذه يدي وهذه يد عثمان فبايع فانتشد له رجال .

قال : أنشد بالله من سمع رسول الله ﷺ قال : من يوسع لنا بهذا البيت في المسجد ببيت له في الجنة ؟ فابتعته من مالي فوسَّعت به المسجد فانتشد له رجال.

قال : وأنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم جيش العسرة قال : من ينفق اليوم نفقة متقبَّلة ؟ فجهزت نصف الجيش من مالي . قال فانتشد له رجال .

قال : وأنشد بالله من شهد رُومة يباع ماؤها ابنَ السبيل ، فابتعتها من مالي فأبحتها ابن السبيل ، فانتشد له رجال . رواه الإمام أحمد [1] .

وعن عبد الرحمن بن خبَّاب [2] السُّلمي ، قال : خطب النبي ﷺ فحث على جيش العسرة، فقال عثمان : عليَّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها ، ثم حث ، فقال عثمان : عليَّ مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها قال : ثم نزل ﷺ مرقاة من المنبر ثم حث ، فقال عثمان: عليَّ مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها . فرأيت النبي ﷺ يقول بيده يحركها : « ما على عثمان ما عمل بعد هذا » . رواه عبد الله بن الإمام أحمد [3] .

وعن الزبير بن عبد الله عن جدَّة له يقال لها رُهَيمة قالت : كان عثمان يصوم الدهر ويقوم الليل إلا هجعةً من أوله . رواه الإمام أحمد [4] .

وعن ابن سيرين ، قال : قالت امرأة عثمان حين قتل عثمان : قتلتموه وإنه ليحيى الليل كله بالقرآن ؟ [5] .

وعنه قال : قالت امرأة عثمان بن عفان حين أطافوا يريدون قتله : إن تقتلوه أو تتركوه فإنه كان يحيى الليل كله في ركعة يجمع فيها القرآن .

وعن يونس ، أن الحسن سئل عن القائلين في المسجد ، فقال : رأيت عثمان بن عفان يَقيل في المسجد وهو يومئذ خليفة ويقوم وأثر الحصى بجنبه . قال : فنقول هذا أمير المؤمنين ، هذا أمير المؤمنين ، رواه أحمد [6] .

وعنه قال : رأيت عثمان نائمًا في المسجد ورداؤه تحت رأسه ، فيجيء الرجل فيجلس إليه ، ثم يجيء الرجل فيجلس إليه ، كأنه أحدهم .

---

(١) رواه أحمد (١/ ٥٩) وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر .
(٢) جاء في نسخة بالحاء المهملة ، وهو تصحيف وانظر : الإصابة (٢/ ٣٩٦) .
(٣) رواه أحمد (٤/ ٧٥) ، والترمذي (٣٧٠٠) .
(٤) رواه أحمد في الزهد (١٢٣) من طريق حماد بن خالد .
(٥) رواه أحمد في الزهد (١٢١) من طريق أبي معاوية حدثنا عاصم عن ابن سيرين .
(٦) رواه أحمد في الزهد (١٢١) من طريق عبد الله الخراز ضعفه الحافظ في التقريب .

وعن سليمان بن موسى أن عثمان بن عفان دعي إلى قوم كانوا على أمر قبيح، فخرج إليهم فوجدهم قد تفرقوا ، ورأى أمرًا قبيحًا فحمد الله إذ لم يصادفهم وأعتق رقبة . وعن شُرحبيل بن مسلم أن عثمان كان يطعم الناس طعام الإمارة ، ويدخل بيته فيأكل الخل والزيت .

عن الحسن ، وذكر عثمان بن عفان وشدة حيائه ، فقال : إن كان ليكون في البيت والباب عليه مغلق ، فما يضع الثوب ليفيض عليه الماء ، يمنعه الحياء أن يقيم صلبه .

وعن الزبير بن عبد الله قال : حدثتني جدَّتي أن عثمان بن عفان كان لا يوقظ أحدًا من أهله من الليل إلا أن يجده يقظانًا فيدعوه فيناوله وضُوءه ، وكان يصوم الدهر .

(ذكر خلافته)

بويع يوم الإثنين لليلة بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين واستقبل بخلافته المحرَّم سنة أربع وعشرين ، وعاش في الخلافة اثنتي عشرة سنة ، قال أبو معشر: إلا اثنتي عشرة ليلة .

(ذكر مقتله)

حصر في منزله أيامًا ثم دخلوا عليه فقتلوه يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من ذي الحجة ، ويقال لثماني عشرة خلت من سنة خمس وثلاثين .

واختلف في قاتله ، فقيل : الأسود التجيبي من أهل مصر ، وقيل : جبلة بن الأيهم[(١)] ، وقيل : سودان بن رومان المرادي ، ويقال ضربه التجيبي ومحمد بن أبي حذيفة وهو يقرأ في المصحف ، وكان صائمًا يومئذ .

ودفن ليلة السبت بالبقيع سنة تسعين ، وقيل خمس وتسعين ، وقيل ثمان وثمانين ، وقيل اثنتان وثمانين .

وعن عبد الله بن فروخ قال : شهدت عثمان بن عفان دفن في ثيابه بدمائه ، وقيل : صلى عليه الزبير ، وقيل : حكيم بن حزام ، وقيل : جُبير بن مُطعِم .

وعن الحسن ، قال : لقد رأيت الذين قتلوا عثمان تحاصبوا في المسجد حتى ما أبصر أديم السماء ، وأن إنسانًا رفع مصحفًا من حُجرات النبي ﷺ ثم نادى : ألم تعلموا أن محمدًا ﷺ قد برىء ممن فرَّق دينه وكان شِيَعًا ؟ .

---

(١) جبلة بن الأيهم الغسانى ، كان من متنصرة العرب وقاتل مع الروم ضد المسلمين فى موقعة اليرموك ، انظر : شذرات الذهب (١/ ٢٧) .

(ذكر ثناء الناس عليه - رضي الله عنه وأرضاه)

قد صحّ عن أبي بكر الصديق أنه أملى على عثمان وصيته عند موته فلما بلغ إلى ذكر الخليفة أغمي عليه . فكتب عثمان : « عمر » . فلما أفاق قال : من كتب؟ قال : «عمر»، فقال : لو كتبت نفسك لكنت لها أهلاً .

وقد صحّ عن عمر أنه جعله في أهل الشورى وشهد له أن رسول الله ﷺ مات وهو عنه راض .

وعن مطرّف قال : لقيت عليًا - عليه السلام - فقال لي : يا أبا عبد الله ما بطأ بك عنا؟ أحُبُّ عثمان ؟ أما لئن قلت ذاك لقد كان أوصلنا للرحم وأتقانا للرَّب تعالى .

عن ابن عمر قال : كنا نُخَيِّرُ بين الناس في زمن النبى ﷺ فنخيرُ أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب ، ثم عثمان بن عفان - رضي الله عنهم - انفرد بإخراجه البخاري [1] .

وعن عبد الله قال ، حين استُخلف عثمان : استخلفنا خيرَ من بقي ولم نألُه .

وعن ابن عمر : ﴿ **أمَّن هو قانتٌ آناء الليل ساجدًا وقائمًا يَحْذَرُ الآخرة ويرجو رحْمةَ ربّه** ﴾ [2] قال : هو عثمان بن عفان - رضي الله عنه وأرضاه - وحشرنا في زمرته وأماتنا على سنته ومحبته .

٥ ـ أبو الحسن على بن أبي طالب رضي الله عنه

واسم أبي طالب : عبد مناف بن عبد المطلب ، وأمه : فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ، أسلمت وهاجرت ، ويكنى أبا الحسن وأبا تراب ، وأسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع ، ويقال عشر ويقال خمس عشرة وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك ، فإن رسول الله ﷺ خلَّفه في أهله وكان غزير العلم .

(ذكر صفته)

كان أدم شديد الأدمة [3] ، ثقيل العينين عظيمهما ، أقرب إلى القصر من الطول ، ذا بطن ، كثير الشعر ، عظيم اللحية ، أصلع ، أبيض الرأس واللحية ، لم يصفه أحد بالخضاب إلا سوادة بن حنظلة فإنه قال : رأيت عليًا أصفر اللحية ، ويشبه أن يكون قد خضب مرة ثم ترك .

(ذكر أولاده رضي الله عنه)

كان له من الولد أربعة عشر ذكرًا وتسع عشرة أنثى : الحسن ، والحسين ، وزينب

---

(١) رواه البخارى (٣٦٥٥) . (٢) سورة الزمر آية : ٩ . (٣) الأدمة : السمرة .

الكبري، وأم كلثوم الكبرى : أمهم فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، ومحمد الأكبر وهو ابن الحنفية وأمه : خولة بنت جعفر ، وعبيد الله قتله : المختار ، وأبو بكر : قُتل مع الحسين، أمهما : ليلى بنت مسعود ، والعباس الأكبر وعثمان وجعفر وعبد الله قُتلوا مع الحسين ، أمهم أم البنين بنت حزام بن خالد ، ومحمد الأصغر قُتل مع الحسين ، أمه أم ولد ، ويحيى وعون : أمهما أسماء بنت عميس ، عمر الأكبر ،ورقية : أمهما الصهباء سبية ، ومحمد الأوسط : أمه أمامة بنت أبي العاص ، وأم الحسن ، ورملة الكبرى : أمهما أم سعيد بنت عروة ، وأم هانيء ، وميمونة ، وزينب الصغرى ، ورملة الصغرى، وأم كلثوم الصغرى ، وفاطمة ، وأمامة ، وخديجة وأم الكرام ، وأم جعفر ، وجُمانة ، ونفيسة ، وأم سلمة: وهن لأمهات شتى، وابنة أخرى لم يذكر اسمها ماتت صغيرة .

فهؤلاء الذين عرفنا من أولاد علي عليه السلام .

(ذكر ارتقائه منكب رسول الله ﷺ)

عن أبي مريم ، عن علي ، قال : انطلقت أنا والنبي - عليه السلام - حتى أتينا الكعبة، فقال لي رسول الله ﷺ: اجلس . وصعد على منكبي . فذهبت لأنهض به فرأى مني ضعفًا فنزل وجلس لي نبي الله ، وقال لي : اصعد على منكبي فصعدت على منكبيه . قال : فنهض بي فإنه ليخيَّل إليَّ أني لو شئت لنلت أفق السماء ، حتى صعدت على البيت وعليه تمثال صُفْر أو نحاس ، فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله ومن بين يديه ومن خلفه حتى استمكنت منه . قال لي رسول الله ﷺ : اقذف به . فقذفت به فتكسر كما تتكسر القوارير ثم نزلت فانطلقت أنا ورسول الله ﷺ نَستَبِق حتى توارينا بالبيوت خشية أن يلقانا أحد من الناس . رواه أحمد (١) .

(ذكر محبة الله - عز وجل - له ومحبة رسول الله ﷺ)

عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : لأعطيّن هذه الراية غدًا رجلاً يفتح الله عليه ، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله . قال : فبات الناس يذكرون أيهم يعطاها . فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ ، كلُّهم يرجو أن يعطاها . فقال : أين علي بن أبي طالب ؟ فقيل : يا رسول الله يشتكي عينه . قال : فأرسلوا إليه. فأتي به ، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبريء حتى كأن لم يكن به

---

(١) رواه أحمد (١/ ٨٤) وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر ، وأخرجه البخارى فى تاريخه ، وأورده الحافظ الهيثمى فى (المجمع : ٦/ ٢٣) ، وعزاه لأحمد وابنه وأبى يعلى والبزار وقال : ورجال الجميع ثقات .

وجع ، فأعطاه الراية فقال علي - عليه السلام: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا . فقال أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم . رواه الإمام أحمد وأخرجاه في الصحيحين عن قتيبة (1) .

(ذكر إخاء النبي ﷺ عليًا عليه السلام)

عن سعد بن أبي وقاص قال : خلَّف رسول الله ، علي بن أبي طالب في غزوة تبوك، فقال : يا رسول الله تخلِّفني في النساء والصبيان ؟ فقال : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟ غير أنه لا نبي بعدي » أخرجاه في « الصحيحين » (2) .

(ذكر جمل من مناقبه رضي الله عنه)

عن زرّ بن حُبيش ، قال : قال علي - عليه السلام : والله إنه لما عهد إلى رسول الله ﷺ إنه قال : لا يُبغضنى إلا منافق ولا يُحبنى إلا مؤمن . انفرد بإخراجه مسلم (3) .

وعن زاذان ، قال : سمعت عليًا بالرُّحْبَة وهو ينشد الناس : من شهد رسول الله ، في يوم « غدير خُمّ » (4) وهو يقول ما قال . فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ، يقول : « من كنتُ مولاه فعلي مولاه » رواه الإمام أحمد (5) .

وعن هُبيرة قال : خطبنا الحسن بن علي فقال : لقد فارقكم رجل بالأمس لم يسبقه الأولون بعلْم ، ولم يدركه الآخرون . كان رسول الله ﷺ يبعثه بالراية ، جبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله ، لا ينصرف حتى يُفتح له . رواه أحمد (6) .

وعن سعيد بن المسيب قال : كان عمر يتعوذ بالله من معضلةٍ ليس لها أبو حسن .

(ذكر زهده)

عن علي بن ربيعة ، عن علي بن أبي طالب قال : جاءه ابن التيَّاح فقال : يا أمير المؤمنين امتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء فقال : الله أكبر . ثم قام متوكئًا على ابن التياح حتى قام على بيت المال فقال :

---

(1) رواه البخاري (٣٧٠١) ومسلم (فضائل الصحابة / ٣٣ - ٣٤) ، وأحمد (١/ ٩٩) .

(2) رواه البخاري (٣٧٠٦) ومسلم (فضائل الصحابة / ٣٢) باب من فضائل علي بن أبي طالب .

(3) رواه مسلم فى (الإيمان ، باب الدليل على حب الأنصار وعلى رضى الله عنه من الإيمان) باختلاف فى اللفظ عما أورده المصنف .

(4) موضع بين مكة والمدينة .

(5) رواه أحمد (١/ ٨٤) وابن أبي عاصم (١٣٧٢) ، وانظر : السلسلة الصحيحة (١٧٥٠) .

(6) رواه أحمد فى مسنده (١/ ١٩٩) وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر .

هذا جَنَاي وخيارُه فيه وكلُّ جانٍ يَدُه إلى فيه

يا ابن التياح عليَّ بأشياخ الكوفة . قال : فنودي في الناس ، فأعطى جميع ما في بيت المال وهو يقول : يا صفراء يا بيضاء غُرِّي غيري . ها ، وها ، حتى ما بقي فيه دينار ولا درهم . ثم أمر بنضحه ، وصلى فيه ركعتين . رواه أحمد .

وعن أبي صالح قال : قال معاوية بن أبي سفيان لضرار بن ضمرة : صف لي عليًا . فقال : أو تعفيني؟ قال : بل صفْه . قال : أو تعفيني ؟ قال : لا أعفيك . قال : أما إذًا فإنه والله كان بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلاً ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه ، وينطق بالحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل وظلمته ، كان والله غزير الدمعة ، طويل الفكرة ، يقلب كفه ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس ما خشُن ، ومن الطعام ما جَشبَ (١) ، كان والله كأحدنا ، يجيبنا إذا سألناه ، ويبتدئنا إذا أتيناه ، ويأتينا إذا دعوناه ، ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة ، ولا نبتديه لعظمه . فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم ، يعظّم أهل الدين ، ويحب المساكين ، لا يطمع القويُّ في باطله ، ولا ييأس الضعيفُ من عدله . وأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سُجوفه وغارت نجومُه ، وقد مثل في محرابه قابضًا على لحيته يتململ تململ السليم ، ويبكي بكاء الحزين ، وكأني أسمعه وهو يقول: يا دنيا يا دنيا أبي تعرَّضت أم لي تشوَّفت ؟ هيهات هيهات غُرِّي غيري ، قد بَتَتُّك ثلاثًا لا رجعة لي فيك، فعمرك قصير ، وعيشك حقير ، وخطرك كبير . آه من قلَّة الزادَ وبُعد السفر ، ووحشَة الطريق .

قال فذرفت دموع معاوية – رضي الله عنه – حتى خرَّت على لحيته فما يملكها ، وهو ينشفها بكمه ، وقد اختنق القوم بالبكاء . ثم قال معاوية : رحم الله أبا الحسن، كان والله كذلك ، فكيف حزنك عليه يا ضِرار قال : حزن من ذُبح ولدها في حجرها فلا ترقأ عَبْرتها، ولا يسكن حزنها (٢) .

وعن هارون بن عنترة ، عن أبيه ، قال : دخلت على علي بن أبي طالب بالخَورْنَق(٣) وهو يرعد تحت سَمَلٍ قطيفة فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن الله تعالى قد جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال نصيبًا وأنت تصنع بنفسك ما تصنع ! فقال : وأما ما أرزؤكم من مالكم شيئًا وإنها لقطيفتي التي خرجت بها من منزلي ، أو قال من المدينة .

(١) أى ما غلظ من الطعام .

(٢) رواه أبو نعيم فى الحلية (١/ ٨٤ ، ٨٥) ، وفى سنده محمد بن السائب الكلبى وهو متهم بالكذب ، ورمى بالرفض كما قال الحافظ فى التقريب .

(٣) الخورنق : موضع بالكوفة .

وعن أبي مُطَرّف قال : رأيت عليًا - عليه السلام - مؤتزرًا بإزار مرتديًا برداء، ومعه الدرة كأنه أعرابي يدور ، حتى بلغ سوق الكرابيس [1] فقال : يا شيخ أحسن بيعي في قميص بثلاثة دراهم . فلما عرفه لم يشتر منه شيئًا فأتى غلامًا حدثًا فاشترى منه قميصًا بثلاثة دراهم . ثم جاء أبو الغلام فأخبره فأخذ أبوه درهمًا ثم جاء به فقال : هذا الدرهم يا أمير المؤمنين . قال : ما شأن هذا الدرهم ؟ قال كان قميصنا ثمن درهمين . قال : باعنى رضاى وأخذ رضاه .

وعن عمرو بن قيس ، أن عليًا - عليه السلام - رئي عليه إزار مرقوع ، فعوتب في لبوسه فقال : يقتدي بي المؤمن ، ويخشع له القلب [2] .

وعن أبي النوار قال : رأيت عليًا اشترى ثوبين غليظين ، خيِّر قنبرًا أحدهما [3] .

وعن فُضيل بن مسلم ، عن أبيه ، أن عليًا اشترى قميصًا ثم قال : اقطعه لي من ها هنا مع أطراف الأصابع ، وفي رواية أخرى أنه لبسه فإذا هو يفضل عن أطراف أصابعه فأمر به فقُطع ما فضل عن أطراف الأصابع .

وعن علي بن الأقمر عن أبيه قال : رأيت عليًا - عليه السلام - وهو يبيع سيفًا له في السوق ويقول : من يشترى مني هذا السيف ؟ والذي فلق الحبّة لطال ما كشفت به الكرْب عن وجه رسول الله ﷺ ، ولو كان عندي ثمن إزار ما بعته[4] .

(ذكر ورعه)

عن رجل من ثقيف أن عليًا - عليْه السلام - استعمله على عُكبر [5] قال : قال لي : إذا كان عند الظهر فَرُحْ إليَّ فرحتُ إليه فلم أجد عنده حاجبًا يحبسني دونه ، فوجدته جالسًا وعنده قدح وكوز من ماء ، فدعا بظبية ، فقلت في نفسي : لقد أمنني حين يخرج إليَّ جوهرًا ولا أدري ما فيها ، فإذا عليها خاتم ، فكسر الخاتم فإذا فيها سويق [6] ، فأخرج منها فصبَّ في القدح وصب عليه ماء فشرب وسقاني ، فلم أصبر فقلت : يا أمير المؤمنين، أتصنع هذا بالعراق وطعام العراق أكثر من ذلك قال : أما والله ما أختم عليه بخلاً عليه، ولكني أبتاع قدر ما يكفيني فأخاف أن يفنى فيصنع من غيره ، وإنما حفظي لذلك وأكره أن أدخل بطني إلا طيبًا .

وعن عمرو بن يحيى عن أبيه قال : أهدي إلى علي بن أبي طالب أزقاق [7] سمن

---

(١) الكرابيس : فارسى معرب أى الثياب الخشنة .
(٢) رواه أحمد فى الزهد (ص ١٢٥) .
(٣) المصدر السابق (ص ١٢٧) .
(٤) رواه أحمد فى الزهد (ص ١٢٥) .
(٥) عكبر : بلدة صغيرة بالعراق .
(٦) دقيق الحنطة والشعير .
(٧) الزق : السقاء .

وعسل، فرآها قد نقصت ، فسأل ، فقيل له : بعثت أم كلثوم فأخذت منه. فبعث إلى المقوّمين فقوّموه خمسة دراهم ، فبعث إلى أم كلثوم : ابعثي إليّ بخمسة دراهم .

وعن مجاهد قال : قال علي - عليه السلام - : جعتُ مرةً بالمدينة جوعًا شديدًا فخرجت أطلب العمل في عوالي المدينة فإذا أنا بامرأة قد جمعتْ مدرًا فظننتها تريد بلّه فأتيتها ، فقاطعتها كلَّ ذنوب على تمرة . فمددت ستة عشر ذنوبًا حتى مجلت يدي ثم أتيت الماء فأصبت منه ، ثم أتيتها فقلت بكفي « هكذا » بين يديها ، وبسط إسماعيل يديه وجمعهما ، فعدَّتْ لي ست عشرة تمرة فأتيت النبي ﷺ فأخبرته ، فأكل معي منها.

(كلمات منتخبة من كلامه ومواعظه - عليه السلام -)

عن عبد خَيْر عن علي - عليه السلام - قال : ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ، ولكن الخير أن يكثر عملك ويعظم حلمك ، ولا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين: رجلٍ أذنب ذُنوبًا فهو يتدارك ذلك بتوبة . أو رجل يسارع في الخيرات . ولا يقِّل عمل في تقوى وكيف يقل ما يُتقبَّل .

وعن مهاجر بن عمير قال : قال علي بن أبي طالب : «إن أخوف ما أخاف اتباع الهوى وطول الأمل : فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق ، وأما طول الأمل فينسى الآخرة، ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة ألا وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب ، وغدًا حساب ولا عمل » [(١)] .

وعن رجل من بني شيبان أن علي بن أبي طالب - عليه السلام - خطب فقال : «الحمد لله أحمده وأستعينه ، وأؤمن به وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليزيح به علتكم ، وليوقظ به غفلتكم، واعلموا أنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت، وموقفون على أعمالكم ومجزِّيون بها ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا فإنها دارٌ بالبلاء محفوفة ، وبالفناء معروفة ، وبالغَدر موصوفة ، وكل ما فيها إلى زوال وهي بين أهلها دُوَل وسِجال ، ولا تدوم أهوالها ، ولن يسلم من شرها نُزَّالها، بينا أهلها منها في رخاء وسرور ، إذا هم منها في بلاء وغرور ، أحوال مختلفة وتارات متصرفة ، العيش فيها مذموم ، والرخاء فيها لا يدوم ، وإنما أهلها فيها أغراض مستهدفة ترميهم بسهامها ، وتقصمهم بحمامها ، وكل حتفه فيها مقدور وحظُّه فيها موفور .

---

(١) رواه أحمد في الزهد ص (١٢٤) .

واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من زهرة الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان أطول منكم أعمارًا ، وأشد منكم بطشًا ، وأعمر ديارًا ، وأبعد آثارًا ، فأصبحت أموالهم هامدة من بعد نقلتهم ، وأجسادهم بالية ، وديارهم خالية ، وآثارهم عافية ، فاستبدلوا بالقصور المشيدة والنمارق الممهّدة (١) ، الصخور والأحجار في القبور التي قد بني على الخراب فناؤها ، وشيد بالتراب بناؤها ، فمحلها مقترب ، وساكنها مغترب ، بين أهل عمارة موحشين ، وأهل محلة متشاغلين ، لا يستأنسون بالعمران ،ولا يتواصلون تواصل الجيران والإخوان ، على ما بينهم من قرب الجوار ، ودنوّ الدار ، وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله البلى وأظلّتهم الجنادل (٢) والثرى ، فأصبحوا بعد الحياة أمواتًا ، وبعد غضارة العيش رفاتًا ، فُجع بهم الأحباب ، وسكنوا التراب ، وظعنوا فليس لهم إياب ، هيهات هيهات ، ﴿ **كلاّ إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهمْ برزخ إلى يوم يُبْعَثُون** ﴾ (٣) وكأن قد صرتم إلى ما صاروا إليه من البلى ، والوحدة في دار المثوى ، ارتُهنتم في ذلك المضجع، وضمكم ذلك المستودع ، فكيف بكم لو قد تناهت الأمور ، وبُعثرت القبور ، وحُصِّل ما في الصدور ، ووقفتم للتحصيل ، بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب لإشفاقها من سالف الذنوب ، وهتكت عنكم الحجُب والأستار ، وظهرت منكم العيوب والأسرار ، هنالك ﴿ **تُجزى كلُّ نفْس بما كسبتْ** ﴾ (٤) إن الله - عز وجل - يقول : ﴿ **ليَجْزيَ الذين أساؤوا بما عَملوا ويَجْزيَ الذين أحسنوا بالحسنى** ﴾ (٥) وقال : ﴿ **وَوُضعَ الكتابُ فترى المُجرمين مشفقينَ مما فيه ويَقولون يا ويْلَتنا ما لهذا الكتاب لا يُغادرُ صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرًا ولا يَظْلم ربُّك أحدًا** ﴾ (٦) جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابه ، متّبعين لأوليائه ، حتى يُحلّنا وإيّاكم دار المقامة من فضله، إنه حميد مجيد» .

عن الحسن ، عن علي - عليه السلام - ، قال : طُوبى لكل عبد نُومَة عرف الناسَ ولم يعرفه الناسُ ، عرفه الله برضوان ، أولئك مصابيح الهدى ، يكشفُ الله عنهم كل فتنة مظلمة ، سيدخلهم الله في رحمة منه ، ليسوا بالمذاييع البُذُر ولا الجفاة المرائين .

وعن عاصم بن ضَمْرة ، عن علي - عليه السلام - : « ألا إن الفقيه الذي لا يُقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم من عذاب الله ، ولا يُرخص لهم في معاصي الله ، ولا يدع القرآن رغبةً عنه إلى غيره ، ولا خير في عبادة لا علم فيها ، ولا خير في علم لا فهم فيه، ولا خير في قراءة لا تدبّر فيها » .

---

(١) النمارق : الوسائد . (٢) الجنادل : الصخور . (٣) سورة المؤمنون آية : ١٠٠ .
(٤) سورة غافر آية : ١٧ . (٥) سورة النجم آية : ٣١ . (٦) سورة الكهف آية : ٤٩ .

وعن الشعبي ، أن عليًا – عليه السلام – قال : « يا أيها الناس ، خذوا عني هؤلاء الكلمات ، فلو ركبتم المطيَّ حتى تُنضوها ما أصبتم مثلها : لا يرْجُونَّ عبد إلا ربَّه ، ولا يخافنّ إلا ذنبه ، ولا يستحيي ـ إذا لم يعلم ـ أن يتعلَّم ، ولا يستحيي ـ إذا سُئل عما لا يعلم ـ أن يقول : لا أعلم . واعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس له » .

وعن أبي عبد الرحمن السُّلمي ، عن علي بن أبي طالب ، قال : أوحى الله – عز وجل – إلى نبي بين الأنبياء أنه ليس من أهل بيت ولا أهل دار ولا أهل قرية يكونون لي على ما أحب فيتحولون عن ذلك إلى ما أكره ، إلا تحوَّلت لهم مما يحبون إلى ما يكرهون ، وليس من أهل بيت ولا أهل دار ولا أهل قرية يكونون لي على ما أكره فيتحولون من ذلك إلى ما أحب إلا تحولت لهم مما يكرهون إلى ما يحبون .

وعن عبد الله بن عباس أنه قال : ما انتفعت بكلام أحد بعد رسول الله ﷺ كانتفاعي بكتاب كتب به إليَّ علي بن أبي طالب ، فإنه كتب إليَّ :

« أما بعد فإن المرء يسوءه فَوْت ما لم يكن ليدركه ، ويسرَّه دَرْك ما لم يكن ليفوته ، فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك ، وليكن أسفك على ما فاتك منها ، وما نلت من دنياك فلا تُكثِرنَّ به فرحًا ، وما فاتك منها فلا تأس عليه حزنًا ، وليكن همُّك فيما بعد الموت » .

وعن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده ، أن عليًا – رضي الله عنه – شيَّع جنازة، فلما وُضعت في لحدها عَجَّ أهلها وبكوها (1) فقال : « ما تبكون ؟ أما والله لو عاينوا ما عاين ميتهم لأذهلتهم معاينتهم عن ميتهم ، وإن له فيهم لعودة ، ثم عودة ، حتى لا يبقى منهم أحدًا . ثم قام فقال : أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال، ووقَّت لكم الآجال ، وجعل لكم أسماعًا تعي ما عناها ، وأبصارًا لتجلو عن غشاها ، وأفئدة نفهم ما دهاها ، إن الله لم يخلقكم عبثًا ، ولم يضرب عنكم الذكر صفحًا بل أكرمكم بالنعم السوابغ ، وأرصد لكم الجزاء ، فاتقوا الله عباد الله وجدُّوا في الطلب ، وبادروا بالعمل قبل هادم اللذات ، فإن الدنيا لا يدوم نعيمها ، ولا تؤمن فجائعها ، غرورٌ حائل ، وسناد مائل ، اتَّعظوا عباد الله بالعبَر ، وازدجروا بالنُذر ، وانتفعوا بالمواعظ ، فكأنَّ قد علقتكم مخالب المنية ، وضُمِّنتم بيت التراب ، ودهمتكم مفْظعات الأمور بنفخة الصور ، وبعثرة القبور ، وسياق المحشر ، وموقف الحساب ، بإحاطة قدرة

(1) العج هو رفع الصوت .

الجبار ، كل نفس معها سائق يسوقها لمحشرها ، وشاهد يشهد عليها : ﴿ **وأشْرقَت الأرضُ بنُور ربِّها ووُضعَ الكتابُ وجيء بالنبيّنَ والشهداء وقُضى بينهم بالحق وهم لا يُظْلَمُوَن** ﴾ (١) فارتجت لذلك اليوم البلاد ، ونادى المنادي وحُشرت الوحوش ، وبدت الأسرار ، وارتجَّت الأفئدة، وبُرزت الجحيم قد تأجج جحيمها وغلا حميمها ، عباد الله ، اتقوا الله تقية من وَجلَ وحذرَ وأبصر وازدجر فاحتثَّ طلبًا ونجا هربًا ، وقدم للمعاد واستظهر بالزاد ، وكفى بالله . منتقمًا ونصيراً وكفى بالكتاب خصمًا وحجيجًا وكفى بالجنة ثوابًا ، وكفى بالنار وبالاً وعقابًا ، واستغفر الله لي ولكم .

وعن كُمَيْل بن زياد قال : أخذ علي بن أبي طالب بيدي فأخرجني إلى ناحية الجبَّان، فلما أصْحرنا جلس ، ثم تنفس . ثم قال : « يا كُميل بن زياد ، القلوب أوعية فخيرها أوعاها للعلم ، احفظ ما أقول لك ، الناس ثلاثة : عالم رباني ، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق ، يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركنٍ وثيق .

العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، العلم يزكو على العمل والمال تنقصه النفقة ، العلم حاكم والمال محكوم عليه وصنيعة المال تزول بزواله ، ومحبة العالم دَينٍ يدان بها ، العلم يُكسبه الطاعة في حياته ، وجميل الأحدوثة بعد مماته ، مات خزَّان المال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر ، أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم في القلوب موجودة .

إن هاهنا - وأومأ بيده إلى صدره - علمًا لو أصبت له حملة بلى أصبته لقنًا غير مأمون عليه، يستعمل آلة الدين للدنيا ، يستظهر بنعم الله على عباده ، وبحججه على كتابه ، أو معاندًا لأهل الحق لا بصيرة له في إحيائه ، ينقدح الشك في قلبه ، عارض من شبهة. لا ذا ولا ذاك . أو منهومًا باللذات سلس القياد للشهوات ، أو مُغْرىً بجمع المال والادخار ، ليسا من دعاة الدين في شيء ، أقربَ شبهًا بهم الأنعام السائمة .

كذلك يموت العلم بموت حامليه ، اللهم بلى ، لن تخلوا الأرض من قائم لله بحجة لكي لا تبطُل حُجج الله وبيناته أولئك هم الأقلون عددًا ، الأعظمون عند الله قدرًا ، بهم يحفظ الله حججه حتى يؤدوها إلى نظرائهم ويزرعونها في قلوب أشباههم ، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر ، فاستلانوا ما استوعر المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلَّقة في المحل الأعلى ، آه آه شوقًا إلى رؤيتهم، وأستغفر الله لي ولك. . إذا شئت فقم » .

---

(١) سورة الزمر آية : ٦٩ .

وعن أبي أراكة ، قال : صليت مع علي بن أبي طالب - عليه السلام - صلاة الفجر ، فلما سلم انفتل عن يمينه ، ثم مكث كأن عليه كآبة ، حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح ، قال وقلب يده :

« لقد رأيت أصحاب رسول الله ﷺ فما أرى اليوم شيئًا يشبههم لقد كانوا يصبحون شعثًا صُفرًا غُبرًا بين أعينهم أمثال رُكب المعزى ، قد باتوا لله سُجدًا وقيامًا ، يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم وأقدامهم ، فإذا أصبحوا فذكروا الله مادوا كما تميد الشجرة في يوم الريح ، وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم ، والله لكأن القوم باتوا غافلين » .

ثم نهض فما رئى مفترًا يضحك حتى ضربه ابن مُلجَم ، والسلام .

(ذكر مقتله رضي الله عنه)

عن زيد بن وهب ، قال : قدم علي على قوم من أهل البصرة من الخوارج ، فيهم رجل يقال : الجعد بن بعجة ، فقال له : اتق الله يا علي فإنك ميت . فقال له علي - عليه السلام - : « بل مقتول ، ضربة على هذا تخضب هذه - يعني لحيته من رأسه - عهد معهود ، وقضاء مقضى ، وقد خاب من افترى » .

وعاتبه في لباسه فقال : ما لكم وللباس ؟ هو أبعد من الكِبْر وأجدر أن يَقتدي بي المسلم .

وعن أبي الطفيل قال : دعا علي الناسُ إلى البيعة ، فجاء عبد الرحمن بن مُلجَم المُرادي فردَّه مرتين ، ثم أتاه فقال : ما يحبس أشقاها ؟ لتُخضبنَّ أو لتصبغنَّ هذه - يعني لحيته من رأسه - ثم تمثل بهذين البيتين :

أشدُدْ حيازيمَك للموت فإنَّ الموت آتيكَ

ولا تجْزَعْ من القتْلِ إذا حَلَّ بواديكِ

وعن أبي مجْلزٍ قال : جاء رجلٌ من مُراد إلى علي وهو يصلي في المسجد ، فقال : احترس فإن ناسًا من مراد يريدون قتلك فقال : إن مع كل رجل ملكَيْن يحفظانه مما لم يُقدّر عليه ، فإذا جاء القدر خليًّا بينه وبينه ، وإن الأجل جُنَّة حصينة .

قال العلماء بالسير : ضربه عبد الرحمن بن ملْجَم بالكوفة يوم الجمعة لثلاث عشرة بقيت من رمضان ، وقيل : ليلة إحدى وعشرين منه ، سنة أربعين فبقي الجمعة والسبت ، ومات ليلة الأحد ، وغسله أبناه وعبد الله بن جعفر ، وصلى عليه الحسن ، ودفن في السّحر ، وفي سنِّه أربعة أقوال ، أحدها : ثلاث وستون ، والثاني : خمس وستون والثالث : سبع وخمسون ، والرابع : ثمان وخمسون .

عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، قال : قُتل علي - عليه السلام - وهو ابن ثمانٍ وخمسين، ومات لها حسن وقُتل لها الحسين ومات علي بن الحسين وهو ابن ثمانٍ وخمسين. وسمعت جعفرًا يقول سمعت أبي يقول لعمته فاطمة بنت حسين أم عبد الله ابن حسن هذه تُوفي لي ثمانيًا وخمسين فمات لها .

قال سفيان : وسمعت جعفر بن محمد يقول : وقد زدت أنا على ثمان وخمسين .

وعن أبى جعفر ، قال : هلك علي بن أبي طالب وله خمس وستون سنة . قال : وكان علي وطلحة والزبير في سن واحد .

٦ ـ أبو محمد طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب

ابن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي . أمه : الصعبة بنت الحضرمي ، أخت العلاء، أسلمت وأسلم طلحة قديمًا ، وبعثه رسول الله ﷺ مع سعيد بن زيد قبل خروجه إلى بدر ، يتجسَّسان خبر العِير فمرت بهما فبلغ رسول الله ﷺ الخبر ، فخرج ورجعا يريدان المدينة ، ولم يعلما بخروج النبي ﷺ فقدما في اليوم الذي لاقى فيه رسول الله ﷺ المشركين ، فخرجا يعترضان رسول الله فلقياه منصرفًا من بدر فضرب لهما بسهامهما وأجرهما ، فكانا كمن شهدها .

وشهد طلحة أحدًا وثبت يومئذ مع رسول الله ﷺ ووقاه بيده فشلَّت إصبعه [1] وجرح يومئذ أربعًا وعشرين جراحة ويقال : كانت فيه خمس وسبعون ، بين طعنة وضربة ورمية، وسماه رسول الله ﷺ يوم أحد « طلحة الخير » ، ويوم غَزوة ذات العُشَيْرة «طلحة الفيّاض»، ويوم حُنين : « طلحة الجُود » .

(ذكر صفته)

كان آدم ، كثير الشعر ، ليس بالجعد القطط ولا بالسبط حسن الوجه ، دقيق العرنين[2] لا يغير شعره ، رضي الله عنه .

(ذكر أولاده)

كان له من الولد : « محمد » ، وهو السجَّاد ، قتل معه يوم الجمل . و«عمران » أمهما حمنة بنت جحش ، و« موسى » أمه خولة بنت القعقاع ،و«يعقوب» قتل يوم الحرة، « وإسماعيل » ، « وإسحاق » : أمهم أم أبان بنت عتبة بن ربيعة ، و«زكريا » و«يوسف » و« عائشة » أمهم أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق ، «وعيسى » و« يحيى »

---

(١) رواه البخاري (٣٧٢٤) وفى مواطن أخرى .

(٢) العرنين : الأنف .

أمهما سعدى بنت عوم ، و« أم إسحاق » : تزوجها الحسن بن علي . و« الصعبة » : أمهما أم ولد ، و« مريم » : أمها أم ولد ، و«صالح » : أمه الفريعة .

(ذكر جملة من مناقبه رضي الله عنه)

عن عبد الله بن الزبير ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يومئذ - يعني يوم أحد « أوجب طلحة حين صنع برسول الله ﷺ ما صنع » يعني حين برك له طلحة ، فصعد رسول الله ﷺ على ظهره . رواه الإمام أحمد [1] .

وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت : كان أبو بكر - رضى الله عنه - إذا ذُكر يوم أحد قال: ذاك كله يوم طلحة .

قال أبو بكر : كنت أول من جاء يوم أحد فقال لي رسول الله ﷺ ولأبي عبيدة بن الجراح : « عليكما » يريد طلحة وقد نزف . فأصلحنا من شأن النبي ﷺ ثم أتينا طلحة في بعض تلك الحفار فإذا به بضع وسبعون أو أقل أو أكثر ، بين طعنة وضربة ورمية ، وأذا قد قُطعت إصبعه ، فأصلحنا من شأنه [2] .

وعن قيس قال : رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبى ﷺ يوم أُحد ، انفرد بإخراجه البخارى [3] .

وعن موسى بن طلحة ، عن أبيه طلحة بن عبيد الله ، قال : لما رجع رسول الله ﷺ من أحد صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قرأ هذه الآية ﴿ رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نَحْبَه ﴾ [4] . فقام إليه رجل فقال : يا رسول الله ، مَن هؤلاء ؟ فأقبلت وعليَّ ثوبان أخضران، فقال : أيها السائل هذا منهم [5] .

وعن سعدى بنت عوف قالت : دخل علي طلحة ورأيته مغمومًا فقلت : ما شأنك ؟ فقال : المال الذي عندي قد كثر وقد كربني فقلت : وما عليك ؟ أقسمه ، فقسمه حتى ما بقي منه درهم .

قال طلحة بن يحيى : فسألت خازن طلحة : كم كان المال ؟ فقال : أربعمائة ألف .

عن الحسن قال : باع طلحة أرضًا له بسبعمائة ألف فبات ذلك المال عنده ليلة فبات أرِقًا من مخافة ذلك المال . فلما أصبح فرَّقه كلَّه . رواه الإمام أحمد .

وعنه : أن طلحة بن عبيد الله باع أرضًا له من عثمان بسبعمائة ألف فحملها إليه فلما

---

(١) وأخرجه الترمذى فى مناقب طلحة .
(٢) انظر : فتح البارى (١٠٣/٧ - ١٠٤) .
(٣) رواه البخارى (٣٧٢٤) .
(٤) سورة الأحزاب آية : ٢٣ .
(٥) رواه الترمذى (٣٢٠٣) وقال : حسن غريب .

جاء بها قال : إن رجلاً تبيت هذه عنده في بيته لا يدري ما يطرقه من أمر الله لغرير بالله. فبات ورسله تختلف بها في سكك المدينة ، حتى أسحر وما عنده منها درهم .

وعن سعدى بنت عوف - امرأة طلحة بن عبيد الله - قالت : لقد تصدَّق طلحة يومًا بمائة ألف ، ثم حبسه عن الرواح إلى المسجد أن جمعت له بين طرفي ثوبه.

(ذكر وفاته رضي الله عنه)

قُتل يوم الجمل ، وكان يوم الخميس لعشرة خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين. ويقال : سهمًا غربًا أتاه فوقع في حلقه ، فقال : بسم الله وكان أمر الله قدرًا مقدورًا [١] .

ويقال : إن مروان بن الحكم قتله . ودفن بالبصرة وهو ابن ستين . ويقال اثنتين وستين، ويقال : أربع وستين .

٧ ـ أبو عبد الله الزبير بن العوام

ابن خويلد بن أسد بن عبد العزَّى بن قُصي بن كلاب ، أمه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ ، وأسلمت وأسلم الزبير قديمًا وهو ابن ثماني سنين وقيل ابن ست عشرة سنة ، فعذبه عمه بالدخان لكي يترك الإسلام فلم يفعل ، وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين جميعًا ، ولم يتخلف عن غزاة غزاها رسول الله ﷺ . وهو أول من سلَّ سيفًا في سبيل الله ، وكان عليه يوم بدر ريطة صفراء معتجرًا بها [٢] وكان على الميمنة ، فنزلت الملائكة على سيماه [٣] ، وثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد وبايعه على الموت .

(ذكر صفاته رضي الله عنه)

كان أبيض طويلاً . ويقال : لم يكن بالطويل ولا بالقصير ، إلى الخفة ما هو في اللحم ويقال كان أسمر اللون ، أشعر ، خفيف العارضين .

(ذكر أولاده رضي الله عنه)

كان له من الولد : عبد الله ، وعروة ، والمنذر ، وعاصم ، والمهاجر ، وخديجة الكبرى، وأم الحسن ، وعائشة : أمهم أسماء بنت أبي بكر .

وخالد ، وعمرو ، وحبيبة ، وسودة ، وهند : أمهم أم خالد وهي أمة بنت خالد بن سعيد بن العاص .

ومصعب ، وحمزة ، ورملة : أمهم الرباب بنت أنيف بن عبيد .

---

(١) انظر الفتح (٧/ ١٠٣) . (٢) الاعتجار : لف العمامة على الرأس .

(٣) السيما : العلامة ، قال تعالى : ﴿ سيماهم في وجوههم ﴾ .

وعبيدة ، وجعفر : أمهما زينب .

وزينب : أمها أم كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعيط .

وخديجة الصغرى : أمها الحلال بنت قيس .

(ذكر جملة من مناقبه رضى الله عنه)

عن أبي الأسود قال : أسلم الزبير بن العوام وهو ابن ثماني سنين . وهاجر وهو ابن ثماني عشرة سنة . وكان عم الزبير يعلق الزبير في حصير ويدخن عليه بالنار وهو يقول: ارجع إلى الكفر . فيقول الزبير : لا أكفر أبدًا .

وعن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل قال : كان إسلام الزبير بعد إسلام أبي بكر . كان رابعًا أو خامسًا .

وعن عبد الله بن الزبير عن أبيه . قال : جمع لي رسول الله ﷺ أبويه يوم أحد .

وعن عبد الله بن الزبير . قال : لما كان يوم الخندق كنت أنا وعمر بن أبي سلمة في الأُطم [1] الذي فيه نساء رسول الله ﷺ . أطم حسان . وكان يرفعني وأرفعه . فإذا رفعني عرفت أبي حين يمرُّ إلى بني قريظة ، وكان يقاتل مع رسول الله ﷺ يوم الخندق، فقال من يأت بني قريظة فيأتينى بخبرهم ؟ فقلت له حين رجع : يا أبة إن كنتُ لأعرفك حين تمرُّ ذاهبًا إلى بني قريظة . فقال : يا بنى أما والله إن كان رسول الله ﷺ ليجمع لي أبويه جميعًا يتفدَّاني بهما ويقول : فداك أبي وأمي. أخرجاه في « الصحيحين » [2] .

وعن جابر بن عبد الله قال : لما كان يوم الخندق ندب رسول الله ﷺ الناس فانتدب الزبير، ثم ندبهم فانتدب الزبير ، فقال رسول الله ﷺ : لكل نبي حواري ،وحواريَّ الزبير، أخرجاه في « الصحيحين » [3] .

وعن سعيد بن المسيب قال : أول من سلَّ سيفًا في سبيل الله الزبير بن العوام. بينما هو بمكة إذ سمع نغمة ، يعني صوتًا أن النبي ﷺ قد قتل ، فخرج عريانًا ما عليه شيء في يده السيف صلتًا فتلقاه النبي ﷺ كفَّة بكفّة ، فقال له : ما لك يا زبير ؟ قال : سمعت أنك قد قتلت . قال : فما كنت صانعًا ؟ قال : أردت والله أن أستعرض أهل مكة قال فدعا له النبي ﷺ .

وعن عمرو بن مصعب بن الزبير قال : قاتل الزبير مع رسول الله ﷺ وهو ابن اثنتى عشرة سنة ، فكان يحمل على القوم .

---

(١) الأطم : هو المكان المرتفع ، والجمع « أطام » .

(٢) رواه البخارى (٣٧٢٠) ، ومسلم (٢٤١٦) .

(٣) رواه البخارى (٣٧١٩) .

وعن نهيك قال : كان للزبير ألف مملوك يؤدون الضريبة ، لا يدخل بيت ماله منها درهم. يقول : يتصدق بها وفي رواية أخرى فكان يقسمه كل ليلة ثم يقوم إلى منزله ليس معه منه شيء .

وعن جويرية قالت : باع الزبير دارًا له بستمائة ألف . قالت : فقيل له : يا أبا عبد الله غُبنت . قال : كلا والله لتعلمُنَّ أني لم أُغبن هي في سبيل الله .

وعن علي بن زيد قال : أخبرني من رأى الزبير وإن في صدره مثل العيون ، من الطعن والرمي .

وعن قيس بن أبي حازم عن الزبير بن العوام قال : من استطاع منكم أن يكون له جنى من عملٍ صالح فليفعل .

(ذكر مقتله رضي الله عنه)

قُتل الزبير يوم الجمل وهو ابن خمس وسبعين ، ويقال : ستين ، ويقال : بضع وخمسين، قتله ابن جرموز .

عن زرّ قال : استأذن ابن جرموز على علي وأنا عنده ، فقال علي : بشِّر قاتل ابن صفية بالنار . ثم قال علي : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لكل نبي حواري وحواريّ الزبير » [(١)] .

وعن عبد الله بن الزبير قال : جعل الزبير يوم الجمل يوصيني دَيْنه ، ويقول : إن عجزت عن شيء منه فاستعن عليه بمولاي قال : فوالله ما دريت ما أراد ، حتى قلت : يا أبَة من مولاك ؟ قال : الله . قال : ما وقعت في كُرْبةٍ من دَيْنه إلا قلت : يا مولى الزبير اقض عنه ، فيقضيه . وإنما دينه الذي كان عليه : أن الرجل كان يأتيه بالمال فيستودعه إياه فيقول الزبير : لا ، ولكنه سلفٍ فإني أخشى عليه الضَّيعة . قال : فحسب ما عليه من الدَّين فوجدته ألفي ألفٍ ومائتي ألفٍ . فقتل ولم يدع دينارًا ولا درهمًا إلا أرضَيْن فبعتهما يعني وقضيت دينه ، فقال بنو الزبير : اقسم بيننا ميراثنا . فقلت : والله لا أقسم بينكم حتى أنادي بالموسم أربع سنين : ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فلنقضه .

فجعل كل سنة ينادي بالموسم فلما مضى أربع سنين قسم بينهم .

وكان للزبير أربع نسوة ، فأصاب كلَّ امرأة ألف ألفٍ ومائتا ألف فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف انفرد بإخراج هذا الحديث البخاري .

---

(١) رواه البخاري (٢٩٩٧) ، ومسلم (فضائل الصحابة /٤٨/ ٢٤١٥) .

٨ ـ أبو محمد عبد الرحمن بن عوف

ابن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤى .

كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو ، وقيل : عبد الحارث ، وقيل : عبد الكعبة ، فسماه رسول الله ﷺ « عبد الرحمن » .

أمه الشفاء بنت عوف ، أسلمت وهاجرت .

أسلم عبد الرحمن قديمًا قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم ، وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين ، وشهد المشاهد كلَّها ، وثبت مع رسول الله ﷺ يوم أُحد وصلى رسول الله ﷺ خلفه في غزوة تبوك ، ذهب للطهارة فجاء وعبد الرحمن قد صلَّى بهم ركعةً ، فصلى خلفه وأتم الذي فاته ، وقال : ما قبض نبي حتى يصلي خلف رجل صالح من أمته.

وعن أبي سلمة عن أبيه أنهُ كان مع النبي ﷺ في سفر ، فذهب النبي ﷺ لحاجته ، فأدركهم وقت الصلاة ، فأقاموا الصلاة فتقدمهم عبد الرحمن ، فجاء النبي ﷺ فصلى مع الناسْ خلفه ركعةً فلما سلم قال : أصبتم ، أو : أحسنتم .

(ذكر صفته)

كان طويلاً رقيق البشرة ، فيه جنأ ، أبيض مشربًا حمرة ، ضخم الكفَّين ، أقنى .

وقال ابن إسحاق : كان ساقط الثنيتين ، أعرج ، أصيب يوم أحد فهتَم ، وجرح عشرين جراحة أو أكثر ، أصابه بعضها في رجله فعرج .

(ذكر أولاده)

كان له من الولد : سالم الأكبر ، مات قبل الإسلام ، أمه أم كلثوم بنت عتبة بن ربيعة . وأم القاسم : ولدت في الجاهلية ، وأمها بنت شيبة بن ربيعة . ومحمد وإبراهيم وحميد وإسماعيل وحميدة وأمة الرحمن : أمهم أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط . ومعن وعمر وزيد وأمة الصغرى : أمهم سهلة بنت عاصم بن عدي وعروة الأكبر : أمه بحرية بنت هانيء : وسالم الأصغر : أمه سهلة بنت سهيل بن عمرو وأبو بكر : أمه أم حكيم بنت قارظ . وعبد الله : أمه بنت أبي الخشخاش وأبو سلمة وهو عبد الله الأصغر، وأمه تماضر بنت الأصبغ . وعبد الرحمن : أمه أسماء بنت سلامة . ومصعب وآمنة ومريم : أمهم أم حريث من سبي بَهْرا ، وسهيل أبو الأبيض : أمه مجد ابنة يزيد. وعثمان : أمه غزال بنت كسرى أم ولد . وعروة ، ويحيى وبلال : لأمهات أولاده وأم يحيى : وأمها زينب بنت الصباح . وجويرية : أمها بادية بنت غيلان .

وعن ثابت البناني ، عن أنس ، قال : بينما عائشة – رضي الله عنها – في بيتها ، إذ سمعت صوتًا رجّت منه المدينة فقالت : ما هذا ؟ قالوا : عيرٌ قدمت لعبد الرحمن بن عوف من الشام ، وكانت سبعمائة راحلة فقالت عائشة : أما إني سمعت رسول ﷺ ﷺ يقول: رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حَبْوًا فبلغ ذلك عبد الرحمن فأتاها فسألها عما بلغه، فحدثته . قال فإني أشهدك أنها بأجمالها وأقتابها وأحلاسها في سبيل الله عز وجل .

وعنه ، قال : بينما عائشة في بيتها سمعت صوتًا في المدينة فقالت : ما هذا ؟ قالوا: عيرٌ لعبد الرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل من كل شيء . قال: وكانت سبعمائة بعير قال : فارتجّت المدينة من الصوت فقالت عائشة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قد رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوًا . فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فقال : إن استطعتُ لأدخُلَنَّها قائمًا . فجعلها بأقتابها وأحمالها في سبيل الله عز وجل . رواه الإمام أحمد (١) .

وعن أم بكر بنت المسور بن مخرمة ، عن أبيها ، قال : باع عبد الرحمن بن عوف أرضًا له من عثمان بأربعين ألف دينار ، فقسم ذلك المال في بني زهرة وفقراء المسلمين وأمهات المؤمنين ، وبعث إلى عائشة معي بمال من ذلك المال . فقالت عائشة : أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لن يحنو عليكن بعدي إلا الصالحون » سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة .

وعن الزهري ، قال : تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد رسول الله ﷺ بشطر ماله أربعة آلاف ، ثم تصدق بأربعين ألفًا ثم تصدق بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله تعالى ، ثم حمل على ألف وخمسمائة راحلة في سبيل الله تعالى ، وكان عامّة ماله من التجارة .

وعن جعفر بن برقان قال : بلغني أن عبد الرحمن بن عوف أعتق ثلاثين ألف بيت.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٦/ ١١٥) ، وأورده المصنف ـ في الموضوعات (٢/ ١٣) ، وقال : قال أحمد: هذا الحديث كذب منكر ، وأورده فى التلبيس (ص ٢٢٤) ، وقال : أعوذ بالله من أن يحبو عبد الرحمن فى القيامة ، أفترى من يسبق إذا حبا عبد الرحمن بن عوف ، وهو من العشرة المشهود لهم بالجنة ومن أهل بدر المغفور لهم ، ومن أصحاب الشورى ، ثم الحديث يرويه عمارة بن زاذان ، وقال البخارى : ربما اضطرب حديثه ، وقال أحمد : يروى عن أنس أحاديث مناكير ، وقال أبو حاتم الرازى : لا يحتج به ، وقال الدارقطنى : ضعيف . وانظر : القول المسدد (٩) ، والفوائد المجموعة للشوكانى برقم (١١٨٤) .

وعن سعد بن إبراهيم عن أبيه أن عبد الرحمن بن عوف أُتي بطعام وكان صائمًا فقال: «قُتل مصعب بن عمير وهو خير مني كفُن في بردة إن غُطي رأسه بدت رجلاه ، وإن غُطيَّ رجلاه بدا رأسه » . وأراه قال : « وقُتل حمزة وهو خير مني ـ يعني فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة ـ ثم بُسط لنا من الدنيا ما بُسط ، أو قال : أعطينا من الدنيا ما أُعطينا وقد خشينا أن تكون حسناتنا عُجِّلت لنا . ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام . انفرد بإخراجه البخاري [1] .

وعن نوفل بن إياس الهُذلي قال : كان عبد الرحمن لنا جليسًا ، وكان نعم الجليس ، وإنه انقلب بنا يومًا حتى دخلنا بيته ، ودخل فاغتسل ، ثم خرج فجلس معنا وأتينا بصحفة فيها خبز ولحم ، فلما وضعت بكى عبد الرحمن بن عوف . فقلنا له : يا أبا محمد ما يبكيك فقال : هلك رسول الله ﷺ ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير ولا أرانا أُخِّرنا لها لما هو خير لنا .

وعن سعيد بن حسين قال : كان عبد الرحمن بن عوف لا يُعرف من بين عبيده .

وعن أيوب ، عن محمد أن عبد الرحمن بن عوف توفي وكان فيما ترك من ذهب قُطع بالفؤوس حتى مَجلَتْ [2] أيدي الرجال منه وترك أربع نسوة ، فأخرجت امرأة من ثُمنها بثلاثين ألفًا .

(ذكر وفاته رضي الله عنه)

توفي عبد الرحمن بن عوف سنة اثنتين وثلاثين ، ودفن بالبقيع وهو ابن اثنتين وسبعين، ويقال خمس وسبعين .

٩ ـ أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

واسمه مالك [3] بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة وأمه حمنةُ .

أسلم قديمًا وهو ابن سبع عشرة سنة ، وقال : كنت ثالثًا في الإسلام وأنا أول من رمى بسهم في سبيل الله . شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وولي الولايات من قبل عمر وعثمان ، وهو أحد أصحاب الشوري .

(ذكر صفته)

كان قصيرًا غليظًا ذا هامة ، شثن الأصابع ، آدم ، أفطس ، أشعر الجسد ، يخضب بالسواد .

---

(١) أخرجه البخارى برقم (١٢٧٤ وفى مواطن أخرى) .
(٢) مجلت : أى ظهر منها ما يشبه البثور .
(٣) أى اسم والد سعد .

(ذكر أولاده رضي الله عنه)

كان له من الولد : إسحاق الأكبر ، وبه كان يكنى ، أم الحكم الكبرى : أمهما ابنة شهاب بن عبد الله ، وعمر : قتله المختار ، ومحمد : قتله الحجاج يوم دير الجماجم . وحفصة ، وأم القاسم ، وكلثوم : أمهم معاوية بنت قيس بن معدي كرب ، وعامر ، وإسحاق الأصغر ، وإسماعيل وأم عمران : أمهم أم عامر بنت عمرو . وإبراهيم ، وموسى ، وأم الحكم الصغرى ، وأم عمرو ، وهند ، وأم الزبير ، وأم موسى : أمهم زبيدة وعبد الله : أمه سلمى ، ومصعب: أمه خولة بنت عمرو . وعبد الله الأصغر ، وبجير ـ واسمه عبد الرحمن ـ وحميدة ، أمهم : أم هلال بنت ربيع بن مري . وعمير الأكبر ، وحمنة . أمهما: أم حكيم بنت قارظ . وعمير الأصغر ، وعمرو ، وعمران ، وأم عمرو ، وأم أيوب ، وأم إسحاق ، أمهم سلمى بنت حفصة . وصالح : أمه ظبية ابنة عامر. وعثمان ، ورملة أمهما : أم حجير ، وعمرة ـ وهي العمياء ـ أمها : من سبي العرب، وعائشة .

(ذكر جملة من مناقبه رضي الله عنه)

عن سعيد بن المسيب قال : قال سعد : ما أسلم أحد في اليوم الذي أسلمت فيه ، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام (١) .

وعن علي ، قال : ما سمعت رسول الله ﷺ يفدي أحدًا بأبويه إلا سعد بن مالك ، فإني سمعته يقول له في يوم أُحد : « ارم سعد ، فداك أبي وأمي » . أخرجاه في «الصحيحين » (٢) .

عن هاشم بن هاشم الزهري قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول : سمعت سعد بن أبي وقاص يقول : نثل لي رسول الله ﷺ كنانته يوم أحد وقال : « ارم فداك أبي وأمي»(٣) .

وعن قيس ، قال : سمعت سعد بن مالك يقول : إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله - عز وجل - ولقد رأيتنا نغزو مع رسول الله ﷺ وما لنا طعام نأكله إلا ورق الحُبلة وهذا السَّمُر ، حتى إن أحدنا ليضع كما تضع الشاة ، ماله خلط ، ثم أصبحت بنو أسد يعزروني على الدين ، لقد خبت إذن وضلَّ عملي (٤) .

---

(١) روا البخاري (٣٧٢٦ وفي مواطن أخرى) . (٢) رواه البخاري (٤٠٥٩) .

(٣) روى البخاري عن سعد قال: جمع لي النبي ﷺ أبويه يوم أحد رواه البخاري (٣٧٢٥) (وفي أماكن أخرى) .

(٤) رواه البخاري (٣٧٢٨) ، (وفي مواطن أخرى) .

وعن عبد الله بن عمر ، عن سعد بن أبي وقاص ، عن رسول الله ﷺ أنه مسح على الخفين ، وأن عبد الله بن عمر سأل عمر عن ذلك فقال : نعم ، إذا حدثك سعد عن رسول الله ﷺ شيئًا فلا تسأل عنه غيره [1] .

وعن جابر بن عبد الله قال : أقبل سعد ورسول الله ﷺ فقال : « هذا خالي فَلْيرِني امرؤ خاله » [2] .

وعن قيس بن أبي حازم ، عن سعد قال : قال لي النبي ﷺ : « اللهم سدد رميته ، وأجب دعوته » .

وعن يحيى بن عبد الرحمن بن لبيبة ، عن جده ، قال : دعا سعد فقال : يا رب إن لي بنين صغارًا فأخر عني الموت حتى يبلغوا . فأخَّر عنه الموت عشرين سنة .

عن طارق - يعني ابن شهاب - قال : كان بين خالد وسعد كلام ، فذهب رجل يقع في خالد عن سعد ، فقال : مه إن ما بيننا لم يبلغ ديننا .

(ذكر وفاته رضي الله عنه)

مات سعد في قصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة ، فحمل على رقاب الرجال إلى المدينة وصلى عليه مروان بن الحكم ، وهو يومئذ والي المدينة ، ثم صلى عليه أزواج النبي ﷺ في حُجرهنَّ ، ودفن بالبقيع ، وكان أوصى أن يكفن في جبة صوف له كان لقي المشركين فيها يوم بدر ، فكفن فيها ، وذلك في سنة خمس وخمسين ، ويقال سنة خمسين ، وهو ابن بضع وسبعين ، ويقال اثنتين وثمانين . وعن مالك بن أنس أنه سمع غير واحد يقول : إن سعد بن أبي وقاص مات بالعقيق فحمل إلى المدينة ودفن بها [3] .

وعن عائشة : أنه لما توفي سعد أرسل أزواج النبي ﷺ أن يمروا بجنازته في المسجد ، ففعلوا ، فوقف به على حجرهنَّ فصلَّين عليه ، وخرج من باب الجنائز ، فبلغهن أن الناس عابوا ذلك وقالوا ما كانت الجنائز يدخل بها في المسجد . فبلغ ذلك عائشة فقالت : « ما أسرع الناس إلى أن يعيبوا ما لا علم لهم به ، عابوا علينا أن نمر بجنازة في المسجد ، وما صلى رسول الله ﷺ على سهيل بن بيضاء إلا في جوف المسجد » .

١٠ - أبو الأعور سعيد بن زيد

ابن عمرو بن نفيل بن العزى بن رباح بن عبد الله بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤى ، أمه فاطمة بنت بعجة بن أمية . أسلم قديمًا قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار

---

(١) رواه البخاري (٢٠٢) باب : المسح على الخفين بنحوه .
(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٥٢) . (٣) انظر : الاستيعاب (٢/ ٦١٠) .

الأرقم، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ما خلا بدرًا ؛ فإنه لم يحضرها للسبب الذي ذكرناه في ترجمة طلحة . وكان أدم طُوالاً أشعر .

وله من الولد : عبد الله الأكبر ، وعبد الله الأصغر ، وعبد الرحمن الأكبر ، وعبد الرحمن الأصغر ، وإبراهيم الأكبر ، وإبراهيم الأصغر ، وعمرو الأكبر وعمرو الأصغر، والأسود ، وطلحة ، ومحمد ، وخالد ، وزيد ، وأم الحسن الكبرى ، وأم الحسن الصغرى ، وأم حبيب الكبرى ، وأم حبيب الصغرى ، وأم زيد الكبرى ، وأم زيد الصغرى، وعائشة ، وعاتكة ، وحفصة ، وزينب ، وأم سلمة ، وأم موسى وأم سعيد، وأم النعمان ، وأم خالد ، وأم صالح ، وأم عبد الحولاء ، وزجلة .

(ذكر جملة من مناقبه رضي الله عنه)

عن عبد الله بن ظالم قال : أخذ بيدي سعيد بن زيد فقال : قال رسول الله ﷺ: «أثبت حراء فإنه ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد » قال : قلت : من هـم ؟ فقال: «رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن مالك » ثم سكت . قال : قلت : ومـن العاشـر ؟ قال : أنا - رواه الإمام أحمد [(١)] .

وعن عبد الرحمن بن الأخنس قال : قال سعيد بن زيد : أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « رسول الله في الجنة ، وأبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعلي في الجنة ، وعثمان في الجنة ، ،وعبد الرحمن في الجنة ، وطلحة في الجنة ، والزبير في الجنة وسعد في الجنة » ثم قال : إن شئتم أخبرتكم بالعاشر . ثم ذكر نفسه. رواه الإمام أحمد [(٢)] .

وعن هشام بن عروة ، عن أبيه ، أن أروى بنت أويس استَعْدَتْ مروان على سعيد وقالت : سرق من أرضي فأدخله في أرضه . . فقال سعيد : اللهم إن كانت كاذبة فاذهب بصرها واقتلها في أرضها فذهب بصرها ووقعت في حفرة في أرضها فماتت .

(ذكر وفاته رضي الله عنه)

عن نافع ، أن سعيد بن زيد مات بالعقيق وحُمل إلى المدينة فدفن بها . وقال ابن سعد ، وقال عبد الملك بن زيد : مات بالعقيق فحمل إلى المدينة ونزل في حفرته سعد

---

(١) رواه أحمد (١/ ١٨٩) ، والترمذي (٣٧٥٧) وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر .

(٢) رواه أحمد (١/ ١٨٨) ، والترمذي (٣٧٥٨) وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر .

وابن عمر ، وذلك في سنة خمسين أو إحدى وخمسين . وكان يوم مات ابن بضع وسبعين سنة . والله أعلم .

١١ ـ أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح رضي الله عنه

ابن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة .

أسلم مع عثمان بن مظعون وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية ، وشهد بدرًا والمشاهد كلها، وثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد ونزع يومئذ بفيه الحلقتين اللتين دخلتا في وجنة رسول الله ﷺ من حلق المغفر ، فوقعت ثنيتاه فكان من أحسن الناس هتمًا .

(ذكر صفته)

كان طُوالاً نحيفًا ، أجنى [(١)] ، معروق الوجه ، أثرم الثنيتين خفيف اللحية ، وكان له من الولد : يزيد ، وعمير ، أمهما هند بنت جابر ، فدرجا [(٢)] ، ولم يبق له عقب.

(ذكر جملة من مناقبه رضي الله عنه)

عن أبي قلابة قال : حدثني أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن لكل أمة أمينًا وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح » [(٣)] .

وعنه : أن أهل اليمن لما قدموا على رسول الله ﷺ سألوه أن يبعث معهم رجلاً يعلمهم السنة والإسلام . فأخذ بيد أبي عبيدة بن الجراح فقال : « هذا أمين هذه الأمة»[(٤)] .

وعن شُريح بن عبيد ، وراشد بن أسعد ، وغيرهما ، قالوا : لما بلغ عمر بن الخطاب «سَرْغَ » حدث أن بالشام وباء شديدًا فقال : بلغني شدة الوباء بالشام ، فقلت: إن أدركني أجلي وأبو عبيدة حي استخلفته . فإن سألني الله - عز وجل : لِمَ استخلفته على هذه الأمة ؟ قلت : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن لكل نبي أمينًا ، وأميني أبو عبيدة بن الجراح » فإن أدركني أجلي وقد توفي أبو عبيدة أستخلف معاذ بن جبل . فإن سألني ربي - عز وجل : لِمَ استخلفته ؟ قلت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنه يُحشر يوم القيامة بين يدي العلماء نُبذَة » .

---

(١) أجنى : أى أحدب . (٢) أى : ماتا .

(٣) رواه البخارى (٣٧٤٤ ، وفى مواطن أخرى) ، ومسلم فى باب : فضائل أبى عبيدة .

(٤) وروى البخارى عن صلة عن حذيفة رضى الله عنه قال : « قال النبى ﷺ لأهل نجران لأبعثن يعنى عليكم أميناً حق أمين فأشرف أصحابه فبعث أبا عبيدة - رضى الله عنه . [الحديث ٣٧٤٥ - أطرافه وفى مواطن أخرى] .

وعن عمر بن الخطاب أنه قال لأصحابه : تمنوا . فقال رجل : أتمنى لو أن لي هذه الدار مملوءة ذهبًا أنفقه في سبيل الله - عز وجل . ثم قال : تمنوا . فقال رجل : أتمنى لو أنها مملوءة لؤلؤًا وزبرجدًا أو جوهرًا أنفقه في سبيل الله - عز وجل - وأتصدق به . ثم قال : تمنوا فقالوا : ما ندري يا أمير المؤمنين . فقال عمر : أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح .

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال لما قدم عمر الشام تلقاه الناس وعظماء أهل الأرض فقال عمر : أين أخي ؟ قالوا : من ؟ قال : أبو عبيدة . قالوا : الآن يأتيك . فلما أتاه نزل فاعتنقه ، ثم دخل عليه بيته ، فلم ير في بيته إلا سيفه وترسه ورحله . فقال له عمر : ألا اتخذت ما اتخذ أصحابك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين هذا يبلِّغني المقيل . رواه الإمام أحمد .

وعن أبي قتادة ، أن أبا عبيدة بن الجراح قال : ما من الناس من أحمر ولا أسود ، حر ولا عبد ، عجمي ولا فصيح ، أعلم أنه أفضل مني بتقوى ، إلا أحببت أن أكون في مسلاخه [1] .

وعن نمران بن مخمر عن أبي عبيدة بن الجراح ، أنه كان يسير في العسكر فيقول : ألا ربَّ مبيضٍ لثيابه مدنِّس لدينه ، ألا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين بادروا السيئات القديمات بالحسنات الحديثات فلو أن أحدكم عمل من السيئات ما بينه وبين السماء ، ثم عمل حسنة لعلت فوق سيئاته حتى تغمرهن .

(ذكر وفاته رضي الله عنه)

توفي أبو عبيدة في طاعون عمواس بالأزدن وقبر ببيسان ، وصلى عليه معاذ بن جبل وذلك في سنة ثماني عشرة من خلافة عمر ، وهو ابن ثمان وخمسين سنة.

قال الشيخ رحمه الله : وإذ قد انتهينا ذكر العشرة بحمد الله ومنَّه ، فنحن نذكر المشتهرين من الصحابة بالعلم والتعبد والزهد على طبقاتهم والله الموفق .

* * *

(١) المسلاخ : الجلد .

(على السابقة في الإسلام ممن شهد بدرًا من المهاجرين والأنصار وحلفائهم ومواليهم) .

١٢ - حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه

أمه : هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة يكنى أبا عمارة .

وكان له من الولد : يعلى ، وعامر ، وبنت - وهي التي اختصم بها زيد وجعفر وعلي - واسمها أمامة .

انفرد الواقدي ، فقال : عمارة . قال محمد بن كعب القرظي : قال أبو جهل في رسول الله ﷺ . فبلغ ذلك حمزة فدخل المسجد مغضبًا فضرب رأس أبي جهل بالقوس ضربة أوضحته . وأسلم حمزة فعزَّ به رسول الله ﷺ والمسلمون ، وذلك في السنة السادسة من النبوة بعد دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم [١] .

قال يزيد بن رومان : وأول لواء عقده رسول الله ﷺ حين قدم المدينة لحمزة .

وعن علي - عليه السلام - قال : لما كان يوم بدر ودنا الناس منا إذا رجل منهم على جمل له أحمر يسير في القوم ، فقال رسول الله ﷺ : يا علي ناد لي حمزة ، وكان أقربهم من المشركين ، من صاحب الجمل الأحمر ؟ وماذا يقول لهم ؟ فجاء حمزة فقال: هو عتبة بن ربيعة وهو ينهي عن القتال . قال : فبرز عتبة وشيبة والوليد فقالوا : من يبارز ؟ فخرج فتية من الأنصار فقال عتبة : لا نريد هؤلاء ولكن يبارزنا من بني عمنا ، فقال رسول الله ﷺ : قم يا علي ، قم يا حمزة ، قم يا عبيدة بن الحارث . رواه الإمام أحمد [٢] .

(ذكر مقتل حمزة رضي الله عنه)

عن جعفر بن عمرو الضمري قال : خرجت مع عبيد الله بن عدي بن الخيار إلى الشام. فلما قدمنا حمص قال لي عبيد الله : هل لك في وحشي نسأله عن قتل حمزة ؟ قلت : نعم . وكان وحشي يسكن حمص . فجئنا حتى وقفنا عليه فسلمنا فرد السلام ، وعبيد الله معتجر بعمامته ما يرى وحشي إلا عينيه ورجليه . فقال عبيد الله : يا وحشي أتعرفني ؟ قال : فنظر إليه ثم قال : لا والله ، إلا أني أعلم أن عدي بن الخيار تزوج امرأة فولدت له غلامًا فاسترضعه ، فحملت ذلك الغلام مع أمه فناولتها إياه ، فكأني نظرتُ إلى قدميه .

---

(١) أخرجه الطبراني مرسلاً .

(٢) رواه أحمد (١/١١٧) ، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله - وقال الحافظ ابن كثير في البداية (٣/٢٧٧ ، ٢٧٨) : هذا سياق حسن وفيه شواهد لما تقدم ولما سيأتي وقد تفرد بطوله الإمام أحمد ، وروى أبو داود بعضه من حديث إسرائيل . وقال الهيثمي في المجمع (٦/٧٥) رواه أحمد والبزار ، ورجال أحمد رجال الصحيح غير حارثة بن مضرب وهو ثقة .

فكشف عبيد الله وجهه ثم قال : ألا تخبرنا بقتل حمزة ؟ فقال : نعم ، إن حمزة قتل طعيمة بن عدي ببدر فقال لي مولاي جبير بن مطعم : إن قتلت حمزة بعمِّي فأنت حُر .
فلما خرج الناس عام « عينين » ـ قال : وعينين جبل أحد بينه وبينه واد ـ خرجت مع الناس إلى القتال فلما أن اصطفوا للقتال خرج سباع فقال : هل من مبارز ؟ فخرج إليه حمزة فقال : يا سباع ، يا بن أم أنمار ، يا ابن مقطعة البظور [1] : أتحارب الله ورسوله؟ ثم شد عليه فكان كأمس الذاهب وكمنت لحمزة تحت صخرة حتى مر عليَّ فلما أن دنا مني رميته بحربتي فأضعُها في ثُنته [2] ، حتى دخلت بين وركيه ، وكان ذلك آخر العهد به . فلما رجع الناس رجعت معهم فأقمت بمكة ، حتى فشا فيها الإسلام ، ثم خرجت إلى الطائف.
فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ رجلاً فقالوا : إنه لا يهيج الرسل فخرجت معهم حتى قدمت على رسول الله ﷺ فلما رآني قال : أنت وحشي ؟ قلت : نعم . قال: أنت قتلت حمزة؟ قلت : قد كان من الأمر ما بلغك يا رسول الله . قال: أما تستطيع أن تغيِّب وجهك عني ؟
قال : فرجعت فلما توفي رسول الله ﷺ وخرج مسيلمة الكذاب قلت : لأخرجن إلى مسيلمة لعلي أقتله فأكافيء به حمزة. فخرجت مع الناس فكان من أمرهم ما كان . قال : وإذا رجل قائم من ثلمة جدار كأنه جمل أورَق ، ثائر رأسه ، قال : فأرميه بحربتي فأضعها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه . قال : ودب إليه رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته .

قال عبد الله بن الفضل : فأخبرني سليمان بن يسار ، أنه سمع عبد الله بن عمر يقول: فقالت جارية على ظهر بيتٍ : وأمير المؤمنين قتله العبد الأسود . انفرد بإخراجه البخاري[3] .

وعن الزبير أنه لما كان يوم أحد أقبلت امرأة تسعى حتى إذا كادت تشرف على القتلى. قال فكره رسول الله ﷺ أن تراهم فقال : المرأة المرأة . قال الزبير : فتوسمت أنها أمي صفية ، فخرجت أسعى إليها فأدركتها قبل أن تنتهي إلى القتلى.

قال : فلدمت في صدري ، وكانت امرأة جلدة ، قالت : إليك لا أرض لك. قال : فقلت إن رسول الله قد عزم عليك . قال : فوقفت وأخرجت ثوبين معها فقالت : هذان ثوبان جئت بهما لأخي حمزة فقد بلغني مقتله ، فكفنوه بهما.

قال : فجئنا بالثوبين لنكفن فيهما حمزة فإذا إلى جنبه رجل من الأنصار قتيل قد فُعل به كما فُعل بحمزة . قال : فوجدنا غضاضة وحياءً أن نكفِّن حمزة في ثوبين والأنصاري

---

(١) البظور : جمع بظر ، وهو ما يقطع في الختان من الأنثى .
(٢) ثنته : جمع ثنين ، والثنة أسفل البطن ما بين السرة والعانة .
(٣) رواه البخاري (٤٠٧٢) ، وانظر : فتح الباري (٧/ ٤٢٩ - ٤٣٠)

لا كفن له . فقلنا : لحمزة ثوب وللأنصاري ثوب فقدرناهما فكان أحدهما أكبر من الآخر، فأقرعنا بينهما فكفنَّا كل واحد منهما في الثوب الذي طار له . رواه الإمام أحمد[1].

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ وقف على حمزة حيث استشهد فنظر إلى شيء لم ينظر إليه شيء قط كان أوجع لقلبه منه . ونظر إليه قد مُثِّل به فقال : رحمة الله عليك فإنك كنت ـ ما علمت ـ فعولاً للخيرات وصولاً للرَّحم ، ولولا حزنُ من بعدك عليك لسرَّني أن أدعك حتى تحشر من أفواه شتى ، أما والله مع ذلك لأمثلن بسبعين منهم مكانك . فنزل جبريل ـ والنبي ﷺ واقف بعدُ ـ بخواتم النحل ﴿ **وإن عاقَبْتُم فعاقبوا بمثل ما عُوقبتُم به** ﴾ [2] إلى آخر السورة . فصبر النبي ﷺ وأمسك عما أراد .

وعن أنس قال : كان النبي ﷺ إذا صلى على جنازة كبَّر عليها أربعًا وإنه كبَّر على حمزة سبعين تكبيرة .

وعن جابر قال : لما أراد معاوية أن يجرى عينه التي بأُحد كتبوا إليه : إنا لا نستطيع أن نجريها إلا على قبور الشهداء ، فكتب انبشوهم . قال : فرأيتهم يحملون على أعناق الرجال كأنهم قوم نيام ، وأصابت المسحاة طرف رجل حمزة فانبعث دمًا .

وعنه قال : كتب معاوية إلى عامله بالمدينة أن يجري عينًا إلى أُحد فكتب إليه عامله: إنها لا تجري إلا على قبور الشهداء . قال : فكتب إليه أن أنفذها . قال : فسمعت جابر ابن عبد الله يقول : فرأيتهم يخرجون على رقاب الرجال كأنهم رجال نوم حتى أصابت المسحاة قدم حمزة فانبعث دمًا .

١٣ ـ زيد بن حارثة بن شراحيل

ابن عبد العزى بن امرىء القيس ، ويقال له زيد الحب . وأمه : سعدى بنت ثعلبة ابن عبد عامر ، زارت قومها وزيد معها ، فأغارت خيل لبني القين في الجاهلية فمروا على أبيات بني معن فاحتملوا زيداً وهو يومئذ غلام يفعة ، فوافوا به سوق عكاظ فعرضوه للبيع فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد بأربعمائة درهم ، فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهبته له وكان أبوه حارثة حين فقده قال :

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل ... أحي فيرجى أم أتى دونه الأجل
فوالله ما أدري وإن كنت سائلا ... أغالك سهلُ الأرض أم غالك الجبل

---

(١) رواه أحمد (١/ ١٦٥) وصححه الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله تعالى .
(٢) سورة النحل آية : ١٢٦ .

فيا ليت شعري هل لك اليوم رجعةٌ | فحسبي من الدنيا رجوعك لي بجل
تذكرنيه الشمس عند طلوعها | وتعرض ذكراه إذا قارب الطفل[1]
وإن هبت الأرواح هيجن ذكره | فيا طول ما حزني عليه وما وجل
سأعمل نص العيس[2] في الأرض جاهداً | ولا أسأم التطواف أو تسأم الإبل
حياتي أو تأتي علي منيتي | وكل امريء فانٍ وإن غره الأمل
وأوصي به قيساً وعمراً كليهما | وأوصي يزيداً ثم من بعده جبل

يعني جبلة بن حارثة أخا زيد ، ويزيد أخو زيد لأمه .

فحجَّ ناس من كعب فرأوا زيدًا فعرفهم وعرفوه فقال : أبلغوا أهلي هذه الأبيات فإني أعلم أنهم قد جزعوا عليَّ وقال :

ألكني إلى قومي وإن كنت نائياً | فإني قطين البيت عند المشاعر
فكفُّوا عن الوجد الذي قد شجاكم | ولا تعملوا في الأرض نص الأباعر
فإني بحمد الله في خير أسرة | كرام معدٍ كابراً بعد كابر

فانطلقوا فأعلموا أباه فخرج حارثة وكعب بن شراحيل بفدائه ، فقدما مكة فسألا عن النبي ﷺ ، فقيل هو في المسجد فدخلا عليه فقالا : يا ابن هاشم ، يا ابن سيد قومه ، أنتم أهل حرم الله وجيرانه تفكون العاني وتطعمون الأسير ، جئناك في ابننا عندك فامنن علينا وأحسن إلينا في فدائه فإنا سنرفع لك في الفداء . قال : ما هو ؟ قالوا : زيد بن حارثة . فقال رسول الله ﷺ فهلا غير ذلك ؟ قالوا: ما هو ؟ ادعوه فخيروه فإن اختاركم فهو لكما بغير فداء ، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني أحدًا . قالوا: قد زدتنا على النَّصف وأحسنت .

فدعاه فقال : هل تعرف هؤلاء ؟ قال : نعم ، هذا أبي وهذا عمي . قال : فأنا من قد علمت ورأيت محبتى لك فاخترني أو اخترهما . فقال زيد : ما أنا بالذي أختار عليك أحدًا. أنت مني بمنزلة الأب والعم . فقالا : ويحك يا زيد أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك ؟ قال : نعم إني قد رأيت من هذا الرجل شيئًا ما أنا بالذي أختار عليه أحدًا أبدًا فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك أخرجه إلى الحجر فقال : يا من حضر اشهدوا أن زيدًا ابني يرثني وأرثه . فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهما وانصرفا .

---

(١) الطفل : المطر .

(٢) العيس : الإبل .

فدعي زيد بن محمد حتى جاء الله بالإسلام فزوّجه رسول الله ﷺ زينب بنت جحش. فلما طلقها تزوجها النبي ﷺ فتكلم المنافقون في ذلك وقالوا : تزوج امرأة ابنه فنزل : ﴿**ما كان محمدٌ أبا أحد منْ رجالكُمْ**﴾ (١) ، وقال : ﴿ **أدعوهم لآبائهم** ﴾ (٢) فدعي يومئذ زيد بن حارثة (٣) .

(في صفته رضي الله عنه)

وعن محمد بن الحسن بن أسامة بن زيد عن أبيه قال : كان بين رسول الله ﷺ وبين زيد عشر سنين ، رسول الله ﷺ أكبر منه ، وكان زيد رجلاً قصيرًا آدم شديد الأدمة في أنفه فطس ، وكان يكنى أبا أسامة . وقال الزهري : أول من أسلم زيد .

قال أهل السير : وشهد زيد بدرًا وأحدًا والخندق والحديبية وخيبر ، واستخلفه رسول الله ﷺ على المدينة حين خرج إلى « المُريسيع » وخرج أميرًا في سبع سرايا ولم يسم أحدٌ من أصحاب رسول الله ﷺ في القرآن باسمه غيره .

وكان له من الولد : زيد ، هلك صغيرًا ، ورقية : أمهما أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط . وأسامة : أمه أم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ .

وقُتل زيد في غزوة مؤته في جُمادى الأولى سنة ثمانٍ وهو ابن خمس وخمسين سنة .

عن خالد بن سمير قال : لما أصيب زيد بن حارثة أتاهم النبي ﷺ قال : «استغفروا لزيد، لقد دخل الجنة وهو يسعى » فجهشت ابنة زيد في وجهه فبكى رسول الله ﷺ حتى انتحب فقال له سعد بن عبادة : ما هذا يا رسول الله ؟ قال : هذا شوق الحبيب إلى حبيبه .

١٤ ـ سالم ، مولى أبي حذيفة رضي الله عنه

كان لثُبيتة بنت يعار الأنصارية ، تحت أبي حذيفة بن عتبة . فأعتقه فتولَّى أبا حذيفة وتبناه أبو حذيفة كذا ذكره محمد بن سعد .

وقال أبو بكر الخطيب : اسم التى اعتقته سلمى بنت تعار . وقال ابن عمر: كان سالمْ يؤمُّ المهاجرين من مكة ، حتى قدم المدينة . لأنه كان أقرأهم ، وفيهم أبو بكر وعمر .

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٤٠ .   (٢) سورة الأحزاب آية : ٥ .

(٣) ذكره ابن حجر فى الإصابة وسكت عنه .

وعن عمر بن الخطاب قال : سمعت رسول الله ﷺ ، ذكر سالمًا مولى أبي حذيفة ، فقال : « إن سالمًا شديد الحب لله عز وجل » [1] .

وعن شهر بن حوشب قال : قال عمر بن الخطاب لو استخلفتُ سالمًا مولى أبي حذيفة، فسألني عنه ربي - عز وجل : ما حملك على ذلك ؟ لقلت : رب سمعت نبيك ﷺ وهو يقول : يحب الله - عز وجل - حقًا من قلبه .

وعن أحمد بن عبد الله ، قال : استشهد سالم مولى أبي حذيفة باليمامة . أخذ اللواء بيمينه فقطعت ، ثم تناولها بشماله فقطعت . ثم اعتنق اللواء وجعل يقرأ : ﴿ **وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلَتْ من قبله الرُّسُلُ أفإن ماتَ أو قُتل انقلَبْتُم على أعقابكم** ﴾ [2] إلى أن قُتل .

١٥ ـ عبد الله بن جحش

ابن رئاب بن يعمر . ويكنى أبا محمد . وأمه : أُميمة بنت عبد المطلب بن هاشم .

أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم ، وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية، وبعثه رسول الله على سرية إلى نخلة وفيها تسمى بأمير المؤمنين . فهو أول من دعي بذلك .

وعن سعيد بن المسيب : أن رجلاً سمع عبد الله بن جحش يقول - قبل يوم أُحد بيوم : اللهم إنا لاقو هؤلاء غدًا وإني أقسم عليك لمَّا يقتلونني ويبقروا بطني ويجدعوني فإذا قلت لي : لِمَ فُعل بك هذا ؟ فأقول : اللهم فيك . فلما التقوا فُعل ذلك به فقال الرجل الذي سمعه : أمَّا هذا فقد استجيب له وأعطاه الله ما سأل في جسده في الدنيا وأنا أرجو أن يُعطى ما سأل في الآخرة .

وعن إسحاق بن سعد بن أبي وقاص ، قال : حدثني أبي أن عبد الله بن جحش قال له يوم أُحد : ألا ندعو الله ؟ فخلوا في ناحية فدعا عبد الله بن جحش فقال : يا ربّ إذا لقيتُ العدوَّ غدًا فلقّني رجلاً شديدًا حَرْده أقاتله فيك ويقاتلني ، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني ، فإذا لقيتك غدًا قلت : يا عبد الله من جدع أنفك وأذنك ؟ فأقول : فيك وفي رسولك . فتقول : صدقت . قال سعد : فلقد رأيته آخر النهار وإن أذنه وأنفه لمعلَّقتان في خيط .

قال الواقدي : قتل عبد الله بن جحش يوم أُحد ، قتله أبو الحكم بن الأخنس بن

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ١٧٧) . (٢) سورة آل عمران آية : ١٤٤ .

شريق . ودفن عبد الله وحمزة بن عبد المطلب ، وهو خاله ، في قبر واحد ، وكان لعبد الله يوم قتل بضع وأربعون سنة .

١٦ ـ عتبة بن غزوان بن جابر بن وهيب

يكنى أبا عبد الله هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية وشهد بدرًا واستعمله عمر على البصرة واليًا فهو الذي بصَّرها واختطَّها . ثم قدم على عمر فرده إلى البصرة واليًا فمات في الطريق سنة سبع عشرة ، وقيل : خمس عشرة ، وهو ابن سبع وخمسين ؛ وقيل : خمس وخمسين .

عن خالد بن عمير قال : خطب عتبة بن غزوان فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد - فإن الدنيا قد آذنت بصَرْم وولَّت حذَّاء ولم يبق منها إلا صُبابة كصُبابة الإناء يتصابها صاحبها وإنكم منقلبون منها إلى دار لا زوال لها ، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يلقى في شفير جهنم فيهوي فيها سبعين عامًا ما يدرك لها قعرًا، والله لتملأنه . أفعجبتم والله لقد ذُكر لنا أن ما بين مصراعي الجنة مسيرة أربعين عامًا ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ الزحام ، ولقد رأيتني وأنا سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الشجر ، حتى قرحت أشداقنا ، وإني التقطت بردة فشققتها بيني وبين سعد فائتزر بنصفها وائتزرت بنصفها فما أصبح منا أحد اليوم حيًا إلا أصبح أمير مصر من الأمصار ، وإني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيمًا وعند الله صغيرًا ، وإنها لم تكن نبوّة قط إلا تناسخت حتى تكون عاقبتها مُلكًا وستُبْلَوُنَّ وستجربون الأمراء بعدنا - انفرد بإخراجه مسلم (١) .
وليس لعتبة في « الصحيح » غيره .

١٧ ـ مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي

يكنى أبا محمد دخل على رسول الله ﷺ دار الأرقم وكتم إسلامه . وكان يختلف إلى رسول الله ﷺ سرًا فلما علموا به حبسوه فلم يزل محبوسًا حتى خرج إلى أرض الحبشة في الهجرة الأولى ، ثم خرج في الهجرة الثانية . وكان من أنعم الناس عيشًا قبل إسلامه، فلما أسلم زهد في الدنيا فتحسَّف جلده تحسُّف الحية . وبعثه رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد أن بايع الأنصار البيعة الأولى يفقههم ويُقرئهم القرآن ، وكان يأتيهم في دورهم فيدعوهم إلى الإسلام فأسلم منهم خلق كثير وفشا الإسلام فيهم ، وكتب إلى رسول الله ﷺ يستأذنه أن يجمع بهم فأذن له ، فجمع بهم في دار بني خيثمة .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد .

ثم قدم على رسول الله ﷺ مع السبعين الذين وافوه في العقبة الثانية فأقام بمكة قليلاً ثم قدم قبل رسول الله ﷺ المدينة فهو أول من قدمها .

وعن ابن شهاب قال : لما بايع أهل العقبة رسول الله ﷺ ورجعوا إلى قومهم فدعوهم إلى الإسلام سرًا وتلوا عليهم القرآن ، وبعثوا إلى رسول الله ﷺ معاذ بن عفراء ، ورافع ابن مالك ، أن ابعث إلينا رجلاً من قِبلِك فليدْعُ الناس بكتاب الله فإنه قَمِنٌ أن يُتبع[1] .

فبعث إليهم رسول الله ﷺ « مصعب بن عمير » ، فلم يزل يدعو آمنًا ويهدي الله – تعالى – على يده ، حتى قلَّ دار من دور الأنصار إلا قد أسلم أشرافهم فأسلم عمرو بن الجموح، وكسرت أصنامهم ، وكان المسلمون أعز أهل المدينة فرجع مصعب إلى رسول الله ﷺ وكان يُدعى « المقرىء » .

قال ابن شهاب : وكان أول من جمع الجمعة بالمدينة بالمسلمين قبل أن يَقدمها رسول الله ﷺ .

وعن البراء ، قال : أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير [2] .

وعن عمر بن الخطاب قال : نظر النبي ﷺ إلى مصعب بن عمير مقبلاً وعليه إهاب[3] كبش قد تنطَّق به ، فقال النبي ﷺ : « انظروا إلى هذا الرجل الذي قد نور الله قلبه ، لقد رأيته بين أبوين يغذُوانه بأطيب الطعام والشراب ، فدعاه حبُّ الله ورسوله إلى ما ترون» .

وعن محمد بن شرحبيل قال : حمل مصعب اللواء يوم أُحد ، فلما جال المسلمون ثبت به مصعب ، فأقبل ابن قميئة فضرب يده اليمنى فقطعها ومصعب يقول : ﴿ **وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خَلَتْ من قَبْله الرُّسُلُ** ﴾ [4] وأخذ اللواء بيده اليسرى وحنا عليه فضربها فقطعها ، فحنا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره وهو يقول : ﴿ **وما محمد إلاَّ رسولٌ قد خلتْ من قبْله الرُّسُلُ** ﴾ ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فأنفذه .

وكان مصعب رقيق البشرة ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، قيل : وهو ابن أربعين سنة أو يزيد شيئًا .

وقال ابن سعد : وقال عبد الله بن الفضل : قتل مصعب وأخذ اللواء ملكٌ في صورته، فجعل النبي ﷺ يقول له في آخر النهار : تقدم يا مصعب . فالتفت إليه الملك وقال : لستُ بمصعب فعرف النبي ﷺ أنه ملك أُيِّدَ به .

---

(١) القمن : الخليق والجدير . (٢) انظر : الأوائل من الصحابة تأليف رضوان جامع رضوان.
(٣) الإهاب : الجلد ما لم يدبغ . (٤) سورة آل عمران آية : ١٤٤ .

وعن عبيد بن عُمير قال : لما فرغ رسول الله ﷺ من أُحد مر على مصعب بن عمير مقتولاً على طريقه فقرأ : ﴿ منَ المؤمنين رجالٌ صدقُوا ما عاهَدُوا الله عليه ﴾ (١) الآية .

وعن خبَّاب ، قال : هاجرنا مع رسول الله ﷺ نبتغي وجه الله ، فوجب أجرنا على الله - عز وجل - فمنا من مضى ولم يأكل من أجره شيئًا ، منهم مصعب بن عمير قُتل يوم أحد فلم نجد له شيئًا نكفنه فيه إلا نَمرة كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه وإذا غطينا رجليه خرج رأسه . فأمرنا رسول الله ﷺ أن نغطي بها رأسه ونجعل على رأسه إذخرًا (٢) . ومنا من أينعت له ثمرته فهو يَهْدِبُها . أخرجاه في « الصحيحين » .

١٨ ـ عمير بن أبي وقاص ، أخو سعد

عن عامر بن سعد ، عن أبيه ، قال : رأيت أخي عمير بن أبي وقاص ـ قبل أن يعرضنا رسول الله ﷺ للخروج إلى بدر ـ يتوارى فقلت : ما لك يا أخي ؟ فقال : إني أخاف أن يراني رسول الله ﷺ فيستصغرني فيردَّني ، وأنا أحب الخروج لعل الله يرزقني الشهادة، قال فعُرض على رسول الله ﷺ فاستصغره فقال : ارجع . فبكى عمير ، فأجازه رسول الله ، ﷺ .

قال سعد : فكنت أعقد له حمائل سيفه من صغره . فقتل ببدر وهو ابن ست عشرة سنة قتله عمرو بن عبد وُدّ . والسلام .

١٩ ـ عبد الله بن مسعود

ويكنى أبا عبد الرحمن ، أمه : أم عبد . أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم . ويقال : كان سادسًا في الإسلام وهاجر إلى الحبشة الهجرتين ، وشهد بدرًا والمشاهد كلها . وكان صاحب سرِّ رسول الله ﷺ ووساده وسواكه ونعليه وطهوره في السفر . وكان يشبه بالنبي ﷺ في هدْيه ودَلّه وسمْته وكان خفيف اللحم قصيرًا شديد الأدمة . وكان من أجود الناس ثوبًا ومن أطيب الناس ريحًا . وولي قضاء الكوفة وبيت المال لعمر وصدرًا من خلافة عثمان ، ثم صار إلى المدينة فمات بها سنة اثنتين وثلاثين ، ودفن بالبقيع وهو ابن بضع وستين .

عن زر بن حُبيش ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : كنت غــلامًا يافعًا أرعى غنمًا لعقبة بن أبي مُعيط ، فجاء النبي ﷺ وأبو بكر وقد نفرا من المشركين فقالا : يا غلام هل عندك من لبن تسقينا ؟ فقلت : إني مؤتمن ولستُ ساقيكما . فقال النبي ﷺ : هل عندك من جذعة لم يَنْزُ عليها الفحل ؟ قلت : نعم فأتيتهما بها فاعتقلها النبي ﷺ ومسح

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٢٣ .

(٢) الإذخر : نبات طيب الرائحة .

الضَّرع ودعا فحفَّل الضرعُ ، ثم أتاه أبو بكر بصخرة منقعرة فاحتلب فيها فشرب أبو بكر ثم شربت ، ثم قال للضرع : اقْلص، فقلَص . قال : فأتيته بعد ذلك فقلت : علمني من هذا القول . قال : « إنك غلام معلَّم » . فأخذت من فيه سبعين سورة لا ينازعني فيها أحد [1] .

وعن القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبيه قال : قال عبد الله بن مسعود : لقد رأيتُني سادس ستةٍ ما على وجه الأرض مسلم غيرنا [2] .

(ذكر قربه من رسول الله ﷺ)

قال أبو موسى الأشعري : لقد رأيت رسول الله ﷺ وما أرى إلا ابن مسعود من أهله .

وعن القاسم بن عبد الرحمن قال : كان عبد الله يُلبس رسول الله ﷺ نعليه ثم يمشي أمامه بالعصا ، حتى إذا أتي مجلسه نزع نعليه فأدخلهما في ذراعيه وأعطاه العصا . فإذا أراد رسول الله ﷺ أن يقوم ألبسه نعليه ثم مشى بالعصا أمامه حتى يدخل الحجرة قبل رسول الله ﷺ .

وعن أبي المليح ، عن عبد الله : أنه كان يوقظ رسول الله ﷺ إذا نام ، ويستره إذا اغتسل ، ويمشي معه في الأرض وحَشًا [3] .

وعن عبد الله بن شداد بن الهاد أن عبد الله كان صاحب الوساد والسواك والنعلَيْن .

(ذكر شبهه برسول الله ﷺ)

عن علقمة قال : كان عبد الله يشبه بالنبي ﷺ في هديه ودلّه وكان علقمة يشبه بعبد الله .

وعن عبد الله بن يزيد قال : أتينا حذيفة فقلنا له : حدثنا بأقرب الناس برسول الله ﷺ هَديًا وسَمْتًا ودلا نأخذ عنه ونسمع منه . قال : كان أقرب الناس برسول الله ﷺ هَدْيًا وسَمْتًا ودَلا عبد الله بن مسعود حتى يتوارى عنا في بيته ، ولقد علم المحفوظون من أصحاب محمَّد أن ابن أم عبد من أقربهم إلى الله زُلفى والسلام [4] .

(ذكر ثناء الرسول ﷺ على عبد الله بن مسعود)

عن علقمة قال : جاء رجل إلى عمر ، وهو بعرفة فقال : جئت يا أمير المؤمنين من

---

(١) انظر : مسند أحمد (١/ ٤٦٢) ، ومصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٥١ ، ١١/ ٥١٠) ، وطبقات ابن سعد (٣/ ١/ ١٠٦ - ١٠٧) ، ومجمع الزوائد (٩/ ٢٨٧) .

(٢) انظر المصدر السابق .

(٣) يقال : أوحش المنزل إذا أقفر وذهب عنه الناس .

(٤) رواه البخاري (٣٧٦٢) ، (٦٠٩٧) .

الكوفة وتركت بها رجلاً يملي المصاحف عن ظهر قلبه . فغضب وانتفخ حتى كاد يملأ ما بين شعبتي الرحل ، فقال : من هو ويحك ؟ قال : عبد الله بن مسعود فما زال يطفأ ويسير عنه الغضب حتى عاد إلى حاله التي كان عليها . ثم قال : ويحك ، والله ما أعلم بقي من الناس أحد هو أحق بذلك منه ، وسأحدثك عن ذلك .

كان رسول الله ﷺ لا يزال يسمر عند أبي بكر الليلة كذلك في أمر من أمر المسلمين وإنه سمر عنده ذات ليلة وأنا معه فخرج رسول الله ﷺ وخرجنا معه فإذا رجل قائم يصلي في المسجد ، فقام رسول الله ﷺ يستمع قراءته ، فلما كدنا نعرفه قال رسول الله ﷺ : « من سرَّه أن يقرأ القرآن رطبًا كما أُنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد »[1] . قال: ثم جلس الرجل يدعو فجعل رسول الله ﷺ يقول له : سل تُعْطَهْ ، سل تُعْطَه .

قال عمر : قلت : والله لأغدونَّ عليه فلأبشرنَّه . قال : فغدوت عليه فبشَّرته فوجدت أبا بكر قد سبقني إليه فبشره ، ولا والله ما سابقته إلى خيرٍ قطٌّ إلا سبقني إليه ، رواه الإمام أحمد[2] .

وروي عن زرّ بن حبيش عن ابن مسعود : أنه كان يجتني سواكًا من الأراك، وكان دقيق الساقين . فجعلت الريح تكفؤه فضحك القوم منه ، فقال رسول الله ﷺ : « مم تضحكون ؟ » قالوا : يا نبي الله من دقة ساقيه . فقال : « والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد »[3] .

(ذكر ثناء الناس عليه وكثرة علمه)

عن زيد بن وهب ، قال : أقبل عبد الله ذات يوم وعمر جالس فقال : كنيف مُلِيء علمًا[4] .

وعن الشعبي ، قال : ذكروا أن عمر بن الخطاب لقي رَكْبًا في سفر له فيهم عبد الله

---

(١) رواه أحمد (١/ ٧ ، ٣٦) ، والطبراني (٩/ ٦١ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٦٦) ، وأورده الهيثمي فى المجمع (٩/ ٢٨٧ - ٢٨٨) . وقال : رواه أحمد والبزار والطبراني وفيه عاصم بن أبى النجود وهو على ضعفه حسن الحديث ، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح ورجال الطبراني رجال الصحيح غير فوات بن محبوب وهو ثقة .

(٢) حسنه الحافظ الهيثمي (المصدر السابق) .

(٣) رواه أحمد (١/ ٤٢١) وأبو يعلى والبزار والطبراني من طرق . قال الهيثمي : وفي بعضها : «لساقا ابن مسعود يوم القيامة أشد وأعظم من أحد » ، وفي بعضها : « بينما هو يمشى وراء رسول الله ﷺ إذ همزه أصحابه » ، وأمثل طرقها فيه « عاصم بن أبي النجود » وهو حسن الحديث على ضعفه وبقية رجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح . اهـ (المجمع / ٩/ ٢٩١) .

(٤) المصدر السابق ، وعزاه للطبرانى وقال : ورجاله رجال الصحيحين . اهـ .

ابن مسعود فأمر عمر رجلاً يناديهم ، فقال عمر : من أين القوم ؟ فأجابه عبد الله : أقبلنا من الفج العميق ، فقال عمر : أين تريدون ؟ فقال عبد الله : البيت العتيق . فقال عمر : إن فيهم عالمًا . وأمر رجلاً فناداهم : أيُّ القرآن أعظم ؟ فأجابه عبد الله : ﴿ **الله لا إله إلا هو الحيُّ القيُّومُ** ﴾ (١) حتى ختم الآية قال : نادهم أيُّ القرآن أحكم ؟ فقال ابن مسعود : ﴿ **إنَّ الله يأمرُ بالعدْل والإحسان** ﴾ (٢) الآية ، فقال عمر : نادهم أيُّ القرآن أجمع ؟ فقال ابن مسعود : ﴿ **فمن يَعْمَلْ مثْقال ذَرَّة خيرًا يره ومَنْ يعمَلْ مثقال ذرَّة شرًا يَرهْ** ﴾ (٣) فقال عمر : نادهم أيُّ القرآن أخوف ؟ فقال ابن مسعود : ﴿ **ليس بأمانيكُم ولا أماني أهل الكتاب مَنْ يعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ به** ﴾ (٤) الآية . فقال عمر : نادهم أيُّ القرآن أرجى ؟ فقال ابن مسعود : ﴿ **يا عبادي الذين أسْرفوا على أنفُسهم لا تقْنَطوا من رحمة الله**﴾ (٥) فقال عمر : نادهم : أفيكم ابن مسعود؟ قالوا : اللهم نعم .

وعن أبي البَخْترى قال : سئل علي – عليه السلام – عن أصحاب محمد ﷺ . فقال : عن أيهم تسألون ؟ قالوا : أخبرنا عن عبد الله بن مسعود . قال : عُلِّم القرآن وعُلِّم السنة ثم انتهى ، وكفى به علمًا .

وعن أبي الأحوص قال : شهدت أبا موسى وأبا مسعود حين مات ابن مسعود وأحدهما يقول لصاحبه : أتراه ترك مثله ؟ قال : إن قُلْتُ ذاك . إن كان ليؤذَنُ له إذا حُجبنا ويَشهد إذا غِبنا . رواه الإمام أحمد .

وعن عامر قال : قال أبو موسى : لا تسألوني عن شيء ما دام هذا الحَبْر فيكم ـ يعني ابن مسعود ـ .

وعن شقيق قال : كنت قاعدًا مع حذيفة فأقبل عبد الله بن مسعود فقال حذيفة : إن أشبه الناس هديًا ودلاً برسول الله ـ من حين يخرج من بيته إلى أن يرجع ولا أدري ما يصنع في أهله لعبدُ الله بن مسعود ، والله لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد ﷺ أنه من أقربهم عند الله وسيلة يوم القيامة .

وعن مسروق قال : قال عبد الله : والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت وإلا أنا أعلم فيما نزلت ، ولو أعلم أن أحدًا أعلم بكتاب الله مني تناله المطيُّ لأتيتُه (٦) .

وعن تميم بن حَذْلَم ، قال : جالست أصحاب النبي ﷺ أبا بكر وعمر ، وما رأيت

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .
(٢) سورة النحل آية : ٩٠ .
(٣) سورة الزلزلة آية : ٧ – ٨ .
(٤) سورة النساء آية : ١٢٣ .
(٥) سورة الزمر آية : ٥٣ .
(٦) رواه البخارى (٥٠٠٢) ، ومسلم (٢٤٦٣) .

أحدًا أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أحب إليَّ أن أكون في مسلاخه منك يا عبد الله بن مسعود .

وعن مسروق ، قال : شامَمْتُ أصحاب محمد ﷺ فوجدت علمهم انتهى إلى ستة نفر منهم : عُمر ، وعليّ ، وعبد الله ، وأُبيَّ بن كعب ، وأبو الدرداء، وزيد بن ثابت. ثم شاممت هؤلاء الستة فوجدت علمهم انتهى إلى رجلين : علي ، وعبد الله .

وعنه قال : جالست أصحاب محمد ﷺ فوجدتهم كالإخاذ يُروي الرجل ، والإخاذ يُروي الرجلين ، والإخاذ يُروي المائة ، والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم . فوجدت عبد الله من ذلك الإخاذ .

(ذكر تعبده)

عن زرٍّ ، عن عبد الله ، أنه كان يصوم الإثنين والخميس .

وعن عبد الرحمن بن يزيد قال : ما رأيت فقيهًا قط أقل صومًا من عبد الله ، فقيل له: لم لا تصوم ؟ قال : إني أختار الصلاة على الصوم ، فإذا صمت ضعفت عن الصلاة.

وعن محارب بن دثار عن عمه محمد قال : مررت بابن مسعود بسحر وهو يقول : «اللهم دعوتني فأجبتك ، وأمرتني فأطعتك ، وهذا سحر فاغفر لي » فلما أصبحت غدوت عليه فقلت له : فقال : إن يعقوب لما قال لبنيه ﴿ **سوف أستغفر لكم** ﴾ [1] أخرهم إلى السحر .

(ذكر ورعه)

عن عمرو بن ميمون ، قال : اختلفتُ إلى عبد الله بن مسعود سنة ما سمعته يحدِّث فيها عن رسول الله ﷺ ولا يقول فيها : قال رسول الله ، إلا أنه حدَّث ذات يوم بحديث فجرى على لسانه « قال رسول الله ﷺ » فعلاه الكرب حتى رأيت العرق يتحدر عن جبهته ثم قال : إن شاء الله تعالى ، إما فوق ذلك ، وإما قريب من ذلك ، وإما دون ذلك .

(ذكر شدة خوفه وبكائه رضي الله عنه)

عن مسروق قال : قال رجل لعبد الله : ما أحب أن أكون من أصحاب اليمين ، أكونُ من المقربين أحبُّ إليَّ . فقال عبد الله : لكن ها هنا رجلٌ ودَّ أنه إذا مات لا يبعث، يعني نفسه .

---

(١) سورة يوسف آية : ٩٨ .

وعن جرير، رجلٍ من بجيلة ، قال : قال عبد الله : وددت أني إذا متُّ لم أبعث .

وعن الحسن قال : قال عبد الله بن مسعود : لو وقفتُ بين الجنة والنار فقيل لي اختر نخيِّرك من أيهما تكون أحبُّ إليك أو تكون رمادًا ؟ لأحببت أن أكون رمادا .

وعن أبي وائل قال : قال عبد الله : وددت أن الله غفر لي ذنبًا من ذنوبي وأنه لا يُعرف نسبي .

وعن زيد بن وهب : أن عبد الله بكى حتى رأيته أخذ بكفِّه من دموعه فقال له : هكذا.

(ذكر تواضعه)

عن حبيب بن أبي ثابت ، قال : خرج ابن مسعود ذات يوم فاتَّبعه ناس ، فقال لهم: ألكم حاجة ؟ قالوا : لا ، ولكن أردنا أن نمشي معك . قال : ارجعوا فإنه ذلَّة للتابع وفتنة للمتبوع .

وعن الحارث بن سويد قال : قال عبد الله لو تعلمون ما أعلم من نفسي حثَيْتم على رأسي التراب .

(ذكر إيثاره ثواب الآخرة على شهوات النفس)

عن الأحوص الجُشَمي قال : دخلنا على ابن مسعود وعنده بنون له ، ثلاثة غلمان ، كأنهم الدنانير حسنًا ، فجعلنا نتعجب من حسنهم فقال لنا : كأنكم تغبطوني بهم فقلنا والله إي والله بمثل هؤلاء يُغبط المرء المسلم . فرفع رأسه إلى سقف بيتٍ له صغير ، قد عشش فيه خُطَّاف وباض ، فقال : والذي نفسي بيده لأن أكون قد نفضتُ يدي عن تراب قبورهم أحبُّ إليَّ أن يسقط عشَّ هذا الخطَّاف وينكسر بيضه .

وعن قيس بن جبير قال : قال عبد الله : حبذا المكروهان الموت والفقر ، وأيم الله إن هو إلا الغنى والفقر ، وما أبالي بأيِّهما بُليت ، إن حق الله في كل واحد منهما واجب، إن كان الغنى إنّ فيه لَلْعطفَ وإن كان الفقر إن فيه لَلَصَّبْرَ .

وعن الحسن قال : قال عبد الله بن مسعود : ما أُبالي إذا رجعتُ إلى أهلي على أي حال أراهم ، بخير أو بشرٍّ أم بضر وما أصبحت على حالة فتمنيت أني على سواها .

(ذكر جمله من مناقبه وكلامه رضي الله عنه)

عن عبد الله بن مرداس ، قال : كان عبد الله يخطبنا كل خميس فيتكلم بكلمات ، فيسكت حين يسكت ونحن نشتهي أن يزيدنا .

وعن عبد الله بن الوليد ، قال : سمعت عبد الرحمن بن حجيرة يحدث عن أبيه ،

عن ابن مسعود أنه كان يقول : إذا قعد يذكر : « إنكم في ممرٍّ من الليل والنهار في آجال منقوصة وأعمال محفوظة والموت يأتي بغتة ، فمن زرع خيرًا فيوشك أن يحصد رغبة ، ومن زرع شرًا فيوشك أن يحصد ندامة ، ولكل زارع مثل ما زرع ، لا يسبق بطيء بحظه، ولا يدرك حريص ما لم يُقدر له ، فإن أعطي خيرًا فالله أعطاه ومن وقي شرًا فالله وقاه ، المتقون سادة ، والفقهاء قادة . ومجالسهم زيادة » . رواه الإمام أحمد .

وعن أبي الأحوص ، عن عبد الله أنه كان يوم الخميس قائمًا فيقول : « إنما هما اثنتان: الهدي والكلام ، وأفضل الكلام كلام الله ، وأفضل الهَدْى هَديُ محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وإن كل محدثة بدعة ، فلا يطولنَّ عليكم الأمد ولا يلهينَّكم الأمل فإن كل ما هو آت قريب ، آلا وإن بعيدًا ما ليس آتيًا ، ألا وإن الشقي من شقي في بطن أمه ، وأن السعيد من وُعظ بغيره ، ألا وإن قتال المسلم كفر وسبابه فسوق ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام حتى يسلم عليه إذا لقيه ، ويجيبه إذا دعاه، ويعوده إذا مرض ، ألا وإن شر الروايا روايا الكذب ، ألا وإن الكذب لا يصلُح منه هزلٌ ولا جدٍّ ولا أن يعد الرجل صبيه شيئًا ثم لا ينجزه له ، ألا وإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الصدق يهدي إلى البرِّ وإن البر يهدي إلى الجنة ، ألا وإنه يقال للصادق صدق وبَرَّ ، ويقال للفاجر كذَب وفَجرَ ، ألا وأن محمدًا ﷺ حدثنا أن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله – عز وجل – صديقًا ويكذب حتى يُكتب عند الله – عز وجل – كذابًا [1] ، ألا وهل أنبئكم ما العضَه ؟ قيل : وما هي ؟ قال : هي النميمة التي تفسد بين الناس » .

وعن عبد الرحمن بن عابس قال : قال عبد الله بن مسعود : « إن أصدق الحديث كتاب الله – عز وجل – وأوثق العرى كلمة التقوى ، وخير الملل ملَّة إبراهيم ، وأحسن السنن سنة محمد ﷺ ، وخير الهَدْي هَدْيُ الأنبياء ، وأشرف الحديث ذكر الله ، وخير القصص القرآن ، وخير الأمور عواقبها وشر الأمور محدثاتها ، وما قلَّ وكفى خير مما كثر وألهى ، ونفسٌ تُنْجيها خير من إمارة لا تحصيها وشر المعذرة حين يحضر الموت ، وشر الندامة ندامة يوم القيامة ، وشر الضلالة الضلالة بعد الهدى ، وخير الغنى غنى النفس ، وخير الزاد التقوى ، وخير ما ألقي في القلب اليقينُ ، والريب من الكفر ، وشر العمى عمى القلب ، والخمر جمَّاع الإثم ، والنساء حُبالة الشيطان ، والشباب شُعبة من الجنون ، والنَّوْح من عمل الجاهلية ، ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا دَبْرًا ، ولا يذكر الله إلا هَجْرًا ، وأعظم الخطايا الكذب ، وسباب المسلم فُسوق ، وقتاله كفر ،

---

(١) المرفوع منه أخرجاه في الصحيحين .

وحرمة ماله كحرمة دمه ، ومن يعفُ يعفُ الله عنه ، ومن يكظم الغيظ يأجره الله ، ومن يغفر يغفر الله له ، ومن يصبر على الرزيَّة يُعقبه الله ، وشر المكاسب كسب الربا ، وشر المآكل أكل مال اليتيم ، والسعيد من وعظ بغيره ، والشقي من شقي في بطن أمه ، وإنما يكفي أحدكم ما قنعَتْ به نفسه ، وإنما يصير إلى أربعة أذرع والأمر إلى آخره ، وملاك العمل خواتمه ، وشر الروايا روايا الكذب، وأشرف الموت قتل الشهداء ، ومن يعرف البلاء يصبر عليه ومن لا يعرفه ينكره ، ومن يستكبر يضعه الله ، ومن يتولَّ الدنيا تعجز عنه ، ومن يطع الشيطان يعصِ الله ، ومن يعصِ الله يعذبه » .

وعن المسيب بن رافع ، عن عبد الله بن مسعود قال : « ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذا الناس نائمون ، وبنهاره إذا الناس مفطرون ، وبحزنه إذا الناس فرحون ، وببكائه إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخلُطون وبخشوعه إذا الناس يختالون، وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكيًا محزونًا حليمًا حكيمًا سكِّيتًا [1] ، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافيًا ولا غافلاً ولا سخابًا ولا صيَّاحًا ولا حديدًا » رواه الإمام أحمد .

وعن الأعمش قال : كان عبد الله يقول لإخوانه « أنتم جلاء قلبي » .

وعن أبي إياس البَجَليِّ قال : سمعت عبد الله بن مسعود يقول : « من تطاول تعظُّمًا خفضه الله ، ومن تواضع تخشعًا رفعه الله ، وإن للملك لَمَّة وللشيطان لَمَّة، فلمة الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق ، فإذا رأيتم ذلك فاحمدوا الله عز وجل، ولَمَّة الشيطان إيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، فإذا رأيتم ذلك فتعوذوا بالله » .

وعن عمران بن أبي الجعد ، عن عبد الله قال : « إن الناس قد أحسنوا القول، فمن وافق قوله فعله فذاك الذي أصاب حظه،ومن لا يوافق قوله فعله فذاك الذي يوبخ نفسه» .

وعن خيثمة قال : قال عبد الله : « لا ألفين أحدكم جيفة ليلٍ قُطْرُبَ نهار » .

وعن المسيب بن رافع قال : قال عبد الله بن مسعود : « إني لأبغض الرجل أن أراه فارغًا ليس في شيء من عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة » رواه الإمام أحمد .

وروي أيضًا عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله قال : « من لم تأمره الصلاة بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزدد بها من الله إلا بُعدًا » .

وروي عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود قال : « إن الشيطان أطاف بأهل مجلس ذكر ليفتنهم فلم يستطع أن يفرق بينهم ، فأتى على حلقةٍ يذكرون الدنيا فأغرى بينهم حتى اقتتلوا فقام أهل الذكر فحجزوا بينهم فتفرقوا » .

---

(١) أي : دائم السكوت .

وعن موسى بن أبي عيسى المزني قال : قال عبد الله بن مسعود : « من اليقين أن لا يرضى الناس بسخط الله ، ولا تحمدن أحدًا على رزق الله ، ولا تلومنَّ أحدًا على ما لم يؤتك الله ، فإن رزق الله لا يسوقه حرصُ الحريص ولا يردُّه كره الكاره ، وإن الله بقسطه وحكمه وعدله وعلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضا ، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط » .

وعن مرة عن عبد الله قال : « ما دمت في صلاة فأنت تقرع باب الملك ، ومن يقرع باب الملك يفتح له » .

وعن القاسم بن عبد الرحمن والحسن بن سعد قالا : قال عبد الله : « إني لأحسب الرجل ينسى العلم كان يعلمه بالخطيئة يعملها » (رواه الإمام أحمد) .

وعن إبراهيم بن عيسى ، عن عبد الله بن مسعود قال : « كونوا ينابيع العلم، مصابيح الهدى ، أحلاس [1] البيوت ، سُرُج الليل ، جُدد القلوب خُلْقان الثياب [2] ، تعرفون في أهل السماء وتخفون في أهل الأرض » .

وعن مسروق قال : قال عبد الله : « إذا أصبحتم صيامًا فأصبحوا مُدَّهِنين » . (رواه الإمام أحمد) .

وروي عن أبي وائل قال : قال عبد الله : « أنذرتكم بلوغ القول : بحسب أحدكم ما أبلغ حاجته » .

وعن معن قال : قال عبد الله بن مسعود : « إن للقلوب شهوة وإقبالاً ، وإن للقلوب فترة وإدبارًا ، فاغتنموها عند شهوتها وإقبالها ودعوها عند فترتها وإدبارها » .

وعن عون بن عبد الله قال : قال عبد الله : « ليس العلم بكثرة الرواية ولكن العلم الخشية » .

وعن منذر قال : جاء ناس من الدهاقين إلى عبد الله بن مسعود ، فتعجب الناس من غلظ رقابهم وصحتهم ، فقال عبد الله : « إنكم ترون الكافر من أصْحِ الناس جسمًا وأمرضه قلبًا ، وتلقون المؤمن من أصح الناس قلبًا وأمرضه جسمًا ، وأيم الله لو مرضتْ قلوبكم وصحَّت أجسامُكم لكنتم أهون على الله من الجُعْلان » [3] .

وعن عوف بن عبد الله قال : قال عبد الله بن مسعود : « لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحلَّ بذِرْوَته حتى يكون الفقر أحب إليه من الغنى، والتواضع أحب إليه من

---

(١) الحلس : كساء يبط على الأرض .   (٢) ثوب خلق : أى ثوب بالى .

(٣) الجعل : حيوان كالخنفساء يكثر فى المواضع الندية .

الشرف، وحتى يكون حامده وذامُّه عنده سواء » . قال : ففسرها أصحاب عبد الله قالوا: حتى يكون الفقر في الحلال أحب إليه من الغنى في الحرام ، والتواضع في طاعة الله أحب إليه من الشرف في معصية الله ، وحتى يكون حامده وذامه عنده في الحق سواء» (رواه الإمام أحمد) .

وعن طارق بن شهاب ، عن عبد الله قال : « إن الرجل يخرج من بيته ومعه دينه فيرجع وما معه منه شيء ، يأتي الرجل لا يملك له ولا لنفسه ضراً ولا نفعًا فيقسم له بالله إنك لذَيت وذَيت فيرجع وما حَبِي من حاجته بشيء ويسخط الله عليه » .

وعن إبراهيم قال : قال عبد الله : « لو سخرتُ من كلبٍ لخشيت أن أحوَّل كلبًا » .

وعن أبي الأحوص قال : قال عبد الله بن مسعود : « الإثم حَوّاز القلوب وما كان من نظرة فإن للشيطان فيها مَطْمَعًا » .

وعنه عن عبد الله قال : « مع كل فرحة ترحة ، وما مليء بيت حَبْرة [1] إلا مليء عبرة». (رواه أحمد) .

وعن الضحاك بن مزاحم [2] قال : قال عبد الله : « ما منكم إلا ضيف وماله عاريَّة ، فالضيف مرتحل ، والعاريَّة مؤداة إلى أهلها » .

وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه قال : أتاه رجل فقال : يا أبا عبد الرحمن علمني كلمات جوامع نوافع . فقال له عبد الله : « لا تشرك به شيئًا وزُل مع القرآن حيث زال ، ومن جاءك بالحق فاقبل منه وإن كان بعيدًا بغيضًا ، ومن جاءك بالباطل فاردده عليه وإن كان حبيبًا قريبًا » .

وعن مالك بن مِغْوَل [3] قال : قال عبد الله بن مسعود : « يكون في آخر الزمان أقوام أفضل أعمالها التلاوم بينهم يسمون الإنتان .

وعن خيثمة قال : قال عبد الله : « إذا أحب الرجل أن ينصف من نفسه فليأت إلى الناس الذى يحب أن يؤتي إليه » .

وروي أيضًا عن خيثمة قال : قال عبد الله : « الحق ثقيل مريء ، والباطل خفيف وبيء ورُبّ شهوة تورث حزنًا طويلاً » .

وعن عنبس بن عقبة قال : قال عبد الله بن مسعود : « والله الذي لا إله إلا هو ما على وجه الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لسان » .

---

(١) الحبرة - بالفتح : النعمة والمسرة .

(٢) هو الضحاك بن مزاحم الهلالى توفى سنة (١٠٢ هـ) ، انظر : الشذرات (١/ ١٤٢) .

(٣) هو مالك بن مغول البجلى الكونى توفى سنة (١٥٩ هـ) ، انظر : الشذرات (١/ ٢٤٧) .

وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال : « إذا ظهر الزنا والربا في قرية أذن بهلاكها » .

وعن أبي عبيدة قال : قال عبد الله : « من استطاع منكم أن يجعل كنزه في السماء حيث لا تأكله السوس ولا يناله السُرَّاق فليفعل فإن قلب الرجل مع كنزه».

وعن القاسم قال : قال رجل لعبد الله : أوصني يا أبا عبد الرحمن قال : «ليسعك بيتك، وأكفف لسانك ، وأبك على ذكر خطيئتك » .

وعن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله قال : أنتم أطول صلاة وأكثر اجتهادًا من اصحاب رسول الله ﷺ وهم كانوا أفضل منكم . قيل له : بأي شيء ؟ قال: إنهم كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة منكم .

وعن زاذان ، عن عبد الله بن مسعود قال : يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقال له : أدِّ أمانتك. فيقول : من أين يا رب قد ذهبت الدنيا ؟ . فتمثَّل على هيئتها يوم أخذها في قعر جهنم . فينزل فيأخذها فيضعها على عاتقه فيصعد بها . حتى إذا ظن أنه خارج بها هوت وهوى في إثرها أبد الآبدين .

وعن أبي الأحوص ، عن عبد الله قال : لا يقلدنَّ أحدكم دينه رجلاً فإن آمن آمن وإن كفر كفر ، وإن كنتم لا بد مقتدين فاقتدوا بالميت فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة .

وعن عبد الرحمن بن يزيد قال : قال عبد الله : لا تكونن إمَّعة ، قالوا : وما الإمَّعة؟ قال : يقول أنا مع الناس ، إن اهتدوا اهتديت وإن ضلوا ضللت ، ألا ليوطِّنَنَّ أحدكم نفسه على أنه إن كفر الناس أن لا يكفر .

وعن سليمان بن مهران قال : بينما ابن مسعود يومًا معه نفر من أصحابه إذ مر أعرابي فقال : على ما اجتمع هؤلاء ؟ فقال ابن مسعود على ميراث محمد ﷺ يقتسمونه.

وعن خيثم بن عمرو : أن ابن مسعود أوصى أن يكفن في حلة بمائتي درهم .

وقد سبق ذكر وفاته وموضع دفنه في أول أخباره .

٢٠ـ المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك

كان حالف الأسود بن عبد يغوث الزُهري في الجاهلية فتبنَّاه فكان يقال له : المقداد بن الأسود . فلما نزل قوله تعالى : ﴿ ادعُوهُم لآبائِهم ﴾ [١] قيل : المقداد بن عمرو [٢] .

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٥ .

(٢) رواه الحاكم (٣/٣٤٨) وفي إسنادة الواقدي .

وشهد بدرًا وأُحدًا والمشاهد كلها مع النبي ﷺ ، وكان طويلاً آدم ، ذا بطنٍ ، كثير شعر الرأس ، أعيُن [1] ، مقرون الحاجبين أقنى ، يصفر لحيته [2] .

وعن القاسم بن عبد الرحمن قال: أول من عدا به فرسه في سبيل الله المقداد بن الأسود.

وقال علي - عليه السلام - : ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد .

وعن طارق بن شهاب قال : قال عبد الله : لقد شهدت من المقداد بن الأسود مشهدًا لأن أكون أنا صاحبه أحب إليَّ مما عدل به . أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال : والله يا رسول الله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ **فاذهب أنتَ وربُّكَ فقاتلا إنَّا ههُنا قاعدون** ﴾ [3] . ولكنا نقاتل عن يمينك وعن يسارك وبين يديك ومن خلفك . فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسرَّه ذلك . رواه الإمام أحمد [4] .

وعن أنس قال : بعث النبي ﷺ المقداد على سرية . فلما قدم قال له : أبا معبد كيف وجدت الإمارة ؟ قال : كنت أحمل وأُوضع حتى رأيت أن لي على القوم فضلاً قال : هُو ذاك ، فخذ أو دع قال : والذي بعثك بالحق لا أتأمر على اثنين أبدًا [5] .

وعن عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، عن أبيه قال : جلسنا إلى المقداد يومًا فمر به رجل فقال : طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله ﷺ ، والله لوددنا أنا رأينا ما رأيت وشهدنا ما شهدت . فاستغضب فجعلت أعجب ، ما قال إلا خيرًا ، ثم أقبل إليه فقال : ما يحمل الرجل على أن يتمنى محضرًا غيبَّه الله عنه ، ما يدري لو شهده كيف كان يكون فيه؟ والله لقد حضر رسول الله ﷺ أقوام كبَّهم الله على مناخرهم في جهنم لم يجيبوه ولم يصدقوه ، أو لا تحمدون الله إذ أخرجكم لا تعرفون إلا ربكم مصدقين بما جاء به نبيكم . ولقد كفيتم البلاء بغيركم ؟ والله لقد بعث النبي ﷺ على أشد حال بعث عليها نبي من الأنبياء في فترة وجاهلية ، ما يرون أن دينًا أفضل من عبادة الأوثان، فجاء بفرقان فرقَ به بين الحق والباطل ، وفرق بين الوالد وولده ، إن كان الرجل ليرى والده وولده وأخاه كافرًا وقد فتح الله قفل قلبه للإيمان يعلم أنه إن هلك دخل النار فلا تقرَّ عينه وهو يعلم أن حبيبه في النار وأنها للتي قال الله - عز وجل - ﴿ **والذين يقولون ربَّنا هبْ لنا من أزْواجنا وذُرِّياتنا قُرةَ أعيُنٍ** ﴾ [6] .

---

(1) أعين : أي : واسع العين . (2) في رواية « يصفر » بالصاد المهملة .

(3) سورة المائدة آية : ٢٤ .

(4) رواه البخاري (٣٩٥٢) ، (٤٦٠٩) بنحوه ، وذكره ابن إسحاق في السير والمغازي (٢/٢٦٦) .

(5) انظر : مسند البزار (٢٧٤٤ - زوائد) ، ومجمع الزوائد (٥/٢٠١) ، والمستدرك (٣/٣٥٠) .

(6) سورة الفرقان آية : ٧٤ . وانظر : هذا الأثر في الحلية (١/ ١٧٥ - ١٧٦) .

(ذكر وفاته رضى الله عنه)

قال أهل السِيَر : شرب المقداد دُهن الخِرْوَع فمات ، وذلك بالجرف على ثلاثة أميال من المدينة فحمل على رقاب الرجال حتى دفن بالبقيع ، وصلَّى عليه عثمان وذلك في سنة ثلاث وثلاثين وهو ابن سبعين سنة أو نحوها .

٢١ ـ خبَّاب بن الأرت بن جندلة

يكنى أبا عبد الله ، أصابه سباء فبيع بمكة واشترته أم أنمار ، وأسلم خبَّاب قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم ، وقيل كان سادس ستَّة الإسلام ، لهُ سدس الإسلام[١].

وعن طارق بن شهاب قال : جاء خبابًا نفر من أصحاب محمد ﷺ فقالوا: أبشر يا أبا عبد الله ، إخوانك تقدم عليهم غدًا . فبكى وقال أما إنه ليس بي جزع ولكن ذكرتموني أقوامًا وسميتم لي إخوانًا ، وإن أولئك مضوا بأجورهم كما هي ، وإني أخاف أن يكون ثواب ما تذكرون من تلك الأعمال ما أوتينا بعدهم .

وعن أبي وائل شقيق بن سلمة قال : دخلنا على خباب بن الأرت في مرضه فقال : إن في هذا التابوت ثمانين ألف درهم ، والله ما شددت لها من خيط ، ولا منعتها من سائل. ثم بكى فقيل : ما يبكيك ؟ فقال : أبكي أن أصحابي مضوا ولم تنقصهم الدنيا شيئًا وإنَّا بقينا بعدهم حتى ما نجد موضعًا إلا التراب .

وعن قيس بن أبي حازم قال : أتينا خبَّاب بن الأرت نعوده وقد اكتوى في بطنه سبعًا، فقال : لولا أن رسول الله ﷺ نهانا أن ندعو بالمـوت لدعوت به، فقد طال مرضي . ثم قال : إن أصحابنا الذين مضوا لم تنقصهم الدنيا شيئًا وإنا أُعطينا بعدهم ما لا نجد له موضعًا إلا التراب ، وشكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردًا له في ظل الكعبة فقلنا: يا رسول الله ألا تستنصر الله لنا ؟ فجلس محمرًّا وجهه فقال : والله لقد كان من قبلكم يؤخذ فتجعل المناشير على رأسه فيفرق فرقتين ، ما يصرفه ذلك عن دينه، وليُتمَّنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب ما بين صنعاء وحضرموت لا يخاف إلا الله - تبارك وتعالى - والذئب على غنمه . أخرجاه في « الصحيحين » [٢] .

وعن طارق بن شهاب قال : كان خبَّاب من المهاجرين الأولين ،وكان ممن يعذَّب في الله عز وجل .

---

(١) انظر : المصدر السابق (١/ ٣٦٠) ، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٣٢٣) ، والإصابة (١/ ٤١٦) .

(٢) رواه البخاري (٣٨٥٢ ، وفي مواطن أخرى) .

وعن الشعبي قال : سأل عمر خبابًا عما لقي من المشركين . فقال خباب : يا أمير المؤمنين انظر إلى ظهري . فقال عمر : ما رأيت كاليوم ، قال : أوقدوا لي نارًا فما أطفأها إلاّ وَدَكُ ظهري (١) .

(ذكر وفاته رضي الله عنه)

توفي خباب بالكوفة سنة سبع وثلاثين وهو ابن ثلاث وسبعين سنة ، وصلى عليه علي ابن أبي طالب حين منصرفه من صفين ، وهو أول من قُبر بظهر الكوفة .

٢٢ ـ صهيب بن سنان بن مالك بن النمر بن قاسط (*)

سبي وهو غلام فنشأ بالروم فابتاعته منهم كلب فقدمت به مكة فاشتراه عبد الله بن جُدعان فأعتقه ، وأسلم قديمًا ، وكان من المستضعفين المعذبين في الله تعالى ، ثم هاجر إلى المدينة وشهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وهو من السابقين الأولين، وهو سابق الروم، وأمره عمر أن يصلي بالناس في زمن الشورى فقدَّموه فصلى على عمر ، وكان أحمر شديد الحمرة ليس بالطويل ولا بالقصير، كثير شعر الرأس يخضب بالحنَّاء.

عن سعيد بن المسيب قال : لما أقبل صهيب مهاجرًا نحو النبي ﷺ تبعه نفر من قريش، نزل عن راحلته وانتشل ما في كنانته ثم قال : يا معشر قريش لقد علمتم أني من أرماكم رجلاً . وايم الله لا تصلون إليَّ حتى أرمي بكل سهم معي في كنانتي ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء . افعلوا ما شئتم وإن شئتم دللتكم على مالي وثيابي بمكة وخليتم سبيلي . قالوا : نعم . فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة قال : ربح البيع أبا يحيي ، ربح البيع أبا يحيي . ونزلت ﴿ ومنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتغاءَ مَرضاة الله ﴾ الآية (٢) .

وعن صهيب ، قال : لم يشهد رسول الله ﷺ مشهدًا قطُّ إلا كنت حاضره ، ولم يبايع بيعة إلا كنت حاضرها ، ولم يسر سرية قط إلا كنت حاضرها ، ولا غزا غزاة قط أول الزمان وآخره إلا كنت فيها عن يمينه أو عن شماله ، وما خافوا أمامهم قط إلا كنت أمامهم، ولا ما وراءهم إلا كنت وراءهم ، وما جعلت رسول الله ﷺ بيني وبين العدوّ قط حتى توفي رسول الله ﷺ (٣) .

---

(١) الودك : دسم اللحم .

(*) انظر الحلية (١/ ١٥٠) ، والمستدرك (٣/ ٣٩٧) ، وسير الأعلام (٢/ ١٧) ، والإصابة (٢/ ١٩٥)، وأسد الغابة (٣/ ٣٦) .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٠٧ ، وانظر : مستدرك الحاكم (٣/ ١٩٨) .

(٣) رواه أبو نعيم فى الحلية (١/ ١٥١) ، والهيثمى فى المجمع (٩/ ٣٠٦) ، وعزاه للطبرانى وقال : وفيه محمد بن الحسن زبالة وهو ضعيف .

(ذكر وفاته رضي الله عنه)

توفي صهيب بالمدينة في شوال سنة ثمانٍ وثلاثين وهو ابن سبعين سنة .

٢٣ ـ عامر بن فهيرة مولى أبي بكر رضي الله عنهما

يكنى أبا عمر واشتراه أبو بكر وأعتقه قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم ، فكان من المستضعفين يعذَّب بمكة ليرجع عن دينه ، وشهد بدرًا.وأحدًا وقتل يوم بئر معونة سنة أربع من الهجرة وهو ابن أربعين سنة .

قال العلماء بالسير : طعنه جبار بن سلمى فأنفذه ، فقال عامر : فزتُ والله جبار . أما قوله : « فزت والله » قالوا : بالجنة . فأسلم جبار ، ولم يوجد عامر ، قال عروة بن الزبير : يرون أن الملائكة دفنته (١) .

روى البخاري عن عائشة قالت : لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ، فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر ويدلج من عندهما بسحر ، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر مِنْحةً من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء ، فيبيتان في رسل ، وهو لبن منحتهما ، حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلسٍ (٢)، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث (٣) .

وعن عائشة قالت : لم يكن مع رسول الله ، حين هاجر من مكة إلى المدينة إلا أبو بكر ، وعامر بن فهيرة ، ورجل من بني الديل دليلهم (٤) .

وعن الزهري قال : أخبرني ابن كعب بن مالك قال : بعث رسول الله ، إلى بني سليم نفرًا فيهم عامر بن فهيرة ، فاستجاش عليهم عامر بن الطفيل فأدركوهم ببئر معونة فقتلوهم، قال الزهري : فبلغني أنهم التمسوا جسد عامر بن فهيرة فلم يقدروا عليه . قال: فيرون أن الملائكة دفنته (٥) .

وعن عروة أن عامر بن الطفيل كان يقول عن رجل منهم : لما قتل رفع بين السماء والأرض حتى رأيت السماء دونه ؟ قالوا : هو عامر بن فهيرة (٦) .

٢٤ ـ بلال بن رباح مولى أبي بكر

اسم أمه حمامة أسلم قديمًا فعذَّبه قومه وجعلوا يقولون له : ربُّك اللات والعزَّى، وهو

---

(١) عزاه الحافظ فى الفتح للإسماعيلى ، والبيهقى فى الدلائل قال : فى حديث الهجرة موصولاً به مدرجاً والصواب ما وقع فى الصحيح - يعنى بدونها .

(٢) الغلس : ظلمة آخر الليل .

(٣) رواه البخارى (٤٧٦) ، وفى مواطن أخرى من «صحيحه» .

(٤) (٥) (٦) انظر : الحلية (١/ ١٥٠ - ١٥١) .

يقول : أَحدٌ أَحد . فأتى عليه أبو بكر فاشتراه بسبع أواق وقيل بخمس [١] فأعتقه فشهد بدرًا وأُحُدًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وهو أول منْ أذَّن لرسول الله ﷺ كان يؤذن له حضرًا وسفرًا ، وكان خازنه على بيت ماله : وكان آدم شديد الأدمة نحيفًا طُوالاً أجنأ، له شعر كثير ، خفيف العارضين ، به شَمَط كثير لا يغيَّره [٢] .

وعن مجاهد قال : إن أول من أظهر الإسلام سبعة : رسول الله ﷺ ، وأبو بكر، وبلال ، وصُهَيب ، وخبَّاب ، وعمَّار ، وسُمَيَّة أم عمار ، فأما رسول الله ﷺ فمنعه عمه، وأما أبو بكر فمنعه قومه . وأخذ الآخرون فألبسوهم أدراع الحديد ثم صهر وهم فى الشمس حتى بلغ الجهد منهم ما بلغ فأعطوهم ما سألوا فجاء إلى كل رجل منهم قومه بأنطاع [٣] الأدم فيها الماء وألقوهم فيه وحملوا بجوانبه إلا بلالاً فإنه هانت عليه نفسه في الله حتى ملُّوه وجعلو في عنقه حبلاً ثم أمروا صبيانهم أن يشتدوا به بين أخشبي مكة [٤] فجعل بلال يقول : أحد أحد ، وقد روى هذا عن ابن مسعود إلا أنه جعل مكان خباب المقْداد[٥] .

عن زرِّ بن حُبيش عن عبد الله ، قال : كان أولَ من أظهر إسلامه : رسول الله ﷺ وأبو بكر ، وعمَّار وأمه سُميَّة ، وصهيب ، وبلال ، والمقداد . فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبي طالب ، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدراع الحديد وصهروهم في الشمس، فما منهم إنسان إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلال فإنه هانت عليه نفسه في الله - عز وجل - وهان على قومه فأعطوه الولدان فأخذوا يطوفون به شعاب مكة وهو يقول أحد أحد . رواه الإمام أحمد [٦] .

وعن عروة بن الزبير ، عن أبيه قال : كان ورقة بن نوفل يمر ببلال وهو يعذَّب ، وهو يقول : أحد أحد ، فيقول : أحدٌ أحدٌ الله يا بلال . ثم أقبل ورقة على أمية بن خلف وهو يصنع ذلك ببلال فيقول : أحلف بالله - عز وجل - إن قتلتموه على هذا لاتخذنه حناناً ، حتى مر به أبو بكر الصديق يومًا وهم يصنعون ذلك به فقال لأمية : ألا تتقي الله - عز وجل - في هذا المسكين ؟ حتى متى ؟ قال : أنت أفسدته فأنقذْه عما ترى، قال أبو بكر : أفعل ، عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى على دينك أعطيكه به . قال : قد قبلت قال هو لك فأعطاه أبو بكر غلامه ذلك ، فأخذ أبو بكر بلالاً فأعتقه ثم أعتق معه على الإسلام - قبل أن يهاجر من مكة - ست رقاب بلال سابعهم [٧] .

---

(١) انظر موسوعة الصحابة الجزء الثانى .
(٢) الشمط : الشيب يخالطه سواد .
(٣) النطع : بساط من الجلد .
(٤) الأخشبين : هما جبلى أبو قيس والأحمر .
(٥) رواه أحمد (١/ ٤٠٤) ، وابن ماجة (١٥٠) ، والحاكم (٣/ ٣٤٩) .
(٦) رواه أحمد (١/ ٤٠٤) .
(٧) انظر : فتح البارى (٧/ ١٢٥) .

قال محمد بن إسحاق : وكان أمية يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى . فيقول وهو في ذلك البلاء : أحد أحد(١) .

وعن جابر بن عبد الله قال : قال عمر رضي الله عنه : كان أبو بكر سيدنا وأعتق بلالاً سيدنا (٢) .

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : بلال سابق الحبشة عن القاسم بن عبد الرحمن قال : أول من أذن بلال .

وعن أبي عبد الله الهوزني قال : لقيت بلالاً فقلت : يا بلال حدثني كيف كانت نفقة رسول الله ﷺ ؟ فقال : ما كان له شيء ، كنت أنا الذي ألي له ذلك منذ بعثه الله - عز وجل - حتى توفي : وكان إذا أتاه الرجل المسلم فرآه عاريًا يأمرني فأنطلق فأستقرض وأشترى البردة فأكسوه وأطعمه (٣) .

وعن عبد الله قال : دخل النبي ﷺ على بلال وعنده صُبرة من تمرٍ (٤) ، قال : ما هذا يا بلال ؟ قال : يا رسول الله ادّخرته لك ولضيفانك فقال : أما تخشى أن يكون له بخار في النار ؟ أنفق بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالاً (٥) .

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : لقد أُخفت في الله وما يخافُ أحد ، ولقد أوذيت في الله وما يُؤذى أحد ، ولقد أتت عليّ ثلاثون ما بين ليلة ويوم ما لي ولبلال طعامٌ يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال . رواه الترمذي (٦) .

وعن عبد الله بن بريدة قال : سمعت أبي يقول : أصبح النبي ﷺ فدعا بلالاً فقال : يا بلال بمَ سبقتني إلى الجنة ؟ ما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامي ، إني دخلت البارحة فسمعت خشخشتك؛ . قال : ما أحدثت إلا توضأت وصليت ركعتين . فقال رسول الله ﷺ : بهذا (٧) .

قال محمد بن إبراهيم التيمي : لما توفي رسول الله ﷺ أذّن بلال ورسول الله ﷺ لم

---

(١) انظر : حلية الأولياء (١/ ١٤٨) .

(٢) رواه البخاري (٣٧٥٤) .

(٣) انظر : حلية الأولياء (١/ ١٤٩) .

(٤) أى : كومة من التمر .

(٥) رواه أبو نعيم فى الحلية (١/ ١٤٩) ، ومن حديث أبى هريرة (٢/ ٢٨٠) ، والطبرانى (١٠/ ١٩٢) ، وانظر مجمع الزوائد (٣/ ١٢٦ ، ١٠/ ٢٤١) ، وكشف الخفا (١/ ٢٤٣) .

(٦) رواه الترمذى (٢٤٧٢) ، وأحمد (٣/ ١٢٠ ، ٢٨٦)، وقال الترمذى هذا حديث حسن صحيح .

(٧) رواه أحمد (١/ ١٠٧) .

يُقبر ، فكان إذا قال : أشهد أن محمدًا رسول الله انتحب الناس في المسجد . فلما دفن رسول الله ﷺ قال له أبو بكر : أذّن يا بلال . فقال : إن كنت إنما أعتقتنى لأكون معك فسبيل ذلك ، وإن كنت أعتقتني لله فخلِّني ومن أعتقتني له . فقال : ما أعتقتك إلا لله . قال : فإني لا أؤذن لأحد بعد رسول الله ﷺ . قال : فذاك إليك . قال : فقام حتى خرجت بُعوث الشام فخرج معهم حتى انتهى إليها (١) .

وعن سعيد بن المسيب قال : لما كانت خلافة أبي بكر تجهز بلال ليخرج إلى الشام فقال له أبو بكر : ما كنت أراك يا بلال تدعنا على هذا الحال ، فلو أقمت معنا فأعنتنا . قال : إن كنت إنما أعتقتني لله - عز وجل - فدعني أذهب إليه ، وإن كنت إنما أعتقتني لنفسك فاحبسني عندك . فأذن له فخرج إلى الشام فمات بها .

قال الشيخ رحمه الله : وقد اختلف أهل السير أين مات ؟ فقال بعضهم : مات بدمشق، وقال بعضهم : مات بحلب سنة عشرين . وقيل سنة ثمان عشرة وهو ابن بضع وستين سنة . رحمه الله .

٢٥ ـ أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال (٢)

أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم ، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين ومعه امرأته أم سلمة .

وقال أبو أمامة بن سهل بن حنيف : أول من قدم علينا المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ للهجرة أبو سلمة .

وشهد أبو سلمة بدرًا وجُرح بأُحد فمكث شهرًا يداوي جراحه ، ثم بعثه رسول الله ﷺ، في سرية فلما قدم انتقض جرحه ، ثم توفي ، فحضره رسول الله ﷺ عند وفاته أو أغمضه بيده .

توفي في سنة ثلاث من الهجرة .

٢٦ ـ الأرقم بن أبي الأرقم بن أسد (٣)

يكنى أبا عبد الله ، أسلم بعد ستة نفر وكانت داره على الصَّفا بمكة ، وفيها استتر رسول الله ﷺ ودعا الناس فيها إلى الإسلام ، وتصدق بها الأرقم على ولده . فلم يزل المنصور يرغِّب ولده في المال حتى باعوه إياها ثم أعطاها المهدي الخيزران .

---

(١) انظر : صحيح البخاري (٣٧٥٥) .
(٢) انظر : الحلية (٢/ ٣) ، والتهذيب (٣/ ١٨٧) ، وأسد الغابة (٣/ ٢٩٤) .
(٣) انظر : طبقات ابن سعد (٣/ ١/ ١٧٢ ، ١٧٣) .

وشهد الأرقم بدرًا وأُحدًا والمشاهد كلها وتوفي ابن بضع وثمانين سنة في سنة خمس وخمسين بالمدينة ، وصلى عليه سعد بن أبي وقاص .

٢٧ ـ عمار بن ياسر بن عمار بن مالك

وأمه سُمية . أسلم قديمًا وكان من المستضعفين الذين يعذَّبون بمكة ليرجعوا عن دينهم . أحرقه المشركون بالنار وشهد بدرًا ولم يشهدها ابن مؤمنين غيره. وشهد أحدًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وسماه الطَّيب المطَّيب [١] .

عن عمرو بن ميمون قال : أحرق المشركون عمار بن ياسر بالنار ، وكان رسول الله ﷺ، يمر به ويُمر يده على رأسه ويقول : يا نار كوني بردًا وسلامًا على عمار كما كنت على إبراهيم عليه السلام [٢] .

وعن عثمان بن عفان قال : أقبلت أنا ورسول الله ﷺ آخذ بيدي نتماشى في البطحاء حتى أتينا على أبي عمار وعمار وأمِّه وهم يعذبون . فقال ياسر : الدهر هكذا . فقال له النبي ﷺ : اصبر ، اللهم اغفر لآل ياسر ، قال : وقد فعلت [٣] .

عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار قال : أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سب رسول الله ، وذكر آلهتهم بخير . فلما أتى رسول الله ، قال : ما وراءك ؟ قال شرٌ يا رسول الله ، ما تُركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير فقال رسول الله ﷺ : فكيف تجد قلبك ؟ قال أجد قلبي مطمئنًا بالإيمان . قال : فإن عادوا فَعُد [٤] .

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال : إن عمارًا مليء إيمانًا من قرنه إلى قدمه [٥] .

وعن علي قال : جاء عمار يستأذن على النبي ﷺ فقال : ائذنوا له ، مرحبًا بالطيب المطيَّب . رواه أحمد [٦] .

وعن أنس بن مالك قال :قال رسول الله ﷺ : إن الجنة تشتاق إلى ثلاثة : علي ، وعمار ، وسلمان ، رواه الترمذي وقال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسن بن صالح [٧] .

---

(١) أخرجه الترمذى (٣٧٩٩) . (٢) ، (٣) رواه ابن سعد فى طبقاته (٣/ ١/ ١٧٧) .

(٤) المصدر السابق ، وفى الحلية (١/ ١٤٠) ، والحاكم (٢/ ٣٥٧) ، والبيهقى (٨/ ٢٠٩) .

(٥) أبو نعيم فى الحلية (١/ ١٣٩) ، والترمذى (٣٧٩٩) ، وانظر الإيمان لابن أبى شيبة (ص ٣٨ - الألبانى) .

(٦) رواه أحمد (١/ ١٠٠ ، ١٢٦ ، ١٣٠) ، والترمذى (٣٧٩٨) ، وابن ماجة (١٤٧) ، وأبو نعيم فى الحلية (١/ ١٣٩) وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح اهـ .

(٧) رواه الترمذى (٣٧٩٧) .

وعن خالد بن سمير قال : كان عمار بن ياسر طويل الصمت ، طويل الحزن والكآبة . وكان عامة كلامه عائذًا بالله من فتنة رواه أحمد .

وعن عامر قال : سئل عمار عن مسألة فقال : هل كان هذا بعدُ ؟ قالوا : لا . قال: فدعونا حتى يكون ، فإذا كان تجشمناها لكم .

وعن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى ، عن أبيه ، عن عمار بن ياسر أنه قال : وهو يسير إلى صفين إلى جنب الفرات : اللهم لو أعلم أنه أرضى لك عني أن أرميَ بنفسي من هذا الجبل فأتردَّى فأسقط فعلتُ ، ولو أعلم أنه أرضى لك عني أن ألقي نفسيَ في الماء فأغرق نفسي فعلت ، وإني لا أقاتل إلا أريد وجهك وأنا أرجو أن لا تخيِّبني وأنا أريد وجهك [١] .

وعن عبد الله بن سلمة قال : رأيت عمار بن ياسر يوم صفين شيخًا آدم في يده الحربة وإنها لترعد فنظر إلى عمرو بن العاصي معه الراية فقال : إن هذه الراية قد قاتلتها مع رسول الله ﷺ ثلاث مرات وهذه الرابعة ، والله لو ضربونا حتى يبلغونا شعاف هجر لعرفت أن صاحبنا على الحق وأنهم على الضلالة .

وعن أبي سنان الدؤلي صاحب رسول الله ﷺ قال : رأيت عمار بن ياسر دعا بشراب فأتي بقدحٍ من لبن فشرب منه ثم قال : صدق الله ورسوله ﷺ اليوم ألقى الأحبة محمدًا وحزبه ، إن رسول الله ﷺ قال : إن آخر شيء يرويه من الدنيا صُبحة لبن ثم قال : والله لو هزمونا حتى يُبلغونا شعاف هَجر لعلمنا أنا على حق وأنهم على باطل [٢] .

قال أهل السيَر : قتل عمار بصفين مع علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم - قتله أبو الغادية ، ودفن هناك في سنة سبع وثلاثين وهو ابن ثلاث ، وقيل أربع ، وتسعين سنة .

٢٨ ـ زيد بن الخطاب أخو عمر رضي الله عنه [٣]

يكنى أبا عبد الرحمن . كان أسنَّ من أخيه عمر ، وأسلم قبل عمر ، وكان طوالاً أسمر شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ .

عن ابن عمر قال : قال عمر بن الخطاب لأخيه زيد يوم أحد : أقسمت عليك إلا لبست درعي . فلبسها ثم نزعها . فقال له عمر : ما لك ؟ فقال : إني أريد بنفسي ما تريد بنفسك .

---

(١) رواه أبو نعيم فى « الحلية » (١/١٤٣) . (٢) انظر : المجمع (٩/٢٩٥ - ٢٩٨) .

(٣) انظر : الإصابة (٢/٢٤٩) ، والتهذيب (٢/ ٢٤٠) ، وسير الأعلام (٢/٣٣٣) ، وأسد الغابة (٣/١٢١) .

وعنه قال : قال عمر لأخيه زيد يوم أحد : خذ درعي . قال : إني أريد الشهادة كما تريد فتركاها جميعًا .

وعن الجحاف بن عبد الرحمن ، من ولد زيد بن الخطاب ، عن أبيه قال: كان زيد ابن الخطاب يحمل راية المسلمين يوم اليمامة وقد انكشف المسلمون حتى غلبت بنو حنيفة عن الرحال ، فجعل زيد يقول أما الرحال فلا رحال ، وأما الفرار فلا فرار . ثم جعل يصيح بأعلى صوته : اللهم إني أعتذر إليك من فرار أصحابي وأبرأ إليك مما جاء به مسيلمة ، وجعل يشتد بالراية ينفذ بها في نحر العدوّ ثم ضارب بسيفه حتى قتل ووقعت الراية ، فأخذها سالم مولى أبي حذيفة فقال المسلمون : يا سالم إنا نخاف أن نُؤتى من قِبَلك فقال: بئس حامل القرآن أنا إن أُتيتم من قبلي .

٢٩ ـ عامر بن ربيعة بن مالك

أسلم قديمًا قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم ، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين جميعًا ولم يقدم إلى المدينة للهجرة قبله غير أبي سلمة وشهد بدرًا والمشاهد كلها .

عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال : قام عامر بن ربيعة يصلي من الليل ، وذلك حين نشب الناس في الطعن على عثمان . فصلى من الليل ثم نام فأتي في المنام فقيل له : قم فسل الله أن يعيذك من الفتنة التى أعاذ منها صالح عباده فقام فصلى ثم اشتكى فما خرج إلا على جنازة [١] .

قال ابن سعد : قال الواقدي : كان موت عامر بن ربيعة بعد قتل عثمان بأيام وكان قد لزم بيته فلم يشعر الناس إلا بجنازته قد أخرجت رضي الله عنه .

٣٠ ـ عثمان بن مظعون

ابن حبيب بن وهب بن حذافة بن جُمح . يكنى أبا السائب . أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم وهاجر إلى الحبشة الهجرتين وحرَّم الخمر في الجاهلية وقال : لا أشرب شيئًا يُذهب عقلي ويُضحك بي من هو أدنى منى ، ويحملني على أن أُنكح كريمتي من لا أريد .

وشهد بدرًا وكان متعبدًا . توفي في شعبان على رأس ثلاثين شهرًا من الهجرة وقبَّل النبي ﷺ خده وسماه السلف الصالح وهو أول من قبر بالبقيع ، وكان له من الولد : عبد الله والسائب ، أمهما خولة بنت حكيم .

---

(١) رواه الحاكم (٣/٣٥٨) ، وعزاه الهيثمى فى المجمع (٩/٣٠١) للطبرانى وقال : رجاله رجال الصحيح .

عن عثمان قال : لما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله ﷺ من البلاء ، وهو يغدو ويروح في أمان من الوليد بن المغيرة ، قال : والله إن غُدوى ورواحي آمنًا بجوار رجل من أهل الشرك ، وأصحابي وأهل ديني يلقون من الأذى والبلاء ما لا يصيبني، لنقصٌ كبير في نفسي . فمشى إلى الوليد بن المغيرة فقال له : يا أبا عبد شمس وفَتْ ذمتك قد رددتُ إليك جوارك . قال : لِمَ يا بن أخي ؟ لعله آذاك أحد من قومي . قال : لا ، ولكني أرضى بجوار الله - عز وجل - ولا أريد أن أستجير بغيره . قال : فانطلِقْ إلى المسجد فارددُ عليّ جواري علانية كما أجرتك علانيةً .

قال : فانطلقنا ثم خرجنا حتى أتينا المسجد فقال لهم الوليد : هذا عثمان قد جاء يرد علي جواري . قال : قد صدق وقد وجدته وفيًا كريم الجوار ، ولكني قد أحببت أن لا أستجير بغير الله ، فقد رددت عليه جواره . ثم انصرف عثمان ولبيدُ بن ربيعة في مجلس من مجالس قريش يُنشدهم ، فجلس معهم عثمان ، فقال لبيد وهو ينشدهم :

(ألا كلُّ شيء ما خلا الله باطل)

فقال عثمان صدقت ، فقال :

(وكلُّ نعـيمٍ لا محـــــالة زائل)

فقال عثمان : كذبت ، نعيم الجنة لا يزول . فقال لبيد : يا معشر قريش والله ما كان يؤذى جليسكم فمتى حدث فيكم هذا ؟ فقال رجل من القوم : إن هذا سفيه في سفهاء معه قد فارقوا ديننا فلا تجدن في نفسك من قوله . فرد عليه عثمان حتى شَرِيَ أمرهما . فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينه فخضَّرها والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ. فقال : أما والله يا ابن أخي إن كانت عينك عما أصابها لغنَّية ، لقد كنت في ذمة منيعة، فقال عثمان : بلى والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى ما أصاب أختها في الله ، وإني في جوار مَن هو أعزّ منك وأقدر (١) .

وعن عائشة قالت : دخلت عليَّ امرأة عثمان بن مظعون وهي باذَّة الهيئة ، فسألتها عن ذلك فقالت : زوجي يصوم النهار ويقوم الليل . فدخل النبي ﷺ فذكرت ذلك له . فلقي رسول الله ﷺ فقال : يا عثمان إن الرهبانية لم تُكتب علينا ، أفما لك في أسوة ؟ فوالله إن أخشاكم لله وأحفظكم لحدوده لأنا .

وعن ابن عباس : أن النبي ﷺ دخل على عثمان بن مظعون وهو ميت . قال : فرأيت دموع رسول الله ، تسيل على خد عثمان بن مظعون (٢) .

---

(١) انظر : فتح البارى (١٨٨/٧) ، والحلية (١٠٣/١ - ١٠٤) .

(٢) رواه أبو داود (٣١٦٣) ، والترمذى (٩٨٩) ، وابن ماجة (١٤٥٦) .

وعن خارجة بن زيد الأنصاري أن أم العلاء - امرأة من نسائهم قد بايعت رسول الله ﷺ - أخبرته أنه اقتُسم المهاجرون قُرعةً ، قالت : فطار لنا عثمان بن مظعون . فاشتكى فمرَّضناه، حتى إذا توفي وجعلناه في ثيابه دخل علينا رسول الله ﷺ فقالت : رحمة الله عليك أبا السائب ، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله. فقال لي النبي ﷺ « وما يدريك أن الله أكرمه ؟ » فقلت : لا أدري ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله . فقال رسول الله : « أما عثمان فقد جاءه والله اليقين ، إني لأرجو له الخير ، والله ما أدري - وإني رسول الله - ما يفعل بي » قالت : فوالله لا أزكي أحدًا بعده أبدا فأحزنني ذلك . قالت : فنمت فأريت لعثمان عينًا تجري ، فجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال : « ذلك عمله » . انفرد بإخراجه البخاري [1] .

٣١ - عبد الله بن سهيل بن عمرو

هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية ، فلما قدم مكة أخذه أبوه فأوثقه وفتَنَه .

قال ابن سعد : قال محمد بن عمر بن عطاء : خرج عبد الله بن سهيل إلى نفير بدر مع المشركين ، مع أبيه سهيل : ولا يشك أبوه أنه قد رجع إلى دينه. فلما التقوا انحاز عبد الله إلى المسلمين حتى جاء رسول الله ﷺ قبل القتال ، فشهد بدرًا مسلمًا وهو ابن سبع وعشرين فغاظ ذلك أباه غيظًا شديدًا .

قال عبد الله فجعل الله لي وله في ذلك خيرًا كثيرًا .

قال ابن سعد : وشهد عبد الله أحدًا والخندق والمشاهد كلها وقُتل باليمامة شهيدًا وهو ابن ثمان وثلاثين سنة . فلما حج أبو بكر في خلافته أتاه سهيل بن عمرو فعزاه أبو بكر بعبد الله ، فقال سهيل : لقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال : « يشفع الشهيد لسبعين من أهله » [2] فأنا أرجو أن لا يبدأ ابني بأحد قبلي .

٣٢ - سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس

ابن زيد بن عبد الأشهل ، يكنى أبا عمرو ، وأمه كبشة بنت رافع من المبايعات أسلم سعد على يد مصعب بن عمير ، فأسلم بإسلامه بنو عبد الأشهل ، وهي أول دار أسلمت من الأنصار . وشهد بدرًا وأحدًا وثبت مع النبي ﷺ يومئذ ، ورمي يوم الخندق. ثم انفجر كَلْمه بعد ذلك ، فمات في شوال سنة خمس من الهجرة وهو ابن سبع وثلاثين سنة ، وصلى عليه رسول الله ﷺ ودفن بالبقيع وله من الولد : عبد الله وعمرو.

---

(١) رواه البخاري (٣٩٢٩) ، وفي مواطن أخرى .

(٢) أخرجه أبو داود (٢٥٢٢) ، والبيهقي (٩/ ١٦٤) وصححه الألباني .

عن عائشة قالت : خرجت يوم الخندق أقفو أثر الناس فسمعت وئيد الأرض من ورائي فالتفت فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنّه قالت : فجلست إلى الأرض . قالت : فمر سعد وهو يرتجز :

لبثْ قليلاً يدرك الهيجا حَمل   ما أحسن الموتَ إذا جاء الأجلْ

قالت : وعليه درع قد خرجت منه أطرافه فأنا أتخوف على أطراف سعد ، وكان سعد من أطول الناس وأعظمهم . قالت : فقمت فاقتحمت حديقة فإذا فيها نفر من المسلمين وفيهم عمر بن الخطاب وفيهم رجل عليه تسبغة له ، تعنى المغفر ، قالت : فقال لي عمر : ما جاء بك ؟ والله إنك لجريئة ، وما يؤمنك أن يكون تحوُّز أو بلاء ؟ قالت: فما زال يلومني حتى تمنيت أن الأرض انشقت ساعتئذ فدخلت فيها .

قالت : فرفع الرجل التسبغة عن وجهه فإذا طلحة بن عبيد الله قالت : فقال: ويحك يا عمر إنك قد أكثرت منذ اليوم ، وأين التحوز والفرار إلا إلى الله .

قالت : ويرمي سعدًا رجل من المشركين يقال له ابن العَرِقَة بسهم ، فقال : خذها وأنا ابن العَرِقة فأصاب أكحله . فدعا الله سعد فقال : اللهم لا تمتني حتى تشفيني من قريظة وكانوا مواليه وحلفاءه في الجاهلية .

قال : فَرقأ كَلْمُه وبعث الله الريح على المشركين ﴿ **وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويًا عزيزًا** ﴾ [1] .

فلحق أبو سفيان ومن معه بتهامة ، ولحق عيينة ومن معه بنجد ورجعت بنو قريظة فتحصنوا في صياصيهم ، ورجع رسول الله ﷺ المدينة وأمر بقبة من أدم فضربت على سعد بن معاذ في المسجد . قال : فجاءه جبريل وعلى ثناياه النقع فقال : أو قد وضعتم السلاح ؟ فوالله ما وضعت الملائكة السلاح بعد ، أخرج إلى بني قريظة فقاتلهم . قالت: فلبس رسول الله ﷺ لأمته ، وأذن في الناس بالرحيل . قالت : فأتاهم رسول الله ﷺ فحاصرهم خمسًا وعشرين ليلة فلما اشتد حصرهم واشتد البلاء عليهم قيل لهم: انزلوا على حكم رسول الله ﷺ فاستشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر فأشار إليهم أنه الذبح فقالوا : ننزل على حكم سعد بن معاذ . فبعث رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ فحُمل على حمار، على إكاف من ليف [2] ، فخف به قومه فجعلوا يقولون : يا أبا عمرو ، حلفاؤك ومواليك ومن قد علمت . ولا يرجع إليهم شيئًا حتى إذا دنا من دورهم التفت إلى قومه فقال : قد آن لي أن لا أبالي في الله لومة لائم فقال له رسول الله ﷺ : احكم

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٢٥ .   (٢) الإكاف : البردعة .

فيهم قال : فإني أحكم فيهم أن تقتل مفاتلتهم وتسبي ذراريهم ، وتقسم أموالهم . فقال رسول الله ﷺ : لقد حكمت فيهم بحكم الله وبحكم رسوله [1] .

قالت : ثم دعا الله - عز وجل - سعدٌ فقال : اللهم إن كنت أبقيت على نبيك من حرب قريش شيئًا فأبقني لها ، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني إليك . قالت : فانفجر كلمه وقد كان بَرَأَ قالت : فحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر ، فوالذي نفس محمد بيده إني لأعرف بكاء أبي بكر من بكاء عُمرَ وأنا في حجرتي ، قال: فقلت : فكيف كان رسول الله ﷺ يصنع ؟ قالت : كانت عينه لا تدمع على أحد ولكنه كان إذا وجَدَ [2] فإنما هو آخذ بلحيته .

وعن الحسن قال : لما مات سعد بن معاذ وكان رجلاً جسيمًا جَزْلاً ، جعل المنافقون وهم يمشون خلف سريره يقولون : لم نر كاليوم رجلاً أخف قالوا : أتدرون لِمَ ذلك ؟ لحكمه في بني قريظة فذكر للنبي ﷺ فقال : « والذي نفسي بيده لقد كانت الملائكة تحمل سريره » [3] .

عن جابر عن النبي ﷺ ، قال : « اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ » أخرجاه في « الصحيحين » [4] .

وعن البراء أن النبي ﷺ أتي بثوب حرير ، فجعلوا يتعجبون من حسنه ولينه . فقال: لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أفضل - أو خير - من هذا . أخرجاه في الصحيحين [5] .

٣٣ - عاصم بن ثابت بن قيس

يكنى أبا سليمان شهد بدرًا وأُحدًا ، وثبت مع رسول الله ﷺ يومئذ حين ولىَّ الناس وبايعه على الموت .

وكان من الرماة المذكورين وقتل يوم أحد من أصحاب لواء المشركين مسافعًا والحارث . فنذرت أمهما سُلافة بنت سعد أن تشرب في قِحْف [6] عاصمٍ الخمر ، وجعلت لمن جاءها برأسه مائة ناقة .

فقدم ناس من هذيل على رسول الله ﷺ فسألوه أن يوجه معهم من يعلمهم فوجه عاصمًا في جماعة ، فقال لهم المشركون استأسروا فإنا لا نريد قتلكم وإنما نريد أن

---

(١) انظر : فتح البارى عند شرح الحديث رقم (٤١٢١) .

(٢) وجد : حزن . (٣) رواه الترمذى (٣٨٤٨) .

(٤) رواه البخارى (٣٨٠٣) ، ومسلم فى فضائل سعد بن معاذ .

(٥) رواه البخارى (٣٨٠٢) ، ومسلم (الباب السابق) .

(٦) القحف : العظم الذى فوق الدماغ .

نُدخلكم مكة فنصيب بكم ثمنًا . فقال عاصم : لا أقبل جوار مشرك . وجعل يقاتلهم حتى فنيت نَبله ، ثم طاعنهم حتى انكسر رمحه ، فقال : اللهم إني حميت دينك أول النهار فاحم لحمي آخره . فجرح رجلين وقتل واحدًا ، وقتلوه فأرادوا أن يحتزوا رأسه فبعث الله الدَّبر (١) فحمته ، ثم بعث الله إليه سيلاً في الليل فحمله . وذلك يوم الرَّجيع. هكذا رواه محمد بن سعد .

وعن بُريدة بن سفيان الأسلمي : أن رسول الله ﷺ بعث عاصم بن ثابت وزيد بن الدَّثنة ، وخبيب بن عدي ، ومرثد بن أبي مرثد، إلى بني لحيان بالرجيع فقاتلوهم حتى أخذوا أمانًا لأنفسهم إلا عاصمًا فإنه أبى . وقال : لا أقبل اليوم عهدًا من مشرك ودعا عند ذلك فقال : اللهم إني أحمي لك دينك فاحْمِ لي لحمي . فجعل يقاتل وهو يقول :

مـا علتـي وأنا جَلْدٌ نابلُ ... والقوس فيهـا وتَرٌ عُنابِل

إن لم أقاتلهم فأمي هـابل ... الموت حق والحياة باطل

وكـلُّ ما حمَّ الإلهُ نازل ... بالمرء ، والمرء إليه آئل

قال : فلما قتلوه قال بعضهم لبعض : هذا الذي آلت فيه المكية وهي سلافة فأرادوا أن يحتزوا رأسه ليذهبوا به إليها ، فبعث الله - عز وجل - رِجْلاً من دبرٍ فلم يستطيعوا أن يحتزوا رأسه . رواه أبو يعلى الأصبهاني .

٣٤ ـ أبو الهيثم بن التيهان واسمه مالك (٢)

كان يكره الأصنام في الجاهلية ويقول بالتوحيد هو وأسعد بن زُرارة وكانا أول من أسلم من الأنصار الذين لقوا رسول الله ﷺ بمكة ثم شهد العقبة مع السبعين.

وهو أحد النقباء الاثني عشر شهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وتوفي في خلافة عمر رضي الله عنهما .

٣٥ ـ قتادة بن النعمان بن زيد

شهد العقبة مع السبعين وكان من الرماة المذكورين وشهد بدرًا وأُحدًا فرمُيت يومئذ عينيه فسالت .

عن الهيثم بن عدي عن أبيه قال : أصيبت عين قتادة بن النعمان يوم أُحد فأتى النبي ﷺ وهي في يده فقال : ما هذا يا قتادة ؟ قال : هذا ما ترى يا رسول الله. قال : « إن

(١) الدَّبر : ذكور النحل ، ويقال لمفرده : دبور .

(٢) انظر : سير الأعلام (١/ ١٨٩) ، والإصابة (٣/ ٣٤١) ، وأسد الغابة (٥/ ١٤) ، ومجمع الزوائد (٩/ ٣٤٤) .

شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت رددتُها ودعوتُ الله لك فلم تفتقد منها شيئًا » . فقال: والله يا رسول الله إن الجنة لجزاء جزيل وعطاء جليل ولكني رجل مبتلى بحب النساء وأخاف أن يقلن أعور فلا يُردْنني ولكن تردَّها لي وتسأل الله لي الجنة . فقال : أفعل يا قتادة . ثم أخذها رسول الله ، بيده فأعادها إلى موضعها ، فكانت أحسن عينيه إلى أن مات، ودعا الله له بالجنة [1] .

فدخل ابنه على عمر بن عبد العزيز فقال له عمر: من أنت يا فتى ؟ فقال :

أنا ابن الذي سالت على الخدِّ عينه ... فَرُدَّت بكف المصطفى أحسن الردِّ

فعادت كما كانت لأحسن حـالها ... فيا حُسن ما عينٍ ويا طيب ما يدِ

فقال عمر : بمثل هذا فليتوسَّلْ إلينا المتوسلون . ثم قال :

تلك المكارم لا قَعبان من لبنٍ ... شِيبا بماءٍ فعادا بعد أبْوالا

وشهد قَتادة مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها ، وكانت معه يوم الفتح راية بني ظفر . وتوفي سنة ثلاث وعشرين وهو ابن خمس وستين وصلى عليه عمر .

٣٦ ـ عبد الله بن طارق بن عمرو بن مالك

شهد بدرًا وأُحدًا وكان فيمن خرج في غزوة الرَّجيع فأخذه المشركون ليُدخِلوه مكة مع خُبيب . فلما كان بِمَرِّ الظَّهْران قال : والله لا أصاحبهم ، إن لي بهؤلاء أسوة ، يعني أصحابه الذين قتلوا . ونزع يده من رباطه وأخذ سيفه وجعل يشتد فيهم ، فرموه بالحجارة فقتلوه . فقَبْره بمر الظهران .

وكان يوم الرَّجيع على رأس ستة وثلاثين شهرًا من الهجرة .

٣٧ ـ معن بن عدى

شهد العقبة وبدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ .

عن محمد بن سعد : قال الزُّهري : قال عروة : بلغنا أن الناس بكوا على النبي ﷺ حين مات ، وقالوا : والله لَوددنا أنا متْنا قبله نخشى أن نفتتن بعده . فقال معن : لكني والله ما أحب أني متُّ قبله حتى أصدِّقه ميتًا كما صدقتُه حيًا .

٣٨ ـ أبو عقيل عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة

شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وقتُل يوم اليمامة شهيدًا .

---

(١) آخرجه ابن إسحاق فى السيرة (٣/ ٨٧) ، وانظر حلية الأولياء (٢/ ٣٣٣) .

عن جعفر بن عبد الله بن أسلم ، قال : لما كان يوم اليمامة واصطف الناس كان أول من جُرِح أبو عَقيل ، رُمي بسهم فوقع بين منكبيه وفؤاده في غير مَقتلَ ، فأخرج السهم ووهن له شقّه الأيسر في أول النهار وجُرّ إلى الرحل .

فلما حميَ القتال وانهزم المسلمون وجاوزوا رحالهم ، وأبو عقيل واهن من جرحه ، سمع معن بن عدي يصيح : يا للأنصار ! الله الله والكرّةَ على عدوكم. قال عبد الله بن عمر : فنهض أبو عقيل يريد قومه ، فقلت : ما تريد؟ ما فيك قتال . قال : قد نوَّه المنادي باسمي : قال ابن عمر : فقلت له : إنما يقول : يا للأنصار ، ولا يعني الجرحى. قال أبو عقيل : أنا من الأنصار وأنا أجيبه ولو حَبْوًا قال ابن عمر : فتحزَّم أبو عقيل وأخذ السيف بيده اليمنى ، ثم جعل ينادي : يا للأنصار ! كرةً كيوم حُنين فاجتمعوا - رحمكم الله جميعًا - تقدَّموا فالمسلمون دريئة دون عدوهم . حتى أقحموا عدوّهم الحديقة فاختلطوا واختلفت السيوف بيننا وبينهم .

قال ابن عمر : فنظرت إلى أبي عَقيل وقد قُطعت يده المجروحة من المنكب فوقعتْ إلى الأرض وبه من الجراح أربعة عشر جرحًا كلُّها قد خلصت إلى مقتل وقُتل عدو الله مسليمة .

قال ابن عمر : فوقفت على أبي عقيل وهو صريع بآخر رمق فقلت : يا أبا عقيل ، قال: لبيك - بلسان ملتاث - لمن الدَبرَة ؟ قلت : أبشر قد قتل عدو الله. فرفع إصبعه إلى السماء يحمد الله . ومات يرحمه الله .

قال ابن عمر : فأخبرت عمر ، بعد أن قدمت ، خبره كله . فقال : رحمه الله ، ما زال يسعى للشهادة ويطلبها ، وإن كان - ما علمت - من خيار أصحاب نبينا ﷺ وقديم إسلامهم - رضي الله عنه .

٣٩ - سعد بن خيثمة بن الحارث

يكنى أبا عبد الله ، أحد نقباء الأنصار الاثني عشر . شهد العقبة الأخيرة مع السبعين. ولما ندب رسول الله ﷺ الناس إلى غزوة بدر قال له أبوه خيثمة : إنه لا بد لاحدنا أن يقيم، فآثرني بالخروج وأقم مع نسائك . فأبى سعد وقال : لو كان غير الجنة آثرتك به، إني لأرجو الشهادة في وجهي هذا .

فاستهما فخرج سهم سعد فخرج فقتل ببدر أخبرنا بذلك أبو بكر بن أبي طاهر، قال: أخبرنا الجوهري قال : أخبرنا ابن حيوة قال : أخبرنا ابن معروف قال : أخبرنا ابن الفهم قال : أخبرنا محمد بن سعد - رحمه الله ورضي عنه ، وحشرنا في زمرته وزمرة أصحابه .

٤٠ ـ أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب الأنصاري

شهد العقبة مع السبعين ونزل عليه رسول الله ﷺ حين رحل من قُباء إلى المدينة ، وشهد بدرًا وأُحدًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ .

عن أفلح مولى أبي أيوب ، عن أبي أيوب ، أن رسول الله ﷺ لما نزل المدينة نزل على أبي أيوب فنزل النبي ﷺ أسفل ، وأبو أيوب في العلو ، فانتبه أبو أيوب ذات ليلة فقال : نمشي فوق رأس رسول الله ﷺ ! فتحول فباتوا في جانب. فلما أصبح ذكر ذلك للنبي ﷺ . فقال النبي ﷺ : أسفل أرفَقُ بي . فقال أبو أيوب : لا أعلو سقيفة أنت تحتها . فتحول أبو أيوب في السفْل ، والنبي ﷺ في العلوّ (١) .

وعن ابن عباس قال : لما أراد رسول الله ﷺ أن يخرج من خيبر قال القوم : الآن نعلم أسرية صفيةُ أم امرأة ؟ فإن كانت امرأة فسيحجبها وإلا فهي سرية . فلما خرج أمر بستر فستر دونها فعرف الناس أنها امرأة فلما أرادت أن تركب أدنى فخذه منها لتركب عليها ، فأبت ووضعت ركبتها على فخذه ، ثم حملها . فلما كان الليل نزل فدخل الفُسطاط ودخلت معه وجاء أبو أيوب فبات عند الفسطاط، معه السيف ، واضعَ رأسه على الفسطاط. فلما أصبح رسول الله ﷺ سمع الحركة فقال : مـن هذا ؟ فقال : أنا أبو أيوب . فقال : ما شأنك ؟ فقال : يا رسول الله جارية شابة حديثة عهد بعرس وقد صنعت بزوجها ما صنعت فلم آمنها، قلت إن تحركت كنت قريبًا منك . فقال رسول الله ﷺ : رحمك الله يا أبا أيوب ، مرتين (٢) .

قال الواقدي : توفي أبو أيوب عام غزا يزيد بن معاوية القسطنطنية في خلافة أبيه معاوية سنة اثنتين وخمسين ، وصلى عليه يزيد وقبره بأصل حصن القسطنطنية بأرض الروم ، فلقد بلغنا أن الروم يتعاهدون قبره ويزورونه ويستسقون به إذا قَحطوا .

٤١ ـ حارثة بن النعمان بن نفيع الأنصارى

يكنى أبا عبد الله . شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ عن محمد بن سعد قال: قال حارثة : رأيت جبريل مرتين : حين خرج النبي ﷺ إلى بني قُرَيْظة مرَّ بنا في صورة دحية ويوم موضع الجنائز حين رجعنا من حنين مررت وهو يكلم النبي ﷺ فلم أسلِّم . فقال جبريل : من هذا ؟ قالوا : حارثة قال لو سلم لرددنا عليه (٣) .

قال ابن سعد : وقال الواقدي : كانت لحارثة منازل قرب منازل النبي ﷺ بالمدينة ،

---

(١) أخرجه ابن إسحاق فى السيرة (٢/ ١٤٤) .

(٢) المصدر السابق (٣/ ٣٥٤) .

(٣) انظر : مجمع الزوائد (٩/ ٣١٣ - ٣١٤) .

فكان كلما أحدث النبي ، أهلاً تحول له حارثة عن منزل بعد منزل . حتى قال النبي ﷺ: لقد استحييت من حارثة مما يتحول لنا عن منازله .

وتوفي حارثة في خلافة معاوية .

عن محمد بن عثمان ، عن أبيه أن حارثة بن النعمان كان قد كف بصره ، فجعل خيطًا من مصلاه إلى باب حجرته ، ووضع عنده مكتلاً فيه تمر وغير ذلك فكان إذا سلَّم المسكينُ أخذ من ذلك التمر ثم أخذ على ذلك الخيط حتى يأخذ إلى باب الحجرة فيناوله المسكينَ . فكان أهله يقولون : نحن نكفيك . فيقول : سمعت رسول الله ، يقول : «إن مناولة المسكين تقي ميتة السُّوء » (١) .

وعن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : نمت فرأيتني في الجنة ، فسمعت صوت قاريء يقرأ . فقلت : من هذا ؟ قالوا : حارثة بن النعمان . فقال رسول الله ﷺ « كذاك البرُّ » (٢) . وكان أبرَّ الناس بأمه .

٤٢ ـ معاذ ابن عفراء

وعفراء : أمه ، نسب إليها . وأبوه : الحارث بن رفاعة بن الحارث . شهد العقبتين وبدرًا .

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، قال : كان معاذ بن عفراء لا يدع شيئًا إلا تصدق به . فلما وُلد له استشفعت إليه امرأته بأخواله فكلموه وقالوا له : إنك قد أعَلْتَ (٣) ، فلو جمعت لولدك . قال : أبت نفسي إلا أن أستتر بكل شيء أجده من النار .

فلما مات ترك أرضًا إلى جنب أرضٍ لرجل . قال عبد الرحمن ـ وعليه ملاءة صفراء ما تساوى ثلاثة دراهم ـ : ما يسرني الأرض بملاءتي هذه فامتنع ولي الصبيان . فاحتاج إليها جار الأرض فباعها بثلاثمائة ألف .

وروي عن عمر بن شَبَّة قال : حدثنا وهب بن جرير قال : أخبرنا أبي قال : سمعت محمد بن سيرين يحدِّث عن أفلح مولى أبي أيوب قال : كان عمر يأمر بحللٍ تُنسج لأهل بدر يتنَّوق فيها . فبعث إلى معاذ بن عفراء حلةً فقال لي معاذ: يا أفلح بْع هذه الحلة . فبعتها له بألف وخمسمائة درهم . ثم قال : اذهب فابتع لي بها رقابًا . فاشتريت له خمس رقاب ثم قال : والله إن امرءً اختار قشرين ـ يلبسهما ـ على خمس رقاب يعتقها ؛ لَغبين الرأي ، اذهبوا فأنتم أحرار .

---

(١) رواه ابن سعد فى الطبقات (٣/٣/ ٥٢) .

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ١٥٢) ، قال الهيثمى : رجاله رجال الصحيح .

(٣) العالة : الفقر والحاجة ، وقال الأخفش : أعال الرجال : أى صار ذا عيال .

فبلغ عمر أنه لا يلبس ما يبعث به إليه فاتخذ له حلةً غليظة أنفق عليها مائة درهم . فلما أتاه بها الرسول قال : ما أراه بعثك بها إليَّ . قال : بلى والله . فأخذ الحلة فأتى بها عمر فقال : يا أمير المؤمنين بعثت إليَّ بهذه الحلة ؟ قال : نعم إنْ كنا لَنبعثُ إليك بحلة مما نتخذ لك ولإخوانك فبلغني أنك لا تلبسها . فقال : يا أمير المؤمنين إني وإن كنت لا ألبسها فإني أحب أن يأتيني من صالح ما عندك فأعاد له حلته .

توفي معاذ بعد مقتل عثمان - رضي الله عنه .

٤٣ - أبي بن كعب بن قيس بن عبيد

يكنى أبا المنذر . شهد العقبة مع السبعين ، وبدرًا ، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. وكان يكتب له الوحي . وهو أحد الذين حفظوا القرآن كله على عهد رسول الله ﷺ ، وأحد الذين كانوا يُفتون على عهد رسول الله ﷺ . ولم يكن بالطويل ولا بالقصير . وله من الولد : الطفيل ، ومحمد ، وأم عمرو .

قال عمر بن الخطاب في حقه : « هذا سيد المسلمين » ، ومات في سنة ثلاثين.

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ لأبيٍّ بن كعب : « إن الله - عز وجل - أمرني أن أقرأ عليك : ﴿ **لم يكُنِ الَّذينَ كفرُوا** ﴾ [١] . قال : وسمَّاني لك ؟ قال : نعم . فبكى . أخرجاه في « الصحيحين » [٢] .

وعن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : إني أُمرت أن أعرض عليك القرآن فقال: بالله آمنتُ ، وعلى يدك أسلمت ، ومنك تعلمت . قال : فرد النبي ﷺ القول. فقال : يا رسول الله وذُكرتُ هناك ؟ قال : نعم باسمك ونسبك في الملأ الأعلى . قال : فاقرأ إذًا يا رسول الله [٣] .

وقد روى مسلم في أفراده من حديث أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : يا أبا المنذر ، أتدري أيُّ آية من كتاب الله أعظم ؟ قال : قلت : ﴿ **اللهُ لا إله إلاّ هُو الحَيُّ القَيُّومُ** ﴾ [٤] قال : فضربَ في صدري وقال : لِيَهنْك العِلمُ يا أبا المنذر [٥] .

وعن أبي المهلب ، عن أبي بن كعب : أنه كان يختم القرآن في كل ثماني ليالٍ وكان تميم الداري يختمه في سبع .

---

(١) أول سورة البينة . (٢) أخرجه البخارى فى فضائل أبى ، ومسلم فى فضائل القرآن .
(٣) رواه الترمذى (٣٨٩٤) ، وانظر المجمع (٩/٣١٢) .
(٤) سورة البقرة آية الكرسى : ٢٥٥ . (٥) مسلم فى فضائل القرآن .

وعن عمران بن عبد الله قال : قال أُبَيٌّ لعمر : ما لك لا تستعملني ؟ قال : أخاف أن يدنّس دينك .

وعن أبي العالية ، عن أُبيٍّ بن كعب قال : عليكم بالسبيل والسنَّة فإنه ليس من عبد على سبيلٍ وسنَّة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فتمسَّه النار ، وليس من عبدٍ على سبيلٍ وسنة ذكر الرحمن فاقشعر جلده من خشية الله إلا كان مثَله كمثَل شجرة يبس ورقُها فبينما هي كذلك إذ أصابتها الريح فتحاتّ عنها ورقها ؛ إلا تحاتَّت عنه ذنوبه كما تحاتّ عن هذه الشجرة ورقُها ، وإن اقتصادًا في سبيل وسنَّةٍ خيرٌ من اجتهاد في خلافٍ من سبيل وسنة [1] .

وعن عُبيد بن عُمير ، عن أُبيٍّ بن كعب قال : ما من عبد ترك شيئًا لله – عز وجل – إلا أبدله الله – عز وجل – به ما هو خير منه من حيث لا يحتسب، وما تهاون به عبد فأخذه من حيث لا يصلح إلا أتاه الله – عز وجل – بما هو أشد عليه منه، من حيث لا يحتسب.

وعن أُبي بن كعب أنه قال : يا رسول الله ما جزاء الحمَّى ؟ قال : تُجري الحسنات على صاحبها ما اختلج عليه قَدم أو ضَرب عليه عِرْقٌ فقال أبي بن كعب: اللهم إني أسألك حُمَّى لا تمنعني خروجًا في سبيلك ، ولا خروجًا إلى بيتك ، ولا مسجد نبيك. قال : فلم يُمْسِ أُبيٌّ قطُّ إلا وبه حُمَّى .

٤٤ ـ أبو طلحة زيد بن سهل بن الأسود

شهد العقبة مع السبعين ، وبدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله وكان من الرماة المذكورين. وله من الولد : عبد الله ، وأبو عمير ؛ أمهما أم سليم بنت ملحان.

عن أنس بن مالك قال : كان أبو طلحة أكثر أنصارى بالمدينة مالاً ، وكان أحب أمواله إليه بَيْرَحاء ، وكانت مستقبلة المسجد ، وكان النبي ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب .

قال أنس : فلما نزلت : ﴿ لَنْ تَنالُو البرَّ حَتَّى تُنفقُوا مما تُحبُّون ﴾ [2] قال أبو طلحة : يا رسول الله ، إن الله يقول : لن تنالوا البَر حتى تنفَقوا مما تحبَون ، اللهم إن أحبَّ أموالي إليَّ بَيْرَحاء وإنها صدقة لله أرجو برَّها وذُخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراكَ الله . فقال النبي ﷺ بَخْ ، وذاك مال رابح ، ذاك مال رابح وقد سمعت ، وأنا أرى أن تجعلها في الأقربين . قال أبو طلحة : أفعل يا رسول الله . قال : فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه . أخرجاه في « الصحيحين » [3] .

---

(١) انظر : حلية الأولياء (١/ ٢٥٢ ، ٢٥٣) .　　(٢) سورة آل عمران آية : ٩٢ .

(٣) رواه البخارى فى الزكاة ، باب : الزكاة على الأقارب ، ومسلم فى الزكاة ، باب : فضل النفقة على الأقربين .

وعنه قال : كان أبو طلحة بين يدي رسول الله ﷺ ، وكان رسول الله ﷺ يرفع رأسه من خلفه ينظر إلى مواقع نبله . قال : فيتطاول أبو طلحة بصدره يقي به رسول الله ﷺ ويقول : يا رسول الله نَحري دون نَحرِك . رواه الإمام أحمد.

وروي أيضًا عنه عن النبي ﷺ قال : « لصوت أبى طلحة في الجيش خيرٌ من فئةٍ ». رواه الإمام أحمد [(١)] .

وعنه أن رسول الله ﷺ قال يوم حنين : « من قتل قتيلاً فله سَلَبهُ » [(٢)] فقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلاً فأخذ أسلابهم .

وعنه إن النبي ﷺ لما حلق في حجته بدأ بشقه الأيمن وقال : « هكذا » . فوزَّعه بين الناس فأصابهم الشعرة والشعرتان أقل من ذلك وأكثر ، ثم قال بشقه الآخر : « هكذا » فقال : أين أبو طلحة ؟ فدفعه إليه [(٣)] .

وعنه أن أبا طلحة ما أفطر بعد رسول الله ﷺ إلا في مرض أو سفر ، حتى لقي الله.

وعنه أن أبا طلحة سرد الصوم بعد رسول الله ﷺ أربعين عامًا .

وعنه أن أبا طلحة غزا البحر فمات فلم يوجد له جزيرة يدفن فيها ، سبعة أيـام، فلم يتغيَّر .

قال الواقدي : أهل البصرة يرون أنه دفن في جزيرة وإنما دفن بالمدينة سنة أربع وثلاثين وهو ابن سبعين سنة وصلى عليه عثمان .

قلت : وما روينا عن أنس أنه صام بعد رسول الله ﷺ أربعين سنة يخالف هذا . والله أعلم .

٤٥ ـ سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير

أحد النقباء . شهد العقبة وبدرًا وأُحدًا وقتل يومئذ - رضي الله عنه .

عن يحي بن سعيد قال : لما كان يوم أحد قال رسول الله ﷺ : من يأتيني بخبر سعد ابن الربيع ؟ فقال رجل : أنا يا رسول الله . فذهب الرجل يطوف بين القتلى فقال له سعد بن الربيع . ما شأنك ؟ .

قال بعثني النبي ﷺ لآتيه بخبرك . قال : فاذهب إليه واقرئه مني السلام وأخبره أني

(١) رواه أحمد (٣/ ١١٢) ، وأبو نعيم فى الحلية (٧/ ٣٠٩) ، وابن سعد فى الطبقات (٣/ ٤/ ٦٢)، والخطيب فى تاريخه (١٣/ ٢٢٤) ، وانظر مجمع الزوائد (٩/ ٣١٢) ، والسلسلة الصحيحة (١٩١٦).

(٢) أخرجه البخارى فى الغزوات ، باب : غزوة حنين ، ومسلم فى الجهاد ، باب : الأنفال .

(٣) انظر : كتاب الأوائل من الصحابة .

قد طُعنت اثنتي عشرة طعنة وأني قد أُنفذَتْ مقاتلي ، وأخبر قومك أنه لا عذر لهم عند الله إن قُتل رسول الله ﷺ وأَحَدٌ منهم حي .

قال ابن سعد : قال الواقدي : ومات من جراحاته تلك .

٤٦ ـ عبد الله بن رواحة بن ثعلبة امرىء القيس

يكنى أبا محمد أحد النقباء الاثني عشر . شهد العقبة مع السبعين ، وبدرًا ، وأحدًا ، والخندق ، والحديبية ، وخيبر وعُمرة القضية . واستخلفه رسول الله ﷺ على المدينة في غزوة بدر الموعد ، وبعثه سرية في ثلاثين إلى أُسير بن رزام اليهودي بخيبر فقتله ، وأرسله إلى خيبر خارصًا [١] فلم يزل يخرُص عليهم إلى أن قتل بمؤتة .

وعن أبي الدرداء قال : لقد رأيتُنا مع النبي ﷺ في بعض أسفاره في اليوم الحار الشديد الحرِّ ، حتى إن الرجل ليضع يده على رأسه من شدة الحر ، وما في القوم صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة . أخرجاه في « الصحيحين » [٢] .

وعن قيس ، عن عبد الله بن رواحة : أنه بكى فبكت امرأته فقال : ما يُبكيك؟ قالت: رأيتك بكيتَ فبكيتُ لبكائك . قال إني أُنبئت أني وارد ولم أُنبأ أني صادر رواه الإمام أحمد .

وعن النعمان بن بشر قال : أغمي على عبد الله بن رواحة ، فجعلت أخته تبكي عليه وتقول : واجَبلاه ، واكذا ، واكذا . وتعدِّد عليه . فقال ابن رواحة لما أفاق : ما قلتِ شيئًا وقد قيل لي : أنتَ كذا .

وعن عروة بن الزبير قال : لما تجهز الناس وتهيئوا للخروج إلى مؤتة ، قال المسلمون: صبحكم الله ودفع عنكم . فقال عبد الله بن رواحة :

لكــنني أســأل الرحمن مغفرة ... وضربةً ذاتَ فَرْغٍ تقــذف الزَّبــدا

أو طعــنةً بيــدي حــرَّان مجهـزة ... بحربــةٍ تنفــذ الأحشاءَ والكبـدا

حتى يقولوا إذا مروا على جدثي ... أرشَدَك ربــك من غازٍ وقد رَشَـدا

قال : ثم مضوا حتى نزلوا أرض الشام . فبلغهم أن هرقل قد نزل من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم وانضمت إليه المستعربة من لَخْم وجذام وبَلْقَيْن وبَهراء وبَلِيٍّ في مائة ألف . فأقاموا ليلتين ينظرون في أمرهم ، وقالوا : نكتب إلى رسول الله ﷺ نخبره

---

(١) الخرص : هو تقدير ما على الإنسان من الرطب تمراً ، ومن العنب زبيباً ، وهكذا ، وفى الأثر أنه ﷺ أمر بالخرص فى النخل والكرم خاصة ، لضرب الخراج عليها .

(٢) أخرجه البخارى فى الصيام ، ومسلم فى باب : التخيير فى الصوم والفطر .

بعدد عدوِّنا . قال : فشجع عبد الله بن رواحة الناس ثم قال : والله يا قوم إن الذي تكرهون: الذي خرجتم له تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدَّة ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا لهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحُسنَيين : إما ظهور وإما شهادة . فقال الناس: صدق والله ابن رواحة فمضى الناس .

وعن الحكم بن عبد السلام بن نعمان بن بشير الأنصارى : أن جعفر بن أبي طالب حين قُتل دعا الناس : يا عبد الله بن رواحة ، يا عبد الله بن رواحة . وهو في جانب العسكر ومعه ضلع جملٍ ينهشه ولم يكن ذاق طعامًا قبل ذلك بثلاث . فرمى بالضلع ثم قال : وأنت مع الدنيا . ثم تقدم فقاتل فأصيبت إصبعه فارتجز فجعل يقول :

هــل أنت إلا إصبع دَميتِ وفــي سبيـــل الله مــا لقيتِ

يا نفـــسُ إلا تُقتلـي تموتي هذا حياض الموت قـد صليت

وما تمنيــتِ فقــد لقيــت إن تفعلـي فعلــهما هُديــت

وإن تأخــــرت فقـــد شَقـيت

ثم قال : يا نفس إلى أي شيء تَتُوقين ؟ إلى فلانة ؟ هي طالق ثلاثًا . وإلى فلانٍ وإلى فلان ؟ غلمان له ، وإلى معجف ، حائط له ، فهو لله ولرسوله .

يا نفسُ ما لك تكرهـين الجنَّة ؟ أقســـم بالله لَتنـــزلنَّـــــهْ

طائعــــةً أوْ لا لَتُكــــرهــنَّه فطال ما قــد كنــتِ مطــمئنَّه

هــل أنت إلا نطفــة فــي شَنَّهْ قد أجلب الناس وشدوا الرَّنه

٤٧ ـ أبو دُجانة سماك بن خرشة

ابن لوذان . شهد بدرًا وأُحدًا وثبت مع رسولَ الله ﷺ يومئذ وبايعه على الموت ، وقتل يوم اليمامة .

عن أنس : أن رسول الله ﷺ أخذ سيفًا يوم أُحد فقال : من يأخذ هذا السيف؟ فأخذه قوم فجعلوا ينظرون إليه . فقال ﷺ: مَنْ يأخذه بحقه ؟ فأحجم القوم . فقال أبو دُجانة سماك : أنا آخذه بحقه . فأخذه فَفَلَقَ هام المشركين رواه الإمام أحمد[1] .

وعن زيد بن أسلم قال : دُخل على أبي دجانة وهو مريض ، وكان وجهه يتهلل فقيل : ما لوجهك يتهلل ؟ فقال : ما من عملي شيء أوثق عندي من اثنتين : أما إحداهما فكنت لا أتكلم فيما لا يعنيني ، وأما الأخرى : فكان قلبي للمسلمين سليمًا .

---

(١) رواه أحمد (٣/ ١٢٣) ، ومسلم فى فضائل الصحابة (١٢٨/ ٢٤٧٠) .

٤٨ ـ عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة أبو جابر

أحد النقباء شهد العقبة مع السبعين ، وبدرًا ، وأحدًا ، وقتل يومئذ .

عن جابر بن عبد الله ، قال : لما قتل أبي يوم أحد جعلت أكشف الثوب عن وجهه وأبكي ، وجعل أصحاب رسول الله ﷺ ينهونني والنبي ﷺ لا ينهاني، قال : وجعلتْ عمتي فاطمة بنت عمرو تبكي عليه . فقال النبي ﷺ : ابكيه أو لا تبكيه ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه [1] .

وعن جابر قال : قُتل أبي يوم أحد فبلغني ذلك فأقبلت فإذا هو بين يدي النبي ﷺ مُسجًّى . فتناولت الثوب عن وجهه وأصحاب رسول الله ﷺ ينهوني، كراهية أن أرى ما به من المُثلة ، ورسول الله ﷺ لا ينهاني فلما رفع قال رسول الله ﷺ : ما زالت الملائكة حافَّةً بأجنحتها حتى رُفع . ثم لقيني بعد أيام فقال : أي بني ألا أبشرُك ؟ إن الله تعالى أحيا أباك فقال : تمنَّه . فقال : يا رب أتمنى يا رب أن تعيد روحي وتردني إلى الدنيا حتى أُقتل مرةً أخرى . قال : إني قضيت أنهم إليها لا يُرجَعون [2] .

وعن جابر قال : صُرخ بنا إلى قتلانا يوم أحد حين أجرى معاوية العين ، فأخرجناهم بعد أربعين سنةً لينةً أجسادهم تتثنى أطرافهم .

٤٩ ـ عُمير بن الحُمام

قتل ببدر . قال عاصم بن عمر : هو أول قتيل قُتل من الأنصار في الإسلام.

عن أنس قال : انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين في بدر فدنا المشركون فقال النبي ﷺ : قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض قال : نعم . قال بَخٍ بَخٍ . قال رسول الله ﷺ : ما حملك على قولك بَخٍ بَخٍ ؟ قال : لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها . قال : فإنك من أهلها قال : فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة . قال: فرمى ما كان معه من التمر ، ثم قاتلهم حتى قُتل - رضي الله عنه [3] .

٥٠ ـ قطبة بن عامر بن حديدة

يكنى أبا زيد . لقي رسول الله ﷺ في الستة الذين أسلموا أول من أسلم من الأنصار

(١) رواه البخاري (١٢٩٣) ، ومسلم في فضائل الصحابة (١٢٩ ، ١٣٠) .

(٢) رواه الحاكم (٣/ ٢٠٣) ، والترمذي (٣٠١٠) وقال : حسن غريب من هذا الوجه ، وصححه الحاكم وحسنه الألباني .

(٣) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (٢/ ٢٧٩) ، ومسلم في الإمارة (١٤٥) بنحوه مطولاً .

وشهد العقبتين وبدرًا ورمى يوم بدر حجرًا بين الصفين وقال : لا أفر حتى يفر هذا الحجر .

وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان من الرماة المذكورين وجرح يوم أحد تسع جراحات . وتوفي في خلافة عثمان - رضي الله عنهما .

٥١ ـ معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس

يكنى أبا عبد الرحمن . وأسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة ، وشهد العقبة مع السبعين وبدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وأردفه رسول الله ﷺ وراءه، وبعثه إلى اليمن بعد غزوة تبوك ، وشيعه ماشيًا في مخرجه وهو راكب .

وكان له من الولد : عبد الرحمن ، وأم عبد الله ، وولد آخر لم يُذكر اسمه .

(ذكر صفته)

عن أبي بحرية قال : دخلت مسجد حمص فإذا أنا بفتى حوله الناس جَعْد قَطَطٍ ، فإذا تكلم كأنما يخرج من فيه نور ولؤلؤ فقلت : من هذا ؟ قالوا : معاذ بن جبل [١] .

وعن أبي مسلم الخولاني قال : أتيت مسجد دمشق فإذا حلقةٌ فيها كهولٌ من أصحاب محمد ﷺ ، وإذا شاب فيهم أكحل العين برَّاق الثنايا . كلما اختلفوا في شيء ردُّوه إلى الفتى . قال : قلت لجليسٍ لي : من هذا ؟ قالوا : هذا معاذ بن جبل [٢] .

وعن الواقدي ، عن أشياخ له قالوا : كان معاذ رجلاً طُوالاً أبيض ، حسن الشَّعر عظيم العينين مجموع الحاجبين جعدًا قَطَطًا .

(ذكر نبذة من زهده)

عن مالك الداري أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أخذ أربعمائة دينار فجعلها في صرَّة فقال للغلام : اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح ثم تلَّه ساعةً في البيت حتى تنظر ما يصنع [٣] .

فذهب الغلام ، قال : يقول لك أمير المؤمنين : اجعل هذه في بعض حاجتك. قال : وصله الله ورحمه . ثم قال : تعالَيْ يا جارية اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان ، وبهذه الخمسة إلى فلان . حتى أنفذها .

فرجع الغلام إلى عمر فأخبره فوجده قد أعدَّ مثلها لمعاذ بن جبل فقال : اذهب بها إلى

(١) انظر : حلية الأولياء لأبي نعيم (١/ ٢٣١) .
(٢) المصدر السابق (١/ ٢٣٠) .
(٣) المصدر السابق (١/ ٢٣٧) .

معاذ بن جبل ، وتلَّه في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع . فذهب بها إليه قال : يقول لك أمير المؤمنين : اجعل هذه في بعض حاجتك فقال : رحمه الله ووصله . تعالَيْ يا جارية اذهبي إلى بيت فلان بكذا ، اذهبي إلى بيت فلان بكذا . فاطلعت امرأته فقالت : ونحن والله مساكين فأعطنا ، ولم يبق في الخرقة إلا ديناران ، فدحا [1] بهما إليها فرجع الغلام إلى عمر فأخبره بذلك فقال : إنهم إخوةٌ بعضهم من بعض .

(ذكر نبذة من ورعه)

عن يحيى بن سعيد قال : كانت تحت معاذ بن جبل امرأتان فإذا كان عند إحداهما لم يشرب في بيت الأخرى الماء [2] .

وعن يحيى بن سعيد أن معاذ بن جبل كانت له امرأتان . فإذا كان يوم إحداهما لم يتوضأ في بيت الأخرى ، ثم توفيتا في السقم الذي بالشام ، والناس في شغل . فدفنتا في حفرة فأسهم بينهما أيتهما تُقدَّم في القبر .

(ذكر نبذة من تعبده واجتهاده)

عن ثور بن يزيد قال : كان معاذ بن جبل إذا تهجَّد من الليل قال : اللهم قد نامت العيون وغارت النجوم وأنت حي قيوم ، اللهم طلبي للجنة بطيء ، وهربي من النار ضعيف ، اللهم اجعل لي عندك هُدًى ترده إليَّ يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد [3] .

(ذكر جوده وكرمه)

عن ابن كعب بن مالك قال : كان معاذ بن جبل شابًا جميلاً سمحًا من خير شباب قومه لا يُسأل شيئًا إلا أعطاه ، حتى أدّان دَيْنًا أغلقَ ماله . فكلم رسول الله ﷺ أن يكلم غُرمَاءه أن يضعوا له شيئا ففعل فلم يضعوا له شيئًا فدعاه النبي ﷺ فلم يبرح حتى باع ماله فقسمه بين غرمائه ، فقام معاذ لا مال له .

قال الشيخ رحمه الله : كان غرماؤه من اليهود فلهذا لم يضعوا له شيئًا [4] .

(ذكر ثناء رسول الله ﷺ على معاذ ، ومشيه معه وهو راكب)

عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل » . رواه الإمام أحمد [5] .

وعن عاصم بن حميد ، عن معاذ بن جبل قال : لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن

---

(١) دحا الشيء : بسطه ، والمراد أنه أعطاها إياهما .
(٢) المصدر السابق (١/ ٢٣٤) .
(٣) المصدر السابق (١/ ٢٣٣) .
(٤) المصدر السابق (١/ ٢٣٢) .
(٥) رواه أحمد (٢/ ١٨٤) ، والترمذي (٣٧٩٤) ، وانظر الصحيحة (١١٢٤) .

خرج معه رسول الله ﷺ يوصيه ، ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته . فلما فرغ قال : يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا ، ولعلك تمر بمسجدى هذا وقبري. فبكى معاذ خشعًا لفراق رسول الله ﷺ ، ثم التفت فأقبل بوجهه نحو المدينة فقال: إن أولى الناس بي المتقون من كانوا وحيث كانوا (١) .

(ذكر ثناء الصحابة عليه)

عن شهر بن حوشب قال : قال عمر بن الخطاب : لو استخلفت معاذ بن جبل فسألني عنه ربي - عز وجل : ما حملك على ذلك ؟ لقلت : سمعت نبيك ﷺ يقول : إن العلماء إذا حضروا ربهم - عز وجل - كان بين أيديهم رتوةً بحجَر (٢) .

وعن الشعبي قال : حدثني فروة بن نوفل الأشجعي قال : قال ابن مسعود : إن معاذ ابن جبل كان أمَّة قانتًا لله حنيفًا . فقيل : ﴿ **إن إبراهيم كان أمةً قانتًا لله حنيفًا** ﴾ (٣) . فقال: ما نسيتُ ، هل تدري ما الأمة ، وما القانت ؟ فقلت : الله أعلم . فقال ، الأمة، الذي يعلم الخير ، والقانت : المطيع لله - عز وجل - وللرسول . وكان معاذ بن جبل يعلِّم الناس الخير ، وكان مطيعًا لله - عز وجل - ورسوله ﷺ (٤).

وعن شهر بن حوشب قال : كان أصحاب محمد إذا تحدَّثوا وفيهم معاذ نظروا إليه هيبةً له .

(ذكر نبذة من مواعظه وكلامه)

عن أبي إدريس الخولاني ، أن معاذ بن جبل قال : إن من ورائكم فتنًا يكثر فيها المال ويُفتح فيها القرآن حتى يقرأه المؤمن والمنافق ، والصغير والكبير ، والأحمر والأسود ، فيوشك قائل أن يقول : مالي أقرأ على الناس القرآن فلا يتبعوني عليه فما أظنهم يتبعوني عليه حتى أبتدع لهم غيره . إياكم وإياكم وما ابتُدع فإن ما ابتُدع ضلالةٌ وأحذِّركم زَيْغة الحكيم فإن الشيطان يقول : عليَّ في الحكيم كلمة الضلالة ، وقد يقول المنافق كلمة الحق فاقبلوا الحق فإن على الحق نورًا ، قالوا : وما يدرينا - رحمك الله - أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة ؟ قال : هي كلمة تنكرونها منه وتقولون ما هذه ؟ فلا يثْنكُمْ ، فإنه يوشك أن يفيء ويراجع بعض ما تعرفون (٥) .

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٣٥) والبيهقي (٩/ ٦٨) وابن حبان (٢٥٠٤) وأورده الهيثمى فى المجمع : (٩/ ٢٢) وقال : رواه أحمد بإسنادين ، ورجال الإسنادين رجال الصحيح غير راشد بن سعد وعاصم ابن حميد وهما ثقتان وأورده كذلك في (١٠/ ٢٣١ ، ٢٣٢) وعزاه للطبراني وقال : إسناده جيد .
(٢) انظر : السلسلة الصحيحة (١٠٩١) .
(٣) سورة النحل آية : ١٢٠ .
(٤) انظر : حلية الأولياء (١/ ٢٣٠) .
(٥) المصدر السابق (٢٣٢ ، ٢٣٣) .

وعن عبد الله بن سلمة قال : قال رجل لمعاذ بن جبل : علمني . قال : وهل أنت مطيعي ؟ قال : إني على طاعتك لحريص . قال : صُمْ وأفطر ، وصلِّ ونم ، واكتسب ولا تأثم ، ولا تموتنَّ إلا وأنت مسلم ، وإياك ودعوة المظلوم [1] .

وعن معاوية بن قُرَّة قال : قال معاذ بن جبل لابنه : يا بني إذا صليت فصلِّ صلاة مودِّع لا تظن أنك تعود إليها أبدًا ، واعلم يا بني أن المؤمن يموت بين حسنتين ، حسنةٍ قدَّمها وحسنة أخَّرها [2] .

وعن أبي إدريس الخولاني قال : قال معاذ : إنك تجالس قومًا لا محالة يخوضون في الحديث فإذا رأيتهم غفلوا فارغب إلى ربك عند ذلك رغباتٍ ، رواهما الإمام أحمد [3] .

وعن محمد بن سيرين قال : أتى رجل معاذ بن جبل ومعه أصحابه يسلمون عليه يودعونه ، فقال : إني موصيك بأمرين إن حفظتهما حُفظت ، إنه لا غنى بك عن نصيبك من الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر ، فآثر من الآخرة على نصيبك من الدنيا حتى ينتظمه لك انتظامًا فتزول به معك أينما زلت [4] .

وعن الأسود بن هلال قال : كنا نمشي مع معاذ فقال : اجلسوا بنا نُؤمنُ ساعةً [5] .

وعن أشعث بن سليم قال : سمعت رجاء بن حَيْوَة ، عن معاذ بن جبل قال: ابتليتم بفتنة الضرَّاء فصبرتم ، وستُبتلون بفتنة السَّراء ، وأخْوف ما أخاف عليكم فتنة النساء إذا تَسَوَّرن الذهب ، ولبسن رياط الشام وعَصْبَ اليمن فأتعبن الغنيَّ وكلَّفن الفقير ما لا يجد [6] .

(ذكر مرضه ووفاته)

عن طارق بن عبد الرحمن قال : وقع الطاعون بالشام فاستغرقها فقال الناس: ما هذا إلا الطوفان إلاَّ أنه ليس بماء فبلغ معاذ بن جبل فقام خطيبًا فقال :

إنه قد بلغني ما تقولون ، وإنما هذه رحمة ربكم ودعوة نبيكم وكموت الصالحين قبلكم ، ولكن خافوا ما هو أشد من ذلك ، أن يغدو الرجل منكم من منزله لا يدري أمؤمنٌ هو أو منافق وخافوا إمارة الصبيان [7] .

---

(١) انظر : حلية الأولياء (١/ ٢٣٣) .
(٢) انظر : حلية الأولياء (١/ ٢٣٤) .
(٣) انظر : حلية الأولياء (١/ ٢٣٦) .
(٤) انظر : حلية الأولياء (١/ ٢٣٤) .
(٥) انظر : حلية الأولياء (١/ ٢٣٥) .
(٦) انظر : حلية الأولياء (١/ ٢٣٦ ، ٢٣٧) .
(٧) المصدر السابق (١/ ٢٣٩ ، ٢٤٠) .

وعن شهر بن حوشب ، عن رابّه ـ رجل من قومه ، كان شهد طاعون عَمَواس ـ قال: لما اشتعل الوجع قام أبو عبيدة بن الجراح في الناس خطيبًا فقال: أيها الناس إن هذا الوجع رحمة ربكم ، ودعوةُ نبيكم ، وموتُ الصالحين قبلكم ، وإن أبا عبيدة يسأل الله أن يَقسِم له منه حظه .

قال : وطُعن [1] فمات - رحمة الله عليه - واستخلف على الناس معاذ بن جبل فقام خطيبًا بعده فقال : أيها الناس إن هذا الوجع رحمةُ ربكم ودعوةُ نبيكم وموتُ الصالحين قبلكم ، وإن معاذًا يسأل الله أن يقسم لآل معاذ منه حظه .

قال : فطعن ابنه عبد الرحمن . قال ثم قام فدعا ربه لنفسه فطُعن في راحته فلقد رأيته ينظر إليها ثم يقبل ظهر كفه ثم يقول : ما أحب أن لي بما فيك شيئًا من الدنيا . فلما مات استخلف على الناس عمرو بن العاص .

وعن عبد الله بن رافع قال : لما أصيب أبو عبيدة في طاعون عَمَواس استخلف على الناس معاذ بن جبل . واشتد الوجع فقال الناس لمعاذ : ادع الله أن يرفع عنا هذا الرِجْز[2] .

فقال : إنه ليس برجز ولكنه دعوة نبيِّكم وموتُ الصالحين قبلكم، وشهادةٌ يختص الله بها من يشاء من عباده منكم ، أيها الناس ، أربع خلال من استطاع منكم أن لا يدركه شيء منها فلا يُدركْه شيء منها قالوا : وما هنَّ ؟ قال : يأتي زمان يظهر فيه الباطل ويصبح الرجل على دين ويمسي على آخر ، ويقول الرجل : والله لا أدري على ما أنا ؟ لا يعيش على بصيرة ولا يموت على بصيرة ، ويُعطَى الرجلُ من المال مالِ الله على أن يتكلم بكلام الزور الذي يسخط الله ، اللهم آت آل معاذ نصيبهم الأوفى من هذه الرحمة .

فطُعن ابناه فقال : كيف تجدانكما ؟ قالا : يا أبانا ﴿ **الحقُّ من ربِّك فلا تكونَنَّ من المُمْتَرين** ﴾ [3] قال : وأنا ستجداني إن شاء الله من الصابرين .

ثم طُعنت امرأتاه فهلكتا وطُعن هو في إبهامه فجعل يمسها بفيه ويقول : اللهم إنها صغيرة فبارك فيها فإنك تبارك في الصغيرة حتى هَلَك .

وعن الحارث بن عمير قال : طُعن معاذ وأبو عبيدة وشُرَحبيلْ بن حسنة ، وأبو مالك الأشعري في يوم واحد . فقال معاذ : إنه رحمة ربكم ودعوة نبيكم وقَبْضُ الصالحين من قبلكم ، اللهم آت آل معاذ النصيب الأوفر من هذه الرحمة . فما أمسى حتى طعن ابنه عبد الرحمن بِكْره الذي كان يكنى به وأحبُّ الخلق إليه . فرجع من المسجد فوجده مكروبًا

---

(١) أي : أصابه الطاعون . (٢) الرجز : العذاب . (٣) سورة البقرة آية ١٤٧ .

فقال : يا عبد الرحمن كيف أنت ؟ فقال : يا أبة ﴿ **الحقُّ من ربِّك فلا تكُنْ من المُمترين**﴾[1] فقال معاذ : وأنا إن شاء الله ستجدني من الصابرين . فأمسكه ليلته ثم دفنه من الغد . فطُعن معاذ فقال حين اشتد به نَزْع الموت ، فنزع نزعًا لم ينزعه أحد وكان كلما أفاق من غمرة فتح عينيه ثم قال : رب اخنقني خنقك ، فوعزتك إنك لتعلم أن قلبي يحبك [2] .

وعن عمر بن قيس عمن حدثه عن معاذ قال ، لما حضره الموت قال : انظروا أصبحنا؟ قال : فأتي فقيل : لم نصبح حتى أتي في بعض ذلك فقيل له : قد أصبحت . فقال : أعوذ بالله من ليلة صباحها النار ، مرحبًا بالموت مرحبًا ، زائر مُغُبّ ، حبيب جاء على فاقة، اللهم إني قد كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك ، إنك لتعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لِكَرْي الأنهار ، ولا لغرس الأشجار ، ولكن لظمأ الهواجر ، ومكابدة الساعات ، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلَقَ الذكر [3] .

اتفق أهل التاريخ أن معاذًا - رضي الله عنه - مات في طاعون عَمواس بناحية الأردن من الشام سنة ثماني عشرة ، واختلفوا في عمره على قولين أحدهما ثمان وثلاثون سنة ، والثاني ثلاث وثلاثون .

وعن سعيد بن المسيب قال : رُفع عيسى ابن مريم وهو ابن ثلاث وثلاثين ، ومات معاذ وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة .

وعن سعيد بن المسيب قال قُبض معاذ بن جبل وهو ابن ثلاث وثلاثين أو أربع وثلاثين سنة .

٥٢ ـ أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك

يكنى أبا يحيى كان من النقباء وكان أبو أسَيْد رئيس الأوس يوم بُعاث وقتل يومئذ ، وكان ابنه بعده شريفًا في الجاهلية وفي الإسلام ، وكان يكتب بالعربية ويحسن العَوْم والرمي وكانوا في الجاهلية يسمون من كانت فيه هذه الخصال الكامل .

أسلم أسيد على يد مصعب بن عمير قبل سعد بن معاذ بساعة ، وشهد العقبة الأخيرة مع السبعين ولم يشهد بدرًا ولكنه شهد أُحدًا وجُرح يومئذ سبع جراحات، وثبت يومئذ مع رسول الله ﷺ حين انكشف الناس وشهد الخندق والمشاهد بعدها مع رسول الله ﷺ وتوفي في شعبان سنة عشرين .

---

(١) سورة آل عمران آية : ٦٠ . (٢) انظر : حلية الأولياء (١/ ٢٤٠) .
(٣) المصدر السابق (١/ ٢٣٩) ، والزهد لأحمد (١٧٣) .

وعن أنس قال : كان أسيد بن حضير وعبَّاد بن بشر عند رسول الله ﷺ في ليلة ظلماء حنْدس [1] . فتحدثا عنده حتى إذا خرجا أضاءت لهما عصا أحدهما فمشيا في ضوئها. فلما تفرَق بهما الطريق أضاءت لكل واحد منهما عصاه فمشى في ضوئها . انفرد بإخراجه البخاري [2] .

٥٣ ـ سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة

يكنى أبا ثابت أمه عمرة بنت مسعود من المبايعات . وهو أحد النقباء .شهد العقبة مع السبعين والمشاهد كلها ما خلا بدرًا فإنه تهيأ للخروج فلُدغ فأقام .

وكان جوادًا ، وكانت جفْنته تدور مع رسول الله ﷺ في بيوت أزواجه . وكان له من الولد : سعيد ، ومحمد ، وعبد الرحمن ، وأمامة ، وقيس ، ومندوس.

وكان سعد يكتب في الجاهلية بالعربية ويُحسن الرمي والعَوْم وقد ذكرنا أن العرب كانت تسمي من اجتمعت هذه الأشياء فيه : الكامل .

عن محمد بن سيرين ، قال : كان أهل الصُّفَّة إذا أمسوا انطلق الرجل بالرجل ، والرجل بالرجلين ، والرجل بالخمسة . فأما سعد بن عبادة فكان ينطلق بثمانين كلَّ ليلة.

وعن يحيى بن أبي كثير قال : كانت لرسول الله ﷺ من سعد بن عبادة جَفْنَة من ثريد في كل يوم ، تدور معه إينما دار من نسائه . وكان إذا انصرف من صلاة مكتوبة قال : اللهم ارزقني مالاً أستعين به على فعالي فإنه لا يصلح الفعال إلا المال .

وعن عروة ، عن أبيه أن سعد بن عبادة كان يدعو : اللهم هبْ لي حمدًا وهبْ لي مجدًا، لا مجد إلا بفعال ، ولا فعال إلا بمال ، اللهم لا يُصلحني القليل ولا أصلح عليه.

قال محمد بن سعد : توفي سعد بن عبادة بحوران من أرض الشام لسنتين ونصف من خلافة عمر كأنه مات في سنة خمس عشرة .

قال عبد العزيز بن سعيد بن سعد بن عبادة : ما عُلم بموته بالمدينة حتى سَمِع غلمان، قد اقتحموا في بئر نصف النَّهار في حَرٍّ شديد ، قائلا يقول في البئر :

نحن قتلنا سيدَّ الخزرج سعد بن عبادة؛ رَميناه بسهـــمين فلم تُخْطِ فـــؤاده

فذُعر الغلمان ، فَحُفظ ذلك اليوم فوجدوه اليوم الذي مات فيه سعد ، وإنما جلس يبول في نفق فاقتتل فمات من ساعته ، فوجده قد اخضرَّ جلده .

---

(١) الحندس : الظلام الشديد .

(٢) أخرجه البخارى (٤٦٥ ، وفى مواطن أخرى) .

٥٤ ـ البراء بن معرور بن صخر بن خنساء

أحد النقباء . شهد العقبة . وله من الولد : بشير ، ومبشِّر ، وهند ، وسُلافة والرَّباب، مبايعات . وهو أول من مات من النقباء مات في صفر قبل قدوم رسول الله ﷺ المدينة بشهر .

عن محمد بن سعد قال : كان البراء أول من تكلم من النقباء ليلة العقبة حين لقي رسول الله ﷺ ، السبعون من الأنصار فبايعوه وأخذ منهم النقباء فقام البراء فحمد الله وأثنى عليه فقال : الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد وحبانا به فكنَّا أول من أجاب ، فأجبنا الله ورسوله وسمعنا وأطعنا . يا معشر الأوس والخزرج قد أكرمكم الله بدينه فإن أخذتم السمع والطاعة والمؤازرة بالشكر فأطيعوا الله ورسوله . ثم جلس - رضي الله عنه .

ومن الطبقة الثانية

من المهاجرين والأنصار ممن لم يشهد بدرًا وله إسلام قديم

٥٥ ـ العباس بن عبد المطلب

ابن هاشم ، أبو الفضل . أمه نُتَيلة بنت خباب وكان أسنَّ من رسول الله ﷺ بثلاث سنين . وله من الولد : الفضل ، وهو أكبر ولده وبه يُكنى ، وعبد الله وهو الحَبْر ، وعُبيد الله وكان جوادًا ، وعبد الرحمن ، وقُثم ، ومعبد ، وحبيبة وأمهم جميعًا أم الفضل ، واسمها لُبابة بنت الحارث بن حزن ، وكثير وتمَّام وصفيّة وأميمة أمهم أم ولد، والحارث : وأمه حجيلة بنت جُندب .

أسلم العباس قديمًا وكان يكتم إسلامه . وخرج مع المشركين يوم بدر فقال النبي ﷺ: من لقي العباس فلا يقتله فإنه خرج مستكرهًا فأسره أبو اليسر كعب بن عمرو ، ففادى نفسه ورجع إلى مكة ثم أقبل إلى المدينة مهاجرًا .

قال أهل السِّيَر والتواريخ : جاء قوم من أهل العقبة يطلبون رسول الله ﷺ فقيل لهم: هو في بيت العباس ، فدخلوا عليه فقال العباس : إن معكم من قومكم من هو مخالف لكم من دينكم فأخفوا أمركم حتى ينصدع هذا الحاج ونلتقي نحن وأنتم فنوضح لكم هذا الأمر فتدخلون فيه على أمرٍ بَيِّن . فوعدهم رسول الله ﷺ الليلة التي في صبيحتها النفر الآخر أن يوافيهم أسفل العقبة وأمرهم أن لا ينبهوا نائمًا ولا ينتظروا غائبًا .

فخرج القوم تلك الليلة بعد هذه يتسللون وقد سبقهم رسول الله ﷺ ومعه العباس ليس معه غيره ، وكان يثق به في أمره كله ، فلما اجتمعوا كان أول من تكلم العباس فقال :

يا معشر الخزرج - وكانت الأوس والخزرج تُدعى الخزرج - إنكم قد دعوتم محمدًا إلى ما دعوتموه إليه ومحمد من أعزِّ الناس في عشيرته يمنعه والله من كان منا على قوله ، ومن لم يكن منعه للحسب والشرف ، وقد أبى محمد الناس كلهم غيركم فإن كنتم أهل قوة وجلد وبصر بالحرب واستقلال بعداوة العرب قاطبة سترميكم عن قوسٍ واحدة فارْتَؤوا رأيكم وائتمروا أمركم ولا تفترقوا إلا عن اجتماع فإن أحسن الحديث أصدقه ، وأخرى : صِفوا لي الحرب كيف تقاتلون عدوكم ؟ -.

فأسكت القوم وتكلم عبد الله بن عمرو بن حرام فقال :

نحن والله أهل الحرب غُذينا بها ومرنَّا ورثناها عن آبائنا كابرًا فكابرًا ، نرمي بالنبل حتي تفنى ثم نطاعن بالرماح حتى تُكْسَرها ثم نمشي بالسيوف فنضارب بها حتى يموت الأعجل منا أو من عدونا .

فقال العباس : هل فيكم دروع ؟ قالوا : نعم شاملة . قال البراء بن معرور : قد سمعنا ما قلت ، إنا والله لو كان في أنفسنا غير ما ننطق به لقلناه ولكنا نريد الوفاء والصدق وبذل مُهَج أنفسنا دون رسول الله ﷺ . فبايعهم رسول الله ﷺ والعباسُ آخذ بيد رسول الله ﷺ يؤكد له البيعةَ تلك الليلة على الأنصار .

وعن الشعبي ، قال : انطلق النبي ﷺ بالعباس إلى السبعين عند العقبة تحت الشجرة فقال العباس : ليتكلَّم متكلمكم ولا يطيل الخطبة ، فإن عليكم من المشركين عينًا ، وإن يعلموا بكم يَفضحـوكم . فقال قائلهم ، وهو أسعد [1] : يا محمد سَلْ لربك ما شئت، ثم سل لنفسك ولأصحابك ما شئت ، ثم أخبرنا ما لنا من الثواب على الله إذا فعلنا ذلك ؟ فقال : أسألكم لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا وأسألكم لنفسي ولأصحابي أن تُؤْوونا وتنصُرنا وتمنعونا مما تمنعون منه أنفسكم . قالوا : فما لنا إذا فعلنا ذلك ؟ قال: الجنة . قالوا: فلك ذلك [2] .

وعن يزيد بن الأصم قال : لما كانت أسارى بدر فيهم العباس فسهر نبي الله ﷺ ليلته فقال له بعض أصحابه : ما يُسهرك يا نبي الله ؟ قال : أنين العباس . فقام رجل من القوم فأرخى من وثاقه . فقال رسول الله ﷺ : ما لي لا أسمع أنين العباس ؟ فقال رجل من القوم : إني أرخيت من وثاقه شيئًا . قال : فافعل ذلك بالأسارى كلهم .

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٢٠) وابن سعد في طبقاته (٤/١/٤) والطبراني في الكبير (١٧/٢٥٦) بنحوه من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ٤٩) رواه الطبراني في الثلاثة ورجاله ثقات . أما رواية الشعبي التى ذكرها المصنف فهى مرسلة .

(٢) أسعد بن زرارة أبو أمامة .

وعن أنس بن مالك أنهم كانوا إذا قَحطوا على عهد عمر خرج بالعباس فاستسقى به وقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا إذا قحطنا فتسقِينا ، وإنا نتوسل إليك بعَمِّ نبينا فاسقنا . انفرد بإخراجه البخاري (١) .

توفي العباس يوم الجمعة لأربع عشرة خلت من رجب سنة اثنتين وثلاثين ، في خلافة عثمان ، وهو ابن ثمانٍ وثمانين سنة . ودفن بالبقيع . والله أعلم .

٥٦ ـ جعفر بن أبى طالب

أمه فاطمة بنت أسد . وكان أسنَّ من علي – عليه السلام – بعشر سنين . وله من الولد: عبد الله ، وبه كان يُكنى ، ومحمد ، وعون : ولد بأرض الحبشة . أمهم أسماء بنت عُميس . أسلم جعفر قديمًا وهاجر إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية ومعه امرأته أسماء. فلم يزل هنالك حتى قدم على النبي ﷺ وهو بخيبر سنة سبع فقال النبي ﷺ : ما أدري بأيهما أنا أفرح بقدوم جعفر أم بفتح خيبر .

عن أم سلمة قالت : لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار : النجاشيَّ . آمننا على ديننا وعبدنا الله لا نؤذَى . فلما بلغ ذلك قريشًا ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جلدين وأن يهدوا إلى النجاشي هدايا مما يُستطرف من متاع مكة . فجمعوا له أَدَمًا كثيرًا ولم يتركوا من بَطارقته بِطريقا إلا اهدوا له هدية . ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وعمرو بن العاص ، وقالوا لهما ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا النجاشيَّ فيهم ، ثم قدِّموا إلى النجاشي هداياه ثم سلوه أن يُسلمهم إليكم قبل أن يكلمهم.

فخرجا فقدما على النجاشي فدفعا إلى كل بطريقٍ هديته وقالا : إنه قد صبأ إلى بلدكم منا غلمانٌ سفهاء فارَقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم وجاءوا بدين مبتدَع ، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشرافُ قومهم ليردُّهم إليهم ، فإذا كلَّمْنا الملك فيهم فأشيروا على الملك بأن يُسلمهم إلينا ولا يكلِّمهم، فإن قومهم أعلى بهم عينًا . فقالوا : نعم .

ثم قربوا هداياهم إلى النجاشي فقبلها منهم ثم كلماه فقالا له : أيها الملك إنه قد صبأ إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشرافُ قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردَّهم إليهم فهم أعلى بهم عينًا وأعلم بما عابوا عليهم . فقالت بطارقته : صدقوا فأسلِمْهم إليهما .

---

(١) آخرجه البخارى فى المناقب مناقب العباس بن عبد المطلب .

فغضب النجاشي ثم قال : لا ، هَيْمُ اللهِ إذًا لا أُسلمهم إليهما ولا أكاد قومًا جاوروني، نزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فأسألـهم مـاذا يقول هذان في أمرهم ؟ فإن كانوا كما يقولان سلمتهم إليهما وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسنت جوارهم ما جاوروني .

قال : ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم فلما أن جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جئتموه ؟ قالوا : نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا ﷺ ، كائن في ذلك ما هو كائن . فلما جاءوه ، وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله ، سألهم فقال : ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دينٍ آخر من هذه الأمم ؟ .

قالت : وكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب فقال له : أيها الملك كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونُسيء الجوار ، يأكل القويُّ الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله – عز وجل – إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله – عز وجل – لنوحِّده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار وكفٍ عن المحارم والدماء . ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة . وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئًا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام فصدَّقناه وآمنّا به فعبدنا الله – عز وجل – وحده فلم نشرك به شيئًا ، وحرَّمنا ما حرَّم علينا وأحللنا ما أحلَّ لنا فعدا علينا قومُنا فعذَّبونا وفتنونا على ديننا ليردُّونا إلى عبادة الأوثان وأن نستحلَّ ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين قومنا خرجنا إلى بلدك فاخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نُظلم عندك أيها الملك .

قالت : فقال له النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله – عز وجل – شيء ؟ قالت: فقال له جعفر : نعم . قال : فاقرأه عليَّ . فقرأ عليه صدرًا من ﴿كهيعص﴾ فبكى والله النجاشيُّ حتى أخْضَل لحيته وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم . ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى ليَخرُج من مشكاةٍ واحدة ، انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكم أبداً .

قالت : فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص : والله لآتينه غدًا أعيبهم عنده بما استأصل به خَضْراءهم . فقال له عبد الله بن أبي ربيعة وكان أتقى الرجلين فينا: لا تفعل فإن لهم أرحامًا . فقال : والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عَبْد .

قالت : ثم غدا عليه من الغد فقال له : أيها الملك إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيمًا فأرسل إليهم فاسألهم عما يقولون فيه .

قالت : فأرسل إليهم يسألهم عنه . قالت : ولم ينزل بنا مثلها . فاجتمع القوم فقال بعضهم لبعض : ماذا تقولون في عيسى إذا سألكم عنه قالوا : نقول والله فيه ما قال فيه الله - عز وجل - وما جاء به نبينا ، كائن في ذلك ما هو كائن .

فلما دخلوا عليه قال لهم : ما تقولون في عيسى ابن مريم ؟ قال له جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبينا ﷺ ، وهو عبد الله وروحه ورسوله وكلمته ألقاها إلي مريم العذراء البتول . قال : فضرب النجاشي يده إلى الأرض فأخذ منها عودًا ثم قال: ما عدا عيسى ابنُ مريم ما قلت هذا العود . ثم قال : اذهبوا فأنتم سُيوم بأرضي - والسُّيوم : الآمنون - مَن سبَكم غَرم ، ثم مَن سبكم غَرِم ، ثم مَن سبكم غرمَ ، ردُّوا عليهما هداياهما فلا حاجة لنا بها ، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين ردَّ عليَّ مُلكي . رواه الإمام أحمد ابن حنبل - رضي الله عنه [1] .

وعن أبي بُردة ، عن أبيه قال : أمرنا رسول الله ﷺ أن ننطلق مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض النجاشي فبلغ ذلك قريشًا فبعثوا عمرو بن العاص وعُمارة بن الوليد ، وجمعوا للنجاشي هدية فأتياه بها فقبلها . ثم قالا : إن ناسًا من أرضنا رغبوا عن ديننا وهم في أرض الملك . فبعث إلينا فقال لنا جعفر : لا يتكلم منكم أحد ، أنا خطيبكم اليوم . فلما انتهينا بَدَرَنا من عنده فقال : اسجدوا للملك فقال جعفر : لا نسجد إلا لله. فذكر نحو الحديث المتقدم . فقال النجاشي : مرحبًا بكم وبمن جئتم من عنده ، وأنا أشهد أنه رسول الله وأنه بشر به عيسى - عليه السلام - ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أُقبل نعله [2].

وعن عُمير بن إسحاق قال : حدثني عمرو بن العاص قال : لما أتينا باب النجاشي ناديت : ائذن لعمرو بن العاص . فنادى جعفر من خلفي : ائذن لحزب الله . فسمع صوته فأذن له قبلي .

وعن أبي هريرة قال : كان جعفر يحب المساكين ويجلس إليهم ويحدثهم ويحدثونه وكان رسول الله ﷺ يسميه أبا المساكين [3] .

---

(١) ، (٢) انظر : البداية والنهاية (٣/ ٧٢ - ٧٦) ، وسيرة ابن هشام (١/ ٢٠٥ - ٢٠٨) ، وطبقات ابن سعد (١/ ٢٥٨) ، وزاد المعاد (١/ ١٢٠) ، وهداية الحيارى (٥٣ - ٥٧) .

(٣) رواه الترمذي (٣٧٦٦) وقال : هذا حديث غريب .

(ذكر وفاته – رضي الله عنه)

قتل جعفر بن أبي طالب بمؤتة سنة ثمانٍ من الهجرة .

عن ابن عمر قال : وجدنا فيما أقبل من بدن جعفر ما بين منكبيه تسعين ضربةً ما بين طعنة برمح وضربة بسيف .

وعن أنس بن مالك أن النبي ﷺ نعى جعفرًا وزيدًا . نعاهما قبل أن يجيء خبرهما وعيناه تذرفان .

٥٧ ـ أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم رضي الله عنه

واسمه المغيرة . وكان أخا رسول الله ﷺ من الرضاعة أرضعته حليمة أيامًا وكان ترْبَ رسول الله ﷺ يألفه إلفًا شديدًا فلما بُعث رسول الله ﷺ عاداه وهجاه وهجا أصحابه وكان شاعرًا .

فلما كان عام الفتح ألقى الله في قلبه الإسلام فخرج متنكرًا فتصدى لرسول الله ﷺ فأعرض عنه فتحول إلى الجانب الآخر فأعرض عنه . قال فقلت : أنا مقتول قبل أن أصل إليه ، فأسلمت وخرجت معه حتى شهدت فتح مكة وحُنينًا . فلما لقينا العدو بحنين اقتحمتُ عن فرسي وبيدي السيف صَلْتًا والله يعلم أني أريد الموت دونه وهو ينظر إليَّ . فقال العباس : يا رسول الله أخوك وابن عمك أبو سفيان فارضَ عنه . فقال : «قد فعلت، فغفر الله له كل عداوة عادانيها » . ثم التفت إليَّ فقال : « أخي لعمري ». فقبلت رجله في الركاب .

وعن أبي إسحاق قال : لما حضر أبا سفيان بن الحارث الوفاة قال لأهله : لا تبكوا عليَّ فإني لم أتنطق بخطيئة منذ أسلمت .

قال أهل السير : مات أبو سفيان بن الحارث بعد أن استُخلف عمر بسنة وسبعة أشهر . ويقال : بل مات سنة عشرين وصلى عليه عمر ، ودفن بالبقيع .

٥٨ ـ أسامة بن زيد بن حارثة

ويقال له أسامةُ الحِبُّ [١] ، وهو حِبُّ رسول الله ﷺ . ويكنى بأبي محمد . وأمه أم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ .

وعن ابن عمر أن النبي ﷺ بعث سرية فيهم أبو بكر وعمر فاستعمله عليهم فكأن الناس طعنوا فيه ، أي لصغره فبلغ رسول الله ﷺ ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه

---

(١) الحب : أى الحبيب .

وقال : « إن الناس قد طعنوا في إمارة أسامة وقد كانوا طعنوا في إمارة أبية من قبله ؛ وإنهما لخليقان لها - أو كانا خليقين لذلك - وإنه لمن أحب الناس إليّ ، وكان أبوه من أحب الناس إليّ ، ألا فأوصيكم بأسامة خيرًا [١] .

وعن حنش قال : سمعت أبي يقول : استعمل النبي ﷺ أسامة وهو ابن ثماني عشرة سنة .

وعن محمد بن سيرين قال : بلغت النخلةُ من عهد عثمان بن عفان ألف درهم . قال: فعمد أسامة إلى نخلة فعقرها فأخرج جُمَّارها ، فأطعمه أمه ، فقالوا له : ما يحملك على هذا وأنت ترى النخلة قد بلغت ألف درهم ؟ قال : إن أمي سألتنيه ولا تسألني شيئًا أقدر عليه إلا أعطيتها .

قال ابن سعد ، قال الواقدي : قبض النبي ﷺ وأسامة ابن عشرين سنة . وكان قد سكن بعد النبي ﷺ وادي القرى ثم نزل المدينة فمات بالجُرْف في آخر خلافة معاوية .

قال الزهري حُمل أسامة حين مات من الجرف إلى المدينة .

٥٩ - سلمان الفارسي - رضى الله عنه

يكنى أبا عبد الله . من أصبهان ، من قرية يقال لها جَيّ [٢] . وقيل من رامَهُرْمُز [٣] . سافر يطلب الدين مع قوم فغدروا به فباعوه من اليهود . ثم إنه كاتب فأعانه النبي ﷺ في كتابته . أسلم مَقْدَمَ النبي ﷺ المدينة . ومنعه الرقُّ من شهود بدر وأُحد ، وأول غزاة غزاها مع النبي ﷺ الخندق ، وشهد ما بعدها ، وولاه عمر المدائن .

عن عبد الله بن العباس قال : حدثني سلمان الفارسي قال : كنت رجلاً فارسيًا من أهل أصبهان ، من أهل قرية منها يقال لها جَيّ ، وكان أبي دهقَان قريته [٤] . وكنت أَحَبَّ خلْق الله إليه . فلم يزل به حبُّه إياي حتى حبسني في بيته كما تحبس الجارية . واجتهدت في المجوسية حتى كنت قَطِنَ النار [٥] الذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة .

قال : وكانت لأبي ضيعة عظيمة . قال : فشغل في بنيان له يومًا . قال لي: يا بني إني قد شغلت في بنياني هذا اليوم عن ضيعتي فاذهب فاطلعها ، وأمرني فيها ببعض ما يريد : فخرجت أريد ضيعته فمررت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلُّون ، وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبي إياي في بيته . فلما مررت بهم

(١) أخرجه مسلم فى فضائل زيد وابنه أسامة ، وابن سعد فى طبقاته (٤/١/٤٦ ، ٢/٢/٤١) .
(٢) قرب أصبهان ، وهى « شهرستان » .
(٣) مدينة مشهورة قرب خورستان .
(٤) الدهقان : رئيس القرية وزعيم الفلاحين .
(٥) أى : القيم عليها .

وسمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون قال : فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم ورغبت فى أمرهم وقلت هذا والله خير من الذى نحن عليه . فوالله ما تركتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبي ولم آتها فقلت لهم : أين أصل هذا الدين ؟ قالوا : بالشام ؟ .

قال : ثم رجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كله . فلما جئته قال: أي بني أين كنت ألم أكن عهدت إليك ما عهدت ؟ قال قلت : يا أَبَت ، مررت بناس يصلون في كنيسة لهم فأعجبني ما رأيت دينهم ، فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس . قال : أي بني ليس في ذلك الدين خير ، دينُك ودين آبائك خير منه . قلت: كلا والله إنه لخير من ديننا . قال : فخافني فجعل في رِجلي قيدًا ثم حبسني في بيته .

قال : وبعثت إلى النصارى فقلت لهم : إذا قدم عليكم ركب من الشام تجارًا من النصارى فأخبروني بهم . قال : فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى قال : فأخبروني بقدوم تجار فقلت لهم : إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم ألقيت الحديد من رجلي ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام فلما قدمتها قلت : من أفضل أهل هذا الدين ؟ قالوا : الأسقف في الكنيسة . قال : فجئته فقلت : إني قد رغبت في هذا الدين وأحببت أن أكون معك أخدمك في كنيستك وأتعلم منك وأصلي معك قال : فادخل، فدخلت معه .

قال : فكان رجل سوء ، يأمرهم بالصدقة ويرغّبهم فيها فإذا جمعوا إليه منها شيئًا اكتنزه لنفسه ولم يعطه المساكين حتى جمع سبع قِلال من ذهب . قال : وأبغضته بغضًا شديدًا لما رأيته يصنع . قال : ثم مات . فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه فقلت لهم : إن هذا كان رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغّبكم فيها فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئًا . قالوا : وما علمك بذلك قلت : أنا أدلكم على كنزه . قالوا: فدلنا عليه . قال: فأريتهم موضعه . قال: فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهبًا وورِقاً. قال : فلما رأوها قالوا : والله لا ندفنه أبدًا . قال : فصلبوه ثم رجموه بالحجارة ..

ثم جاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه فما رأيت رجلاً يصلي الخمس أرى أنه أفضل منه وأزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أدأب ليلاً ونهارًا منه .قال فأحببته حبًا لم أحبه من قبله فأقمت معه زمانًا ثم حضرته الوفاة . قلت له : يا فلان إني كنت معك فأحببتك حبًا لم أحبه من قبلك وقد حضرتك الوفاة فإلى من توصي بي ، وما تأمرني ؟ قال : أي بني والله ما أعلم أحدًا اليوم على ما كنت عليه . لقد هلك الناس وبدّلوا

وتركوا أكثر ما كانوا عليه إلا رجلاً بالمَوْصل وهو فلان، وهو على ما كنتُ عليه، فالْحق به .

قال : فلما مات وغُيّب لحقت بصاحب الموصل فقلت له يا فلان إن فلانًا أوصاني عند موته أن ألحق بك وأخبرني أنك على أمره . قال ، فقال: أقم عندي . قال : فأقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه فلم يلبث أن مات ، فلما حضرته الوفاة قلت له: يا فلان إن فلانًا أوصي بي إليك وأمرني باللحوق بك وقد حضرك من أمر الله ما ترى فإلى من توصي بي وما تأمرني ؟ قال : أي بني والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه إلا رجلاً بنصيبين وهو فلان فالحق به .

قال : فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فجئت فأخبرته بما جرى وما أمرني به صاحبي قال : فأقم عندي فوجدته على أمر صاحبيه . فأقمت مع خير رجل . فوالله ما لبث أن نزل به الموت فلما حضر قلت له : يا فلان إن فلاناً كان أوصي بي إلى فلان ثم أوصي بي فلان إليك فإلى من توصي بي، وما تأمرني ؟ قال : أي بنى والله ما أعلم أحدًا بقي على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجلاً بعمُّورية فإنه على مثل ما نحن عليه فإن أحببت فائته فإنه على مثل أمرنا .

قال : فلما مات وغُيِّب لحقت بصاحب عَمُّورية وأخبرته خبري فقال : أقم عندي . فأقمت عند رجل على هدي أصحابه وأمرهم . قال : وكنت اكتسبت حتى كانت لي بقرات وغُنيمة ، قال : ثم نزل به أمر الله – عز وجل – فلما حضر قلت له : يا فلان إني كنت مع فلان فأوصى بي إلى فلان ، وأوصي بي فلان إلى فلان ، وأوصى بي فلان إلى فلان، وأوصى بي فلان إليك فإلى من توصي بي وما تأمرني ؟ قال : أي بني والله ما أعلم أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه ، ولكنه قد أظلك زمان نبيٍّ مبعوث بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب مهاجرًا إلى أرض بين حَرّتَين [1] بينهما نخل به علامات لا تخفى ، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوة. فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل .

قال : ثم مات وغُيِّب ، فمكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث ، ثم مر بي نفر من كلب تجارًا فقلت لهم : تحملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغُنَيمتي هذه ؟ قالوا : نعم . فأعطيتهم إياها ،حملوني حتى إذا قدموا بي وادي القرى ظلموني فباعوني من رجل من يهود . فكنت عنده ورأيت النخل ورجوت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي ولم يحق لي في نفسي .

---

(١) الحرة : الأرض ذات الحجارة السوداء .

فبينما أنا عنده قدم عليه ابن عم له من المدينة من بني قريظة فابتاعني منه فاحتملني إلى المدينة فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي فأقمت بها ، وبعث الله رسوله ﷺ فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق . ثم هاجر إلى المدينة ، فوالله إني لفي رأس عَذْق [١] لسيدى أعمل فيه بعض العمل وسيدي جالس إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال : فلانُ ، قاتل الله بني قَيْلة [٢] ، والله إنهم الآن لمجتمعون بقبَاء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم زعم أنه نبي .

قال : فلما سمعتها أخذتني العُرَواء [٣] ، حتى ظننت أني ساقط على سيدي . قال : ونزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ماذا تقول ؟ قال : فغضب سيدي فلكمني لكمة شديدة وقال : ما لك ولهذا ؟ أقبلْ على عملك . قال : قلت لا شيء ، إنما أردت أن أستثبته عما قال .

وقد كان شيء عندي قد جمعته فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء فدخلت عليه فقلت له : إنه قد بلغني أنك رجل صالح معك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة ، وهذا شيء كان عندى للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم . قال : فقرّبته إليه فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : كلوا وأمسك يده هو فلم يأكل . قال : فقلت في نفسي : هذه واحدة .

ثم انصرفت عنه فجمعت شيئًا وتحوّل رسول الله ﷺ إلى المدينة ثم جئته به فقلت : إني رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها فأكل رسول الله ﷺ منها وأمر أصحابه فأكلوا معه . قال : فقلت في نفسي : هاتان اثنتان .

قال : ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغَرْقد ، قد تبع جنازة من أصحابه عليه شملتان ـ وهو جالس في أصحابه فسلمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي ؟ فلما رآني رسول الله ﷺ استدبرته عرف أني أستثبت في شيء وُصِفَ لي . قال : فألقى رداءه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم فعرفته فانكببت عليه أقبله وأبكي فقال رسول الله ﷺ : تحول .

فتحولت فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابُه .

---

(١) العذق : النخلة .

(٢) بنو قيلة : هما قبيلتا الأوس والخزرج وقيل : لقبوا بهذا الاسم نسبة إلى أم لهم تدعى « قيلة بنت كاهل » .

(٣) العرواء : الحمى .

ثم شغل سلمان الرقُّ حتى فاته مع رسول الله : بدر وأُحد قال : ثم قال لي رسول الله ﷺ : كاتبْ يا سلمان . فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحييها له بالفقير وبأربعين أوقية . فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : أعينوا أخاكم . فأعانوني بالنخل : الرجل بثلاثين وَدِيَّة [1] ، والرجل بعشرين ، والرجل بخمسة عشر ، والرجل بعشرة يعين الرجل بقدر ما عنده . حتى اجتمعت لي ثلاثمائة ودية فقال لي رسول الله ﷺ : اذهب يا سلمان فَفَقِّر لها[2] ، فإذا فرغت أكون أنا أضعها بيدي .

قال : ففقرتُ لها وأعانني أصحابي حتى إذا فرغت منها جئته فأخبرته فخرج رسول الله ﷺ معي إليها فجعلنا نقرب له الوَدِيَّ ويضعه رسول الله ﷺ بيده . فوالذى نفس سلمان بيده ما مات منها وَدِيَّة واحدة . فأديت النخل فبقى علي المال فأتى رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن فقال: « ما فعل الفارسي المُكاتب ؟ » . قال : فدعيت له . قال : « فخذ هذه فأدِّ بها ما عليك يا سلمان » . قال : قلت : وأين تقع هذه يا رسول الله مما على ؟ قال: « خذها فإن الله – عز وجل – سيؤدي بها عنك » . قال : فأخذتها فوزنت لهم منها ـ والذي نفس سلمان بيده ـ أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم وعُتقت، فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق ثم لم يفتني معه مشهد . رواه الإمام أحمد[3] .

وقد رويت بداية سلمان من حديث أبي الطفيل عامر بن واثلة وأنه قال : كنت من أهل جَيّ ، وكان أهل قريتي يعبدون الخيل البُلْق ، فطلبت الدِّين ـ فذكر نحو ما ذكرناه وأنه قدم على رسول الله ﷺ مكة ـ والذي ذكرناه من لقائه له بالمدينة هو الصحيح .

وفي الصحيح عن سلمان أنه قال تداولني بضعة عشر من ربٍّ إلى ربٍّ .

(ذكر نبذة من فضائله)

عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : السبّاق أربعة ، أنا سابق العرب ، وصهيب سابق الروم ، وسلمان سابق فارس ، وبلال سابق الحبشة [4] .

وعن كثير بن عبد الله المُزَني ، عن أبيه ، عن جده أن رسول الله ﷺ خط الخندق

---

(١) الودية : فسيل النخل . (٢) أى أحفر لها .

(٣) رواه أحمد (٥/ ٤٤١ – ٤٤٤) ، وانظر : مجمع الزوائد (٩/ ٣٣٦) .

(٤) رواه الحاكم (٣/ ٤٠٢) ، والطبرانى فى الكبير (٨/ ٣٤) ، والبزار (٢٦٠٧) ، وفى سنده عمارة ابن زاذان الصيدلانى وهو صدوق كثير الخطأ . وضعفه الإمام الذهبى ، ورواه الطبرانى فى الكبير (٨/ ١٣١) ، وفى الصغير (١/ ١٠٤) ، وابن عدى فى الكامل (٢/ ٥٠٧) ، وفى سندهم عطية بن بقية هو يخطئ ويغرب ويروى هذا الحديث عن أبيه معنعناً وأبوه هو بقية بن الوليد .

وجعل لكل عشرةٍ أربعين ذراعًا فاحتج المهاجرون والأنصار في سلمان وكان رجلا قويًا فقال المهاجرون : سلمان منا وقالت الأنصار : لا بل سلمان منا . فقال رسول الله ﷺ سلمان منَّا أهل البيت .

وعن أبي حاتم عن العُتْبي قال : بعث إليَّ عمر بحللٍ فقسمها فأصاب كل رجل ثوبٌ . ثم صعد المنبر وعليه حلة ، والحلة ثوبان ، فقال : أيها الناس ألا تسمعون ؟ فقال سلمان: لا نسمع . فقال عمر : لم يا أبا عبد الله ؟ قال : إنك قسمت علينا ثوبًا ثوبًا وعليك حلة . فقال : لا تعجل يا أبا عبد الله . ثم نـادى : يا عبد الله . فلم يجبه أحد فقال : يا عبد الله بن عمر . فقال : لبيك يا أمير المؤمنين . فقال : نشدتك الله ، الثوبُ الذي ائتزرت به أهو ثوبك ؟ قال: اللهم نعم قال سلمان : فقل الآن نسمع .

(ذكر غزارة علمه - رضى الله عنه)

عن أبي جحيفة قال : آخى رسول الله ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء . فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء مبتذلة [1] . فقال لها : ما شأنكِ ؟ فقالت : إن أخاك أبا الدرداء ليست له حاجة في الدنيا . قال : فلما جاء أبا الدرداء قربَ طعامًا فقال . كُل فإني صائم. قال : ما أنا بآكلٍ حتى تأكل . قال : فأكل .

فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم . فقال له سلمان : نم ، فنام . فلما كان من آخر الليل قال له سلمان : قم الآن . فقاما فصلَّيا فقال : إن لنفسك عليك حقًا ، ولربك عليك حقًا ، وإن لضيفك عليك حقًا وإن لأهلك عليك حقًا فأعطِ كلَّ ذي حقٍ حقه . فأتيا النبي ﷺ فذكرا ذلك له فقال صدق سلمان . انفرد بإخراجه البخاري .

وعن محمد بن سيرين قال : دخل سلمان على أبي الدرداء في يوم جمعة فقيل له : هو نائم . فقال : ما له ؟ فقالوا : إنه إذا كانت ليلة الجمعة أحياها ويصوم يوم الجمعة . قال: فأمرهم فصنعوا طعامًا في يوم جمعة ثم أتاهم فقال: كل . قال : إني صائم . فلم يزل به حتى أكل . فأتيا النبي ﷺ فذكرا ذلك لـه فقال النبي ﷺ : « عويمرُ ! سلمان أعلـم منك - وهو يضرب بيده على فخذ أبي الدرداء - عويمرُ ، سلمان أعلم منك » ثلاث مـرات « لا تخصَنَّ ليلة الجمعة بقيامٍ من بين الليالي ، ولا تخصنَّ يـوم الجـمعة بصيامٍ من بين الأيام » .

وعن ثابت البناني أن أبا الدرداء ذهب مع سلمان يخطب عليه امرأةً من بني ليث . فدخل فذكر فضلَ سلمان وسابقته وإسلامه ، وذكر أنه يخطب إليهم فتاتهم فلانة .

---

(١) مبتذلة : أى رثة الثياب .

فقالوا ؟ أما سلمان فلا نزوجه ولكنَّا نزوجك . فتزوجها ثم خرج فقال له : إنه قد كان شيء وأنا أستحيي أن أذكره لك . قال : وما ذاك فأخبره الخبر ، فقال سلمان : أنا أحق أن أستحيي منك أن أخطبها وقد قضاها الله لك - رضى الله عنهما .

(ذكر نبذة من زهده)

عن الحسن قال : كان عطاء سلمان الفارسي خمسة آلاف ، وكان أميرًا على زُهاء ثلاثين ألفًا من المسلمين ، وكان يخطب الناس في عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها ، فإذا خرج عطاؤه أمضاه ، ويأكل من سفيف يديه (١) .

وعن عَمَّار يعني الدُّهني قال : كان عطاء سلمان الفارسي أربعة آلاف وكارة من ثياب، فيتصدق بها ويعمل الخُوص .

وعن مالك بن أنس أن سلمان الفارسي كان يستظل بالفيء حيثما دار ، ولم يكن له بيت . فقال له رجل : ألا نبني لك بيتًا تستظل به من الحر وتسكن فيه من البرد ؟ فقال له سلمان : نعم . فلما أدبر صاح به فسأله سلمان : كيف تبنيه؟ قال : أبنيه إن قمت فيه أصاب رأسك وإن اضطجعت فيه أصاب رجليك . فقال سلمان : نعم .

وقال عبادة بن سليم : كان لسلمان خباء من عباء وهو أمير الناس .

وعن أبي عبد الرحمن السلمى ، عن سلمان : أنه تزوج امرأة من كندة فلما كان ليلة البناء مشى معه أصحابه حتى أتى بيت المرأة فلما بلغ البيت قال: ارجعوا أجَرَكم الله ولم يُدخلهم . فلما نظر إلى البيت والبيت منجَّد ، قال : أمحمومٌ بيتكم أم تحولت الكعبة في كندة ؟ فلم يدخل حتى نزع كلَّ سترٍ في البيت غير ستر الباب فلما دخل رأى متاعًا كثيرًا فقال : لمن هذا المتاع ؟ قالوا : متاعك ومتاع امرأتك فقال : ما بهذا أوصاني خليلي رسول الله ﷺ ، أوصاني خليلي أن لا يكون متاعي من الدنيا إلا كزاد الراكب . ورأى خَدَمًا فقال : لمن هذه الخَدم ؟ قالوا : خدَمُك وخدم امرأتك فقال : ما بهذا أوصاني خليلي ﷺ ، أوصاني خليلي أن لا أمسك إلا ما أنكحَ ، أو أنكح ، فإن فعلتُ فبغَيْنَ كان علي مثل أوزارهن من غير أن ينقص من أوزارهن شيء . ثم قال للنسوة اللاتي عند امرأته : هل أنتنَّ مخلّيات بيني وبين امرأتي ؟ قلن : نعم . فخرجن ، فذهب إلى الباب فأجافه (٢) وأرخى الستر ، ثم جاء فجلس عند امرأته فمسح بناصيتها ودعا بالبركة . فقال لها : هل أنت مطيعتي في شيء آمرك به ؟ قالت : جلستُ مجلس

---

(١) انظر : حلية الأولياء (١/ ١٩٧ ، ١٩٨) ، والسفيف : هو ما ينسج من الخوص .

(٢) أجاف الباب : رده .

مَن يطيع . قال فإن خليلي أوصاني إذا اجتمعت إلى أهلي أن أجتمع على طاعة الله . فقام وقامت إلى المسجد فصلَّيا ما بدا لهما ثم خرجا فقضى منها ما يقضي الرجل من امرأته . فلما أصبح غدا عليه أصحابه فقالوا : كيف وجدت أهلك ؟ فأعرض عنهم . ثم أعادوا فأعرض عنهم . ثم أعادوا فأعرض عنهم . ثم قال : إنما جعل الله - عز وجل - الستور والخِدْر والأبواب لتواري ما فيها ، حسْبُ كل امرئ منكم أن يسأل عما ظهر له فأمَّا ما غاب عنه فلا يسألنَّ عن ذلك ، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « المتحدث عن ذلك كالحماريْن يتسافدان في الطريق » [١] .

وعن أبي قُلابة أن رجلاً دخل على سلمان وهو يَعجن فقال : ما هذا ؟ قال : بعثْنا الخادم في عمل فكرهنا أن نجمع عليه عملين . ثم قال : فلان يقرئك السلام. قال : متى قدمت ؟ قال منذ كذا وكذا فقال : أما إنك لو لم تؤدها كانت أمانة لم تودِّها رواه أحمد.

(ذكر كسبه وعمله بيده)

عن النعمان بن حميد قال : دخلت مع خالي على سلمان الفارسي بالمدائن وهو يعمل الخوص فسمعته يقول : أشترى خوصًا بدرهم فأعمله فأبيعه بثلاثة دراهم فأعيد درهمًا فيه وأنفق درهمًا على عيالي وأتصدق بدرهم، ولو أن عمر بن الخطاب نهاني عنه ما انتهيت.

وعن الحسن قال : كان سلمان يأكل من سفيف يده .

(ذكر نبذة من ورعه)

عن أبي ليلى الكندي قال : قال غلام سلمان لسلمان : كاتبْني . قال : ألكَ شيء ؟ قال: لا . قال : فمن أين ؟ قال : أسأل الناس. قال : تريد أن تطعمني غُسالة الناس.

(ذكر نبذة من تواضعه)

عن ثابت قال : كان سلمان أميرًا على المدائن فجاء رجل من أهل الشام ومعه حمل تِبْنٍ وعلى سلمان أنْدرا ورْد وعباءة فقال لسلمان : تعالَ احمل ، وهو لا يعرف سلمان . فحمل سلمان فرآه الناس فعرفوه فقالوا : هذا الأمير . فقال : لم أعرفك . فقال له سلمان : لا حتى أبلغ منزلك . وفي رواية أخرى : إني قد نويت فيه نيةً فلا أضعه حتى أبلغ بيتك .

وعن عبد الله بن بُريدة قال : كان سلمان إذا أصاب الشيء اشترى به لحمًا ثم دعا المجذومين فأكلوا معه .

وعن عمر بن أبي قرَّة الكندي قال : عرض أبي على سلمان أخته أن يزوجه فأبى ،

---

(١) الحلية (١/ ١٨٥ - ١٨٦) .

فتزوج مولاة يقال لها بقيرة . فأتاه أبو قرَّة فأخبر أنه في مَبْقَلة له ، فتوجه إليه فلقيه معه زنبيل فيه بَقْل قد أدخل عصاه في عروة الزنبيل وهو على عاتقه .

وعن ميمون بن مهران ، عن رجل منْ عبد القيس قال : رأيت سلمان في سرِّية وهو أميرها على حمارٍ عليه سراويل وخَدَمتاه تَذبْذَبان والجند يقولون : قد جاء الأمير . قال سلمان : إنما الخيرَ والشرُّ بعد اليوم .

وعن أبي الأحوص قال : افتخرتْ قريش عند سلمان ، فقال سلمان : لكنِّي خلقت من نطفة قذرة ثم أعود جيفةً مُنتنة ، ثم يؤدى بي إلى الميزان فإن ثقلت فأنا كريم وإن خفت فأنا لئيم .

وعن أبي البَخْتَريِّ قال : صحب سلمان رجل من بني عبس ليتعلم منه . فخرج معه فجعل لا يستطيع أن يفضُله في عمل : إن عجن جاء سلمان فخبز وإن هيأ الرجل علفًا للدواب ذهب سلمان فسقاها . حتى انتهوا إلى شطٍّ دجلة وهي تطفح فقال سلمان للعبسي: انزل فاشربْ . فنزل فشرب . فقال له سلمان : ازدد ، فازدادَ . فقال له سلمان: كم تراكَ نقصت منها ؟ فقال العبسي له : وما عسى أن أنقص منها فقال سلمان: كذلك العلم تأخذ منه ولا ينقص فعليك بالعلم بما ينفعك .

قال : ثم عبر إلى نهر دَنٍّ [1] ، فإذا الأكداس عليه من الحنطة والشعير فقال سلمان: يا أخا بني عبس أما ترى إلى الذي فتح خزائن هذه علينا كأن نراها ومحمد حيّ ؟ قال : فقلت بلى . قال : فوالذي لا إله غيره لقد كانوا يُمسون ويصبحون وما فيهم قفيز من قمح. قال ثم سرنا حتى انتهينا إلى جَلُولاء [2] . قال فذكر ما فتح الله عليهم وما أصابوا فيها من الذهب والفضة فقال : يا أخا بني عبس أما ترى إلى الذي فتح خزائن هذه علينا كأن نراها ومحمد حيّ ؟ قال : قلت بلى . قال : والذي لا إله غيره لقد كانوا يُمْسون ويُصْبحون وما فيهم دينار ولا درهم .

(ذكر ثناء الناس على سلمان واعترافهم بفضله)

عن ابن عباس قال : قدم سلمان من غيبة له فتلقاه عمر فقال: أرضاك لله عبدًا. قال : فزوجني فسكت عنه فقال : أترضاني لله عبدًا ولا ترضاني لنفسك؟ فلما أصبح أتاه قوم فقال : حاجة ؟ قالوا : نعم . قال : ما هي ؟ قالوا : تُضرب عن هذا الأمر ، يعنون خطبته إلى عمر ، فقال : أما والله ما حملني على هذا إمرته ولا سلطانه ولكن قلت رجل صالح عسى الله – عز وجل – أن يُخرج مني ومنه نسمة صالحة[3].

---

(١) نهر دن : نهر بقرب إيوان كسرى .

(٢) جلولاء : مدينة بالعراق .

(٣) انظر : حلية الأولياء (١/ ١٨٦) .

وعن أبي الأسود الدؤلي قال : كنا عند علي ذات يوم فقالوا يا أمير المؤمنين حدِّثنا عن سلمان قال : من لكم بمثل لقمان الحكيم ؟ ذلك امرؤ منا وإلينا أهل البيت ، أدرك العلم الأول والعلم الآخر وقرأ الكتاب الأول والآخر ، وبحر لا ينزف ، وأوصى معاذ ابن جبل رجلاً أن يطلب العلم من أربعةٍ سلمانُ أحدهم (١) .

(ذكر نبذة من كلامه ومواعظه)

عن حفص بن عمرو السعدي عن عمه قال : قال سلمان لحذيفة : يا أخا بني عبس العلم كثير والعمر قصير ، فخذ من العلم ما تحتاج إليه في أمر دينك ودع ما سواه فلا تعانه .

وعن أبي سعيد الوهبي عن سلمان قال : إنما مثل المؤمن في الدنيا كمثل المريض معه طبيبه الذي يعلم داءه ودواءه فإذا اشتهى ما يضره منعه وقال لا نقربه فإنك إن أتيته أهلكك . فلا يزال يمنعه حتى يبرأ من وجعه . وكذلك المؤمن يشتهي أشياء كثيرة مما قد فضل به غيره من العيش فيمنعه الله - عز وجل - إياه ويحجزه حتى يتوفاه فيدخله الجنة .

وعن جرير قال : قال سلمان : يا جرير تواضع لله- عز وجل - فإنه من تواضع لله - عز وجل - في الدنيا رفعه الله يوم القيامة . يا جرير هل تدري ما الظلمات يوم القيامة؟ قلت : لا . قال : ظلم الناس بينهم في الدنيا . قال ثم أخذ عُويدًا لا أكاد أراه بين إصبعيه. قال : يا جرير لو طلبت في الجنة مثل هذا العود لم تجده قال : قلت يا أبا عبد الله فأين النخل والشجر ؟ قال : أصولها اللؤلؤ والذهب ، وأعلاها الثمر (٢) .

وعن أبي البختري عن سلمان قال : مثل القلب والجسد مثل أعمى ومقعد . قال المقعد: إني أرى تمرة ولا أستطيع أن أقوم إليها فاحملني فحمله فأكل وأطعمه (٣) .

وعن قتادة قال : قال سلمان إذا أسأت سيئة في سريرة فأحسن حسنة في سريرة ، وإذا أسأت سيئة في علانية فأحسن حسنة في علانية لكي تكون هذه بهذه .

وعن مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد أن أبا الدرداء كتب إلى سلمان : هلمَّ إلى الأرض المقدسة . فكتب إليه سلمان : إن الأرض لا تقدِّس أحدًا وإنما يقدس الإنسان عملهُ وقد بلغني أنك جُعلت طبيبًا فإن كنت تُبرىء فنعما لك وإن كنت متطببًا فاحذر أن

---

(١) المصدر السابق (١/ ١٨٧) .

(٢) انظر : حلية الأولياء (١/ ٢٠٢) .

(٣) المصدر السابق (١/ ٢٠٥) .

تقتل إنسانًا فتدخل النار . فكان أبو الدرداء إذا قضى بين اثنين فأدبرا عنه نظر إليهما وقال متطبب والله ، ارجعا إليَّ أعيدا قصتكما [1] .

عن أبى عثمان النهدي عن سلمان الفارسي قـال : ثلاث أعجبتني حتى أضحكتني : مؤمل دنيا والموت يطلبه ، وغافل وليس بمغفول عنه وضاحك ملء فيه لا يدرى أساخط رب العالمين عليه أم راض عنه . وثلاث أحزننى حتى أبكيننى : فراق محمد وحِزْبه ، وهول المطلع والوقوف بين يدي ربي - عز وجل - ولا أدري إلى جنة أو إلى نار .

وعن حماد بن سلمة عن سليمان التيمي عن أبي عثمان عن سلمان قال : ما من مسلم يكون بفيء من الأرض فيتوضأ أو يتيمم ثم يؤذن ويقيم إلا أمَّ جنودًا من الملائكة لا يرى طرفهم ، أو قال : طرفاهم [2] .

وعن ميمون بن مهران قال : جاء رجل إلى سلمان فقال أوصني . قال : لا تكلَّمْ . قال: لا يستطيع من عاش في الناس أن لا يتكلم . قال : فإن تكلمت فتكلم بحق أو اسكتْ قال : زدني . قال : لا تغضب قال : إنه ليغشاني ما لا أملكه . قال : فإن غضبت فأمسك لسانك ويدك . قال : زدني . قال : لا تلابس الناس . قال : لا يستطيع من عاش في الناس أن لا يلابسهم . قال : فإن لابستهم فاصدق الحديث وأدِّ الأمانة .

وعن أبي عثمان عن سلمان قال : إن العبد إذا كان يدعو الله في السراء فنزلت به الضراء فدعا قالت الملائكة : صوت معروف من آدمي ضعيف . فيشفعون له. وإذا كان لا يدعو الله في السراء فنزلت به الضراء قالت الملائكة : صوت منكر من آدمي ضعيف فلا يشفعون له .

وعن حارثة بن مضرب قال : سمعت سلمان يقول : إني لأعدُّ العِراق [3] على الخادم خشية الظن. ورواه زهير عن أبي إسحاق قال : إني لأعد عِراق القدر مخافة الظن بخادمي .

وعن سالم مولى زيد بن صوحان قال : كنت مع مولاي زيد بن صوحان في السوق فمر علينا سلمان الفارسي وقد اشترى وَسْقًا من طعام فقال له زيد : يا أبا عبد الله تفعل هذا وأنت صاحب رسول الله ﷺ ؟ قال : إن النفس إذا أحرزت قوتها اطمأنت وتفرغت للعبادة ويئس منها الوسواس [4] .

---

(1) المصدر السابق (1/205) .

(2) المصدر السابق .

(3) العراق : هو العظم الذى أخذ عنه معظم اللحم .

(4) الحلية (1/207) .

وعن أبي عثمان عن سلمان قال : لما افتتح المسلمون جَوْخَى دخلوا يمشون فيها وأكداس الطعام فيها أمثال الجبال . قال : ورجل يمشي إلى جنب سلمان فقال : يا أبا عبد الله ألا ترى ما أعطانا الله ؟ فقال سلمان : وما يعجبك فما ترى ؟ إلى جنب كل حبة مما ترى حساب . رواه الإمام أحمد .

وعن سعيد بن وهب قال : دخلت مع سلمان على صديق له من كندة نَعوده ، فقال له سلمان : إن الله - عز وجل - يبتلي عبده المؤمن بالبلاء ثم يعافيه فيكون كفارةً لما مضى، فَيستعتب فيما بقي ، وإن الله - عز وجل - يبتلي عبده الفاجر بالبلاء ثم يعافيه فيكون كالبعيرِ عقله أهله ثم أطلقوه فلا يدري فيم عقلوه ولا فيم أطلقوه حين أطلقوه ؟ .

وعن محمد بن قيس عن سالم بن عطية الأسدي قال : دخل سلمان على رجل يعوده وهو في النزع فقال : أيها الملك ارفق به . قال : يقول الرجل : إنه يقول أني بكل مؤمن رفيق . والسلام .

(ذكر وفاة سلمان رضي الله عنه)

عن حبيب بن الحسن وحميد بن مورق العجلي أن سلمان لما حضرته الوفاة بكى فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : عهدٌ عهده إلينا رسول الله ﷺ ، قال : « ليكن بلاغ أحدكم كزاد الراكب » (١) . قال : فلما مات نظروا في بيته فلم يجدوا في بيته إلا إكافًا ووِطاء ومتاعًا قُوِّم نحوًا من عشرين درهمًا .

وعن عامر بن عبد الله عن سلمان أنه حين حضر الموت عرفنا به بعض الجزع فقالوا : ما يجزعك يا أبا عبد الله وقد كان لك سابقة في الخير ؟ شهدت مع رسول الله ﷺ مغازي حسنة وفتوحًا عظامًا . قال : يحزنني أن حبيبنا محمدًا ﷺ عهد إلينا حين فارقنا، فقال «لِيكْفِ المؤمن كزاد الراكب » فهذا الذي أحزنني » (٢) .

قال : فجُمع مال سلمان فكان قيمته خمسة عشر دينارًا ، هكذا قال عامر والباقون من الرواة يذكرون الدراهم .

عن أبي سفيان عن أشياخه قال : ودخل سعد بن أبي وقاص على سلمان يعوده ، فبكى سلمان . فقال له سعد : ما يبكيك يا أبا عبد الله توفي رسول الله ﷺ وهو عنك راضٍ وترد عليه الحوضَ . قال : فقال سلمان : أما إني ما أبكي جزعًا من الموت ولا حرصًا على الدنيا ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا فقال : « لتكن بُلْغة أحدكم مثل زاد الراكب » وحولي هذه الأساود وإنما حوله إجّانة أو جَفْنة أو مِطْهرة . قال فقال له سعد :

(١) رواه الطبراني فى الكبير (١/١٩٦) .

(٢) المصدر السابق (١/١٩٧) .

يا أبا عبد الله أعهد إلينا بعهد فنأخذ به بعدك . فقال : يا سعد اذكر الله عند همّك إذا هممت ، وعند حُكمك إذا حكّمت ، وعند بذل إذا قسمت [١] .

وعن الشعبي قال : أصاب سلمان صرَّة مسك يوم فتح جَلولاء فاستودعها امرأته . فلما حضرته الوفاة قال : هاتي المسك فمرسها في ماء ثم قال : انضحيها حولي فإنه يأتيني زوار الآن ليس بإنس ولا جان . ففعلتْ . فلم يمكث بعد ذلك إلا قليلاً حتى قُبض . وفي أخرى أنه قال : يجدون الريح ولا يأكلون الطعام .

وعن سعيد بن سوقة قال : دخلنا على سلمان نعوده وهو مَبْطون فقال لامرأته : ما فعلت بالمسك الذي جئنا به من بَلَنْجر ؟ قالت : هُوَ ذا . قال : ألقيه في الماء ثم اضربى بعضه ببعض ثم انضحى حول فراشى فإنه الآن يأتينا قوم ليس بإنس ولا جن . ففعلت، وخرجنا عنه ثم أتيناه فوجدناه قد قُبض - رضي الله عنه [٢] .

عن الشعبي قال : حدثني الجزل عن امرأة سلمان ، بقيرة ، قالت : لما حضر سلمان الموت دعاني وهو في عليَّة لها أربعة أبواب فقال : افتحي هذه الأبواب يا بقيرة فإن لي اليوم زوارًا لا أدري من أي هذه الأبواب يدخلون عليَّ . ثم دعا بمسك له ثم قال لها: اديفيه في تور : ففعلت ثم قال انضحيه حول فراشي ثم انزلي فامكثي فسوف تطلعين فتريني على فراشي . فاطلعت فإذا قد أُخذ روحه كأنه نائم على فراشه ، أو نحو هذا[٣].

قال أهل العلم بالسير : كان سلمان من المعمَّرين. أدرك وصيَّ عيسى ابن مريم - عليه السلام - وعاش مائتين وخمسين سنة ، ويقال أكثر . وتوفي بالمدائن في خلافة عثمان . وقيل مات سنة ثنتين وثلاثين .

قال أبو بكر بن أبي داود : لسلمان ثلاث بنات ، بنت بأصبهان وبنتان بمصر .

وعن عبد الله بن سلام أن سلمان قال له : يا أخي أينا مات قبل صاحبه فلْيَتَرايا له . قال عبد الله بن سلام : أوَ يكون ذلك ؟ قال : نعم إن نسمة المؤمن مخلاَّة تذهب في الأرض حيثْ شاءت ونسمة الكافر في سجِّين . فمات سلمان .

قال عبد الله فبينا أنا ذات يوم قائل بنصف النهار على سرير لي فأغفيت إغفاءة إذ جاء سلمان فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقلت : السلام عليك ورحمة الله يا أبا عبد الله ، كيف وجدت منزلك ؟ قال : خيرًا وعليك بالتوكل فنعم الشيء التوكل . ردَّده ثلاث مرات - رحمه الله .

---

(١) المصدر السابق (١/١٩٦) .

(٢) المصدر السابق (١/٢٠٧) .

(٣) المصدر السابق (١/٢٠٨) .

٦٠ ـ أبو موسى الأشعرى عبد الله بن قيس بن سليم

أسلم بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة . ثم قدم مع أهل السفينتين ، ورسول الله ﷺ بخيبر وبعضهم ينكر هجرته إلى الحبشة .

عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ بعث معاذًا وأبا موسى إلى اليمن وأمرهما أن يعلما الناس القرآن . رواه الإمام أحمد .

وقد صحَّ من حديث أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ : « لو رأيتني وأنا أستمع قراءتك البارحة . لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود » فقلت : يا رسول الله لو علمت أنك تسمع قراءتي لحبَّرته لك تحبيرًا [١] .

وفي « الصحيحين » من حديث أبي موسى قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزاةٍ ونحنُ ستة نفر على بعير نعْتقبه . قال فنُقبت أقدامنا ونقُبت قدمي وسقطت أظفاري فكنا نلفّ على أرجلنا الخرق فسمِّيتْ غزاة ذات الرِّقاع لما كنا نَعصِب على أرجلنا من الخِرَق ، قال أبو بردة : فحدث أبو موسى بهذا الحديث ثم كره ذلك وقال : ما كنت أصنع بأن أذكره . قال : كأنه كره أن يكون شيئًا من عمله أفشاه.

وعن أبي سلمة قال : كان عمر بن الخطاب يقول لأبي موسى : ذكِّرنا ربنا تعالى فيقرأ .

وعن أبي عثمان النهدي قال : صلى بنا أبو موسى الأشعرى صلاة الصبح فما سمعت صوت صَنْج ولا بَرْبَطٍ كان أحسن صوتًا منه .

وعن أبي كبشة الدوسي قال : خطبنا أبو موسى الأشعرى فقال : « إن الجليس الصالح خير من الوحدة ، والوحدة خير من الجليس السوء ، ومثل الجليس الصالح كمثل صاحب العطر إلا يَحْذُك يعبق بك من ريحه ألا وإن مثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير إلا يحرق ثيابك يعبق من ريحه ألا وإنما سمِّي القلب من تقلُّبه . وإن مثل القلب كمثل ريشة بأرض فضاء تضربها الريح ظهرًا لبطن . ألا وإن من ورائكم فتَنًا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسى كافرًا والقاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشي ، والماشي خير من الراكب » .

قالوا : فما تأمرنا ؟ قال : كونوا أحلاس [٢] البيوت .

وعن أبي كنانة عن أبي موسى الأشعرى أنه جمع الذين قرأوا القرآن فإذا هم قريب من

---

(١) رواه مسلم كتاب صلاة المسافرين ، باب : استحباب تحسين الصوت بالقرآن حديث (٢٣٦) .

(٢) الحلس : هو الكساء الذى يوضع على ظهر الإبل .

ثلاث مائة . فعظم القرآن وقال : إن هذا القرآن كائن لكم أجرًا وكائن عليكم وِزْرًا فاتبعوا القرآن ولا يتبعنكم القرآن فإنه من اتَّبع القرآن هبط به على رياض الجنة ومن تبعه القرآن زُجَّ في قفاه فقذفه في النار (١) .

وعن أنس أن أبا موسى كان له تُبَّان (٢) ينام فيه مخافة أن ينكشف .

وعن أبي مجلز قال : قال أبو موسى إني لأغتسل في البيت المظلم فما أقيم صلبي حتى آخذ ثوبي حياء من ربي - عز وجل (٣) .

وعن قسامة بن زهير قال : خطبنا أبو موسى فقال : أيها الناس ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فإن أهل النار يبكون الدموع حتى تنقطع ثم يبكون الدماء حتى لو أرسلت فيها السفن لجرت . (روى هذه الأحاديث الثلاثة الإمام أحمد - رحمه الله) .

وعن أبي بردة عن أبي موسى قال : خرجنا غازين في البحر والريح لنا طيِّبة والشراع لنا مرفوع فسمعنا مناديًا ينادي : يا أهل السفينة قفوا أخبرْكم . حتى والى بين سبعة أصوات . قال أبو موسى فقمت على صدر السفينة فقلت من أنت ومن أين أنت ؟ أو ما ترى أين نحن ؟ وهل نستطيع وقوفًا ؟ قال : فأجابني الصوت : ألا أخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه ؟ قال : قلت بلى أخبرنا . قال: فإن الله قضى على نفسه أنه من عطَّش نفسه لله في يوم حارٍّ كان حقًا على الله أن يُرويه يوم القيامة . قال : فكان أبو موسى يتوخى ذلك اليوم الحار الشديد الحر الذي يكاد ينسلخ فيه الإنسان فيصومه (٤) .

وعن أبي إدريس قال : صام أبو موسى حتى عاد كأنه خلال فقيل له لو أجْمَمْتَ نفسك. فقال : أَيْهات إنما يَسبق من الخيل المضمَّرة . قال : وربما خرج من منزله فيقول لامرأته : شدي رحلك فليس على جسر جهنم معبَر .

وعن الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزب قال : دعا أبو موسى فتيانه حين حضرته الوفاة فقال : اذهبوا فاحفروا وأوسعوا وأعمقوا . فجاءوا فقالوا : قد حفرنا وأوسعنا وأعمقنا . فقال : والله إنها لإحدى المنزلتين : أما ليوسَعَنَّ عليَّ قبري حتى يكون كل زاوية منه أربعين ذراعًا ، ثم ليفتحن لي باب إلى الجنة فلأنظرن إلى أزواجي ومنازلي وما أعدَّ الله - عز وجل - لي من الكرامة ، ثم ليصيبني من ريحها وروحها حتى أبعث ، ولئن كانت الأخرى - ونعوذ بالله منها - ليضيقنَّ عليَّ قبري حتى أكون في أضيق من

---

(١) انظر : حلية الأولياء (١/ ٢٥٧) .
(٢) التبان : سروال صغير بمقدار شبر يستر العورة المغلظة وقد يكون للملاحين .
(٣) ، (٤) انظر : الحلية (١/ ٢٦٠) .

القناة في الزُّج [1] ، ثم ليفتحنَّ لي باب من أبواب جهنم فلأنظرن إلى سلاسلي وأغلالي وقرنائي، ثم ليصيبني من سمومها وحميمها حتى أبعث [2] .

وعن أبي بردة قال : لما حضرت أبا موسى الوفاةُ قال : يا بَنيَّ اذكروا صاحب الرغيف. قال : كان رجل يتعبد في صومعته ، أراه قال سبعين سنة ، لا ينزل إلا في يوم واحد . قال فشبَّه أو شب الشيطان في عينه امرأة . قال : فكان معها سبعة أيام أو سبع ليال . قال: ثم كشف عن الرجل غطاؤه فخرج تائبًا . فكان كلما خطا خطوة صلى وسجد فآواه الليل إلى دكان عليه اثنا عشر مسكينًا فأدركه الإعياء فرمى بنفسه بين رجلين منهم وكان ثمَّ راهب يبعث إليهم كل ليلة بأرغفة فيعطي كل إنسان رغيفًا . فجاء صاحب الرُّغف فأعطى كل إنسان رغيفًا . فقال المتروك لصاحب الرغف : ما لك لم تعطني رغيفي ؟ قال : أتراني أمسكه عنك ؟ سل هل أعطيتُ أحدًا منكم رغيفين ؟ قالوا: لا . قال : أتراني أمسكه عنك؟ والله لا أعطيك الليلة شيئاً فعمد التائب إلى الرغيف الذى دفعه إليه فدفعه الرجل الذى تُرك . فأصبح التائب ميتًا . قال: فوزنت السبعون سنة بالسبع ليالي فرجحت الليالي. فوزن الرغيف بالسبع ليالي فرجح الرغيف ، فقال أبو موسى : يا بَني اذكروا صاحب الرغيف - رضي الله عنه .

قال: أصحاب السير : توفي أبو موسى سنة اثنتين وخمسين ، وقيل : اثنتين وأربعين. وقيل : أربع وأربعين . ودفن بمكة . وقيل : دفن بالثويّة على ميلين من الكوفة [3] .

٦١ - ياسر بن عامر بن مالك (أبو عمار)(*)

قدم مكة فحالف أبا حذيفة بن المغيرة فزوجه أبو حذيفة أمةً له يقال لها سُمية بنت خياط فولدت له عمَّارًا . رحمهم الله .

ثم جاء الله بالإسلام فأسلم ياسر وعمَّار . فلما أسلم ياسر أخذته بنو مخزوم فجعلوا يعذبونه . ليرجع عن دينه .

قال عثمان بن عفان : أقبلت أنا ورسول الله ﷺ وهو آخذ بيدي حتى أتينا على أبي عمار وعمار وأمه وهم يعذبون فقال ياسر : الدهر هكذا . فقال النبي ﷺ: اصبر اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلتَ - رضي الله عنه .

٦٢ - عبد الله بن عمر بن الخطاب

يكنى أبا عبد الرحمن . أمه زينب بنت مظعون . أسلم بمكة مع أبيه ولم يكن بالغًا

---

(١) الزج : الحديدة التى تكون أسفل الرمح . (٢) انظر : حلية الأولياء (١/ ٢٦٢ ، ٢٦٣) .
(٣) انظر : حلية الأولياء (١/ ٢٦٢ ، ٢٦٣) . (*) انظر : أسد الغابة (٥/ ٤٦٧) .

حينئذ وهاجر مع أبيه إلى المدينة وعُرض على رسول الله ﷺ يوم بدر فردَّه ويوم أحد فرده لصغر سنه . وعُرض عليه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه .

عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ عرضه يوم أُحد وهو ابن أربع عشرة فلم يجزه ، ثم عرضه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة فأجازه .

وعن سالم عن ابن عمر قال : كان الرجل في حياة رسول الله ﷺ إذا رأى رؤيا قصَّها على النبي ﷺ . قال : وكنت غلامًا شاباً عزبًا فكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله ﷺ فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار فإذا هي مطوية كطي البئر وإذا لها قرنان وأرى فيها ناسًا قد عرفتهم فجعلت أقول : أعوذ بالله من النار أعوذ بالله من النار. فلقيهما ملك آخر فقال لي : لن تُرعْ فقصصتها على حفصة فقصتها حفصة على رسول الله ﷺ فقال : « نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل » . قال سالم: فكان عبد الله بعد لا ينام من الليل إلا قليلاً . أخرجاه في « الصحيحين » [1] .

وعن نافع قال : قال لي عبد الله بن عمر : رأيت في المنام كأن بيدي قطعة من إستبرق ولا أشير بها إلى مكان من الجنة إلا طارت بي إليه . فقصَّتها حفصة على النبي ﷺ فقال: إن أخاك رجل صالح أو إن عبد الله رجل صالح .أخرجاه في «الصحيحين»[2].

وعن أبي الزناد قال : اجتمع في الحجر مصعب وعروة وعبد الله بنو الزبير وعبد الله ابن عمر فقالوا تمنوا . فقال عبد الله بن الزبير : أما أنا فأتمنى الخلافة . وقال عروة : أما أنا فأتمنى أن يؤخذ عني العلم ، وقال مصعب : أما أنا فأتمنى إمرة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين . قال عبد الله بن عمر : أما أنا فأتمنى المغفرة .

قال : فنالوا ما تمنوا ، ولعل ابن عمر غفر له .

وعن نافع قال دخل ابن عمر الكعبة فسمعته وهو ساجد يقول : قد تعلم ما يمنعني من مزاحمة قريش على هذه الدنيا إلا خوفك [3] .

عن طاوس قال : ما رأيت رجلاً أورع من ابن عمر ، ولا رأيت رجلاً أعلم من ابن عباس.

وقال سعيد بن المسيب : لو كنت شاهدًا لرجل من أهل العلم أنه من أهل الجنة لشهدت لعبد الله بن عمر .

---

(١) رواه البخاري (١١٢٢) ومسلم (فضائل الصحابة / ١٤٠) .
(٢) رواه البخاري (١١٥٦) ومسلم (فضائل الصحابة / ١٣٩) .
(٣) انظر : حلية الأولياء (١/ ٢٩٢ ، ٢٩٤) .

وعن عروة قال : سئل ابن عمر عن شيء فقال : لا علم لي به . فلما أدبر الرجل قال لنفسه : سئل ابن عمر عما لا علم له به فقال لا علم لي به .

وعن نافع أن رجلاً سأل ابن عمر عن مسألة فطأطأ رأسه ولم يجبه حتى ظن الناس أنه لم يسمع مسألته . فقال له : يرحمك الله أما سمعت مسألتي ؟ قال بلى ولكنكم كأنكم ترون أن الله تعالى ليس بسائلنا عما تسألونا عنه ، اتركنا - رحمك الله - حتى نتفهم في مسألتك ، فإن كان لها جواب عندنا وإلا أعلمناك أنه لا علم لنا به .

وعن إبراهيم قال : قال عبد الله : إن أمْلكَ شباب قريش لنفسه عن الدنيا عبدُ الله ابن عمر [1] .

وعن محمد قال : نبئت أن ابن عمر كان يقول : إني لقيت أصحابي على أمر، وإني أخاف إن خالفتهم أن لا ألحق بهم .

وعن سعيد بن المسيب قال : كان أشْبَهَ ولَدِ عمر بعمر عبدُ الله ، وأشبه ولد عبد الله بعبد الله سالم .

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال : ما ناقة أضلَّت فصيلها في فلاة من الأرض بأطلب لأثرها من ابن عمر لعمر بن الخطاب .

وعن المطعم بن مقدام الصنعاني قال : كتب الحجاج بن يوسف إلي عبد الله ابن عمر : بلغني أنك طلبت الخلافة ، وإن الخلافة لا تصلح لِعَيّ ، ولا بخيل ، ولا غيور [2] .

فكتب إليه ابن عمر : أما ما ذكرت من أمر الخلافة أني طلبتها فما طلبتها وما هي من بالي ، وأما ماذكرت من العِيّ والبخل والغَيرة فإنَّ من جمع كتاب الله - عز وجل - فليس بعي ومن أدى زكاة ماله فليس ببخيل . وأما ما ذكرت فيه من الغَيْرة فإن أحقَّ ما عرتُ فيه ولدي ، أن يشركني فيه غيري .

وعن عائشة قالت : ما رأيت أحدًا ألزم للأمر الأول من عبد الله بن عمر [3] .

وعنها قالت : ما رأيت أحدًا أشبه بأصحاب رسول الله ﷺ الذين دفنوا في النُمار من عبد الله بن عمر .

وعن عبد الله بن أبي عثمان قال : كان عبد الله بن عمر أعتق جاريته التي يقال لها

---

(١) انظر : حلية الأولياء (١/ ٢٩٢ ، ٢٩٤) .
(٢) المصدر السابق (١/ ٢٩٣) .
(٣) المصدر السابق (١/ ٣٠١) .

رُميثة ، فقيل : إني سمعت الله - عز وجل - قال في كتابه : ﴿ **لن تنالوا البرَّ حتى تُنفقوا مما تحبُّون** ﴾[١] وإني والله إن كنت لأحبُّك في الدنيا . اذهبى فأنت حرة لوجه الله .

وعن حمزة بن عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر قال : خطرت هذه الآية ﴿**لن تنالوا البرَّ حتى تنفقوا مما تحبّون**﴾ فتذكرت ما أعطاني الله فما وجدت شيئًا أحب إلي من جاريتي رميثة ، فقلت : هذه حرة لوجه الله فلا أعود في شيء جعلته لله ، ولولا ذلك لنكحتها . فأنكحتها نافعًا وهي أم ولده [٢] .

قال : وعن نافع قال : كان ابن عمر إذا اشتد عجبه بشيء من ماله قرَّبه لربه - عز وجل - قال نافع : كان رقيقه قد عرفوا ذلك منه فربما شمر أحدهم فلزم المسجد فإذا رآه ابن عمر على تلك الحال الحسنة أعتقه فيقول له أصحابه : يا أبا عبد الرحمن والله ما بهم إلا أن يخدعوك . فيقول ابن عمر : فمن خدعنا بالله انخدعْنا له [٣] .

قال نافع : فلقد رأيتنا ذات عشية وراح ابن عمر على نجيب [٤] له قد أخذه بمال فلما أعجبه سيره أناخه مكانه ثم نزل عنه فقال : يا نافع انزعوا زمامه ورحله وجلِّلوه وأشعروه وأدخلوه في البُدْن [٥] .

وعن سعيد بن أبي هلال أن عبد الله بن عمر نزل الجحفة وهو شاكٍ فقال : إني لأشتهي حيتانًا . فالتمسوا له فلم يجدوا إلا حوتًا واحدًا فأخذته امرأته صفية بنت أبي عبيد فصنعته ثم قربته إليه . فأتى مسكين حتى وقف عليه فقال له ابن عمر : خذه. فقال أهله : سبحان الله قد عنيتنا ومعنا زاد نعطيه. فقال : إن عبد الله يحبه [٦] .

وعن أبي بكر بن حفص قال : لما اشتكى ابن عمر اشتهى حوتًا فصنُع له . فلما وُضع بين يديه جاء سائل فقال : أعطوه الحوت فقالت امرأته : نعطيه درهمًا فهو أنفع له من هذا واقْض أنت شهوتك منه . فقال : شهوتي ما أريد [٧] .

وعن نافع ، عن ابن عمر أنه كان لا يعجبه شيء من ماله إلا خرج منه لله - عز وجل - قال : وربما تصدق في المجلس الواحد بثلاثين ألفًا . قال : وأعطاه ابن عامر مرتين ثلاثين ألفًا ، قال : فقال ابن عمر : يا نافع إني أخاف أن تفتنني دراهم ابن عامر، اذهب فأنت حر [٨] .

---

(١) سورة آل عمران آية : ٩٢ .
(٢) انظر : الحلية (١/ ٢٩٥) .
(٣) المصدر السابق (١/ ٢٩٤) .
(٤) النجيب من الإبل : هى العتاق التى يسابق عليها .
(٥) الحلية (١/ ٢٩٤) .
(٦) ، (٧) المصدر السابق (١/ ٢٩٧) .
(٨) المصدر السابق (١/ ٢٩٨) .

وكان لا يدمن اللحم شهرًا إلا مسافرًا أو رمضان . قال : وكان يمكث الشهر لا يذوق فيه مُزّعة لحم .

وعن ميمون بن مهران قال : أتت ابن عمر اثنان وعشرون ألف دينار في مجلس فلم يقم حتى فرّقها .

وعن عاصم بن محمد ، عن أبيه ، قال : أعطي ابن عمر بنافع عشرة آلاف أو ألف دينار فقلت : يا أبا عبد الرحمن فما تنظر أن تبيع ؟ قال : فهلا ما هو خير من ذلك ؟ فهو حر لوجه الله - عز وجل - روى هذه الثلاثة أحاديث الإمام أحمد .

وعن أبي بكر بن حفص أن عبد الله بن عمر كان لا يأكل طعامًا إلا وعلى خوانه يتيم. رواه عبد الله بن أحمد .

وعن نافع قال : ما مات ابن عمر حتى أعتق ألف إنسان أو زاد .

وعنه قال : أُتي ابن عمر ببضعة وعشرين ألفًا فما قام من مجلسه حتى أعطاها وزاد عليها قال : ولم يزل يعطي حتى أنفد ما كان عنده فجاءه بعض من كان يعطيه فاستقرض من بعض من كان أعطاه فأعطاه إياه [١] .

وعنه قال : كان يرسل إلى عبد الله بن عمر بالمال فيقبله ويقول : لا أسأل أحدًا شيئًا ولا أرد ما رزقني الله .

وعنه قال : كان ابن عمر يقبض على لحيته ويأخذ ما جاوز القبضة .

وعنه أن معاوية بعث إلى ابن عمر بمائة ألف فلما أراد أن يبايع ليزيد قال : أرى ذلك أراد ، إن ديني عندي إذاً لرخيص ، رواه محمد بن سعد .

وعنه أن معاوية بعث إلى ابن عمر بمائة ألف فما حال الحول وعنده منها شيء.

وعن أبي الوازع قال : قلت لابن عمر : لا يزال الناس بخير ما أبقاك الله لهم. قال : فغضب ثم قال : إني لأحسبك عراقيًا وما يدريك ما يغلق عليه ابنُ أمِّك بابه .

عن عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر عن نافع أن ابن عمر اشتكى فاشتُرى له عنقود عنب بدرهم فجاء مسكين فقال : أعطوه أياه . فخالف إليه [٢] إنسان فاشتراه منه بدرهم ثم جاء به إليه . فجاءه المسكين يسأل فقال : أعطوه إليه. ثم خالف إليه إنسان فاشتراه منه بدرهم ، فأراد أن يرجع فَمُنِعَ ولو علم ابن عمر بذلك العنقود ما ذاقه .

---

(١) المصدر السابق (١/ ٢٩٦) .

(٢) خالف إليه : أي قصده ، وانظر المصدر السابق (١/ ٢٩٧) .

وفي رواية أخرى : اشتهى ابن عمر عنبًا وهو مريض ، فذكر نحو ذلك .

وعن ميمون بن مهران أن امرأة ابن عمر عوتبت فيه فقيل لها : ما تلطّفين هذا الشيخ؟ قالت : فما أصنع ؟ لا نصنع له طعامًا إلا دعا عليه من يأكله . فأرسلتْ إلى قوم من المساكين كانوا يجلسون بطريقه إذا خرج من المسجد فأطعمتهم وقالت لهم لا تجلسوا بطريقه ثم جاء إلى بيته فقال : أرسلوا إلى فلان وإلى فلان . وكانت امرأته أرسلت إليهم بطعام وقالت إن دعاكم فلا تأتوه . فقال ابن عمر : أردتم أن لا أتعشى الليلة . فلم يتعشَّ تلك الليلة [1] .

وعن حمزة بن عبد الله بن عمر قال : لو أن طعامًا كثيرًا كان عند عبد الله بن عمر ما شبع منه بعد أن يجد له آكلاً . فدخل عليه ابن مطيع يعوده فرآه وقد نحُل جسمه فقال لصفية : ألا تلطفيه ؟ فلعله أن يرتد إليه جسمه ، تصنعين له طعامًا . قالت: إنا لنفعل ذلك ولكنه لا يدع أحدًا من أهله ولا من يحضُره إلا دعاه عليه فكلِّمه أنت في ذلك . فقال ابن مطيع : يا أبا عبد الرحمن لو اتخذت طعامًا فرجع إليك جسمك . فقال : إنه ليأتي علي ثمان سنين ما أشبع فيها شبعة واحدة ـ أو قال : لا أسبع فيها إلا شبعة واحدة ـ فالآن تريد أن أشبع حين لم يبق من عمري إلا ظُمْءُ حمار[2] .

وعن عبد الله بن عدي وكان مولىً لابن عمر ـ أنه قدم من العراق فجاءه فسلم عليه فقال: أهديت لك هدية . قال : وما هي ؟ قال : جوارش . قال : وما جوارش ؟ قال: يهضم الطعام . قال : ما ملأتُ بطني طعامًا منذ أربعين سنة ، فما أصنع به ؟[3] .

وعن ميمون بن مهران أن رجلاً من بني عبد الله بن عمر استكساه إزارًا وقال : قد تخرَّق إزاري فقال : ارقع إزارك . ثم ألبسه ، فكره الفتى ذلك فقال له عبد الله : ويحك اتق الله ولا تكونن من القوم الذين يجعلون ما رزقهم الله - عز وجل - في بطونهم وعلى ظهورهم [4] .

وعن سفيان قال : أراد ابن عمر مرَّة الصَّدر من مكة فاتخذ له ابن صفوان سُفرةً من نقيٍ وفالوذج وأخبصة وبعث بها إليه فأتي بها فلما نظر إليها بكى وقال: ما هكذا كنا ، ما شبعتِ منذ أسلمت . وأمر بها فقسمت على أهل الماء ، ودعا بسفرته وقال لا خير إلا فيما يبقى نفعه غدًا .

وعن القاسم بن أبي بزة قال : حدثني من سمع ابن عمر قرأ ﴿ وَيْلٌ للمطفِّفين ﴾

---

(١) المصدر السابق (١/٢٩٨) .

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة .

(٣) المصدر السابق (١/٣٠٠) .

(٤) المصدر السابق (١/٣٠١) .

حتى بلغ ﴿ **يوم يقوم الناسُ لرب العالمين** ﴾ [(١)] قال : فبكى حتى حنَّ وامتنع من قراءة ما بعد .

وعن البراء بن سليم الأول قال : سمعت نافعًا يقول : ما قرأ ابن عمر هاتين الآيتين قطُّ من آخر سورة البقرة إلا بكى ﴿ **وإنْ تُبْدُوا ما في أنفُسِكم أو تُخْفوه** ﴾ [(٢)] ثم يقول : إن هذا لإحصاء شديد . رواهما الإمام أحمد .

وعن هشام بن يحيى الغساني عن أبيه قال : جاء سائل إلى ابن عمر ، فقال لابنه : أعطه دينارًا . فلما انصرف قال له ابنه تقبَّل الله منك يا أبتاه . فقال : لو علمت أن الله يقبل مني سجدة واحدة وصدقة درهم لم يكن غائب أحبَّ إليَّ من الموت ، أتدري ممن يتقبل ؟ إنما يتقبل الله من المتقين .

وعن مجاهد قال : صحبت ابن عمر وأنا أريد أن أخدمه فكان يخدمني أكثر .

وعن وهيب أن ابن عمر - رحمه الله - باع جملاً فقيل : لو أمسكته فقال : لقد كان موافقًا ولكنه أذهب شُعبةً من قلبي فكرهت أن أشغل قلبي بشيء رواهما الإمام أحمد .

وعن محمد بن زيد أن أباه أخبره أن عبد الله بن عمر كان له مهراس [(٣)] فيه ماء فيصلي ما قُدِّر له ثم يصير إلى الفراش فَيُغفي إغفاء الطير ، ثم يثب فيتوضأ ثم يصلي ، يفعل ذلك الليلة أربع مرارٍ أو خمس مرار .

وعن نافع ، عن ابن عمر أنه كان يحيى الليل صلاة ثم يقول : يا نافع أسْحرنا ؟ فأقول: لا فيعاود الصلاة ، ثم يقول : يا نافع أسْحَرْنا ؟ فأقول : نعم . فيقعد ويستغفر ويدعو حتى يصبح . وعنه عن ابن عمر أنه كان يحيى ما بين الظهر والعصر [(٤)] .

وعن طاوس قال : ما رأيت مصليًا كهيئة عبد الله بن عمر أشد استقبالاً للكعبة بوجهه وكفّيه وقدميه .

وعن عبد الله بن سبرة قال : كان ابن عمر إذا أصبح قال : اللهم اجعلني من أعظم عبادك نصيبًا في كل خير تقسمه الغداة ، ونور تهدي به ، ورحمةٍ تنشرها ، ورزقٍ تبسطه، وضرٍ تكشفه ، وبلاءٍ ترفعه ، وفتنةٍ تصْرفها .

وعن سمير الرياحي عن أبيه قال : شـرب عبد الله بن عمر ماء مبردًا فبكي فاشتد بكاؤه، فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : ذكـرت آية في كتاب الله - عـز وجـل - : ﴿**وَحِيلَ**

---

(١) أول سورة المطففين . (٢) سورة البقرة آية : ٢٨٤ .

(٣) المهراس : حجر مستطيل ثقيل ينقل لوضع الماء فيه أو لدق الطعام فيه .

(٤) انظر : حلية الأولياء (١/ ٣٠٤) .

بينهم وبينَ ما يَشْتَهُون﴾ (١) فعرفت أن أهل النار لا يشتهون شيئًا ، شهوتهم الماء ، وقد قال الله - عز وجل : ﴿أفيضُوا علينا من الماء أوْ ممّا رزَقكم الله﴾ (٢) .

وعن جابر بن عبد الله قال : ما أدركنا أحدًا - أو قال : ما رأينا أحدًا - إلا قد مالت به الدنيا أو مال بها إلا عبد الله بن عمر .

وعن نافع قال : كان ابن عمر إذا قرأ : ﴿ألَمْ يأنِ للذين آمنوا أن تَخْشَعَ قُلوبُهم لذكْرِ الله﴾ (٣) بكى حتى يغلبه البكاء .

وعن مجاهد عن ابن عمر قال : لا يصيب عبدٌ شيئًا من الدنيا إلا نَقص من درجاته عند الله - عز وجل - وإن كان عليه كريمًا (٤) .

وعن عمرو بن ميمون ، عن أبيه قال : قيل لعبد الله بن عمر : توفي فلان الأنصاري. قال : رحمه الله . فقال : ترك مائة ألف : قال : لكن هي لم تتركه (٥) .

وقال رجل لابن عمر : يا خير الناس وابن خير الناس . فقال ابن عمر : ما أنا بخير الناس ولا ابن خير الناس ، ولكني عبد من عباد الله - عز وجل - أرجو الله - عز وجل وأخافه ، والله لن تزالوا بالرجل حتى تهلكوه (٦) .

وعن نافع قال : كان البرُّ لا يُعرف في عمر ولا في ابنه حتى يقولا أو يعملا .

وعنه ، عن ابن عمر أنه نزل على رجل فلما مضت ثلاث قال : يا نافع أنفق علينا من مالنا .

وعن قتادة قال : سئل ابن عمر عن « لا إله إلا الله » هل يضر معها عمل، كما ينفع مع تركها عمل ؟ قال ابن عمر : عش ولا تغتر (٧) .

وعن مجاهد ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ أحبَّ في الله وأبغِضْ في الله وعادِ في الله فإنك لن تنال ولاية الله إلا بذلك ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك وصارت مؤاخاة الناس في أمر الدنيا وإن ذلك لا يجزى عند الله شيئًا » (٨) .

قال وقال لي ابن عمر : إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ، وخذ من صحتك لسقمك ومن حياتك لموتك ، فإنك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غدًا (٩) .

---

(١) سورة سبأ آية : ٥٤ . (٢) سورة الأعراف آية : ٥٠ . (٣) سورة الحديد آية : ١٦ .
(٤) ، (٥) انظر : حلية الأولياء لأبى نعيم (١/ ٣٠٦) . (٦) المصدر السابق (١/ ٣٠٧) .
(٧) المصدر السابق (١/ ٣١١) . (٨) ، (٩) المصدر السابق (١/ ٣١٢).

قال : وأخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدي فقال : كن في الدنيا غريبًا أو عابر سبيل وعُدَّ نفسك من أهل القبور . رواه الطبراني [1] .

(ذكر وفاة ابن عمر)

عن عطية العوفي قال : سألت مولى لعبد الله بن عمر عن موت عبد الله بن عمر فقال: أصابه رجل من أهل الشام بزُجَّه في رِجْله فأتاه الحجاج يعوده فقال: لو أعلم الذي أصابك لضربت عنقه فقال عبد الله :أنت الذي أصبْتني . قال : كيف ؟ قال : يوم أدخلت حرم الله السلاح .

وعن أيوب قال : قلت لنافع : ما كان بدء موت ابن عمر ؟ قال : أصابته عارضة محمل بين أصبعين من أصابعه عند الجمرة في الزحام فمرض ، فأتاه الحجاج يعوده فغمض عينيه . فكلمه الحجاج فلم يكلمه .

وعن نافع قال كان زُجُّ رمحِ رجل من أصحاب الحجاج قد أصاب رجل ابن عمر . فاندمل الجرحُ . فلما صدر انتقض عليه . فدخل الحجاج يعوده فقال : من أصابك ؟ قال: أنت قتلتني . قال وفيمَ ؟ قال : حملت السلاح في حرم الله فأصابني بعض أصحابك .

فلما حضرته الوفاة أوصى أن لا يدفن في الحرم فغلب فدفن في الحرم ، وصلى عليه الحجاج .

وفي رواية عن نافع قال : لم يقدر على ذلك ، من الحجاج ، فدفناه في مقبرة المهاجرين بفخٍّ نحو ذي طُوى . ومات بمكة سنة أربع وسبعين ، وقيل سنة ثلاث وسبعين وهو ابن أربع وثمانين سنة - رضي الله عنه .

٦٣ ـ عمرو ابن أم مكتوم[2]

وهو عمر بن قيس . وقيل : اسمه عبد الله . واسم أمه عاتكة وتُكنى أم مكتوم .

أسلم بمكة وهو ضرير البصر ، وهاجر إلى المدينة وكان يؤذن للنبي ﷺ بالمدينة مع بلال. وكان رسول الله ﷺ يستخلفه على المدينة يصلي بالناس في عامة غزواته .

وعن البَراء بن عازب قال : أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عُمير، ثم قدم علينا ابن أم مكتوم الأعمى . رواه أحمد .

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٢/٣٩٩ ، ٤١٨) وله أصل في البخاري كتاب الرقاق (٦٤٢٦) بنحوه .

(٢) انظر : الحلية (٢/ ٤) ، وسير الأعلام (١/ ٣٦٠) ، والإصابة (٢/ ٥٢٣) .

وعن ابن عباس قال : بينا رسول الله ﷺ يناجي عُتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام - وذكر آخر - وكان يتصدى لهم كثيرًا ويُقبل عليهم رجاء أن يؤمنوا ، فأقبل عليه رجل أعمى يقال له عبد الله ابن أم مكتوم وهو يناجيهم . فجعل عبد الله يستقريء رسول الله ﷺ آية من القرآن وقال : يا رسول الله علمني مما علمك الله فأعرض عنه رسول الله ﷺ وعبس في وجهه وتولى عنه وكره كلامه وأقبل على الآخرين . فلما قضى رسول الله ﷺ نجواه وأخذ ينقلب إلى أهله أنزل الله تعالى ﴿ **عبس وتولى أن جاءه الأعمى** ﴾ (1) فلما نزل فيه ما نزل أكرمه النبي ﷺ وكلمه : يقول له : ما حاجتك ؟ وهل تريد مني شيئًا ؟ وإذا ذهب من عنده قال : هل لك حاجة في شيء ؟ .

وعن البراء أن النبي ﷺ قال : ائتوني بالكتف أو اللوح فكتب : ﴿ **لا يَسْتَوي القاعدون من المُؤمنين** ﴾ (2) وعَمْرو ابن أم مكتوم خلف ظهره فقال: هل لي من رخصة ؟ فنزلت : ﴿ **غير أُولي الضَّرر** ﴾ .

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : نزلت : ﴿ **لا يستوى القاعدون** ﴾ فقال ابن أم مكتوم : أيْ ربِّ أَنْزِلْ عُذري فأنزل الله : ﴿ **غير أولي الضَّرر** ﴾ فجعل بينهما .

وكان بعد ذلك يغزو ويقول : ادفعوا إليَّ اللواء فإني أعمى لا أستطيع أن أفرَّ وأقيموني بين الصفَّين . قال أنس بن مالك : كان مع ابن أم مكتوم يوم القادسية راية ولواء .

قال الواقدي : مات ابن أم مكتوم بالمدينة ولم نسمع له بذكر بعد عمر - رضي الله عنهما .

٦٤ - أبو ذر جندب بن جنادة

وفي اسمه خلاف كثير قد ذكرته في كتابي المسمى « بالتلقيح » (3) . وكان أبو ذر طُوالاً آدم ، وكان يتعبد قبل مبعث رسول الله ﷺ ، وأسلم بمكة قديمًا وقال : كنت في الإسلام رابعًا . ورجع إلى بلاد قومه فأقام بها حتى مضت بدر وأحد والخندق . ثم قدم المدينة . قال خفاف بن إيماء : كان أبو ذر شجاعًا ينفرد وحده فيقطع الطريق ويغير على الصِّرم كأنه السبع ، ثم إن الله قذف في قلبه الإسلام وسمع بالنبي ﷺ بمكة فأتاه .

وعن عبد الله بن صامت قال : قال أبو ذر : لقد صليتُ يا ابن أخي قبل ألقى رسول الله ﷺ بثلاث سنين . قال فقلت : لمن ؟ قال الله . قلت : فأين تتوجه؟ قال : حيث

---

(1) أول سورة عبس . (2) سورة النساء آية : ٩٥ .

(3) هو كتابه الكبير « تلقيح فهوم أهل الأثر فى عيون التواريخ والسير » طبع أكثر من طبعة .

وجهني الله - عز وجل - قال : وأصلي عشاءً حتى إذا كان من آخر الليل أُلقيت كأني خفاء حتى تعلوني الشمس .

قال أبو ذر : فانطلقنا حتى نزلت بحضرة مكة وانطلق أخي أنيس فراث عليَّ فقلت : ما حبسك ؟ قال : لقيت رجلاً يزعم أن الله - عز وجل - أرسله على دينك .

قال فقلت : ما يقول الناس فيه ؟ قال : يقولون إنه شاعر وساحر وكاهن .

قال أنيس : قد سمعت قول الكهان فما يقول بقولهم وقد وضعتُ قوله على أقراء الشعراء فوالله ما يُلتام ، ووالله إنه لصادق وإنهم لكاذبون .

قال : فقلت له : هل أنت كافيَّ حتى أنطلق فأنظر ؟ قال : نعم فكن من أهل مكة على حذر فإنهم قد شَنَفوا له وتجهموا له . فانطلقت حتى قدمت مكة فتضعفت رجلاً منهم فقلت له : أين هذا الرجل الذي يدعونه الصابيء ؟ قال : فأشار إليَّ قال الصابيء. قال: فمال أهلُ الوادي عليَّ بكل مَدَرة وعظْم حتى خررت مغشيًا عليَّ ، فارتفعت حين ارتفعت كأني نُصب أحمر ، فأتيت زمزم فشربت من مائها وغسلت عني الدم فدخلت بين الكعبة وأستارها فلبثت به يا ابن أخي ثلاثين ، من بين ليلة ويوم ، وما لي طعام إلا ماء زمزم ، فسمنت حتى تكسرت عُكَن بطني وما وجدت في كبدي سَخْفةَ جوع .

قال : بينما أهل مكة في ليلة قمراء - أي مضيئة - إضحيانٍ وضرب الله على أضمخة أهل مكة ، وما يطوف بالبيت غير امرأتين فأتتا عليَّ وهما تدعوانِ إسافًا ونائلة . فقلت أنكحوا أحدهما الآخر قال : فما ثناهما ذلك . قال : فأتتا عليَّ فقلت : هن مثل الخشبة غير أني لم أكن . فانطلقتا تُولْوِلان وتقولان : لو كان هاهنا أحد من أنفارنا . قال : فاستقبلهما رسول الله ﷺ وأبو بكر وهما هابطان من الجبل فقالا : ما لكما ؟ قالتا : الصابيء بين الكعبة وأستارها . قالا : فما قال لكما ؟ قالتا : قال لنا كلمة تملأ الفم .

قال : فجاء رسول الله ﷺ هو وصاحبة حتى استلم الحجر فطاف بالبيت ثم صلى ركعتين. قال : فأتيته فكنت أول من حياه بتحية الإسلام ، فقال : وعليك السلام ورحمة الله ممن أنت ؟ قال : قلت من غفار . قال : فأهوى بيده فوضعها على جبهته . قال : فقلت في نفسي : كره أن انتميت إلى غفار . قال: فأردت أن آخذ بيده فقد عني صاحبه وكان أعلم به مني ، قال : متى أنت هاهنا؟ قال : قلت : كنت هاهنا منذ ثلاثين من يوم وليلة . قال : فمن كان يطعمك ؟ قلت : ما كان لي طعام إلا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطني وما وجدت على كبدي سخفة جوع . فقال رسول الله ﷺ : إنها مباركة ، إنها طعامُ طُعْم.

قال أبو بكر : ائذن لي يا رسول الله ﷺ في طعامه الليلة قال ففعل قال : فانطلق

النبي ﷺ وانطلقتُ معهما حتى فتح أبو بكر بابًا فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف . قال: فكانَ ذلك أول طعام أكلته بها .

فلبثت ما لبثت ثم قال لي رسول الله ﷺ : إني وجِّهت إلى أرض ذات نخل فلا أحسبها إلا يثرب فهل أنت مبلغ عني قومك لعل الله - عز وجل - ينفعهم بك ويأجُرك فيهم. قال فانطلقت حتى أتيت أخي أنيسًا . قال فقال لي : ما صنعت؟ قال : قلت صنعت إني قد أسلمت وصدَّقت . قال : فما بي رغبة عن دينك فإني قد أسلمت وصدقت . ثم أتينا أمنا فقالت : ما بي رغبة عن دينكما فإني قد أسلمت وصدقت .

فتحملنا حتى أتينا قومنا غفارًا فأسلم بعضهم قبل أن يقدم رسول الله ﷺ المدينة ، وكان يؤمهم خفاف بن إيماء بن رخصة الغفارى وكان سيدهم يومئذ . وقال بقيتهم : إذا قدم رسول الله ﷺ أسلمنا فقدم رسول الله ﷺ المدينة فأسلم بقيتهم ، فقال رسول الله ﷺ : غفار غفر الله وأسلم سالمها الله . انفرد بإخراجه مسلم [1] .

وفي « الصحيحين » من حديث ابن عباس أن أبا ذر لما دخل على رسول الله ﷺ وأسلم قال له النبي ﷺ : ارجع إلى قومك حتى يأتيك أمري . فقال : والذي نفسي بيده لأصرخن بها بيْن ظهرانَيْهم فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته: « أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله » . وثار القوم فضربوه حتى أضجعوه وأتى العباس فأكب عليه فقال : ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار وأن طريق تجارتكم إلى الشام ؟ يعني عليهم. فأنقذه منهم . ثم عاد من الغد لمثلها وثاروا إليه فضربوه فأكب عليه العباس فأنقذه[2] .

وعن أبي حرب بن أبي الأسود قال : سمعت عبد الله بن عمر [*] قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما أقلَّت الغبراء ولا أظلَّت الخضراء من رجل أصدق من أبي ذر . رواه الإمام أحمد [3] .

وعن محمد بن واسع أن رجلاً من أهل البصرة ركب إلى أم ذر بعد موته فسألها عن عبادة أبي ذر قالت : كان نهاره أجمع في ناحية يتفكر .

وعن عبد الله بن سيدان عن أبي ذر أنه قال : في المال ثلاثة شركاء : القدر لا يستأمرك أن يذهب بخيرها أو شرها أو شرها من هلاك أو موت . والوارث ينتظر أن

---

(١) رواه مسلم فضائل الصحابة (١٣٢) .

(٢) رواه البخارى (٣٨٦١ ، ٣٥٢٢) ، ومسلم فضائل الصحابة (١٣٣) .

(٣) رواه أحمد (٢/١٦٣) ، والترمذى (٣٨٠١) وحسنه ، والحاكم (٣/٣٤٢) .

(*) كذا فى جميع النسخ التى لدينا ، وفى رواية الترمذى وغيره « عبد الله بن عمرو » .

تضع رأسك ثم يستاقها وأنت ذميم . وأنت الثالث فإن استطعت أن لا تكون أعجز الثلاثة فلا تكونن . إن الله - عز وجل - يقول : ﴿ **لَنْ تنالوا البِرَّ حتى تُنفِقوا مما تحبُّون** ﴾[1] وإن هذا الجمل مما كنت أحب من مالي فأحببت أن قدمه لنفسي .

وعن سفيان الثوري قال : قام أبو ذر الغفارى عند الكعبة فقال : يا أيها الناس أنا جندب الغفاري هلموا إلى الأخ الناصح الشفيق . فاكتنفه الناس فقال : أرأيتم لو أن أحدكم أراد سفرًا أليس يتخد من الزاد ما يصلحه ويبلِّغه ؟ قالوا : بلى . قال : فإن سفر طريق القيامة أبْعَدُ ما تريدون ، فخذوا ما يصلحكم . قالوا : وما يُصلحنا ؟ قال : حجوا حجة لعظائم الأمور وصوموا يومًا شديدًا حرُّه لطول النشور وصلوا ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور ، كلمة خير تقولها أو كلمة شر تسكت عنها لوقوف يوم عظيم . تصدق بمالك لعلك تنجو من عسيرها . اجعل الدنيا مجلسين مجلسًا في طلب الحلال ومجلسًا في طلب الآخرة . الثالث يضرك ولا ينفعك لا ترده . إجعل المال درهمين درهمًا تنفقه على عيالك من حلِّه ، ودرهمًا تقدمه لآخرتك الثالث يضرك ولا ينفعك لا ترده .

ثم نادى بأعلى صوته : يا أيها الناس قد قتلكم حرص لا تدركونه أبدًا .

وعن عطاء بن محمد ، قال إبراهيم التيمي : قال أبي : خرجنا حجاجًا فوجدنا أبا ذر بالرَّبذة قائمًا يصلي . فانتظرناه حتى فرغ من صلاته ثم أقبل علينا بوجهه فقال : هلم إلى الأخ الناصح الشفيق ثم بكى فاشتد بكاؤه وقال : قتلني حب يومٍ لا أدركه . قيل وما يوم لا تدركه ؟ قال : طول الأمل .

وعن بكر بن عبد الله عن أبي ذر قال : يكفي من الدعاء مع البِرِّ ما يكفي الطعام من الملح .

وعن عراك بن مالك قال : قال أبو ذر : إني لأقربكم مجلسًا من رسول الله ﷺ يوم القيامة ، وذلك أني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أقربكم مني مجلسًا يوم القيامة ، من خرج من الدنيا كهيئة ما تركته فيها » وإنه والله ما منكم من أحد إلا وقد تشبث بشيء منها ، غيري[2] .

وعن أبي السليل قال : جاءت ابنة أبي ذر وعليها صوف ، سفعاء الخدين ، ومعها قفة لها فمكثت بين يديه وعنده أصحابه فقالت : يا أبتاه زعم الخازنون والزارعون أن أفلُسك

---

(١) سورة آل عمران آية : ٩٢ .

(٢) رواه أحمد (١٦٥/٥) ، قال الهيثمي : عراك بن مالك لم يسمع من أبي ذر فيما أحسب والله أعلم ورواه الطبراني بنحوه .

هذه بهرجة . فقال : يا بُنية ضعيها فإن أباك أصبح بحمد الله لا يملك من صفراء ولا بيضاء إلا أفلُسه هذه .

وعن نافع الطاحي قال : مررت بأبي ذر فقال لي : ممن أنت قلت : من أهل العراق. قال : أتعرف عبد الله بن عامر ؟ قلت : نعم . قال : فإنه كان يتقرأ معي ويلزمني ، ثم طلب الإمارة . فإذا قدمت البصرة فترايا له فإنه سيقول ألك حاجة فقل له : أخلني ، فقل له : أنا رسول أبي ذر إليك وهو يقرئك السلام ويقول لك : إنا نأكل من التمر ونشرب من الماء ونعيش كما تعيش .

فلما قدمت تراءيت له فقال : ألك حاجة ؟ فقلت : أخلني أصلحك الله . فقلت : أنا رسول الله أبي ذر إليك ـ فلما قلتها خشع لها قلبه ـ وهو يقرأ عليك السلام ويقول لك: إنا نأكل من التمر ونشرب من الماء ونعيش كما تعيش . قال : فحلل إزاره ثم أدخل رأسه في جيبه ثم بكى حتى ملأ جيبه بالبكاء .

وعن أبي بكر بن المنكدر قال : بعث حبيب بن مسلمة وهو أمير بالشام إلى أبي ذر بثلاث مائة دينار وقال : استعن بها على حاجتك فقال أبو ذر : ارجع بها إليه أو ما وجد أحدًا أغر بالله – عز وجل – منا ؟ ما لنا إلا ظلٌ نتوارى به ، وثلَّة من غنم تروح علينا، ومولاة لنا تصدقت علينا بخدمتها ثم إني لأتخوف الفضْل .

وعن جعفر بن سليمان قال : دخل رجل على أبي ذر فجعل يقلب بصره في بيته فقال: يا أبا ذر أين متاعكم ؟ قال : لنا بيت نوجه إليه صالح متاعنا . قال : إنه لا بد لك من متاع ما دمت هاهنا ، قال : إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه .

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي قال : والله لو تعلمون ما أعلم ما انبسطتم إلى نسائكم ولا تقاررْتم على فرشكم . والله لوددت أن الله – عز وجل – خلقني يوم خلقني شجرة تُعضد ويؤكل ثمرها .

عن ابن عمر بن الخطاب عن أبيه قال : قال أبو ذر : الصاحب الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من صاحب السوء ، ومملي الخير خير من الصامت، والصامت خير من مملي الشر ، والأمانة خير من الخاتم ، والخاتم خير من ظن السوء .

(ذكر خروج أبى ذر – رضي الله عنه – إلى الربَّذة)

روى البخاري في أفراده من حديث زيد بن وهب قال : مررت بالربذة فقلت لأبي ذر: ما أنزلك هنا ؟ قال : كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية : ﴿**والذين يكنزون الذهب والفضَّةَ**﴾ (1) فقال : نزلتْ في أهل الكتاب . فقلت : فينا وفيهم .

(1) سورة التوبة آية : ٣٤ .

فكتب يشكوني إلى عثمان . فكتب عثمان: أقْدم المدينة فقدمتُ فكثر الناس علي كأنهم لم يروني قبل ذلك فذكر ذلك لعثمان فقال : إن شئت تنحَّيت فكنت قريبًا. فذلك الذي أنزلني هذا المنزل .

وروى ابن سيرين قال : قدم أبو ذر المدينة ، فقال عثمان : كن عندي تغدو عليك وتروح اللقَّاح . قال : لا حاجة لي في دنياكم . ثم قال : ائذن لي حتى أخرج إلى الرَّبذَة . فأذن له فخرج .

(ذكر وفاة أبي ذر – رضي الله عنه)

عن إبراهيم الأشتر عن أبيه عن أم ذر قالت : لما حضر أبا ذر الوفاةُ بكيت فقال: ما يبكيك ؟ فقلت : ما لي لا أبكي وأنت تموت بفلاة من الأرض ولا يدانِ لي بنعشك، وليس معنا ثوب يسعُك كفنًا ، ولا لك . فقال : لا تبكي وأبشرى فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يموت بين امرأين مسلميْن ولدان أو ثلاثة فيصبران ويحتسبان فيريان النار أبدًا » وإني سمعت رسول الله يقول لنفر أنا فيهم : « ليموتَنَّ رجل منكم بفلاة من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين » وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد مات في قرية أو جماعة وإني أنا الذي أموت بالفلاة ، والله ما كذبت ولا كُذبت ، فأبصرى الطريق . قالت : فقلت أنىَّ وقد ذهب الحاجُّ وتقطعت الطرق ؟ فقال :انظري . فكنت أشتد إلى الكثيب فأقوم عليه ثم أرجع إليه فأمرِّضه .

قالت : فبينما أنا كذلك إذ أنا برجال على رواحلهم كأنهم الرُّخْم . فألحتُ بهم فأسرعوا إليَّ ووضعوا السياط في نحورها يستبقون إليَّ ، فقالوا : ما لك يا أمة الله ؟ فقلت : امرؤ من المسلمين تكفِّنونه ، يموت . قالوا : ومن هو ؟ قلت أبو ذر . قالوا صاحب رسول الله ﷺ ؟ قلت : نعم .

قالت : ففدوه بآبائهم وأمهاتهم وأسرعوا إليه حتى دخلوا عليه فسلموا عليه فرحب بهم وقال : أبشروا فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يموت بين امرأين من المسلمين ولدان أو ثلاثة فيصبران ويحتسبان فيريان النار أبدًا وسمعته يقول لنفر أنا فيهم: « ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين » وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد هلك في قرية أو جماعة وأنا الذي أموت بفلاة من الأرض ، والله ما كذبت ولا كُذبت ، وإنه لو كان عندي ثوب يسعني كفنًا أو لا مرأتي ثوب يسعني كفنًا لم أكفن إلا في ثوب هو لي أو لها ، وإني أنشدكم الله لا يكفني رجل منكم كان أميرًا أو عريفًا أو بريدًا أو نقيبًا قال : فليس من القوم أحد إلا وقد قارف من ذلك شيئًا إلا فتًى من الأنصار فقال : أنا أكفنك في ردائي هذا وفي ثوبين في عيبتي من غَزْل أمي . قال : أنت فكفنِّي . فكفنه

الأنصارى ودفنه في النفر الذين معه منهم حجر بن عديٍّ بن الزدبر ومالك بن الأشتر في نفر كلهم يمانٍ [1] .

وقد ذكر محمد بن إسحاق في المغازى أن أبا ذر مات بالرَّبذة سنة اثنتين وثلاثين وصلَّى عليه ابن مسعود مُنصرفه من الكوفة .

وعن القُرَظي قال ، خرج أبو ذر إلى الربذة فأصابه قدره فأوصاهم أن كفنوني ثم ضعوني على قارعة الطريق ، فأول ركْب يمرون بكم فقولوا لهم : هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ فأعينونا على غسله ودفنه . فأقبل ابن مسعود في ركب من أهل العراق - رضي الله عنه .

٦٥ ـ الطفيل بن عمرو بن طريف الدوسى رضي الله عنه

عن عبد الواحد بن أبي عون قال كان طُفيل الدَّوْسي رجلاً شريفًا شاعرًا كثير الضيافة . فقدم مكة فلقيه رجال من قريش فقالوا : إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا وفرق جماعتنا وشتَّت أمرنا ، وإنما قوله كالسحر يفرِّق بين الرجل وبين ابنه ، وبين الرجل وبين زوجته ، وإنا نخشى عليك وعلى قومك مثل ما دخل علينا منه ، فلا تسمع منه .

قال : فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئًا ولا أكلمه . فغدوت إلى المسجد وقد حشوت أذنيَّ قطنًا فكان يقال لي ذو القطنتين . فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي فقمت قريبًا منه فسمعت بعض قوله ، فقلت في نفسي: وأُثكِل أمي ، والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفي عليَّ الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا فإن كان حسنًا قبلته وإن كان قبيحًا تركتُه .

فمكثت حتى انصرف إلى بيته فدخل فدخلت معه فقلت : إن قومك قالوا لي كذا وكذا فأعرض أمرك عليَّ . فعرض عليَّ الإسلام وتلا عليَّ القرآن فقلت : لا والله ما سمعت قولاً قط أحسن من هذا ولا أمرًا أعدل منه . فأسلمت وقلت : يا نبيَّ الله إني امرؤ مطاع في قومي وإني راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام فادْع الله أن يكون لي عونًا عليهم . فقال: « اللهم اجعل له آية » .

فخرجت إلى قومي حتى إذا كنت بِثَنِيَّة تطلعني على الحاضر وقع نور بين عيني مثلُ المصباح فقلت : اللهم في غير وجهي فإني أخشى أن يظنوا إنها مُثْلة وقعت في وجهي

---

(١) رواه ابن حبان (١٥/ ٦٠) ، والحاكم (٣/ ٣٤٤ - ٣٤٦) ، والبيهقى فى الدلائل (٦/ ٤٠١ ، ٤٠٢) ، وانظر الاستيعاب (١/ ٢١٥ - ٢١٧) .

لفراق دينهم فتحول النور فوقع في رأس سَوْطي . فجعل الحاضر يتراءون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلق . فأتاني أبي فقلت : إليك عني فإنك لست مني ولست منك . قال: ولم يا بني ؟ قلت : إني أسلمت واتبَّعت محمدًا . قال : يا بني ، ديني دينُك فقلت: فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك ففعل ثم جاء فعرضت عليه الإسلام . ثم أتتني صاحبتي فقلت : إليك عني فلستُ منك ولست مني . قالت : ولم بأبي أنت ؟ قلت: فرق بيني وبينك الإسلام إني أسلمت وتابعت دين محمد . قالت : فديني دينك . فأسلمت .

ثم دعوت دَوسًا إلى الإسلام فأبطؤوا عليَّ . ثم جئت رسول الله ﷺ إلى المدينة فقلت: قد غلبتني دوس فادعُ الله عليهم . فقال : « اللهم اهْد دوْسًا » . وقال لي اخرج إلى قومك فادْعُهم وارفق بهم . فخرجت أدعوهم حتى هاجر النبي ﷺ إلى المدينة. ومضت بدر وأحد والخندق . ثم قدمتُ بمن أسلم ورسول الله ﷺ بخيبر ، حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتًا من دَوْس، ولحقنا رسول الله ﷺ بخيبر ، فأسْهَم لنا مع المسلمين . وقلنا : يا رسول الله اجعلْنا في ميمنتك واجعل شعارنا مبرورًا . ففعل [1] .

فلم أزل مع النبي ﷺ حتى فتح مكة فقلت : ابعثني يا رسول الله إلى ذي الكفَّين صنم عمرو بن حُممَة أُحرِقه . فبعثه إليه فحرّقه فلما أحرقه بان لمن تمسَّك به أنه ليس على شيء . فأسلموا جيمعًا ورجع الطفيل فكان مع النبي ﷺ حتى مات .

فلما ارتدت العرب خرج مع المسلمين فجاهد ثم خرج إلى اليمامة ومعه ابنه عمْرو فقُتل الطفيل باليمامة وجُرح ابنه عمرو وقطعت يده . ثم استبلَّ وصحت يده . فبينما هو عند عمر بن الخطاب إذ أتي بطعام فتنحَّى عنه . فقال عمر : ما لك لعلك تنحيت لمكان يدك؟ قال : أجل . قال : والله لا أذوقه حتى تسُوطه، فوالله ما في القوم أحد بعضُه في الجنة غيرك .

ثم خرج عام اليرموك في خلافة عمر مع المسلمين فقتل شهيدًا .

٦٦ ـ ضماد الأزدي (من أزد شنوءة) [2]

عن ابن عباس أن ضمادًا قدم مكة وكان من أزد شنوءة ، وكان يرقي من الريح. فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون : إن محمدًا مجنون فقال : لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدي .

قال : فلقيه فقال : يا محمد إني أرقي من الريح ، وإن الله يشفي على يدي من شاء،

---

(١) انظر : موسوعة الصحابة الجزء الثاني .

(٢) انظر : الإصابة (٢/ ٢١٠) ، وأُسد الغابة (٣/ ٥٦) .

فهل لك ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مُضلَّ له ، ومن يُضلِل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله . أما بعد » .

قال : فقال : أعد عليَّ كلماتك هؤلاء . فأعادهنَّ عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات فقال : لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعتُ مثل كلماتك هؤلاء، لقد بلغن قاموس البحر ، هات يدك أبايعك على الإسلام. فبايعه ، فقال رسول الله ﷺ : « وعلى قومك » فقال : وعلى قومي . فبعث رسول الله ﷺ سرية فمروا بقومه فقال صاحب الجيش : هل أصبتم من هؤلاء شيئًا ؟ فقال رجل : أصبت منهم مطهَرة. فقال : رُدُّها فإن هؤلاء قومُ ضماد انفرد بإخراجه مسلم [1] .

٦٧ ـ أبو رهم كلثوم بن الحصين الغفاري رضي الله عنه

قال محمد بن سعد : أسلم أبو رُهْم بعد قدوم النبي ﷺ المدينة وشهد معه أُحدًا ، ورُمي يومئذ بسهم فوقع في نحره فجاء إلى رسول الله ﷺ فبصق عليه فبرأ. فكان يسمى «المنحور » .

قال : وقال محمد بن عمر : وبينا رسول الله ﷺ يسير من الطائف إلى الجِعْرانة وأبو رُهم إلى جنبه على ناقة له وفي رجليه نعلان له غليظان ، إذا زحمت ناقتُه ناقة رسول الله ﷺ قال أبو رهم : فوقع حرف نعلي على ساقه فأوجعه ، فقال رسول الله ﷺ : «أوجعتني أخِّر رجلك » وقرع رجلي بالسَّوط. فأخذني ما تقدم وما تأخر وخشيت أن ينزل فيَّ قرآنٌ لعظيم ما صنعت .

فلما أصبحنا بالجعرانة خرجت أرعى الظهر ، وما هو يومي ، فرقًا أن يأتي للنبي ﷺ رسولٌ يطلبني . فلما روَّحت الركاب سألت فقالوا : طلبك النبي ﷺ فقلت : إحداهن والله . فجئته وأنا أترقب فقال « إنك أوجعْتني برجلك فقرعتك بالسوط فأوجعتك ، فخذ هذه الغنم عوضًا من ضربتي » [2] .

قال : فرضاه عني كان أحبَّ إليَّ من الدنيا وما فيها .

قال : وبعثه رسول الله ﷺ إلى قومه يستنفرهم حين أراد تبوكًا .

٦٨ ـ وهب بن قابوس المزني

قال محمد بن سعد : أقبل وهب بن قابوس ومعه ابن أخته الحارث بن عقبة بغنم لهما

---

(١) رواه مسلم (الجمعة / ٤٦) ، والنسائي (٦/ ٨٩) .

(٢) انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد (٤/ ١/ ١٨٠) .

من جبل مُزَينة فوجدا المدينة خالية فسألا أين الناس ؟ فقالوا : بأحد ، خرج رسول الله ﷺ يقاتل المشركين فقالا : لا نسأل أثرًا بعد عين . فأسلما ثم خرجا فأتيا النبي ﷺ بأحد فإذا الدَّولة للمسلمين فأغارا مع المسلمين في النهب وقاتلا أشد القتال ، وكانت قد انفرقت فرقة من المشركين فقال النبي ﷺ : من لهذه الفرقة ؟ فقال وهب : أنا . فرماهم بالنبل حتى انصرفوا ثم رجع . فانفرقت أخرى فقال النبي ﷺ : من لهذه ؟ فقال المُزني: أنا . فقام فذبَّها بالسيف حتى ولَّوْا ورجع المزني . ثم طلعت كتيبة أخرى فقال: من يقوم لهؤلاء؟ فقال المزني : أنا . فقال : قم وأبشر بالجنة . فقام المزني مسرورًا يقول: والله لا أُقيل ولا أستقيل فجعل يقوم فيهم فيضرب بالسيف حتى يخرج من أقصاهم . حتى قتلوه ومثَّلوا به. ثم قام ابن أخته الحارث فقاتل كنحو قتاله حتى قُتل . فوقف عليهما رسول الله ﷺ وهما مقتولان فقال رضي الله عنه : فإني عنك راضٍ » [1] يعني وهبًا . ثم قام علي قدميه وقد نال ما ناله من الجرح وإن القيام ليشقُّ عليه ، فلم يزل قائمًا حتى وضع المزنيَّ في لحده . فكان عمر وسعد بن مالك يقولان : ما حالٌ نموت عليها أحب إلينا من أن نلقى الله على حال المزني.

٦٩ ـ حنظلة بن أبي عامر الراهب

وكان أبوه ـ أبو عامر ـ يسأل عن ظهور رسول الله ﷺ ويستوصف صفته الأحبار ويلبس المُسوح ويترهَّب . فلما بُعث رسول الله ﷺ حسده فلم يؤمن به. وكان ابنه حنظلة من خيار المسلمين واستأذن رسول الله ﷺ أن يقتل أباه فنهاه عن قتله .

وتزوج حنظلة جميلة بنت عبد الله بن عبد الله بن أبي سلول . فأدخلت في الليلة التي في صبيحتها كان قتال أحد وكان قد استأذن رسول الله ﷺ أن يبيت عندها فأذن له فلما أسفر الصبح غدا يريد رسول الله بأحد ثم مال إلى جميلة فأجنب منها . وكانت قد أرسلت إلى أربعة من قومها فأشهدتهم أنه دخل بها . فقيل لها في ذلك فقالت : رأيت كأن السماء قد فُرجت له فدخل فيها ثم أطبقت، فقلت هذه الشهادة . وعلقت بعبد الله ابن حنظلة .

وأخذ حنظلة سلاحه فلحق بالنبي ﷺ وهو يسوي الصفوف فلما انكشف المسلمون اعترض حنظلة لأبي سفيان بن حرب فضرب عُرقوب فرسه فوقع أبو سفيان . فحمل رجل منهم على حنظلة فأنفذه بالرمح فقال رسول الله ﷺ : « إني رأيت الملائكة تغسل حنظلة بن أبي عامر بين السماء والأرض بماء المزن في صحاف الفضة » [2] .

---

(١) المصدر السابق (٤/ ١/ ١٨٢) .

(٢) المصدر السابق ، وانظر : ضعيف الجامع (٢٠٨٧) .

قال أبو أسيد الساعدي : فذهبنا فنظرنا إليه فإذا رأسه يقطر ماء . فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته أنه خرج وهو جنب . فولده يقال لهم « بنو غسيل الملائكة » .

٧٠ ـ حذيفة بن اليمان

يكنى أبا عبد الله – رضي الله عنه . واسم اليمان : حسيل بن جابر بن ربيعة بن عمرو ابن جزوة . وقيل حزوة هو اليمان .

خرج حذيفة وأبوه فأخذهما كفار قريش فقالوا : إنكما تريدان محمدًا . فقالا : ما نريد إلا المدينة . فأتيا رسول الله ﷺ فأخبراه وقالا : إن شئت قاتلنا معك . قال : بل نَفِي ونستعين الله عليهم . ففاتهما بدر . وشهد حذيفة أُحدًا وما بعدها .

عن أبي إدريس الخولاني قال : سمعت حذيفة يقول : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني .

وعن أبي عمار ، عن حذيفة قال : إن الفتنة تُعرض على القلوب فأيّ قلب أنِسَ بها نكتت فيه نُكتةً سوداء فإن أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء ، فمن أحب منكم أن يعلم أصابته الفتنة أم لا فلينظر فإن كان يرى حرامًا كان يراه حلالاً أو يرى حلالاً كان يراه حرامًا فقد أصابته الفتنة .

وعن إبراهيم بن همام ، عن حذيفة قال : ليأتينَّ على الناس زمان لا ينجو فيه إلا من دعا بدعاء كدعاء الغريق .

وعن ساعدة بن سعد ، عن حذيفة أنه كان يقول : ما من يوم أقرَّ لعيني ولا أحبَّ لنفسي من يوم آتي أهلي فلا أجد عندهم طعامًا ويقولون ما نقدر على قليل ولا كثير ، وذلك أني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله تعالى أشد حمْيةً للعبد من الدنيا ، من المريض أهله الطعامَ ، والله تعالى أشرَّ تعاهـدًا للمؤمـن بالبـلاء من الوالد لولده بالخير»[1] .

(ذكر ولاية حذيفة)

عن ابن سيرين قال : كان عمر بن الخطاب إذا بعث أميرًا كتب إليهم : إني قد بعثت إليكم فلانًا وأمرته بكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا . فلما بعث حذيفة إلى المدائن كتب إليهم إني قد بعثت إليكم فلانًا فأطيعوه . فقالوا هذا رجل له شأن . فركبوا ليتلقَّوه فلقوه على بغل تحته إكاف وهو معترض عليه ، رجلاه من جانب واحد . فلم يعرفوه فأجازوه.

فلقيهم الناس فقالوا : أين الأمير ؟ قالوا : هو الذي لقيتم . قال فركضوا في أثره

(١) رواه الطبراني (٣/ ٣٠٠٤) وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٨٥) : وفيه من لم أعرفهم .

فأدركوه وفي يده رغيف وفي الأخرى عَرْق وهو يأكل . فسلموا عليه فنظر إلى عظيم منهم فناوله العرق والرغيف قال : فلما غفل ألقاه ، وقال : أعطاه خادمه .

وفي رواية أخرى عن ابن سيرين : أن حذيفة كان راكبًا على حمار له إكاف ، وبيده رغيف وعَرْق من لحم فقالوا : سلْنا ما شئت فقال : أسألكم طعامًا آكله وعلفًا لحماري هذا ما دمتُ فيكم .

فأقام ما شاء الله ثم كتب إليه عمر أن أقْدم . فقدم فلما بلغ عمر قدومه كمن له على الطريق في مكان لا يراه . فلما رآه على الحال التي خرج من عنده عليها أتاه فالتزمه وقال: أنت أخي وأنا أخوك .

عن ابن سيرين قال : إن حذيفة لما قدم المدائن قدم على حمارٍ له إكاف وبيده رغيف وعرق ، وهو يأكل على الحمار .

عن طلحة بن مصرف مثله وزاد : وهو سادلٌ رجليْه من جانب .

(ذكر نبذة من كلامه)

عن يوسف بن أسباط ، عن سفيان قال : قال حذيفة : إن الرجل ليدخل المدخل الذي يجب أن يتكلم فيه لله ، ولا يتكلم ، فلا يعود قلبه إلى ما كان أبدًا . قال يوسف: فحدثت به أبا إسحاق الفزاري حين قدم من عند هارون فبكى ثم قال : أنت سمعت هذا من سفيان ؟ .

عن عمارة بن عبد عن حذيفة قال : إياكم ومواقف الفتن . قيل وما مواقف الفتن يا أبا عبد الله ؟ قال : أبواب الأمراء ، يدخل أحدكم على الأمير فيصدِّقه بالكذب ويقول ما ليس فيه .

عن أم سلمة قالت : قال حذيفة : والله لوددت أن لي إنسانًا يكون في مالي ثم أغلق عليَّ بابًا فلا يدخل عليَّ أحد حتى ألحق بالله - عز وجل (أم سلمة : هي أم موسى بن عبد الله) .

وعن الأعمش قال : بكى حذيفة في صلاته ، فلما فرغ التفت فإذا رجل خلفه فقال : لا تعلمنَّ بهذا أحدًا .

(ذكر وفاة حذيفة - رضي الله عنه)

عن زياد ، مولى ابن عياش ، قال : حدثني من دخل على حذيفة في مرضه الذي مات فيه فقال : لولا أني أرى أن هذا اليوم آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة لم أتكلم به، اللهم إنك أعلم أني كنت أُحب الفقر على الغنى ، وأُحب الذلة على العز ، وأحب الموت على الحياة ، حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم ، ثم مات - رحمه الله .

وعن أبي وائل قال : لما ثقل حذيفة أتاه أناس من بني عبس فأخبرني خالد بن الربيع العبسي قال : أتيناه وهو بالمدائن حين دخلنا عليه جوف الليل فقال لنا : أي ساعة هذه ؟ قلنا : جوف الليل أو آخر الليل . فقال : أعوذ بالله من صباح إلى النار . ثم قال : أجئتم معكم بأكفان ؟ قلنا : نعم . قال : فلا تُغالوا بأكفاني فإنه إن يكن لصاحبكم عند الله خير فإنه يبدَّل بكسوته كسوةً خيرًا منها وإلا يُسلب سلبًا .

وعن أبي إسحاق أن صلة بن زُفر حدَّثه : إن حذيفة بعثني وأبا مسعود فابتعنا له كفنًا حلة قصب بثلاثمائة درهم . قال : أرياني ما ابتعتما لي . فأريناه فقال : ما هذا لي بكفن إنما يكفِّنني رَيْطتان بَيْضاوان ليس معهما قميص ، فإني لا أُترَك إلا قليلاً حتى أبدل خيرًا منهما . فابتعنا له ريْطتين بيضاوين .

قال أهل السير : مات حذيفة بعد قتل عثمان – رضي الله عنه بأشهر .

٧١ ـ أبو الدحداح ثابت بن الدحداح رضي الله عنه (١)

شهد أُحدًا وقتل يومئذ ، روى الواقدي عن عبد الله بن عامر قال : قال ثابت بن الدحداح يوم أحد والمسلمون أوزاع : يا معشر الأنصار إليَّ إليَّ ، إن كان محمد قد قُتل فإن الله حي لا يموت ، فقاتلوا عن دينكم . فنهض إليه نفر من الأنصار فجعل يحمل بمن معه وقد وقفت له كتيبة خشناء فيها خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعكرمة . فحمل عليه خالد بن الوليد بالرمح فأنفذه فوقع ميتًا وقتل من كان معه .

قال الواقدى : وبعض أصحابنا من رواة العلم يقولون إنه برأ من جراحه ومات على فراشه من جرح كان أصابه وانتقض عليه مرجع رسول الله ﷺ من الحديبية .

وعن عبد الله بن مسعود قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿مَن ذا الذي يُقْرِضُ الله قَرْضًا حسنًا فيُضاعفَه له﴾ (٢) قال أبو الدحداح الأنصارى : وإن الله ليريد منا القرض ؟ قال : نعم يا أبا الدحداح . قال : أرني يدك يا رسول الله . قال : فناوله رسول الله يده . قال: فإني قد أقرضت ربي حائطي . قال : وحائطه له فيه ستمائة نخلة ، وأم الدحداح فيه وعيالها . قال : فجاء أبو الدحداح فنادى : يا أم الدحداح ! قالت: لبيك . قال : اخرُجي من الحائط فقد أقرضتُه ربي – عز وجل .

وفي رواية أخرى أنها لما سمعته يقول ذلك عمدت إلى صبيانها تخرج ما في أفواههم وتنفض ما في أكمامهم فقال النبي ﷺ : « كم من عذقٍ رَداحٍ في الجنة لأبي الدحداح ».

(١) انظر : الإصابة (١/ ١٩١) ، وأسد الغابة (١/ ٢٦٧) .
(٢) سورة البقرة آية : ٢٤٥ ، والحديد آية : ١١ .

وعن أنس أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إن لفلان نخلة ، وإن قوام حائطي بها فأمُرْه أن يعطيني إياها حتى أقيم بها حائطي . فقال النبي ﷺ : أعطها إياه بنخلة في الجنة . فأبى فأتى أبو الدحداح الرجل فقال : بِعنى نخلتك بحائطي . ففعل . فأتى أبو الدحداح النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إني ابتعت النخلة بحائطي فاجعلها له فقد أعطيتكها . فقال النبي ﷺ : « كم من عذقٍ ردَاح لأبي الدحداح في الجنة » . قالها مرارًا . فأتى أبو الدحداح امرأته فقال : يا أم الدحداح ، اخرجي من الحائط فقد بعته بنخلة في الجنة . فقالت : رَبحَ البيعُ ، ربح البيع . أو كلمة تشبهها (١) .

٧٢ ـ خبيب بن عدى بن مالك

شهد أُحدًا مع النبي ﷺ وكان فيمن بعثه رسول الله ﷺ مع بني لَحيان فأسروه هو وزيد بن دَثِنَة ، فباعوهما من قريش فقتلوهما وصلبوهما بمكة بالتنعيم .

وروى البخاري من حديث أبي هريرة قال : بعث رسول الله ﷺ عشرةً عيْنًا فـأمّر عليـهم عاصم بن ثابت حتى إذا كانوا بالهدة بين عُسفان ومكة ذُكروا لحيٍّ من هـذيل ، يقال لهم بنو لِحْيان ، فنفروا إليهم بقريبٍ من مائة رجل رامٍ فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم التمر في منزل نزلوه فقالوا : تمرُ يثرب . فاتبعوا آثارهم . فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجأوا إلى موضع ، فأحاط بهم القوم فقالوا لهم : انزلوا فأعطوا بأيديكم ولكم العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحدًا . فقال عاصم : أما أنا فلا أنزل في ذمة كـافر ، اللهم أخبر عنا نبيك . فرموهم بالنبل فقتلوا عاصمًا في سبعة ونزل إليهم نفر على العهد والميثاق : منهم خُبيب ، وزيد بن الدَّثِنة ، ورجل آخر . فلما استمكـنوا منهم أطلقـوا أوتار قسيهم فربطوهم بها . فقال الرجلُ الثالث هذا أول الغدر فوالله لا أصحبكم إن لي بهؤلاء أسوة ، يريد القتلى . فجرّروه وعالجوه فأبى أن يصحبهم فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بمكة بعد وقعة بدر ، فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل خُبيبًا ، وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر فلبث خبيب عندهم أسيرًا حتى أجمعوا قتله ، فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحد بها فأعارته . فدرج بُنّي لها وهي غافلة حتى أتاه فوجدته مُجلسَه على فخذه والموس بيده ، قالت : ففزعت فزعة عرفها خُبيب فقال : أتخشين أن أقتله ؟ ما كنت لأفعل ذلك . قالت والله ما رأيت أسيرًا قـط خيرًا من خبيب ، والله لقد وجدته يومًا يأكـل قِطْفًا من عِنب في يـده وإنه لمـوثق بالحـديد

(١) رواه أحمد (٣/ ١٤٦) ، والطبراني (٢٢/ ٧٦٣) ، والحاكم (٢/ ٢٠) ، وصححه ابن حبان (١٦/ ٧١٥٩) ، وأورده الهيثمي في المجمع (٩/ ٣٢٣ ، ٣٢٤) ، وقال : رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح .

وما بمكة من ثمرة . وكانت تقول : إنه لرزق رزقه الله خبيبًا . فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب : دعوني أصلي ركعتين فتركوه فركع ركعتين، وقال : واللهلولا أن تحسبوا أن ما بي جزع لزدتُ . اللهم أحْصهم عددًا واقتُلهم بِدَدًا ولا تُبق منهم أحدًا . وقال :

ولستُ أبالـــي حين أقتــل مســـلمًا   على أي جنبٍ كان في الله مصرعي

وذلك فـــي ذات الإلــه وإن يشـأ   يبــاركْ على أوصال شِلْــوٍ ممــزع

ثم قام إليه أبو سَرْوعة عقبة بن الحارث فقتله . وكان خبيب هو سَنَّ لكل مسلمٍ قُتل صبرًا ، الصلاة [1] .

وأبو سَرْوَعة أسلم وروى الحديث عن رسول الله ﷺ ، وأخرج له البخاري في «الصحيح» ثلاثة أحاديث .

وقال سعيد بن عامر بن حذيم : شهدت مصرع خبيب وقد بضعت قريش لحمه، ثم حملوه على جِذْعه فقالوا : أتحب أن محمدًا مكانك ؟ فقال : والله ما أحب أني في أهلي وولدي وأن محمدًا شِيكَ بشوكة . ثم نادى : يا محمد .

عن إبراهيم بن إسماعيل قال : أخبرني جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه أن رسول الله ﷺ بعثه وحده عينًا إلى قريش . قال : فجئت إلى خشبة خبيب وأنا أتخوف العيون فرقيتُ فيها فحللتُ خبيبًا فوقع إلى الأرض فانتبذت عنه غير بعيد ثم التفت فلم أرَ خبيبًا ولكأنما ابتلعته الأرض فلم يُرَ لخبيب أثر حتى الساعة .

وقد روى عن معاوية بن أبي سفيان أنه قال كنت فيمن حضر قتل خبيب فلقد رأيت أبا سفيان ، حين دعا خبيب فقال : اللهم أحصهم عددًا ، يلقيني إلى الأرض فزعًا من دعوة خبيب . وكانوا يقولون : إن الرجل إذا دُعي عليه فاضطجع زالت عنه الدعوة .

٧٣ ـ أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد
عم أنس بن مالك

شهد أحدًا وقتل يومئذ . قال الواقدي لما جال المسلمون يوم أُحد تلك الجولة ونادى إبليس : قتل محمد ، مرَّ أنس بن النضر يقاتل فرأى عمر ومعه رهط فقال: ما يقعدكم؟ قالوا : قتل رسول الله ﷺ . قال : فما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه . ثم جالد بسيفه حتى قتل .

---

(١) رواه البخاري (٣٠٤٥ ، ٧٤٠٢ ، وفي مواطن أخرى) ، وانظر « الأوائل من الصحابة » باب: في الصلاة .

وعن أنس أن عمه غاب عن بدر فقال : غبت عن أول قتال قاتله النبي ﷺ ، لئن أشهدني الله مع النبي ﷺ ليرين الله ما أفعل فلقي يوم أحد فهُزم الناس فقال : اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ، يعني المسلمين ، وأبرأ إليك مما جاء به المشركون ، فتقدم بسيفه فلقي سعد بن معاذ فقال : إلى أين يا سعد ؟ إني أجد ريح الجنة دون أحد . فمضى فقُتل فما عرف حتى عرفتْه أخته بشامة أو ببنانه ، وبه بضع وثمانون من بين طعنةٍ وضربة ورمية بسهم أخرجاه في « الصحيحين »[(١)] .

وعن أنس أن الرُّبَيِّع بنت النضر عمَّتَه لطمت جاريةً فكسرت سنها فعرضوا عليهم الأرش[(٢)] فأبوا فطلبوا العفو فأتوا النبي ﷺ فأمرهم بالقصاص فجاء أخوها أنس بن النضر فقال : يا رسول الله أتُكسر سنُّ الرُّبَيِّع ؟ والذي بعثك بالحق لا تُكسر سنها . قال: يا أنس كتاب الله القصاص . فعفا القوم . فقال رسول الله ﷺ : « إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبرَّه » . أخرجه البخاري عن الأنصاري [(٣)] .

٧٤ ـ البراء بن مالك

ابن النضر بن ضمضم ، أخو أنس بن مالك لأبيه ولأمه . شهد أحدًا وما بعدها مع رسول الله ﷺ وكان شجاعًا قتل مائة مبارزة .

قال ابن سيرين : كتب عمر : لا تستعملوا البراء على جيش من جيوش المسلمين فإنه مهلكة يقدم بهم .

وقال أنس بن مالك : ركب البراء فرسًا يوم اليمامة ثم قال : أيها الناس إنها والله الجنة وما لي إلى المدينة سبيل . فمصع فرسه مصعات ثم كبس وكبس الناس معه ، فهزم الله المشركين فكانت في مدينتهم ثُلمة .

وعن محمد بن سيرين أن المسلمين انتهوا إلى حائط قد أغلق بابه فيه رجال من المشركين. فجلس البراء بن مالك على تُرسٍ وقال : ارفعوني برماحكم فألقوني إليهم . ففعلوا . فأدركوه وقتل منهم عشرة .

وعن أنس بن مالك قال : استلقى البراء بن مالك على ظهره ثم ترنَّم . فقال له أنس: أي أخي ، تغنى ؟ إلى متى هذا ؟ فاستوى جالسًا فقال : أترانى أموت على فراشي وقد قتلت مائة من المشركين مبارزة سوى من شاركت فى قتله .

---

(١) رواه البخارى (٢٨٠٥) ، ومسلم (الإمارة / ١٤٨) .

(٢) الأرش : دية الجراحات .

(٣) رواه البخارى (٢٧٠٣ ، ٢٨٠٦) .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كم من ضعيفٍ متضعَّف ذي طِمْرَيْن لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك » [(1)] .

وإن البراء لقي زحفًا من المشركين وقد أوجع المشركون في المسلمين فقالوا له : يا براء إن رسول الله ﷺ قال : إنك لو أقسمت على الله لأبرَّك فاقسمْ على الله . فقال : أقسمتُ عليك يا رب لَمَّا منحْتنا أكتافهم فمُنحوا أكتافهم ثم التقوا على قنطرة السُّوس فأوجعوا في المسلمين فقالوا : اقسم يا براء على ربك . فقال : أقسمتُ عليك يا رب لَمَّا منحْتنا أكتافهم وألحقْتني بنبيي ﷺ . فمُنحوا أكتافهم وقُتل البراء شهيدًا .

وفي رواية أخرى : لما كان يوم تُسْتَر انكشف المسلمون فقال : أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وألحقْتني بنبيك فاستشهد .

٧٥ ـ ثابت بن قيس بن شماس

كان خطيب رسول الله ﷺ . وكان رسول الله ﷺ يقول : نعم الرجل ثابت ابن قيس . فلما كان يوم اليمامة انهزم المسلمون فقال ثابت : أفٍّ لهؤلاء ولما يعبدون ولهؤلاء ولما يصنعون ، يا معشر الأنصار خلُّوا ثنيتي لعلي أصْلي بحرِّها ساعة . قال : ورجلَ قائم على ثُلمة فقتله وقُتل .

وعن أنس أن ثابت بن قيس جاء يوم اليمامة وقد تحنَّط ولبس ثوبين أبيضين يكفَّن فيهما وقد انهزم القوم فقال : اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء . ثم قال : بئس ما عوَّدكم أقرانكم منذ اليوم ، خلوا بيننا وبينهم ساعة . فحمل فقاتل حتى قتل .

٧٦ ـ أبو الدرداء عويمر بن زيد ، وقيل ابن عامر

وفي اسمه خلاف قد ذكرته في كتاب « التلقيح » [(2)] . ويختلفون هل شهد أُحدًا أم لا؟ وقد شهد مع رسول الله ﷺ مشاهد كثيرة وولاه عمر بن الخطاب القضاء بدمشق .

عن معاوية بن قرة قال : قال أبو الدرداء : اطلبوا العلم فإن عجزتم فأحبُّوا أهله ، فإن لم تحبُّوهم فلا تبغضوهم .

وعن ميمون بن مهران قال : قال أبو الدرداء : ويل للذي لا يعلم مرة ولو شاء الله علَّمه ، ويل للذي يعلم ولا يعمل ، سبع مرات .

---

(١) أبو نعيم فى الحلية (١/ ٧) ، ورواه الحاكم (٣/ ٢٩٢) ، والبيهقى فى الدلائل (٦/ ٣٦٨) ، وابن عدى (٣/ ١١٦١)، وفى سنده سلامة بن روح بن خالد وهو يروى الحديث عن عمه عقيل بن خالد، وسلامة قال عنه الحافظ : صدوق له أوهام وقيل لم يسمع من عمه وإنما يحدث من كتبه ا.هـ التقريب.

(٢) تقدم التعريف به وهو مطبوع .

وعن أبي وائل قال : قال أبو الدرداء : إني لآمركم بالأمر وما أفعله ولكني أرجو فيه الأجر و وإن أبغض الناس إليَّ أن أظلمه من لا يستعين على إلا الله .

عن سالم بن أبي الجعد ، عن أم الدرداء قال : تفكُّر ساعة خير من قيام ليلة .

عن عون ، هو ابن عبد الله قال : سئلت أم الدرداء : ما كان أفضل عمل أبي الدرداء؟ قالت : التفكر والاعتبار . رواهما الإمام أحمد .

وعن الضحاك قال . قال أبو الدرداء : يا أهل دمشق أنتم الإخوان في الدين، والجيران في الدار ، والأنصار على الأعداء . ما يمنعكم من مودتي وإنما مؤنتي على غيركم : ما لي أرى علماءكم يذهبون وجهالكم لا يتعلمون ؟ وأراكم قد أقبلتم على ما تُكُفِّلَ لكم به وتركتم ما أُمرتم به . ألا إن قومًا بنوا شديدًا وجمعوا كثيرًا وأملوا بعيدًا فأصبح بنيانهم قبورًا وأملهم غرورًا وجمْعهم بُورًا . ألا فتعلموا وعلموا فإن العالم والمتعلم في الأجر سواء، ولا خير في الناس بعدهما .

وعن ابن أبي ليلى قال : كتب أبو الدرداء إلى مسلمة بن مخلد الأنصارى : أما بعد فإن العبد إذا عمل بطاعة الله أحبه الله ، فإذا أحبه الله حبَّبه إلى خلقه ، وإذا عمل بمعصية الله أبغضه الله ، فإذا أبغضه الله بغضه إلى خلقه .

وعن أنس عن أبي الدرداء قال : اغدُ عالمًا أو متعلمًا أو مستمعًا ولا تكُ الرابع فتهلك. قلت للحسن : ما الرابع ؟ قال : المبتدع .

وعن حبيب بن عبيد أن رجلاً أتى أبا الدرداء فقال له : أوصني فقال له اذكر الله – عز وجل – في السراء يذكركَ في الضراء ، فإذا أشرفت على شيء من الدنيا فانظر إلى ماذا يصير . رواه أحمد .

أخبرنا أبو سعيد الكندي عمن أخبره عن أبي الدرداء أنه قال : يا حبذا نوم الأكياس[1] وإفطارهم ، كيف يغبنون سهر الحمقى وصومهم ؟ ومثقال ذرة من برٍ مع تقوى ودين أعظم وأفضل وأرجح من أمثال الجبال من عبادة المغترين ، من الحلية لأبي نعيم عن الإمام أحمد.

وعن علي بن حوشب عن أبي الدرداء قال : أخوف ما أخاف أن يقال لي يوم القيامة: أعلمت أم جهلت ؟ فإن قلتُ علمت . لا تبقى آية آمرة أو زاجرة إلا أُخذتُ بفريضتها الآمرة هل ائتمرت والزاجرة هل ازدجرت . فأعوذ بالله من علم لا ينفع ونفس لا تشبع ودعاء لا يُسمع . رواه الإمام أحمد .

(١) الكيس : بوزن الكيل ضد الحمق ، والرجل كيس مُكيس ، أى : ظريف .

وعن لقمان بن عامر عن أبي الدرداء قال : إنما أخشى علي نفسي أن يقال لي على رءوس الخلائق : يا عويمر هل علمت ؟ فأقول نعم . فيقال : ماذا عملت فيما علمت ؟.

عن سالم عن أم الدرداء قالت : دخل علينا يومًا أبو الدرداء مغضبًا فقلت : ما لك ؟ فقال : والله ما أعرف فيهم شيئًا من أمر محمد ﷺ إلا أنهم يصلُّون جميعًا .

وعن سالم بن أبي الجعد أن رجلاً صعد إلى أبي الدرداء إلى غرفةٍ له ، وهو يلتقط حبا. فقال أبو الدرداء : إنَّ من فقْه الرجل رفقه في معيشته .

عن عبد الرزاق قال ابنا معمر عن صاحب له أن أبا الدرداء كتب إلى سلمان : يا أخي اغتنم صحتك وفراغك قبل أن ينزل بك من البلاء ما لا يستطيع العباد ردَّه ، واغتنم دعوة المبتلى ، يا أخي ليكن المسجد بيتك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «المساجد بيت كل تقي وقد ضمن الله - عز وجل - لمن كانت المساجد بيوتهم بالروح والرحمة والجواز على الصراط إلى رضوان الله - عز وجل - ويا أخي ارحم اليتيم وأدْنه وأطعمه من طعامك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول ، وأتاه رجل يشتكي قساوة قلبه ، فقال رسول الله : أتحب أن يلين قلبك ؟ فقال نعم . قال : « أدن اليتيم منك وامسح رأسه وأطعمه من طعامك فإن ذلك يلين قلبك وتقدر على حاجتك » . يا أخي لا تجمع ما لا تستطيع شكره فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يجاء بصاحب الدنيا يوم القيامة الذي أطاع الله عز وجل فيها وهو بين يدي ماله ومالُه خلفه وكلما تكفّا به الصراط قال له صاحبه امض فقد أديت الحق الذي كان عليك » ، قال : « ويجاء بالذي لم يطع الله - عز وجل - فيه وماله بين كتفيه فيعثره ماله ويقول له : ويلك هلا عملت بطاعة الله - عز وجل ؟ فلا يزال كذلك حتى يدعو بالويل ويا أخي حـُدثت أنك اشتريت خادمًا وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « لا يزال العبد من الله وهو منه ما لم يُخدم فإذا خُدم وجب عليه الحساب » وإن أم الدرداء سألتني خادمًا وأنا يومئذ موسر فكرهت ذلك لما سمعت من الحساب ، ويا أخي لا تغترن بصحابة رسول الله ﷺ فإنا عشنا بعده دهرًا طويلاً والله أعلم بالذي أصبنا بعده .

وعن جابر قال خطب يزيد بن معاوية إلى أبي الدرداء ابنة أم الدرداء . فقال رجل من جلساء يزيد : أصلحك الله ، تأذن لي أن أتزوجها . قال اعزبْ ويلك. قال : فأذن لي أصلحك الله . فأذن له فأنكحها أبو الدرداء الرجل . قال فسار ذلك في الناس أن يزيد خطب إلى أبي الدرداء فردَّه وخطب إليه رجل من ضعفاء المسلمين فأنكحه . قال فقال أبو الدرداء : إني نظرت للدرداء فما ظنكم بالدرداء إذا قامت على رأسها الخصيان ونظرت في بيوت يلتمع فيها بصرها أين دينها منها يومئذ ؟ رواه الإمام أحمد .

وروي أيضًا من حديث لقمان بن عامر عن أبي الدرداء قال : معاتبة الأخ خير له من فقده، ومن لك بأخيك كله ؟ أعط أخاك ولِنْ له ولا تطع به حاسدًا فتكون منه . غدًا يأتيك الموت فيكفيك قتله كيف تبكيه بعد الموت وفي الحياة تركت وصله ؟ .

وقال : إن ناقدت الناس ناقدوك وإن تركتهم لم يتركوك وإن هربت منهم أدركوك . قال: يا أبا الدرداء فما تأمرني ؟ قال : هب عرضك ليوم فقرك ، وما تجرَّع مؤمن جرعة أحب إلى الله - عز وجل - من غيظ كظمه فاعفوا يعزكم الله.

وقال : إياكم ودعوة اليتيم ودعوة المظلوم فإنها تسري بالليل والناس نيام .

وقال : ما تصدق مؤمن بصدقة أحب إلى الله - عز وجل - من موعظة يعظ بها قومه فيفترقون قد نفعهم الله - عز وجل - بها .

وعن حزام بن حكيم قال : قال أبو الدرداء : لو تعلمون ما أنتم راؤون بعد الموت لما أكلتم طعاما على شهوة ، ولا شربتم شرابًا على شهوة ، ولا دخلتم بيتًا تستظلُّون به ، ولخرجتم إلى الصُّعدات تضربون نفوسكم وتبكون على أنفسكم ، ولوددت أني شجرة تُعضد ثم تؤكل .

يزيد بن مرثد أبو عثمان عن أبي الدرداء أنه قال : ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر والإخلاص للتوكل والاستسلام للرب - عز وجل .

وروى أحمد عن فرات بن سليمان أن أبا الدرداء كان يقول : ويل لكل جمَّاع فاغر فاه كأنه مجنون يرى ما عند الناس ولا يرى ما عند الله - عز وجل - لو يستطيع لوصل الليل بالنهار . ويله من حساب غليظ وعذاب شديد .

قال ، وكان يقول : أحب الموت وتكرهونه ، وأحب الفقر وتكرهونه ، أين الذين أملوا بعيدًا وجمعوا كثيرًا وبنوا شديدًا فأصبح أملهم غرورًا وأصبح جمعهم بُورًا وأصبحت منازلهم قبورًا ؟ .

وفي رواية أخرى : أحب الموت اشتياقًا إلى ربي عز وجل - وأحب الفقر تواضعًا لربي - عز وجل - وأحب المرض تكفيرًا لخطيئتي .

وعن ابن جابر قال : كان أبو الدرداء يقول : تَبْنون شديدًا ، وتأملون بعيدًا . وتموتون قريبًا .

عن محمد بن سعد الأنصاري ، عن أبي الدرداء قال : استعيذوا بالله من خشوع النفاق . قيل : وما خشوع النفاق ؟ قال : أن يُرى الجسد خاشعًا والقلبُ ليس بخاشع . رواه الإمام أحمد .

وعن معاوية بن صالح ، عن أبي الدرداء قال : إذا أصبح الرجل اجتمع هواه وعمله فإن كان عمله تبعًا لهواه فيومه يوم سوء ، وإن كان هواه تبعًا لعمله فيومه يوم صالح .

وعن عبد الرحمن بن محمد المحاربي قال : بلغني أن أبا الدرداء كتب إلى أخ له : أما بعد فلست في شيء من أمر الدنيا إلا وقد كان له أهلٌ قبلك وهو صائر له أهلٌ بعدك، وليس لك منه إلا ما قدمت لنفسك فآثرها على المصلح من ولدك فإنك تقدم على من لا يعذرك وتجمع لمن لا يحمدك ، وإنما تجمع لواحد من اثنين : إما عامل فيه بطاعة الله – عز وجل – فيسعد بما شقيت ، وإما عامل فيه بمعصية الله – عز وجل – فيشقى بما جمعت له ، وليس ـ والله ـ واحد منها بأهل أن تُبْرِد له على ظهرك وأن تؤثره على نفسك . ارجُ لمن مضى منهم رحمة الله وثقْ لمن بقي منهم برزق الله – عز وجل – والسلام، من الحلية .

وعن محمد بن يزيد الرحبي قال : قيل لأبي الدرداء : ما لك لا تشعر فإنه ليس رجل له بيت في الأنصار إلا وقد قال شعرًا ؟ قال وأنا قد قلت فاسمعوا :

يريد المـرء أن يعطـي منـاه ويأبـى الله إلا مـا أرادا

يقـول المـرء فائدتي ومالي وتقوى الله أفضل ما استفاد

وعن يحيى بن سعيد قال : قال أبو الدرداء : أدركت الناس ورقًا لا شوك فيه فأصبحوا شوكًا لا ورقة فيه ، إن نقدتهم نقدوك وإن تركتهم لا يتركوك . قالوا : فكيف نصنع ؟ قال تقرضهم من عِرضك ليوم فقرك .

وعن قتادة قال : قال أبو الدرداء : ابن آدم طأ الأرض بقدمك فإنها عن قليل تكون قبرك، ابن آدم إنما أنت أيامٌ فكلما ذهب يوم ذهب بعضك ، ابن آدم إنك لم تزل في هدْم عمرك من يوم ولدتك أمك .

وعن روح بن الزبرقان قال : قال أبو الدرداء : ما من أحد إلا وفي عقله نقص عن حلمه وعلمه ، وذلك أنه إذا أتته الدنيا بزيادة في مال ظل فرحًا مسرورًا والليل والنهار دائبان في هدم عمره لا يحزنه ذلك ، ضلَّ ضلاله ما ينفع مال يزيد وعمر ينقص ؟ .

وعن جبير بن نفير قال : لما فتحت قبرس فرق بين أهلها فبكى بعضهم إلى بعض ، فرأيت أبا الدرداء جالسًا وحده يبكي . فقلت يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله ؟ قال : ويحك يا جبير ، ما أهون الخلق على الله – عز وجل – إذا تركوا أمره بينا هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملْك تركوا أمر الله فرأيتهم كما نرى .

وعن شرحبيل أن أبا الدرداء كان إذا رأى جنازة قال : اغْدوا فإنا رائحـون ، ورُوحوا

فإنا غادون ، موعظة بليغة وغفلة سريعة ، كفى بالموت واعظًا ، يذهب الأول فالأول ويبقى الآخر لا حلم له .

عن الأوزاعي وعن بلال بن سعد أنه سمعه يقول : كان أبو الدرداء يقول : اللهم إني أعوذ بك من تفرقة القلب ، قيل : وما تفرقة القلب ؟ قال : أن يوضع في كل واد مال.

وعن جبير بن نفير [١] ، عن أبي الدرداء قال : إن الذين ألسنتهم رطبة بذكر الله - عز وجل - يدخل أحدهم الجنة وهو يضحك .

وعن حسان بن عطية أن أصحابًا لأبي الدرداء تضيَّفوه فضيفهم ، فمنهم من بات على ثيابه كما هو ، فلما أصبح غدا عليهم فعرف ذلك منهم فقال : إن لنا دارًا لها نجمع واليها نرجع .

وعن محمد بن كعب أن ناسًا نزلوا على أبي الدرداء ليلة قَرَّة فأرسل لهم بطعام سخن ولم يرسل إليهم بلُحُف . فقال بعضهم : لقد أرسل إلينا بالطعام فما هنأنا مع القُرِّ لا أنتهي أو أبيِّن له . قال الآخر : دعه فأبى فجاء حتى وقف على الباب رآه جالسًا وامرأته ليس عليها من الثياب إلا ما لا يذكر . فرجع الرجل وقال : ما أراك بت إلا بنحو ما بتْنا به . قال : إن لنا دارًا ننتقل إليها قدَّمنا فُرشنا ولحفنا إليها ولو ألفيت عندنا منه شيئًا لأرسلنا إليك به ، وإن بين أيدينا عقبة كؤودًا المخفُّ فيها خير من المثقل ، أفهمت ما أقول لك ؟ قال : نعم. رواه الإمام أحمد .

وعن أبي قُلابة أن أبا الدرداء مرَّ على رجل قد أصاب ذنبًا فكانوا يسبُّونه . فقال : أرأيتم لو وجدتموه في قليب ألم تكونوا مستخرجيه ؟ قالوا : بلى . قال: فلا تسبُّوا أخاكم واحمدوا الله - عز وجل - الذي عافاكم . قالوا : أفلا تبغضه؟ قال : إنما أبغض عمله، فإذا تركه فهو أخي . رواه الطبراني .

وعن سليم بن عامر عن أبي الدرداء قال : نِعْم صومعة المرء المسلم بيته يكفُّ لسانه وفرْجه وبصره ، وإياكم ومجالس الأسواق فإنها تلهِي وتُلغي .

(ذكر وفاة أبي الدرداء - رضي الله عنه)

عن معاوية بن قرة أن أبا الدرداء اشتكى فدخل عليه أصحابه فقالوا : ما تشتكي ؟ قال: أشتكي ذنوبي . قالوا : فما تشتهي ؟ قال : أشتهي الجنة . قالوا : أفلا ندعو لك طبيبًا ؟ قال : هو الذي أضجعني .

---

(١) هو أبو عبد الرحمن جبير بن نفير الحضرمى نزيل حمص ، من كبار التابعين روى عن أبى بكر وعمر - رضى الله عنهما - توفى سنة (٨٠ هـ) .

عن لقمان بن عامر عن أم الدرداء أنها قالت : اللهم إن أبا الدرداء خطبني فتزوجني في الدنيا . اللهم فأنا أخطبه إليك فأسألك أن تزوجنيه في الجنة ، فقال لها أبو الدرداء : فإن أردت ذلك وكنتُ أنا الأول فلا تزوجّي بعدي . قال : فمات أبو الدرداء ، وكان لها جمال وحُسن . فخطبها معاوية فقالت : لا والله لا أتزوج زوجًا في الدنيا حتى أتزوج أبا الدرداء إن شاء الله - عز وجل - في الجنة .

عمرو بن ميمون بن مهران عن أبيه قال : قالت أم الدرداء لأبي الدرداء : إن احتجتُ بعدك آآكل الصدقة ؟ قال : لا ، اعملي وكُلي . قالت فإن ضعفت عن العمل . قال : التقطي السُّنبل ، ولا تأكلي الصدقة .

عن إسماعيل بن عبيد الله عن أم الدرداء ، أن أبا الدرداء لما احتُضر جعل يقول : من يعمل لمثل يومي هذا ؟ من يعمل لمثل ساعتي هذه ؟ من يعمل لمثل مضجعي هذا ؟ ثم يقول : **﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة﴾** (1) .

إسماعيل بن عبيد الله : أن أبا مسلم قال : جئت أبا الدرداء : وهو يجود بنفسه فقال ألا رجل يعمل لمثل مصرعي هذا ؟ ألا رجل يعمل لمثل ساعتي هذه ؟ ثم قُبض - رحمه الله .

وعن عوف بن مالك الأشجعي قال : رأيت في المنام كأني أتيت مرْجًا أخضر فيه قبة من أدم حولها غنم ربُوض تجتر وتبعر العجوة فقلت : لمن هذه ؟ فقيل : لعبد الرحمن ابن عوف . فانتظره حتى خرج من القبة فقال : يا عوف بن مالك هذا ما أعطانا الله - عز وجل - بالقرآن ، ولو أشرفت على هذه الثنيَّة لرأيت ما لم تر عينك وسمعت ما لم تسمع أذنك ولم يخطر على قلبك ، أعده الله - عز وجل - لأبي الدرداء لأنه كان يدفع الدنيا بالراحتين والنَّحر .

محمد بن سعد قال : أخبرنا الواقدي : توفي أبو الدرداء بدمشق سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان ، وله عقب بالشام .

وأخبرني غير الواقدي عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان قال : توفي أبو الدرداء بالشام سنة إحدى وثلاثين .

٧٧ ـ عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام السلمي

شهد أحدًا . وله من الولد : معاذ ، ومعوِّذ ، وخلاد . شهدوا بدرًا . وقتل عمرو ابن الجموح هو وابنه خلاد يوم أحد .

---

(1) سورة الأنعام آية : ١١٠ .

عن عكرمة : أن عمرو بن الجموح كان منافٌ في بيته ، يعني صنمًا ، فلما قدم مصعب بن عمير المدينة يعلم الناس القرآن بعث إليهم عمرو : ما هذا الذي جئتمونا به ؟ فقالوا : إن شئت جئناك فأسمعناك . فواعدهم يومًا فقرأوا عليه ﴿آلر تلكَ آياتُ الكتابِ المُبين إنّا أنزلناه قرآنًا عربيًا ﴾ [1] فقال : إن لنا مؤامرة في قومنا. وكان سيد بني سلمة . قال : فخرجوا فدخل على مناف فقال : يا مناف تعلم والله ما يريد القوم غيرك فهل عندك من نكير ؟ فقلَّده السيف وخرج لحاجته . فقام أهله فأخذوا السيف فلما رجع دخل فلم ير السيف فقال : أين السيف ويحك ؟ والله إن العنز لتمنع استها والله ما أرى في أبي جعار غدًا من خير . ثم قال : إني ذاهب إلى مالي بعلياء المدينة فاستوصوا بمناف خيرًا فإني أكره أن أرى له يوم سوء . فذهب فأخذوه فربطوه وكسروه وربطوه إلى جنب كلب ميت وألقوه في بئر . فلما جاء قال : كيف أنتم ؟ قالوا: بخير يا سيدنا وسع الله - عز وجل - في منازلنا وطهر بيوتنا من الرجس قال : والله إني لأراكم قد أسأتم خلافتي في مناف . قالوا: هو ذاك انظر إليه في جنب البئر . فأشرف فإذا هم قد ربطوه إلى جنب كلب . فبعث إلى قومه فجاءوا فقال : ألستم على ما أنا عليه ؟ قالوا : بلى أنت سيدنا . قال : فإني أشهدكم أني قد آمنت بما أنزل على محمد ﷺ .

فلما كان يوم أحد قال رسول الله ﷺ : « قوموا بنا إلى جنة عرضها السموات والأرض أُعدَّت للمتقين » : فقام وهو أعرج فقال : والله لأحفزنَّ عليها في الجنة فقاتل حتى قتل [2].

وفي رواية أخرى أنه لما رأى صنمه في البئر أنشأ يقول :

الحمـــد لله العلـــي ذي الـــمنن   الواهـــب الـــرزاق ديَّان الديْـــن
هـــو الذي أنقـــذني مـن قبل أن   أكـــون فـي ظلـــمة قبرٍ مرتَهـن
والله لـــو كنـــت إلهـًا لم تكن   أنـــت وكلـــب وسـط بئرٍ في قرَن
فالآن فتشـــناك عـــن شـرِّ الغبـــن

وعن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « يا بني سلمة من سيدكم ؟ قالوا : جـــدُّ بن قيس على أننا نُبخله . قال : وأيُّ داءٍ أدْوأُ من البخل ؟ بل سيدكم الأبيض عمرو بن الجموح » [3] .

---

(١) أول سورة يوسف .

(٢) رواه مسلم (ص / ١٥١٠) ، وأحمد (٣/١٣٦ ، ١٣٧) .

(٣) انظر : الحلية لأبى نعيم (٧/٣١٧) ، والطب الروحاني للمصنف .

محمد بن سعد قال : أبنا الواقدي لم يشهد عمرو بدرًا وكان أعرج . فلما أراد رسول الله ﷺ الخروج إلى أحد منعه بنوه وقالوا : قد عذرك الله . فأتى النبي ﷺ فقال : إن بَنيَّ يريدون أن يحبسوني عن الخروج معك ، والله إني لأرجو أن أطأ بعرْجتي هذه في الجنة . فقال رسول الله ، : أما أنت فقد عذرك الله ولا جهاد عليك . ثم قال لبنيه : لا عليكم أن لا تمنعوه لعل الله - عز وجل - يرزقه الشهادة فخلوا عنه [1] .

قالت امـرأته - هند بنت عمرو بن حرام : كأني أنظر إليه موليًا وقد أخذ درقته وهو يقول : اللهم لا تردني إلى أهل حزبي وهي منازل بني سلمة . قال أبو طلحة فنظرت إلى عمْرو حين انكشف المسلمون ثم ثابوا وهو في الرعيل الأول لكأني أنظر إلى ظَلْعٍ في رجله يقولُ : أنا والله مشتاق إلى الجنة . ثم انظر إلى ابنه خلاد يعدو في أثره حتى قتلا جميعًا .

وعن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة أنه بلغه أن عمرو بن الجموح وعبد الله ابن عمرو بن حرام الأنصاريِّين كان السيل قد خرَّب قبرهما وكانا في قبر واحد وهما ممن استشهد يوم أحد، فحفُر عنهما ليغيِّرا من مكانهما فوجدا لم يتغيرا كأنما ماتا بالأمس. وكان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فأميطت يده عن جرحه ثم أرسلت فعادت كما كانت. وكان بين أحد ويوم حُفِرَ عنهما ست وأربعون سنة - رضي الله عنهما .

٧٨ـ أبو قتادة الحارث بن ربعى رضي الله عنه [2]

شهد أحدًا وما بعدها من المشاهد . وكان من الفرسان المذكورين ودعا له رسول الله ﷺ، فقال : « اللهم بارك له في شعره وبشَره » فتوفي وهو ابن سبعين سنة ، وكأنه ابن خمسة عشر سنة . وبصق رسول الله ﷺ جرحٌ كان به . قال : فما ضرب عليَّ قط ولا قاحَ [3] ، وتوفي بالمدينة سنة أربع وخمسين . وقيل بالوقفة.

٧٩ـ جابر بن عبد الله بن عامر بن حرام

يكنى أبا عبد الله . شهد العقبة مع السبعين وكان أصغرهم يومئذ وأراد شهود بدر فخلفه أبوه على أخواته وكنَّ تسعًا وخلفه أيضًا يوم أحد . ثم شهد ما بعد ذلك .

---

(١) رواه ابن هشام فى السيرة (٢/ ١٣٩) ، وانظر « فقه السيرة » للشيخ محمد الغزالى رحمه الله بتحقيق الألبانى (ص / ٢٨١) .

(٢) انظر : سير الأعلام (٢/ ٤٤٩) ، وتهذيب الكمال (٣٤/ ١٩٤) ، والإصابة (٤/ ١٥٨) ، وأُسد الغابة (٦/ ٢٥٠) .

(٣) قاح : أى سال منه القيح .

عن جابر قال : أقبَلتْ عير يوم الجمعة ونحن مع رسول الله ﷺ فانفتل الناس فلم يبق مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً أنا فيهم . فأنزل الله - عز وجل : ﴿ **وإذا رأوا تجارة أوْ لهوًا انفضوا إليها وتركوك قائمًا** ﴾ (١) .

توفي جابر سنة ثمانٍ وسبعين بالمدينة بعد أن ذهب بصره .

٨٠ - زيد بن الدَّثِنة بن معاوية رضي الله عنه (٢)

شهد أحدًا واستؤثر يوم الرجيع مع خبيب بن عدي فباعوهما من قريش فقتلا بمكة. وكان الذي ابتاع زيدًا صفوان بن أمية فقتله بأبيه فحضره نفر من قريش فيهم أبو سفيان فقال قائل : يا زيد أنشدك بالله أتحب أنك الآن في أهلك وأن محمدًا عندنا مكانك؟ فقال : والله ما أحب أن محمدًا يُشاكُ في مكانه شوكةً تؤذيه وأنا جالس في أهلي . فقال أبو سفيان : والله ما رأيت من قوم قطّ أشد حبًا لصاحبهم من أصحاب محمد له .

ومن الطبقة الثالثة من المهاجرين والأنصار ممن شهد الخندق وما بعدها

٨١ - خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم (٣)

يكنى أبا سليمان . وأمه : عصماء ، وهي لبابة الصغرى بنت الحارث أخت أم الفضل امرأة العباس .

المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث قال : سمعت أبي يحدِّث قال : قال خالد بن الوليد - رضي الله عنه : لما أراد الله بي ما أراد من الخير قذف في قلبي حب الإسلام وحضرني رشدي وقلت : قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد فليس موطن أشهده إلا انصرفت وأنا أرى في نفسي أني موضع في غير شيء وأن محمدًا سيظهر . ودافعتْه قريش بالراح يوم الحديبية فقلت أين المذهب ؟ وقلت أخرج إلى هرقل . ثم قلت : أخرج من ديني إلى نصرانية أو يهودية فأقيم مع عجم تابعًا لها مع عيب ذلك علي ؟ ودخل رسول الله ﷺ مكة عام القضية فتغيَّبتُ فكتب إليَّ أخي: « لم أرَ أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وعقلُك عقلُك ومثل الإسلام جهله أحد؟ وقد سألني رسول الله ﷺ عنك فقال : أين خالد ؟ فقلت : يأتي الله به. فقال : ما مثل خالد جهل الإسلام فاستدرك يا أخي ما فاتك » .

---

(١) سورة الجمعة آية : ١١ . (٢) انظر : الإصابة (١/ ٥٦٥) ، وأسد الغابة (٢/ ٢٨٦) .
(٣) انظر : سير الأعلام (١/ ٣٦٦) ، وأسد الغابة (٢/ ١٠٩) .

فلما أتاني كتابه نشطت للخروج وزادني رغبة في الإسلام وسرتني مقالة النبي ﷺ فأرى في المنام كأني في بلاد ضيقة جدبة فخرجت إلى بلد أخضر واسع فقلت إن هذه لرؤيا . فذكرتها بعدُ لأبي بكر فقال : هو مخرجك الذي هداك الله فيه للإسلام ، والضيق الشرْك . فأجمعت الخروج إلى رسول الله ﷺ وطلبت من أصاحب فلقيت عثمان بن طلحة فذكرت له الذي أريد فأسرع الإجابة وخرجنا جميعًا فأدلجْنا سحرًا . فلما كنا بالهدة إذا عمرو بن العاص فقال: مرحبًا بالقوم . فقلنا : وبك . فقال : أين مسيركم ؟ فأخبرناه وأخبرنا أنه يريد أيضًا النبي ﷺ فاصطحبنا حتى قدمنا المدينة على رسول الله ﷺ أول يوم من صفر سنة ثمان . فلما طلعت على رسول الله ﷺ سلمت عليه بالنبوة فردَّ عليَّ السلام بوجه طلق فأسلمت . فقال رسول الله ﷺ قد كنت أرى لك عقلاً رجوت أن لا يسلمك إلا إلى خير ، وبايعتُ رسول الله ﷺ وقلت : استغفر لي كل ما أوضعتُ فيه من صد عن سبيل الله فقال : إن الإسلام يجب ما قبله ثم استغفرَ لي . وتقدم عمرو وعثمان بن طلحة فأسلما . فوالله ما كان رسول الله ﷺ من يوم أسلمت يعدل بي أحدًا من أصحابه فيما يُحز به [1] .

وعن إبراهيم بن يحيى بن زيد بن ثابت قال : لما كان يوم مؤتة وقتل الأمراء أخذ اللواء ثابت بن أقرم وجعل يصيح يا للأنصار ، فجعل الناس يثوبون إليه . فنظر إلى خالد بن الوليد فقال : خذ اللواء يا أبا سليمان . فقال لا آخذه ، أنت أحق به ، لك سن وقد شهدت بدرًا ، قال ثابت : خذه أيها الرجل فوالله ما أخذته إلا لك . وقال ثابت للناس : اصطلحتم على خالد ؟ قالوا نعم . فحمل اللواء وحمل بأصحابه ففضَّ جمْعًا من جَمْع المشركين .

وعن قيس بن أبي حازم قال : سمعت خالد بن الوليد يقول : لقد انقطع في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف وصبرت في يدي صفيحة لي يمانية .

وعن عبد الملك بن عمير قال : استعمل عمر أبا عبيدة بن الجراح على الشام وعزل خالد ابن الوليد . قال : فقال : خالد بن الوليد : بعث عليكم أمين هذه الأمة إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » فقال أبو عبيدة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « خالد سيف من سيوف الله ، نعم فتى العشيرة » [2] .

---

(١) انظر : ابن سعد في طبقاته (٤/٣/١) ، (٧/١١٩) ، والبيهقى فى دلائل النبوة (٤/٣٥١) .

(٢) رواه أحمد (٤/ ٩٠) وعنه ابن عساكر (٥/ ١/٢٧٢) بسند صحيح صححه الشيخ الألبانى وقال : ورجاله كلهم ثقات رجال الشيخين إلا أن عبد الملك لم يدرك عمر - رضى الله عنه - فإنه ولد لثلاث سنين بقين من خلافة عثمان - رضى الله عنه - لكن للحديث شواهد يتقوى بها ا.هـ ، وانظر شواهده فى السلسلة الصحيحة (١٢٣٧) .

قال العلماء بالسير : بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في سرايا ، وخرج معه في غزاة الفتح ، وإلى حنين ، وتبوك ، وفي حجة الوداع . فلما حلق رسول الله ﷺ رأسه أعطاه ناصيته فكانت في مقدم قلنسوته فكان لا يلقى أحدًا إلا هزمه .

ولما خرج أبو بكر - رضي الله عنه - إلى أهل الردة كان خالد بن الوليد يحمل لواءه فلما تلاحق الناس به استعمل خالدًا ورجع إلى المدينة وكان خالد يقول ما أدري من أي يومي أفرُّ ؟ من يوم أراد الله - عز وجل - أن يهدي لي فيه شهادة أو من يوم أراد الله - عز وجل - أن يهدي لي فيه كرامة ؟ .

ولما عزله عمر بن الخطاب لم يزل مرابطًا بحمص حتى مرض فدخل عليه أبو الدرداء عائدًا فقال : إن خيلي وسلاحي على ما جعلته في سبيل الله - عز وجل - وداري بالمدينة صدقة ، قد كنت أشهدت عليها عمر بن الخطاب ونعم العون هو على الإسلام ، وقد جعلت وصيتي وإنفاذ عهدي إلى عمر . فقدم بالوصية على عمر فقبلها وترحم عليه. ومات خالد فقبر في بعض قرى حمص على ميل من حمص سنة إحدى وعشرين . فحكى من غسله أنه ما كان في جسمه موضع صحيح من بين ضربةٍ بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم .

وعن عبد الرحمن بن أبي الزناد أن خالد بن الوليد لما حضرته الوفاة بكى فقال : لقد لقيت كذا وكذا زحفًا وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم أو طعنة برمح ، وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت العيْر ، فلا نامت أعين الجبناء .

وعن شقيق بن سلمة قال : لما مات خالد بن الوليد اجتمع نسوة بني المغيرة في دار خالد يبكين عليه ، فقيل لعمر إنهن قد اجتمعن فانههنَّ . فقال عمر وما عليهن أن يُرقْن دموعهن على أبي سليمان ما لم يكن نقع أو لقلقة .

قال وكيع : النقع الشق ، واللقلقة الصوت - رضي الله عنه .

٨٢ ـ عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل رضي الله عنه (١)

أسلم قبل أبيه واستأذن النبي ﷺ في كتابة ما يسمع منه فأذن له رسول الله ﷺ، وقال: قد حفظت عن رسول الله ﷺ ألف مثل . وكان عالمًا متعبدًا .

عن صفوان بن سليم عن عبد الله بن عمرو قال : استأذنت النبي ﷺ في كتابة ما سمعت منه فأذن لي فكتبته فكان عبد الله يسمي صحيفته الصادقة .

---

(١) انظر : الحلية (١/ ٢٨٣) ، وسير الأعلام (٣/ ٨٠) ، والإصابة (٢/ ٣٥١) ، وأسد الغابة (٣/ ٣٤٩) .

وعن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو قال : زوجني أبي امرأة من قريش فلما دخلتْ عليَّ جعلت لا أنحاشُ لها مما بي من القوة على العبادة من الصلاة والصوم . فجاء عمرو بن العاص إلى كنته حتى دخل عليها فقال : كيف وجدتِ بعلك ؟ قالت : خير الرجال، أو كخير البعولة ، من رجل لم يفتش لنا كنفًا ولم يعرف لنا فراشًا . فأقبل علي فعذلني وعضلني بلسانه فقال : أنكحتك امرأة من قريش ذات حسب فعضلْتها وفعلْت ؟ .

قال : ثم انطلق إلى النبي ﷺ فشكاني . فأرسل إليَّ النبي ﷺ فأتيته فقال لي: أتصوم النهار ؟ قلت : نعم . قال : وتقوم الليل ؟ قلت : نعم . قال : «ولكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأنام ، وأمسُّ النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » وقال : اقرأ القرآن في كل شهر . قلت : إني أجدني أقوي من ذلك . قال : فاقرأه في كل عشرة أيام . قلت : إني أجدني أقوي من ذلك . قال أحدهما - إما حصين وإما مغيرة - قال: فاقرأه في كل ثلاث. قال : ثم قال : صم في كل شهر ثلاثة أيام . قلت إني أقوى من ذلك . قال : فلم يزل يرفقني حتى قال : صم يومًا وأفطر يومًا فإنه أفضل الصيام ، وهو صيام أخي داود . قال حصين في حديثه : ثم قال ﷺ : فإن لكل عابد شرة ولكل شرة فترة فإما إلى سنة وإما إلى بدعة ، فمن كانت فترته إلى سنَّة فقد اهتدى ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك.

قال مجاهد : فكان عبد الله بن عمرو حين ضعف وكبر يصوم الأيام يصل بعضها إلى بعض ليتقوى بذلك ثم يفطر بعدد تلك الأيام . قال : وكان يقرأ من حزبه كذلك يزيد أحيانًا وينقص أحيانا غير أنه يوفي العدد إما في سبع وإما في ثلاث . قال : ثم كان يقول بعد ذلك لأن أكون قبلت رخصة رسول الله ﷺ أحب إليَّ مما عدل به ، لكني فارقته على أمر أكره أن أخالفه إلى غيره . انفرد بإخراجه البخاري [1] .

وعن أبي كثير ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : تجمعون فيقال : أين فقراء هذه الأمة ومساكينها ؟ قال : فيبرزون فيقال : ما عندكم ؟ فيقولون : يا رب ابتلينا فصبرنا وأنت أعلم ووليت الأموال والسلطان غيرنا . قال فيقال : صدقتم. قال : فيدخلون الجنة قبل سائر الناس بزمان ، وتبقى شدة الحساب على ذوي الأموال .

وعن خالد بن معدان ، عن ابن عمرو قال : أرواح المؤمنين في جوف طير خُضر كالزرازير يتعارفون ويُرزقون من ثمر الجنة .

---

(١) أخرجه البخارى (١٩٧٨) .

وعن عبد الله بن أبي مُليكة ، عن عبد الله بن عمرو قال : لو تعلمون حق العلم لسجدتم حتى تنقصف ظهوركم ، ولصرختم حتى تنقطع أصواتكم ، فابكوا فإن لم تجدوا البكاء فتباكوا .

وعن يعلى بن عطاء عن أمه أنها كانت تصنع الكحل لعبد الله بن عمرو . قالت : وإنْ كان ليقوم بالليل فيطفىء السراج ثم يبكي حتى رَصَعتْ عيناه .

وعن عبد الله بن هبيرة عن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال : لأن أدمع دمعة من خشية الله - عز وجل - أحب إلي من أن أتصدق بألف دينار .

وعن سلمان بن ربيعة أنه حجَّ في عصابة من قرَّاء أهل البصرة فقال : والله لا نرجع حتى نلقي رجلاً من أصحاب محمد ﷺ مرضيًا يحدثنا بحديث . فلم نزل نسأل حتى حُدثنا أن عبد الله بن عمرو نازل في أسفل مكة . فعمدنا إليه فإذا نحن بثقل عظيم ويرتحلون ثلاثمائة راحلة ، منها مائة راحلة ومائتا زاملة . فقلنا : لمن هذا الثقل فقالوا : لعبد الله بن عمرو . فقلنا : أكل هذا له ؟ وكنا نحدَّث أنه من أشد الناس تواضعًا . فقالوا لنا : أما هذه المائة راحلة فلإخوانه يحملهم عليها وأما المائتان فلمن نزل عليه من أهل الأمصار ولأضيافه فعجبنا من ذلك . فقالوا : لا تعجبوا من هذا فإن عبد الله رجل غني وإنه يرى حقًا عليه أن يكثر من الزاد لمن نزل عليه من الناس . فقلنا : دلونا عليه . فقالوا إنه في المسجد الحرام . قال : فانطلقنا نطلبه حتى وجدناه في دبر الكعبة جالسًا بين بردتينْ وعمامة ليس عليه قميص ، قد علَّق نعليه في شماله .

وعن هارون بن رئاب قال : لما حضرت عبد الله بن عمرو الوفاةُ قال : إنه كان خطب إليَّ ابنتي رجلٌ من قريش وقد كان مني إليه شبيه بالوعد ، فوالله لا ألقى الله - عز وجل بثلث النفاق . اشهدوا أني قد زوجتها إياه .

قال محمد بن سعد : قال محمد بن عمر وتوفي عبد الله بن عمرو بالشام سنة خمس وستين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة .

قلت : وقد زعم قوم أنه مات بمكة ، ويقال بالطائف ، ويقال بمصر - رحمه الله ورضي عنه .

٨٣ ـ سعيد بن عامر بن حذْيَم (١)

ابن سلامان بن ربيعة الجمحي . أسلم قبل خيبر وشهدها مع رسول الله ﷺ وما بعـدهـا .

---

(١) انظر : الإصابة (٢/ ٤٨) ، وأسد الغابة (٢/ ٣٩٣) .

عن عبد الرحمن بن سابط قال : أرسل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى سعيد بن عامر فقال : إنا مستعملوك على هؤلاء فسرْ بهم إلى أرض العدو فتُجاهدَ بهم . فقال: يا عمر لا تفتنّي . فقال عمر : والله لا أدعكم ، جعلتموها في عنقي ثم تخليتم مني.

وعنه قال : دعا عمر بن الخطاب رجلاً من بني جُمَح يقال له سعيد بن عامر بن حذيم فقال له : إني مستعملك على أرض كذا وكذا . فقال : لا تفتنِّي يا أمير المؤمنين . فقال: والله لا أدعك قلدتموها في عنقي وتركتموني . فقال عمر : ألا نفرض لك رزقًا ؟ قال : قد جعل الله تعالى في عطائى ما يكفينى دونه أو فضلاً على ما أريد .

قال : وكان إذا خرج عطاؤه ابتاع لأهله قُوتهم وتصدَّق ببقيته . فتقول له امرأته : أين فضل عطائك ؟ فيقول لها : قد أقرضته . فأتاه ناس فقالوا : إن لأهلك عليك حقًا وإن لأصهارك عليك حقًا . فقال : ما أنا بمستأثر عليهم ولا بملتمس رضا أحد من الناس لطلب الحور العين ، ولو اطلعت خيْرة من خيرات الجنة لأشرقت لها الأرض كما تشرق الشمس وما أنا بمتخلف عن العنق الأول بعد أن سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يجمع الله - عز وجل - الناس ليوم فيجيء فقراء المؤمنين فيزِفُّون كما يَزفُّ الحمام ، فيقال لهم قفوا عند الحساب . فيقولون: ما عندنا حساب ولا آتيتمونا شيئًا . فيقول ربهم - عز وجل : صدق عبادي فيفتح لهم باب الجنة فيدخلونها قبل الناس بسبعين عامًا » .

فبلغ عمر أنه يمر به كذا وكذا لا يدخن في بيته فأرسل إليه عمر بمال فأخذه فصرره صررًا فتصدق به يمينًا وشمالاً . وقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لو أن حوراء أطلعت إصبعًا من أصابعها لوجد ريحها كل ذي روح فأنا أدعهن لكن ؟ فوالله لأنتنَّ أحرى أن أدعكن لهن منهن لكنَّ » (١) .

وعن حسان بن عطية قال : لما عزل عمر بن الخطاب معاوية بن أبي سفيان عن الشام بعث سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي قال : فخرج معه بجارية من قريش نضيرة الوجه. قال : فما لبث إلا يسيرًا حتى أصابته حاجة شديدة . قال: فبلغ ذلك عمر فبعث إليه بألف دينار . قال : فدخل بها على امرأته فقال: إن عمر بعث إلينا بما ترين. فقالت : لو أنك اشتريت أدمًا وطعامًا وادخرت سائرها. فقال لها : أولا أدلُّك على أفضل من ذلك ؟ نعطي هذا المال من يتَّجر لنا فيه فنأكل من ربحها وضمانها عليه . قالت : فنعم إذًا . فاشترى أدمًا وطعامًا واشترى غلامين وبعيرين يمتاران عليهما حوائجهم وفرقها على المساكين وأهل الحاجة .

(١) رواه الطبرانى فى الكبير (٦/ ٧٢) ، وأبو نعيم فى الحلية (١/ ٢٤٧) ، وأورده الهيثمى فى المجمع (٣/ ١٢٤) وعزاه للطبرانى وقال : رواته ثقات . اهـ .

قال : فما لبث إلا يسيرًا حتى قالت له امرأته : إنه قد نفد كذا كذا فلو أتيت ذلك الرجل فأخذت لنا من الربح فاشتريت لنا مكانه . قال : فسكت عنها . ثم عاودته فسكت عنها حتى آذته ولم يدخل بيته إلا من ليلٍ إلى ليل .

قال : وكان رجل من أهل بيته ممن يدخل بدخوله . فقال لها : ما تصنعين ؟ إنك قد آذيته وإنه قد تصدق بذلك . قال : فبكت أسفًا على ذلك المال .

قال : ثم إنه دخل عليها يومًا فقال : على رسْلك إنه كان لي أصحاب فارقوني منذ قريب ما أحب أني صددت عنهم وإن لي الدنيا وما فيها ، ولو أن خَيْرة من خيرات الجنان اطلعت من السماء لأضاءت لأهل الأرض ولقهر ضوء وجهها الشمس والقمر ، ولنصيف تكسى خير من الدنيا وما فيها . فلأنت في نفسي أحرى أن أدعك لهن من أن أدعهنَّ لك . قال : فسمحتْ ورضيتْ .

وعن مالك بن دينار قال : لما أتى عمر - رضي الله عنه - الشام طاف بكُورها . قال : فنزل بحضرة حمص فأمر أن يكتبوا له فقراءهم قال : فرفع إليه الكتاب فإذا فيه سعيد بن عامر بن حِذْيم أميرها فقال : من سعيد بن عامر ؟ قالوا أميرنا . قال أميركم ؟ قالوا : نعم، فعجب عمر ثم قال : كيف يكون أميركم فقيرًا . أين عطاؤه أين رزقه ؟ قالوا : يا أمير المؤمنين لا يمسك شيئًا قال : فبكى عمر ثم عمد إلى ألف دينار فصرَّها ثم بعث بها إليه وقال : أقرئوه مني السلام وقولوا بعث بهذه إليك أمير المؤمنين تستعين بها علي حاجتك . قال فجاء بها إليه الرسول فنظر فإذا هي دنانير . قال فجعل يسترجع . قال : تقول له امرأته : ما شأنك يا فلان أمات أمير المؤمنين قال : بل أعظم من ذلك . قالت: فما شأنك؟ قال الدنيا أتتني ، الفتنة دخلت عليَّ قالت : فاصنع فيها ما شئت . قال : عندك عوْن ؟ قالت: نعم . قال فأخذ ذُريعة فصر الدنانير فيها صرارًا ثم جعلها في مخْلاة ثم اعترض جيشًا من جيوش المسلمين فأمضاها كلها . فقالت له امرأته : رحمك الله لو كنت حبست منها شيئًا نستعين به قال : فقال لها : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى أهل الأرض لملأت ريح مسك»[1] وإني والله ما كنت لأختارك عليهن فسكتت .

وعن خالد بن معْدان قال : استعمل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بحمص سعيد ابن عامر بن حِذْيم . فلما قدم عمر حمص قال : يا أهل حمص كيف وجدتم عاملكم؟

---

(١) رواه أحمد (٣/ ١٤١ ، ١٤٧) بهذا اللفظ ، وأورده الهيثمي في المجمع (١٠/ ٤١٨) ، وعزاه للطبراني في الأوسط وقال : إسناده جيد . اهـ ، ورواه البخاري (٢٧٩٦) ، والترمذي (١٦٥١) بلفظ : « ولو أن امرأة من أهل الجنة . . . . » الحديث .

فشكوه إليه . وكان يقال لأهل حمص الكويفة الصغرى، لشكايتهم العمال . قالوا : نشكو أربعًا : لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار . قال أعظم بها ، قال : وماذا ؟ قالوا لا يجيب أحدًا بليلٍ . قال: وعظيمة ، قال : وماذا ؟ قالوا : له يوم في الشهر لا يخرج فيه إلينا . قال عظيمة . قال : وماذا ؟ قالوا : يغنظ الغنظة بين الأيام أي تأخذه موتة . قال : فجمع عمر بينهم وبينه وقال : اللهم لا تفيِّل رأيي فيه اليوم . ما تشتكون منه؟ قالوا لا يخرج حتى يتعالى النهار . قال : والله إنْ كنت لأكره ذكره ، إنه ليس لأهلي خادم فأعجن عجينهم ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزي ثم أتوضأ ثم أخرج إليهم.

فقال : ما تشتكون منه ؟ قالوا : لا يجيب أحدًا بليل . قال ما يقولون ؟ قال : إن كنت لأكره ذكره ، إني جعلت النهار لهم وجعلت الليل لله - عز وجل - قال وما تشتكون منه ؟ قالوا : إن له يومًا في الشهر لا يخرج إلينا فيه . قال : ما يقولون ؟ قال: ليس لي خادم يغسل ثيابي ولا لي ثياب أبدلها فأجلس حتى تجف ثم أدلكها ثم أخرج إليهم من آخر النهار. قال : ما تشكون منه ؟ قالوا : يَغنِظُ الغنظة بين الأيام قال: ما يقولون ؟.

قال : شهدت مصرع خُبيب الأنصارى بمكة ، وقد بضعت قريش لحمه ثم حملوه على جذع فقالوا : أتحب أن محمدًا مكانك ؟ فقال : والله ما أحب أني في أهلي وولدي وأن محمدًا شيكَ بشوكة . ثم نادى : يا محمد فما ذكرت ذلك اليوم وتركي نصرته في تلك الحال وأنا مشرك لا أؤمن بالله العظيم إلا ظننت أن الله - عز وجل - لا يغفر لي بذلك الذنب أبدًا فتصيبني تلك الغَنْظة . فقال عمر : الحمد لله الذي لم يفيل فراستي . فبعث إليه بألف دينار وقال : استعن بها على حاجتك . فقالت امرأته الحمد لله الذي أغنانا عن خدمتك فقال لها : فهل لك في خير من ذلك ؟ ندفعها إلى من يأتينا بها أحوج ما نكون إليها . قالت : نعم فدعا رجل من أهله يثق به فصرَّرها صررًا ثم قال انطلق بهذه إلى أرملة آل فلان، وإلى مسكين آل فلان ، وإلى مبتلى آل فلان . فبقيت منها ذُهيبة . فقال : انفقي هذه ثم عاد إلى عمله فقالت : ألا تشترى لنا خادمًا ما فعل ذلك المال ؟ قال : سيأتيك أحوج ما تكونين (١) .

(ذكر وفاة سعيد)

محمد بن سعد قال : قال الواقدي : مات سعيد في سنة عشرين في خلافة عمر - رضي الله عنه .

---

(١) انظر : الحلية (١/ ٢٤٥ - ٢٤٦) .

٨٤ ـ أبو جندل بن سهيل بن عمرو رضي الله عنه [١]

أسلم قديمًا بمكة فحبسه أبوه في الحديد ومنعه الهجرة . فلما نزل رسول الله ﷺ الحديبية وأتاه سهيل بن عمرو فقاضاه على ما قاضاه عليه أقبل أبو جندل يرسف في قيده إلى رسول الله ﷺ فلما رآه أبوه قال : يا محمد هذا أول من أقاضيك عليه فرده رسول الله ﷺ إلى أبيه لأن الصلح كان قد تم بينهم . وكان فيه أن من جاء من المسلمين إلى المشركين لم يردُّوه عليهم ومن جاء من المشركين إلى المسلمين ردُّوه عليهم . فقال أبو جندل : يا معشر المسلمين أُردُّ إلى المشركين ليفتنوني عن ديني ؟ فقال النبي ﷺ : يا أبا جندل إنا قد قاضيناهم ولا بد من الوفاء فاصبر فإن الله - عز وجل - سيجعل لك فرجًا ومخرجًا [٢] .

ثم إنه أفلت منهم يزل ولم يغزو مع رسول الله ﷺ حتى مات . ثم خرج إلى الشام مجاهدًا فمات بها في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة .

٨٥ ـ عياض بن غنم بن زهير رضي الله عنه

أسلم قبل الحديبية ، وشهدها مع رسول الله ﷺ ولما حضرت أبا عبيدة الوفاةُ ولاه عمله فأقرَّه عمر . وكان سمْحًا يعطي ما يملك . فكلم عمر فيه وقيل : يبذِّر المال . فقال: إن سماحه في ذات يده فإذا بلغ مال الله - عز وجل - لم يعط منه شيئًا ولا أعزل مَنْ ولاه أبو عبيدة .

وكان عياض على حمص فكان افتتاح الجزيرة والرهاء وحرَّان والرقة على يديه سنة ثمان عشرة . صالحهم فكتب كتابًا .

وعن موسى بن عقبة قال : لما ولي عياض بن غنم قدم عليه نفر من أهل بيته يطلبون صلته فلقيهم بالبشر وأنزلهم وأكرمهم . فأقاموا أيامًا ثم كلموه في الصلة وأخبروه بما لقوا من المشقة في السفر رجاء صلته . فأعطى كل رجل منهم عشرة دنانير وكانوا خمسة فردُّوها وتسخَّطوا ونالوا منه . فقال : أيْ بني عَمٍّ والله ما أنكر قرابتكم ولا حقكم ولا بُعْد شقتكم، ولكن والله ما حصلتُ إلى ما وصلتكم به إلا ببيع خادمي وببيع ما لا غنى بي عنه فاعذروني . قالوا : والله ما عذرك الله فإنك والي نصف الشام وتعطي الرجل منا ما جهدَه أن يبلِّغه إلى أهله؟ قال : فتأمرونني أسرق مال الله ؟ فوالله لأن أُشق بالمنشار أحب إليَّ من أن أخون فلسًا أو أتعدى . قالوا : قد عذرناك في ذات يدك فولِّنا أعمالاً

---

(١) انظر : سير الأعلام (١/ ١٩٢) ، والإصابة (٥/ ١٣) ، وأسد الغابة (٦/ ٥٤) .

(٢) رواه ابن سعد فى طبقاته (٢/ ١/ ٧١) .

من أعمالك نؤدي ما يؤدي الناس إليك ونصيب من المنفعة ما يصيبون ، وأنت تعرف حالنا وإنا ليس نعدو ما جعلت لنا قال : والله إني لأعرفكم بالفضل والخير ولكن يبلغ عمر أني وليت نفرًا من قومي فيلومني . قالوا : فقد ولاك أبو عبيدة وأنت منه في القرابة بحيث أنت فأنفذ ذلك عمر ، فلو ولَّيتنا لأنفذه قال : إني لست عند عمر كأبي عبيدة . فمضوا لائمين له .

ومات - رضي الله عنه - وما له مال ، في سنة عشرين ، وهو ابن ستين سنة - رضي الله عنه .

٨٦ ـ ثوبان مولى رسول الله ﷺ (١)

يكنى أبا عبد الله . أصابه سباء ، فاشتراه رسول الله ﷺ فأعتقه فلم يزل معه حتى قبض، ثم نزل حمص فمات سنة أربع وخمسين .

عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن ثوبان - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ «من يتقبل لي بواحدة وأتقبل له بالجنة ؟ قال : قلت أنا . قال : فلا تسأل الناس شيئًا»(٢) .

فكان ثوبان يقع سوطهُ وهو راكب فلا يقول لأحد ناوِلْنيه ، حتى ينزل فيتناوله .

٨٧ ـ سفينة مولى رسول الله ﷺ

واسمه مهران . ويكنى أبا عبد الرحمن من مولَّدي الأعراب .

وعن سعيد بن جمهان عن سفينة قال : اشترتْني أم سلمة فأعتقتني واشترطت عليَّ أن أخدم النبي ﷺ ما عشت . فقلت : أنا ما أحب أن أفارق النبي ﷺ ما عشت .

وعن سعيد بن جمهان قال : سألت سفينة عن اسمه ، فقال : سماني رسول الله ﷺ سفينة . قلت : ولمْ سماك سفينة ؟ قال خرج معه أصحابه فثقل عليهم متاعهم فقال لي: ابسط كساءك فبسطته فحولوا فيه متاعهم ثم حملوه عليه . فقال رسول الله ﷺ : احمل فما أنت إلا سفينة (٣) .

وعن محمد بن المنكدر عن سفينة أنه ركب سفينة في البحر فانكسرت بهم . قال : فتعلقتُ بشيء منها حتى خرجت إلى جزيرة فإذا فيها الأسد . فقلت : أبا الحارث أنا

---

(١) انظر : سير الأعلام (٣/ ١٥) ، والإصابة (١/ ٢٠٤) ، وأسد الغابة (١/ ٢٤٩) .

(٢) رواه أبو داود (١٤٥٠) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٤/ ١٩٧) ، وأحمد (٥/ ٢٧٧ ، ٢٨١) ، وأبو نعيم فى الحلية (١/ ١٨١) وصححه الشيخ الألبانى .

(٣) رواه أحمد (٥/ ٢٢٠) .

سفينة مولى رسول الله ﷺ فطأطأ رأسه وجعل يدفعني بجنبه ، يدلني على الطريق فلما خرجت إلى الطريق هَمْهَم فظننت أنه يودعني - رضي الله عنه .

٨٨ ـ الحكم بن عمرو بن مجدع رضي الله عنه (١)

صحب رسول الله ﷺ حتى قبض . ثم تحول إلى البصرة فولاه زياد بن سفيان خراسان فخرج إليها .

عن الحسن أن زيادًا بعث الحكم بن عمرو على خراسان ، ففتح الله - عز وجل - عليهم وأصابوا أموالاً عظيمة فكتب إليه زياد : أما بعد فإن أمير المؤمنين كتب إليَّ أن أصفي الصفراء والبيضاء ، ولا تقسم بين الناس ذهبًا ولا فضة .

فكتب إليه : سلام عليك ، أما بعد فإنك كتبت تذكر كتاب أمير المؤمنين ، وإني وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين ، وإنه والله لو كانت السموات والأرض رَتْقًا على عبدٍ فاتقى الله - عز وجل - لجعل الله له منهما فرجًا ومخرجًا والسلام عليك .

ثم قال للناس : اغدوا على فيئكم فاقتسموه .

قال ابن سعد : وأبنا علي بن محمد القرشي قال : فلم يزل الحكم على خراسان حتى مات بها سنة خمسين - رحمه الله .

٨٩ ـ جندع بن ضمرة الضمري رضي الله عنه (٢)

عن يزيد بن عبد الله بن قَسيط أن جُندع بن ضمرة كان بمكة فمرض فقال لأهله أخرجوني من مكة فإنه قد قتلني غمها . فقالوا إلى أين ؟ فأومأ بيده إلى هاهنا . نحو المدينة يريد الهجرة . فخرجوا فلما بلغوا اضاة بني غفار مات فأنزل الله - عز وجل - فيه **﴿ومَنْ يَخْرُجْ من بيته مُهاجرًا إلى الله ورسوله ثم يُدْرِكْه الموتُ فقد وقع أجْرُهُ على الله﴾** (٣) رحمه الله .

٩٠ ـ واثلة بن الأسقع رضي الله عنه

يكنى أبا قِرْصافة عن محمد بن سعد قال : أتى واثلة رسول الله ﷺ فصلى معه الصبح . وكان رسول الله ﷺ إذا صلى وانصرف تصفح أصحابه . فلما دنا من واثلة قال: من أنت ؟ فأخبره فقال : ما جاء بك ؟ قال : جئت أبايع . فقال رسول الله ﷺ: فيما أحببت وكرهت ؟ قال نعم . قال : فيما أطقت ؟ قال نعم . فأسلم وبايعه .

---

(١) انظر : سير الأعلام (٢/ ٤٧٤) ، والإصابة (١/ ٣٤٦) ، وأسد الغابة (٢/ ٤٠) .
(٢) انظر : الإصابة (١/ ٢٥١) ، وأسد الغابة (١/ ٣٦٥) .
(٣) سورة النساء آية : ١٠٠ .

وكان رسول الله ، يتجهز يومئذ إلى تبوك فخرج واثلة إلى أهله فلقي أباه الأسقع فلما رأى حاله قال : قد فعلتها ؟ قال نعم . قال أبوه : والله لا أكلمك أبدًا . فأتى عمه فسلم عليه فقال : قد فعلتها ؟ قال : نعم . قال : فلامه أيسر من ملامة أبيه وقال : لم يكن ينبغي لك أن تسبقنا بأمرٍ .

فسمعت أخت واثلة كلامه فخرجت إليه وسلمت عليه بتحية الإسلام . فقال واثلة : أنى لك هذا يا أخيَّة ؟ قالت : سمعت كلامك وكلام عمك فأسلمت . فقال : جهِّزي أخاك جهاز غازٍ فإن رسول الله ﷺ على جناح سفر . فجهزته فلحق برسول الله ﷺ قد تحمَّل إلى تبوكٍ وبقي غُبَّرات من الناس وهم على الشخوص فجعل ينادي بسوق بني قينقاع: من يحملني وله سهمي ؟ قال : وكنت رجلاً لا رُحلة بي قال : فدعاني كعب ابن عُجرة فقال : أنا أحملك عقبة بالليل وعقبة بالنهار ويدك أسوة يدي وسهمك لي . قال واثلة : نعم. قال واثلة : جزاه الله خيرًا لقد كان يحملني ويزيدني وآكل معه ويرفع لي حتى إذا بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل خرج كعب في جيش خالد وخرجت معه فأصبنا فيئًا كثيرًا فقسمه خالد بيننا فأصابني ست قلائص فأقبلتُ أسوقها حتى جئت بها خيمة كعب بن عجرة فقلت : اخرج رحمك الله فانظر إلى قلائصك فاقبضها فخرج وهو يبتسم ويقول: بارك الله لك فيها ما حملتُك وأنا أريد أن آخذ منك شيئًا .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي قال : أنا أحمد بن أحمد قال :أنا أحمد بن عبد الله قال: أنا محمد بن علي قال : أنا عبد الله بن سلام قال : أنا هشام بن عمار قال : أنا صدقة بن خالد قال : أنا زيد بن واقد عن بشر بن عبد الله عن واثلة بن الأسْقَع - رضي الله عنه قال: كنا أصحاب الصفَّة في مسجد رسول الله، وما فينا رجل له ثوب ولقد اتخذ العرق في جلودنا طرقًا من الغبار ، إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : « ليبشر فقراء المهاجرين » ثلاثًا [(١)] .

كان واثلة من أهل الصفَّة ، فلما قبض رسول الله ﷺ خرج إلى الشام فمات بها سنة خمسٍ وثمانين ، وهو ابن ثمانٍ وتسعين سنة .

٩١ ـ معاوية بنُ معاوية الليثى العلائى رضي الله عنه [(٢)]

أبو محمد الثقفي ، قال : سمعت أنس بن مالك يقول : « كنا مع رسول الله ﷺ

---

(١) رواه الدارمى (٢/ ٣٣٩) ، وأبو نعيم (٢/ ٢٢ ، ٥/ ١٣٧) ، وانظر : المشكاة (٥٢٥٨) بتحقيق الألبانى .

(٢) انظر : الإصابة (٣/ ٤٣٨) ، وأسد الغابة (٥/ ٢١٥) .

بتبوك ، فطلعت الشمس بضياء وشعاع ونور لم نرها طلعت فيما مضى . فأتى جبريل النبي ﷺ فقال له : يا جبريل ! ما لي أرى الشمس اليوم طلعت بضياء ونور وشعاع لم أرها طلعت به فيما مضى ؟ قال : ذاك أن معاوية بن معاوية الليثى مات بالمدينة اليوم ، فبعث الله – عز وجل – إليه سبعين ألف ملك يصلون عليه . قال: وفيم ذاك ؟ قال : كان يكثر قراءة ﴿**قل هو الله أحد**﴾ بالليل والنهار ، وفي ممشاه وقيامه وقعوده ـ قال يزيد: أو قائمًا أو قاعدًا ـ فهل لك يا رسول الله أن أقبض لك الأرض حتى تصلي عليه ؟ قال : نعم . قال فصلى عليه ثم رجع[1] ، رحمة الله عليه .

٩٢ ـ ذو البجادين

واسمه : عبد الله بن عبد نهم بن عفيف – رضي الله عنه .

عن محمد بن سعد ، قال : كان ذو البِجادَيْن يتيمًا لا مال له . فمات أبوه ولم يورثه شيئًا ، وكفله عمه حتى أيسر ، فلما قدم النبي المدينة جعلت نفسه تتوق إلى الإسلام ولا يقدر عليه من عمه حتى مضت السنون والمشاهد . فقال لعمه : يا عم إني قد انتظرت إسلامك فلا أراك تريد محمدًا ، فائذن لي في الإسلام ، فقال : والله لئن اتبعت محمدًا لا أترك بيدك شيئًا كنت أعطيتكه إلا نزعته منه ، حتى ثوبيْك قال : فأنا والله متبع محمدًا وتارك عبادة الحجر . وهذا ما بيدي فخذه ، فأخذ ما أعطاه حتى جرَّده من إزارة . فأتى أمه فقطعت بجادًا لها باثنين فائتزر بواحد وارتدى بالآخر ثم أقبل إلى المدينة وكان بورقان ، فاضطجع في المسجد في السحر ، وكان رسول الله ﷺ يتصفح الناس إذا انصرف من الصبح فنظر إليه فقال : من أنت ؟ فانتسب له ، وكان اسمه عبد العزَّى . فقال : أنت عبد الله ذو البجادين ثم قال : انزل مني قريباً. فكان يكون في أضيافه حتى قرأ قرآنًا كثيرًا ، فلما خرج النبي ﷺ إلى تبوك قال : ادعُ لي بالشهادة . فربط النبي ﷺ على عضده لحى سَمُرة وقال : اللهم إني أحرمٌ دمه على الكفار . فقال : ليس هذا أردت . قال النبي ﷺ: إنك إذا خرجت غازيًا فأخذتك الحمَّى فقتلتْك فأنت شهيد ، أو وقصتْك دابتك فأنت شهيد. فأقاموا بتبوك أيامًا ثم توفي .

قال بلال بن الحارث : حضرت رسول الله ﷺ ومع بلال المؤذن شعلة من نار عند القبر واقفًا بها وإذا رسول الله ﷺ وهو يقول : « أدْنيا إليَّ أخاكما . فلما هيأه لشقه في

(١) رواه البيهقى (٤/ ٥٠) من طريق العلاء أبو محمد الثقفى قال سمعت أنس بن مالك قال : فذكره .

قال الإمام البيهقى : العلاء هذا هو ابن زيد ويقال ابن زيدل يحدث عن أنس بن مالك بمناكير .

اللحد قال : « اللهم إني قد أمسيت عنه راضيًا فارض عنه » . فقال ابن مسعود : ليتني كنت صاحب اللحد [1] .

وعن أبي وائل ، عن عبد الله قال : والله لكأني أرى رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبر عبد الله ذي البجادين ، وأبو بكر وعمر ، يقول أدنيا إليَّ أخاكما . وأخذه من قبل القبلة حتى آسكنه في لحده ثم خرج النبي ﷺ ووليا هما العمل فلما فرغ من دفنه استقبل القبلة رافعًا يديه يقول : « اللهم إني أمسيت عنه راضيًا فارض عنه » وكان ذلك ليلاً فوالله لوددت أني مكانه ، ولقد أسلمت قبله بخمس عشرة سنة .

٩٣ ـ عبد الله بن مغفل ، أبو سعيد رضي الله عنه

وكان من البكائين [2] ، ومن الذين بعثهم عمر إلى البصرة يفقهونهم .

عن خزاعي بن يزيد قال أُرِيَ عبد الله بن مُغَفّل أن الساعة قد قامت والناس يُعرضون على مكانٍ قال : قد علمت أنه من جار ذلك المكان نجا ، فذهبت أدنو منه فقال : وراءك أتريد أن تنجو وعندك ما عندك ، قال : كلا والله ، قال : فاستيقظت من الفزعْ فأيقظ أهله وعنده تلك الساعة عَيْبة مملوءة دنانير ، فقال : يا فلانة أريني تلك العَيْبَةَ قَبَّحها اللهُ وقبَّح ما فيها . فما أصبح حتى قَسَمَها فلم يدع دينارًا . فلما كان المرض الذي مات فيه أوصى أهله فقال : لا يليني إلا أصحابي ، ولا يصلي عليَّ بنُ زياد .

فلما مات أرسلوا إلى أبي برزة وعائذ بن عمرو ونفر من أصحاب النبي ﷺ فولوا غسله وتكفينه ، فلما أخرجوه إذا بابن زياد في موكبه بالباب ، فقيل له : إنه قد أوصى ألا تصلي عليه . فسار معه حتى إذا بلغ حدّ « البيضاء » مال إلى « البيضاء » وتركه .

وتوفي عبد الله بالبصرة - رحمة الله عليه .

٩٤ ـ عمْران بن حُصَيْن بن عبيد [3]

يكنى أبا نجيد ، أسلم قديمًا وغزا مع رسول الله ﷺ غزوات ولم يزل في بلاد قومه، ثم تحول إلى البصرة فنزلها ومرض بها فسُقي بطنه فبقي ثلاثين سنة على سرير مثقوب .

عن محمد بن سيرين قال : ما قدم البصرة أحد من أصحاب رسول الله ﷺ يفضَّل على عمران بن حصين .

---

(١) انظر : حلية الأولياء (١/ ١٢٢) ، والبداية (٥/ ١٨) .

(٢) الذين ذكرهم الله تعالى فى سورة التوبة ﴿ ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون ﴾ .

(٣) انظر : سير الأعلام (٢/ ٥٠٨) ، والإصابة (٣/ ٢٦) ، وأُسد الغابة (٤/ ٢٨١) .

وعنه قال : سُقي بطن عمران بن حصين ثلاثين سنة كل ذلك يُعرض عليه الكي فيأبي أن يكتوى ، حتى كان قبل وفاته بسنتين فاكتوى .

وعن مطرف عن عمران قال : قد اكتوينا وما أفلحنا ، وما أنجحن ، يعني المكاوي .

وعنه قال : أرسل إلي عمران بن حصين في مرضه فقال : إنه كان يسلم علي، يعني الملائكة ، فإن عشت فاكتم علي وإن متّ فحدث به إن شئت .

وفي رواية عن قتادة : كانت الملائكة تصافح عمران بن حصين حتى اكتوى فتنحت .

وقال مطرف : قلت لعمران : ما يمنعني من عيادتك إلا ما أرى من حالك ، قال : فلا تفعل فإن أحبه إليَّ أحبه إلى الله – عز وجل . وعن مطرف قال : قال لي عمران ابن حصين : أشعرت أنه كان يسلم عليَّ فلما اكتويت انقطع التسليم ، فقلت له : أمن قبل رأسك كان يأتيك التسليم أم من قبل رجلك ؟ قال : بلى من قبل رأسي ، فقلت : إني لأرى ألا تموت حتى يعود ذلك ، فلما كان بعد قال لي : أشعرتُ أن التسليم عاد إليَّ ، ثم لم يلبث إلا يسيرًا حتى مات – رحمه الله .

قال الواقدي : توفي عمران بالبصرة قبل وفاة زياد بن أبي سفيان ، وكانت وفاة زياد في سنة ثلاث وخمسين .

٩٥ ـ سلمة بن الأكوع – رضي الله عنه

غزا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات . وقال رسول الله ﷺ يومًا : « خير فرساننا اليوم أبو قتادة ، وخير رجالتنا سلمة » (١) .

وعن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع أنه كان لا يسأله أحد بوجه الله تعالى إلا أعطاه . وكان يكرهها ويقول هي الإلحاف .

وتوفي سلمة بالمدينة سنة أربع وسبعين وهو ابن ثمانين سنة – رحمه الله .

٩٦ ـ ربيعة بن كعب الأسلمي – رضي الله عنه

أسلم قديمًا وكان من أهل الصفة ، وكان يخدم النبي ﷺ ويبيت على بابه لحوائجه .

عن نعيم بن ربيعة بن كعب قال : كنت أخدم رسول الله ﷺ وأقوم له في حوائجه نهاري أجمع ، حتى يصلي رسول الله ﷺ العشاء الآخرة فأجلس على بابه إذا دخل

---

(٢) رواه الطبرانى (٣/ ٢٧٠) ، ١٨/٧ – ٢٢) ، وفى الصغير (٢/ ١٥١ – ١٥٢) ، والبخارى فى تاريخه (٢/ ٢٥٨) ، والخطيب (٤/ ٤٣٩ – ٤٤٠) ، وابن عدى (١/ ٣٤٥) ، والبيهقى فى الدلائل (٤/ ١٨٥) ، وابن سعد فى طبقاته (٢/ ١/ ٦١ ، ٤/ ٢/ ٣٩) ، وانظر المجمع (٩/ ٣٦٣) ، ونصب الراية (٣/ ٤٢٠) .

بيته، أقول : لعلها أن تحدث لرسول الله ﷺ حاجة . فما أزال أسمعه يقول : سبحان الله، سبحان الله ، سبحان الله وبحمده حتى أملَّ فأرجع أو تغلبني عيني فأرقد ، فقال لي يومًا لما رأى من حَفَّتي له ، وخدمتي إياه ، يا ربيعة سلني أعطك ، قال : فقلت : أنظر في أمري يا رسول الله ثم أعلمك ذلك ، فقال : ففكرت في نفسي فعلمت أن الدنيا منقطعةٌ وزائلةٌ وأن لي فيها رزقًا سيأتين ، قال : فقلت : أسأل رسول الله ﷺ لآخرتي فإنه من الله - عز وجل - بالمنزل الذي هو به ، فجئته فقال : ما فعلت يا ربيعة؟ فقلت : أسألك يا رسول الله أن تشفع لي إلي ربك فيعتقني من النار فقال : من أمرك بهذا يا ربيعة؟ .

فقلت: لا والذي بعثك بالحق ما أمرني به أحد ، ولكنك لما قلت سلني أعْطك وكنتَ منْ الله بالمنزل أنتَ به نظرت في أمري فعَرَفْتُ أن الدنيا منقطعةٌ وزائلة وأن لي فيها رزقًا سيأتيني ، فقلت : أسأل رسولَ الله ﷺ لآخرتي ، قال : فصمت رسول الله ﷺ طويلا ثم قال لي : إني فاعلٌ فأعنِّي على نفسك بكثرة السجود [1] .

ما زال ربيعة يلزم رسول الله ﷺ ويغزو معه ، فلما مات رسول الله ﷺ خرج فنزل على بريدٍ من المدينة وبقي إلى أيام الحرة - رحمه الله .

٩٧ ـ أبو هريرة رضي الله عنه

واختلفوا في اسمه واسم أبيه على ثمانيةَ عشر قولا قد ذكرتها في التلقيح ، وأشهرها عبد شمس بن عامر فسمي في الإسلام عبد الله وكان له هرة صغيرة فكُني بها .

وقدم المدينة في سنة سبع ورسول الله ﷺ بخيبر فسار إلى خيبر حتى قدم مع رسول الله ﷺ المدينة .

عن قيس عن أبي هريرة قال : لما قدمت على النبي ﷺ قلت في الطريق شعرًا :

يا ليـــلة في طولهـــا وعنائهـــا على أنها من دارة الكفر نجَّتِ

قال : وأَبَقَ مني غلامٌ لي في الطريق ، فلما قدمت على رسول الله ﷺ بايعته ، فبينما أنا عنده إذ طلع الغلام فقال لي رسول الله ﷺ : يا أبا هريرة هذا غلامك ، فقلت: هو حر لوجه الله تعالى ، فأعتقته .

وعن سليمان بن حبان قال سمعت أبي يقول : سمعت أبا هريرة يقول : نشأت يتيمًا وهاجرت مسكينًا وكنت أجيرًا لِبَرَّة بنتِ غزوانَ بطعام بطني وعُقْبة رحْلي فكنت أخدم إذا

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٥/ ٥٢) ، وفيه ابن إسحاق ، وهو ثقة ، ولكنه مدلس .

نزلوا وأَحْدُوا إذا ركبوا ، فزوّجنيها الله - عز وجل - فالحمد لله الذي جعل الدين قوامًا وجعل أبا هريرة إمامًا .

وعن أبي كثير قال : حدثنى أبو هريرة قال : ما خلق الله - عز وجل - مؤمنًا يسمع بي ولا يراني إلا أحبني ، قلت : وما علمت بذلك يا أبا هريرة ؟ قال : إن أمي كانت مشركةً وإني كنت أدعوها إلى الإسلام وكانت تأبى عليَّ فدعوتها يومًا فأسمعتنى فى رسول الله ما أكره فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي فقلت : يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فكانت تأبي عليَّ وإني دعوتها اليوم فاسمعتني فيك ما أكره ، فادع الله عز وجل أن يهديَ أمَّ أبي هريرة ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهم اهد أمَّ أبي هريرة » ، فخرجت أعدو لأبشرها بدعاء رسول الله ﷺ فلما أتيت الباب إذا هو مُجاف ، وسمعت خضخضة الماء وسمعت خشخشة رجل فقالت : أبا هريرة كما أنت ، ثم فتحت الباب وقد لبست درعها وعجلت عن خمارها فقالت : إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ، فرجعت إلى رسول الله ﷺ أبكي من الفرح كما بكيت من الحزن ، فقلت : يا رسول الله أبشر فقد استجاب الله دعاءك وقد هدى أمّ أبي هريرة ، وقلت : يا رسول الله ادع الله لي أن يحببني وأمي إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهم حبّب عُبَيْدَك هذا إلى عبادك المؤمنين » ، فما خلق الله مؤمنًا يسمع بي ولا يرانى أو يرى أمي إلا وهو يحبني [1] .

وعن الأعرج قال : قال أبو هريرة : إنكم تقولون : ما بال المهاجرين لا يحدثون عن رسول الله ﷺ بهذه الأحاديث ؟ وما بالُ الأنصار لا يحدثون بهذه الأحاديث ؟ وإن أصخابي من المهاجرين كانت تشغلهم صفقاتهم في الأسواق ، وإن أصحابي من الأنصار كانت تشغلهم أرَضوهم والقيام عليها ، وإني كنت امرأً معتكفًا وكنت أُكثر مُجالسة رسول الله ﷺ ، أحضر إذا غابوا وأحفظ إذا نَسَوْا ، وإن النبي ﷺ حدّثنا يومًا فقال : من يبسط ثوبه حتى أفرغ من حديثي ثم يقبضه إليه فإنه ليس ينسى شيئًا سمعه مني أبداً» فبسطت ثوبي أو قال نَمرتي ، ثم حدثنا فقبضته إليَّ ، فوالله ما نسيت شيئًا سمعته منه ، وايم الله لولا آيةٌ من كتاب الله ما حدثتكم بشيء أبدًا : ﴿**إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى**﴾ الآية كلها [2] ، أخرجاه في « الصحيحين » [3] .

وعن مجاهد أن أبا هريرة - رضي الله عنه - كان يقول : والله إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع ولقد قعدت

---

(١) رواه مسلم (فضائل الصحابة / ١٥٨) . (٢) سورة البقرة آية : ١٥٩ .

(٣) رواه البخارى (١١٨ ، وفى مواطن أخرى) ، ومسلم فضائل الصحابة (١٥٩) .

يومًا على الذي يخرجون منه فمرَّ أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله - عز وجل - ما سألته إلا ليستتبعني ، فلم يفعل ، ثم مر عمر فسألته عن آية من كتاب الله - عز وجل - ما سألته إلا ليستتبعني فلم يفعل ، فمر أبو القاسم ﷺ فَعَرَفَ ما في وجهي وما في نفسي فقال : يا أبا هريرة، فقلت : لبيك يا رسول الله ، فقال إلحقْ ، فتبعتُه فدخل فاستأذنت فأذن لي فوجد قدحًا فيه لبن فقال : من أين لكم هذا اللبن ؟ فقالوا : أهداه لنا فلان ، أو آل فلان، فقال أبا هرّ ، قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : انطلق إلى أهل الصفّة . قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام ولم يأووا إلى أهل ولا مال ، إذا جاءت رسول الله ﷺ هدية أصاب منها وبعث إليهم منها ، وإذا جاءته الصدقة أرسل بها إليهم ولم يصب منها.

قال : فأحزنني ذلك وكنت أرجو أن أصيب من اللبن شربةً أتقوى بها بقية يومي وليلتي. فقلت : أنا الرسول ، فإذا جاء القوم كنت أنا الذي أعطيهم ، فما يبقي لي من هذا اللبن؟ ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد . فانطلقت فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم فأخذوا مجالسهم من البيت ثم قال : أبا هرِ خذ فأعطهم . فأخذت القدح فجعلت أعطيهم فيأخذ الرجل القدح فيشرب حتى يَرْوَى ثمّ يرد القدح حتى أتيت إلى آخرهم ودفعتُه إلى رسول الله ﷺ فأخذ القدح فوضعه في يده وقد بقي فيه فضلة . ثم رفع رأسه إليَّ وتبسم فقال : أبا هر. فقلت : لبيك يا رسول الله . قال : بقيت أنا وأنت . فقلت : صدقت يا رسول الله . قال : فاقعد فاشرب . قال : فقعدت فشربت، ثم قال لي : اشرب . فشربت. فما زال يقول لي : اشرب ، وأشرب حتى قلت : والذي بعثك بالحق ما أجد لها فيَّ مسلكًا . قال : ناولْني القدح . فرددت إليه القدح فشرب من الفضلة . انفرد بإخراجه البخاري [1] .

وعن عبد الرحمن بن عبيد عن أبي هريرة قال : إنْ كنْتُ لأتبع الرجلَ أسأله عن الآية من كتاب الله - عز وجل - ، لأنا أعلم بها منه ومن عشرته ، وما أتبعه إلا ليطعمني القُبْضة من التمر أو السفة من السَّويق أو الدقيق أسدُّ بها جوعي .

فأقبلت أمشي مع عمر بن الخطاب ذات ليلة أحدثه حتى بلغ بابه فأسند ظهره إلى الباب فاستقبلني بوجهه فكلما فرغت من حديث حدثته آخر ، حتى إذا لم أر شيئًا انطلقت فلما كان بعد ذلك لقيني فقال : أبا هريرة أما لو أنه في البيت شيء لأطعمناك.

وعن أبي رافع أن أبا هريرة قال : ما أحدٌ من الناس يهدي لي هدية إلا قبلتها فأما أن أسأل فلم أكن لأسأل .

---

(١) رواه البخاري (٦٤٥٢) .

وعن عِكْرِمَةَ أن أبا هريرة كان يسبّح في كل يوم اثنتي عَشْرَةَ ألف تسبيحة ويقول : أسبّح بقدْر ذنبي .

وعن نعيم بن محرز بن أبي هريرة عن جده أبي هريرة أنه كان له خيط فيه ألفا عقدة فلا ينام حتى يسبح به .

وعن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة قال : لقد رأيتني أصرع بين منبر رسول الله ﷺ وبين حجرة عائشة ، فيقول الناس : إنه لمجنون ، وما بي جنون، ما بي إلا الجوع.

وعن سليمان بن أبي سليمان عن أبيه قال : رأى أبو هريرة زنجية كأنها شيطان فقال: يا أبا سليمان اشترِ لي هذه الزنجية، فانطلقت فاشتريتها وهو على حمار معه ابن له فقال لابنه: أردفْها خلفي ، فكره ابنه ، فجعل ابنه يزجيه ليخرجه من السوق فقال : أردفها خلفي ويحك ، والله لَشُعْلَةٌ من نار أجد مسَّها خلفي أحبُّ إليَّ من أن أرغب عن هذه ألا أحملها، إني لو انتسبت وانتسبت لم نتجاوز إلا قليلاً حتى نجتمع، أردفها فأردفها خلفه.

وعن أبي المتوكل أن أبا هريرة كانت له زنجية فرفع عليها السوط يومًا فقال : لولا القصاص لأغشيتك به ، ولكني سأبيعك ممن يوفيني ثمنك اذهبي فأنت لله – عز وجل.

وعن أبي عثمان النهدي قال : تضيّفت أبا هريرة سبعًا ، فكان هو وامرأته وخادمه يتعقبون الليل أثلاثًا ، يصلي هذا ثم يوقظ هذا ، ويصلي هذا ثم يوقظ هذا .

وعن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة قال : ما وجعٌ أحب إلي من الحمى لأنها تعطي كل مفصل قسطه من الوجع ، وإن الله تعالى يعطي كل مفصلٍ قسطه من الأجر .

وعن أبي العالية عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : أتيت رسول الله ﷺ بتمرات فدعا فيهنَّ بالبركة وقال : اجعلهن في مزْودك فإذا أردت أن تأخذ منه شيئًا فأدخل يدك فخُذه ولا تنثره فجعلته في مزودي فوجهت منه رواحل في سبيل الله تعالى ، وكنت آكل منه وأُطعم ، وكان في حقوتي ، حتى كان يوم قتل عثمان فوقع فذهب .

وعن ثعلبة بن أبي مالك القُرظي أن أبا هريرة أقبل في السوق يحمل حزمة حطب ، وهو يومئذ خليفة لمروان ، فقال : أوسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك ، فقلت : أصلحك الله ، يكفي هذا ، فقال : أوسع الطريق للأمير ، والحزمة عليه .

(ذكر وفاة أبي هريرة – رضي الله عنه)

عن سالم بن بشير بن حجل أن أبا هريرة بكى في مرضه فقيل له : ما يبكيك؟ فقال: أمَا إنه ما أبكي على دنياكم هذه ولكن أبكي على بُعد سفري وقلة زادي ، وإني أصبحت في صَعُودٍ مُهبطٍ على جنة ونار ، لا أدري أيهما يؤخذ بي .

وعن ابن شوذب قال : لما حضرت أبا هريرة الوفاةُ بكى فقيل له : ما يبكيك؟ فقال : بُعدُ المفازةِ وقلةُ الزاد وعقبةٌ كؤودٌ ، المهبطُ منها إلى الجنة أو النار .

توفي أبو هريرة بالمدينة ، ويقال بالعقيق سنة سبع وخمسين ، وقيل سنة تسع ، في آخر خلافة معاوية ، وله ثمانٍ وسبعون سنة ـ رحمه الله .

٩٨ ـ العلاء بن الحضرمي [١]

واسم الحضرمي عبد الله بن عماد بن سلمى من حضرموت

أسلم قديمًا ، وبعثه رسول الله ﷺ إلى المنذر بن ساوى العبدي بالبحرين بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام ، وولاه رسول الله ﷺ البحرين ثم عزله عنها وولاها أبان بن سعيد ، ثم أعاد أبو بكر الصديق العلاء إلى البحرين وكتب إليه عمر - رضي الله عنه - أن سرْ إلى عتبة بن غَزْوان فقد وليتك عمله ، يعني البصرة . فسار إليها فمات في الطريق سنة إحدى وعشرين ، وقيل : أربع عشرة ، وقيل : خمس عشرة .

عن سهم بن منجاب قال : غزونا مع العلاء بن الحضرمي دارِينَ [٢] فدعا بثلاث دعوات فاستجيبت له فيهن : نزلنا منزلا فطلب الماء ليتوضأ فلم يجدْه فقام فصلى ركعتين وقال : اللهم إنا عبيدك وفي سبيلك نقاتل عدوك ، اللهم اسقنا غيثًا نتوضأ منه ونشرب فإذا توضأنا لم يكن لأحدٍ فيه نصيب غيرنا . فسرنا قليلاً فإذا نحن بماء حين أقلعت عنه السماء فتوضأنا منه وتزودنا وملأت إدواتي [٣] وتركتها مكانها حتى أنظر هل أستجيب له أم لا ؟ فسرنا قليلاً ثم قلت لأصحابي : نسيت إداوتى ، فجئت إلى ذلك المكان فكأنه لم يُصبه ماء قط ، ثم سرنا حتى أتينا دارِينَ والبحرُ بيننا وبينهم فقال : يا عليم يا حليم يا عَليُّ يا عظيم إنا عبيدُك وفي سبيلِك نقاتلَ عدوَّك ، اللهم فاجعل لنا إليهم سبيلاً . فتقحّم البحر فخضنا ما يبلغ لبودنا ، فخرجنا إليهم فلما رجع أخذه وجع البطن فمات فطلبنا ماء نغسله فلم نجده فلففناه في ثيابه ودفناه .

فسرْنا غير بعيد فإذا نحن بماء كثير فقال بعضنا لبعض : لو رجعنا فاستخرجناه فغسلناه فرجعنا فطلبناه فلم نجده . فقال رجل من القوم . إني سمعته يقول : يا علي يا عظيم يا حليمْ أخف عليهم موتي أو كلمة نحوها ولا تُطلع على عورتي أحدًا فرجعنا وتركناه .

وعن عمرو بن ثابت قال : دخلتْ في أذن رجل من أهلِ البصرة حصاة فعالجتْها الأطباء فلم يقدروا عليها حتى وصلت إلى صماخه فأسهرت ليلهُ ونغّصت عيش نهاره .

---

(١) انظر : سير الأعلام (١/ ٢٦٢) ، والإصابة (٢/ ٤٩٧) ، وأسد الغابة (٤/ ٧٤) .

(٢) دارين : مدينة فى بلاد فارس . (٣) إناء صغير من جلد .

فأتى رجلاً من أصحاب الحسن فشكا ذلك إليه فقال : ويحك ، إن كان شيء ينفعك الله به فدعوةُ العلاء بن الحضرمي التي دعا بها في البحر وفي المفازة . قال : وما هي رحمك الله؟ قال : يا علي يا عظيم يا حليم يا عليم . فدعا بها فوالله ما برحنا حتى خرجت من أذنه ولها طنين حتى صكَّت الحائط وبرىء - رحمه الله .

٩٩ ـ عمير بن سعد بن عبيد بن النعمان بن قيس

صحب رسول الله ﷺ وولاه عمر - رضي الله عنه - حمص . فأما أبوه سعد فشهد بدرًا ويقال له سعد القاريء وهو الذي يروي الكوفيون أنه أبو زيد الذي جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ ، وقُتل سعد بالقادسية شهيدًا .

عن أبي طلحة الخَوْلاني قال : أتينا عمير بن سعد في داره بفلسطين وكان يقال له نسيجُ وَحْده .

وعن عبد الله بن هارون بن عنترة قال : حدثني أبي عن جدي عن عمير بن سعد الأنصارى قال : بعثه عمر بن الخطاب عاملاً على حمص فمكث حولا لا يأتيه خبره ، فقال عمر لكاتبه : اكتب إلى عمير فوالله ما أراه إلا قد خاننا : إذا جاءك كتابي هذا فأقبل وأقبل بما جبيت من فَيْءِ المسلمين حين تنظر في كتابي هذا .

قال : فأخذ عمير جرابه فوضع فيه زاده وقصعته وعلَّق إدواته وأخذ عنزته ثم أقبل يمشي من حمص حتى قدم المدينة قال : فقدم وقد شحُب لونه واغبرّ وجهه وطالت شعرته فدخل على عمر فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله. قال عمر : ما شأنك ؟ قال : ما ترى من شأني ألست تراني صحيح البدن ظاهر الدم ، معي الدنيا أجرّها بقُرونها ؟ قال عمر : وما معك ؟ وظن عمر أنه جاءه بمال . قال : معى جرابى أجعل فيه زادي ، وقصعتي آكل فيها وأغسل فيها رأسى وثيابى ، وإداوتى أحمل فيها وضوئي وشرابي ، وعنزتي أتوكأ عليها وأجاهد بها عدوا إن عرض لي فوالله ما الدنيا إلا تبعٌ لمتاعي . قال عمر فجئت تمشي ؟ قال : نعم . قال أما كان لك أحد يتبرع لك بدابَّة تركبها ؟ قال : ما فعلوا وما سألتهم ذلك . فقال عمر : بئس المسلمون خرجت من عندهم . فقال عمير : اتق الله يا عمر قد نهاك الله عن الغِيبة وقد رأيتُهم يصلون صلاة الغداة . قال عمر : فأين بعثتُك وأيَّ شيء صنعت ؟ قال : وما سؤالك يا أمير المؤمنين؟ قال عمر : سبحان الله ! فقال عمير : أَمَا إني لولا أخشى أن أغمّك ما أخبرتك : بعثتني حتى أتيت البلد فجمعتُ صُلحاء أهلها فولَّيتهم جباية فَيْئِهم حتى إذا جمعوه وضعته مواضعه ولو نالك منه شيء لأتيتك به ، قال : فما جئتنا بشيء ؟ قال : لا. قال: جدّدوا لعمير عهدًا . قال : إن ذلك شيء لا أعمله لك ولا لأحد بعدك ، والله ما

سلمت بل لم أسلَم ، لقد قلت لنصراني : أخزاك الله ، فهذا ما عرضتني له يا عمر ، وإن أشقى أيامي يوم خلفت معك .

ثم استأذنه فأذن له فرجع إلى منزله وبينه وبين المدينة أميال . فقال عمر حين انصرف عمير : ما أراه إلا قد خاننا . فبعث رجلاً يقال له الحارث وأعطاه مائة دينار وقال : انطلق إلى عمير حتى تنزل به كأنك ضيف فإن رأيت أثر شيء فأقبل ، وإن رأيت حالا شديدًا فادفع إليه هذه المائة الدينار . فانطلق الحارث فإذا هو بعمير جالس يفلي قميصه إلى جنب الحائط فقال له عمير : انزل رحمك الله . فنزل ثم ساءله فقال : من أين جئت ؟ فقال : من المدينة . فقال : كيف تركت أمير المؤمنين ؟ فقال صالحًا . قال : فكيف تركت المسلمين؟ قال : صالحين . قال : أليس يُقيم الحدود ؟ قال : بلى ضرب ابنًا له على فاحشة فمات من ضربه . فقال عمير: اللهم أعِنْ عمر فإنى لا أعلمه إلا شديدًا حبُّه لك .

قال : فنزل به ثلاثة أيام وليس لهم إلا قُرصة من شعير كانوا يخصّونه بها ويَطْوَوْن حتى أتاهم الجَهْد . فقال له عمير : إنك قد أجعتنا فإن رأيت أن تتحول عنا فافعل . قال فأخرج الدنانير فدفعها إليه فقال : بعث بها أمير المؤمنين فاستعن بها . قال : فصاح. قال : لا حاجة لي فيها فردُها . فقالت له امرأته : إن احتجت إليها وإلا فضعها في مواضعها . فقال عمير : والله ما لي شيء أجعلها فيه . فشقت المرأة أسفل درعها فأعطته خرقة فجعلها فيها ثم خرج فقسمها بين أبناء الشهداء والفقراء . ثم رجع والرسول يظن أنه يعطيه منها شيئًا فقال له عمير: أقريء مني أمير المؤمنين السلام .

فرجع الحارث إلى عمر فقال : ما رأيت ؟ قال : رأيت يا أمير المؤمنين حالاً شديدًا . قال فما صنع بالدنانير ؟ قال لا أدري . قال : فكتب إليه عمر : إذا جاءك كتابي هذا فلا تضعه من يدك حتى تُقبل . فأقبل إلى عمر فدخل عليه فقال له عمر : ما صنعت بالدنانير ؟ قال: صنعت ما صنعت وما سؤالك عنها ؟ قال أنشد عليك لتُخبّرني ما صنعت بها . قال : قدّمتها لنفسي . قال : رحمك الله . فأمر له بوسْقٍ من طعام وثوبين . فقال : أما الطعام فلا حاجة لي فيه قد تركت في المنزل صاعين من شعير إلى أن آكل ذلك قد جاء الله بالرزق ولم يأخذ الطعام . وأما الثوبان فإن أم فلان عارية . فأخذهما ورجع إلى منزله .

فلم يلبث أن هلك - رحمه الله - فبلغ ذلك عمر فشق عليه وترحم عليه وخرج يمشي ومعهُ المشّاؤون إلى بقيع الغرْقَد ، فقال لأصحابه : ليتَمنّ كل رجل منكم أمنية ، فقال رجل : يا أمير المؤمنين وددت أن عندي مالاً فأعتق لوجه الله كذا وكذا ، وقال آخر :

وددت أن عندي مالا فأنفق في سبيل الله ، وقال آخر : وددت أن لي قوة فأميح بدلو زمزم لحجاج بيت الله ، فقال عمر بن الخطاب : وددت أن لي رجلا مثل عمير بن سعد أستعين به في أعمال المسلمين - رحمه الله ورضي الله عنه .

١٠٠ ـ خزيمة بن ثابت بن الفاكه

ويكنى أبا عمارة - رضي الله عنه . كانت معه راية بني خطمة في غزاة الفتح . وكان يقال له ذو الشهادتين . وشهد صفّين مع علي - عليه السلام - وقتل يومئذ سنة سبع وثلاثين .

عن عمارة بن خزيمة الأنصاري أن عمه حدثه وهو من أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ ابتاع فرسًا من أعرابي فاستتبعه النبي ﷺ ليقضيه ثمن فرسه ، فأسرع النبي ﷺ المشي وأبطأ الأعرابي ، فطفق رجال يعترضون الأعرابي فيساومون بالفرس لا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه ، حتى زاد بعضُهُم الأعرابيَّ في السوم على ثمن الفرس الذي ابتاعه به النبي ﷺ ، فنادى الأعرابي النبي ﷺ فقال : إن كنت مبتاعًا هذا الفرس فابتعه وإلا بعتُه ، فقام النبي ﷺ حين سمع نداء الإعرابي فقال : أو ليس قد ابتعتُه منك ؟ قال الأعرابي: لا والله ما بعتُك ، فقال النبي ﷺ : بلى قد ابتعته منك . فطفق الناس يلوذون بالنبي ﷺ والأعرابي وهما يتراجعان فطفق الأعرابي يقول : هلمّ شهيدًا يشهد أني بايعتك ، فمن جاء من المسلمين قال للأعرابي : ويلك إن النبي ﷺ لم يكن ليقول إلا حقًّا . حتى جاء خزيمة فاستمع لمراجعة النبي ﷺ ومراجعة الأعرابي وطفق الأعرابي يقول : هلّم شهيدًا يشهد أني بايعتك ، فقال خزيمة : أنا أشهد أنك قد بايعته ، فأقبل النبي ﷺ على خزيمة فقال : بم تشهد ؟ قال : بتصديقك يا رسول الله ، فجعل النبي ﷺ شهادة خزيمة شهادة رجلين [1] .

وقد روي في بعض طرق هذا الحديث أن النبي ﷺ قال لخزيمة : بم تشهدُ ولم تكن معنا ؟ قال : يا رسول الله أنا أصدّقك بخبر السماء أفلا أصدقك بما تقول ؟ .

قال الواقدي : لم يُسمَّ لنا أخو خزيمة الذي روى هذا الحديث . وله أخوان يقال لأحدهما : عبد الله ، وللآخر وحْوَح .

قال الخطابي : ووجه هذا الحديث أن النبي ﷺ حكم على الأعرابي بعلمه إذ كان النبي ﷺ صادقًا بارًا ، وجرت شهادة خزيمة في ذلك مجرى التوكيد لقوله له ﷺ والاستظهار بها على خصمه ، فصارت في التقدير مع قول رسول الله ﷺ كشهادة رجلين في سائر القضايا - رحمه الله .

---

(١) تقدم تخريجه فى الباب الأول مع ذكر القصة .

١٠١ - زيد بن ثابت بن الضحاك [١]

أبو سعيد . وقيل أبو خارجة . قدم رسول الله ﷺ المدينة ، وهو ابن إحدى عشرة سنة وأُجيز في الخندق ، وكان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ . وأمره أبو بكر - رضي الله عنه - أن يجمع القرآن ، وأمره عثمان فكتب المصحف وأُبيّ بن كعب يملي عليه .

عن الزهري قال : أخبرني ابن السباق أن زيد بن ثابت الأنصارى كان ممن يكتب الوحي. قال : أرسل إلي أبو بكر مقتَل أهل اليمامة وعنده عمر ، فقال أبو بكر : « إن عمر أتاني فقال : إن القتل قد استحرَّ يوم اليمامة بالناس ، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقرّاء في المواطن فيذهب كثيرٌ من القرآن ، وإني أرى أن يُجمع القرآن ، قال أبو بكر : فقلت لعمر: كيف أفعل شيئًا لم يفعلْه رسول الله ﷺ ؟ فقال عمر : هو والله خير . فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله - عز وجل - لذلك صدري ورأيت الذي رأى عمر. قال أبو بكر : وإنك رجل شاب عاقل ولا نتّهمك ، كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتَتبَّع القرآن فاجمعْه » .

فوالله لو كلفني نقْل جبلٍ من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن .

قال : قلت : كيف تفعلان شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ فقال أبو بكر : هو والله خير . فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر . فقمت فتتبّعت القرآن أجمعه من الرّقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال ، حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة بن ثابت لم أجدهما مع أحد غيره ﴿**لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم**﴾ [٢] إلى آخرها . وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله - عز وجل ، ثم عند عمر حتى توفاه الله ، ثم عند حفصة بنت عمر ، انفرد بإخراجه البخاري .

وعن أنس - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « أرحم أمتي أبو بكر ، وأشدها في دين الله - عز وجل - عمر ، وأصدقها حياءً عثمان ، وأعلمها بالفرائض زيد ابن ثابت » [٣] .

وعن ابن عباس أنه أخذ لزيد بن ثابت بالركاب ، فقال : تنحّ يا ابن عم رسول الله ﷺ. فقال : هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا .

وعن موسى بن علي قال : سمعت أبي قال : إن كان الرجل ليأتي زيد بن ثابت

---

(٢) انظر : سير الأعلام (٢/ ٤٢٦) ، والإصابة (١/ ٥٦١) ، وأُسد الغابة (٢/ ٢٧٨) .

(٢) سورة التوبة آية : ١٢٨ . (٣) تقدم تخريجه عند ذكر أبي بكر - رضى الله عنه .

فيسأله عن الشيء فيقول : الله أنزل هذا ؟ فإن قال : الله أنزل هذا ، أفتاه وإن لم يحلف تركه .

وعن محمد بن سيرين قال : خرج زيد بن ثابت يريد الجمعة فاستقبله الناس راجعين فدخل دارًا فقيل له ، فقال : إنه من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله .

وعن ثابت بن عبيد قال : كان زيد بن ثابت من أَفْكَهِ الناس في بيته وأزْمَتِه إذا خرج إلى الرجال .

وعنه قال : ما رأيت أحدًا كان أفكه في بيته ولا أحلم في مجلسه إذا جلس مع القوم، من زيد بن ثابت .

(ذكر وفاة زيد - رضي الله عنه)

قال الواقدي : مات زيد بن ثابت بالمدينة سنة خمس وأربعين وهو ابن ست وخمسين سنة ، وقال غير الواقدي : مات سنة إحدى أو اثنتين وخمسين ، وقال آخر : مات سنة خمس وخمسين .

وعن عمار بن أبي عمار قال : لما مات زيد بن ثابت جلسنا إلى ابن عباس في ظل قصر فقال : هكذا ذهاب العلم ، لقد ذهب اليوم علم كثير .

وعن يحيى بن سعيد قال : لما مات زبد بن ثابت ، قال أبو هريرة : مات حَبْر هذه الأمة، ولعل الله أن يجعل في ابن عباس منه خَلَفًا - رضي الله عنه .

١٠٢ ـ أبو جهم عبد الله بن الحارث بن الصمة الأنصاري - رضي الله عنه

عن ابن غزية قال : كان أبو الجهم بن الحارث بن الصمة الأنصاري لا يجالس الأنصار فإذا قيل له قال : الناس شر من الوحدة .

وكان يقول : لا أؤم أحدًا ما عشت . وكان فيما زعموا من أعبد الناس وأشدهم اجتهادًا، وكان لا يفارق المسجد .

١٠٣ ـ شداد بن أوس بن ثابت بن المنذر

يكنى أبا يعلى وكانت له عبادة واجتهاد

عن حسان بن عطية قال : كان شداد بن أوس في سفرٍ فنزل منزلا فقال لغلامه: ائتنا بالسفرة نعبث بها . فأنكرت عليه فقال : ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت إلا وأنا أخطمُها وأزُمّها ، غير كلمتي هذه فلا تحفظوها عليّ واحفظوا عني ما أقول لكم : سمعت رسول

الله ﷺ يقول : « إذا كنز الناس الذَّهب والفضة فاكنزوا هؤلاء الكلمات : اللهم إني أسألك الثبات في الأمر ، والعزيمة على الرشد ، وأسألك شكر نعمتك ، وأسألك حُسن عبادتك ، وأسألك قلبًا سليمًا ، أسألك لسانًا صادقًا ، وأسألك من خير ما تعلم ، وأعوذ بك من شرّ ما تعلم ، وأستغفرك لما تعلم ، إنك أنت علام الغيوب [1] .

وعن ثابت البُنَاني قال : قال شداد بن أوس يومًا لرجل من أصحابه : هات السفرة نتعلل بها . قال : فقال رجل من أصحابه : ما سمعت منك مثل هذه الكلمة منذ صحبتك . فقال : ما أفلتَتْ مني كلمة منذ فارقت رسول الله ﷺ إلا مخطومةً أو مزعومةً غير هذه ، وايْمُ الله لا تنفلت .

وعن أسد بن وداعة ، عن شداد بن أوس أنه كان إذا دخل الفراش يتقلب على فراشه لا يأتيه النوم ، فيقول : اللهم إن النار أذهبتْ مني النوم . فيقوم فيصلي حتى يصبح .

وعنه قال : كان شداد بن أوس إذا أوى إلى فراشه كأنه حبة على مِقلى ، فيقول : اللهم إن النار قد أسهرتني ، ثم يقوم إلى الصلاة .

وعن زياد بن ماهك قال : كان شداد بن أوس يقول : إنكم لن تَروْا من الخير إلا أسبابه، ولن تَروا من الشر إلا أسبابه ، الخير كله بحذافيره في الجنة ، والشر بحذافيره في النار ، وإن الدنيا عَرَضٌ حاضر يأكل منها البَرُّ والفاجر ، والآخرةُ وعْد صادق يحكم فيها ملك قاهر ، ولكلٍ بنون ؛ فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا .

وقال أبو الدرداء : وإن من الناس من يُؤتى علمًا ولا يُؤتى حِلمًا ، وإن أبا يعلي قد أُوتِيَ عِلمًا وحِلمًا .

وعن أبي الدرداء أنه كان يقول : إن لكل أُمة فقيهًا ، وإن فقيه هذه الأمة شداد بن أوس .

وعن محمود بن الربيع قال : قال شداد بن أوس لما حضرته الوفاة : إن أخْوفَ ما أخاف على هذه الأمة الرياء ، والشهوة الخفية .

قال ابن سعد : نزل شداد بن أوس فلسطين ، ومات بها سنة ثمان وخمسين ، وهو ابن خمس وسبعين سنة - رضي الله عنه .

١٠٤ ـ أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم - رضي الله عنه

أمه أم سُلَيم بنت ملحان . ذهبت به أمه إلى رسول الله ﷺ حين قدم المدينة ، فكان يخدمه ، وكان له يومئذ تسع سنين ، ويقال ثمان ، ويقال عشر .

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٢٣) ، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٦٦ ، ٦/ ٧٧) .

عن حميد ، عن أنس قال : أخذت أم سليم بيدي مَقْدَمَ النبي ﷺ المدينة ، فأتت بي رسولَ الله ، فقالت : هذا ابني ، وهو غلام كاتب .

قال : فخدمتُه تسع سنين ، فما قال لشيء صنعته : أسأت ، أو بئس ما صنعتَ .

وعن سيار بن ربيعة قال : سمعت أنس بن مالك يقول : ذهبت بي أمي إلي رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله خُوَيْدِمُك ، ادع الله له ، فقال : « اللهم أكثر ماله وولده وأطِلْ عمره واغفر ذنبه » [1] .

قال أنس : فلقد دفنت من صُلبي مائة غير اثنين ، أو قال : مائة واثنين ، وإن ثمرتي لتحمل في السنة مرتين ، ولقد بقيت حتى سئمت الحياة وأنا أرجو الرابعة .

وعن ثُمامة بن عبد الله بن أنس قال : كان أنس يصلي فيطيل القيام حتى تقطُر قدماه دمًا .

وكان كَرْم أنس يحمل في كل سنة مرتين .

عن ثابت أن أبا هريرة قال : ما رأيت أحدًا أشبه صلاة برسول الله ﷺ من ابن أُم سُلَيْم، يعني أنس بن مالك .

وعن معتمر بن سليمان قال : سمعت أنس بن مالك يقول : ما بقي أحد صلى القبلتين كليهما غيري .

وعن ثابت البُناني قال : شكا قُيِّم لأنس بن مالك في أرضه العطش ، فصلى أنس فدعا، فثارت سحابة حتى غشيتْ أرضه ثم ملأت صِهْرِيجه ، فأرسل غلامه ، فقال : انظر أين بلغت هذه ؟ فنظر فإذا هي لم تَعْدُ أرضه .

وعن أبي غالب قال : لم أرَ أحدًا كان أضنَّ بكلامه من أنس بن مالك .

وعن ثابت قال : كان أنس إذا أشفى على ختم القرآن من الليل بقّي منه سوُرة حتى يختمه عند عياله .

وعنه قال : كان أنس بن مالك إذا ختم القرآن جمع ولده وأهل بيته فدعا لهم.

وعن ثُمامة بن عبد الله بن أنس قال : كان لأنس ثوبان على المِشْجَب كل يوم، فإذا صلى المغرب لبسهما فلم نقدر عليه ما بين المغرب والعشاء قائمًا يصلي.

وعن يزيد بن خُصيفة قال : تنخم أنس بن مالك في المسجد ونسي ، أن يدفنها ، ثم خرج حتى جاء إلى أهله فذكرها فجاء بشعلة من نار فطلبها حتى وجدها ، ثم حفر لها فأعمقَ ، فدفَنها .

---

(١) رواه البخارى (٦٣٣٤) .

قال أهل السير : مات أنس بالبصرة سنة اثنتين وتسعين ، وقيل : ثلاث وتسعين، وقيل : إحدي وتسعين ، وهو ابن تسع وتسعين .

عن حميد أن أنسًا عُمِّر مائة سنة إلا سنة ، ومات سنة إحدى وتسعين .

قلت : وقد قيل : إنه مات ابن مائة وثلاث سنين ، وقيل: تسع سنين ، وغسله محمد بن سيرين ، وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة - رضي الله عنهم أجمعين.

١٠٥ - أبو سعيد الخُدْريّ - رضي الله عنه [١]

واسمه سعد بن مالك بن سنان . استُصغر يوم أُحد فَرُدَّ ، فخرج فيمن يتلقى رسول الله، حين رجع من أُحد ، فنظر إليه رسول الله ﷺ وقال : سعد بن مالك ؟ قال : قلت : نعم بأبي وأمي أنت ، قال : فدنوت منه فقبَّلت ركبتيه ، فقال : آجرك الله في أبيك ، وكان قد قُتل يومئذ شهيدًا ، ثم شهد أبو سعيد الخندق وما بعدها .

عن أبي نضرة عن أبي سعيد أن رجلا من الأنصار كانت له حاجة ، فقال له أهله : ائت النبي ﷺ فاسأله ، فأتاه وهو يخطب ويقول : « من استعفَّ أعفّه الله ، ومن استغنى أغناه الله ، ومن سألنا فوجدنا له أعطيناه » ، [٢] فذهب ولم يسأل .

قلت : إنما أشار بهذا إلى نفسه ، فهو الأنصاري الذي جرت له هذه القصة ، وقد بُيّن ذلك في حديث آخر ، وقد قال فيه أبو سعيد : أصبحت وليس عندنا طعام ، وقد ربطت حجرًا من الجوع ، فقالت لي امرأتي : ائت النبي ﷺ فاسأله فقد أتاه فلان فسأله فأعطاه ، وأتاه فلان فسأله فأعطاه ، وأتاه فلان فسأله فأعطاه . فقلت : لا ، حتى لا أجد شيئًا ، فطلبتُ فلم نجد شيئًا فأتيت النبي ﷺ وهو يخطب فأدركت من قوله: « من يستغنِ يُغنه الله ، ومن يستعفف يعفّه الله » ، قال : فما سألت أحدًا بعده ، وما زال الله يرزقنا حتى ما أعلم أهل بيت من الأنصار أكثر أموالا منّا - رضي الله عنه .

١٠٦ - قيس بن سعد بن عبادة [٣] - رضي الله عنه

وكان من رسول الله ﷺ بمنزلة الشُرَط من الأمير ، عن داود بن قيس ، ومالك بن أنس، وإبراهيم بن محمد الأنصاري ، وخارجة بن الحارث ، وبعضهم قد زاد

---

(١) انظر : سير الأعلام (٣/١٦٨) ، والحلية (١/٣٦٩) ، والبداية والنهاية (٩/٣) .

(٢) انظر : سير الأعلام (٣/١٠٢) ، والإصابة (٣/٢٤٩) ، وأسد الغابة (٤/٤٢٤) .

(٣) رواه النسائى (٥/٩٨) ، والدارقطنى (٢/١١٨) ، وأحمد (٣/٣ ، ٩) ، والطبرانى (٥/٥٩٨)، وأصله فى البخارى بلفظ : « ما يكون عندى من خير فلن أدخره عنكم ، ومن يستعف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يتصبر يصبره الله .... » الحديث .

علي صاحبه في الحديث ، قالوا : بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في سرية فيها المهاجرون والأنصار ، وهم ثلاث مائة رجل ، وكان فيهم قيس بن سعد بن عُبادة فأصابهم جوع شديد ، فقال قيس بن سعد : من يشتري مني تمرًا بجُزُر ، يُوفيني الجُزر هاهنا ، وأوفِّيه التمر بالمدينة ؟ فجعل عمر يقول : واعجبًا لهذا الغلام ؟ لا مال له يَدين في مال غيره ، فوجد رجلاً من جهينة يعطيه ما سأل ، وقال : والله ما أعرفك ، ومن أنت ؟ قال : أنا قيس بن سعد بن عبادة ، فقال الجُهني : ما أعرفني بنسبك ، فابتاع منه خمس جزائر كل جَزُور بوسْقَين من تمر ، فقال الجهني : أشهدْ لي فقال قيس: أشْهدْ من تحبّ ، فكان فيمن استشهدَ : عمر بن الخطاب ، فقال : لا أشهد على هذا بدين ، ولا مال له ، إنما المال لأبيه ، فقال الجُهني ؟ والله ما كان سعد ليخونني بابنه في سُفّة في تمر ، وأرى وجهًا حسنًا وفعالا شريفًا .

وأخذ قيس الجُزرَ فنحرها في مواطن ثلاثة ، كلّ يوم بعير ، فلما كان الرابع نهاه أميره، وقال : تريد أن تخرب ذمتك ولا مال لك ؟ قال قيس : يا أبا عبيدة أترى أبا ثابت وهو يقضي ديون الناس ويحمل الكلّ ويُطعم في المجاعة لا يقضي عني سُفّةً من تمرٍ لقومٍ مجاهدين في سبيل الله - عز وجل ؟ .

فبلغ سعدًا ما أصاب القوم من المجاعة ، فقال : إن يكن قيس كما أعرف فسوف ينحر لهم .

فلما قدم قيس لقيه سعد ، فقال : ما صنعت في مجاعة القوم حيث أصابتهم ؟ قال : نحرت لهم ، قال : أصبت ، ثم ماذا ؟ قال : ثم نحرت ، قال : أصبت ثم ماذا؟ قال: نحرت ، قال : أصبت ثم ماذا ؟ قال : نُهيتُ . قال : ومن نهاك ؟ قال : أبو عبيدة أميري، قال : ولم ؟ قال : زعم أنه لا مال لي ، إنما المال لك ، فقلت : أبي يقضي عن الأباعد ويحمل الكَلّ ويطعم في المجاعة ، أفلا يصنع هذا لي ؟ قال : فلكَ أربع حوائط .

فكتب له بذلك كتابًا وأُتيَ بالكتاب إلى أبي عبيدة ، فشهد فيه أدنى حائط منها يجد خمسين وَسْقًا ، وقدم البدوي مع قيس فأوفاه أوْسقَته وحمله وكساه ، فقال الأعرابي لسعد: يا أبا ثابت والله ما مثل ابنك ضيّعتَ ، ولا تركت بغير مال ، فابنك سيد من سادات قومه ، نهاني الأمير أن أبيعه ، وقال : لا مال له ، فلما انتسب إليك عرفتُه فتقدّمت إليه لما أعرف أنك تسمو إلى معالي الأخلاق وجسيمها.

وبلغ النبيَّ ﷺ فعْلُ قيس ، فقال : إنه في بيتِ جُود .

وتوفي قيس بالمدينة في آخر خلافة معاوية - رضي الله عنه .

١٠٧ ـ عبد الله بن سلام – رضي الله عنه

يكنى أبا يوسف . وكان اسمه الحُصيْن ، فلما أسلم سمّاه رسول الله ﷺ عبد الله . وهو من ولد يوسف بن يعقوب – عليهما السلام ، وهو حليف القواتلة من بني عوف بن الخزرج .

عن زُرارة بن أبي أوفى ، عن عبد الله بن سلام قال : لما قدم النبي ﷺ المدينة انجفل الناس إليه ، فكنت فيمن أتي ، فلما رأيت وجهه عرَفت أنه غير وجه كذاب ، فسمعته يقول : أيها الناس ، أفشوا السلام ، وصِلُوا الأرحام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام [١].

عن أنس أن عبد الله بن سلام أتي رسول الله ﷺ مَقْدَمَه المدينة ، فقال : يا رسول الله إني سائلك عن ثلاث خصال لا يعلمها إلا نبيّ ، قال : سل ، قال ما أوّل أشراط الساعة ؟ وما أول ما يأكل منه أهل الجنة ؟ ومن أي يشبه الولد أباه وأمه ؟ .

قال رسول الله ﷺ : أخبرني بهنّ جبريل آنفًا ، قال : قال جبريل : ذاك عدو اليهود من الملائكة ، قال : أما أول أشراط الساعة فنار تخرج من المشرق تحشر الناس إلى المغرب، وأما أول ما يأكل منه أهل الجنة فزيادة كبد حوت ، وأما شبه الولد أباه وأمه فإذا سبق ماءُ الرجل ماءَ المرأة نَزَعَ إليه الولد ، وإذا سبق ماءُ المرأة ماءَ الرجل نزع إليها.

قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، وقال : يا رسول الله إن اليهود قوم بُهْتٌ وإنهم إن يعلموا بإسلامي يَبْهَتُوني عندك ، فأرسلْ فسلهم عني أيّ رجلٍ عبد الله ابن سلام فيكم ؟ .

قال : فأرسلَ إليهم فقال : أيّ رجل عبد الله بن سلام فيكم ؟ قالوا : خَيْرُنا وابن خيرنا، وعالمنا وابن عالمنا ، وأفقهنا وابنُ أفقهنا ، قال : أرأيتم إن أسلم تسلمون ؟ قالوا : أعاذه الله من ذلك ، قال : فخرج ابن سلام ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، قالوا : شرّنا وابنُ شرّنا ، وجاهلُنا وابنُ جاهلِنا ، فقال ابن سلام : هذا الذي كنت أتخوّف منهم ، انفرد بإخراجه البخاري [٢].

وأخرجا في الصحيحين ، من حديث قيس بن عبادة قال : كنت جالسًا في مسجد المدينة في ناس فيهم بعضُ أصحاب النبي ﷺ ، فجاء رجل في وجهه أثر خشوع ، فقال

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٨٥٠) ، وأحمد (٥/٤٥١) ، وابن السني (٢١١) بسند صحيح ، وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » .

(٢) رواه البخاري (٤٤٨٠) .

بعض القوم : هذا رجل من أهل الجنة ، فصلّى ركعتين تجوز فيهما ، ثم خرج فاتبعته فدخل منزله فدخلت فأخبرته ، فقال : لا ينبغي لأحد أن يقول ما لا يعلم ، وسأحدثك لِمَ ذاك ؟ رأيت رؤيا على عهد رسول الله ﷺ فقصصتها عليه : رأيتُني في روضة ، وسط الروضة عمود من حديد ، أسفله في الأرض وأعلاه في السماء ، في أعلاه عروة ، فقيل لي إرْقَه ، فقلت : لا أستطيع ، فجاءني مِنْصَف ، يعني خادمًا ، فقال بثيابي من خلفي ، فأخذت بالعروة . فقصصتُها على رسول الله ﷺ فقال : تلك الروضة الإسلام، وذاك العمود عمود الإسلام ، وتلك العروة الوثقى ، وأنت على الإسلام حتى تموت، والرجل عبد الله بن سلام .

وعن أبي بُردة بن أبي موسي قال : قدمت المدينة فأتيت عبد الله بن سلام ، فإذا رجل متخشّع ، فجلست إليه فقال : يا بن أخي إنك جلست إلينا وقد حان قِيامنا ، فتأذن ؟ .

قال ابن سعد : وتوفي عبد الله بن سلام بالمدينة سنة ثلاث وأربعين - رحمه الله .

١٠٨ - جُلَيْبِب الصحابى [١] - رضي الله عنه

عن أبي برزة الأسلمي أن جُلَيْبيًا كان امرأ من الأنصار ، وكان أصحاب النبي ﷺ إذا كان لأحدهم أيّم لم يزوجها حتى يُعلِمَ النبي ﷺ : هل له فيها حاجة أم لا ؟ .

فقال رسول الله ﷺ ذات يوم لرجلٍ من الأنصار : يا فلان زوّجني ابنتك ، قال : نعم ونعمة عين ، قال : إني لست لنفسي أريدها ، قال : لمن ؟ قال لجلَيْبيب . قال : يا رسول الله حتى أستأمر أمّها .

فأتاها فقال : إن رسول الله ﷺ يخطب ابنتك ، قالت : نعم ونعمة عين ، زوج رسول الله ﷺ ، قال : إنه ليس لنفسه يريدها ، قالت : فلمن ؟ قال : لجلَيبيب ، قالت : حَلْقَى ألجليبيب ؟ لا ، لعمر الله لا أزوج جُلَيبيًا .

فلما قام أبوها ليأتي النبي ﷺ قالت الفتاة من خدْرها لأبويها من خَطبني إليكما ؟ قالا : رسول الله ﷺ ، قالت : أفتردون على رسول الله ﷺ أمره ؟ ادفعوني إلى رسول الله فإنه لن يضيّعني .

فذهب أبوها إلى النبي ﷺ فقال : شأنك بها ، فزوّجها جُلَيبيا .

قال إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة لثابت : أتدري ما دعا لها به النبيُّ ﷺ؟ قال :

---

(١) انظر : الإصابة (١/ ٣٤٢) ، وأُسد الغابة (١/ ٣٤٨) .

وما دعا لها به النبي - عليه السلام ؟ قال : اللهم صُبَّ عليها الخير صبًا ولا تجعل عيشها كَدًا كدًا [1] .

قال ثابت : فزوَّجها إياه ؛ فبينما رسول الله ﷺ في مغزى له قال : هل تفقدون من أحد ؟ قالوا نفقد فلانًا ونفقد فلانًا . ثم قال : هل تفقدون من أحد؟ قالوا : نفقد فلانًا ونفقد فلانًا ، ثم قال : هل تفقدون من أحد ؟ قالوا " لا " ، قال : لكني أفقد جُلَيبيبًا فاطلبوه في القتلى ، فنظروا فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه ، فقال رسول الله : هذا مني وأنا منه ، أقتلَ سبعة ثم قتلوه ؟ هذا مني وأنا منه أقتل سبعة ثم قتلوه ؟ هذا مني وأنا منه ، فوضعه رسول الله ﷺ على ساعديه ، ثم حفروا له ، ما له سرير إلا ساعدي رسول الله ﷺ ، حتى وضعه في قبره [2] .

قال ثابت : فما في الأنصار أيِّم أنْفَقُ منها .

قال ابن سعد : وسمعت من يذكر أن جُليبيبًا كان رجلا من بني ثعلبة حليفًا في الأنصار ، والمرأة التي زوّجها النبيُّ ﷺ إياه من بني الحارث بن الخزرج - رضي الله عنه .

ومن الطبقة الرابعة ممن أسلم عند الفتح وفيما بعد ذلك

١٠٩ - حكيم بن حزام بن خُوَيْلد بن أسد ابن عبد العُزَى [3] ، يكنى أبا خالد

مصعب بن عثمان قال : دخلت أم حكيم بن حِزام الكعبة مع نسوة من قريش وهي حاملٌ مُتِمٌ بحكيم بن حِزام فضربها المخاض في الكعبة ، فأتيتْ بنطع حيث أعجلها الولادة فولدت حكيم بن حِزام في الكعبة على النِطع ، وكان حكيم من سادات قريش ووجوهها في الجاهلية وفي الإسلام .

قال الزبير : وحدثني عمي مصعب بن عبد الله ، قال : جاء الإسلام ، ودار الندوة بيد حكيم بن حِزام ، فباعها بعدُ من معاوية بن أبي سفيان بمائة ألف درهم ، فقال له عبد الله ابن الزبير : بعت مكْرُمَةَ قريش ؟ فقال حكيم : ذهبت المكارم إلا التقوى ، يا بن أخي إني اشتريت بها دارًا في الجنة أشهدك أني قد جعلتها في سبيل الله .

وعن أبي بكر بن سليمان قال : حجّ حكيم بن حِزام معه مائة بدَنة ، قد أهداها وجللها الحِبَرة وكفها عن أعجازها ووقف مائة وصيفٍ يوم عرفة في أعناقهم أطْوِقة الفضة

---

(١) رواه أحمد (٤/٤٢٢) ، وابن حبان (٢٢٦٩) .

(٢) رواه مسلم (فضائل الصحابة / ١٣١) .

(٣) انظر : سير الأعلام (٣/٤٤) ، والإصابة (١/٣٤٩) ، وأسد الغابة (٢/ ٤٠) .

قد نُقش في رؤوسها : « عُتَقاء الله - عزّ وجل - عن حكيم بن حِزام » ، وأعتقهم وأهدى ألف شاة .

وعن محمد بن سعد يرفعه : أن حكيم بن حِزام بكى يومًا ، فقال له ابنه : ما يبكيك؟ قال : خصالٌ كلُّها أبكاني : أما أولها فبُطءُ إسلامي حتى سبُقت في مواطن كلُّها صالحة ، ونجوت يوم بدر وأُحد فقلت : لا أخرج أبدًا من مكة ولا أُوضعُ مع قريش ما بقيت .

فأقمت بمكة ويأبى الله - عز وجل - أن يشرح صدري للإسلام وذلك أني أنظر إلى بقايا من قريش لهم أسنان متمسكين بما هم عليه من أمر الجاهلية فأقتدى بهم ويا ليت أني لم أقْتدِ بهم فما أهلكنا إلا الاقتداء بآبائنا وكُبرائنا .

فلما غزا النبي ﷺ مكة جعلت أفكر ، فخرجت أنا وأبو سفيان نستروْح الخبر فلقي العباس أبا سفيان فذهب به إلى النبي ﷺ ورجعتُ فدخلت بيتي ، فأغلقتُه عليّ ودخل النبي ﷺ مكة فآمن الناس ، فجئته فأسلمت وخرجت معه إلى حُنَين .

وعن عروة أن حكيم بن حزام أعتق في الجاهلية مائة رقبة ، وفي الإسلام مائة رقبة ، وحمل على مائة بعير .

قال ابن سعد : قال محمد بن عمر : قدم حكيم بن حزام المدينة نزلها وبنى بها داراً، ومات بها سنة أربع وخمسين وهو ابن مائة وعشرين سنة - رحمه الله .

١١٠ ـ شيبة بن عثمان بن طلحة - رضي الله عنه

قال الواقدي عن أشياخ له : إن شيبة بن عثمان كان يحدّث عن إسلامه فيقول: ما رأيت أعجب مما كنا فيه من لزوم ما مضى عليه آباؤنا من الضلالات ، فلما كان عام الفتْح دخل النبي ﷺ عَنْوةً ، قلت : أسير مع قريش إلي هَوازِن بحُنَين فعسى إن اختلطوا أن أصيب من محمد غرّة فأثأر منه فأكون أنا الذي قمت بثأر قريش كلها ، وأقول : ولو لم يبقَ من العربِ والعجم أحد إلا اتبع محمدًا ما اتبعتُه أبدًا .

فلما اختلط الناس اقتحم رسول الله ﷺ عن بغلته وأصلت السيف فدنوت أريد ما أريد منه ورفعت سيفي ، فرفُع لي شُواظٌ من نارِ كالبرق حتى كاد يَمْحَشُني [١] فوضعت يدي على بصري خوفًا عليه ، فالتفت إلي رسول الله ﷺ وناداني : يا شَيْبَ ادْنُ مني ، فدنوت منه فمسح صدري وقال : « اللهم أعذه من الشيطان » [٢] ، فوالله لهو كان ساعتئذٍ أحبَّ إليَّ من سمعي وبصري ونفسي ، وأذهب الله - عز وجل - ما كان بي .

---

(١) يمحشني : أي يحرقني .

(٢) رواه ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٦/ ٣٥٠) .

ثم قال : ادْنُ فقاتِلْ . فتقدّمت أمامه أضرب بسيفي ، والله يعلم أني أحب أن أَقِيَهُ بنفسي كل شيء ، ولو لقيت تلك الساعة أبي لو كان حيًا لأوقعت به السيف .

فلما تراجع المسلمون وكرّوا كرّة رجل واحد قرّبت بغلة رسول الله ﷺ فاستوى عليها فخرج في أثرهم حتى تفرقوا في كل وجه ، ورجع إلى معسكره فدخل خِباءَه ، فدخلت عليه ، فقال : يا شَيْب ، الذي أراد الله بك خيرٌ مما أردتَ بنفسك .

ثم حدَّثني بكل ما أضمرت في نفسي مما لم أكن أذكره لأحد قط ، فقلت : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، ثم قلت : استغفرْ لي يا رسول الله ، فقال : غفر الله لك .

قال الواقدي : كان عثمان بن أبي طلحة يلي فتح البيت إلى أن توفي فدفع ذلك إلى شَيْبة بن عثمان بن أبي طلحة وهو ابن عمه ، فبقيت الحِجابة في ولد شيبة ، وبقي شيبة حتى أدرك يزيد بن معاوية .

١١١ ـ عكرمة بن أبي جهل واسمه عمرو بن هشام(١)

عن ابن أبي مُلَيكة قال : لما كان الفتح ركب عكرمة بن أبي جهل البحر هاربًا فخبّ بهم البحر ، فجعلت الصَّراري (٢) يدعون الله ويوحّدونه ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : هذا مكان لا ينفع فيه إلا الله ، قال : هذا إله محمدٍ الذي يدْعونا إليه ، فارجعوا بنا ، فرجع فأسلم .

وعن مصعب بن سعد ، عن عكرمة بن أبي جهل ، قال : قال النبى ﷺ يوم جئته : « مرحبا بالراكب المهاجر ، مرحباً بالراكب المهاجر . قلت : والله يا رسول الله لا أدع نفقة أنفقتها عليك إلا انفقت مثلها فى سبيل الله » .

وعن عبد الله بن أبي مُليكة أن عكرمة بن أبي جهل كان إذا اجتهد في اليمين قال: لا والذي نجّاني يوم بدر ، وكان يضع المصحف على وجهه ويقول: كتابُ ربي، كتابُ ربّي.

استُشهد عكرمة يوم اليرموك في خلافة أبي بكر ، فوجدوا فيه بضعًا وسبعين من بين ضربةٍ وطعنةٍ ورمية .

١١٢ ـ سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر

يكنى أبا يزيد ، أُسر يوم بدر وفُدي ، وهو الذي تولّى المُصالحة على « القضيّة» التي كُتبت بالحديبية وأقام على دينه إلى يوم الفتح ، وكان ابنه عبد الله من

(١) انظر : سير الأعلام (١/٣٢٣) ، والإصابة (٢/٤٩٦) ، وأسد الغابة (٤/ ٧٠) .
(٢) الصرارى : ملاح السفينة .

المهاجرين الأوّلين وممن شهد بدرًا ، فبعث إليه يسأله أن يستأمن له رسول الله ﷺ فآمنه يوم الفتح، ثم خرج مع رسول الله ﷺ إلى حُنين وهو على شِرْكه حتى أسلم بالجِعْرانة.

عن ابن قمادين قال : لم يكن أحد من كُبراء قريش ، الذين تأخّر إسلامهم فأسلموا يوم فتح مكة ، أكثر صلاةً ولا صومًا ولا صدقةً ولا أقبل على ما يعنيه من أمر الآخرة ، من سهيل بن عمرو ، حتى إن كان لقد شَحُبَ لونه ، وكان كثير البكاء رقيقًا عند قراءة القرآن. لقد رُئي يختلف إلى معاذ بن جبل حتى يُقرئه القرآن وهو بمكة ، حتى خرج معاذ من مكة فقال له ضرار بن الخطّاب : يا أبا يزيد تختلف إلى هذا الخزرجيّ يقرئك القرآن ؟ ألا يكون اختلافُك إلى رجل من قومك من قريش ؟ فقال : يا ضرار هذا الذي صنَع بنا ما صنَع حتى سبقنا كلَّ السَّبْق ، أي لعمري أختلف إليه ، لقد وضع الإسلام أمر الجاهلية ، ورفع الله بالإسلام قومًا كانوا لا يُذكرون في الجاهلية فلَيْتَنا كنا مع أولئك فتقدّمنا.

وعن الحسن قال : حضر باب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - سهيلُ بن عمرو ، والحارثُ ، وبلال ، وتلك الموالي الذين شهدوا بدرًا ، فخرج آذن عمر فأذن لهم، وترك هؤلاء ، فقال أبو سفيان : لم أرَ كاليوم قطّ ، يأذنُ لهؤلاء العبيد ونحن على بابه لا يلتفت إلينا ؟ فقال سهيل بن عمرو ، وكان رجلاً عاقلاً : أيها القوم إني والله لقد أرى الذي في وجوهكم ، إن كنتم غضابًا فاغضبوا على أنفسكم ، دُعي القوم ودُعيتم فأسرعوا وأبطأتم ، فكيف بكم إذا دعوا يوم القيامة وتُركتم ؟ أما والله لما سبقوكم إليه من الفضل مما لا ترونْ أشدُّ عليكم فوتًا من بابكم هذا الذي كنتم تُنافسونهم عليه . قال: ونفض ثوبه وانطلق .

قال الحسن : وصدق والله سهيل ، لا يجعل الله عبدًا أسرع إليه كعبدٍ أبطأ عنه .

خرج سهيل بن عمرو إلي الشام مرابطًا فمات في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة رضي الله عنه .

١١٣ ـ أبو أُمامة الباهلي واسمه صدى بن عجلان

عن رَجاء بن حيْوة ، عن أبي أمامة قال : أنشأ رسول الله ﷺ غزوًا فأتيته ، فقلت: يا رسول الله أُدْعُ الله لي بالشهادة ، فقال : اللهم سلّمهم وغنّمهم ، قال : فَغَزْونا وسلمْنا وغنمْنا .

ثم أتيته بعد ذلك فقلت : يا رسول الله مُرْني بعمل آخذه عنك ينفعني الله - عز وجل - به . قال : عليك بالصوم فإنه لا مثْل له [1] .

قال : فكان أبو أمامة وامرأته وخادمه لا يُلْقَون إلا صياماً فإذا رأوا ناراً أو دخاناً بالنهار في منزلهم عرفوا أنه قد اعتراهم ضيف .

قال : ثم أتيته بعد ذلك ، فقلت : يا رسول الله إنك قد أمرتني بأمرٍ وأرجو أن يكون الله - عز وجل - قد نفعني به ، فمُرني بأمر آخر ينفعني الله - عز وجل - به . قال: اعلم أنك لا تسجد لله - عز وجل - سجدةً إلا رفع الله - عز وجل - لك بها درجةً ، وحطَّ بها عنك خطيئة .

وعن مولاة لأبي أمامة الباهلي قالت : كان أبو أمامة رجلاً يحب الصدقة ويجمع لها من بين الدينار والدرهم والفلوس ، وما يأكل حتى البصلة ونحوها ، ولا يقف به سائل إلا أعطاه ما تهيأ له ، حتى يضعَ في يد أحدهم البصلة .

قالت : فأصبحنا ذات يوم وليس في بيته شيء من الطعام لذلك ولا لنا ، وليس عنده إلا ثلاثة دنانير ، فوقف به سائل فأعطاه ديناراً ، ثم وقف به سائل فأعطاه ديناراً ، ثم وقف سائل فأعطاه ديناراً .

قالت : فغضبتُ وقلت : لم يبق لنا شيء ! فاستلقى على فراشه وأغلقتُ عليه باب البيت حتى أذّن المؤذن للظهر فجئته فأيقظته فراح إلى مسجده صائماً ، فرقّقت عليه فاستقرضت ما اشتريتُ به عشاءً فهيأت سراجاً وعشاء ووضعت مائدة ودنوت من فراشه لأمهده له ، فرفعت المرفقة فإذا بذهب فقلت في نفسي : ما صنع إلا ثقةً بما جاء به . قالت: فعددتُها فإذا ثلاثمائة دينار ، فتركتها على حالها حتى أنصرفَ على العشاء .

قالت : فلما دخل ورأى ما هيأتُ له حمد الله تعالى وتبسم في وجهي ، وقال: هذا خير من غيره ، فجلس فتعشّى ، فقلت : يغفر الله لك جئتَ بما جئت به ثم وضعته بموضع مَضيعة ؟ فقال : وما ذاك ؟ فقلت : ما جئت به من الدنانير . ورفعتُ المرفقة عنها ، ففزع لما رأى تحتها ، وقال : ويحك ما هذا ؟ فقلت : لا علم لي به إلا أني وجدته على ما ترى .

قالت : فَكَثُر فزَعه - رحمه الله ورضي عنه .

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٤٨ ، ٢٤٩) ، والطبراني (٨/ ١٠٨) ، وابن حبان (٣٤٢٥) ، وابن أبي شيبة (٣/ ٥) ، وعبد الرزاق (٧٨٩٩) .

١١٤ ـ لَبِيد بنُ ربيعةَ بنِ مالك ، الشاعرُ (١) – رضي الله عنه

عن الشعبي قال : كتب عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – إلى المغيرة بن شعبة ، وهو عامله علي الكوفة ، أن ادْعُ من قبلك من الشعراء فاستنْشِدهم ما قالوا من الشعر في الجاهلية والإسلام ، ثم اكتب بذلك إليّ .

فدعاهم المغيرة ، فقال للبيد بن ربيعة : أنشدني ما قلت من الشعر في الجاهلية والإسلام، فقلت : لقد أبدلنى الله بذلك سُورة البقرة وآل عمران .

وقال للأغلب العِجْلي : أنشدني ، فقال :

أرجَزًا نُريـد أم قَصيـدا لقد سألت هيّنًا موْجودا

قال : فكتب المغيرة بذلك إلى عمر ، فكتب عمر أن انقُص الأغلب خمسمائة من عطائه وزِدْها في عطاء لبيد .

فرحل إليه الأغلب وقال : أتنقُصني أن أطعتُك ؟ فكتب عمر إلى المغيرة أنْ رُدَّ على الأغلب الخمس مائة التي نقَصْتَه وأقِرّها زيادةً في عطاء لبيد .

قال ابن سعد : وقال عبد الملك بن عمير : مات لبيد ليلة نزل معاوية النُخَيلة لمصالحة الحسن بن علي عليهما السلام .

١١٥ ـ تميم بن أوس بن خارجة بن سويد الدارى (٢) – رضي الله عنه

وفَد على رسول الله ﷺ في جماعة من الداريّن مُنصرفه من تَبوك ، فأسلم واستأذن عمر – رضي الله عنه – في القصص ، فكان يقُصّ .

عن حماد بن زيد قال : حدثنا أيوب عن محمد أن تميمًا الداري اشترى حُلّة بألف فكان يقوم فيها بالليل إلى صلاته . قالوا لحماد بن زيد : ألف درهم ؟ قال : نعم .

وعن ثابت أن تميمًا الداري كانت له حلة قد ابتاعها بألف درهم وكان يلبسها في الليلة التى تُرجى فيها لينة القدر .

وعن محمد بن سيرين ، قال : كان تميم الداري يقرأ القرآن في ركعة .

وعن أبي قلابة قال : كان تميم الداري يختم القرآن في سبع ليال .

وعن مسروق قال : قال لي رجل من أهل مكة : هذا مقام أخيك تميم الداري، صلّى

---

(١) انظر : الإصابة (٣/٣٢٦) ، وأسد الغابة (٤/ ٥١٤) .

(٢) انظر : سير الأعلام (٢/ ٤٤٢) ، والتاريخ الكبير للبخارى (٢/ ١٥٠) .

ليلة حتى أصبح أو كَرَبَ أن يصبح ، يقرأ آية ويردّدها ويبكي : ﴿ **أم حسب الذين اجترَحُوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ (١) الآية .

وعن محمد بن أبي بكر عن أبيه قال : زارتنا « عَمرةُ » فباتت عندنا فقمت من الليل فلم أرفع صوتي بالقراءة ، فقالت : يا ابْن أخي ما منعك أن ترفع صوتك بالقراءة ؟ فما كان يوقظنا إلا صوتُ مُعاذ القاريء ، وتميم الداري .

وعن يزيد بن عبد الله قال : قال رجل لتميم الداري : ما صلاتك بالليل ؟ فغضب غضبًا شديدًا ، ثم قال : والله لركعة أصليّها في جوف الليل في سرٍّ أحبُّ إليّ من أن أصلّي الليل كله ، ثم أقصَّه على الناس .

فغضب الرجل فقال : الله أعلم بكم يا أصحاب رسول الله ﷺ إن سألناكم عنّفتُمونا ، وإن تسألكم حفّيتمونا ، فأقبل عليه تميم ، فقال : أرأيتَك لو كنت مؤمنًا قويًا وأنا مؤمن ضعيف سأعطيك أنا علي ما أعطاك الله ؟ ولكن خذ من دينك لنفسك ، ومن نفسك لدينك حتى تستقيم على عبادةً تُطيقها .

وعن صفوان بن سليم قال : قام تميم الداري في المسجد بعد أن صلَّى العشاء ، فمرّ بهذه الآية ﴿ **وهُمْ فيها كالحُون** ﴾ (٢) فما خرج منها حتى سمع أذان الصبح .

وعن محمد بن المنكدر أن تميمًا الداري نام ليلة لم يقم يتهجّد فيها حتى أصبح ، فقام سنةً لم ينم فيها عقوبةً للذي صنع .

١١٦ ـ جرير بن عبد الله بن جابر – رضي الله عنه

قدم المدينة في رمضان سنة عشر ، وقال : لما دنوتُ من المدينة أنختُ راحلتي ثم حللتُ عَيْبتي ولبست حُلّتي فدخلت ورسول الله ﷺ يخطب ، فسلمت عليه فرماني الناس بالحدَق ، فقلت لجليسي :هل ذكر رسول الله ﷺ من أمري شيئًا ؟ قال : نعم ذكرك فأحسن الذِّكْر : بينما هو يخطب إذ قال : « إنه سيدخل عليكم من هذا الفجّ ، أو من هذا الباب ، الآن خيرُ ذي يمن ، ألا وإن على وجهه مسحةَ ملَك » فحمدت الله – عز وجل – على ما أبلاني (٣) .

وكان عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يقول : إن جريرًا يوسفُ هذه الأمة ، يعني بذلك حُسنه .

---

(١) سورة الجاثية آية : ٢١ . (٢) سورة المؤمنون آية : ١٠٤ .

(٣) رواه أحمد (٤/ ٣٦٤) ، والحاكم (١/ ٢٨٥) ، والبيهقي (٣/ ٢٢٢) ، وصححه الحاكم على شرط الشيخين ، وصححه ابن حبان (٧١٩٩) .

وبعثه رسول الله ﷺ إلى هدْم ذي الخُلُصة وهو بيت لخثعم كان يسمّي الكعبة اليمانية، فأضرمه بالنار .

وعن الشعبي أن عمر - رضي الله عنه - كان في بيت ومعه جرير بن عبد الله ، فوجد عمر ريحًا فقال : عزمتُ على صاحب هذه الريح لمَّا قامَ فتوضأ ، فقال جرير : يا أمير المؤمنين أوَ يتوضأ القوم جميعًا ؟ فقال عمر - رضي الله عنه : رحمك الله ، نعم السيّد كنتَ في الجاهلية ، ونعم السيّد أنت في الإسلام .

وعن قيس قال : شهدت الأشعث وجريرًا حضرا جنازةً ، فقدّم الأشعث جريرًا ، ثم التفت إلى الناس فقال : إني ارتددت وإنه لم يرتدّ .

قال ابن سعد وقال يزيد بن جرير عن أبيه أن عمر قال له ـ والناس يتحامَوْن العراق وقتال الأعاجم : سِرْ بقومك فما غلبت عليه فلك رُبعه .

فلما جمعت الغنائم غنائم جَلُولاء ادّعى جرير أن له رُبع ذلك كلّه . فكتب سعد إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بذلك فكتب عمر : صدق جرير ، قد قلتُ لك له . قال : فإن شاء أن يكون قاتل هو وقومه على جُعْلٍ فأعطُوه جُعْلَه وإن يكن إنما قاتل لله ولدينه وجنّته فهو رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم .

فلما قدم الكتابُ على سعد أخبر جريرًا بذلك ، فقال جرير : صدق أمير المؤمنين ، لا حاجة لي بذلك ، أنا رجل من المسلمين .

١١٧ ـ حممة [١] - رضي الله عنه

قال حميد بن عبد الرحمن : كان رجلٌ يقال له حُمَمَة من أصحاب رسول الله ﷺ ، خرج إلى أصبهان غازيًا وفُتحت في خلافة عمر فقال : اللهم إن حُممَة يزعم أنه يحب لقاءك ، فإن كان صادقًا فاعزِمْ له عليه بصدْقه ، وإن كان كاذبًا فاعزم له عليه وإن كره ، اللهم لا تردّ حُمَمَة من سفره هذا . فمات بأصبهان .

فقام أبو موسى فقال : ألا إنا والله ما سمعنا فيما سمعنا من بينكم ، وما بلغ علْمنَا إلا أنّ حُممَة شهيد .

وعن عبد الأعلى بن عبد الله قال : أصابت حُمَمة شرارة فكان لا يضحك ، فقيل له: ما لك لا تضحك ؟ قال : حتى أعلم أفي الجنة أنا أم في النار ؟ .

قلت : وقد روينا أن حُممَة هذا هبط واديًا فأقام يصلّي فيه أربعين يومًا . وسيأتي ذكْر هذا في أخبار عامر بن عبد قيس .

---

(١) انظر : الإصابة (١/ ٣٥٥) ، وأُسد الغابة (٢/ ٥٨) .

وروينا أنه بات عند هَرِم بن حيّان ، فبات يبكي إلي الصباح وسيأتي في أخبار هَرِم إن شاء الله تعالى .

١١٨ ـ حدير[١] – رضي الله عنه

عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ بعث جيشًا فيهم رجل يقال لـه : حُدَيْر وكانت تلك السنة قد أصابتهم سنة من قلة الطعام ، فزوّدهم رسول الله ﷺ ونسي أن يزود حُديرًا .

فخرج حُدير صابرًا محتسبًا وهو في آخر الركب يقول : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، والحمد لله ، وسبحان الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ويقول : نعم الزّاد هو يا رب، فهو يردّدها وهو في آخر الركب .

قال : فجاء جبريل إلي النبي ﷺ فقال له : إن ربّي أرسلني إليك يخبرك أنك زوّدتَ أصحابك ونسيت أن تزوّد حُدَيْرًا ، وهو في آخر الركب يقول : لا إله إلا الله ، والله أكبر، وسبحان الله ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ويقول : نعم الزاد هو يا رب . قال : فكلامهُ ذلك له نورٌ يوم القيامة ما بين السماء والأرض ، فابعثْ إليه بزادٍ.

فدعا النبي ﷺ رجلاً فدفع إليه زاد حُدير وأمره إذا انتهى إليه حفظ عليه ما يقول ، وإذا دفع إليه الزاد حفظ عليه ما يقول ، ويقول له : إن رسول الله ﷺ، يُقرئك السلام ورحمة الله ، ويخبركَ أنه كان نسي أن يزّودك ، وإن ربي تبارك وتعالى أرسل إليّ جبريل يذكّرني بك ، فذكّره جبريل وأعلمه مكانك .

فانتهى إليه وهو يقول : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ويقول : نعم الزاد هذا يا رب . قال : فدنا منه ثم قال له : إن رسول الله ﷺ يُقرئك السلام ورحمة الله وقد أرسلني إليك بزاد معي ، ويقول : إني إنما نسيتك فأرسل إليّ جبريل من السماء يذكرني بك ، قال : فحمدَ الله وأثنى عليه ، وصلَّى على النبي ﷺ ، ثم قال : الحمد لله رب العالمين ، ذكَرني ربي من فوق سبع سموات ، ومن فوق عرشه ، ورحِم جُوعي وضعفي، يا ربّ كما لم تنس حُديرًا فاجعلْ حُديرًا لا ينساك .

قال : فحفظ ما قال ورجع إلى النبي ﷺ فأخبره بما سمع منه حين أتاه ، وبما قال حين أخبره ، فقال رسول الله ﷺ : أما إنك لو رفعت رأسك إلى السماء لرأيتَ لكلامه ذلك نورًا ساطعًا ما بين السماء والأرض .

---

(٢) انظر : الإصابة (١/ ٣١٦) ، وأُسد الغابة (١/ ٤٦٥) .

ومن الطبقة الخامسة

وهم الذين توفى رسول الله ﷺ وهم أحداث الأسنان

١١٩ ـ عبد الله بن العباس بن عبد المطلب

يكنى أبا العباس ، ولد في الشِّعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسيرٍ ، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين .

وتوفي النبي ﷺ وهو ابن ثلاث عشرة سنة وكان حَبْر الأمة ويسمى البحر لغزارة علمه، وكان عمر وعثمان - رضي الله عنهما - يدعوانه فيشير عليهما مع أهل بدر ، وكان يُفتى في عهدهما إلى أن مات ، وكان له من الولد : العباس ، وعلي السجّاد ، والفضل، ومحمد ، وعُبيد الله ، ولُبابة ، وأسماء .

عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان في بيت ميمونة فوضعت له وضوءًا من الليل ، قال : فقالت له ميمونة : وضع لك هذا يا رسول الله عبدُ الله بنُ عباس ، فقال : « اللهم فقّهه في الدين وعلّمه التأويل» [(١)] .

وعن عكرمة عن ابن عباس قال : ضمني إليه رسول الله ﷺ وقال : « اللهم علّمه الحكْمة»[(٢)] .

وعنه ، عن ابن عباس قال : رأيت جبريل - عليه السلام - مرّتين ، ودعا لي رسول الله ﷺ بالحكمة مرتين [(٣)] .

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : دعا رسول الله ﷺ لعبد الله بن عباس فقال : « اللهم بارك فيه وانشر منه » [(٤)] .

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان عمر - رضي الله عنه - يأذن لأهل بدر ويأذن لي معهم ، فقال بعضهم : أتأذن لهذا الفتى ومن أبنائنا من هو مثْله ؟ فقال : فإنه ممّن قد علمتم .

فأذن لهم يومًا وأذن لي معهم . فسألهم عن هذه السورة : ﴿ **إذا جاء نَصْر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجًا** ﴾ [(٥)] فقالوا : أمر الله - عز وجل - نبيّه إذا فتح الله عليه أن يستغفر وأن يتوب إليه ، فقال لي : ما تقول يا ابن عباس؟ فقلت :

---

(١) رواه البخارى (١٤٣) ، ومسلم (فضائل الصحابة / ١٣٨) .
(٢) رواه البخارى (٣٧٥٦) .
(٣) رواه الترمذى (٣٨٢٣) .
(٤) انظر : الحلية (١/ ٣١٥) ، والإصابة (٢/ ٣٢٣) .
(٥) سورة النصر .

ليس كذلك، ولكنه أخبر نبيه ﷺ بحضور أجله فقال : ﴿ **إذا جاء نصرُ الله والفَتْح** ﴾ فَتْح مكة ﴿ **ورأيتَ الناس يدخلون في دين الله أفواجًا** ﴾ أي فعند ذلك علامة موتِكَ ﴿ **فسبِّحْ بحمد ربّك واستغفره إنه كان توّابًا** ﴾ .

فقال لهم : كيف تلومونني عليه بعد ما تَرونْه ؟ .

وعن الأوزاعي قال : قال عمر بن الخطاب لعبد الله بن عباس : والله إنك لأصبَحُ فتياننا وجهًا ، وأحسنهم عقلاً ، وأفقههُم في كتاب الله – عز وجل – .

وعن ابن عباس – رضي الله عنه – قال : كان عمر يسألني مع أصحاب محمد ، وكان يقول لي : لا تتكلم حتى يتكلموا ، فإذا تكلمت قال : غلبتُموني أن تأتوا بمثل ما جاء به هذا الغلام الذي لم يجتمع شؤون رأسه .

قال ابن إدريس : وشؤون رأسه : الشيب الذي يكون في الرأس .

وعن الحسن قال : كان ابن عباس يقوم على منبرنا هذا فيقرأ البقرة وآل عمران فيفسرهما آية آية .

وكان عمر إذا ذكره قال : ذاكُم فتى الكهول ، له لسانٌ سؤولُ ، وقلب عقول .

وعن المغيرة قال : قيل لابن عباس : أنَّى أصبت هذا العلم ؟ قال : لسان سَؤُول ، وقلَب عقُول .

وعن مسروق قال : قال عبد الله : لو أن ابن عباس أدرك أسناننا ما عاشره منا أحد . قال : وكان يقول : نعْم تَرْجمان القرآن ابنُ عباس .

وعن عكْرمة ، عن ابن عباس قال : لما قُبض رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: هلمّ فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ فإنهم اليوم كثير ، فقال : واعجبًا لك يا بن عباس! أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ من فيهم ؟ قال : فتركت ذلك وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله ﷺ عن الحديث ، فإن كان ليبلُغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل [1] ، فأتوسَّد التراب فيخرج فيراني فيقول : يا ابن عمّ رسول الله ، ما جاء بك ، ألا أرسلت إلي فآتيك ؟ فأقول : لا ، أنا أحقّ أن آتيك فأسألك عن الحديث .

فعاش ذلك الفتى الأنصارى حتى رآني ، وقد اجتمع الناس حولي يسألوني فيقول : هذا الفتى كان أعقل مني .

---

(١) من القيلولة : نومة وسط النهار .

وعن أبي صالح قال : لقد رأيت من ابن عباس مجلسًا لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها فخرًا ، رأيت الناس اجتمعوا حتى ضاق بهم الطريق فما كان أحد يقدر على أن يجيء ولا أن يذهب ، قال : فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه فقال : ضع لي وضوءًا ، قال : فتوضأ وجلس ، وقال : اخرج فقل لهم : من أراد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أراد منه فليدخل .

قال : فخرجت فآذنْتُهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحُجْرة . فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم عنه وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثر .

ثم قال : إخوانكم ، قال : فخرجوا ، ثم قال : اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن تفسير القرآن وتأويله فليدخلْ ، قال : فخرجت فآذنْتُهم ، فدخلوا حتى ملأوا البيت والحُجْرة ، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثْل ما سألوا عنه أو أكثر .

ثم قال : إخوانكم ، قال : فخرجوا ، ثم قال اخرج فقل : من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقْه فليدخل ، قال فخرجت فقلت لهم ، فدخلوا حتى ملأوا البيت والحُجْرة فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثلَه .

ثم قال : إخوانكم . قال : فخرجوا . ثم قال : اخرج فقل من أراد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها فليدخل . قال : فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة . فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله .

ثم قال : إخوانكم . قال : فخرجوا ثم قال : أخرج فقل : من أراد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل . قال : فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة: فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله .

قال أبو صالح : فلو أن قريشًا كلَّها فخرت بذلك لكان لها فخرًا ، فما رأيت مثل هذا لأحدٍ من الناس .

وعن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر أن رجلاً أتاه يسأله عن السموات والأرض ﴿كانتا رَتْقًا ففتَقْناهما﴾ (١) ، قال : اذهب إلى ذلك الشيخ فسلْه ، ثم تعالَ فأخبرني ما قال .

فذهب إلى ابن عباس فسأله فقال ابن عباس : كانت السموات رتْقًا لا تُمطر وكانت رتقًا لا تُنبت ، ففتق هذه بالمطر ، وفتَق هذه بالنبات ، فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره، فقال : إن ابن عباس قد أُوتي علمًا ، صدق ، هكذا كانت .

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٣٠ .

ثم قال ابن عمر : لقد كنت أقول : ما يُعجبني جرأةُ ابن عباس على تفسير القرآن ، فالآن علمتُ أنه قد أوتي علْمًا .

وعن مجاهد قال : كان ابن عباس يسمَّى البحر ، من كثرة علْمه .

وعن شقيق قال : خطب ابن عباس وهو على الموْسِم فافتتح سورة البقرة فجعل يقرأ ويفسّر ، فجعلت أقول : ما رأيت ولا سمعت كلام رجلٍ مثله ، ولو سمعته فارسُ والروم لأسلمتْ .

وكان طاوس يقول : كان ابن عباس قد بَسَقَ على الناس في العلْم كما بسق النخلةُ السَّحوقُ على الوَديّ الصغار .

وعن ابن بريدة قال : شتم رجلٌ ابن عباس فقال ابن عباس : إنك لتشتمني وفيَّ ثلاث خصال : إني لآتي على الآية من كتاب الله – عز وجل – ، فلوددت أن جميع الناس يعلمون منها ما أعلم ، وإني لأسمع بالحاكم من حكّام المسلمين يعدل في حكمه فأفرح به ولعلّي لا أقاضي إليه أبدًا ، وإني لأسمع أن الغيث قد أصاب بلدًا من بلدان المسلمين فأفرح به وما لي به من سائمة .

وعن ميمون بن مهران قال : سمعت ابن عباس يقول : ما بلغني عن أخٍ مكروهٌ قطّ إلا أنزلته إحدى ثلاث منازل : إن كان فوقي عرفتُ له قدْره ، وإن كان نظيري تفضلت عليه ، وإن كان دوني لم أحفل له ، هذه سيرتي في نفسي ، فمن رغب عنها فأرضُ الله واسعة .

وعن أبي حمزة ، عن ابن عباس قال : لأن أقرأ البقرة في ليلة وأتفكّر فيها أحبُّ إليَّ من أن أقرأ القرآن هذْرمةً .

وعن الضحّاك ، عن ابن عباس أنه قال : يا صاحب الذنب لا تأمننّ سوء عاقبته ، ولما يَتْبع الذنب أعظمُ من الذنب إذا عملْتَه ، قلّة حيائك ممن على اليمين وعلى الشمال وأنت على الذنب أعظمُ من الذنب الذي صنعته ، وضحكك ، وأنت لا تدري ما الله صانعٌ بك ، أعظم من الذنب ، فرحك بالذنب إذا عملته أعظم من الذنب ، وحُزنك على الذنب إذا فاتك ، أعظم من الذنب ، إذا ظفرت به ، وخوفك من الريح إذا حرّكْت ستْر بابك وأنت على الذنب ولا يضطرب فؤادك من نظر الله إليك أعظمُ من الذنب إذا عملته .

وعن عبد الله بن أبي مُليكة قال : صحبتُ ابن عباس من مكة إلى المدينة ، فكان إذا نزل قام شطْر الليل يرتّل ويُكثر في ذلك التسبيح .

وعن أبي رجاء قال : كان هذا الموضع من ابن عباس مجرى الدموع كأنه الشِّراك البالي.

وعن طاوس ، كان يقول : ما رأيت أحدًا أشدّ تعظيمًا لحُرمات الله - عز وجل - من ابن عباس ، والله لو أشاء - إذا ذكرته - أن أبكي لبكيت .

وعن سماك أن ابن عباس سقط في عينيه الماء فذهب بصره ، فأتاه هؤلاء الذين ينقبُون العيون ويُسيلون الماء ، فقالوا : خلّ بيننا وبين عينيك نسيل ماءهما ، ولكنك تمكث خمسة أيام لا تصلّي يعني قائمًا . قال : لا ، والله ولا ركعة واحدة، إني حُدّثت أنه من ترك صلاة واحدة متعمدًا لقي الله - عز وجل - وهو عليه غضبان .

وعن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لأن أعُولَ أهل بيتٍ من المسلمين شهرًا أو جمعة أو ما شاء الله ، أحبُّ إلي من حجّة بعد حجة ، ولَطَبَقٌ بدانقٍ أهديه إلي أخٍ لي في الله أحبُّ إلى من دينارٍ أنفقه في سبيل الله - عز وجل .

وعن الضحّاك ، عن ابن عباس قال : لما ضُرب الدينار والدرهم أخذه أبليس فوضعه على عينيه ، وقال : أنت ثمرة قلبي وقُرّة عيني ، بك أُطغي ، وبك أُكفر ، وبك أُدخلُ الناس النار ، رضيتُ من ابن آدم بحبّ الدنيا أن يعبدني .

وعن قابوس ، عن أبيه عن ابن عباس قال : آخر شدَّة يلقاها المؤمن : الموتُ.

وعن عكرمة ، عن ابن عباس قال : خذ الحكمة ممن سمعت ؛ فإن الرجل ليتكلم بالحكمة وليس بحكيم ، فتكون كالرّمْية خرجت من غير رامٍ .

(ذكر وفاة ابن عباس - رضي الله عنهما)

تُوفِّي ابنُ عباس بالطائف سنة ثمان وستين ، وهو ابن إحدى وسبعين سنة .

وعن ميمون بن مهران قال : شهدت جنَازة عبد الله بن عباس بالطائف ، فلما وضع ليصلَّي عليه جاء طائر أبيض حتى دخل في أكفانه فالتُمس فلم يوجد ، فلما سُوِّي عليه سمعنا صوتًا نسمع صوته ولا نرى شخصه : ﴿ **يا أيتُها النفسُ المطمئنَّةُ ارجعي إلى ربِّك راضيةً مرضيّةً فادخلى في عبادي وادخُلي جنَّتي** ﴾ [1] .

ولما بلغ جابر بن عبد الله وفاةُ ابن عباس صفق بإحدى يديه علي الأخرى ، وقال: مات أعلم الناس وأحلم الناس ، ولقد أصيبت به هذه الأمة مصيبة لا تُرتَق.

وعن منذر قال : لما مات ابن عباس قال ابن الحنفية : اليوم مات ربَّانيُّ هذه الأمة .

---

(١) سورة الفجر آية : ٢٨ ، وانظر : الحلية (١/ ٣٢٩) .

١٢٠ ـ الحسن بن علي بن أبي طالب [١] - عليهما السلام

يكنى أبا محمد ، ولد في النصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة ، وأذّن رسولُ الله ﷺ في أُذُنه . وكان له من الولد خمسة عشر ذكرًا ، وثمان بنات .

عن البراء قال : رأيت رسول الله ﷺ واضعًا الحسن بن عليٍّ على عاتقه وهو يقول : «اللهم إني أُحبه فأحبَّه » ، أخرجاه في « الصحيحين » [٢] .

وعن عُقبةَ بنِ الحارث قال : خرجت مع أبي بكر من صلاة العصر بعد وفاة رسول الله ﷺ بليالٍ ، وعلي يمشي إلى جنبه ، فمرّ بالحسن بن علي يلعب مع غلمان ، فاحتمله على رقبته ، وهو يقول : وابأبي شبيه بالنبي ليس شبيهًا بعلي ، قال : وعليّ يضحك ، انفرد بإخراجه البخاري .

وفي أفراده من حديث أبي بكرة قال : رأيت النبي ﷺ علي المنبر والحسن بن علي إلى جنبه ، وهو يُقبل على الناس مرّةً وعليه أخرى ، ويقول : « إن ابني هذا سيّد ، ولعل الله - عز وجل - أن يُصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » [٣] .

وأخرجا من حديث أبي جُحيفة قال : رأيت النبي ﷺ وكان الحسن يشبهه .

وعن أنس بن مالك قال : كان الحسن بن علي أشبههم وجهًا برسول الله ﷺ .

وعن سعيد بن عبد العزيز قال : إن الحسن بن علي سمع رجلاً يسأل ربَّه - عز وجل- أن يرزقه عشرة آلاف . فانصرف الحسن فبعث بها إليه .

وعن محمد بن علي ، قال : قال الحسن : إني لأستحيي من ربي - عز وجل - أن ألقاه ولم أمش إلي بيته ، فمشى عشرين مرّة من المدينة على رجليْه .

وعن علي بن زيد ، قال : حجَّ الحسن خمس عشرة حجّةً ماشيًا وإن النجائب لتُقاد

---

(١) هو أبو محمد الحسن بن على ، وأمه : البتول الطاهرة فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ ، فهو سبط النبى ، وولد سيدة نساء العالمين وحفيد أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها .

هو ريحانة النبى ﷺ وأشبه الناس به . سيد شباب الجنة وخامس أهل الكساء . ولد فى منتصف شهر رمضان سنة (٣ هـ) .

انظر : سيرته العطرة فى الحلية (٢/ ٣٥) ، والإصابة (١/ ٣٢٨) ، وأُسد الغابة (٢/ ٩) ، وتاريخ بغداد (١/ ١٣٨) ، وتاريخ الطبرى (٥/ ١٥٨) ، والبداية والنهاية (٨/ ١٤ ، ٢٣ ، ٤٥) ، والإستيعاب (١/ ٣٨٣) ، والتاريخ الكبير للبخارى (٢/ ٢٨٦) ، وسير الأعلام (٣/ ٢٤٥) ، وتهذيب ابن عساكر (٤/ ٢٠٢) ، وشذرات الذهب (١/ ٥٥ - ٥٦) .

(٢) رواه البخارى (٣٧٤٩) ، ومسلم (فضائل الصحابة / ٥٦) .

(٣) رواه البخارى (٢٧٠٤) .

بين يديه ، وخرج من ماله لله مرّتين ، وقاسم الله - عز وجل - ماله ثلاث مرات حتى إن كان ليُعطي نعلاً ويُمسك نعلاً .

(ذكر وفاة الحسن - عليه السلام)

عن عُمير بن إسحاق قال : دخلت أنا ورجل علي الحسن بن علي نعوده ، فقال . يا فلان : سلْني ، فقال : لا ، والله لا نسألك حتى يُعافيَك الله ، قال : ثم دخل ، ثم خرج إلينا فقال : سلني قبل ألاّ تسألني ، قال : بل يُعافيك الله - عز وجل - . قال : لقد ألقيتُ طائفة من كبدي وإني قد سُقيت السمَّ مراراً ، فلم أُسْقَ مثل هذه المرّة .

ثم دخلت عليه من الغد وهو يجود بنفسه والحسين عند رأسه ، قال : يا أخي من تتهم؟ قال : لمَ ؟ لتقتله ؟ قال : نعم ، قال : إن يكن الذي أظن فالله أشدُّ بأسًا وأشدُّ تنكيلاً ، وإلا يكن فما أُحِبُّ أن يُقتل بي بريء ، ثم قضى - رضي الله عنه .

وعن رقبة بن مصقلة قال : لما نُزل بالحسن بن علي الموت قال : أخرجوا فراشي إلى صحن الدار ، فأخرج ، فقال : اللهم إني أحتسب نفسي عندك ، فإني لم أُصَبْ بمثلها؛ غيرَ رسول الله ﷺ .

وقد ذكر يعقوب بن سفيان في تاريخه أن بنت الأشعث بن قيس كانت تحت الحسن ابن علي فزعموا أنها هي التي سمّته .

مرض الحسن بن علي - عليه السلام - أربعين يومًا ، وتوفي لخمس ليالٍ خَلَوْن من ربيع الأول سنة خمسين ، وقيل : سنة تسع وأربعين ، ودفن بالبَقيع - رضي الله عنه .

١٢١ ـ الحسين بن علي بن أبي طالب - عليهما السلام

ولد في شعبان سنة أربع من الهجرة ، وله من الولد : عليّ الأكبر ، وعليّ الآصغر ، وله العقب ، وجعفر ، وفاطمة ، وسُكَيْنة .

عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « هما رَيْحانتاي من الدنيا » يعنى الحسن والحسين - عليهما السلام . انفرد بإخراجه البخاري [١] .

وعن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة» قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح [٢] .

---

(١) رواه البخارى (٣٧٥٣) ، والترمذى (٣٧٧٠) .
(٢) رواه الترمذى (٣٧٦٨) ، وأبو نُعَيْم فى الحلية (٥/ ٧١) ، وأحمد (٣/٣، ٦٢ ، ٦٤ ، ٨٠، ٨٢) .

وعن زرّ ، عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « هذان ابنايَ فمن أحبَّهما فقد أحبَّني » ، يعني الحسن والحسين - عليهما السلام » [1] .

وعن علي - عليه السلام - قال : الحسن أشبه الناس برسول الله ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس ، والحسين أشبه الناس بالنبي ﷺ ، ما كان أسفل من ذلك .

وعن عبد الله بن عبيد بن عمير قال : حجّ الحسين بن علي - رضي الله عنه - خمسًا وعشرين حجَّةً ماشيًا ، ونجائبُه تُقاد معه .

قتل الحسين - صلوات الله عليه - يومَ الجمعة يومَ عاشوراء في محرم سنة إحدى وستين، وهو ابن ستٍ وخمسين سنة وخمسة أشهر ، وقيل : كان ابن ثمان وخمسين - رضي الله عنه .

١٢٢ ـ عبد الله بن الزبير بن العوام - رضي الله عنه

يكنى أبا بكر ، أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - وهو أول مولودٍ وُلد للمهاجرين بالمدينة بعد الهجرة ، وأذَّن أبو بكر الصديق في أذنه ، وحنَّكه رسولُ اللهِ ﷺ بتمرة .

وعن هشام ، عن أبيه عن أسماء أنها حملت بعبد الله بن الزبير بمكة ، قالت: فخرجت وأنا مُتِم فأتيت المدينةَ فنزلنا بقُباء فولدته بقباء ثم أتيت به رسولَ الله ﷺ فوضعته في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ، ثم تَفَلَ في فيه فكان أوَّلَ ما دخل في جوفه ريقُ رسول الله ﷺ ، قالت : ثم حنكه بتمرة ثم دعا له وبرَّك عليه وكان أوّل مولودٍ ولد في الإسلام [2] .

قال الشيخ : إنما تعني أوَّل مولود ولد بالمدينة بعد الهجرة .

وفي رواية أخرى : خرجت أسماء بنت أبي بكر مهاجرةً إلى النبي ﷺ وهي حُبلى بعبد الله بن الزبير ، فوضعته ولم ترضعه ، حتى أتت به رسول الله ﷺ .

وعن مجاهد بن جبير قال : ما كان باب من العبادة يعجز عنه الناس إلاَّ تكلَّفه عبد الله ابنُ الزبير ، ولقد جاء سيلٌ طَبَّق البيتَ فجعل ابن الزبير يطوف سباحة .

وعن عمرو بن دينار ، قال : رأيت ابن الزبير يصلِّي في الحِجْر خافضًا بصَرَه فجاء حجر قُدَّامه فذهب ببعض ثوبه فما انفتل .

---

(١) رواه ابن عساكر (٤/ ٢٠٧) ، والترمذي (٣٧٦٩) وقال : حسن غريب . اهـ .
(٢) انظر : حلية الأولياء (١/ ٣٣٣) .

وعن مجاهد قال : كان ابن الزبير ، إذا قام في الصلاة ، كأنه عود ؛ من الخشوع[١] .

وعن يحيى بن وثَّاب أن ابن الزبير كان يسجد حتى تنزل العصافير على ظهره ولا تحسبه إلا جِذْمَ حائط .

وعن عمرو بن دينار قال : ما رأيت مصلِّيًا قطُّ أحسن صلاةً من عبد الله بن الزبير .

وعن ابن المنكدر قال : لو رأيت ابن الزبير يصلِّي كأنه غصن شجرة تصفقها الريح والمنجنيق ، يقع ها هنا وها هنا [٢] .

قال سفيان : كأنه لا يبالي .

وعن عمرو بن قيس ، عن أمِّه أنها قالت : دخلتُ على عبد الله بن الزبير بيته فإذا هو يصلِّي ، قالت : فسقط حية من السقف على ابنه هاشم فتطوّقتْ على بطنه وهو نائم فصاح أهل البيت : الحيّة ، ولم يزالوا بها حتى قتلوها ، وعبد الله بن الزبير يصلِّي ، ما التفت ولا عجّل . ثم فرغ بعد ما قُتلت ، فقال: ما بالكم ؟ قالت أم هاشم : أيْ رحمك الله أرأيت إن كُنَّا هُنَّا عليك ، أيهون عليك ابنك ؟! قال : فقال ويحك ، ما كانت التفاتة - لو التفتُّها - مبقيةً من صلاتي .

وعن محمد بن حميد ، قال : كان عبد الله بن الزبير يُحْيي الدهر أجمع ، ليلةً قائمًا حتى يصبحَ ، وليلةً يُحييها راكعًا حتى الصباح ، وليلةً يحييها ساجدًا حتى الصباح .

وعن مسلم بن يَنَّاق المكي قال : ركع ابن الزبير يومًا ركعةً ، فقرأت البقرة وآل عمران والنساء والمائدة ، وما رفع رأسه .

قال الزبير : وحدّثني محمد بن الضحاك بن زامي ، وعبد الملك بن عبد العزيز ، ومن لا أحصي كثرةً من أصحابنا أن عبد الله بن الزبير كان يواصل الصيام سبعًا : يصوم الجمعة ولا يفطر إلا ليلة الجمعة الأخرى ، ويصوم بالمدينة فلا يفطر إلا بمكة ، ويصوم بمكة ولا يفطر إلا بالمدينة .

قال عبد الملك : وكان إذا أفطر كان أول ما يفطر عليه لبن لقْحة بسمن بقر ، وزادني غيره : وصبِر .

وعن أم جعفر بنت النعمان ، عن أسماء بنت أبي بكر قالت : كان ابن الزبير، قوّام الليل صوّام النهار ، وكان يسمى حمام المسجد [٣] .

وعن ابن أبي مُلَيْكَةَ قال : كان ابن الزبير يواصل سبعة أيام ، ويصبح اليوم السابع وهو أَلْيَثُنَا [٤] .

---

(١) ، (٢) انظر : حلية الأولياء (١/ ٣٣٥) .	(٣) ، (٤) انظر المصدر السابق .

وعن محمد بن عبيد الله الثقفي ، قال : شهدتُ خطبة ابن الزبير بالموسم ، خرج علينا قبل يوم التروية بيوم ، وهو مُحرِم ، فلبّى بأحسن تلبية سمعتُها قطّ ، ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد فإنكم جئتم من آفاق شتَّى وفودًا إلى الله - عز وجل - فحق على الله أن يُكرم وفْده ، فمن كان جاء يطلب ما عند الله فإن طالب الله لا يخيب ، فصدّقوا قولكم بفعلٍ فإنَّ ملاكَ القول الفعلُ ، والنيَّةَ النيةَ ، القلوب القلوبَ ، اللهَ اللهَ في أيامكم هذه فإنَّها أيامٌ تُغفر فيها الذنوب .

وعن وهب بن كيّسان ، قال : كتب إليَّ عبد الله بن الزبير بموعظة :

أما بعد ، فإن لأهل التقوى علامات يُعرفون بها ويعرفونها من أنفسهم ، من صَبْرٍ على البلاء ، ورضىً بالقضاء ، وشُكْر النَّعماء ، وذُلٍّ لحكم القرآن ، وإنما الإمام كالسوق: ما نَفَقَ فيها حُمل إليها ، إن نفق الحقُّ عنده حُمل إليه وجاءه أهل الحق ، وإن نفق عنده الباطلُ جاءه أهل الباطل .

وعن أبي الضحى قال : رأيت على رأس ابن الزبير من المسك ما لو كان لي كان رأس مال .

(ذكر مقتل ابن الزبير - رضي الله عنه)

عن عروة قال [(١)] : لما كانت الغداة التي قُتل فيها ابن الزبير دخل على أمّه أسماء بنت أبي بكر وهي يومئذ ابنة مائة سنة لم يسقط لها سن ، فقالت : يا عبد الله ما بلغت في حربك ؟ قال : بلغوا مكان كذا وكذا ، وضحك ، وقال : إن في الموت لراحة ، فقالت أسماء : يا بنيَّ لعلك تتمناه لي ، ما أحب أن أموت حتى أتي على أحد طرفَيْك إما أن تملك فتقر بذلك عيني ، وأما أن تقتل فأحتسبك.

ثم ودّعها ، فقالت له : يا بنيَّ إياك أن تعطي خصلةً من دينك مخافة القتل . وخرج عنها وأنشأ يقول :

ولســــــتُ بمبتــاعِ الحياة بسُــبَّةٍ ولا مُرْتَقٍ من خشية الموت سُلَّما

وقال : والله ما لقيت زحفًا قطُّ إلا في الرعيل الأول وما ألمتُ جرحًا قط إلا أن آلم الدواء .

ثم حمل عليهم فأصابته آجُرَّة في مَفرِقه حتى فلقت رأسه ، فوقف قائما وهو يقول :

---

(١) المصدر السابق (١/ ٣٣٢ - ٣٣٣) .

ولسنا على الأعقاب تَدمى كلُومُنا ولكن على أقدمنا تقطُر الدِّما

وعن عروة قال : أتيت عبد الله بن الزبير حين دنا الحجاج منه فقلت : قد لحقَ فلان بالحجَّاج ولحق فلان بالحجاج ، فقال :

فـرَّت سَـلامانُ وفـرَّتِ النَّمِرْ وقد نُلاقـي معهم فـلا نَفِرّ

فقلت له : لقد أُخذت دار فلان ودار فلان ، فقال :

اصـبرْ عصـامُ إنَّه شَـر باق قدسَكَّ أصحابك ضرب الأعناقْ

وقامت الحـربُ بنا علـى ساقْ

قال : فعرفت أنه لا يُسلم نفسه . قال : فغاظني ، فقلت : إنهم والله إن يأخذوك يقطِّعوك إرْبًا إرْبًا ، فقال :

ولسـت أبالـي حين أُقتل مُسلمًا على أيِّ جنبٍ كان لله مصرعي

وذلك في ذات الإلـه وإن يَشـأ يبارِكْ على أوصـالِ شِلْوٍ ممزّعِ

قال : فعرفت أنه لا يمكِّن من نفسه .

وعن مجاهد قال : كنت مع ابن عمر ، فمرَّ على ابن الزبير فوقف علبه فقال: يرحمك الله فإنك كنت ، ما علِمْتُ ، صوّامًا قوّامًا وصولاً للرَّحِم ، وإني لأرجو ألاَّ يعذِّبك الله - عزَّ وجل [(١)] .

وقال الواقدي : عن أشياخ له ، قالوا : حُصر ابن الزبير ليلة هلال ذي القَعْدة سنة اثنتين وسبعين وستة أشهر وسبع عشرة ليلة ، ونصب الحجاج المنجنيق يرمي به أحثَّ الرمي، وألحّ عليهم بالقتال من كل وجهٍ وحبَسَ عنهم الميرة ، وحصرهم أشدَّ الحصار . فقامت أسماء يومًا فصلَّت ودعت فقالت : اللهم لا تخيِّب عبد الله بن الزبير ، اللهم ارحم ذلك السجود والنَّحيب والظمأ في تلك الهواجر .

وقُتل يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلَتْ من جُمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة .

١٢٣ ـ المسور بن مخرمة بن نوفل [(٢)]

يكنى أبا عبد الرحمن ، قُبض رسول الله ﷺ وهو ابن ثمان سنين ، وقد حفظ عنه أحاديث ورواها .

---

(١) المصدر السابق (١/ ٣٣٤) .

(٢) انظر : سير الأعلام (٣/ ٣٩٠) ، وأسد الغابة (٥/ ١٧٥) .

عن محمد بن سعد قال : احتكر المسْوَر طعامًا فرأى سحابًا من سحاب الخريف فكرهه، فلما أصبح أتي السوق ، فقال : مَن جاءني ولَّيته فبلغ ذلك عمر فأتاه بالسوق فقال: أجُنِنْتَ يا مسْوَرَ ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ولكني رأيت سحابًا فكرهته ، فكرهت ما ينفع الناس ، فكرهت أن أربح فيه ، فقال عمر : جزاك الله خيرًا .

وكان المسْوَر لا يشرب من الماء الذي يوضع في المسجد ويكرهه ، ويرى أنه صدقة . وكان يصوم الدهر .

وتوفِّي سنة أربع وستين وهو ابن اثنتين وستين .

١٢٤ ـ رجل من الأنصار لم يذكر اسمه (١)

عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، فيما يذكر من اجتهاد أصحاب النبي ﷺ في العبادة: قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة فغشينا دارًا من دور المشركين، فأصبنا امرأة رجل منهم ، ثم انصرف رسول الله ﷺ راجعًا وجاء صاحبها وكان غائبًا ، فذُكر له مصابُها فحلف لا يرجع حتى يُهريق في أصحاب رسول الله ﷺ دمًا .

فلما كان رسول الله ﷺ في بعض الطريق ، نزل في شِعْب من الشعاب ، وقال : من رجلان يكلآننا في ليلتنا هذه من عدوِّنا ؟ قال : فقال رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار : نحن نكلؤك يا رسول الله ، قال : فخرجا إلى فم الشِّعب دون العسكر .

ثم قال الأنصاري للمهاجري : أتكفيني أول الليل وأكفيك آخره أو تكفيني آخره وأكفيك أوَّله ؟ قال : فقال له المهاجري : بل اكفني أوَّله وأكفيك آخره .

فنام المهاجري وقام الأنصاري يصلي ، قال : فافتتح سورة من القرآن ، فبينا هو فيها يقرؤها جاء زوج المرأة فلما رأى الرجل قائمًا عرف أنه ربيئةُ القوم ، فينزع له بسهم فيضعه فيه ، قال : فينتزعه فيضعه وهو قائم يقرأ في السورة التي هو فيها ولم يتحرك كراهية أن يقطعها قال : ثم عاد له زوج المرأة بسهم آخر فوضعه فيه ، قال : فانتزعه فوضعه وهو قائم يصلّي في السورة التي هو فيها ولم يتحرك كراهية أن يقطعها ، ثم عاد له زوجْ المرأة الثالثة بسهم فوضعه فيه ، قال : فانتزعه فوضعه ثم ركع وسجد ، ثم قال لصاحبه : اقعد فقد أُوتيتُ . قال : فجلس المهاجري فلما رآهما صاحب المرأة هرب وعرف أنه قد نُذِرَ به . قال : وإذا الأنصاري يفوح دمًا من رَمَيات صاحب المرأة . قال :

---

(١) فى غزوة ذات الرقاع من الصحاح والسنن وفى سيرة ابن هشام (٣/ ١٥٩) وغيره من كتب السيرة أن الذى ضرب بثلاثة أسهم وهو قائم يصلى فما تحرك وما انفتل . . . القصة – كما سيأتي في ترجمة هذا الأنصاري – هو « عباد بن بشر » رضى الله عنه وانظر : فتح البارى (١/ ٣٣٧) .

فقال له أخوه المهاجري : يغفر الله لك ألا كنت آذنْتني أوَّل ما رماك ؟ قال : كنت في سورة من القرآن قد افتتحتُها أصلِّي بها فكرهت أن أقطعها ، وايمُ الله لولا أني أضيع ثغرًا أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها .

هذا آخر المختار ذكرهم من علماء الصحابة ومتعبديهم وبهم نختم الجزء الأول .

ذكر المصْطَفَيات من طبقات الصحابيات – رضي الله عنهن

١٢٥ ـ خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى – رضي الله عنها

خرج رسول الله ﷺ لها في تجارة فرأت عند قدومه غمامةً تظله فتزوجته وقد كانت عرفتْ قبله زوجين ، وكانت يوم تزوجها بنت أربعين سنة ، وجاءت النبوة فأسلمت فهي أول امرأة آمنت به ولم ينكح امرأة غيرها حتى ماتت، وجميع أولاده منها سوى إبراهيم.

عن علي – رضي الله عنه – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « خير نسائها مريم بنت عمران ، وخير نسائها خديجة – عليها السلام » . أخرجاه في « الصحيحين » [(١)] .

عن أبي هريرة قال : أتَى جبرئيل النبي ﷺ فقال : يا رسول الله هذه خديجة قد أتتك بإناء فيه إدام أو طعام أو شراب ، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنِّي، وبشِّرْها ببيت في الجنة من قصب لا صَخَب فيه ولا نَصَب. أخرجاه في «الصحيحين»[(٢)].

وعن عائشة قالت : ما غرْتُ على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرتُ على خديجة ، وما رأيتها ، ولكن كان رسول الله ، يُكثر ذكرها ، وربما ذبح الشاة يقطعها أعضاء ، ثم يبعثها في صدائق خديجة ، فربما قلت له : كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة . فيقول : «إنها كانت وكان لي منها ولد » أخرجاه في « الصحيحين » [(٣)] .

وعنها قالت : كان رسول الله ﷺ لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن عليها الثناء فذكرها يومًا من الأيام فأدركتني الغيرة ، فقلت : هل كانت إلا عجوزًا قد أخلف الله لك خيرًا منها ؟ قالت : فغضب حتى اهتزّ مقدم شعره من الغضب ، ثم قال: لا ، والله ما أخلف الله لي خيرًا منها ، لقد آمنتْ إذْ كفر الناس، وصدقتني إذ

---

(١) رواه البخاري (٣٨١٥) ، ومسلم (فضائل الصحابة / ٦٩) ، وزاد : قال أبو كريب : وأشار وكيع إلى السماء والأرض . وأخرجه الترمذي (٣٨٨٧) ، والحاكم (٢/ ٤٩٧ ، ٣/ ١٨٤ ، ٦٩ ، ٥٦٩) .

(٢) رواه البخاري (٣٨٢٠) ، ومسلم (فضائل الصحابة / ٧١) .

(٣) رواه البخاري (٣٨١٨) ، ومسلم (فضائل الصحابة / ٧١) .

كذبني الناس ، وواستْني بمالها إذ حرَمني الناس ، ورزقني الله - عز وجل - أولادها إذ حرمني أولاد النساء ، قالت : فقلت ، بيني وبين نفسي: لا أذكرها بسوءٍ أبدًا [1] .

توفيت خديجة - رضي الله عنها - بعد أن مضى من النبوة عشر سنين ، وهي بنت خمس وستين سنة . قال حكيم بن حزام : دفنّاها بالحَجون ، ونزل رسول الله ﷺ في حفرتها ولم يكن يومئذ سنة الجنازة الصلاة عليها - رضي الله عنها .

١٢٦ ـ فاطمة بنت رسول الله ﷺ [2]

أمها خديجة بنت خويلد ، ولدتها ، وقريش تبني البيت قبل النبوة بخمس سنين ، وهي أصغر بناته ، تزوجها علي - عليه السلام - في السنة الثانية من الهجرة في رمضان وبنى بها في ذي الحجة ، وقيل : تزوجها في رجب ، وقيل : في صفر ، على بدن من حديد [3]، فولدت له الحسن والحسين ، وزينب وأم كلثوم ، فتزوج زينب عبدُ الله بن جعفر، فولدت له عبد الله وعونًا وماتت عنده . وتزوج أمَّ كلثوم عمر بن الخطاب فولدت له زيدًا . ثم خلف عليها بعد عمر عَوْن بن عبد الله بن جعفر فلم تلد له شيئًا ، ثم مات، وخلف عليها محمد بن جعفر فولدت له جارية ، ثم خلف عليها بعده عبد الله بن جعفر فلم تلد له وماتت عنده .

وزاد ابن إسحاق في أولاد فاطمة من علي : محسنًا . قال : ومات صغيرًا . وزاد الليث بن سعد : رقيّة قال : وماتت ولم تبلغ .

عن عامر الشعبي قال : قال علي - عليه السلام : لقد تزوجت فاطمة وما لي ولها فراش، غير جلد كبش ننام عليه بالليل ، ونعلف عليه الناضح بالنّهار [4] ، وما لي ولها خادم غيرها .

وعن علي - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ لما زوّجه فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة أدمٍ حشوها ليف ورحيَيْن وسقاء وجرّتين ، فقال علي لفاطمة ذات يوم : والله سنوت حتى اشتكيت صدري ، وقد جاء الله أباك بسبْيٍ فاذهبي فاستخدميه ، فقالت : وأنا والله لقد طحنت حتى مَجلت يداي ، فأتت النبي ﷺ فقال : ما جاء بك ، وما حاجتك أيْ بنية ؟ قالت : جئت لأسلّم عليك ، واستحيت أن تسأله فرجعت ، فقال :

---

(١) المصدر السابق .

(٢) انظر : سير الأعلام (٢/١١٨) ، والحلية (٢/٣٩ - ٤٣) ، والطبقات الكبرى (١٩٣٨) ، وشذرات الذهب (١/٩ - ١٥) ، وأسد الغابة (٧/ ٢٢٠) ، والمستدرك (٣/١٥١ - ١٦١) ، ومجمع الزوائد (٩/ ٢٠١ - ٢١٢) ، وجامع الأصول (٩/١٢٥) .

(٣) البَدَنُ : الدرع القصيرة . (٤) الناضح : البعير الذى يستقى عليه ، والأنثى : ناضحة .

ما فعلت ؟ قالت : استحييت أن أسأله ، فأتياه جميعًا فقال علي : يا رسول الله ، والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري ، وقالت فاطمة : لقد طحنت حتى مَجلت يداي ، وقد جاءك الله - عز وجل - بسبْي وسعة فأخدمنا ، فقال : والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفَّة تُطوى بطونهم لا أجدُ ما أنفق عليهم ، ولكني أبيعهم ، وأنفق عليهم أثمانهم ، فرجعا وأتاهما النبي ﷺ وقد دخلا في قطيفتهما إذا غطّيا رؤوسهما تكشفت أقدامهما وإذا غطّيا أقدامهما تكشّفت رؤوسهما فثارا ، فقال : مكانكما ، ثم قال : ألا أخبركما بخيرٍ مما سألتماني ؟ قالا : بلى . قال : كلمات علّمنيهن جبريل ، تسبّحان في دبر كلِّ صلاة عشرًا وتحمدان عشرًا وتكبّران عشرًا ، وإذا أويْتما إلى فراشكما فسبّحا ثلاثًا وثلاثين ، واحمدا ثلاثًا وثلاثين ، وكبّرا أربعًا وثلاثين . قال : فوالله ما تركتهن منذ علّمنيهن رسول الله ﷺ . قال : فقال له ابن الكواء : ولا ليلة صفّين ؟ قال: قاتلكم الله يا أهل العراق، نعم ، ولا ليلة صفّين [1] .

وعن أبي ليلى قال : حدثنى علي - عليه السلام - أن فاطمة - عليها السلام - أتت النبي ﷺ تشكو إليه ما تلقى من يدها في الرحى ، وبلغها أنه جاءه رقيق فلم تصادفه فذكرت ذلك لعائشة فلما جاء أخبرته عائشة ، قال : فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبنا نقوم فقال : على مكانكما ، فجاء فقعد بيني وبينها حتى وجدت برد قدميه على بطني فقال : ألا أدلكما على خيرٍ مما سألتماني ؟ إذا أخذتما مضاجعكما أو أويتما إلى فراشكما فسبّحا ثلاثًا وثلاثين ، واحمدا ثلاثًا وثلاثين ، وكبّرا أربعًا وثلاثين ، فهو خير لكما من خادم. أخرجاه في « الصحيحين » [2] .

وعن عائشة قالت : أقبلت فاطمة - عليها السلام - كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ، فقال : مرحبًا بابنتي ، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ، ثم إنه أسرّ إليها حديثًا فبكتْ ، فقلتُ لها اختصّك رسول الله ﷺ بحديثه ثم تبكين ؟ ثم إنه أسرّ إليها حديثًا فضحكت ، فقلت : ما رأيت كاليوم فرحًا أقربَ من حزن فسألتها عما قال فقالت : ما كنت لأفشي سرّ رسول الله ﷺ .

فلما قُبض ﷺ سألتُها فقالت : إنه أسرّ إلي فقال : « إن جبريل كان يعارضني بالقرآن في كل عام مرة وإنه عارضني به العام مرتين ولا أراه إلا قد حضر أجلي وإنك أول أهل بيتي لحُوقًا بي ونعْم السلف أنا لك » فبكيتُ لذلك ، ثم قال : ألا ترضَيْن أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة أو سيدة نساء المؤمنين ؟ قالت : فضحكتُ لذلك . أخرجاه في « الصحيحين» ، وليس لفاطمة - عليها السلام - في الصحيحين غير هذا الحديث [3] .

---

(١) رواه أحمد (١/١٠٦) . (٢) رواه البخارى (٣٧٠٥) ، ومسلم (الذكر والدعاء / ٨٠).

(٣) رواه البخارى (٣٦٢٣) ، ومسلم (فضائل الصحابة / ٩٨ ، ٩٩) .

وعن المسْور بن مخرمة أن رسول الله ﷺ قال : « فاطمة بَضْعة مني فمن أغضبها أغضبني » . أخرجه مسلم أيضًا في « صحيحه » (١) .

وعنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول وهو على المنبر : « إن بني هشام بن المغيرة استأذنوني في أن يُنكحوا ابنتهم بعلي بن أبي طالب فلا آذَنُ ثم لا آذَنُ إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم ، فإنها بَضْعة مني يُريبني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها » . أخرجاه في « الصحيحين » (٢) .

وهذه المرأة المذكورة في هذا الحديث جويرية بنت أبي جهل بن هشام بن المغيرة كان علي - عليه السلام - قد خطبها فجاء بنو هشام يستأمرون رسول الله ﷺ في ذلك فلم يأذن لهم أن يزوّجوه ، وأسلمت جويرية ، وبايعت ، وتزوجها عتاب بن أسيد ، ثم تزوجها أبان ابن سعيد بن العاصي .

وعن ابن أعبد قال : قال علي - عليه السلام : يا ابن أعبد ألا أخبرك عني عن فاطمة؟ كانت ابنة رسول الله ﷺ وأكرم أهله عليه ، وكانت زوجتي فجرّت بالرحى حتى أثرت الرحى بيدها ، واستقت بالقربة حتى أثرّت القربة بنحرها وقَمّت البيت حتى اغبرّت ثيابها وأوقدت تحت القدر حتى دنِست ثيابها وأصابها من ذلك ضرّ .

وعن عطاء بن أبي رباح قال : إن كانت فاطمة ابنة رسول الله ﷺ لتعجِنُ وإن قُصّتها لتضرب الأرض والجَفْنة (٣) .

توفيت فاطمة الزهراء - عليها السلام - بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر في ليلة الثلاثاء لثلاث خلوْن من رمضان سنة إحدى عشرة وهي بنت ثمان وعشرين سنة ونصف ، وغسّلَها عليٌّ - عليه السلام - وصلى عليها . وقالت عمرة : صلى عليها العباس بن عبد المطلب ودُفنت ليلاً .

وعن عائشة قالت : عاشت فاطمة بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر - رضي الله عنها .

عن أبي جعفر قال : ماتت بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر . قيل لسفيان : عمرو عن أبي جعفر ؟ قال : نعم .

وعن عمرو بن دينار قال : توفيت فاطمة - عليها السلام - بعد رسول الله ﷺ بثلاثة أشهر .

---

(١) رواه مسلم (فضائل الصحابة / ٩٤) بلفظ : « إنما فاطمة بَضْعة منى يؤذينى ما آذاها . . » .
(٢) رواه البخارى (٥٢٣٠) ، ومسلم (فضائل الصحابة / ٩٣) .
(٣) القُصة : شعر الناصية ، والجفن : القصعة والجمع « جفان » .

عن الزهري : ماتت بعد النبي ﷺ بثلاثة أشهر ، يعني فاطمة - عليها السلام .

عن عائشة قالت : كان بين النبي ﷺ وبين فاطمة شهران .

عن أبي الزبير قال : لم تمكث بعده إلا شهرين ، والأول أصح .

١٢٧ ـ عائشة بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنها

كانت مسمّاة لجبيْر بن مُطْعم فخطبها رسول الله ﷺ ، فقال أبو بكر - رضي الله عنه : دعني حتى أسُلَّها من جُبَيْر سلا رفيقًا ، فتزوجها رسول الله ﷺ بمكة في شوال قبل الهجرة بسنتين ، وقيل بثلاث ، وهي بنت ست سنين ، وبنى بها بالمدينة وهي بنت تسع سنين ، وبقيت عنده تسع سنين ولم يتزوج بِكْرًا غيرها . وعن عبّاد بن حمزة عن عائشة أنها قالت : يا رسول الله ألا تكْنيني ؟ قال : تكَنّي بابنك ، يعني عبد الله بن الزبير . فكانت تكنى أم عبد الله [١] .

وعن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : أُريتُك في المنام مرتين ورجل يحملك في سَرَقة من حرير ، فيقول : هذه امرأتك ، فأقول : إن كان هذا من عند الله - عز وجل - يُمْضه أخرجاه في « الصحيحين » [٢] .

وعنها قالت : تزوجني النبي ﷺ وأنا بنت ست سنين ، فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج فوعكت فتمزق شعري فوفي جميمه فأتتني « أمي » أم رومان وإني لفي أرجوحة ومعي صواحب لي فصرخت بي فأتيتها ما أدري ما تريد مني؟ فأخذتْ بيدي حتى أوقفتني على باب الدار ، وإني لأنْهَج حتى سكن بعض نفسي ، ثم أخذت شيئًا من ماء فمسحت به وجهي ورأسي ، ثم أدخلتني الدار فإذا نسوة من الأنصار في البيت فقلن : على الخير والبركة وعلى خير طائر ، فأسلمتني إليهنّ ، فأصلحن من شأني فلم يرعني إلا رسول الله ﷺ ضحى فأسلمنني إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين . أخرجاه في «الصحيحين» [٣] .

وعن عمرو بن العاص أنه أتى النبيَّ ﷺ فقال : أيُّ الناس أحبُ إليك يا رسول الله؟ قال عائشة ، قال من الرجال ؟ قال : أبوها ، قال : ثمّ من ؟ قال : ثم عمر أخرجاه في «الصحيحين » [٤] .

وعن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : « كَمُلَ من الرجال كثيرٌ ولم

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٧٠) .

(٢) رواه البخاري (٥٠٧٨) ، ومسلم (فضائل الصحابة / ٧٩).

(٣) رواه البخاري (٣٨٩٤) ، ومسلم (النكاح / ٦٩) .

(٤) رواه البخاري (٣٦٦٢) ، ومسلم (فضائل الصحابة / ٨).

يَكْمُلْ من النّساءِ إلا مريم بنتُ عمران وآسيَةُ امرأةُ فِرعون ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » . أخرجاه في « الصحيحين » [1] .

وعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : « إن جبريل – عليه السلام – يقرأ عليك السلام» قلتُ : وعليه السلام ورحمة الله . أخرجاه في « الصحيحين » [2] .

وعن أبي سلمة ، عن عائشة قالت : قلت يا رسول الله ، أرأيت إذ نزلت واديًا فيه شجرة قد أكل منها ووجدت شجرةً لم يؤكل منها ، في أيهما كنت ترتع بعيرك ؟ قال : في التي لم يُؤكَل منها : تعني أن النبي ﷺ لم يتزوج بكْرًا غيرها . انفرد بإخراجه البخاري [3] .

وعن الزهري قال : أخبرني محمد بن عبد الرحمن بن هشام أن عائشة زوجة النبي ﷺ قالت : أرسل أزواج النبي ﷺ فاطمة بنت النبي ﷺ فاستأذنتْ والنبي ﷺ مع عائشة في مِرْطِها ، فَأَذِن لها فدخلتْ عليه فقالت : يا رسول الله إن أزواجك أرسلْنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة ، فقال النبي ﷺ : أيْ بنّية ألست تحبين ما أحب؟ فقالت : بلى. قال: فأحبِّي هذه ، لعائشة قالت: فقامت فاطمة – عليها السلام – فخرجتْ فجاءت أزواج النبي ﷺ فحدَّثتهن بما قالت وبما قال لها فقلن : ما أغنيتِ عنّا من شيء فارجعي إلى النبي ﷺ ، فقالت فاطمة – عليها السلام : والله لا أكلمه فيها أبدًا، فأرسل أزواج النبي ﷺ زينب بنت جحش فاستأذنتْ ، فأذن لها فدخلت فقالت : يا رسول الله أرسلني إليك أزواجك يسألْنك العدل في ابنة أبي قحافة ، قالت عائشة : ووقعتْ فيَّ زينب ، قالت عائشة: فطفقت أنظر إلى النبي ﷺ متى يأذن لي فيها ، فلم أزل حتى عرفت أن النبي ﷺ لا يكره أن أنتصر ، قالت : فوقعت بزينب فلم أنشبها أن أفحمتها، فتبسم النبي ﷺ ثم قال : إنها ابنة أبي بكر [4] .

وعن عروة عن عائشة : أن رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه: أين أنا غدًا ؟ أين أنا غدًا يريد يوم عائشة ، فأذِنَ له أزواجه أن يكون حيث شاء فكان في بيت عائشة حتى مات عندها .

قالت عائشة : فمات في اليوم الذي كان يدور فيه نوبتي ، فقبضه الله – عز

(١) رواه البخارى (٣٧٦٩) ، ومسلم (فضائل الصحابة / ٧٠) .
(٢) رواه البخارى (٦٢٥٣) ، ومسلم (فضائل الصحابة / ٩٠) .
(٣) رواه البخارى (٥٠٧٧) .
(٤) رواه البخارى برقم (٢٥٨١) ، ومسلم (فضائل الصحابة / ٨٣) .

وجل - وإن رأسه بين نَحْري وسَحْري ، وخالط ريقُهُ ريقي . أخرجاه في «الصحيحين » [1] .

وعنه قال : كان الناس يتحرَّوْن بهداياهم يوم عائشة ، قالت عائشة : فاجتمع صواحبي إلي بيت أم سلمة ، فقالوا : يا أم سلمة : والله إن الناس يتحرَّوْن بهداياهم يوم عائشة وإنا نريد الخير كما تريد عائشة ؛ فمري رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيثما كان [أو حيثما دار] [2] ، قالت : فذكرتْ ذلك أم سلمة للنبي ﷺ قالت : فأعرض عني فلما عاد إليَّ ذكرت له ذاك فأعرض عني فلما كان في الثالثة ذكرت له ذلك ، فقال : يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة فإنه والله ما نزل عليَّ الوحْيُ وأنا في لِحاف امْرَأَة منْكُنَّ غَيْرَها [3] .

وعنه عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ لما فرغ من الأحزاب دخل المغتسل فجاءه جبريل - عليه السلام - فقال : أَوَ قَدْ وضعتم السلاح ؟ ما وضعنا أسلحتنا بعدُ ، انهدْ إلى بني قريظة . فقالت عائشة : كأني أنظر إلى جبريل - عليه السلام - من خلَل الباب قد عصَب رأسه الغبارُ .

وعن أبي سلمة قال : قالت عائشة : رأيت النبي ﷺ واضعًا يديه على مَعْرَفَة فرس دِحْية الكلبي وهو يكلمه قالت : فقلت : يا رسول الله رأيتك واضعًا يدك على معرفة فرس دَحية الكلبي وأنت تكلمه ، قال : أَوَ رأيته ؟ قلت : نعم ، قال : ذاك جبريل وهو يُقرئُك السلام ، قالت : وعليه السلام جزاه الله من صاحب ودخيلٍ خيرًا فنعم الصاحب ونعم الدّخيل .

قال سفيان : الدخيل : الضيف .

وعن القاسم عن عائشة قالت : وثب رسول الله ﷺ وثبةً شديدة فنظرتُ فإذا رجل معه واقف على برذَوْن [4] وعليه عمامة بيضاء طرفها بين كتفيه ، ورسول الله ﷺ واضعٌ يده على معرفة برذونه ، فقلت : يا رسول الله لقدْ راعتني وثبتك ، من هذا ؟ قال : أرأيته؟ قلت : نعم ، قال : ومن رأيت ؟ قلت : دِحْية بن خليفة الكلبي ، قال : ذلك جبريل عليه السلام .

(حديث الإفك)

عن الزهري قال : أخبرني سعيد بن المسيَّب وعروة بن الزبير وعلقمة بن وقاص وعبيد

---

(١) رواه البخاري (٤٤٤٦) ، ومسلم (فضائل الصحابة / ٨٤) . (٢) زيدت على الأصل .
(٣) أخرجه البخارى باب مناقب عائشة . (٤) البرذون : دابة بين الفرس والحمار كالبغل .

الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن حديث عائشة زوجة النبي ﷺ ، حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبرّأها الله - عز وجل - . وكلُّهم حدثني بطائفة من حديثها وبعضُهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثْبتَ اقتصاصًا [١] ، وقد وعيتُ عن كل واحد منهم الحديث الذي حدثني وبعض حديثهم يُصَدِّق بعضًا .

ذكروا أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سفرًا أقرع بين نسائه فأيّتُهُنَّ خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه .

قالت عائشة : فأقرع بيننا في غزاة غزاها فخرج فيها سهمي ، فخرجت مع رسول الله ﷺ ، وذلك بعدما أنزل الحجاب ، فأنا أُحْمَلُ في هودجي [٢] وأُنْزَلُ فيه مسيرنا ، حتى إذا فَرَغَ رسول الله ﷺ من غَزْوِه وقفل ، ودنَوْنا من المدينة آذَنَ ليلةً بالرحيل فقمت حين آذنونا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت من شأني أقبلتُ إلى الرَّحْل فلمست صدري فإذا عقْد من جزع ظَفَار [٣] قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بهودجى فحملوا هودجى فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه ، قالت : وكانت النساء إذ ذاك خفافًا لم يُهَبَّلْنَ ، ولم يَغشُهنَّ اللحمُ ، إنما يأكلن العُلْقَةَ من الطعام فلم يستنكر القوم ثِقَلَ الهودج حين رحلوه فرفعوه وكنت جاريةً حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدتُ عقدي بعد ما استمر الجيش ، فجئت منازلهم وليس بها داعٍ ولا مجيب ، فتيممت منزلي الذي كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدوني فيرجعون إليَّ ، فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطَّل السُلميُّ ثم الذَّكْوانيُّ قد عَرَّسَ [٤] من وراء الجيش وأدلج فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فأتاني فعرفني حين رآني وقد كان يراني قبل أن يُضرب الحجاب عَلَيَّ فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي ، ووالله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه ، حتى أناخ راحلته فوطيء على يديها فركبتُها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين [٥] في نحر الظهيرة فهلك من هلَك في شأني .

وكان الذي تولى كبْرَهُ عبد الله بن أُبيِّ بنُ سَلُولَ ، فقدمت المدينة فاشتكيت حين

---

(١) اقتص الحديث : أى رواه على وجهه .

(٢) الهودج : محمل له قبة تستر بالثياب ونحوها يوضع على ظهر البعير يركب فيه النساء ليكون أستر لهن .

(٣) جزع ظفار : ظفار قرية باليمن ، والجزع : الخرز .

(٤) التعريس : النزول آخر الليل فى السفر لنوم أو للراحة .

(٥) الموغر : النازل وقت الوغرة وهى شدة الحر .

قدمتها شهرًا والناس يُفيضُون في قَوْل أهْل الإفْك ولا أشعر بشَيْء من ذلك وهو يَريبُني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنتُ أرى منه حين أشتكي ، إنما يدخل رسول الله ﷺ فيُسَلِّمُ ثم يقول : كيف تيكُمْ ؟ فذلك يريبني ولا أشعر بالشر، حتى خرجت بعد ما نَقَهْت وخرجتْ معي أم مسْطَح قِبَلَ الْمَناصِع وهو مُتَبرَّزُنا ولا نخرج إلا ليلاً إلى ليل . وذلك قبل أن تُتَّخَذَ الكُنُفُ قريبًا من بيوتنا وأمرنا أَمْرُ العرب الأُول في التَّنَزُّه ، وكنا نتأذى بالكُنُف أن نتخذها عند بيوتنا فانطلقت أنا وأم مِسْطَح وهي بنت أبي رُهْم بن المطلب بن عبد مناف ، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أُثاثة بن عباد بن المطلب فأقبلتُ أنا وبنت أبي رُهْم قِبَل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرتْ أم مسطح في مرْطها فقالت : تَعسَ مسْطَحٌ فقلت لها : بئس ما قلت ، تَسبينَ رجلاً قد شهد بدرًا ؟ قالت : أيْ هَنْتَاهُ (١) ، أو لم تسمعي ما قال ؟ قلت : وما ذاك؟ قالت : فأخبرتْني بقول أهل الإفك فازددت مرضًا إلى مرضي فلما رجعت إلي بيتي دخل عَلَيَّ رسول الله ﷺ فسلَّم ثم قال : كيف تيكم ؟ قلت : أتأذن لي أن آتي أَبَوَيَّ؟ قالت: وأنا حينئذ أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما ، فأذن لي رسول الله ﷺ فجئت أَبَوَيَّ فقلت لأُمي : يا أُمَّتاه : ما يتحدث الناس ؟ فقالت : أيْ بُنَيَّةُ هوِّني عليك ، فوالله لقلَّما كانت امرأة قط حَظِيَّةً عند زوجها ولها ضرائر إلا أكثرْنَ عليها القول ، قالت : قلت أىْ سبحان الله ، وقَدْ تحدّث الناس بهذا ؟ . قالت : فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا ترقأ لى دمعة ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت أبكي .

ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استَلْبَثَ الوحي يستشيرهما في فراق أهله قالت : فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم في نفسه لهم من الودّ ، فقال : يا رسول الله ﷺ هم أهلك ولا أعلم إلا خيرًا ، وأما علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - فقال لن يُضَيِّقِ الله عليك والنساء سواها كثير ، وإن تسأل الجارية تَصْدُقك .

قالت : فدعا رسول الله ﷺ بُرَيرَة فقال : أىْ بُرَيرَةُ ، هل رأيت من شيء يريبك من عائشة ؟ قالت له بريرة : لا والذي بعثك بالحق نبيًا إن رأيت عليها أمرًا قط أغْمِصُهُ عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجنُ فتأكله (٢) .

---

(١) أي هنتاه : معناه يا هذه ، وقيل : يا بلهاء - نسبة إلى قلة المعرفة ، وقال القسطلانى : أى يا هذه - نداء للبعيدة ، فخاطبتها خطاب البعيد لكونها نسبتها للبله وقلة المعرفة بمكائد النساء . اهـ . (شرح البخارى للقسطلانى) .

(٢) الداجن : أى الشاة التى تألف البيوت ولا تخرج إلى المرعى ، وفى رواية الطبرانى : « ما رأيت منها شيئاً منذ كنت عندها إلا أنى عجنت عجيناً لى فقلت : أحفظى هذه العجينة حتى اقتبس ناراً لأخبزها ، فغفلت فجاءت الشاة فأكلتها » وهو تفسير المراد بقولها : فتأتى الداجن . اهـ المصدر السابق.

قالت : فقام رسول الله على المنبر فاستعذر من عبد الله بن أُبَي ابن سلول، فقال وهو على المنبر : يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي ؟ فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرًا ، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيرًا وما كان يدخل على أهلي إلا معي . فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال : أنا أعْذِرُكَ منه يا رسول الله ، إن كان من الأوس ضربنا عنقه ، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا فقبلنا أمرك ، قالت: فقام سعد بن عُبادة وهو سيد الخزرج وكان رجلاً صالحًا ولكن احتملَتْه الحَمِيَّةُ فقال لسعد بن معاذ : لعمرك والله لا تقتله ولا تقدر على قتله ، فقام أُسيد ابن حُضير وهو ابن عم سعد ابن معاذ فقال لسعد بن عبادة : كذبت ، ولعمر الله لنقتلنه ، فإنك منافق، تجادل عن المنافقين ، فثار الحيّان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكتَ .

قالت عائشة - رضي الله عنها : وبكيتُ يومي ذلك لا ترقأُ لي دمعه ، ولا أكتحل بنوم. ثم بكيت ليلتي المقبلة لا ترْقأ لي دمعه ولا أكتحل بنوم ، وأبواى يظُنّان أن البكاء فالقٌ كبدي، فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي استأذنتْ عليَّ امرأة من الأنصار ، فأذنتُ لها فجلست تبكي معي ، فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ ، فسلم ثم جلس عندى ، قالت : ولم يجلس عندي منذ قيل فّي ما قيل ، وقد لبث شهرًا لا يوحى إليه في شأني شيء . قالت فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال : أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله - عز وجل - ، وإن كنت هممت أو ألمْت بذنب فاستغفري الله - عز وجل - وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه .

قالت : فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قَلَصَ دمعي حتى ما أُحسّ منه قطرة . فقلت لأبي : أجب عني رسول الله ﷺ فيما قال فقال : والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ! فقلت لأمي : أجيبي عني رسول الله ﷺ فقالت : والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ ! فقالت عائشة : وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرًا من القرآن ـ بلى إني والله قد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقر في أنفسكم وصدقْتُمْ به ولئن قلتَ لكم إني بريئة والله - عز وجل - يعلم أني بريئة لا تصدقوني وإن اعترفت لكم بأمرٍ والله يعلم أني منه بريئة تصدقونى ، وإنى والله لا أجد لي ولكم مثلا إلا كما قال أبو يوسف ﴿**فصبْرٌ جميل والله المستَعانُ على ما تصفون**﴾ (1) .

قالت : ثم تحولت فاضطجعت على فراشي . قالت : وأنا والله حينئذ أعلم أني

---

(1) سورة يوسف آية : ١٨ .

بريئة وأن الله مبرئي ببراءتي ، ولكن والله ما كنت أظن أن يُنْزَلَ في شأني وحي يُتلى ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله - عز وجل - فيَّ بأمر يتلى ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ ، في النوم رؤيا يبرئني الله - عز وجل - بها . قالت : فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله تعالى على نبيه ﷺ فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحى حتى إنه كان ليتحدر منه مثل الجُمان من العرق في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي أنزل عليه . قالت : فلما سُرِّى عن رسول الله ﷺ وهو يضحك كان أول كلمة تكلم بها أن قال أبشري يا عائشة أما إن الله تعالى قد برأك . فقالت لي أمي : قومي إليه ، فقلت : والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله تعالى وهو الذي أنزل براءتي قالت فأنزل الله تعالى : ﴿ **إن الذين جاءوا بالإفك عصبةٌ منكم** ﴾ عشر آيات [1] ، فأنزل الله تعالى هذه الآيات براءتي .

فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه ـ وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره ـ: والله لا أنفق عليه شيئًا أبدًا بعد الذي قال فى عائشة ما قال ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **ولا يأتل أُولُوا الفضل منكم والسَّعة أن يؤتوا أُولى القربى** ﴾ إلى قوله ﴿**ألا تحبُّون أن يغفر اللهُ لكم والله غفور رحيم** ﴾ [2] فقال أبو بكر الصديق : إنى لأحبُّ أن يغفر الله - عز وجل - لى . فرجع إلى مسطح نفقته التى كان ينفق عليه وقال لا أنزعها منه أبدًا قالت عائشة: فكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ عن أمرى ما عَلِمْتِ أو ما رأيت أو ما بلغك ؟ قالت : يا رسول الله ﷺ أحمى سمعى وبصرى ، والله ما علمت إلا خيرًا . قالت عائشة : وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله تعالى عنى بالورع، وطفقت أختها حَمْنَةُ بنت جحش تحارب لها فهلكت فيمن هلك.

قال ابن شهاب : فهذا ما انتهى إلينا من أمر هؤلاء الرهط . أخـــرجاه في «الصحيحين» [3] .

(ذكر نَبْذة من كرمها وزهدها - رضي الله عنها)

عن عطاء قال : بعث معاوية إلى عائشة بطوق من ذهب فيه جوهر قوّم مائة ألف فقسمته بين أزواج النبي ﷺ .

وعن أم ذرة وكانت تغشى عائشة قالت : بعث إليها ابن الزبير بمال في غرارتين

---

(١) سورة النور آية : ١١ - ٢٠ . (٢) سورة النور آية : ٢٢ .

(٣) رواه البخارى (٢٦٦١) ، ومسلم (التوبة / ٥٦) ، والترمذى (٣١٧٩) .

قالت: أراه ثمانين ومائة ألف، فدعت بطبق وهي يومئذ صائمة فجلست تقسمه بين الناس فأمست وما عندها من ذلك درهم، فلما أمست قالت: يا جارية هلمّي فطْري، فجاءتها بخبز وزيت، فقالت لها أم ذرة أما استطعت مما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحمًا نفطر عليه؟ فقالت لها: لا تعنّفيني لو كنت ذكرتني لفعلت.

وعن عروة قال: لقد رأيت عائشة تقسم سبعين ألفًا وهي ترقع درعها.

(ذكر نَبْذة من خوفها من الله تعالى)

عن عوف بن مالك بن الطفيل [١] أن عائشة - رضي الله عنها - حدثت أن عبد الله ابن الزبير قال في بيع أو عطاء أعطته عائشة: والله لتنتهينّ أو لأحجرنّ عليها. فقالت: أهوَ قال هذا؟ قالوا: نعم، قالت: هو لله عليَّ نذر أن لا أكلم ابن الزبير أبدًا. فاستشفع ابن الزبير إليها حين طالت الهجرة فقالت: والله لا أشفع فيه أبدًا ولا أتحنث إلى نذري أبدًا، فلما طال ذلك على ابن الزبير كلَّم المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث وهما من بني زُهرة بن كلاب وقال لهما: أنشدكما الله إلاّ ما أدخلتماني على عائشة فإنها لا يحلّ أن تنذر قطيعتي، فأقبل به المسور وعبد الرحمن مشتملين بأرديتهما حتى استأذنا على عائشة فقالا: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، أندخل؟ قالت: ادخلوا، قال: كلنا؟ قالت: نعم ادخلوا كلُّكم، ولا تعلم أن معهما ابن الزبير فلما دخلوا دخل ابن الزبير الحجاب فاعتنق عائشة وطفق يقبل رأسها ويبكي. وطفق المسور وعبد الرحمن يناشدانها إلا ما كلمته وقبلت منه، ويقولان لها: إن النبي ﷺ نهى عما قد علمت من الهجرة فإنه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام أو ليال، فلما أكثروا على عائشة من التذكرة والتحريج طفقت تذكرهما وتبكي وتقول: إني نذرت والنذر شديد فلم يزالا بها حتى كلمت ابن الزبير وأعتقت في نذرها ذلك أربعين رقبة وكانت تذكر نذرها بعد ذلك فتبكي حتى تبل بدموعها خمارها. انفرد بإخراجه البخاري [٢].

(ذكر تعبدها واجتهادها - رضي الله عنها)

عن عروة عن أبيه أن عائشة - رضي الله عنها - كانت تسرد الصوم.

وعن القاسم أن عائشة كانت تصوم الدهر ولا تفطر إلا يوم أضحى أو يوم فطْر.

وعنه قال: كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة أسلم عليها، فغدوت يومًا فإذا هي

---

(١) عوف بن مالك بن الطفيل بن الحارث وهو أخو عائشة لأمها - أفاده البخارى.

(٢) رواه البخارى (٦٠٧٣ - ٦٠٧٥)، وانظر: فتح البارى (١٠/ ٥١٢).

قائمة تسبح وتقرأ : ﴿ فمنَّ الله علينا ووقانا عذاب السَّموم ﴾ [(١)] . وتدعوا وتبكي وتردّدها، فقمت حتى مللت القيام فذهبت إلى السوق لحاجتي ثم رجعت فإذا هي قائمة كما هي ، تصلي وتبكي .

(ذكر طرف من مواعظها وكلامها)

عن عامر قال : كتبت عائشة إلى معاوية : أما بعد فإن العبد إذا عمل بمعصية الله - عز وجل - عاد حامده من الناس ذامًا .

وعن إبراهيم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : إنكم لن تلقوا الله بشيء خير لكم من قلة الذنوب ، فمن سرّه أن يسبق الدائب المجتهد فليكفّ نفسه عن كثرة الذنوب.

(ذكر غزارة علمها - رضي الله عنها)

عن أبي موسى الأشعري قال : ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عائشة عنه إلا وجدنا عندها منه علمًا .

وعن مسروق قال : نحلف بالله لقد رأينا الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ يسألون عائشة عن الفرائض .

وعن عروة عن أبيه قال : ما رأيت أحدًا من الناس أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال ولا بحرام ولا بشعر ولا بحديث العرب ولا بنسب من عائشة - رضي الله عنها.

وعن هشام بن عروة قال : كان عروة يقول لعائشة : يا أمّتا لا أعجب من فقهك ، أقول زوجة رسول الله ﷺ وابنة أبي بكر ، ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام العرب ، أقول ابنة أبي بكر ، وكان أعلم الناس أو من أعلم الناس، لكن أعجب من علمك بالطب ، قال: فضربتْ على مَنْكِبه وقالت : أيْ عروة إن رسول الله ﷺ كان يسقم عند آخر عمره أو في آخر عمره ، فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه فتنعت له الأنعات فكنت أعالجها فمن ثمَّ .

وعن سفيان بن عيينة قال : قال الزهري : لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبي ﷺ وجميع النساء كان علم عائشة رضي الله عنها أكثر .

(ذكر فصاحتها - رضي الله عنها)

عن هشام بن عروة ، لا أدري ذكره عن أبيه أم لا ـ الشك من أبي يعقوب ـ قال : بلغ عائشة - رضي الله عنها - أن أقوامًا يتناولون من أبي بكر - رضي الله عنه -

---

(١) سورة الطور آية : ٢٧ .

فأرسلت إلى أزفلة منهم ، فلما حضروا سدلت أستارها ثم دنت فحمدت الله تعالى وصلَّت على نبيه محمد ﷺ وعذلتْ وقرعت ، ثم قالت :

أبي وما أَبِيَه ؟ أبي والله لا تعطوه الأيدي ، ذاك طودٌ مُنيف ، وفرع مديد ، هيهات ! كذبت الظنونَ أنجح إذ أكْدَيْتم ، وسبق إذ ونيْتم [١] ، سبق الجواد إذا استولى على الأمد. فتى قريش ناشئًا وكهفُها كهلاً ، يفكّ عانيها ، ويريش مُمْلقَها ، ويَرْأَبُ شعبها حتى حليته قلوبها ، ثم استشرى في الله تعالى فما برحت شكيمته في ذات الله تعالى حتى اتخذ بفنائه مسجدًا يحيي فيه ما أمات المبطلون ، وكان رحمه الله غزير الدمعة ، وقيذ الجوارح ، شجي النشيج فانقصفت إليه نسوان مكة وولدانها يسخرون منه ويستهزئون به ﴿ **الله يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾ [٢] فأكبرت ذلك رجالات قريش فحنت له قسيّها وفوّقت له سهامها وانتثلوه غرضًا فما فلُّوا له صفاةً ولا قصفوا له قناةً ومرّ على سيسائه حتى إذا ضرب الدين بجرانه ألقى بركه ورست أوتاده، ودخل الناس فيه أفواجًا ، ومن كل فرقة أرسالاً وأشتاتًا . اختار الله – عز وجل – لنبيه ﷺ ما عنده وفلما قُبض ﷺ نصب الشيطان رواقه ومدّ طُنُبه [٣] ونصب حبائله وظنَّ رجال أن قد تحققت أطماعهم ، ولات حين مناص ، وأبي الصديق بين أظهرهم ، فقام حاسرًا مشمّراً ، فجمع حاشيته ورفع قطريه فردّ نشر الإسلام على غربه ، ولمّ شعثه بطيّه ، وأقام أَودَهُ بثقافه ، فاندفر النفاق بوطأته وانتاش الدين فنعشه ، فلما أراح الحق إلى أهله ، وقرّرَ الرؤوس على كواهلها وحقن الدماء في أهبها ، أتته ميتته فسد ثلمته بنظيره في المرحمة وشقيقه في السيرة والمعدلة . ذاك عمر بن الخطاب ، لله أمٌ حملت به ودرّت عليه لقد أوحدت به ففنخ الكفرة وديّخها ، وشرّد الشرك شَذَرَ مذَرَ ، وبعجَ الأرض وبخَعها فقاءت أكلها ولفظت خبيئها تَرْأمُه ويصدف عنها ، وتصدّى له ويأباها ثم ورع فيها وودعها كما صحبها فأروني ما تريبون وأي يوم تنقمون ؟ أيوم إقامته إذْ عدل فيكم أم يوم ظعنه فقد نظر لكم ؟ أستغفر الله العظيم لي ولكم .

وقد روى هذا الحديث جعفر ابن عون عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة – رضي الله عنها .

(تفسير كلمات غريبة في الحديث)

الأزفلة : الجماعة ، وتعطوه : تناوله ، والطود : الجبل ، والمنيف : المشرف ،

---

(١) الونى : الضعف والفتور ، والكلال ، والإعياء ، يقال : ونى فى الأمر ينى بالكسر ، وفى ونياً : أى ضعف فهو وان . اهـ (مختار الصحاح) .

(٢) سورة البقرة آية : ١٥ .

(٣) الطنب : حبل يُشد به الخباء والسرادق ونحوهما ، وعرق الشجرة يمتد من أرومتها .

وأكديتم : خبتم ويئس من خيركم ، وونيتم : فترتم ، والأمد : الغاية ، والمملق : الفقير، ويرأب : يجمع ، والشعب : المتفرق ، واستشرى : احتدّ ، والشكيمة : الأنفة والحمية ، والوقيذ : العليل ، والجوارح : معروفة وفي رواية: الجوانح ، وهي الضلوع القصار التي تقرب من الفؤاد ، والشجيّ : الحزين ، والنشيج : صوت البكاء ، وانتثلوه: مأخوذ من النثلة وهي الجعبة ، وفلّوا : كسروا، والصّفاة : الصخرة الملساء . وقولها : على سيسائه : أي على شده ، والجران : الصّدر وهو البرك ، ،معنى فرفع حاشيته وجمع قطريه : تحزّم للأمر وتأهب . والقُطر : الناحية ، فرد نشر الإسلام على غربه كذا وقع في الرواية والصواب على غرة أي على طيّه ، والأود : العوج ، والثقاف: تقويم الرماح وغيرها، واندفر : تفرّق ، وانتاش الدّين أي أزال عنه ما يخاف عليه ، ونعشَهُ : رفعه، فنخَ الكفرة : أي أذلّها ، وديخها : أي دوّخها ، وفي رواية : ذنّخها ، بالنون ﷺ : أي صغّرها ، شذَرَ مذَر : أي تفريقًا ، وبعج الأرض : أي شقها ، وكذلك نجعها ، وترأمهُ : أي تعطف عليه ، وتصدّى له : تعرَّض .

وعن الأحنف بن قيس قال : سمعت خطبة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان ابن عفان وعلي بن أبي طالب ، فما سمعت الكلام من في مخلوق أحسن ولا أفخم من في عائشة - رحمة الله عليهم أجمعين .

وعن سفيان قال : سأل معاوية زيادًا : أيُّ الناس أبلغ ؟ قال : أنت يا أمير المؤمنين، قال: أعزم عليك ، قال : إذا عزمتَ عليَّ فعائشة ، فقال معاوية : ما فتحت بابًا قطُّ تريد أن تغلقه إلا أغلقته ولا أغلقت بابًا قطُّ تريد أن تفتحه إلا فتحته .

(ذكر وفاة عائشة - رضي الله عنها)

عن ذكوان حاجب عائشة أنه جاء عبد الله بن عباس يستأذن على عائشة ، فجئت وعند رأسها ابن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن ، فقلت : هذا ابن عباس يستأذن ، فأكب عليها ابنُ أخيها عبد الله فقال : هذا ابن عباس ، فقالت : دعني من ابن عباس فقال لها: يا أماه : إن ابن عباس من صالحي بنيك يسلم عليك ويودعك ، فقالت : ائذن له إن شئت . فأدخلتُه فلما دخل قال : أبشري فما بينك وبين أن تلقىْ محمدًا ﷺ والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد ، كنت أحبَّ نساء رسول الله ﷺ إلى رسول الله ﷺ ولم يكن رسول الله ﷺ يحبُّ إلا طيّبًا وسقطت قلادتك ليلة الأبواء فأصبح رسول الله ﷺ حتى تصبح في المنزل وأصبح الناس ليس معهم ماء فأنزل الله - عز وجل - : ﴿**فتيمّموا صعيدًا**﴾ [1] فكان هذا من سببك وما أنزل الله - عز وجل - لهذه الأمة من الرخصة ،

---

(١) سورة النساء آية : ٤٣ ، وسورة المائدة آية : ٦ .

وأنزل الله - عز وجل - براءتك من فوق سبع سماوات جاء به الروح الأمين فأصبح ليس مسجدٌ من مساجد الله - عز وجل - يُذكر فيه اللهُ إلا تُتلى فيه آناء الليل وآناء النهار.

فقالت : دعني منك يا ابن عباس ، فو الذي نفسي بيده لوددت أني كنت نَسيًا منسيا.

قال الواقدي : توفيت عائشة - رضي الله عنها - ليلة الثلاثاء لسبع عشرة من رمضان سنة ثمان وخمسين وهي ابنة ست وستين سنة (١) .

وقال غيره : توفّيت سنة سبع وخمسين وأوصت أن تُدفَن بالبقيع مع صواحباتها ، وصلّى عليها أبو هريرة ، وكان خليفة مروان بالمدينة .

وعن هشام بن عروة قال : مات أبو هريرة وعائشة سنة سبع وخمسين .

١٢٨ ـ حفصة بنت عمر بن الخطاب (٢) - رضي الله عنهما

كانت عند خُنيس بن حُذافة السهمي ، وهاجرت معه إلى المدينة فمات عنها بعد الهجرة مقْدَمَ النبي ﷺ من بدر ، فخلف عليها رسول الله ﷺ .

وعن ابن عمر ، عن عمر بن الخطاب قال : تأيَّمتْ حفصةُ بنت عمرَ من خنيس بن حذيفة أو حذافة ـ شكَّ عبد الرزاق ـ وكان من أصحاب رسول الله ﷺ ممن شهد بدرًا فتوفي بالمدينة . قال عمر : فلقيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة ، فقلت : إن شئت أنكحتُك حفصة ، فقال : سأنظر في ذلك ، فلبثتُ ليالي ، فلقيني فقال : ما أريد أن أتزوج يومي هذا ، قال عمر : فلقيتُ أبا بكر فقلت : إن شئت أنكحتُك حفصة ، فلم يرجع إلي شيئًا فكنت أوجد عليه مني على عثمان ، فلبثت ليالي فخطبها إلى رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه فلقيني أبو بكر فقال : لعلك وجدت عليَّ حين عرضت عليَّ حفصة فلم أرجع إليك شيئًا ؟ قلت نعم ، قال : فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك شيئًا حين عرضتها عليَّ إلا أني سمعت رسول الله ﷺ يذكرها ولم أكن لافشي سرّ رسول الله ﷺ ولو تركها لنكحتُها . انفرد بإخراجه البخاري (٣) .

وعن قيس بن أزيد أن النبي ﷺ طلَّق حفصة بنت عمر فدخل عليها خالاها قُدامة وعثمان ابنا مظعون ، فبكتْ وقالت : والله ما طلقني عن شِبَع ، وجاء النبي ﷺ

---

(١) في شذرات الذهب أنها توفيت عن خمس وستين سنة .

(٢) انظر : سير الأعلام (٢/ ٢٢٧) ، والإصابة (٤/ ٢٧٣) ، وأسد الغابة (٧/ ٦٥) .

(٣) رواه البخاري (٤٠٠٥) بنحوه .

فتجلببت ، قال : فقال لي جبريل - عليه السلام : راجع حفصة فإنها صوَّامة قوَّامة وإنها زوجتك في الجنة [1] .

وعن عمار بن ياسر قال : أراد رسول الله ﷺ أن يطلِّق حفصة فجاء جبريل - عليه السلام - فقال : لا تطلِّقْها فإنها صوَّامة قوَّامة ، وإنها زوجتك في الجنة .

قال الواقدي : توفيت حفصة في شعبان سنة خمس وأربعين في خلافة معاوية وهي ابنة ستين سنة ، وقيل : ماتت في خلافة عثمان بالمدينة .

١٢٩ ـ أم سَلَمَة واسمها هند بنت أبي أمية ، واسمه سهيل

ويقال له زاد الرَّكْب بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وكانت عند أبي سلمة ابن عبد الأسد فهاجر بها إلى أرض الحبشة الهجرتين جميعًا ، ومات أبو سلمة سنة أربع من الهجرة فتزوجها رسول الله ﷺ .

عن ابن أم سلمة أن أبا سلمة جاء إلى أمِّ سلمة فقال : لقد سمعت من رسول الله ﷺ حديثًا أحبَّ إلي من كذا وكذا لا أدري ما عدل به ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يصيب أحدًا مصيبة فيسترجع عند ذلك ويقول اللهم عندك أحتسب مصيبتي هذه ، اللهم اخلفني فيها خيرًا منها ، إلا أعطاه الله - عز وجل - » [2] .

قالت أم سلمة : فلما أصبت بأبي سلمة قلت : اللهم عندك أحتسب مصيبتي هذه ، ولم تطب نفسي أن أقول : اللهم اخلفني فيها بخير منها ، ثم قالت : مَن خير من أبي سلمة أليس أليس ؟ ثم قالت ذلك . فلما انقضت عدَّتُها أرسل إليها أبو بكر يخطبها فأبت ، ثم أرسل إليها عمر يخطبها فأبت ، ثم أرسل إليها رسول الله ﷺ يخطبها فقالت : مرحبًا برسول الله ﷺ ، إن في خلالاً ثلاثًا : امرأة شديدة الغيرة ، وأنا امرأة مُصْبِية ، وأنا امرأة ليس لي هاهنا أحد من أوليائي فيزوجني . فغضب عمر لرسول الله ﷺ أشد مما غضب لنفسه حين ردّته ، فأتاها عمر فقال : أنتِ التي تردِّين رسولَ الله ﷺ: بما تردّينه ؟ فقالت: يا ابْنَ الخطاب لي كذا وكذا .

فأتاها رسول الله ﷺ فقال : « أمَّا مَا ذكرت من غَيرتك ، فإني أدعو الله - عز وجل - أن يُذهبها عنك ، وأما ما ذكرت من صِبْيَتك فإن الله - عز وجل - سيكفيكهم ، وأما ما ذكرت من أنه ليس من أوليائك أحدٌ شاهد ، فليس من أوليائك أحد شاهد ولا غائب

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير .

(٢) رواه أبو داود (٣١١٩) ، وابن ماجة (١٥٩٨) ، وصححه الشيخ الألباني .

يكرهني ». وقال لابنها : زوِّجْ رسولَ الله ﷺ فزوَّجه ، فقال رسول الله ﷺ : أما إني لم أنقصك مما أعطيت فلانة [1] .

قال ثابت : قلت لابن أم سلمة : ما أعطى فلانة ؟ قال : أعطاها جرَّتين تضع فيهما حاجتها ، ورحىً ووسادة من أَدَم حشْوها ليفٌ .

ثم انصرف رسول الله ﷺ ، ثم أقبل رسول الله ﷺ بابْنها ، فلما رأته وضعت زينب أصغر ولدها في حُجرها فلما رآها انصرف وأقبل رسول الله ﷺ بابنتها ، فوضعتها في حُجرها ، وأقبل عمار مسرعًا بين يدي رسول الله ﷺ فانتزعها من حُجرها ، وقال : هاتي هذه المشقوحة التي قد منعت رسول الله ﷺ حاجته . فجاء رسول الله ﷺ فلما لم يرها في حُجرها قال : أين زناب قالت: أخذها عمار ، فدخل رسول الله ﷺ على أهله.

قال : وكانت في النساء كأنها ليست فيهن لا تجد ما يجدْن من الغيرة .

توفيت أم سلمة في سنة تسع وخمسين ، وقيل سنة اثنتين وستين ، وقُبرت بالبقيع وهي ابنة أربع وثمانين سنة - رضي الله عنها .

١٣٠ - أم حبيبة واسمها رملة [2]

بنت أبي سفيان بن حرب . كانت عند عبيد الله بن جحش ، وهاجر بها إلى الحبشة في الهجرة الثانية ثم ارتدَّ عن الإسلام وتنصر ومات هنالك . وثبتت أم حبيبة على دينها فبعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة ليخطبها عليه فزوّجها إياه وأصدق عنه النجاشيُّ أربعمائة دينار ، وبعث بها مع شُرَحبيل بن حسنة ، وقيل وكّلت خالد ابن سعيد بن العاص فزوجها ، وذلك في سنة سبع من الهجرة .

قال سعيد بن العاص : قالت أم حبيبة : رأيت في النوم كأن عبيد الله بن جحش زوجي بأسوأ صورة وأشوهه ، ففزعت فقلت : تغيَّرت - والله - حالةٌ ، فإذا هو يقول حين أصبح : يا أم حبيبة إني نظرت في الدِّين فلم أرَ دينًا خيرًا من النَّصْرانية ، وكنت قد دنتُ بها ، ثم دخلتُ في دين محمد ، ثم رجعت في النصرانية .

فقلت : والله ما خيرٌ لك ، وأخبرته بالرؤيا التي رأيتها فلم يحفل بها وأكبَّ على الخمر حتى مات ، فأَرى في النوم كأن آتيًا يقول : يا أم المؤمنين ففزعت فأوّلتها أن رسول الله ﷺ يتزوجني . قالت : فما هو إلا أن قد انقضت عدّتي فما شعرت إلا برسول

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ٦٣) .

(٢) انظر : سير الأعلام (٢/ ٢١٨) ، وأُسد الغابة (٧/ ١١٥) .

النجاشي على بابي يستأذن ، فإذا جارية له يقال لها أبرهة كانت تقوم على ثيابه ودهنه فدخلت عليَّ فقالت : إن الملك يقول لك : إن رسول الله ﷺ كتب إليَّ أن أزوِّجَهُ ، فقالت : بشَّرك الله بخير. قالت : يقول لك الملك وكِّلي من يزوِّجك .

فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص فوكَّلته ، وأعطت أبرهة سوارين من فضة وخَدَمَتَين [1] كانتا في رجليها وخواتيم فضة كانت في أصابع رجليها سرورًا بما بشَّرتها .

فلما كان العشيُّ أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن هناك من المسلمين فحضروا فخطب النجاشي فقال : الحمد لله الملك القُدوسِ السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ، وأنه الذي بشَّرَ به عيسى ابنُ مريمَ -صلى الله عليهما وسلم . أما بعد : فإن رسول الله ﷺ كتب إليَّ أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وقد أصدقْتها أربعمائة دينار .

ثم سكب الدنانير بين يدي القوم فتكلم خالد بن سعيد فقال :

الحمد لله ، أحمده وأستعينه وأستنصره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، أما بعد أجبتُ إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وزوّجتُه أم حبيبة بنت أبي سفيان فبارك الله لرسول الله ﷺ .

ودفع الدنانير إلى خالد بن سعيد بن العاص فقبضها ، ثم أرادوا أن يقوموا فقال : اجلسوا فإن سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعامٌ على التزويج . فدعا بطعام وأكلوا ثم تفرقوا . قالت أم حبيبة : فلما وصل إليَّ المال أرسلت إلى أبرهة التي بشرتني فقلت لها: إني كنت أعطيتك ما أعطيتك يومئذ ولا مال بيدي فهذه خمسون مثقالاً فخُذيها فاستعيني بها، فأبت وأخرجت حُقا فيه كل ما كنتُ أعطيتها فردَّته عليَّ وقالت : عزم عليَّ الملك أن لا أرزأك شيئًا وأنا التي أقوم على ثيابه ودهنه وقد اتبعت دين محمد رسول الله ﷺ وأسلمت لله - عز وجل - وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بكل ما عندهن من العطر.

قالت : فلما كان الغد جاءتني بعود ووَرْس وعنبر وَزَبادٍ كثير فقدمتُ بذلك كله على رسول الله ﷺ فكان يراه علي وعندي فلا ينكره ، ثم قالت أبرهة : فحاجتي إليك أن تقرئي عَلَى رسول الله ﷺ مني السلام وتُعلميه أني قد اتّبعت دينه ، قالت : ثم لطفت بي وكانت التي جهَّزتني ، وكانت كلما دخلتْ عليَّ تقول لا تنسَيْ حاجتي إليك .

(١) خدمتين : أي خلخالين .

قالت : فلما قدمت على رسول الله ﷺ أخبرته كيف كانت الخطبة وما فعلت بي أبرهة فتبسم وأقرأته منها السلام فقال : وعليها السلام ورحمة الله وبركاته .

قال الزهري : لما قدم أبو سفيان بن حرب المدينة جاء إلى رسول الله ﷺ ، وهو يريد غزو مكة ، فكلَّمه أن يزيد في هدنة الحديبية فلم يُقبل عليه رسول الله ﷺ فقام ودخل على ابنته أم حبيبة فلما ذهب ليجلس على فراش النبي ﷺ طوته دونه فقال : يا بُنيَّة أرغبت بهذا الفراش عني أم بي عنه ؟ فقالت : بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت امرؤ نجسٌ مشرك ، فقال : يا بُنيَّةُ لقد أصابك بعدي شر .

قالت عائشة - رضي الله عنها : دعتني أم حبيبة عند موتها فقالت : قد كان يكون بيننا ما يكون بين الضرائر فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك ، فقلت : غفر الله لك ذلك كلَّه وتجاوز وحلَّك من ذلك كله ، فقالت : سررتني سرَّك الله ، وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك .

وتوفيت سنة أربع وأربعين في خلافة معاوية .

١٣١ - زينب بنت جحش بن رئاب

أمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم عمَّة رسول الله ﷺ زوجها رسول الله ﷺ زيد ابن حارثة فلما طلقها زيد بن حارثة تزوجها رسول الله ﷺ في سنة خمس من الهجرة وكانت من المهاجرات .

عن أنس قال : لما انقضت عِدَّةُ زينبَ بنت جحش قال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة : اذهب فاذكرني لها ، فلما قال ذلك عظمت في نفسي ، فذهبت إليها فجعلت ظهري إلى الباب فقلت : يا زينب بعثني إليك رسول الله ﷺ يذكرك ، فقالت : ما كنت لأحدث شيئًا حتى أُوَامِرَ ربي - عز وجل - . فقامت إلى مسجد لها فأنزل الله - عز وجل - هذه الآية : ﴿ **فلما قضى زيدٌ منها وطرًا زوَّجناكها** ﴾ [1] فجاءَ رسول الله ﷺ فدخل بغير إذن . أخرجه مسلم [2] .

وقد أخرج البخاري من حديث أنس أن زينب كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ وتقول : زوجكُن أهاليكنَ وزوَّجني الله - تعالى - من فوق سبع سماوات .

وعنه قال : كانت زينب بنت جحش تفخر على نساء النبي ﷺ ، تقول : إن الله - عز وجل - أنكحني من السماء ، وأطعم النبي ﷺ يومئذ عليها خبزًا ولحمًا ، قال :

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٣٧ .

(٢) أخرجه مسلم كتاب النكاح ، باب : زواج زينب بنت جحش بنحوه .

وكان القوم جلوسًا في البيت فخرج النبي ﷺ فلبث هُنَيَّةً ، فرجع والقوم جلوس فشق ذلك عليه وعرفت ذلك في وجهه فنزلت آية الحجاب .

قلت : نزول آية الحجاب في قصة زينب في الصحيحين من حديث أنس بن مالك الأنصاري . وفيهما من حديثه أيضًا قال : ما أَوْلم رسول الله ﷺ على امرأة من نسائه أكثر وأفضل مما أولم على زينب فقال ثابت البناني: بما أولم ؟ قال : أطعمهم خبزًا ولحمًا حتى تركوه [1] .

وعن عائشة قالت : كانت زينب بنت جحش هي التي كانت تُساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله - عز وجل - بالورع ولم أر امرأة أكثر خيرًا وأكثر صدقةً وأوصل للرحم وأبذل لنفسها في كل شيء يتُقرب به إلى الله - عز وجل - من زينب ما عدا سَوْرةً من حِدةٍ كانت فيها ، يوشك منها الفيئة .

وعن برزةَ بنت رافع قالت : لما جاء العطاء بعث عمر إلى زينب بنت جحش بالذي لها ، فلما دخل عليها قالت : غفر الله لعمر ، لغيري من أخواتي كان أقوى على قسم هذا مني . قالوا : هذا كله لك . قالت : سبحان الله . واسترت دونه بثوب وقالت : صبّوه واطرحوا عليه ثوبًا . فصبّوه وطرحوا عليه ثوبًا . فقالت لي : أدخلي يدك فاقبضي منه قبضةً فاذهبي إلى آل فلان وآل فلان من أيتامها وذوي رحمها فقسّمته حتى بقيت منه بقية فقالت لها برزة : غفر الله لك ، والله لقد كان لنا في هذا حظ . قالت : فلكُم ما تحت الثوب . قالت : فرفعنا الثوب فوجدنا خمسةً وثمانين درهمًا . ثم رفعت يديها فقالت : اللهم لا يدركني عطاءٌ لعمر بعد عامي هذا . قال : فماتت .

وعن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ لأزواجه : أوّلكنّ يتبعني أطولكن يدًا [2] . قالت عائشة : فكنا إذا اجتمعنا بعد وفاة رسول الله ﷺ نمد أيدينا في الحائط نتطاول فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش ، وكانت امرأة قصيرة ولم تكن أطولنا يدًا . فعرفت أن النبي ﷺ أراد بطول اليد الصدقة. وكانت امرأة صناعًا ، وكانت تعمل بيدها وتتصدق به في سبيل الله - عز وجل [3] .

توفيت زينب بنت جحش في سنة عشرين وهي بنت ثلاث وخمسين سنة - رحمها الله .

(١) انظر : الحلية (٢/ ٥٤) ، والأوائل من الصحابة .

(٢) انظر : صحيح البخارى كتاب النكاح ، باب : الوليمة ولو بشاة ، وباب : من أولم لبعض نسائه أكثر من بعض ، ومسلم باب : زواج زينب ونزول الحجاب .

(٣) رواه البخارى كتاب الزكاة بنحوه ، ومسلم باب : فضائل زينب أم المؤمنين .

١٣٢ ـ جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار - رضي الله عنها

قالت عائشة : أصاب رسول الله ﷺ نساء بني المصطلق ، فوقعت جويرية في سهم ثابت بن قيس فكاتبها على تسع أواق وكانت امرأة حلوةً لا يكاد يراها أحد إلا أخذت بنفسه . فبينما رسول الله ﷺ عندي إذ دخلت عليه جُويرية تسأله في كتابتها . فوالله ما هو إلا أن رأيتها فكرهت دخولها على النبي ﷺ عرفت أنه سيرى منها مثل الذي رأيت فقالت : يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيِّد قومه ، وقد أصابني من الأمر ما قد علمت ، فوقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبني على تسع أواقٍ فأعنّي في كتابتي . فقال: أو خيرٌ من ذلك ؟ فقالت : ما هو ؟ فقال : أؤدي عنك كتابتك وأتزوّجك . قالت : نعم يا رسول الله . فقال : قد فعلتُ . فخرج الخبر إلى الناس فقالوا : أصهارُ رسول الله ﷺ يُسترقُّون ! فأعتقوا ما كان في أيديهم من نساء بني المصطلق فبلغ عتقهم مائة بنتٍ بتزويجه إياها ، فلا أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها (١) .

قال ابن عباس : كان اسمها برَّةً فحوَّله رسول الله ﷺ فسماها جويرية ، كرهَ أن يقال خرج من عند بَرّة .

وعن ابن عباس ، عن جويرية : انطلق عليَّ رسول الله ﷺ غُدوة وأنا أسبِّحُ . ثم انطلق لحاجته ثم رجع قريبًا من نصف النهار فقال : أما زلت قاعدة ؟ قلت : نعم . قال: ألا أعلِّمك كلمات لو عُدلن بهن لعدَلْنهنّ ولو وُزنّ بهن وزنهن ، يعني جميع ما سبّحت: « سبحان الله عدد خلْقه ، ثلاث مرات ، سبحان الله زنة عرشه ثلاث مرات ، سبحان الله رضا نفسه ثلاث مرات ، سبحان الله مداد كلماته ثلاث مرات» . انفرد بإخراجه مسلم (٢) .

تزوج رسول الله ﷺ جويرية وهي بنت عشرين سنة ، وتوفيت سنة خمسين ، وفي رواية ست وخمسين ، وهي بنت خمس وستين - رحمها الله .

١٣٣ ـ صفية بنت حيي بن أخطب - رضي الله عنه

من سبط هارون بن عِمْران . سباها النبي ﷺ يوم خيبر فاصطفاها لنفسه فأسلمت وأعتقها . وجعل عتقها صِداقَها وقيل : وقعت في سهم دِحية الكلبي فاشتراها رسول الله ﷺ بسبعة أرْؤس .

---

(١) رواه الحاكم (٤/ ٢٦) ، وابن حبان (٤٠٥٤) ، والطبرانى (٢٤/ ١٥٩) ، والبيهقى (٩/ ٧٤ ، ٧٥) ، والطحاوى فى « شرح معانى الآثار » (٣/ ٢١) ، وأحمد (٦/ ٢٧٧) ، وأبو داود (٣٩٣١) بنحوه .

(٢) رواه مسلم (الذكر والدعاء / ٧٩) .

عن جابر أن رسول الله ﷺ أتى بصفية يوم خيبر وإنه قتل أخاها وزوجها . وقال لبلال : خُذ بيد صفية فأخذ بيدها فمرّ بها بين القتلى فكره ذلك رسول الله ﷺ حتى رُئِيَ في وجهه. ثم قام رسول الله ﷺ فدخل عليها فنزعت شيئًا كانت عليه جالسةً فألقته لرسول الله ﷺ ثم خيَّرها بين أن يعتقها فترجع إلى من بقي من أهلها أو تُسلم فيتّخذها لنفسه . فقالت: أختارُ الله ورسوله . فلما كان عند رواحه ، احتقب [1] بعيره ثم خرجت معه تمشي حتى ثنى لها ركبته على فخذه . فأجلَّتْ رسول الله ﷺ أن تضع قدمها علي فخذه فوضعت ركبتها على فخذه فركبت . ثم ركب النبي ﷺ فألقى عليها كساء ، ثم سارا . فقال المسلمون حجبها رسول الله ﷺ حتى إذا كان على ستة أميال من خيبر مال يريد أن يُعرس بها فأبت صفية . فوجد النبي ﷺ عليها في نفسه .

فلما كان بالصهباء مال إلى دُومة هناك فطاوعته فقال لها : ما حملك على إبائك حين أردتُ المنزل الأول ؟ قالت : يا رسولَ الله خشيت عليك قُرب يهود. فأعرس بها [2] رسول الله ﷺ بالصهباء ، وبات أبو أيوب ليلته يحرس رسول الله ﷺ ، يدور حول خباء رسول الله ﷺ . فلما سمع رسول الله ﷺ الوطء قال: من هذا ؟ قال : أنا خالد ابن زيد . فقال: ما لك ؟ قال : ما نمت هذه الليلة مخافة هذه الجارية عليك . فأمره رسول الله ﷺ فرجعَ .

توفيت صفية سنة خمسين ، وقيل اثنتين وخمسين ، وقيل ستٍ وثلاثين ، ودفنت بالبقيع .

١٣٤ ـ أم شريك – رضي الله عنها

واسمها غُزيَّة بنت جابر بن حكيم الدَّوْسيّة ، قال الأكثرون هي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ فلم يقبلها ، فلم تتزوج حتى ماتت .

عن ابن عباس قال : وقع في قلب أم شريك الإسلام فأسلمت وهي بمكة وكانت تحت أبي العسكر الدوسي . ثم جعلت تدخل على نساء قريش سرا فتدعوهن وترغّبهن في الإسلام . حتى ظهر أمرها لأهل مكة فأخذوها وقالوا : لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا ، لكنا سنردّك إليهم .

قالت : فحملوني على بعير ليس تحتي شيء ثم تركوني ثلاثًا لا يُطعموني ولا يسقوني، وكانوا إذا نزلوا منزلاً وأوثقوني في الشمس واستظلوا هم منها ، وحبسوني عن

---

(١) الحقب : الحزام يلي حقو البعير ، أو حبل يشد به الرحل فى بطنه .

(٢) يقال : أعرس فلان أى : اتخذ عُرساً ، وأعرس بأهله : بنى بها ، وكذا إذا غشيها .

الطعام والشراب . فبينا هم قد نزلوا منزلاً وأوثقوني في الشمس إذا أنا ببردِ شيء على صدري فتناولته فإذا هو دلو من ماء فشربتُ منه قليلاً ثم نُزع مني فرُفع . . ثم عاد فتناولته فشربت منه ثم رُفع . ثم عاد فتناولته ثم رفع مراراً، ثم تُركت فشربت حتى رويت ثم أفضتُ سائره على جسدي وثيابي . فلما استيقظوا إذا هم بأثر الماء ورأوني حسنة الهيئة فقالوا لي : انحللت فأخذت سقاءنا فشربت منه ؟ قلت : لا والله ولكنه كان من الأمر كذا وكذا . قالوا : لئن كنت صادقة لدينُك خيرٌ من ديننا . فلما نظروا إلى أسقيتهم وجدوها كما تركوها فأسلموا عند ذلك . وأقبلت إلى النبي ﷺ فوهبت نفسها له بغير مهرٍ ، فقبلها ودخل عليها .

١٣٥ ـ فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد المناف [١]

أم علي بن أبي طالب - عليه السلام . أسلمت وكانت صالحة . وكان رسول الله ﷺ يزورها ويقيل في بيتها . ولما ماتت نزع رسول الله ﷺ قميصه فألبسها إياه .

وقال علي بن أبي طالب : قلت لأمي فاطمة بنت أسد : اكْفي فاطمة بنت رسول الله ﷺ سقاية الماء والذهاب في الحاجة ، وتكفيك خدمة الدَّاخل والطَّحن والعجين .

١٣٦ ـ أم أيمن ، واسمها بركة [٢]

مولاة رسول الله ﷺ وحاضنتُه ، ورثها من أبيه فأعتقها حين تزوّج خديجة فتزوجها عُبيد ابن زيد من بني الحارث فولدت له أيمن . ثم تزوّجها زيد بن حارثة بعد النبوة ، فولدت له أسامة - رضي الله عنه .

عن عثمان بن القاسم قال : خرجت أم أيمن مُهاجرة إلى رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة وهي ماشية ليس معها زاد ، وهي صائمة في يومٍ شديد الحر ، فأصابها عطشٌ شديد حتى كادت تموت من شدة العطش . قال : وهي بالرَّوْحاء أو قريبًا منها . قالت : غابت الشمس إذا أنا بحفيف شيء فوق رأسي ، فرفعت رأسي فإذا أنا بدلو من السماء مُدلىً برشاء أبيض . قالت : فدنا مني حتى إذا كان بحيث أستمكن منه تناولته فشربت منه حتى رويتُ . قالت : فلقد كنت بعد ذلك في اليوم الحار أطوف في الشمس كي أعطش فما عطشتُ بعدها .

وعن أنس قال : ذهبتُ مع النبي ﷺ إلى أم أيمن نزورها فقرّبت له طعامًا أو شرابًا فإما كان صائمًا ، وإما لم يُرِدْهُ فجعلت تخاصمه أي : كُلْ . فلما توفي النبي ﷺ قال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما : مُرّ بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله ،

---

(١) انظر : سير الأعلام (٢/١١٨) ، والإصابة (٤/ ٣٨٠) ، وأسد الغابة (٧/ ٢١٧) .
(٢) انظر : سير الأعلام (٢/ ٢٧٦) ، والإصابة (٤/ ٤٩١) ، وأسد الغابة (٧/ ٦٣٧) .

يزورها. فلما رأتهما بكت ، فقالا لها : ما يبكيك ؟ فقالت : ما أبكي إني لأعلم أن رسول الله ﷺ قد صار إلى خير مما كان فيه ولكن أبكي لخبر السماء انقطع عنا . فهيَّجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها [1] .

قال الواقدي : حضرت أم أيمن أُحدًا وكانت تسقي الماء وتداوي الجرحى ، وشهدت خيبر . وتوفيت في آخر خلافة عثمان - رضي الله عنه .

١٣٧ ـ أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط [2]

أسلمت بمكة وبايعت قبل الهجرة وهي أول من هاجر من النساء بعد أن هاجر رسول الله ﷺ إلي المدينة وهاجرت في هدنة الحديبية .

عن ربيعة بن عثمان وقُدامة قالا : لا نعلم قُرشيّةً خرجت من بين أبويها مسلمةً مهاجرة إلا أمَّ كلثوم . قالت : كنت أخرج إلى بادية لنا فيها أهلي فأقيم بها الثلاث والأربع ، وهي ناحية التّنعيم ، ثم أرجع إلى أهلي فلا ينكرون ذهابي البادية ، حتى أجمعت المسير فخرجت يومًا من مكة كأني أريد البادية . فلما رجع من تبعني إذا رجل من خزاعة قال : أين تريدين ؟ قلت : ما مسألتك ؟ ومن أنت ؟ قال : رجل من خزاعة. فلما ذكر خزاعة اطمأننت إليه لدخول خزاعة في عهد رسول الله ﷺ وعقده . فقلت : إني امرأة من قريش وإني أريد اللحوق برسول الله ﷺ ولا علم لي بالطريق . فقال : أنا صاحبك حتى أوردك المدينة . ثم جاءني ببعير فركبته فكان يقود بي البعير ، ولا والله ما يكلّمني بكلمة . حتى إذا أناخ البعير تنحّى عني فإذا نزلتُ جاء إلى البعير فقيّده بالشجرة وتنحى إلى فيء شجرة ، حتى إذا كان الرّواح حَدَجَ البعير ، فقرَّبه وولّى عني فإذا ركبت أخذ برأسه فلم يلتفت وراءه حتى أنزل فلم يزل كذلك حتى قدمنا المدينة فجزاه الله من صاحب خيرًا . فدخلت على أم سلمة وأنا متنقّبة فما عرفتني حتى انتسبت وكشفتُ النقاب ، فالتزمتني وقالت : هاجرت إلى الله - عز وجل - وإلى رسول الله ﷺ ؟ قلت : نعم ، وأنا أخاف أن يردّني كما ردّ أبا جندل وأبا بصير ، وحالُ الرجال ليس كحال النساء ، والقومُ مُصبِّحيَّ ، قد طالت غيبتي اليومَ عنهم خمسة أيام منذ فارقتهم ، وهم يتحيّنون قدر ما كنت أغيب ، ثم يطلبوني ، فإن لم يجدوني رحلوا. فدخل رسول الله ﷺ على أم سلمة فأخبرته خبر أمِّ كلثوم فرحبً بها وسهّل . فقلت: إني فررت إليك بديني فامنعني ولا تردّني إليهم يفتنوني ويُعذّبوني ، ولا صبر لي على العذاب ، إنما أنا امرأة وضَعفُ النساء إلى ما تعرف ، وقد رأيتك رددتَ رجلين

(١) أخرجه مسلم بلفظ مقارب (كتاب الفضائل باب : فضائل أم أيمن) .

(٢) انظر : سير الأعلام (٢/ ٢٧٦) ، والإصابة (٤/ ٤٩١) ، وأسد الغابة (٧/ ٣٨٦) .

حتى امتنع أحدهما فقال : « إن الله - عز وجل - قد نقض العهد في النساء وحكم في ذلك بحكم رضوه كلُّهم ، وكان يرد النساء ، فقدم أخواها الوليد وعمارة من الغد فقالا : أوف لنا بشرطنا وما عاهدتنا عليه فقال : قد نقض الله العهد ، فانصرفا .

قلت : واعلم أن نقض العهد في النساء معناه نزول الامتحان في حقوقهن فامتحنها رسول الله ، وامتحن النساء بعدها ، وذلك أنه كان يقول لهن والله ما أخرجكنّ إلا حبُّ الله ورسوله والإسلام وما خرجتُنّ لزوج ولا مال . فإذا قلن ذلك تركهنّ ولم يُرْدَدْنَ إلى أهليهن وكانت أم كلثوم عاتقًا حينئذ فتزوجها زيد بن حارثة فلما قتل عنها تزوجها الزبير فولدت له زينب . ثم تزوجها عبد الرحمن بن عوف فولدت له إبراهيم وحميدًا . ثم تزوجها عمرو بن العاص فماتت عنده - رحمها الله .

١٣٨ ـ الحولاء بنت تويت بن حبيب بن أسد بن عبد العزى

أسلمت وبايعت - رضي الله عنها .

عن عائشة - رضي الله عنها : أن الحَوْلاء مرَّت بها وعندها رسول الله ﷺ فقالت : هذه الحولاء ، وزعموا أنها لا تنام الليل . فقال : لا تنام الليل ؟ خذوا من العمل ما تطيقون فوالله لا يسأم الله حتى تسأموا (١) .

١٣٩ ـ أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما

أسلمت بمكة قديمًا ، وبايعت وشقَّت نطَاقَهَا ليلةَ خرج رسول الله ﷺ إلى الغار فجعلت واحدًا لسُفْرَة رسول الله ﷺ والآخر عصامًا لقُربته فسُميت ذات النطاقين . تزوجها الزبير . وكانت صالحَةً كانت تمرض المرضة فتُعتق كلَّ مملوك لها .

عن عبد الله بن الزبير قال : ما رأيت امرأتين قطُّ أجود من عائشة وأسماء ، وجُودهُما مختلف : أما عائشة فكانت تجمع الشيء حتى إذا اجتمع عندها قَسَّمت ، وأما أسماء فكانت لا تُمسك شيئًا لغد . رواه البخاري .

وروي أيضًا من حديث عروة قال : دخلت أنا وعبد الله بن الزبير على أسماء قبل قتل عبد الله بعشر ليال ، وأسماء وجعة ، فقال لها عبد الله : كيف تجدينك؟ قالت : وجعةً، قال : إن في الموتَ لراحةً ، قالت : لعلك تشتهي موتي فلذلك تمنّاه ، فلا تفعل فوالله ما أشتهي أن أموت حتى آتي على أحد طرفيك : إما أن تقتل فأحتسبك وإما أن تظفر فتقَّر عيني ، فإياك أن تعرض عليك خصلةٌ لا توافقك فتقبلها كراهية الموت .

وإنما عنى ابن الزبير أن يقتل فيحزنها ذلك .

---

(١) انظر : حلية الأولياء (٢/ ٦٥) .

توفيت أسماء بعد قتل ابنها عبد الله - رضي الله عنه - بليال .

١٤٠ - سمية بنت خباط - رضي الله عنها

مولاة أبي حذيفة بن المغيرة ، وهي أم عمار بن ياسر ، أسلمت بمكة قديمًا ، وكانت ممن يعذَّب في الله - عز وجل - لترجع عن دينها فلم تفعل . فمرّ بها يومًا أبو جهل فطعنها في قُبُلها فماتت ، وكانت عجوزًا كبيرةً فهي أول شهيدة في الإسلام - رحمها الله .

عن مجاهد قال : أول شهيد كان في الإسلام استشهد : أم عمار ، طعنها أبو جهل بحربة في قُبُلها (١) .

١٤١ - فاطمة بنت الخطاب - رضي الله عنها (٢)

أخت عمر . أسلمت قبل عمر هي وزوجها سعيد بن عمرو بن نفيل ، فلما علم عمر بإسلامها دخل عليها فشجَّها فبكت وقالت : يا ابن الخطاب ، ما كنت صانعًا فاصنعه فقد أسلمت . وقد ذكرنا هذا في قصة إسلام عمر - رحمها الله .

١٤٢ - أم رومان بنت عامر (٣)

أسلمت بمكة قديمًا وبايعت وتزوجها أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - فولدت له عبد الرحمن وعائشة ، وهاجرت إلى المدينة .

وقد ذكر محمد بن سعد وإبراهيم الحربي أنها توفيت على عهد رسول الله ﷺ ، وقال آخرون بل عاشت بعده دهرًا طويلاً - رحمها الله .

١٤٣ - أم الفضل (٤)

وهي لبابة الكبرى ، ابنة الحارث بن حَزْن ، وهى أول امرأة أسلمت بعد خديجة ، تزوجها العباس فولدت له الفضل وعبد الله وعبيد الله ومعبدًا وقُثَمَ وعبد الرحمن وأم حبيب وفيها يقول عبد الله بن يزيد الهلالي :

ما ولدت نجيبةٌ من فحل كستَّةٍ من بطن أمِّ الفضل
أكرم بها من كَهْلَة وكَهْل

وهاجرت إلى المدينة بعد إسلام العباس ، وكان رسول الله ﷺ يزورها ويقيل في بيتها وكانت تصوم الاثنين والخميس .

---

(١) انظر : الأوائل من الصحابة باب : الجهاد ، والإصابة (٤/ ٣٣٤) .
(٢) المصدر السابق (٤/ ٣٨١) ، وأُسد الغابة (٧/ ٢٢٠) .
(٣) انظر : الإصابة (٤/ ٤٥٠) ، وأُسد الغابة (٧/ ٣٣١) .
(٤) انظر : الإصابة (٤/ ٤٨٣) ، وأُسد الغابة (٧/ ٢٥٣) .

١٤٤ ـ أسماء بنت عميس [1]

أسلمت بمكة قديمًا وبايعت وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب ثم قتل عنها فتزوجها أبو بكر - رضي الله عنه - ومات عنها ، وأوصى أن تغسله ، ثم تزوجها علي ابن أبي طالب .

عن أبي موسى قال : بلغنا مخرج رسول الله ﷺ ونحن باليمن ، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لي أنا أصغرهم ، أحدهم أبو بردة ، والآخر أبو رهم ، إما قال بضْع ، وإما قال ثلاثة وخمسون ، وإما اثنان وخمسون رجلا من قومي فركبنا سفينةً فألقتنا سفينتُنا إلى النجاشي فوافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده ، فقال جعفر : إن رسول الله ﷺ بعثنا ها هنا وأمرنا بالإقامة فأقيموا معنا . قال : فأقمنا معه حتى قدمنا جميعًا . قال : فوافقنا النبيَّ ﷺ حين افتتح خيبر فأسهم لنا ، أو قال أعطانا منها ، وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئًا إلا لمن شهد معه إلا أصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه ، فقسم لهم معهم . قال : فكان ناس من الناس يقولون لنا يعني لأصحاب السفينة : نحن سبقناكم بالهجرة .

قال : فدخلت أسماء بنت عُميس وهي ممن قدم معنا على حفصة زوج النبي ﷺ زائرةً وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر إليه فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها فقال عمر حين رأى أسماء : من هذه ؟ فقالت أسماء بنت عُميس ، فقال عمر : الحبشية هذه البحرية هذه ؟ فقالت أسماء : نعم . فقال عمر : سبقناكم بالهجرة فنحن أحقُّ برسول الله ﷺ منكم . فغضبت وقالت : كلا يا عمر ، كلا والله كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ويعظ هالككم وكنا في دار ـ أو في أرض ـ البعد بالحبشة ، وذلك في ذات الله - عز وجل - وفي رسول الله ﷺ ، وايم الله لا أطعم طعامًا ولا أشرب شرابًا حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ وأسأله والله لا أكذب ولا أزيد على ذلك .

فلما جاء النبي ﷺ قالت : يا نبيَّ الله إن عمر قال كذا وكذا . فقال رسول الله ﷺ فما قُلْت له ؟ قالت : قلت له كذا وكذا . فقال رسول الله ﷺ : ليس بأحقَّ بي منكم وله ولأصحابه هجرةٌ واحدةٌ ، ولكم أنتم يا أهل السفينة هجرتان، قالت : فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتوني أرسالاً ليسألون عن هذا الحديث ما من الدنيا شيء هُمْ أفرح به ولا أعظم في أنفسهم مما قال رسول الله ﷺ لهم . أخرجاه في «الصحيحين»[2] .

---

(٣) انظر : سير الأعلام (٢/ ٢٨٢) ، والحلية (٢/ ٧٤) .

(٢) رواه البخارى (٣١٣٦) ، ومسلم (فضائل الصحابة / ١٦٩) .

١٤٥ ـ أم عُمارة واسمها نَسيبة ، بفتح النون وكسر السين

بنت كعب بن عمرو بن عوف الأنصارية أسلمت وبايعت وشهدت أحدًا والحديبية وخيبر وحُنينًا وعمرة القضيَّة ويوم اليمامة (١) .

وروى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال : ما التفتُّ يوم أحد يمينًا ولا شمالاً إلا وأراها تقاتل دوني .

قال الواقدي : قاتلت يوم أحد وجرحت اثنتي عشرة جراحة وداوت جرحًا في عنقها سنة ثم نادى منادي رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد فشدّت عليها ثيابها فما استطاعت من نزف الدم .

وعن محمد بن إسحاق قال : وحضرت البيعة بالعقبة امرأتان قد بايعتا : إحداهما نسَيبة بنت كعب ، وكانت تشهد الحرب مع رسول الله ﷺ ، شهدت معه أُحدًا وخرجت مع المسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ في خلافة أبي بكر في الردة ، فباشرت الحرب بنفسها حتى قتل الله مسيلمة ورجعت وبها عشر جراحات من طعنة وضربة .

قال ابن إسحاق : حدثني بهذا الحديث عنها محمد بن يحيى بن حبّان ، ومحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة .

١٤٦ ـ أم سُليط الأنصارية (٢)

أسلمت وبايعت وشهدت أحدًا وخيبر وحُنينًا . قال ثعلبة بن أبي مالك : إن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قسم مُروطًا بين نساء أهل المدينة فبقي منها مرط جيد، فقال له بعض من حضر عنده : يا أمير المؤمنين أعط هذا ابنة ابنة رسول الله ﷺ التي عندك ـ يريدون أم كلثوم بنت علي - فقال : أم سليطَ أحقّ به ، فإنها ممن بايع رسول الله ﷺ، وكانت تَزْفِرُ لنا القُرب يوم أحد . انفرد بإخراجه البخاري (٣) .

١٤٧ ـ أم سُليم بنت ملحان بن خالد ابن زيد بن حرام (٤)

وهي الغميصاء ، وقيل الرُّميصاء . واختلفوا في اسمها فقيل سهلة ، وقيل رُميلة ، وقيل رميثة ، وقيل أُنيفة . تزوجها مالك بن النضر فولدت له أنس بن مالك ، ثم قتل فخطبها أبو طلحة .

---

(٢) انظر : سير الأعلام (٢/ ٢٧٨) ، والإصابة (٤/ ٤٧٩) .

(٢) وهي والدة أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٣) رواه البخاري كتاب الجهاد (باب / ٦٦) حديث (٢٨٨١) .

(٤) انظر عنها : حلية الأولياء (٢/ ٥٧) ، وسير الأعلام (٢/ ٣٠٤) .

عن أنس قال : خطب أبو طلحة أم سليم قبل أن يسلم فقالت : أما إنى فيك لراغبة ، وما مثلك يُردُّ ، ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة ، فإن تُسلم فذلك مهري لا أسألك غيره فأسلم أبو طلحة وتزوجها .

وعنه أن أبا طلحة خطب أم سليم فقالت : يا أبا طلحة ألست تعلم أن إلهك الذي تعبده خشبة نبتت من الأرض نجرها حبشيٌّ بني فلان ؟ قال : بلى . قالت : أفلا تستحي أن تعبد خشبة من نبات الأرض نجرها حبشى بنى فلان ؟ لئن أنت أسلمت لم أرد منك من الصداق غيره . قال : حتى أنظر في أمري . فذهب ثم جاء فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله . قالت : يا أنس زوّج أبا طلحة .

وعن أنس بن مالك قال : خطب أبو طلحة أم سليم فقالت : ما مثلك يردُّ ولكن لا يحل أن أتزوجك ، أنا مسلمة وأنت كافر ، فإن تُسلم فذاك مهري لا أسألك غيره . فأسلم فتزوّجها .

قال ثابت : فما سمعنا بمهر قطُّ كان أكرم من مهر أم سليم : الإسلام .

وعنه أن النبي ﷺ لم يكن يدخل بيتًا بالمدينة غير بيت أم سليم إلا على أزواجه . فقيل له ، فقال : إني أرحمها ، قُتل أخوها معي[1] .

وعنه قال : كان النبي ﷺ يدخل على أم سليم فتبسط له النِّطع فيقيل عندها فتأخذ من عرقه فتجعله في طيبها .

وعنه - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « دخلتُ الجنة فسمعت خشفةً بين يدي فإذا هي الغُميصاء بنت ملحان أم أنس بن مالك[2] .

وعنه قال : جاء أبو طلحة يوم حنين يُضحك رسول الله ﷺ من أم سليم فقال: يا رسول الله ألم تر إلى أم سليم معها خنجر ؟ فقال لها رسول الله ﷺ: ما تصنعين به يا أم سليم ؟ قالت : أردت إن دنا أحد منهم منى طعنته [3] .

وعنه قال : كان يوم أحد رأيت عائشة وأم سليم وإنهما لمشمّرتان أرى خدم سُوقهما تنقلان القُرب على مُتونهما ثم تفرغانه في أفواه القوم ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتفرغانها في أفواه القوم .

وعنه قال : زار رسول الله ﷺ أم سليم فصلّي في بيتها تطوعًا وقال : يا أم سليم إذا

---

(١) رواه البخاري (٢٨٤٤) ، ومسلم (فضائل الصحابة / ١٠٤) .

(٢) رواه مسلم (فضائل الصحابة / ١٠٥) . (٣) رواه أحمد (٣/ ١١٢ ، ١٩٨) .

صلّيت المكتوبة فقولي : سبحان الله عشرًا ، والحمد لله عشرًا ، والله أكبر عشرًا ، ثم سلى الله - عز وجل - ما شئت فإنه يقال لك : نعم نعم نعم [١] .

وعنه قال : كان ابن لأبي طلحة يشتكي فخرج أبو طلحة فقُبض الصَّبي فلما رجع أبو طلحة قال : ما فعل ابني ؟ قالت أم سليم : هو أسكن ما كان . فقرَّبت إليه العشاء فتعشى ثم أصاب منها . فلما فرغ قالت : وارَوْا الصبي . فلما أصبح أبو طلحة أتى رسول الله ﷺ فأخبره فقال : أعرستم الليلة ؟ قال : نعم . قال: اللهم بارك لهما فولدت له غلامًا . فقال لي أبو طلحة : احمله حتى تأتي به النبي ﷺ وبعث معه بتمرات فقال : أمعك شيء؟ قلت : نعم تمرات . فأخذها النبي ﷺ فمضغها ثم أخذها من فيه فجعلها في في الصبي ثم حنَّكه وسماه عبدَ الله . أخرجاه في « الصحيحين » [٢] .

وعنه قال : مات ابنٌ لأبي طلحة من أم سليم ، فقالت لأهلها : لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه قال : فجاء فقرّبت له عشاء فأكل وشرب وقال . ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع له قبل ذلك ، فوقع بها . فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت : يا أبا طلحة أرأيت لو أن قومًا أعاروا عَارِيَتَهُمْ أهل بيت فطلبوا عاريَّتهم ألهُم أن يمنعوهم ؟ قال : لا . قالت : فاحْتسب ابنك . فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان فقال رسول الله ﷺ: بارك الله لكما في ليلتكما قال : فحملت .

قال : وكان رسول الله ﷺ في سفرٍ وهي معه ، وكان رسول الله ﷺ إذا أتى المدينة من سفر لا يطرقها طروقًا فدنوا من المدينة فضربها المخاض ، فاحتبس عليها أبو طلحة وانطلق رسول الله ﷺ . فقال أبو طلحة : إنك لتعلم يا رب إنه ليعجبني أن أخرج مع رسول الله ﷺ إذا خرج وأدخل معه إذا دخل وقد احتبست بما ترى . قال : تقول له أم سليم : يا أبا طلحة ما أجد الذي كنت أجد . فانطلقنا .

قال : فضربها المخاض حين قدمنا فولدت غلامًا . فقالت لي أمي : يا أنس لا يُرضعنه أحد حتى تغدو به على رسول الله ﷺ. قال : فلما أصبحت احتملته فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ فصادفته ومعه ميسم . فلما رآني قال : لعل أم سليم ولدت ؟ قلت: نعم . فوضع الميسم وجئت به فوضعته في حُجره قال : ودعا رسول الله ﷺ بعجوة من عجوة المدينة فلاكها في فيه حتى ذابت ثم قذفها في في الصبي فجعل الصبي يتلمظ . فقال رسول الله ﷺ : انظروا إلى حُبِّ الأنصار التمر قال : فمسح وجهه وسماه عبد الله .

وقد روى لنا من طريق آخر أن الولد الذي مات كان اسمه حفص وكان قد ترعرع .

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ٣٠٢) .

(٢) رواه البخاري (٥٤٧٠) ، ومسلم (فضائل الصحابة / ١٠٧) .

وعن عباية بن رفاعة عن أم سليم قالت : توفي ابن لي وزوجي غائب فقمت فسجّيته في ناحية من البيت . فقدم زوجي فقمت فتطيّبت له فوقع علي . ثم أتيته بطعام فجعل يأكل فقلت : ألا أعجّبك من جيراننا ؟ قال : وما لهم ؟ قلت : أعيروا عاريةً فلما طلبت منهم جزعوا فقال : بئس ما صنعوا . فقلت : هذا ابنك . فقال : لا جَرَمَ ، لا تغلبيني على الصبر الليلة . فلما أصبح غدا على رسول الله ﷺ فأخبره ، فقال : اللهم بارك لهم في ليلتهم . فلقد رأيت لهم بعد ذلك في المسجد سبعةً كلهم قد قرأ القرآن .

١٤٨ ـ أم حرام بنت ملحان

أخت أم سليم أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ . وكان يقيل في بيتها .

عن أنس بن مالك عن أم حرام أنها قالت : بينا رسول الله ﷺ قائل في بيتي إذ استيقظ وهو يضحك ، فقلت : بأبي أنت وأمي ما يضحكك ؟ قال : عُرض عليّ ناس من أمتي يركبون ظهر هذا البحر كالملوك على الأسرّة . فقلت : ادعُ الله أن يجعلني منهم. قال : اللهم اجعلها منهم . ثم نام أيضًا فاستيقظ وهو يضحك فقلت : بأبي أنت وأمي ما يضحكك ؟ قال عُرض علي ناس من أمتي يركبون ظهر هذا البحر كالملوك على الأسرّة فقلت : ادع الله أن يجعلني منهم . فقال : أنت من الأولين . فغزت مع عُبادة ابن الصامت وكان زوجها فوقصتها بغلة لها شهباء فوقعت فماتت . أخرجاه في «الصحيحين» (١) .

وعن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عُمير بن الأسود العنسي أنه حدّثه أنه أتى عبادة بن الصامت وهو بساحل حمص في بناء له ومعه امرأته أم حرام . قال عمير : فحدّثتنا أم حرام أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : أول جيش من أمّتي يغزُون البحر قد أَوْجَبوا . قالت أم حرام : يا رسول الله أنا منهم ؟ قال : أنت منهم (٢) .

قال هشام : رأيت قبرها ووقفت عليه بالساحل بقاقيس .

وعن هشام بن الغاز قال : قبر أم حرام بنت ملحان بقبرس وهم يقولون هذا قبر المرأة الصالحة - رحمها الله .

١٤٩ ـ عفراء بنت عبيد بن ثعلبة

أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ ورزقها الله سبعة بنين كلُّهم شهدوا بدرًا مسلمين. وذلك أنها تزوجت الحارث بن رفاعة فولدت له مُعاذًا ومعوّذًا . ثم طلّقها فقدمت مكة فتزوجت بكير بن عبد يا ليل ، فولدت له خالدًا وإياسًا وعاقلاً وعامرًا . ثم رجعتْ إلى

---

(١) رواه البخارى (٢٨٧٧) ، ومسلم فى (الإمارة / ١٦١) .

(٢) رواه البخارى (٢٩٢٤) ، وانظر : الأوائل من الصحابة ، باب : الجهاد في سبيل الله .

المدينة فراجعها الحارث بن رفاعة فولدت له عوفًا . فشهدوا كلُّهم بدرًا مسلمين . فاستشهد معاذ ومعوّذ وعاقل ببدر ، وخالد يوم الرّجيع ، وعامر يوم بئر معونة ، وإياس يوم اليمامة . والبقية منهم لعوف .

١٥٠ ـ الربيع بنت معوذ بن عفراء

أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ وحدثت عنه ، وكانت تخرج معه في الغزوات .

عن خالد بن ذكوان عن الرُّبيع قالت : كنا نغزو مع رسول الله ﷺ فنخدم القوم ونسقيهم ونردّ الجرحى والقتلى إلى المدينة ، والسلام .

١٥١ ـ أم عطية الأنصارية

واسمها نُسيبة بنت كعب ، أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ . وهذه بضم النون ، على خلاف اسم أم عمارة المتقدمة .

عن حفصة بنت سيرين ، عن أم عطية قالت : غزوتُ مع رسول الله ﷺ سبع غزَوات ، وكنت أخلفهم في الرحال ، وأصنع لهم الطعام ، وأقوم على المرضى ، وأداوي الجرحى .

١٥٢ ـ أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث

أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ .

أخبرنا ابن الحصين بالإسناد عن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث الأنصارية وكانت قد جمعت القرآن ، وكان النبي ﷺ قد أمرها أن تؤم أهل دارها ، وكان لها مؤذن ، وكانت تؤم أهل دارها [١] .

وعنه عن جدته عن أمها أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث الأنصاري : وكان رسول الله ﷺ يزورها ، يسمّيها الشهيدة . وكانت قد جمعت القرآن وكان رسول الله ﷺ حين غزا بدرًا قالت له : ائذن لي فأخرج معك فأداوي جرحاكم وأمرِّض مَرضاكم ، لعل الله – عز وجل – يُهدي إليَّ الشهادة . قال: إن الله – عز وجل – مُهد لك الشهادة ؛ وكان رسول الله ﷺ أمرها أن تؤم أهل دارها ، حتى غدا عليها جارية وغلام لها كانت قد دبرتهما فقتلاها في إمارة عمر – رضي الله عنه . فقيل : إن أم ورقة قد قتلها غلامها وجاريتها . فقال عمر : صدق رسول الله ﷺ ، كان يقول : انطلقوا بنا نزور الشهيدة – رحمها الله .

---

(١) انظر : سنن أبي داود كتاب الصلاة ، باب : إمامة النساء حديث رقم (٥٩٢) .

١٥٣ ـ امرأة من المهاجرات لم يذكر اسمها

عن أنس قال : دخلنا على رجل من الأنصار وهو مريض ثقيل ، فلم نبرح حتى قضى. فبسطنا عليه ثوبه ، وأمٌّ له عجوز كبيرة عند رأسه . فالتفت إليها بعضُنا فقال : يا هذه احتسبي مصيبتك عند الله – عز وجل – . قالت : وما ذاك ؟ أمات ابني ؟ قلنا : نعم. قالت : أحق ما تقولون ؟ قلنا : نعم . قالت : أحق ما تقولون ؟ قلنا : نعم ، فمدّت يدها إلى الله فقالت : اللهم إنك تعلم أني أسلمتُ وهاجرتُ إلى رسولك ﷺ رجاء أن تعينني عند كل شدةٍ ورخاءٍ ، فلا تحملني هذه المصيبة اليوم . قال : فكشف عن وجهه فما برحنا حتى طعمنا معه .

١٥٤ ـ امرأة أخرى من المهاجرات

عن ابن سيرين أن أبا بكر أُتي بمال فقسمه بين الناس ، فبعث منه إلى امرأة من المهاجرات. فلما أتيت به قالت : ما هذا ؟ قالوا : أبو بكر جاءه مال فقسمه في الناس، فقسم منه في نُظرائك . قالت : أتخافوني أن أدَع الإسلام ؟ قالوا :لا، قالت : أفترشونني على ديني؟ قالوا : لا . قالت : فلا حاجة لي فيه .

١٥٥ ـ اليمنية

عن أبي هريرة قال : جاءت امرأة من اليمن إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ادع الله – عز وجل – أن يشفيني . قال : إن شئت دعوت الله لك فشفاك، وإن شئت فاصبري ولا حساب عليك . قالت : بل أصبر ولا حسابَ عليّ – رحمها الله [1] .

١٥٦ ـ امرأة من الأنصار

عن أنس قال : لما كان يوم أحد حاص أهلُ المدينة حَيْصةً ، وقالوا : قُتل محمد ، حتى كثرت الصَّوارخ في نواحي المدينة ، فخرجت امرأةٌ من الأنصار فاستُقبلت بأخيها وأبيها وزوجها وابنها ، لا أدري بأيّهم استُقبلت أوّلاً ، فلما مرت على آخرهم قالت : من هذا؟ قالوا : أخوك وأبوك وزوجُك وابنُك ، قالت : فما فعل النبي ﷺ ؟ قالوا : أمامك ، فذهبت إلى رسول الله ﷺفأخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ﷺ ، لا أبَا لي إذا سَلِمْتَ من عطَب .

١٥٧ ـ أمة لبعض العرب

عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : أسلمت أَمَةٌ سوداءُ لبعض العرب فكان لها حِفْشٌ في المسجد ، قالت : فكانت تأتينا فتحدّث عندنا ، فإذا فرغت من حديثها قالت:

---

(١) رواه البخاري برقم (٥٦٥٢) .

ويوم الوشاح من تعاجيب ربّنا   ألا إنه من بلدة الكفر نَجَّاني

فلما أكثرت قلتُ لها وما يوم الوشاح ؟ قالت : خرجت جُويريةٌ لبعض أهلي وعليها وشاح من أدم فسقط منها فانحطَّت عليه الحدأةُ وهي تحسبه لحمًا فأخذته فاتهموني به فعذبوني حتى بلغ من أمريَ أنهم طلبوه في قُبلي ، فبينما هم حولي وأنا في كَرْبي إذ أقبلت الحديا حتى وازت رؤوسنا ثم ألقَتْهُ فأخذوه . فقلت لهم : هذا الذي اتهَّمتموني به وأنا منه بريئة .

انتهى ذكر المُصْطَفَيَات من عالمات الصحابيات ومتعبداتهن

ذكر المُصْطَفَيْنَ من التابعين ومن بَعْدَهم على طبقاتهم في بلدانهم

عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « خير الناس قرنى ، ثم الذين يلُونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يأتي بعد ذلك قوم تسبق شهاداتُهم إيمانَهم ، وإيمانُهم شهادتَهم أخرجاه في « الصحيحين » [1] .

عن عمران بن حصين يقول : قال رسول الله ﷺ : « خيركم قَرْنى ، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم » لا أدري مرتين أو ثلاثًا . أخرجاه في « الصحيحين » [2] .

ذكر المُصْطَفَيْنَ من طبقات أهلِ المدينة من التابعينَ ومن بَعْدَهم فمن الطبَقة الأولَى

١٥٨ ـ محمد بن على بن أبي طالب

وهو ابن الحنفيَّة ، ويكنى أبا القاسم ، أمه الحنفية خولة بنت جعفر بن قيس ، ويقال بل كانت أَمَةً من سَبَيْ اليمامة فصارت إلى علي .

قالت أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنها : رأيت أم محمد ابن الحنفية سنديّة سوداء وكانت أمة لبنى حنيفة .

عن ابن الحنفية قال : قال على : يا رسول الله أرأيت إن وُلدَ لى وَلدٌ بعدك أسميه باسمك ، وأكنيه بكنيتك ؟ قال : نعم ، فكانت رُخْصةً من رسول الله ﷺ لعلى [3] .

---

(١) رواه البخاري (٢٦٥٢) ، ومسلم (فضائل الصحابة / ٢١٢) .

(٢) رواه البخاري (٢٦٥١) ، ومسلم (فضائل الصحابة / ٢١٤) .

(٣) أخرجه أبو داود (٤٩٦٧) ، والترمذى (٢٨٤٦) .

وعن محمد ابن الحنفية قال : ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف ، مَنْ لم يجد من معاشرته بُدًا حتى يجعل الله له فرجًا ، أو قال مخرجًا .

قال محمد ابن الحنفية : من كَرُمَتْ عليه نفْسُهُ لم يكن للدنيا عنده قدرٌ .

وعنه قال : إن الله – عز وجل – جعل الجنة ثمنًا لأنفسكم فلا تبيعوها بغيرها .

قال أبو بكر بن عبيد وثنا محمد بن عبد المجيد أنه سمع ابن عيينة يقول : قال محمد ابن الحنفية : يا منذر ، قلت : لبيك ، قال : كل ما لا يُبتغَى به وجهُ الله يضمحلُّ .

وعن علي بن الحسين قال : كتب ملك الروم إلى عبد الملك بن مَرْوان يتهدَّدُه ويتواعده ويحلف له ليحملنَّ إليه مائة ألف في البرِّ ، ومائة ألف في البحر ، أو يؤدي إليه الجزية . فَسُقط في ذرعه فكتب إلى الحجاج أن اكتب إلي ابن الحنفية فتهدّده وتواعده ثم أعلمني ما يرد وتواعده عليك منه . فكتب الحجاج إلى ابن الحنفيَّة بكتاب شديد يتهدده ويتواعده بالقتل ، قال فكتب إليه ابن الحنفية : إن لله – عز وجل – ثلثمائة وستين نظرةً إلى خلقه ، وأنا أرجو أن ينظر الله – عز وجل – إليَّ نظرةً يمنعني بها منك . قال : فبعث الحجاج بكتابه إلى عبد الملك بن مَرْوان ، فكتب عبد الملك إلى ملك الروم نسخته ، فقال ملك الروم : ما خرج هذا منك ، ولا أنت كتبت به ، ولا خرج إلا من بيت نُبوة .

أسند محمد بن الحنفية الحديث عن جماعة من الصحابة . وعامة حديثه عن أبيه عليِّ ابن أبي طالب – عليهما السلام .

فمن حديثه عن أبيه عليِّ بن أبي طالب قال : كثر على ماريةَ أمِّ إبراهيم – عليه السلام – في قبطي ابن عم لها كان يزورها ويختلف إليها ، فقال لي رسول الله ﷺ : خذ هذا السيف فانطلق إليه فإن وجدته عندها فاقتله فقلت : يا رسول الله أكون في أمرك، إذا أرسلتني ، كالسكة المحماة لا يثنينى شيء ، حتى أمضي لما أرسلتني به ، أو الشاهدُ يرى ما لا يرى الغائب ؟ قال : بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فأقبلت متوشحًا السيف فوجدته عندها فاخترطت السيف ، فلما أقبلت نحوه عرف أني أريده فأتى نخلةً فَرَقَى فيها ثم رمى بنفسه على قفاه وشغر برجليه فإذا هو أجبُّ أمسح ما له ما للرجل ، لا قليل ولا كثير ، فأغمدت السيف ، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته فقال : الحمد لله الذي يصرف عنا أهل البيت .

وعن محمد بن سعد قال : بعث ابنُ الزبير إلى محمد بن الحنفية : بايعْ لي ، وبعث إليه عبد الملك ، فقال : أنا رجل من المسلمين فإذا اجتمعوا على أحدكما بايعت ، فلما قتل ابن الزبير بايع لعبد الملك ، ومات في سنة إحدى وثمانين ، وله خمس وستون سنة ، ودفن بالبقيع – رحمه الله .

١٥٩ ـ سعيد بن المسيَّب بن حزن [1]

يكنى أبا محمد . ولد لسنتين خلتا من خلافة عمر - رضي الله عنه .

عن سعد بن إبراهيم عن سعيد بن المسيَّب قال : ما بقي أحد أعلم بقضاءٍ قضاه رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر ، مني .

وعن عبد الرحمن بن حرملة قال : ما كان إنسان يجترىء على سعيد بن المسيب يسأله عن شيء حتى يستأذنه كما يستأذن الأمير .

وعن مالك أن رجلاً جاء إلى سعيد بن المسيب وهو مريض فسأله عن حديث وهو مضطجع ، فجلس فحدثه ، فقال له ذلك الرجل : وددت أنك لم تتعّن ، فقال : إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله ﷺ وأنا مضطجع .

وعن مالك قال : كان عمر بن عبد العزيز يقول : ما كان عالم بالمدينة إلا يأتيني بعلمه ، وأوتي بما عند سعيد بن المسيب .

وعن أبي عيسى الخرساني عن سعيد بن المسيَّب قال : لا تملأوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكارٍ من قلوبكم لكي لا تحبطَ أعمالُكم الصالحة .

وعن يزيد بن حازم قال : كان سعيد بن المسيب يسرد الصومَ .

وعن بُرد مولى ابن المسيب قال : ما نودي بالصلاة منذ أربعين سنة إلا وسعيد في المسجد .

وعن عبد المنعم بن إدريس عن أبيه قال : صلَّى سعيد بن المسيب الغداة بوضوء العتمة خمسين سنة .

وعن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال : ما يئس الشيطان من شيء إلا أتاه من قِبَلِ النساء وقال لنا سعيد وهو ابن أربع وثمانين سنة وقد ذهبت إحدى عينيه وهو يعشو بالأخرى : ما من شيء أخوف عندي من النساء .

وعن عبد الله بن محمد ، قال : قال سعيد بن المسيَّب : ما أكرمت العباد أنفسها بمثل طاعة الله - عز وجل - ولا أهانت أنفسها بمثل معصية الله ، وكفى بالمؤمن نصرةً من الله - عز وجل - أن يرى عَدُوَّهُ يعمل بمعصية الله .

وعن سعيد بن المسيب قال : من استغنى بالله افتقر إليه الناس .

وعن سفيان بن عيينة قال : قال سعيد بن المسيب : إن الدنيا نذالة هي إلى كل نذلٍ

---

(١) انظر : الحلية (٢/ ١٦١) ، وسير الأعلام (٤/ ٢١٧) .

أميل ، وأنذل منها من أخذها بغير حقّها ، وطلبها بغير وجهها ، ووضعها في غير سبلها » .

وعن مالك بن أنس قال : قال سعيد بن المسيب : إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه : مَنْ كان فضله أكثر من نقصه وُهِبَ نقصُه لفضله .

اقتصرنا على هذه النَّبْذة اليسيرة من أخبار سعيد بن المسيب لأنا قد أفردنا لجميع أخباره كتابًا مبسوطًا فمن أراد الزيادة في أخباره فلينظر في ذلك .

وقد أسند سعيدٌ عن : عمر بن الخطاب ، وعثمان ، وعلي ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبيّ بن كعب ، وعمّار بن ياسر ، ومعاذ بن جبل ، وابن عمر ، وأبي الدرداء ، وعُقبة ابن عامر ، وصُهيب ، وجابر بن عبد الله ، وأبي سعيد الخدري ، وسَلْمان ، وأنس بن مالك ، وأبي هريرة ، وابن عباس ، وعمرو بن أبي سَلمة ، وعائشة ، وأم سلمة في آخرين .

ومات - رضي الله عنه - بالمدينة وهو ابن أربع وثمانين سنة على خلافٍ بينهم في ذلك . رحمه الله .

١٦٠ ـ سليمان بن يسار [١]

مولى ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ ويقال : كان مُكاتبًا لها يكنى أبا أيوب .

عن مصعب بن عثمان قال : كان سليمان بن يسار من أحسن الناس وجهًا . فدخلت عليه امرأة فسألته نفسه فامتنع عليها . فقالت له : ادنُ فخرج هاربًا عن منزله وتركها فيه . قال سليمان : فرأيت بعد ذلك يوسف عليه السلام فيما يرى النائم ، وكأني أقول له : أنت يوسف ؟ قال : نعم أنا يوسف الذي هممتُ وأنت سليمان الذي لم تهمّ .

وقد رويت لنا هذه القصة عن عطاء بن يسار أخي سليمان ، والله أعلم .

وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : خرج عطاء بن يسار وسليمان بن يسار حاجّين من المدينة ، ومعهما أصحاب لهم ، حتى إذا كانوا بالأبواء نزلوا منزلاً . فانطلق سليمان وأصحابه لبعض حاجتهم وبقي عطاء بن يسار قائمًا في المنزل يصلي .

قال : فدخلت عليه امرأة من الأعراب جميلة فلما رآها عطاء ظن أن لها حاجةً فأوجز في صلاته ، ثم قال : ألك حاجة ؟ قالت : نعم . قال : ما هي ؟ قالت : قم فأصِب مني فإني قد ودقتُ ولا بعل لي . فقال : إليك عني لا تحرقيني ونفسك بالنار .

---

(١) انظر : الحلية (٢/ ١٩٠) ، سير الأعلام (٤/ ٤٤٤) .

ونظر إلى امرأة جميلة ، فجعلت تراوده عن نفسه ويأبى إلا ما يريد . قال : فجعل عطاء يبكي ويقول : ويحك إليك عني . قال : اشتد بكاؤه فلما نظرت المرأة إليه وما داخله من البكاء والجزع بكت المرأة لبكائه . قال : فجعل يبكي والمرأة بين يديه تبكي . فبينما هو كذلك إذ جاء سليمان من حاجته فلما نظر إلى عطاء يبكي والمرأة بين يديه تبكي في ناحية البيت بكى لبكائهما لا يدري ما أبكاهما وجعل أصحابهما يأتون رجلاً رجلاً كلما أتى رجل فرآهم يبكون جلس يبكي لبكائهم لا يسألهم عن أمرهم حتى كثر البكاء وعلا الصوت . فلما رأت الإعرابية ذلك قامت فخرجت .

قال : فقام القوم فدخلوا . فلبث سليمان بعد ذلك وهو لا يسأل أخاه عن قصة المرأة إجلالاً له وهيبة . قال : وكان أسنّ منه .

قال : ثم إنهما قَدما مصر لبعض حاجتهما فلبثا بها ما شاء الله فبينما عطاء ذات ليلة نائم إذ استيقظ وهو يبكي . فقال سليمان : ما يبكيك يا أخي ؟ قال : فاشتد بكاؤه . قال : ما يبكيك يا أخي ؟ قال : رؤيا رأيتها الليلة . قال : وما هي ؟ قال : لا تخبر بها أحدًا ما دمت حيًا : رأيت يوسف النبي ﷺ في النوم فجئت أنظر إليه فيمن ينظر إليه فلما رأيت حسنه بكيت فنظر إليّ في الناس فقال : ما يبكيك أيها الرجل ؟ فقلت : بأبي أنت وأمي يا نبي الله ، ذكرتك وامرأة العزيز وما ابتُليتَ به من أمرها وما لقيتَ من السجن وفُرقة يعقوب فبكيت من ذلك وجعلت أتعجب منه . قال : فهلا تعجّبت من صاحب المرأة البدوية بالأبواء؟ فعرفت الذي أراد فبكيت واستيقظت باكيًا .

قال سليمان : أي أخي وما كان من حال تلك المرأة ؟ فقص عليه عطاء القصة فما أخبر بها سليمان أحدًا حتى مات عطاء فحدث بها بعده امرأة من أهله قال : وما شاع هذا الحديث بالمدينة إلا بعد موت سليمان بن يسار - رضي الله عنهما .

وعن ابن أبي الزناد عن أبيه قال : كان سليمان بن يسار يصوم الدهر وكان عطاء ابن يسار يصوم يومًا ويفطر يومًا .

أسند سليمان عن : أبي هريرة وابن عمرو ، وابن عباس في خلق كثير من الصحابة .

وتوفي سنة سبع ومائة . وقيل سنة ثلاث ومائة وهو ابن ثلاث وسبعين سنة .

وأسند عطاء عن أبيّ بن كعب وابن مسعود وأبي أيوب الأنصارى في خلق كثير من الصحابة . توفي سنة ثلاث ومائة وقيل سنة أربع وتسعين وكان يكنى أبا محمد وهو مولى ميمونة أيضًا - رضي الله عنهما .

ومن الطبقة الثانية من أهل المدينة

١٦١ ـ عروة بن الزبير بن العوام

أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما .

عن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال : يا بني سلُوني فلقد تركت حتى كدت أنسى وإني لأسأل عن الحديث فيفتح لي حديث يومي .

وعن أبي الزناد . قال : اجتمع في الحجر قوم فقالوا : تمنّوا . فقال عروة : أنا أتمنى أن يؤخذ عني العلم .

وعن الزهري قال : كان عروة يتألّف الناس على حديثه .

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال : قال عروة بن الزبير : رُبّ كلمة ذل احتملتها أورثتْني عزًا طويلاً .

وعنه عن أبيه قال : إذا رأيت الرجل يعمل الحسنة فاعلم أن لها عنده أخوات وإذا رأيته يعمل السيئة فاعلم أن لها عنده أخوات ، فإن الحسنة تدل على أختها ، وإن السيئة تدل على أختها .

وعنه قال : قال عروة لبنيه : يا بنى تعلموا فإنكم إن تكونوا صغار قوم عسى أن تكونوا كبارهم واسوأتاه ماذا أقبح من شيخ جاهل .

وعن ابن شوذب قال : كان عروة بن الزبير إذا كان أيام الرُّطب ثلم حائطه فيدخل الناس فيأكلون ويحملون . وكان إذا دخله ردّد هذه الآية فيه حتى يخرج منه **﴿ولولا إذ دخلت جنتّك قلت ما شاء الله لا قُوَّة إلا بالله﴾** [1] حتى يخرج .

وكان عروة يقرأ ربع القرآن كلّ يوم نظرًا في المصحف ، ويقوم به الليل ، فما تركه إلا ليلة قُطعت رجلُه ثم عاود من الليلة المقبلة .

وعن هشام بن عروة قال : خرج أبي إلى الوليد بن عبد الملك فوقعت في رجله الأكلة فقال له الوليد : يا أبا عبد الله أرى لك قطعها . قال : فقُطعت وإنه لصائم فما تضوّروجهه . قال : ودخل ابنٌ له أكبر ولده اصطبله فرفسته دابة فقتلته فما سُمع من أبي في ذلك شيء ، حتى قدم المدينة فقال : اللهم إنه كان لي بنون أربعة فأخذت واحدًا وأبقيت لي ثلاثة فلك الحمد ، وكان لي أطراف أربعة فأخذت واحدًا وأبقيت لي ثلاثة فلك الحمد، وايم الله لئن أخذت فلقد أبقيت ولئن ابتليت طالما عافَيْتَ .

---

(١) سورة الكهف آية : ٣٩ .

وعن مسلمة بن محارب قال : وقعت في رجل عروة الأكلة ، وقطعت ولم يدع تلك الليلة ورِدْه وقُطعت ولم يُمسكه أحد .

العباس بن مزيد قال : أخبرني أبي قال : قال أبو عمرو الأوزاعى خرجتْ في بطن قدمه يعني عروة بثرة فترامى به ذلك إلى أن نُشرت ساقهُ فقال لما نشرت : اللهم إنك تعلم أني لم أمش بها إلى حرام قطّ أو إلى سوء قط .

وعن نافع بن ذؤيب قال : لما قدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك فخرج برجله الأكلة فبعث إليه - يعني الوليد - بالأطباء فأجمع رأيهم على إن لم ينشروها قتلته فقال : شأنكم بها قالوا نسقيك شيئًا لئلا تحس بما نصنع بك قال : لا ، شأنكم بها قال: فنشروها بالمنشار فما حرك عضوًا عن عضو وصبر فلما رأى القدم بأيديهم دعا بها فقلبها في يده ثم قال : أما والذي حملني عليك أنه ليعلم أني ما مشيت بك إلى حرام قط أو قال : معصية. وعن هشام بن عروة أن أباه كان يسرد الصوم .

وعن مالك بن أنس قال : رأى عروة رجلاً يصلي فخفف فدعاه وقال : أما كانت لك إلى ربك سبحانه وتعالى حاجة إنى لأسأل الله تبارك وتعالي في صلاتي حتى أسأله الملح.

وعن هشام عن أبيه قال : إذا جعل أحدكم لله - عز وجل - شيئًا فلا يجعل له ما يستحي أن يجعله لكريمه فإن الله تبارك وتعالى أكرم الكرماء وأحق من اختير له .

هشام قال : كان أبي لا يفطر ولقد مات يوم مات وهو صائم .

أسند عروة عن علي بن أبي طالب عليه السلام والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعيد ابن زيد وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمرو وأبي أيوب الأنصاري وأسامة وأبي هريرة وابن عباس ومعاوية والمسور بن مخرمة والنعمان بن بشير وعبد الله بن الأرقم وعائشة في خلق يطول إحصاؤهم . توفي سنة أربع وتسعين في ناحية الفرع ودفن هناك - رحمه الله.

١٦٢ ـ القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رحمهم الله تعالى

وأمه : أم ولد ، يكنى أبا محمد

عن يحيى بن سعيد قال : ما أدركنا أحدًا بالمدينة نفضّله على القاسم بن محمد.

وعن أيوب قال : رأيت على القاسم رداء قد صبغ بشيءٍ من زعفران ويدَعُ مائة ألفٍ لم ينلجلج في نفسه شيء منها .

وعنه قال : ما رأيت رجلاً أفضل من القاسم ولقد ترك مائة ألفٍ وهي له حلال .

وعن مالك أن عمر بن عبد العزيز قال : لو كان لي من الأمر شيء لوليت القاسم ابن محمد الخلافة .

وعن أبي الزناد قال : ما رأيت أحدًا أعلم بالسنّة من القاسم بن محمد وكان الرجل لا يعد رجلاً حتى يعرف السنّة .

وعن أيوب قال : سمعت القاسم يُسأل بمنى فيقول : لا أدري ، لا أعلم . فلما أكثروا عليه قال : والله لا نعلم كل ما تسألونا عنه ، ولو علمنا ما كتمناكم ولا حَلَّ لنا أن نكتمكم وعن يحيى بن سعيد قال : سمعت القاسم يقول : ما نعلم كل ما نسأل عنه ولأن يعيش الرجل جاهلاً بعد أن يعرف حق الله تعالى عليه خير له من أن يقول ما لا يعلم .

وعن محمد بن إسحاق قال : جاء أعرابي إلي القاسم بن محمد فقال : أنت أعلم أم سالم ؟ قال : ذاك منزلُ سالم : يزِدْه عليها ، حتى قام الأعرابي .

قال محمد بن إسحاق : كره أن يقول هو أعلم مني فيكذب ، أو يقول : أنا أعلم منه فيزكي نفسه .

وعن أبي الزناد عن أبيه قال : ما كان القاسم يجيب إلا في الشيء الظاهر .

وعن سفيان قال : اجتمعوا إلى القاسم بن محمد في صدقة قسَّمها ، قال وهو يصلي. فجعلوا يتكلمون فقال ابنه : إنكم اجتمعتم إلى رجل والله ما نال منها درهمًا ولا دانقًا . قال : فأوجز القاسم ثم قال : يا بني قل فيما علمت . قال سفيان : صدق ابنه ولكنه أراد تأديبه في النطق وحفظه .

أسند القاسم عن : أبي هريرة وابن عباس وعائشة وأسلم مولى عمر ، وصالح بن خوّات في آخرين . وتوفي سنة ثمانٍ ومائة ، وقيل : سنة تسع ، وهو ابن سبعين أو اثنتين وسبعين سنة ، وكان قد ذهب بصره .

عن رجاء بن أبي سلمة قال : مات القاسم بن محمد بين مكة والمدينة حاجًا أو معتمرًا فقال لابنه : " سُنَّ عليَّ التراب سَنا وسوِّ عليَّ قبري وألحق بأهلك وإياك أن تقول : كان وكان رحمه الله .

١٦٣ ـ سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب – رحمهم الله تعالى

أمه : أم ولد ، يكنى أبا عمر . وكان أشبه أولاد أبيه به ، وكان أبوه يحبه حبًا شديدًا فإذا قيل له في ذلك أنشد :

يلومونني في سالمٍ وألومهم وجلدة بين العين والأنف سالمُ

عن حنظلة قال : رأيت سالم بن عبد الله بن عمر يخرج إلى السوق فيشترى حوائج نفسه .

وعن هوذة بن عبد العزيز قال : رحم سالم بن عبد الله بن عمر رجلٌ فقال سالم : بعض هذا رحمك الله فقال له الرجل : ما أراك إلا رجل سوء .. فقال سالم : ما أحسبك أبعدت .

عن مالك قال : لم يكن أحد في زمن سالم بن عبد الله أشبه بمن مضى من الصالحين في الزهد والقصد والعيش منه : كان يلبس الثوب بدرهمين قال له سليمان بن عبد الملك ورآه حسن السحنة : أيَّ شيء تأكل ؟ قال : الخبز والزيت ، وإذا وجدتُ اللحم أكلته . فقال له : أو تشتهيه ؟ قال : إذا لم أشتهه تركته حتى أشتهيه .

وعن محمد بن أبي سارة قال : رأيت سالم بن عبد الله قدم علينا حاجًا فصلَّي العشاء ثم قام إلى ناحية مما يلي باب بني سهم في الصلاة ، فلم يزل يميل يمينًا وشمالاً حتى طلع الفجر ، ثم جلس فاحتبى بثوبه .

وعن سفيان بن عيينة قال : دخل هشام بن عبد الملك الكعبة ، فإذا هو بسالم بن عبد الله فقال له : يا سالم سلني حاجةً ، فقال له : إني لأستحيي من الله أن أسأل في بيت الله غير الله . فلما خرج خرج في أثره فقال له : الآن قد خرجت فسلني حاجة فقال له سالم : حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة ؟ فقال : بل من حوائج الدنيا . فقال له سالم : ما سألت من يملكها فكيف أسأل من لا يملكها .

أسند سالم عن : أبيه وأبي أيوب وأبى هريرة وغيرهم من الصحابة . وتوفي في آخر ذي الحجة سنة ست ومائة . وقيل : سنة ثمانٍ - رحمه الله تعالى .

١٦٤ ـ أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة

ليس له اسم ، كنيته اسمه ، ولد في خلافة عمر - رضي الله عنه - محمد بن إسحاق الثقفي قال : رأيت في كتاب أبي بكر بن حسان أن أبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث وكان يقال له راهب قريش لكثرة صلاته ، وقال الزبير بن بكار : كان أبو بكر ابن عبد الرحمن يقال له راهب المدينة .

أسند أبو بكر بن عبد الرحمن عن أبي مسعود الأنصاري ، وأبي هريرة ، وعائشة ، وأم سلمة ، وغيرهم : وكان حارسًا لعرضه حتى إنه أُودع مالاً فأصيب، فقال له عروة: لا ضمان عليك . قال : قد علمت ، ولكن لا تتحد قريش أن أمانتي خربت . فباع مالاً له فقضاه . وقد كان قد ذهب بصره ودخل يومًا إلى مغتسله فمات فيه فجاءة ، وذلك في سنة أربع وتسعين ، وهي سنة الفقهاء .

١٦٥ ـ علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب [1] - عليهم السلام

أمه أم ولد اسمها غَزالة ، وهو علي الأصغر . وأما الأكبر فإنه قُتل مع الحسين عليهما السلام . وكان علي هذا مع أبيه وهو ابن ثلاث وعشرين سنة إلا أنه كان مريضًا نائمًا على فراش فلم يقتل : وكان يكنى أبا الحسين ، وقيل : أبا محمد .

عن عبد الرحمن بن حفص القرشي قال : كان علي بن الحسين إذا توضأ يصفرُّ فيقول له أهله : ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء ؟ فيقول: تدرون بين يدي من أريد أن أقوم.

وعن عبد الله بن أبي سليم قال : كان علي بن الحسين إذا مشى لا تجاوز يده فخذه ، ولا يخطر بيده ، وكان إذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة ، فقيل له : ما لك ؟ فقال : ما تدرون بين يدي من أقوم ومن أناجي ؟ .

وعن أبي نوح الأنصاري قال : وقع حريق في بيت فيه علي بن الحسين ، وهو ساجد، فجعلوا يقولون له : يا ابن رسول الله النار ، يا ابن رسول الله النار . فما رفع رأسه حتى أُطفئت . فقيل له : ما الذي ألهاك عنها ؟ قال : ألهتني عنها النار الأخرى.

وعن سفيان قال : جاء رجل إلى علي بن الحسين - رضي الله عنه - فقال له : إن فلانًا قد آذاك ووقع فيك . قال : فانطلق بنا إليه فانطلق معه وهو يرى أنه سينتصر لنفسه فلما أتاه قال : يا هذا إن كان ما قلت فيَّ حقًا فغفر الله لي ، وإن كان ما قلت فيَّ باطلاً فغفر الله لك .

وعن أبي يعقوب المدني قال : كان بين حسن بن حسن وبين علي بن الحسين بعضُ الأمر ، فجاء حسن بن حسن إلى علي بن الحسين وهو مع أصحابه في المسجد ، فما ترك شيئًا إلا قاله له . قال : وعليٌّ ساكت . فانصرف حسن فلما كان في الليل أتاه في منزله فقرع عليه بابه فخرج إليه فقال له علي : يا أخي أن كنت صادقًا فيما قلت لي فغفر الله لي، وإن كنت كاذبًا فغفر الله لك ، السلام عليكم . وولَّى . قال : فاتَّبعه حسن فالتزمه من خلفه وبكى حتى رثى له ثم قال: لا جرم لا عُدت في أمرٍ تكرهه . فقال علي: وأنت في حلٍّ مما قلت لي.

وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال : قال علي بن الحسين : فقد الأحبة غُربة. وكان

---

[1] هو زين العابدين ، على بن الحسين ، كان خامس خمسة من أبناء الحسين الذكور ، وقد كانوا معه غداة كربلاء ؛ قتل منهم مع أبيهم ثلاثة : أبو بكر ، وعبد الله ، وعلى الأكبر ، وسلّم الله علياً الذى أقعدته الحمى عن القتال ، وأخاه عمر الذى كان صغيراً ، ولم يرد ذكر لعمر بعد كربلاء مما يدل على أنه توفى صغيراً ، ومن زين العابدين امتد نسل الحسين عليه السلام .

يقول : اللهم إني أعوذ بك أن تحسن في لوامع العيون علانيتي وتقبح سريرتي ، اللهم كما أسأتُ وأحسنتَ إليَّ فإذا عدتُ فعُد عليَّ .

وكان يقول : إن قومًا عبدوا الله - عز وجل - رهبةً فتلك عبادةُ العبيد ، وآخرين عبدوه رغبةً فتلك عبادة التجّار ، وقومًا عبدوا الله شكرًا فتلك عبادة الأحرار .

وعنه ، عن أبيه أن علي بن الحسين كان لا يحب أن يعينه أحد على طهوره وكان يستقي الماء لطهوره ويخمره قبل أن ينام . فإذا قام من الليل بدأ بالسِّواك ثم يتوضأ ثم يأخذ في صلاته وكان يقضي ما فاته من صلاة النهار بالليل ثم يقول : يا بَنيَّ ليس هذا عليكم بواجبٍ ولكن أحب لمن عوَّد نفسه منكم عادةً من الخير أن يدوم عليها .

وكان لا يدع صلاة الليل في الحضر والسفر . وكان يقول : عجبت للمتكبّر الفخور الذي كان بالأمس نطفةً ثم هو غدًا جيفةً ، وعجبت كلَّ العجب لمن شكَّ في الله وهو يرى خلقه ، وعجبت كل العجب لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى ، وعجبت كلَّ العجب لمن عمل لدارِ الفناء وترك دار البقاء .

وكان إذا أتاه السائل رحَّب به وقال : مرحبًا بمن يحمل زادي إلى الآخرة ، وكلمه رجل فافترى عليه فقال : إن كنَّا كما قلت فنستغفر الله ، وإن لم نكن كما قلت فغفر الله لك . فقام إليه الرجل فقبل رأسه وقال : جعلت فداك ، ليس كما قلتُ أنا فاغفر لي ، غفر الله لك . فقال الرجل : الله أعلم حيث يجعل رسالته .

وعن شيبة بن نعامة قال : كان علي بن الحسين يبخل فلما مات وجدوه يقوت مائة أهل بيت بالمدينة .

وعن محمد بن إسحاق قال : كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم . فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به بالليل .

وعن أبي حمزة الثُّمالي قال : كان علي بن الحسين يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدق به ، ويقول : إن صدقة السر تطفيء غضب الربِّ - عز وجل .

وعن عمرو بن ثابت قال : لما مات علي بن الحسين فغسلوه جعلوا ينظرون إلى آثار سود في ظهره ، فقالوا : ما هذا ؟ فقالوا : كان يحمل جُرُبَ الدقيق ليلاً على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة .

وعن ابن عائشة قال : قال أبي : سمعت أهل المدينة يقولون : ما فقدنا صدقة السرِّ حتى مات علي بن الحسين .

وعن سفيان قال : أراد علي بن الحسين الخروج في حج أو عمرة فاتخذت له سكينة ابنة الحسين [1] سُفرةً أنفقت عليها ألف درهم أو نحو ذلك ، وأرسلت بها إليه فلما كان بظهر الحرَّة أمر بها فقسمت على المساكين .

وعن سعيد بن مرجانة [2] أنه قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ: «من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل إرب منها إربًا منه من النار ، حتى إنه يعتق باليد اليد ، وبالرجل الرجل ، وبالفرج الفرج » . فقال علي بن الحسين : أنت سمعت هذا من أبي هريرة ؟ قال سعيد : نعم فقال لغلام له أفره غلمانه: ادع مطرفًا . فلما قام بين يديه قال: اذهب فأنت حُر لوجه الله – عز وجل – . أخرجاه في « الصحيحين » [3] .

وكان عبد الله بن جعفر قد أعطى عليَّ بن الحسين بهذا الغلام الذي أعتقه ألف دينار .

وعن محمد بن حاطب ، عن علي بن الحسين أنه أتاه نفر من أهل العراق فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان – رضي الله عنهم – فلما فرغوا فقال : ألا تخبروني : أنتم المهاجرون الأولون ﴿ **الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضوانًا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون** ﴾ [4] قالوا : لا . قال: فأنتم ﴿ **الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خَصاصة** ﴾ [5] قالوا : لا ، قال : أما أنتم فقد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين . ثم قال : أشهد أنكم لستم من الذين قال الله – عز وجل – : ﴿ **والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا**﴾ [6] اخرجوا فعل الله بكم .

وقال نافع بن جبير لعلي بن الحسين : أنت سيد الناس وأفضلهم تذهب إلى هذا العبد فتجلس معه ؟ يعني زيد بن أسلم . فقال : إنه ينبغي للعلم أن يُتبع حيثما كان .

وعن ابن عائشة ، عن أبيه قال : حجَّ هشام بن عبد الملك قبل أن يلي الخلافة فاجتهد أن يستلم الحجر فلم يمكنه . قال : وجاء علي بن الحسين فوقف له الناس وتنحوا حتى استلم . فقال الناس لهشام : من هذا ؟ قال : لا أعرفه .

فقال الفرزدق : لكني أعرفه ، هذا علي بن الحسين .

---

(١) هى سكينة بنت الحسين بن على ، واسمها « أميمة » ، وقيل : « أمينة » ، وسكينة لقب ، وأمها « الرباب ابنة امرئ القيس بن عدى » توفيت سكينة بالمدينة سنة (١١٧ هـ) .

(٢) هو سعيد بن مرجانة صاحب أبى هريرة رضى الله عنه توفى سنة (٩٧ هـ) انظر عنه (شذرات الذهب / ١/ ١١٢) .

(٣) أخرجه البخارى حديث (٦٧١٥) .

(٤) ، (٥) ، (٦) سورة الحشر الآيات : ٨ ، ٩ ، ١٠ .

هـذا ابـنُ خَيـر عبـادِ الله كلِّهـم ... هـذا التـقيُّ النـقيُّ الطاهـرُ العلـمُ
هـذا الذي تعـرفُ البطحاءُ وطأتَه ... والبيـتُ يعـرفه والحـلُّ والحـرمُ
يكـاد يُمسـكه عـرفـان راحـته ... رُكـنُ الحطيـم إذا مـا جـاء يستلم
إذا رأتـه قريـشٌ قـال قائـلها ... إلـى مكـارم هـذا ينتهي الكـرمُ
إن عـُدَّ أهـل التقى كانوا أئمتهـم ... أو قيل من خير أهل الأرض؟ قيـل :هُم
هـذا ابنُ فاطـمةٍ إن كنت جاهـله ... بجـدِّه أنبيـاء قـد ختمـوا
وليـس قولك : من هذا ؟ بضائره ... العربُ تعـرف مـن أنكـرت والعجـم
يُغضـي حياءً ويغضـي من مهـابته ... ولا يكـلَّم إلاَّ حـين يبتسـم

وعن صالح بن حسان قال : قال رجل لسعيد بن المسيب: ما رأيتُ أحدًا أورع من فلان . قال : هل رأيت علي بن الحسين ؟ قال : لا : ما رأيت أحدًا أورع منه .

وقال الزُّهري : لم أرَ هاشميًا أفضل من علـي بن الحسين ، وما رأيت أحدًا كان أفقه منه .

وعن طاووس قال : رأيت علي بن الحسين ساجدًا في الحجر فقلت : رجل صالح من أهل بيت طيب ، لأسمعنَّ ما يقول . فأصغيت إليه فسمعته يقول : عُبيدُك بفنائك، مسكينك بفنائك ، سائلك بفنائك ، فقيرك بفنائك ، فوالله ما دعوت الله بها في كرب إلا كشف الله عني .

وعن أبى جعفر قال : كان علي بن الحسين - رحمه الله - يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة وتهيج الريح فيسقط مغشيًا عليه .

وعن عبد الغفار بن القاسم قال : كان علي بن الحسين خارجًا من المسجد فلقيه رجل فسبَّه فثارت إليه العبيد والموالي فقال علي بن الحسين : مهلاً عن الرجل . ثم أقبل على الرجل فقال : ما سُترَ عنك من أمرنا أكثر . ألك حاجة نُعينك عليها ؟ فاستحيا الرجل. فألقى عليه خميصة [1] كانت عليه ، وأمر له بألف درهم فكان الرجل بعد ذلك يقول : أشهد أنك من أولاد الرسول .

وعن رجل من ولد عمَّار بن ياسر قال : كان عند علي بن الحسين قومٌ فاستعجل خادمًا له بشواء كان له في التنور . فأقبل به الخادم مسرعًا وسقط السفُّود من يده على بني لعلي أسفل الدرجة فأصاب رأسه فقتله فقال علي للغلام: أنت حرٌ ، لم تعمده وأخذ في جهاز ابنه .

---

(١) الخميصة : ثوب أسود أو أحمر له أعلام .

وعن عمرو بن دينار قال : دخل علي بن الحسين على محمد بن أسامة بن زيد في مرضه فجعل محمد يبكي فقال علي : ما شأنك ؟ قال : عليَّ دين . قال : كم هو ؟ قال : خمسة عشر ألف دينار . قال : فهو عليَّ .

وعن أبي جعفر محمد بن علي قال : أوصاني أبي قال : لا تصحبنَّ خمسة ولا تحادثهم ولا ترفقهم في طريق . قال : قلت : جعلت فداءك يا أبت من هؤلاء الخمسة ؟ قال : لا تصحبنَّ فاسقًا فإنه يبيعك بأكلة فما دُونها . قال : قلت : يا أبت وما دونها ؟ يطمع فيها ثم لا ينالها . قال : قلت : يا أبت ومن الثاني ؟ قال : قال : لا تصحبنَّ البخيل فإنه يقطع بك في ماله أحوج ما كنت إليه . قال : قلت : يا أبت ومن الثالث ؟ قال : لا تصحبن كذَّابًا فإنه بمنزلة السَّراب يبعد منك القريب ويقرب منك البعيد . قال : قلت : يا أبت ومن الرابع ؟ قال : لا تصحبنَّ أحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرَّك . قال: قلت : يا أبت ومن الخامس ؟ قال : لا تصحبنَّ قاطع رحـم فإني وجدته ملعونًا في كتاب الله في ثلاثة مواضع .

أسند علي بن الحسين عن : أبيه ، وابن عباس وجابر بن عبد الله وصفيَّة وأم سلمة وغيرهم من أصحاب رسول الله ﷺ ، وعن خلق كثير من التابعين .

وتوفي بالمدينة سنة أربع وتسعين ، وقيل : اثنتين وتسعين ، ودفن بالبقيع وهو ابن ثمانٍ وخمسين سنة . رضي الله عنه .

١٦٦ ـ عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود

يكنى أبا عبد الله وكان بحرًا من البحور في العلم .

عن الزهري قال : أدركت أربعة بحورٍ من قريش : سعيد بن المسيب وأبا سلمة بن عبد الرحمن ، وعبيد الله بن عبد الله ، وعروةَ بن الزبير .

وعن المغيرة ، قال عمر بن عبد العزيز : لو أدركني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة إذ وقعتُ فيما وقعت فيه لهان عليَّ ما أنا فيه .

وعن ابن أبي الزناد ، عن أبيه قال : ربما كنت أرى عمر بن عبد العزيز في إمارته يأتي عبيد الله بن عبد الله بن عتبة فربما حجبه وربما أذن له .

أسند عبيد الله عن أبي طلحة وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة ، وابن عباس ، وسهل ابن حنيف [1] ، وزيد بن خالد الجهني وعائشة في آخرين وذهب بصره . وتوفي بالمدينة في سنة ثمانٍ وتسعين ، ويقال : سبع وتسعين - رحمه الله تعالى .

---

(١) هو سهل بن حنيف الأوسي ، رضي الله عنه - شهد بدراً وما بعدها ، واستخلفه عليّ على المدينة حين خرج إلى العراق وولاه فارس وشهد معه صفين توفي في الكوفة سنة (٣٨ هـ) . راجع الشذرات (٤٨/١) .

١٦٧ ـ بسر بن سعيد مولى الحضرميين

روى عن سعد بن أبي وقاص وزيد بن ثابت وأبي هريرة وأبي سعيد ، وكان من العبَّاد المنقطعين وأهل الزهد في الدنيا ، عن مالك قال : مات بُسر ولم يدع كفنًا .

وعن مالك بن أنس قال : مات رجل من بني أمية من مترفيهم ، ومات يومئذ بسر ابن سعيد ، فقال عمر بن عبد العزيز : إن كان المدخلان واحدًا فعيش فلان أحبُّ إلينا . فقال مزاحم : إنك لا تزال توغر من أخيك عليك . فقال : إذا رأيت الحق قلتُه .

١٦٨ ـ عكرمة مولى عبد الله بن عباس

يكنى أبا عبد الله . مات ابن عباس وهو عبد فاشتراه خالد بن يزيد بن معاوية من علي ابن عبد الله بن عباس بأربعة آلاف دينار . فبلغ ذلك عكرمة فأتى عليًا فقال : بعت علم أبيك بأربعة آلاف دينار ؟ فراح علي إلى خالد فاستقاله فأقاله فأعتقه .

وعن الزبير بن الخريت عن عكرمة قال : كان ابن عباس يجعل في رجلي الكبل ويعلِّمني القرآن والسنن . وعن جابر بن زيد قال : هذا عكرمة مولى ابن عباس ، هذا أعلم الناس. وقال الشعبي : ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة . وقال قتادة : أعلمهم بالتفسير عكرمة .

وعن إبراهيم بن الحكم بن أبان قال : ثنا أبي قال : كنت جالسًا مع عكرمة بالساحل فذكروا الذين يغرقون في البحار فقال عكرمة : إن الذين يغرقون في البحار تتقسم لحومهم الحيتان فلا يبقى منهم شيء إلا العظام تلوح فتلقيها الأمواج إلى البر فتمكث العظام حينًا حتى تصير نخرة فتمرُّ بها الإبل فتأكلها ثم تسير الإبل فتبعر ثم يجيء قوم فيأخذون ذلك البعر فيوقدونه ثم تخمد تلك النار فتجيء ريح فتلقي ذلك الرَّمادَ على الأرض فإذا جاءت النفخة خرج أولئك وأهل القبور سواءً .

قال إبراهيم : وحدثني أبي عن عكرمة قال : لكل شيء أساس ، وأساس الإسلام الخلق الحسن .

أسند عكرمة عن : ابن عمرو ، وابن عباس ، وأبي سعيد ، وأبي هريرة والحسين بن علي وعائشة في آخرين .

وعن خالد السّختياني عن عكرمة قال : أدركت مئين من أصحاب رسول الله ﷺ في هذا المسجد .

ومات عكرمة في سنة أربعٍ ومائة ، وقيل : سنة خمسٍ ، وقيل : سنة ستٍّ ، وقيل سنة سبعٍ وهو ابن ثمانين سنة .

ومات هو وكثير عزة في يوم واحدٍ فقال الناس : مات أفقه الناس ، وأشعر الناس .

١٦٩ ـ زياد بن أبي زياد [1] ، مولى عبد الله ابن عياش بن أبي ربيعة القرشي

واسم أبي زياد ميسرة . وكان زياد عبدًا . وكان عمر بن عبد العزيز يستزيره ويكرمه. وبعث إلى مولاه ليبيعه إياه فأبى وأعتقه .

وقد روى زياد عن : أنس بن مالك وقال مالك بن أنس : كان زياد عابدًا معتزلاً لا يزال يذكر الله تعالى ، ويلبس الصوف ولا يأكل اللحم .

وقال محمد بن المنكدر : إنني خلَّفت زياد بن أبي زياد وهو يخاطب نفسه في المسجد، يقول : اجلسي ، أين تريدين أن تذهبي ؟ أتخرجين إلى أحسن من هذا المسجد ؟ انظري إلى ما فيه ، تريدين أن تبصري دار فلان ودار فلان ، ودار فلان ؟ قال : وكان يقول لنفسه : ما لك من الطعام يا نفسُ إلا هذا الخبز والزيت ، وما لك من الثياب إلا هذان الثوبان ، وما لك من النساء إلا هذه العجوز ، أفتحبين أن تموتي ؟ فقالت : أنا أصبر على هذا العيش .

ومن الطبقة الثالثة من أهل المدينة

١٧٠ ـ علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب

أمُّه زُرعة بنت مشرح . ولد ليلة قتل علي بن أبي طالب - عليه السلام - في رمضان سنة أربعين فسم ،اسمه ، وكنى بكنيته . فقال له عبد الملك بن مروان : لا أحتمل لك الاسم والكنية . ـعير كنيته فصيرها أبا محمد ، وكان أجمل قُرشيٍّ على وجه الأرض وأكثرها صلاة . وكان يقال له السَّجاد .

وعن علي بن أبي جملة والأوزاعي قالا : كان علي بن عبد الله بن عباس يسجد كل يوم ألف سجدة .

وعن هشام بن سليمان المخزومي أن علي بن عبد الله بن عباس كان إذا قدم مكة حاجًا أو معتمرًا عطلت قريش مجالسها في المسجد الحرام وهجرت مواضع حلقها ولزمت مجلس علي بن عبد الله إعظامًا وإجلالاً وتبجيلاً فإن قعد قعدوا ، وإن نهض نهضوا وإن مشى مشوا جميعًا حوله . وكان لا يُرى لقرشي في المسجد الحرام مجلس ذكر يُجتمع إليه فيه حتى يخرج علي بن عبد الله من الحرم .

---

(١) انظر : سير الأعلام (٥/٤٥٦) .

عامَّة مسانيد علي بن عبد الله عن أبيه . وتوفي بالشام سنة سبع عشرة ومائة ويقال : ثماني عشرة - رضي الله عنه .

١٧١ ـ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب - عليهم السلام [١]

أمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب : واسم ولده : جعفر وعبد الله . وأمهما أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه . وإبراهيم وعلي وزينب وأم سلمة .

وعن زياد بن خيثمة عن أبي جعفر قال : الصواعق تصيب المؤمن وغير المؤمن ولا تصيب الذاكر .

وعن منصور قال : سمعت محمد بن علي يقول : الغنى والعز يجولان في قلب المؤمن فإذا وصلا إلى مكان التوكُّل أوطناهُ .

وعن عمر مولى غفرة عن محمد بن علي أنه قال : ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر إلا نقص من عقله مثلُ ما دخله من ذلك ، قلَّ أو كثر .

وعن جابر - يعني الجعفيَ - قال : قال لي محمد بن علي : يا جابر إني لمحزون وإني لمشتغل القلب . قلت وما حزنك وما شغل قلبك ؟ قال : يا جابر إنه من دخل قلبه صافي خالص دين الله شغله عما سواه . يا جـــابر ما الدنيا ما عسى أن تكون ؟ هل هو إلا مركب ركبته أو ثوبٌ لبسته أو امرأة أصبتها ؟ يا جــابر إن المؤمنين لم يطمئنوا إلى الدنيا لبقاء فيها ولم يأمنوا قدوم الآخرة عليهم ولم يصمَّهم عن ذكر الله ما سمعوا بآذانهم من الفتنة ، ولم يعمهم عن نور الله ما رأوا بأعينهم من الزينة ففازوا بثواب الأبرار ، إن أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤونة وأكثرهم لك معونةً ، إن نسيت ذكروك وإن ذكرت أعانوك ، قوَّالين بحق الله ، قوَّامين بأمر الله فأنزل الدنيا كمنزل نزلت به وارتحلت منه أو كمال أصبته في منامك فاستقيظت وليس معك منه شيء ، واحفظ الله تعالى ما استرعاك من دينه وحكمته .

وعن حُسين بن حسن قال : كان محمد بن علي يقول : سلاح اللئام قبيح الكلام .

وعنه قال : والله لموت عالمٍ أحبُّ إلى إبليس من موت سبعين عابدًا .

وعن خالد بن أبي الهيثم ، عن محمد بن علي بن الحسين قال : ما اغرورقت عينٌ

---

(١) انظر : سير الأعلام (٤/ ٤٠١) ، والحلية (٣/ ١٨٠) .

بمائها إلا حرَّم الله وجه صاحبها على النار فإن سالت على الخدَّين لم يُرهق وجهه قترٌ ولا ذلَّة ، وما من شيء إلا له جزاء ، إلا الدمعة فإن الله يكفر بها بحُور الخطايا ، ولو أنَّ باكيًا بكى في أمَّةٍ لحرَّم الله تلك الأمَّة على النار .

وعن الأصمعي قال : قال محمد بن علي لابنه : يا بني إياك والكسل والضجر فإنهما مفتاح كل شرٍ إنك إن كسلت لم تؤد حقًا وإن ضجرت لم تصبر على حق .

عن عروة بن عبد الله قال : سألت أبا جعفر محمد بن علي عن حلية السيوف فقال : لا بأس به ، وقد حلَّى أبو بكر الصديق سيفه قال : قلت : وتقول : الصدِّيق ؟ قال : فوثب وثبةً واستقبل القبلة ثم قال : نعم الصدِّيق ، نعم الصديق ، نعم الصديق . فمن لم يقل له الصدِّيق فلا صدق الله له قولاً في الدنيا ولا في الآخرة .

وعن عمرو بن شَمِر عن جابر قال : قال لي محمد بن علي : يا جابر بلغني أن قومًا بالعراق يزعمون أنهم يحبونا وينالون أبا بكر وعمر ، ويزعمون أني أمرتهم بذلك فأبلغهم أني إلى الله منهم بريء ، والذي نفس محمد بيده لو وليت لتقربت إلى الله - عز وجل - بدمائهم ، لا نالتني شفاعةُ محمد إن لم أكن أستغفر لهما وأترحم عليهما إن أعداء الله لغافلون عنهما .

وعن أفلح ، مولى محمد بن علي ، قال : خرجت مع محمد بن علي حاجًا فلما دخل المسجد نظر إلى البيت فبكى حتى علا صوته فقلت : بأبي أنت وأمي إن الناس ينظرون إليك فلو رفقت بصوتك قليلاً قال : ويحك يا أفلح ، ولم لا أبكي ؟ لعل الله ينظر إليَّ منه برحمة فأفوز بها عنده غدًا قال : ثم طاف بالبيت ثم جاء حتى ركع عند المقام فرفع رأسه من سجوده فإذا موضع سجوده مبتلٌ من دموع عينيه .

وعن خالد بن دينار عن أبي جعفر أنه كان إذا ضحك قال : اللهم لا تمقتني .

وعن عبد الله بن عطاء قال : ما رأيت العلماء عند أحدٍ أصغر منهم علمًا عند أبي جعفر محمد بن علي ، لقد رأيت الحكم عنده كأنه متعلِّم .

وعن أحمد بن يحيى قال : قال محمد بن علي : كان لي أخ في عيني عظيمٌ، وكان الذي عظَّمه في عيني صغر الدنيا في عينيه .

وعن موسى بن عمير ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه أنه كان يقول في جوف الليل: أمرتني فلم أأتمر ، وزجرتني فلم أزدجر ، هذا عبدك بين يديك ولا أعتذر .

محمد بن مسعر قال : قال جعفر بن محمد : فَقَدَ أبي بغلةً له فقال : لئن ردَّها الله - عز وجل - لأحمدنّه محامد يرضاها . فما لبث أن أُتيَ بها بسرجها ولجامها . فركبها .

فلما استوى عليها وضمَّ عليه ثيابه رفع رأسه إلى السماء وقال : الحمد لله . لم يزد عليها. فقيل له في ذلك فقال : وهل تركت أو أبقيت شيئًا ؟ جعلت الحمد كلَّه لله - عز وجل .

وعن أبي حمزة عن أبي جعفر محمد بن علي قال : ما من عبادةٍ أفضل من عفَّة بطنٍ أو فرج ، وما من شيء أحبَّ إلى الله - عز وجل - من أن يسأل ، وما يدفع القضاءَ إلا الدعاءُ . وإنَّ أسرعَ الخيرِ ثوابًا البرُّ ، وأسرع الشرِّ عقوبةً البغيُ ، وكفى بالمرء عيبًا أن يبصر من الناس ما يعمى عليه من نفسه ، وأن يأمر الناس بما لا يستطيع التحول عنه ، وأن يؤذى جليسه بما لا يعنيه .

وعن عبد الله بن الوليد قال : قال لنا أبو جعفر محمد بن علي : يدخل أحدُكم يده كيس صاحبه فيأخذ ما يريد ؟ قال : قلنا : لا . قال : فلستم إخوانًا كما تزعمون .

وعن سلمى مولاة أبي جعفر قالت : كان يدخل إليه إخوانه فلا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطعام الطيّب ويكسوهم الثياب الحسنة ويهب لهم الدراهم . قالت : فأقول له بعض ما تصنع . فيقول : يا سلمى ما يُؤمّل في الدنيا بعد المعارف والإخوان ؟ وعن سليمان بن قرم قال : كان محمد بن علي يجيز بالخمسمائة والستمائة إلى الألف ، وكان لا يمل من مجالسة إخوانه غنيًا .

وعن الأسود بن كثير قال : شكوت إلى محمد بن علي الحاجة وجفاء الإخوان فقال : بئس الأخ أخٌ يرعاك غنيًا ويقطعك فقيرًا . ثم أمر غلامه فأخرج كيسًا فيه سبع مائة درهم فقال : استنفق هذه فإذا نفدت فأعلمني .

وعن أبي جعفر قال : اعرف المودة لك في قلب أخيك بماله في قلبك .

أسند أبو جعفر عن جابر بن عبد الله ، وأبي سعيد الخدري ، وأبي هريرة ، وابن عباس، وأنس ، والحسن ، والحسين ، وروى عن سعيد بن المسيَّب وغيره من التابعين، ومات في سنة سبع عشرة ومائة ، وقيل : ثماني عشرة ، وقيل : أربع عشرة ، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة ، وقيل : ثمان وخمسين . وأوصى أن يكفَّن في قميصه الذي كان يصلي فيه - رضي الله عنه وأرضاه .

١٧٢ ـ عمر بن عبد العزيز بن مَرْوان

يكنى أبا حفص . أمه : أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب .

محمد بن سعد قال : قال ابن شوذب : لما أراد عبد العزيز بن مروان أن يتزوج أم عمر بن عبد العزيز قال لقيّمه : اجمع لي أربع مائة دينار من طيّب مالي فإني أريد أن أتزوج إلى أهل بيتٍ لهم صلاح ، فتزوج أم عمر بن عبد العزيز .

قال سفيان الثوري : الخلفاء خمسة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز - رضي الله عنهم .

قال حميد بن زنجويه قال : قال أحمد بن حنبل : يروى في الحديث أن الله - تبارك وتعالى - يبعث على رأس كل مائة عام من يصحّح لهذه الأمة دينها . فنظرنا في المائة الأولى فإذا هو عمر بن عبد العزيز ، ونظرنا في المائة الثانية فإذا هو الشافعي .

وعن الضحاك بن عثمان قال : لما انصرف عمر بن عبد العزيز عن قبر سليمان بن عبد الملك صُفَّت له مراكب سليمان فقال :

ولولا التقى ثم النُّهى خشية الردى لعاصيت في حُبّ الصبّا كلَّ زاجرِ
قضى ما قضى ، فيما مضى ، ثم لا يرى له صبوة أخرى الليالي الغوابر

ثم قال : إن شاء الله لا قوة إلا بالله ، قدموا إليَّ بغلتي .

وعن سهل بن يحيى محمد المروزي قال : أخبرني أبي عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال : لما دفن عمرُ بن عبد العزيز سليمانَ بن عبد الملك وخرج من قبره سمع للأرض هدّةً أو رجّةً فقال : ما هذه ؟ فقيل : هذه مراكب الخلافة يا أمير المؤمنين قُرّبت إليك لتركبها . فقال : ما لي ولها ؟ نحُّوها عني ، قرّبوا إليَّ بغلتي . فقُربت إليه بغلته فركبها فجاءه صاحب الشّرط يسير بين يديه بالحربة فقال : تنحَّ عني ما لي ولك ؟ إنما أنا رجل من المسلمين . فسار وسار معه الناس حتى دخل المسجد فصعد المنبر واجتمع الناس إليه فقال: يا أيها الناس إني قد ابتليت بهذا الأمر من غير رأي كان مني فيه ولا طلبة له ولا مشورة من المسلمين ، وإني قد خلعتُ ما في أعناقكم من بيعتي فاختاروا لأنفسكم . فصاح المسلمون صيحةً واحدةً : قد اخترناك يا أمير المؤمنين ورضينا بك فَلِ(١) أمرنا باليمن والبركة . فلما رأى الأصوات قد هدأت ورضي به الناس جميعًا حمد الله وأثنى عليه وصلى علي النبي ﷺ وقال :

أوصيكم بتقوى الله ، فإن تقوى الله خلفٌ من كل شيء ، ليس من تقوى الله - عز وجل - خلفٌ فاعملوا لآخرتكم ، فإنه من عمل لآخرته كفاه الله - تبارك وتعالي - أمر دنياه ، وأصلحوا سرائركم يُصلح الله الكريم علانيتكم ، وأكثروا ذكر الموت ، وأحسنوا الاستعداد قبل أن ينزل بكم فإنه هادمُ اللذات ، وإن من لا يذكر من آبائه فيما بينه وبين آدم - عليه السلام - أبًا حيًا لمعرق في الموت ، وإن هذه الأمة لم تختلف في ربها - عز وجل - ولا في نبيِّها ولا في كتابها ، إنما اختلفوا في الدينار والدرهم وإني والله لا أعطي أحدًا باطلاً ولا أمنع أحدًا حقًا . ثم رفع صوته حتى أسمع الناس فقال :

(١) أى : تولى أمرنا .

يا أيها الناس : من أطاع الله فقد وجبت طاعته ، ومن عصى اللهَ فلا طاعة له، أطيعوني ما أطعت الله فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم .

ثم نزل فدخل فأمر بالستور فهتكت والثياب التي كانت تبسط للخلفاء فحُملت وأمر ببَيْعها وإدخال أثمانها في بيت مال المسلمين ، ثم ذهب يتبوأ مقيلاً فأتاه ابنه عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ماذا تريد أن تصنع ؟ قال : أي بنيّ أقيل . قال : تقيل ولا تردّ المظالم ؟ قال : أي بني إني قد سهرت البارحة في أمر عمِّك سليمان فإذا صلَّيت الظهر رددت المظالم . قال : يا أمير المؤمنين من لك أن تعيش إلى الظهر ؟ قال : ادنُ مني أي بني ، فدنا منه فالتزمه وقبل بين عينيه وقال: الحمد لله الذي أخرج من صُلبي من يعينني على ديني . فخرج ولم يقل وأمر مناديه أن ينادي : ألا من كانت له مظلمة فليرفعها . فقام إليه رجل ذمّي من أهل حمص أبيض الرأس واللحية فقال : يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله . قال: وما ذاك ؟ قال : العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضي ، والعباس جالسٌ ، فقال له : يا عباس ما تقول ؟ قال : أقطعنيها أميرُ المؤمنين الوليد بن عبد الملك وكتب لي بها سجلاً ، فقال عمر : ما تقول يا ذمي ؟ قال: يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله - عز وجل- . فقال عمر : كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد ابن عبد الملك . قم فاردد عليه يا عباس ضيعته . فرد عليه فجعل لا يدع شيئًا مما كان في يده وفي يد أهل بيته من المظالم إلاّ ردّها مظلمةً مظلمةً . فلما بلغت الخوارج سيرةُ عمر وما ردّ من المظالم اجتمعوا فقالوا : ما ينبغي لنا أن نقاتل هذا الرجل . فبلغ ذلك عمرِ ابن الوليد بن عبد الملك فكتب إليه : إنك قد أزريت على من كان قبلك من الخلفاء وعبت عليهم وسرت بغير سيرتهم بغضًا لهم وشنئًا لمن بعدهم من أولادهم و قطعت ما أمر الله به أن يوصل إذ عمدت إلى أموال قريش ومواريثهم فأدخلتها في بيت المال جَوْرًا وعدوانًا ولن تترك على هذا .

فلما قرأ كتابه كتب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر - أمير المؤمنين - إلى عمر بن الوليد. السلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . أما بعد : فإنه بلغني كتابُك وسأجيبك بنحوٍ منه: أما أول شأنك ابنَ الوليد كما زعم فأمك « بَنانةُ » أَمَةَ السكونَ كانت تطوف في سوقِ حمْص وتدخل وتدور في حوانيتها ثم الله أعلم بها اشتراها ذبيَانَ من فَيْءِ المسلمينَ فأهداها لأبيك فحملت بك فبئس المحمول وبئس المولود . ثم نشأت فكنت جبّارًا عنيدًا تزعم أني من الظالمين ، لِمَ حَرمتُك وأهل بيتك فَيْءَ الله - عز وجل - الذي فيه حقُّ القرابة والمساكين والأرامل ، وإن أظلم مني وأترك لعهد الله من استعملك صبيا سفيهًا على جند المسلمين تحكم فيهم برأيك ولم تكن له في ذلك نيّة إلا حُبّ الوالد

لولده ، فويلٌ لك وويلٌ لأبيك ما أكثر خصماءكما يوم القيامة ، وكيف ينجو أبوك من خصمائه ؟ وإن أظلم مني وأترك لعهد الله من استعمل الحجاج بن يوسف يسفك الدَّم الحرام ويأخذ مال الحرام ، وإن أظلم مني وأترك لعهد الله من استعمل قُرّة بن شريك [1] أعرابيًا جافيًا على مصر أذن له في المعازف واللهو والشُّرب ، وإنّ أظلم مني وأترك لعهد الله ، مَنْ جعل لعاليةَ البربرية سَهْمًا في خمس العرب . فرويدًا يا ابنَ بنانة فلو التقى حلقتا البطان ورُدَّ الفيء إلى أهله لتفرغتُ لك ولأهل بيتك فوضعتُهم على المحجَّة البيضاء، فطالما تركتم الحق وأخذتم في بنيّات الطريق ومن وراء هذا ما أرجو أن أكون رأيته بيع رقبتك وقسم ثمنك بين اليتامى والمساكين والأرامل ، فإنّ لكلٍّ فيك حقًا والسلام علينا ، ولا ينالُ سلامُ الله الظالمين.

عن عمر بن ذر : قال مولى لعمر بن عبد العزيز حين رجع من جنازة سليمان : ما لي أراك مغتمًا ؟ قال : لمثل ما أنا فيه يُغتم ، إنه ليس من أمة محمد ﷺ أحد في شرق الأرض وغربها إلا وأنا أريد أن أؤدي إليه حقَّه غير كاتبٍ إليّ فيه ولا طالبه مني .

وعن بعض خاصة عمر بن عبد العزيز أنه حين أفضت إليه الخلافة سمعوا في منزله بكاءً عاليًا . فسئل عن البكاء فقيل : إن عمر بن عبد العزيز خير جواريه فقال : إنه قد نزل لي أمر قد شغلني عنكن فمن أحب أن أعتقه أعتقته ومن أراد أن أمسكه أمسكته ولم يكن مني إليها شيء فبكين يأسًا منه .

وعن مالك بن دينار قال : لما ولى عمر بن عبد العزيز قالت رِعاء الشاء في رؤوس الجبال: من هذا الخليفة الصالح الذي قد قام على الناس ؟ قال : فقيل لهم : وما علمكم بذلك ؟ قالوا : إنه إذا قام خليفةٌ صالح كفَّت الذئاب والأُسْدُ عن شائنا .

وعن مسلم قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز وعنده كاتب يكتب وشمعةٌ تزهر وهو ينظر في أمور المسلمين قال : فخرج الرجل فأطفئت الشمعة وجيء بسراج إلى عمر فدنوت منه فرأيت عليه قميصًا فيه رقعة قد طبّق ما بين كتفيه . قال : فنظر في أمري .

وعن الثقة أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم : أما بعد ، فإنك كتبت إلى سليمان كتبًا لم ينظر فيها حتى قُبض رحمه الله ، وقد بليت بجوابك . كتبت إلى سليمان تذكر أنه يقطع لعمال المدينة من بيت مال المسلمين ثمن

---

(١) كان أمير مصر ، قيل عنه : كان إذا انصرف الصناع من بناء جامع مصر دخله فدعا بالخمر والملاهى ويقول : لنا الليل ولهم النهار ، قال عمر بن عبد العزيز : « الوليد بالشام ، وقرة بمصر ، والحجاج بالعراق ، وعثمان بن حيان بالحجاز ؛ امتلأت الأرض والله جوراً » راجع : الشذرات (١/ ١١١) .

شمع كانوا يستضيئون به حين يخرجون إلى صلاة العشاء وصلاة الفجر ، وتذكر أنه قد نفد الذي كان يستضاء به وتسأل أن يقطع لك من ثمنه بمثل ما كان للعمال ، وقد عهدتك وأنت تخرج من بيتك في الليلة المظلمة الماطرة الوحلة بغير سراج ، ولعمري لأنت يومئذٍ خير منك اليوم والسلام .

وعن رجاء بن حَيْوَة قال : كان عمر بن عبد العزيز من أعطر الناس وأخْيلهم في مشيته فلما استخلف قوّموا ثيابه اثني عشر درهمًا : كُمّته [١] ، وعمامته ، وقميصه ، وقباءه ، وقرطقه [٢] ، ورداءه ، وخفّيه .

وعن يونس بن أبي شبيب قال : شهدت عمر بن عبد العزيز وهو يطوف بالبيت وإن حُجْزة إزاره لغائبةٌ في عُكَنه ، ثم رأيته بعدما استُخلف ولو شئت أن أعُدَّ أضلاعه من غير أن أمسها لفعلت .

وعن مسلمة بن عبد الملك قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز أعوده في مرضه فإذا عليه قميص وسخ فقلت لفاطمة بنت عبد الملك : يا فاطمةُ اغسلي قميص أمير المؤمنين قالت : نفعل إن شاء الله ثم عدتُ فإذا القميص على حاله فقلت : يا فاطمة ألم آمركم أن تغسلوا قميص أمير المؤمنين فإن الناس يعوّدونه ؟ قالت : والله ما له قميصٌ غيره .

وعن الفهري عن أبيه قال : كان عمر بن عبد العزيز يقسم تفاح الفَيْء فتناول ابنٌ له صغيرٌ تفاحة فانتزعها من فيه فأوجعه فسعى إلى أمه مستعبرًا فأرسلت إلى السوق فاشترت له تفاحًا فلما رجع عمر وجد ريح التفاح فقال : يا فاطمة هل أتيت شيئًا من هذا الفيء ؟ قالت : لا . وقصّت عليه القصة ، فقال : والله لقد انتزعتها من ابني لكأنما نزعتها من قلبي ، ولكن كرهت أن أضيع نصيبي من الله – عز وجل – بتفاحةٍ من فَيْءِ المسلمين .

وعن شيخ من أهل الشام قال : لما مات عمر بن عبد العزيز كان استودع مولىً له سفطًا يكون عنده فجاؤوه فقالوا : السفط الذي كان استودعك عمر ؟ قال : ما لكم فيه خيرٌ فَأَبَوْا حتى رفعوا ذلك إلى يزيد بن عبد الملك فدعا بالسفط ودعا بني أمية وقال: خيركم هذا فقد وجدنا له سفطًا وديعةً قد استودعها ، ففتحوه فإذا فيه مقطّعات من مُسوح كان يلبس بالليل .

وعن عبد السلام مولى مسلمة بن عبد الملك قال : بكى عمر بن عبد العزيز فبكت فاطمة ، فبكى أهل الدار لا يدري هؤلاء ما أبكَى هؤلاء فلما تجلّت عنهم العبرةُ قالت له

(١) الكمة : القلنسوة المدورة لأنها تغطى الرأس .

(٢) القرطقة : القباء ذو الطاق الواحد ، والقباء نوع من الثياب .

فاطمة : بأبي أنت يا أمير المؤمنين ممَّ بكيت ؟ قال : ذكرت منصرف القوم من بين يَدَيْ الله - عز وجل - فريقٌ في الجنة وفريقٌ في السعير ثم صرخ وغشي عليه .

وعن زياد بن أبي زياد المديني قال : أرسلني ابن عامر بن أبي ربيعة إلى عمر بن عبد العزيز في حوائج له فدخلت عليه وعنده كاتب يكتب فقلت : السلام عليكم . فقال : وعليك السلام . ثم انتبهت فقلت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، فقال : يا ابنَ أبي زياد إننا لسنا ننكر الأولى التي قلت . والكاتب يقرأ عليه مظالم جاءت من البصرة . فقال لي : اجلس . فجلست على أسكُفَّة الباب وهو يقرأ وعمر يتنفس صَعَدًا . فلما فرغ أخرج من كان في البيت حتى وصيفًا كان فيه ثم قام يمشي إليَّ حتى جلس بين يديّ ووضع يديه على ركبتي ثم قال : يا ابن أبي زياد استدفأت في مدرعتك هذه قال وعليَّ مدرعة من صوف واسترحت مما نحن فيه . ثم سألني عن صلحاء أهل المدينة رجالهم ونسائهم فما ترك منهم أحدًا إلا سألني عنه وسألني عن أمور كان أمرَ بها بالمدينة فأخبرته ، ثم قال لي : يا ابن أبي زياد ألا ترى ما وقعت فيه قال : قلت : أبشر يا أمير المؤمنين ، إني أرجو لك خيرًا . قال : هيهات هيهات . قال : ثم بكى حتى جعلتُ أرثي له فقلت : يا أمير المؤمنين بعض ما تصنع ، فإني أرجو لك خيرًا . قال : هيهات هيهات أشتمُ ولا أشتم وأضرب ولا أضرب وأوذى ولا أوذى . ثم بكى حتى جعلت أرثي له . فأقمت حتى قضى حوائجي ثم أخرج من تحت فراشه عشرين دينارًا فقال : استعن بهذه فإنه لو كان لك في الفَيْء حقٌ أعطيناك حقك إنما أنت عبدٌ . فأبيت أن آخذها فقال : إنما هي من نفقتي فلم يزل بي حتى أخذتها وكتب إلى مولاي يسأله أن يبيعنى منه فأبي وأعتقني .

وعن عمرو بن مهاجر قال : قال لي عمر بن عبد العزيز : إذا رأيتني قد ملت عن الحق فضع يدك في تلبابي ثم هُزَّني ثم قل : يا عمر ما تصنع ؟ .

وعن عبيد الله بن محمد التيمي قال : سمعت أبي وغيره يحدث أن عمر بن عبد العزيز لما ولي منع قرابته ما كان يجري عليهم وأخذ منهم القطائع التي كانت في أيديهم. فشكوا إلى عمته أم عمر فدخلت فقالت : إن قرابتك يشكونك ويزعمون أنك أخذت منه خيرَ غيرك . قال : منعتهم حقًا ولا أخذت منهم حقًا . فقالت : إني رأيتهم يتكلمون وإني أخاف أن يهجوا عليك يومًا عَصيبًا . فقال : كل يوم أخافه دون يوم القيامة فلا وقاني الله شرَّه . قال : ودعا بدينار وخَبَث ومجمرة ، فألقى الدينار في النار وجعل ينفخ على الدينار حتى إذا احمرّ تناوله بشيء فألقاه على الخبث فنش فقال : أي عمة أما تأوين لابن أخيك من مثل هذا؟ فقامت فخرجت على قرابته فقالت : تزوّجون إلى آل عمر فإذا نزعوا الشُبَهَ جزعتم ؟ اصبروا له .

وعن أبي سليم الهذلي قال : وخطب عمر بن عبد العزيز فقال :

أما بعد ، فإن الله - عز وجل - لم يخلقكم عبثًا ، ولم يدع شيئًا من أمركم سُدىً ، وإن لكم معادًا فخاب وخسر من خرج من رحمة الله وحُرم الجنةَ التي عرضُها السمواتُ والأرض واشترى قليلاً بكثير وفانيًا بباق وخوفًا بأمنٍ ألا تَرَوْن أنكم في أسلاب الهالكين وسيخلفها بعدكم الباقون ؟ كذلك حتى تُردّ إلى خير الوارثين ، في كل يوم وليلة تشيّعون غاديًا ورائحًا إلى الله - عز وجل - قد قضى نَحْبَه ، وانقضى أجلُهُ حتى تغيّبوه في صَدْع من الأرض في بطن صدع ثم تدعونه غير ممهَّد ولا موسَّد قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وسكن التراب ، وواجه الحساب مرتهنًا بعمله فقيراً إلى ما قدم ، غنيا عما ترك، فاتقوا الله قبل نزول الموت ، وايم الله إني لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب ما أعلم عندي وما يبلغني عن أحد منكم ما يسعه ما عندي إلا وددتُ أنه يمكنني تغييره حتى يستوى عيشنا وعيشه ، وايم الله لو أردت غير ذلك من الغضارة والعيش لكان اللسان مني به ذَلولاً عالمًا بأسبابه ، ولكن سبق من الله - عز وجل - كتابٌ ناطقٌ وسُنّةٌ عادلةٌ دلّ فيها على طاعته ، ونهى فيها عن معصيته .

ثم وضع طرف ردائه على وجهه فبكى وشهق وبكى الناس ، وكانت آخر خطبة خطبها .

سعيد بن محمد الثقفي قال : سمعت القاسم بن غزوان قال : كان عمر بن عبد العزيز يتمثل بهذه الأبيات :

أيقظـان أنت اليـومَ أم أنـت نائـم	وكيـف يُطيق النومَ حيرانُ هائم
فلـو كنت يقظـانَ الغـداة لحرَّقـتْ	مـدامع عينيك الدمـوعُ السّـواجم
بل أصبحت في النومِ الطويل وقد دنتْ	إليك أمـورٌ مُفظـعاتٌ عظـائـم
نهـاركُ يا مغـرور سهـوٌ وغفـلةٌ	وليـلك نومٌ والـردى لك لازم
يغـرُّك ما يَفْـني وتُشْـغَل بالمنـي	كـما غُرَّ باللذات في النوم حالـم
وتُشـغَل فيما سـوف تـكره غبَّه	كـذلك في الدنيا تَعيش البهـائم

وعن القاسم بن غزوان قال : كان عمر بن عبد العزيز يتمثل بهذه الأبيات ، وعن هاشم قال : لما كانت الصَّرعة التي هلك فيها عمرُ دخل عليه مسلمة بن عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين إنك أفقرت أفواه ولدك من هذا المال ، وتركتهم عَيْلةً لا شيء لهم فلو وصّيت بهم إليَّ وإلي نُظَرائي من أهل بيتك .

قال : فقال : أسندوني ثم قال : أما قولك : إني أفـقرت أفواه ولدي من هذا المال ، فوالله إني ما منعتهم حقا هو لهم ، ولم أعطهم ما ليس لهـم ، وأما قـولك : لـو أوصيت بهم فإن وصيِّيَ ووليِّيَ فيهم اللهُ الذي نزَّل الكتاب وهو يتولى الصالحين . بنَي أحدُ

الرجلين ، إما رجل يتقي الله فسيجعل الله له مخرجًا وإما رجل مكب على المعاصي فإني لم أكن أقوِّيه على معاصي الله .

ثم بعث إليهم وهم بضعةَ عشرَ ذكرًا قال : فنظر إليهم فذرفت عيناه ثم قال: بنفسي الفتيةُ الذين تركتهم عيلة لا شيء لهم ، فإني بحمد الله قد تركتهم بخير أي بنيَّ إن أباكم مثل بين أمرين : بين أن تستغنوا ويدخل أبوكم النار ، أو تفتقروا ويدخل أبوكم الجنة ، فكان أن تفتقروا ويدخل الجنة أحب إليه من أن تستغنوا ويدخل النار . قوموا عصمكم الله .

وعن ليث بن أبي رقية عن عمر أنه لما كان مرضه الذي قبض فيه قال : أجلسوني فأجلسوه . ثم قال : أنا الذي أمرتني فقصرت ، ونهيتني فعصيت ، ولكن لا إله إلا الله ثم رفع رأسه وأحدَّ النظر . فقالوا له : إنك لتنظر نظرًا شديدًا . فقال : إني لأرى حضرةً ما هُم بإنسٍ ولا جانّ ثم قُبض - رضي الله عنه .

أسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر ، وأنس بن مالك ، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وعمر بن أبي سلمة ، والسائب بن يزيد ، ويوسف بن عبد الله ابن سلام .

وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم : عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة ، وتميم الداري ، وعائشة ، وأم هانىء .

وقد روى عن خلقٍ كثيرٍ من كبار التابعين كسعيد بن المسيِّبِ ، وعبد الله بن إبراهيم ابن قارظ ، وسالم ، وأبي سلمة ، وعروة ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وخارجة بنِ زيد ، وعامر بن سعد بن أبي وقَّاص ، وأبي بردة بن أبي موسى ، والربيع بن سبرة، وعراك بن مالك ، وأبي حازم ، والزُهري والقُرظي ، في خلقٍ كثيرٍ يطول ذكرُهُم ، وقد ذكرنا مسنداته عنهم في كتابٍ أفردناه لأخباره وفضائله . ولهذا اقتصرنا على هذه النَّبْذَةِ من أخباره هاهنا .

وتوفي - رضي الله عنه - لعشرِ ليالٍ بقين من رجب سنة إحدى ومائة ، وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهرٍ ، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهرٍ ، ومات بدير سمعان وقبر هناك . وكان له - رضي الله عنه - أولاد إلا أنه كان عَينهم .

١٧٣ ـ عبد الملك (١)

ونحن نذكر هاهنا طرفًا من أخباره ، وإن كان دون طبقة أبيه ، لكنا ألحقناه به لأنه مات في حياة أبيه .

(١) هو ابن عمر بن عبد العزيز ، وانظر الحلية (٥/ ٣٥٣) .

وعن بعض مشيخة أهل الشام قال : كنا نرى أن عمر بن عبد العزيز إنما أدخله في العبادة ما رأى من ابنه عبد الملك .

وعن إسماعيل بن أبي حكيم قال : غضب عمر بن عبد العزيز يومًا ، فاشتدَّ غضبُهُ وكان فيه حدّةٌ وعبد الملك حاضرٌ ، فلما سكن غضبه قال : يا أمير المؤمنين أنت في قدر نعمة الله عليك وموضعك الذي وضعك الله به وما ولاك من أمر عباده يبلغ بك الغضب ما أرى ؟ قال : كيف قلت ؟ فأعاد عليه كلامه فقال : أما تغضب يا عبد الملك ؟ فقال : ما تغنى سعة جوفي إن لم أردد فيه الغضب حتى لا يظهر منه شيء أكرهه .

دخل عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز على عمر فقال : يا أمير المؤمنين إن لي إليك حاجةً فأخلني ، وعنده مسلمة بن عبد الملك . فقال عمر : أسرٌّ دون عمّك ؟ قال : نعم. فقال مسلمة وخرج وجلس بين يديه فقال : يا أمير المؤمنين ما أنت قائلٌ لربك غدًا إذا سألك فقال : رأيت بدعةً لم تُمتْها أو سنةً فلم تُحْيِها ؟ فقال له : يا بني أشيء حمّلك الرغبة إليَّ أم رأيٌ رأيته من قبلَ نفسك ؟ قال : لا والله ، ولكن رأيٌ رأيته من قبل نفسي، عرفت أنك مسؤول ، فما أنت قائل ؟ فقال له أبوه : رحمك الله وجزاك من ولد خيرًا فوالله إني لأرجو أن تكون من الأعوان على الخير . يا بنيَّ إن قومك قد شدّوا هذا الأمر عُقدةً عقدةً ، وعُروةً عروةً ، ومتى ما أريد مكابرتهم على انتزاع ما في أيديهم لم آمن أن يفتقوا علي فتقًا تكثر فيه الدماء ، والله لزوال الدنيا أهون عليَّ من أن يهراق في سببي محجةٌ من دم ، أو ما ترضى أن لا يأتي على أبيك يوم من أيام الدنيا إلا وهو يميت فيه بدعةً ويحيي فيه سنّةً ؟ حتى يحكم الله بيننا بالحق وهو خير الحاكمين.

وعن إسماعيل بن أبي حكيم قال : دخل عبد الملك على أبيه عمر فقال : أين وقع لك رأيك فيما ذَكر لك مُزاحم من ردّ المظالم ؟ فقال : عليّ إنفاذه ، فرفع عمر يده ثم قال : الحمد لله الذي جعل لي من ذريتي من يعيننى على أمر ديني . نعم يا بني أصلّي الظُّهر - إن شاء الله - ثم أصعد المنبر فأردّها على رؤوس الناس ، فقال عبد الملك : يا أمير المؤمنين من لك بالظُّهر ؟ ومن لك إن بقيت أن تسلم لك نيّتك ؟ فقال عمر : فقد تفرّق الناس للقائلة ، فقال عبد الملك تأمر مناديك فينادي : الصلاة جامعة ثم يجتمع الناس ، فأمر مناديه فنادى .

وعن ابن أبي عبلة قال : جلس عمر يومًا للناس فلما انتصف النهار ضجر وملَّ ، فقال للناس : مكانكم حتى أنصرف إليكم . ودخل ليستريح ساعةً فجاء إليه ابنه عبد الملك فسأل عنه فقالوا : دخل فاستأذن عليه فأذن له فلما دخل قال : يا أمير المؤمنين ما أدخلك؟ قال : أردت أن أستريح ساعةً ، قال : أو أمنت الموت أن يأتيك ورعيّتك على بابك ينتظرونك وأنت محتجب عنهم ؟ فقام عمر فخرج إلى الناس .

وعن زياد بن أبي حسان أنه شهد عمر بن عبد العزيز حين دفن ابنه عبد الملك استوى قائمًا وأحاط به الناس فقال : والله يا بنيَّ لقد كنتَ برًّا بأبيك ، والله مازلت منذ وهبك الله لي مسرورًا بك ولا والله ما كنت قط أشدَّ سرورًا ولا أرجى لحظي من الله فيك منذ وضعتُك في المنزل الذي صيَّرك الله إليه ، فرحمك الله وغفر لك ذنبك وجزاك بأحسن عملك ، ورحم كلَّ شافع يشفع لك بخيرٍ من شاهدٍ وغائب ، رضينا بقضاء الله وسلّمنا لأمره ، الحمد لله رب العالمين . ثم انصرف .

اقتصرنا على هذا القدر من أخبار عبد الملك لأنا قد أدرجنا أخباره في الكتاب الذي جمعنا فيه أخبار أبيه . والله الموفق ، رحمه الله ،ورحم أباه .

١٧٤ ـ عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام

عن مالك بن أنس قال : كان عامر بن عبد الله بن الزبير يقف عند موضع الجنائز يدعو وعليه قطيفة ، فربما سقطت عنه القطيفة وما يشعر بها .

وعنه قال : ربما خرج عامر بن عبد الله بن الزبير منصرفًا من العَتَمة من مسجد رسول الله ﷺ فيعرض له الدعاء قبل أن يصل إلى منزله فيرفع يديه ، فما يزال كذلك حتى ينادي بالصبح فيرجع إلى المسجد فيصلي الصبح بوضوء العتمة . قال معن : وسمعت أن عامر بن عبد الله ربما أخرج البَدْرة فيها عشرةُ آلاف درهم فيقسمها فما يصلي العتمة ومعه منها درهم .

وعن سفيان بن عيينة قال : اشترى عامر بن عبد الله بن الزبير نفسه من الله – عز وجل – بتسع ديات .

وعن أبي مودود قال : كان عامر بن عبد الله بن الزبير يتحيّن العُبّاد وهم سجودٌ : أبا حازم وصفوان بن سليم وسليمان بن شحم ، وأشباههم فيأتيهم بالصرّة فيها الدنانير والدراهم فيضعها عند نعالهم بحيث يحسّون بها ولا يشعرون بمكانه فيقال له : ما يمنعك أن ترسل بها إليهم ؟ فيقول: أكره أن يتمعَّر وجهُ أحدهم إذا نظر إلي رسولي وإذا لقيني.

وعن عياش بن المغيرة قال : كان عامر بن عبد الله بن الزبير إذا شهد جنازةً وقف على القبر فقال : ألا أراك ضيّقًا ؟ ألا أراك دَقعًا ؟ ألا أراك مظلمًا ؟ إن سلمتُ لأتأهبن لك أهبتك . فأوّل شيء تراه عيناه من ماله يتقرَّب به إلي ربه ، وإن كان رقيقه ليتعرَّضون له عند انصرافه من الجنائز ليعتقهم .

وعن مصعب بن عبد الله قال : سمع عامرُ بن عبد الله المؤذن وهو يجود بنفسه ، ومنزله قريبٌ من المسجد فقال : خذوا بيدي فقيل له : إنك عليلٌ ، فقال : أسمع داعي الله فلا أجيبه ؟ فأخذوا بيده فدخل في صلاة المغرب فركع مع الإمام ركعة ثم مات .

أسند عامر عن أبيه وغيره من الصحابة حدث عن خلقٍ كثيرٍ من التابعين .

قال محمد بن سعد : توفي عامر قبل هشام بن عبد الملك أو بعده بقليلٍ ، ومات سنة أربع وعشرين ومائة .

١٧٥ ـ أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم [١]

كان على قضاء المدينة فلما ولي عمر بن العزيز ولاه إمرةَ المدينة ، روى عطاف بن خالد عن أمه عن امرأة أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم أنها قالت : ما اضطجع أبو بكر على فراشه منذ أربعين سنة بالليل .

توفي أبو بكر في سنة عشرين ومائة ، وهو ابن أربع وثمانين سنة - رحمه الله .

١٧٦ ـ محمد بن كعب القرظي يكنى أبا حمزة [٢]

عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القُرظي قال : إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا جعل فيه ثلاثُ خصالٍ : فِقهًا في الدين ، وزهادةً في الدنيا ، وبصرًا بعيوبه .

عن يزيد بن عبد الملك بن المغيرة ، عن محمد بن كعب قال : من قرأ القرآن مُتّع بعقله وإن بلغ مائتي سنة .

روى أبو كثير النّصري قال : قالت أم محمد بن كعب القُرظي لمحمد : يا بنيَّ لولا أني أعرفك صغيرًا طيبًا وكبيراً طيباً لظننت أنك أحدثت ذنبًا موبقًا لما أراك تصنع بنفسك في الليل والنهار . قال : يا أماه وما يؤمنني أن يكون الله قد اطلع عليَّ وأنا في بعض ذنوبي فمقتني فقال : اذهب لا أغفر لك ؟ مع أن عجائب القرآن تَردُ بي عَلَى أمورٍ حتى إنه لينقضي الليل ولم أفرغ من حاجتي .

وقال محمد بن كعب : لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح ﴿ **إذا زُلزلت الأرضُ زلزالها** ﴾[٣] و﴿ **القارعة** ﴾ لا أزيد عليهما ، وأتفكر فيهما وأتردّد أحبُّ إلي من أن أهذّ القرآن هذا . أو قال : أنثره نثرًا .

وعن عيسى بن يونس قال : كنا عند محمد بن كعب القُرظي فأتاه رجل فقال : يا عبد الله ما تقول في التوبة ؟ قال : ما أحسنها . قال : أفرأيت إن أعطيتُ الله عهدًا أن لا أعصيه أبدًا ؟ فقال له محمد : فمن حينئذٍ أعظم جُرمًا منك ؟ تتألّى على الله أن لا يُنفذِ فيك أمره .

أسند محمد بن كعب عن : زيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة وأبي هريرة وأنس وابن عباس وعبد الله بن يزيد الخطمي في آخرين من الصحابة - رضي الله عنهم .

---

(١) انظر : سير الأعلام (٥/٣١٣) .
(٢) انظر : الحلية (٣/٢١٢) .
(٣) أول سورة الزلزلة .

قال الواقدي : مات سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة ومائة . وقال غيره : سنة تسع وعشرين . وقيل : كان يقص على أصحابه فسقط المسجد عليه وعليهم فقتلهم - رحمه الله .

١٧٧ - أبو عمرو بن حماس

وقد اختُلف علينا في اسمه . فقيل : يوسف بن يونس ، وقيل : يونس بن يوسف .

قال محمد بن طلحة : كان أبو عمرو متعبدًا مجتهدًا يصلّي الليل ، وكان شديد النظر إلى النساء فدعا الله أن يذهب بصره فذهب بصره ، فلم يحتمل العمى ، فدعا الله أن يرد عليه بصره ، فبينما هو في المسجد إذ رفع رأسه فنظر إلى القنديل فدعا غلامه فقال : ما هذا ؟ قال : القنديل . قال : وذاك ، وذاك ، يعدّ قناديل المسجد ، وخرَّ ساجدًا ، شكر الله إذ ردّ عليه بصره ، فكان بعد ذلك إذا رأى المرأة طأطأ رأسه وكان يصوم الدهر .

وعن مالك بن أنس قال : كان يونس بن يوسف من العبَّاد أو من خيار الناس .

- شك عبد الرحمن - فأقبل ذات يوم وهو رائحٌ من المسجد فلقيته امرأة فوقع في نفسه منها فقال : اللهم إنك جعلت لي بصري نعمةً وقد خشيت أن يكون عليَّ نقمة فاقبضه إليك ، قال : فعَمِيَ . وكان يروح إلي المسجد يقوده ابن أخٍ له فإذا استقبل به الأسطوانة اشتغل الصبي يلعب مع الصبيان فإن نابته حاجة حصبه . فأقبل إليه فبينا هو ذات يوم ضحوةً في المسجد إذ أحسَّ في بطنه بشيء فحصب الصبيَّ فشغل الصبي مع الصبيان حتى خاف الشيخ على نفسه فقال : اللهم إنك كنت جعلت لي بصري نعمة وخشيت أن يكون نقمةً فسألتك فقبضته إليك وقد خشيت الفضيحة فرُدَّه إليَّ فانصرف إلي منزله صحيحًا يمشي . قال مالك : فرأيته أعمى ، ورأيته صحيحًا .

ومن الطبقة الرابعة من أهل المدينة

١٧٨ - محمد بن مسلم بن شهاب الزهري يكنى أبا بكر

عن إبراهيم بن سعد عن أبيه قال : ما أري أحدًا جمع بعد رسول الله ﷺ ما جمع ابن شهاب .

وقال مالك بن أنس : ما أدركت فقيهًا محدثًا غير واحد ، فقلت من هو ؟ فقال : ابن شهاب الزهري .

وعنه أنه قال : إن هذا الحديث دينٌ فانظروا عمّن تأخذون دينكم والله لقد أدركت هاهنا ، وأشار إلي مسجد رسول الله ﷺ سبعين رجُلاً كلُّهم يقول ، قال فلان ، قال رسول الله ﷺ ، فلم آخذ عن أحد منهم حرفًا لأنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن ، ولقد قدم

علينا محمد بن شهاب الزهري وهو شابٌ فازدحمنا على بابه لأنه كان من أهل هذا الشأن.

وقال أيوب : ما رأيت أحدًا أعلمَ من الزهري ، فقال صخر بن جويرية : ولا الحسن؟ قال : ما رأيت أحدًا أعلم من الزهري .

وعن جعفر بن ربيعة قال : قلت لعراك بن مالك : من أفقه أهل المدينة ؟ قال: أما أعلمهم بقضايا رسول الله ﷺ وقضايا أبي بكر وعمر وعثمان وأفقههم فقهًا وأعلمهم بما مضى من أمر الناس فسعيد بن المسيَّب ، وأما أغزرهم حديثًا فعروة ابن الزبير ولا تشاءُ أن تفجِّر من عبيد الله بن عبد الله بحرًا إلا فجرته . قال عراك : فأعلمهم عندي جميعًا ابن شهاب فإنه جمع علمهم جميعًا إلي علمه.

وعن معمر ، قال رجل من قريش : قال لنا عمر بن عبد العزيز : أتأتون الزهري ؟ قلنا: نعم . قال : فأتوه ؛ فإنه لم يبقَ أحدٌ أعلم بسنّةٍ ماضيةٍ منه . قال : والحسن ونظراؤه يومئذٍ أحياء .

وقال سفيان : مات الزهري يوم مات وليس أحد أعلم بالسنّة منه . وعن ابن شهاب أنه كان يقول : ما استودعت قلبي شيئًا قطُّ فنسيته .

وعن الليث قال : ما رأيت عالمًا قط أجمع من ابن شهاب ولا أكثر علمًا منه ، ولو سمعت ابن شهاب يحدِّث في الترغيب لقلت : لا يحسن إلا هذا ، وإن حدَّث عن الأنبياء وأهل الكتاب لقلت : لا يُحسن إلا هذا ، وإن حدَّث عن الأعراب والأنساب لقلت : لا يحسن إلا هذا . وإن حدَّث عن القرآن والسنة كان حديثه جامعًا .

وعن مالك بن أنس قال : أول من دوَّن العلم ابنُ شهابٍ .

وعن الزهري قال : ما استعدتُ حديثًا قطُّ ولا شككت في حديثٍ قط إلا حديثًا واحدًا فسألت صاحبي فإذا هو كما حفظت .

وعن يونس بن يزيد قال : سمعت الزهري يقول : إن هذا العلم إن أخذته بالمكابرة غلبك ، ولم تظفر منه بشيء ، ولكن خُذْه مع الأيام والليالي أخذًا رفيقًا تظفر به .

وعن سفيان قال : سمعت الزهري يقول : العلم ذكر لا يحبُّه إلا الذُّكورَ من الرجال.

وعن معمر ، عن الزهري قال : ما عُبِدَ اللهُ بشيءٍ أفضلَ من العلم .

وعن عمرو بن دينار قال : ما رأيت أَحَدًا أهون عليه الدينارُ والدرهمُ من ابن شهابٍ ، وما كانت عنده إلا مثل البعر .

وعن عقيل بن خالد ، عن ابن شهاب أنه كان يكون معه في السفر . قال : فكان

يعطي من جاءه وسأله حتى إذا لم يبق معه شيءٌ تسلَّف من أصحابه فلا يزالون يسلفونه حتى لا يبقى معهم شيء ، فيحلفون أنه لم يبق معهم شيء فيستسلف من عبيده فيقول : أي فلان أسلفني وأضعف لك كما تعلم فيسلفونه ولا يرى بذلك بأسًا فربما جاءه السائل فيقول : أبشر ، فسيأتي اللهُ بخيرٍ . فيقيّض الله لابن شهاب أحد رجلين إما رجل يهدي له ما يسعهم ، وإما رجل يبيعه وينظره ، قال: وكان يطعمهم الثريد ويسقيهم العسل .

أسند ابن شهاب عن : ابن عمر ، وأنس بن مالك ، وسهل بن سعد ، والسائب بن يزيد ، وعبد الله بن ثعلبة ، وأبي أمامة بن سهل بن حنيف ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة، وعبد الرحمن بن أزهر ، ومحمود بن الربيع ومحمود بن لبيد ، ومسعود بن الحكم ، وكثير ابن العباس ، وسُنَيْنٍ أبي جميلة ، وأبي مُوَيْهبة ، وأبي الطفيل في آخرين من الصحابة ، ويذكر أنه رأى ابن الزبير ، والحسن والحسين ، وسمع منهم .

قال الواقدي : ولد الزهري في سنة ثمان وخمسين في آخر خلافة معاويةَ ، وهي السنة التي ماتت فيها عائشةُ ومرض وأوصى أن يُدفن على قارعة الطريق ، ومات لسبع عشرة خلت من رمضان سنة أربع وعشرين ومائةٍ ، وهو ابن خمس وسبعين سنة .

قال الحسن بن المتوكل : رأيت قبره بِأَدامى ، وهي أول عمل فلسطين وآخر عمل الحجاز - رحمه الله .

١٧٩ ـ محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير بن محرز ابن عبد العزّى بن عامر بن الحارث بن حارثة بن سعد ابن تيم بن مرة يكنى أبا عبد الله أمه أم ولد

عن الزبير بن بكار قال : جاء المنكدر بن عبد الله إلى عائشةَ أمِّ المؤمنين فشكا إليها الحاجة فقالت : أول شيء يأتينى أبعث به إليك فجاءتها عشرة آلاف درهم فقالت : سُرَعَ ما امتحنت به يا عائشة . وبعثت بها إليه فاتخذ منها جاريةً فولدت له بنيه : محمدًا وأبا بكر وعمر . وكلُّهم يذكر بالصلاح والعبادة ، ويحمل عنه الحديث [١] .

وعن أبي معشر قال : دخل المنكدر على عائشة فقالت : لك ولد ؟ قال : لا . فقالت: لو كان عندي عشرة آلاف درهم لوهبتها لك . قال : فما أمست إلا بعث إليها معاوية بمال فقالت : ما أسرع ما ابتُليت ، وبعثت إلى المنكدر بعشرة آلاف فاشترى منها جاريةً فهي أمُّ محمدٍ وعمُرَ وأبي بكر .

---

(١) انظر : الحلية (٣/١٤٦) ، وسير الأعلام (٥/٣٥٣) .

قال الشيخ - رحمه الله : وإنما شكا المنكدر إلى عائشة للقرابة التي بينهما ؛ فإنه من ولد حارثةَ بنِ سعد بن تيم ، وأبو بكر - رضي الله عنه - من ولد كعب بن سعد بن تيم .

وعن الحارث بن الصواف قال : قال محمد بن المنكدر : كابدتُ نفسي أربعين سنةً حتى استقامت .

وعن سفيان قال : كان محمد بن المنكدر ربما قام من الليل يصلّي ويقول : كم من عينٍ الآن ساهرة في رزقي .

وكان له جار مبتلىً فكان يرفع صوته من الليل يَصيح ، وكان محمد يرفع صوته بالحمد. فقيل له في ذلك فقال : يرفع صوته بالبلاء وأرفع صوتي بالنعمة .

يحيى بن الفضل الأبيسي قال : سمعت بعض من يذكر عن محمد بن المنكدر أنه بينا هو ذات ليلةٍ قائمٌ يصلّي إذا استبكى فكثر بكاؤه حتى فزع له أهله فسألوه: ما الذي أبكاك؟ فاستعجمَ عليهم ، فتمادى في البكاء فأرسلوا إلى أبي حازم وأخبروه بأمره ، فجاء أبو حازم إليه فإذا هو يبكي فقال : يا أخي ما الذي أبكاك قد رعت أهلك ؟ فقال له: إني مرَّت بي آيةٌ من كتاب الله - عز وجل - . قال : ما هي ؟ قال : قول الله - عز وجل - ﴿ **وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون** ﴾ [1] قال : فبكى أبو حازم معه واشتدَّ بكاؤهما . قال : فقال بعض أهله لأبي حازم : جئنا بك لتفرّج عنه فزدته . قال: فأخبرهم ما الذي أبكاهما .

وعن عمر بن محمد بن المنكدر قال : كنت أمسك على أبي المصحف ، قال : فمرَّت مولاةٌ له فكلمها فضحك إليها .ثم أقبل يقول : إنّا لله إنا لله حتى ظننت أنه قد حدث شيء. فقلت : ما لك ؟ فقال : أما كان لي في القرآن شُغل حتى مرّت هذه فكلمتها .

وعن محمد بن سوقة ، عن محمد بن المنكدر قال : إن الله تعالى يحفظ المؤمن في ولده وَوَلَد ولده ، ويحفظه في دُويرته وفي دُويرات حوله ، فما يزالون في حفظٍ وعافيةٍ ما كان بين أظهرهم .

وعن سفيان قال : صلَّى ابنُ المنكدر على رجلٍ فقيل له تصلي على فلان ؟ فقال : إني أستحى من الله - عز وجل - أن يعلم مني أنّ رحمته تعجز عن أحدٍ من خلقه .

وعن أبي معشر قال : بعث محمد بن المنكدر إلى صفوان بن سليم بأربعين دينارًا ثم قال لبنيه : يا بنيَّ ما ظنكم برجلٍ فرّغ صفوان لعبادة ربه - عز وجل .

---

(١) سورة الزمر آية : ٤٧ .

وعن عبد الله بن المبارك قال : قال محمد بن المنكدر : بات عمر ، يعنى أخاه ، يصلي وبتُّ أغمز رجل أمي وما أحبّ أن ليلتي بليلته .

وعن جعفر بن سليمان ، عن محمد بن المنكدر أنه كان يضع خدّه بالأرض ثم يقول لأمه : قومي ضعي قدمك على خدي .

وعن محمد بن سوقة قال : سمعت محمد بن المنكدر يقول : نعم العون على تقوى الله - عز وجل - الغني .

قال سفيان بن عيينة : قيل لمحمد بن المنكدر : أيُّ العمل أحب إليك ؟ قال : إدخال السرور على المؤمن ، قيل : فما بقي من لذّتك ؟ قال : الإفضال على الإخوان .

وعن عبد العزيز بن يعقوب الماجشون ، أخي يوسف ، قال : قال أبي : إن رؤية محمد ابن المنكدر تنفعني في ديني .

وعن سفيان بن عيينة قال : قال محمد بن المنكدر : الفقيه يدخل بين الله - عز وجل - وبين عباده ، فلينظر كيف يدخل .

أسند محمد بن المنكدر عن : ابن عمر ، وأبي قتادة ، وجابر ، وأبي هريرة ، وابن عباس ، وأنس ابن مالك ، وأميمة بنت رقيقة .

وروى عن كبار التابعين كالحسن ، وعروة ، وسعيد بن جبير ، والزهري ، وأبي حازم، ويحيى ابن سعيد ، وأيوب ، ويونس بن عبيد ، في خلقٍ يطول ذكرهم .

(ذكر وفاته - رضي الله عنه)

عن عكْرمة عن محمد بن المنكدر أنه جزع عند الموت فقيل له : لم تجزع ؟ قال : أخشى آيةً من كتاب الله - عز وجل - ، قال الله - عز وجل - : ﴿**وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون**﴾ (1) فإني أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أكن أحتسب.

وعن ابن زيد قال : أتى صفوان بن سليم إلي محمد بن المنكدر وهو في الموت فقال : يا أبا عبد الله كأني أراك قد شقَّ عليك الموت ؟ قال : فما زال يهوّن عليه الأمر وينجلي عن محمد حتى لكأن في وجهه المصابيح ، ثم قال له محمد : لو ترى ما أنا فيه لقرَّت عينك ، ثم قضى - رحمه الله .

توفي محمد بن المنكدر بالمدينة سنة ثلاثين أو إحدى وثلاثين ومائة .

١٨٠ - عمر بن المنكدر

عن نافع بن عمر قال: قالت أم عمر بن المنكدر لعُمر : إني أشتهي أن أراك نائمًا . فقال: يا أماه والله إن الليل ليرد عليَّ فيهولني فينقضي عني وما قضيت منه أربَي .

---

(1) سورة الزمر آية : ٤٧ .

وعن سالم أبي بسطام قال : كان عمر بن المنكدر لا ينام الليل يُكثر البكاء على نفسه فشقّ ذلك علي أمه فقالت لأخيه محمد بن المنكدر : إن الذي يصنع عمر يشقّ عليّ فلو كلّمته في ذلك ، فاستعان عليه بأبي حازم فقالا له : إن الذي تصنع يشق على أمك . قال : فكيف أصنع ؟ إن الليل إذا دخل عليّ هالني فأستفتح القرآن وما تنقضي نَهْمتي فيه . قالا: فالبكاء ؟ قال : آية من كتاب الله أبكتني . قالا : وما هي ؟ قال : قوله - عز وجل - ﴿ **وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون** ﴾ .

وعن عبد الرحمن بن حفص القرشي قال : بعث بعض الأمراء إلى عمر بن المنكدر بمالٍ فجاء به الرسول فوضعه بين يديه فجعل عمر ينظر إليه ويبكي ثم جاء أبو بكر فلما رأى عمرَ يبكي جلس يبكي لبكائه ثم جاء محمد فجلس يبكى لبكائهما ، فاشتد بكاؤهم جميعًا ، فبكى الرسول أيضًا لبكائهم ، ثم أرسل إلى صاحبه فأخبره بذلك فأرسل ربيعة ابن أبي عبد الرحمن ليستعلم علم ذلك البكاء، فجاء ربيعة فذكر ذلك لمحمد فقال محمد: سلْه فهو أعلم ببكائه فاستأذن عليه ربيعة فقال: يا أخي ما الذي أبكاك من صلة الأمير ؟ قال : والله إني خشيت أن تغلب الدنيا على قلبي فلا يكون للآخرة فيه نصيبٌ فذلك الذي أبكاني قال : وأمر بالمال فتصدق به على فقراء أهل المدينة، قال : فجاء ربيعة فأخبر الأمير بذلك فبكى وقال : هكذا يكون والله أهل الخير - رحمه الله .

١٨١ ـ سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف

يكنى أبا إسحاق ولي قضاء المدينة

عن شعبة قال : كان سعد يصوم الدهر ويقرأ القرآن في كل يوم وليلة .

وعن عبيد الله بن سعد الزهري قال : قال عمّي عن أبيه ، قال : سَرَد أبي سعد بن إبراهيم الصوم أربعين سنة .

وعن مسعر عن سعد بن إبراهيم قال: قيل له من أفقه أهل المدينة ؟ قال : أتقاهم لربه. وعن ابن سعد بن إبراهيم قال : كان أبي يحتبي فما يحلّ حبوته حتى يقرأ القرآن.

وعنه قال : كان أبي سعد بن إبراهيم إذا كانت ليلة إحدى وعشرين وثلاث وعشرين، وخمس وعشرين ، وسبع وعشرين ، وتسع وعشرين لم يفطر حتى يختم القرآن وكان يفطر فيما بين المغرب والعشاء الآخرة . وكان كثيرًا إذا أفطر يرسلني إلى مساكين فيأكلون معه - رحمه الله .

أسند سعد بن إبراهيم عن : عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وأنس بن مالك ، ومحمد بن حاطب ، وسهل بن حنيف ، ورأى ابن عمر .

وروى عن أبيه سلمة وابن المسيب في خلقٍ كثيرٍ من كبار التابعين .

وروى عنه من التابعين : أيوب ويحيى بن سعيد .

وتوفي بالمدينة سنة سبع وعشرين ومائةٍ ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة - رحمه الله .

١٨٢ ـ عبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان رحمهم الله (١)

روى عن أبيه .

عن مصعب بن عثمان قال : كان عبد الرحمن بن أبان يشترى أهل البيت ثم يأمر بهم فيكسون ويدهنون ثم يعرضون عليه فيقول : أنتم أحرار لوجه الله أستعين بكم على غمرات الموت . قال : فمات وهو قائم في مسجده يصلّي السبحة ، يعني الضحى .

١٨٣ ـ ربيعة بن أبي عبد الرحمن (٢)

واسم أبي عبد الرحمن فروخ مولى آل المنكدر ، ويكنى ربيعة أبا عثمان . ويقال أبا عبد الرحمن .

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز بالإسناد عن مشيخة أهل المدينة أن فرّوخًا أبا عبد الرحمن أبا ربيعة خرج في البعوث إلى خراسان أيام بني أمية غازيًا وربيعة حمل في بطن أمه وخلف عند زوجته أمِّ ربيعة ثلاثين ألف دينارٍ . فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة وهو راكبٌ فرسًا وفي يده رمح فنزل عن فرسه ثم دفع الباب برمحه فخرج ربيعة فقال له: يا عدو الله أتهجم على منزلي ؟ فقال : لا ، وقال فرّوخ : يا عدو الله أنت رجل دخلت على حرمي فتواثبا وتلبّب كل واحدٍ منهما بصاحبه حتى اجتمع الجيران فبلغ مالك بن أنس والمشيخة فأتَوْا يعينون ربيعة فجعل ربيعة يقول : والله لا فارقتك إلا عند السلطان وجعل فرّوخ يقول : والله فلا فارقتك إلا عند السلطان وأنت مع امرأتي . وكثر الضجيج فلما بصروا بمالك: سكت الناس كلُّهم . فقال مالك : أيها الشيخ لك سعة في غير هذه الدار . فقال الشيخ : هي داري وأنا فروخ مولى بني فلان . فسمعت امرأته كلامه فخرجت فقالت: هذا زوجي ، وهذا ابنه الذى خلَّفه وأنا حامل به فاعتنقا جميعًا وبكيا فدخل فروخ المنزل فقال : هذا ابني ؟ قالت : نعم ، قال : فأخرجي المال الذي عندك وهذه معي أربعة آلاف دينار ، فقالت : المال قد دفنته وأنا أخرجه بعد أيام .

فخرج ربيعة إلي المسجد وجلس في حلقته وأتاه مالك بن أنس ، والحسن بن زيد ، وابن أبي علي اللهبي ، والمساحقي ، وأشراف المدينة وأحدق الناس به فقالت امرأته : اخرج فصلِّ في مسجد رسول الله ﷺ فخرج فنظر إلي حلقةٍ وافرةٍ ، فأتاه فوقف عليه

---

(١) انظر : سير الأعلام (٥/ ١٠) .

(٢) انظر : الحلية (٣/ ٢٥٩) .

ففرّجوا له قليلاً ونكس ربيعة رأسه يوهمه أنه لم يره فقال : من هذا الرجل؟ فقالوا : هذا ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، فقال أبو عبد الرحمن : لقد رفع الله ابني ، فرجع إلي منزله فقال لوالدته : لقد رأيت ولدك في حالة ما رأيت أحدًا من أهل الفقه والعلم عليها. فقالت أمه : فأيّما أحبّ إليك : ثلاثون ألف دينار أو هذا الذي هو فيه من الجاه؟ قال : لا والله إلاّ هذا . قالت : فإني أنفقت المال كله عليه قال : فوالله ما ضيْعته .

وعن ابن زيد قال : مكث ربيعة دهرًا طويلاً عابدًا يصلي الليل والنهار ، فجالس القاسم فنطق بلب وعقل فكان القاسم إذا سئل عن شيء قال : سلوا هذا لربيعة .

وعن يحيى بن سعيد قال : ما رأيت أحدًا أفطن من ربيعة .

قال الليث : وقال لي عبيد الله بن عمر في ربيعة : هو صاحب معضلاتنا وأعلمنا وأفضلنا . وعن يحيى بن سعيد أنه قال : ما رأيت أحدًا أسدَّ عقلاً من ربيعة .

وعن سوار بن عبد الله قال : ما رأيت أحدًا أعلم من ربيعة الرأي قلت : ولا الحسن وابن سيرين ؟ قال : ولا الحسن وابن سيرين .

وعن يونس بن يزيد قال : رأيت أبا حنيفة عند ربيعة وكان مجهود أبي حنيفة أن يفهم ما يقول ربيعة .

وعن بكر بن عبد الله الشّرود الصنعاني قال : أتينا مالك بن أنس فجعل يحدثنا عن ربيعة الرأى فكنا نستزيده من حديث ربيعة . فقال لنا ذات يوم : ما تصنعون بربيعة ؟ هو نائم في ذاك الطاق . فأتينا ربيعة فأنبهناه فقلنا له : أنت ربيعة الذي يحدّث عنك مالكٌ ؟ قال : نعم. فقلنا له : كيف حظي بك مالكٌ ولم تحظ أنت بنفسك ؟ قال : أما علمتم أن مثقالاً من دولة خير من حمل علم .

قال الشيخ - رحمه الله : وكان السفاح قد أقدم عليه ربيعة الأنبار ليوليه القضاء فلم يفعل، وعرض عليه العطاء فلم يقبل .

وعن مالك قال : قال لي ربيعة حين أراد الخروج إلى العراق : إن سمعت أني حدثتهم شيئًا أو أفتيتهم فلا تعدّني شيئًا . فكان كما قال : لمّا قدمها لزم بيته فلم يخرج إليهم ولم يحدثهم بشيء حتى رجع قال مالك : لما قدم على أمير المؤمنين أبي العباس أمر له بجائزة فأبى أن يقبلها فأعطاه خمسة آلاف درهم ليشترى بها جاريةً فأبى أن يقبلها.

وعن سفيان قال : كان ربيعة بن أبي عبد الرحمن يومًا جالسًا فغطى رأسه ثم اضطجع فبكى فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : رثاء ظاهر وشهوة خفية .

وعن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال : لقد رأيت مشيخةً المدينة وإن لهم لَغَدائرَ

وعليهم الممصَّر والمورَّد في أيديهم مخاصر ، وفي أيديهم آثار الحنّاء في هيئة الفتيان ودين أحدهم أبعد من الثريا إذا أريد على دينه .

قال الشيخ : قد سمع ربيعة من أنس بن مالك والسائب ، بن يزيد ، وعامة التابعين من أهل المدينة .

وروى عنه : مالك والثوري وشعبة والليث بن سعد .

وقال أحمد بن حنبل : ربيعة بن أبي عبد الرحمن ثقة . وتوفي بالأنبار ، وقيل : بل رجع إلى المدينة فمات بها وذلك في سنة ستٍ وثلاثين ومائةٍ .

وعن مالك بن أنس قال : ذهبت حلاوةُ الفقه منذ مات ربيعة بن أبي عبد الرحمن .

١٨٤ ـ صفوان بن سُليم الزهري [١]

مولى حميد بن عبد الرحمن بن عوف يكنى أبا عبد الله .

عن عبد العزيز بن أبي حازم قال : عادَلني صفوان بن سليم إلى مكة فما وضَع جنبه في المحمل حتى رجَع .

وعن سليمان بن سالم قال : كان صفوان بن سليم في الصيف يصلّي بالليل في البيت، فإذا كان الشتاء صلّى في السطح لئلا ينام .

عن أبي ضمرة أنس بن عياض قال : رأيت صفوان بن سليم ولو قيل له غدًا القيامة، ما كان عنده مزيد على ما هو عليه من العبادة .

وعن أبي علقمة المديني قال : كان صفوان بن سليم لا يكاد يخرج من مسجد النبي ﷺ فإذا أراد أن يخرج بكى وقال : أخشى أن لا أعود إليه .

وعن محمد بن أبي منصور قال : قال صفوان بن سليم أُعطى الله عهدًا أن لا أضع جنبي على فراشٍ حتى ألحق بربي قال : فبلغني أن صفوان عاش بعد ذلك أربعين سنة لم يضع جنبه فلما نزَل به الموت قيل له : رحمك الله ألا تضطجع ؟ قال : ما وفيتُ لله بالعهد إذًا . قال : فأُسند فما زال كذلك حتى خرجت نفسه ، قال : ويقول أهل المدينة، إنه ثَفِنْت جبهته من أثر السجود .

وعن أبي مروان مولى بني تميم قال : انصرفت مع صفوان بن سليم من العيد إلى منزله فجاء بخبزٍ يابسٍ فجاء سائل فوقف على الباب وسأل فقام صفوان إلى كوّة في البيت فأخذ منها شيئًا فأعطاه فاتّبعت ذلك السائل لأنظر ما أعطاه . فإذا هو يقول : أعطاه الله أفضل ما أعطى أحدًا من خلْقه فقلت : ما أعطاك ؟ قال : أعطاني دينارًا .

---

(١) انظر : الحلية (٣/ ١٥٨) ، وسير الأعلام (٥/ ٣٦٤) .

وعن سفيان قال : جاء رجل من أهل الشام فقال : دلّوني على صفوان بن سليم ، فإني رأيته دخل الجنة فقلت : بأي شيء ؟ قال : بقميص كساه إنسانًا .

قال بعض إخوان صفوان : سألت صفوان عن قصة القميص قال : خرجت من المسجد في ليلةٍ باردةٍ فإذا رجل عُريان ، فنزعتُ قميصي فكسوته .

عن سعيد بن كثير بن يحيى قال : قدم سليمان بن عبد الملك المدينة وعمر بن عبد العزيز عامله عليها . قال : فصلى بالناس الظُّهر ثم فتح باب المقصورة واستند إلى المحراب واستقبل الناس بوجهه ، فنظر إلى صفوان بن سليم عن غير معرفة فقال : يا عمر من هذا الرجل ، ما رأيت سَمْتًا أحسن منه ؟ قال : يا أمير المؤمنين هذا صفوان بن سليم . قال : يا غلام كيس فيه خمسُ مائة دينار . فأتي بكيس فيه خمسُ مائةِ دينارٍ فقال لخادمه : ترى هذا الرجل القائم يصلي فوصفه للغلام حتى أثبتَه فخرج الغلامَ بالكيس حتى جلس إلى صفوان فلما نظر إليه صفوان ركع وسجد ثم سلم وأقبل عليه فقال : ما حاجتك ؟ قال : أمرني أمير المؤمنين ، وهو ذا ينظر إليك وإليَّ أن أدفع هذا الكيس وفيه خمسُ مائة دينارٍ إليك وهو يقول : استعنْ بهذا على زمانك وعلى عيالك . فقال صفوان للغلام : ليس أنا بالذي أرسلت إليه . فقال له الغلام : ألست صفوان بن سليم ؟ قال : بلى ، أنا صفوان بن سليم . قال : فإليك أرسلت . قال اذهب فاستثبت فإذا أثبتَّ فهلم . فقال الغلام : فأمسك الكيس معك وأذهبُ . قال : لا ، إذا أمسكتُ كنتُ قد أخذتُ ، ولكن اذهب فاستثبتْ فأنا هاهنا جالس فولّى الغلام فأخذ صفوان نعليْه وخرج فلم يُرَ بها حتى خرج سليمان من المدينة .

أبو مصعب قال لي ابن أبي حازم : دخلت أنا وأبي نسأل عنه ، يعني صفوان بن سليم وهو في مصلاّه فما زال به أبي حتى ردّه إلى فراشه فأخبرتْني مولاته أنْ ساعة خرجتُم مات .

أسند صفوان بن سليم عن : ابن عمر ، وجابر بن عبد الله ،وعبد الله بن جعفر ، وسهل ابن حنيف في آخرين ، وسمع من كبار التابعين كسعيد بن المسيب ، وأبي سلمة، وعروة ، وسالم وعكرمة وطاووس في خلقٍ كثير .

عن أبي بكر بن صدقة قال : ذُكر لأحمد بن حنبل صفوان بن سليم وقلّةُ حديثه وأشياءُ خولف فيها . فقال : هذا رجل إنما كان يُستشفَى بحديثه ويُستنزل القَطْرُ بذكْره ـ توفي صفوان بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين ومائة .

١٨٥ ـ أبو حازم سلمة بن دينار الأعرج مولى لقوم من بني ليث بن بكر

عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : ما رأيت أحدًا الحكمةُ إلي فيه أقربُ من أبي حازم .

وعن سفيان قال : قيل لأبي حازم ما مالُك ؟ قال : ثقتي بالله - عز وجل - ويأسي مما في أيدي الناس .

وعن ثوابة بن رافع قال : قال أبو حازم : ما مضى من الدنيا فحُلْم وما بقي فأمانيّ .

وعن محمد مطرف قال : ثنا أبو حازم قال : لا يُحْسِن عبدٌ فيما بينه وبين الله إلا أحسن الله ما بينه وبين العباد ، ولا يُغْوِر فيما بينه وبين الله - عز وجل - إلا أعْوَر فيما بينه وبين العباد ، ولمصانَعةُ وجه واحد أيسرُ من مصانعة الوجوه كلها ، إنك إذا صانعت هذا الوجه مالت الوجوه كلُّها إليكَ، وإذا أفسدت ما بينك وبينه شَنَفتْك [1] الوجوه كلُّها.

وعن عمر بن سعيد بن حسين عن أبي حازم قال : إذا رأيت الله - عز وجل - يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه فاحذرْه .

محمد بن عبيد قال : أنا بعض أهل الحجاز قال : قال أبو حاتم : كلّ نعمة لا تقرّب من الله - عز وجل - فهي بليّة .

وعن أبي معشر قال : رأيت أبا حازم لم يقصَّ في المسجد ويبكي ويمسح بدموعه وجهه. فقلت : يا أبا حازم لم تفعل هذا ؟ قال : بلغني أن النار لا تصيب موضعًا أصابتْه الدموع من خشية الله تعالى .

وعن سفيان قال : قال أبو حازم : ينبغي للمؤمن أن يكون أشدَّ حفظًا للسانه منه لموضع قدميه .

وعن سعيد بن عامر قال : قال أبو حازم نعمة الله فيما زوي عني من الدنيا أفضل من نعمته فيما أعطاني منها .

وقال أبو حازم : إنْ وُقينا شرَّ ما أُعطينا لم نبال ما فاتَنا .

وقال ابن عُيينة : قال أبو حازم : إن كان يُغنيكْ من الدنيا ما يكفيك فأدنى عيشٍ من الدنيا يكفيك ، وإن كان لا يُغنيك ما يكفيك فليس شيء يكفيك .

وعن عبد الجبار بن عبد العزيز بن أبي حازم قال : حدثني أبي قال : بعث سليمان ابن عبد الملك إلى أبي حازم فجاءه فقال : يا أبا حازم ما لنا نكره الموت؟ قال : لأنكم أخربتم آخرتكمُ وعمرتُم دنياكم فأنتم تكرهون أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب . قال: صدقت، فكيف القدوم على الله - عز وجل ؟ قال : أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله وأما المسيء فكالآبق يقدم علي مولاه . فبكى سليمان وقال : ليت شعري ما لنا عند الله يا أبا حازم ؟ قال : اعرض نفسك على كتاب الله - عز وجل - فإنك تعلم ما لك

---

(١) أي : أبغضتك .

عند الله قال : يا أبا حازم وأنى أصيب ذلك ؟ قال : عند قوله : ﴿ **إنَّ الأبرار لفي نعيم وإنّ الفُجار لفي جحيم** ﴾ (١) فقال سليمان : فأين رحمة الله ؟ قال : ﴿ **قريبٌ من المحسنين** ﴾ (٢) قال : ما تقول فيما نحن فيه؟ قال : اعفني عن هذا . قال سليمان : نصيحة تلقيها . قال أبو حازم : إن أناسًا أخذوا هذا الأمر عَنْوةً من غير مشاورة من المسلمين ولا اجتماعٍ من رأيهم فسفكوا فيه الدماء على طلب الدنيا ثم ارتحلوا عنها فليت شعري ما قالوا وما قيل لهم ؟ فقال بعض جلسائه : بئس ما قلت يا شيخ . قال أبو حازم: كذبت ، إن الله تعالى أخذ على العلماء لَيبيُنُنَّه للناس ولا يكتُمونه . قال سليمان: اصحَبْنا يا أبا حازم تصبْ منّا ونُصبْ منك قال : أعوذ بالله من ذلك . قال : ولم ؟ قال : أخاف أن أركن إليكم شيئًا قليلاً فيذيقني ضعْفَ الحياة وضعْفَ الممات . قال : فأشر عليَّ . قال : اتق الله أن يراك حيث نهاك ، وأن يفقدك حيث أمرك . قال: يا أبا حازم ادعُ لنا بخير . قال : اللهم إنْ كان سليمان وليَّك فَيسِّرْه للخير ، وإن كان عدوَّك فخذ إلى الخير بناصيته . فقال : يا غلام هات مائة دينار . ثم قال : خذها يا أبا حازم . فقال : لا حاجة لي فيها إني أخاف أن يكون لما سمعت من كلامي .

فكأن سليمان أعجب بأبي حازم . فقال الزهرى : إنه لجاري منذ ثلاثين سنة ما كلّمته قط . قال أبو حازم : إنك نسيت الله فنسيتني ولو أحببت الله لأحببْتني. قال الزهري : أتشتمني ؟ قال سليمان : بل أنت شتمت نفسك . أما علمت أن للجار على جاره حقًا ؟ قال أبو حازم : إن بني إسرائيل لمّا كانوا على الصواب كانت الأمراء تحتاج إلى العلماء وكانت العلماء تفرّ بدينها من الأمراء فلما رأي ذلك قومٌ من أذلة الناس تعلموا ذلك العلْم وأتَوْا به إلى الأمراء فاستغنت به عن العلماء واجتمع القوم على المعصية فسقطوا وانتكسوا ولو كان علماؤنا يصونون علمهم لم تزل الأمراء تهابهم . قال الزهري : كأنك إياي تريد وبي تعرّض قال: هو ما تسمع .

وعن الذيال بن عبّاد قال : كتب أبو حازم الأعرج إلى الزهري : عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحالٍ ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمك : أصبحت شيخًا كبيرًا وقد أثقلتك نعَمُ الله عليك فيما أصحّ من بدنك وأطال من عمرك وعلمت حُجَج الله تعالى مما علّمك من كتابه ، وفقّهك فيه من دينه ، وفهّمك من سنة نبيه ﷺ فرمى بك في كل نعمة أنعمها عليك وكلّ حُجَّة يُحتَجّ بها عليك الغرض الأقصى ابتلى في ذلك شكرك وأبدًا فيه فضله عليك وقد قال - عز وجل - : ﴿ **لئن شكرتم لأزيدنّكم ولئن**

(١) سورة الانفطار آية : ١٣ ، ١٤ .

(٢) سورة الأعراف آية : ٥٦ .

كفرتُم إنّ عذابي لشديد ﴾ [(١)] فانظر أي رجل تكون إذا وقفتَ بين يدي الله - عز وجل - فسألك عن نعَمه عليك كيف رعيتها ؟ وعن حججه عليك كيف قضيتها ؟ فلا تحسبنّ الله - عز وجل - راضيًا منك بالتعذير ، ولا قابلاً منك التقصير هيهات ليس ذاك أخذَ على العلماء في كتابه إذ قال : ﴿ لَتُبيِّنُنَّه للناس ولا تكتُمونه ﴾ [(٢)] إنك تقول : إنك جَدلٌ ماهرٌ عالمٌ قد جادلت الناس فجدلتهم وخاصمتهم فخصمتهم إدلالاً منك بفهمك واقتدارًا منك برأيك فأين تذهب عن قول الله - عز وجل - : ﴿ ها أنتم هؤلاء جادَلْتُم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادلُ الله عنهم يوم القيامة ﴾ [(٣)] .

اعلم أن أدنى ما ارتكبت وأعظم ما احتقبت أن آنست الظالم وسهّلت له طريق الغي بدنوك حين أُدنيت وإجابتك حين دُعيت فما أخلقك أن ينوِّه غدًا باسمك مع الجَرَمة ، وأن تُسأل عما أردت بإغضائك عن ظُلم الظَّلَمة . إنك أخذت ما ليس لمن أعطاك ، جعلوك قطبًا تدور عليه رَحى باطلهم وجسْرًا يعبُرون بك إلى بلائهم وسُلَّمًا إلى ضلالتهم يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوبَ الجهّال إليهم ، فلم يبلغ أخصّ وزرائهم ولا أقوى أعوانهم لهم إلا دون ما بلغت من إصلاح فسادهم واختلاف الخاصة والعامة إليهم فما أيسر ما عمروا لك في جنْب ما خرّبوا عليك ، وما أقلّ ما أعطوك في قدْر ما أخذوا منك ، فانظر لنفسك فإنه لا ينظر لها غيرُك ، وحاسبْها حساب رجل مسؤول ، وانظر كيف شكْرَك لمن غذّاك بنعمه صغيرًا وكبيراً، وانظر كيف إعظامُك أمْرَ من جعلك بدينه في الناس مبجَّلا، وكيْف صيانتُك لكسْوة من جعلك بكسوته مستترًا ، وكيف قرْبك وبُعدك ممن أمرك أن تكون منه قريبًا ، ما لك لا تتنبه من نَعْستك . وتستقيل من عثرتك فتقول والله ما قمت لله - عز وجل - مقامًا واحدًا أحيي له فيه دينًا ولا أميت له فيه باطلاً ؟ أين شُكرك لمن استحملك كتابه واستودعك علمه ؟ ما يؤمنك أن تكون من الذين قال الله - عز وجل - ﴿فخلف من بعدهم خلْفٌ ورثوا الكتاب يأخذُون عرضَ هذا الأدنى ﴾ الآية [(٤)] إنك لست في دار مُقام قد أُوذنت بالرحيل فما بقاء المرء بعد أقرانه؟ طوبى لمن كان في الدنيا على وَجَلٍ ما يؤمن من أن يموت وتبقى ذنوبه من بعده ، إنك لم تؤمر بالنظر لوارثك على نفسك ، ليس أحد أهلاً أن ترد له على ظهرك . ذهبت اللذة وبقيت التّبعة ، ما أشقى من سعد بكسبه غيرهُ . احذر فقد أُتيت وتخلّصْ فقد وَهلت . إنك تعامل من لا يجهل والذي يحفظ عليك لا يغفل . تجهز فقد دنا منك سفرٌ بعيد وداوِ دينَك فقد دخله سقمٌ شديد ، ولا تحسبنّ أني أردت توبيخك

---

(١) سورة إبراهيم آية : ٧ .
(٢) سورة آل عمران آية : ١٨٧ .
(٣) سورة النساء آية : ١٠٩ .
(٤) سورة الأعراف آية : ١٦٩ .

وتعييرك وتعنيفك ، ولكني أردت أن تَنعَش ما فات من رأيك ، وتردّ عليك ما عزَب عنك من حلمك ، وذكرتُ قوله تعالى : ﴿**وذكّرْ فإنّ الذكرى تنفَعُ المؤمنين**﴾ [1] أغفلت ذكر من مضى من أسنانك وأقرانك وبقيت بعدهم كقَرْن أعْضَبَ ، فانظر هل ابتلُوا بمثل ما ابتُليت به أو دخلوا في مثل ما دخلت فيه ؟ وهل تراه دخر لك خيرًا مَنعُوه أو علّمك شيئًا جهلوه ؟ فإذا كانت الدنيا تبلغ من مثلك هذا في كبر سنك ورسوخ علمك وحضور أجلك فمن يلوم الحدَث في سنّه ، الجاهل في علمه ، المأفون في رأيه ، المدخول في عقله؟ ونحمد الذي عافانا مما ابتلاك به . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وعن محمد بن إسحاق الموصلي قال : قال أبو حازم : إن بضاعة الآخرة كاسدةٌ فاستكثروا منها في أوانِ كسادها ؛ فإنه لو جاء يومُ نفاقها لم تصل منها إلى قليلٍ ولا إلي كثيرٍ .

قال ابن أبي الحواري : وسمعت مروان بن محمد يقول : قال أبو حازم ويحك يا أعرجُ يدعى يوم القيامة بأهل خطيئة كذا وكذا فتقوم معهم ، ثم يُدعى بأهل خطيئة .

وعن عبد الرحمن بن جرير قال : سمعت أبا حازم يقول : عند تصحيح الضمائر تُغفر الكبائر ، وإذا عزم العبد على ترك الآثام أتته الفتوح .

وعن محمد بن مطرف قال : قال أبو حازم : ما في الدنيا شيء يسرك إلا وقد ألزق به شيء يسوءك .

وعن سعيد بن عبد الرحمن عن أبي حازم قال : إن العبد ليعمل الحسنة تسرُّه حين يعملها وما خلق الله من سيئة هي عليه أضرَّ منها ، وإن العبد ليعمل السيئة ثم تسوءه حين يعملها، وما خلق الله - عز وجل - من حسنة أنفع له منها ، وذلك أن العبد حين يعمل الحسنة يتجبّر فيها ويرى أن له فضلاً على غيره ، ولعل الله - عز وجل - يُحبطها ويحبط معها عملاً كثيرًا ، وإن العبد ليعمل السيئة تسوءه ولعل الله - عز وجل - يُحدث له فيها وجلاً فيلقى الله وإن خوفها لفي جوفه باقٍ .

وعن عون بن جرير قال : سمعت أبي يقول : كان أبو حازم يمرّ على الفاكهة فيقول: موعدُك الجنة .

وعن جُويرية بن أسماء قال : مر أبو حازم بجزّار فقال : يا أبا حازم خذ من هذا اللحم فإنه سمين ، قال : ليس معي درهم ، قال أُنْظِرُك . قال : أنا أُنظرُ نفسي .

وعن الفضل قال : قال حازم المَديني : وجدت الدنيا شيئين : فشيء منها هو لي فلن

(١) سورة الذاريات آية : ٥٥ .

أعجّله قبل أجله ولو طلبته بقوة السموات والأرض ، وشيء منها هو لغيري فلم أنله فيما مضى ، ولا أرجوه فيما بقي ، يُمنع الذي لي من غيري كما يُمنع الذي لغيري مني ، ففي أي هذين أفني عمري ؟ ووجدت ما أُعطيت من الدنيا شيئين فشيء يأتي أجله قبل أجلي فأغلب عليه ، وشيء يأتي أجلي قبل أجله فأموت وأخلفه لمن بعدي ، ففي أي هذين أعصي ربي - عز وجل ؟ .

وعن حفص بن ميسرة قال : قال أبو حازم : عجبًا لقوم يعملون لدارٍ يرحلون عنها كل يوم مرحلة ، ويدعون أن يعملوا لدارٍ يرحلون إليها كلّ يوم مرحلة .

وعن ابن عُيينة قال أبو حازم : إني لأعظ وما أرى له موضعًا وما أريد إلا نفسي ، وقال: لو أن أحدكم قيل له : ضع ثوبك على هذا الهوف حتى يُرمى لقال : ما كنتُ لأخرق ثوبي ، وهو يخرق دينه . وحلف أبو حازمُ لجلسائه : لوددت أنّ أحدكم يُبقي على دينه كما يُبقي على نعله .

وعن فُضَيل بن عياض قال : قال أبو حازم اضْمنُوا لي اثنين أضمنْ لكم الجنة : عملاً بما تكرهون إذا أحبَّه الله تعالي ، وتَرْك ما تحبّون إذا كرِهَه الله - عز وجل .

وعن يعقوب بن عبد الرحمن قال : سمعت أبا حازم يقول : يسيرُ الدنيا يشغَلُ عن كثير من الآخرة ، وقال : ما أحببت أن يكون معك في الآخرة فقدّمه اليوم ، وما كرهت أن يكون معك في الآخرة فاتركْه اليوم .

وقال : كل عمل تكره الموت من أجله فاتركْه ثم لا يضرّك متى مت . وقال : إنك لتجد الرجل يعمل بالمعاصي فإذا قيل له : أتحبّ أن تموت ؟ قال : يقول : وكيف ؟ وعندي ما عندي . فيقال له : أفلا تترك ما تعمل من المعاصي ؟ فيقول: ما أريد تركَه وما أحب أن أموت حتى أتركه .

وقال : شيئان إذا عملت بهما أصبتَ بهما خير الدنيا والآخرة : لا أطوّل عليك قيل: وما هما يا أبا حازم ؟ قال : تحمل ما تكره إذا أحبّه الله ، وتترك ما تحبّ إذا كرهه الله .

وعن محمد بن يحيى المازني قال : قال أبو حازم رضي الناسُ من العمل بالعلم ومن الفعل بالقول .

وعن سليمان بن سليمان العُمري قال : رأيت أبا جعفر القاري ، يعني في المنام ، على الكعبة فقلت له يا أبا جعفر قال : نعم أقريءْ إخواني مني السلام وأخبرهم أن الله - عز وجل - جعلني من الشهداء الأحياء المرزوقين ، وأقريء أبا حازم السلام وقل له : يقول لك أبو جعفر : الكَيْسَ الكَيْسَ فإن الله وملائكته يتراءوْن مجلسك بالعشيّات .

أسند أبو حازم عن : ابن عمر ، وسهل بن سعد ، وأنس بن مالك ، وقيل : إنه رأى أبا هريرة، وسمع من كبار التابعين كسعيد بن المسيب وأبي سلمة وعروة وغيرهم .

وتوفي في بعد سنة أربعين ومائة في خلافة المنصور .

ومن الطبقة الخامسة من أهل المدينة

١٨٦ ـ جعفر بن محمد بن على بن الحسين – عليهم السلام

يكنى أبا عبد الله . أمه : أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق . وكان مشغولاً بالعبادة عن حبِّ الرياسة .

وعن عمرو بن أبي المقدام قال : كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سُلالة النبيّين .

وعن مالك بن أنس قال : قال جعفر بن محمد لسفيان الثوري : يا سفيان إذا أنعم الله عليك بنعمة فأحببتَ بقاءها ودوامها فأكثرْ من الحمد والشكر عليها فإن الله – عز وجل – قال في كتابهَ ﴿**لئن شكرتُم لأزيدنّكم**﴾ [1] ، وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار فإن الله تعالى قال في كتابه ﴿ **استغفروا ربَّكم إنه كان غفّارًا يُرسل السماء عليكم مدْرارًا ويمُددْكم بأموال وبنين** ﴾ يعني في الدنيا ﴿ **ويجعلْ لكم جنات** ﴾ [2] في الآخرة يا سفيان إذا حَزبك أمر مّن سلطان أو غيره فأكثر من قول لا حول ولاً قوة إلا بالله ، فإنها مِفْتاح الفرج وكنز من كنوز الجنة .

وعن ابن أبي حازم قال : كنت عند جعفر بن محمد إذ جاءه آذنه فقال : سفيان الثوري بالباب ، فقال : ائذن له . فدخل فقال جعفر : يا سفيان إنك رجل يطلبك السلطان وأنا أتّقي السلطان ، قم فاخرج غير مطرود . فقال سفيان: حدّثني حتى أسمع وأقوم . فقال جعفر : حدَّثني أبي عن جدي أن رسول الله ﷺ قال : « من أنعم الله عليه نعمة فليْحمد الله ومن استبطأ الرزق فليستغفر الله، ومن حزبه أمر فليقُل : لا حول ولا قوة إلا بالله » . فلما قام سفيان قال جعفر : خذها يا سفيان ، ثلاث وأيّ ثلاث .

وعن الهياج بن بسطام قال : كان جعفر بن محمد يُطعِم حتى لا يبقى لعياله شيء .

وعن يحيى بن الفرات قال : قال جعفر بن محمد لسفيان الثوري : لا يتم المعروف إلا بثلاثة : بتعجيله وتصغيره وستره .

وسئل جعفر بن محمد : لِمَ حرَّم الله الربا ؟ قال : لئلا يتمانع الناسُ المعروف .

---

(١) سورة إبراهيم آية : ٧ . (٢) سورة نوح آية : ١٢ .

وعن بعض أصحاب جعفر الصادق قال : دخلتُ على جعفر وموسى بين يديه وهو يوصيه بهذه الوصية فكان مما حفظت منها أنْ قال :

يا بنيَّ اقبل وصيتي واحفظ مقالتي فإنك إن حفظتها تعش سعيدًا وتَمُتْ حميدًا ، يا بني إنه من قنع بما قسم الله له استغنى ، ومن مدَّ عينه إلى ما في يد غيره مات فقيراً ، ومن لم يرض بما قسم الله – عز وجل – له اتهم الله تعالي في قضائه ، ومن استصغر زلَّة نفسه استعظم زلة غيره ، ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه. يا بنيَّ من كشف حجاب غيره انكشف عورات بيته ، ومن سلَّ سيف البغي قتل به، ومن احتفر لأخيه بئرًا سقط فيها ، ومن داخل السفهاء حُقِّرَ ، ومن خالط العلماء وُقِّر ، ومن دخل مداخل السوء اتُّهِم. يا بني قل الحق لك وعليك ، وإياك والنميمة فإنها تزرع الشحناء في قلوب الرجال ، يا بني إذا طلبت الجود فعليك بمعَادنه .

وعن أحمد بن عمرو بن المقدام الرازي قال : وقع الذباب على المنصور فذبه عنه ، فعاد فذبه حتى أضجره . فدخل جعفر بن محمد فقال له المنصور : يا أبا عبد الله لِمَ خلق الله – عز وجل – الذباب ؟ قال : ليُذِلَّ به الجبابرة .

وعن الحسن بن سعيد اللخْمي عن جعفر بن محمد قال : من لم يغضب من الجفوة لم يشكر النعمة .

وعن الحرمازي قال : كان رجل من أهل السواد يلزم جعفر بن محمد ففقده فسأل عنه فقال له رجل : إنه نَبَطي . يريد أن يضع منه فقال جعفر : أصل الرجل عقله ، حسبُه دينه، وكرمه تقواه ، والناس في آدام مستوون .

وعن سفيان الثوري قال : سمعت جعفر بن محمد الصادق يقول : عزت السلامة حتى لقد خفي مطلبها ، فإن تكن في شيء فيوشك أن تكون في الخمول، فإن طُلبت في الخمول ولم توجد فيوشك أن تكون في التخلي ، وليس كالخمول ، فإن طُلبتْ في التخلي ولم توجد فيوشك أن تكون في الصمت وليس كالتخلي ، فإن طُلبت في الصمت فلم توجد فيوشك أن تكون في كلام السلف الصالح ، والسعيدُ من وجد في نفسه خلوة يشتغل بها .

وعن عبد الله بن الفضيل بن الربيع عن أبيه ولم يحفظ على الدعاء وبعضه عن غيره قال : حج أبو جعفر سنة سبع وأربعين ومائة فقدم المدينة وقال : ابعثْ إلى جعفر بن محمد من يأتينا به تعبًا ، قتلني الله إن لمْ أقتله . فتغافل عنه الربيع لينساه . ثم أعاد ذكره للربيع وقال : أرسل إليه من يأتي به متعبًا . فتشاغل عنه . ثم أرسل إلى الربيع برسالة قبيحة في جعفر وأمره أن يبعث إليه ففعل . فلما أتاه قال له : يا أبا عبد الله

اذْكر الله فإنه قد أرسل إليك التي لا سوى لها قال جعفر : لا حول ولا قوة إلا بالله . ثم أعلم أبا جعفر حضوره . فلما دخل أوعده وقال : أيْ عدوّ الله اتخذك أهل العراق إمامًا يجبون إليك زكاة أموالهم وتلحد في سلطاني وتبغيه الغوائل ؟ قتلني الله إن لم أقتلك . فقال : يا أمير المؤمنين إن سليمان - عليه السلام - أُعطى فشكر ، وإن أيوب ابتُلي فصبر، وإن يوسف ظُلم فغفر ، وأنت من ذلك السِّنْخ فقال له أبو جعفر : إليّ وعندي، أبا عبد الله، البريء الساحة ، السليم الناحية ، القليل الغائلة ، جزاك الله من ذي رحمٍ أفضل ما جزى ذوي الأرحام عن أرحامهم .

ثم تناول يده فأجلسه معه على فراشه ثم قال : عليَّ بالمنجفة فأتي بدُهن فيه غالية فغلفه بيده حتى خلت لحيته قاطرة . ثم قال : في حفظ الله وفي كلاءته . ثم قال : يا ربيع ألحق أبا عبد الله جائزته وكسوته ، انصرفْ أبا عبد الله في حفظ الله وفي كنفه . فانصرف ولحقتُه فقلت له : إني قد رأيت قبل ذلك ما لم تره ، ورأيت بعد ذلك ما قد رأيت ، فما قلت يا أبا عبد الله حين دخلت ؟ قال: قلت : اللهم احْرُسْني بعينك التي لا تنام ، واكنُفني بركْنك الذي لا يُرام واغفر لي بقُدْرَتك عليَّ لا أهلك وأنت رجائي . اللهم إنك أكبر وأجلّ ممن أخاف وأحذر ، اللهم بك أدفع في نحره وأستعيذ بك من شرّه .

وعن الليث بن سعد قال : حججت سنة ثلاث عشرة ومائة فأتيت مكة فلما أن صليت العصر رقيت أبا قُبيس فإذا أنا برجل جالس وهو يدعو فقال : يا ربّ يا ربّ . حتى انقطع نفسه . ثم قال : يا ربّاه . حتى انقطع نفسه . ثم قال : يا رب حتى انقطع نفسه. ثم قال: يا ألله يا ألله . حتى انقطع نفسه . ثم قال : يا حيٌّ يا حيّ . حتى انقطع نفسه . ثم قال : يا رحيمُ . حتى انقطع نفسه ، ثم قال : يا أرحمَ الراحمين . حتى انقطع نفسه . سبع مرات . ثم قال : اللهم إني أشتهي من هذا العنب فأطعمْنيه . اللهم إن بُرديَّ قد أخلقا . قال الليث : فوالله ما استتمّ كلامه حتى نظرت إلي سَلّة مملوءة عنبًا وليس على الأرض يومئذ عنب ، وبُردين موضوعين ، فأراد أن يأكل فقلت : أنا شريكك. فقال لي : تقدَّم وكُل ولا تأخذ منه شيئًا . فتقدمت فأكلت شيئًا لم آكل مثله قطُّ وإذا عنب لا عَجَم له فأكلتْ حتى شبعت ، والسلّة بحالها . ثم قال لي : خذ أحب البُردين إليك فقلت له : أما البُردان فأنا غنيّ عنهما . فقال لي : توار عنيّ حتى ألبسهما. فتواريت عنه فارتدى أحدهما واتئزر الآخر . ثم أخذ البُردين اللذين كانا عليه فجعلهما على عاتقه فنزل فاتبّعته حتى إذا كان بالمسعى لقيه رجل فقال : اكسُني كساك الله يا ابْنَ رسول الله ، فدفعهما إليه . فلحقتُ الرجل فقلت له : من هذا ؟ قال : جعفر ، قال : ابن محمد ! قال الليث : فطلبته لأسمع منه فلم أجده .

أسند جعفر بن محمد عن : أبيه ، وعن عطاء بن أبي رباح ، وعكرمة في آخرين .

وروى عنه من التابعين جماعة منهم : أيوب السِّخْتِياني ، ومن الأئمة مالك والثوري وشُعبة في آخرين .

وتوفي بالمدينة سنة ثمانٍ وأربعين ومائة - رحمه الله .

١٨٧ - محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب

عن محمد بن عمر قال : كان محمد بن عبد الرحمن يكنى أبا الحارث . ولد في سنة ثمانين عام الجُحَاف ، وكان من أورع الناس وكانوا يرمونه بالقدر وما كان قدريًا . وكان يصلي الليل أجمع .

وأخبرني أخوه قال : كان يصوم يومًا ويفطر يومًا فوقعت الرّجفة بالشام فقدم رجل من أهل الشام فحدّثه عن الرجفة وكان يوم إفطاره فقلت له : قم تغذي ، قال : دعه اليوم فسرد الصوم من ذلك اليوم إلى أن مات وكان يتعشى بالخبز والزيت وله طيلسان وقميص يشتُو فيه ويصيف ، ويحفظ حديثه كله .

ودخل على عبد الصمد بن علي وهو والي المدينة فكلمه في شيء فقال له عبد الصمد: إني لأراك مُرائيًا فأخذ عودًا أو شيئًا من الأرض فقال : من أُرائي ؟ فوالله للناسُ عندي أهْون من هذا .

وحج أبو جعفر فدعا ابن أبي ذئب فقال : نشدتُك بالله ألستُ أعمل بالحق ؟ أليس تراني أعدل ؟ فقال ابن أبي ذئب : أما إذا نشدتني بالله فأقول : اللهم لا، ما أراك تعدل، وإنك لجائر وإنك لتستعمل الظلمة وتدعُ أهل الخير .

قال محمد بن عمر : فحدثني محمد بن إبراهيم وإبراهيم بن يحيى وأُخبرت عن عيسى بن علي ، قالوا : فظننّا أن أبا جعفر سيعالجه فجعلنا نكفّ إلينا ثيابنا مخافة أن يصيبنا من دمه . فجزع أبو جعفر واغتّم وقال له : قم فاخرج .

ومات ابن أبي ذئب فدُفن بالكوفة سنة تسع وخمسين ومائة وهو ابن تسع وسبعين .

وعن أحمد بن علي الحافظ قال : سمع ابن أبي ذئب من عِكْرمة ، ونافع ، وسعيد المقبري ، وأبي الزناد ، ومحمد بن المنكدر ، والزُّهري وغيرهم .

وكان فقيهًا صالحًا يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ، أقدمه المهدي بغداد فحدّث بها ثم رجع يريد المدينة فمات بالكوفة .

وقال أحمد بن حنبل : كان ابن أبي ذئب يشبَّه بسعيد بن المسيِّب . قيل لأحمد : خلّف مثله ببلاده ؟ قال : لا ، ولا بغيرها .

١٨٨ ـ مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير أبو عبد الله القرشي

عن الزبير بن بكار قال : كان مصعب بن ثابت من أعبد أهل زمانه صام خمسين سنة .

قال الزبير : وحدثني يحيى بن مسكين قال : ما رأيت أحدًا قطُّ أكثر ركوعًا وسجودًا من مصعب بن ثابت ، كان يصلّي في كل يوم وليلة ألف ركعة ويصوم الدهر .

قال محمد بن سعد : توفي مصعب بن ثابت سنة سبعٍ وخمسين ومائةٍ - رحمه الله .

ومن الطبقة السادسة من أهل المدينة

١٨٩ ـ مالك بن أنس بن مالك ابن أبي عامر الأصبحي

عن محمد بن عمر قال : سمعت مالك بن أنس يقول : قد يكون الحَمْل ثلاثَ سنين وقد حُمل ببعض الناس ثلاثَ سنين ، يعني نفسه . قال : وسمعت غير واحد يقول : حُمل بمالك ثلاث سنين .

وعن مطرف بن عبد الله قال : كان مالك بن أنس طويلاً عظيم الهامة أصلع أبيض الرأس واللحية ، شديد البياض إلى الشُقْرة . ولباسُه الثياب العدَنيّة الجياد ويكره حلْق الشارب ويعيبه ويراه من المُثَل .

وعن أبي مصعب قال : سمعت مالك بن أنس يقول : ما أفتيت حتى شهِد لي سبعون أني أهلٌ لذلك .

وعنه قال : ما أجبت في الفُتْيا حتى سألت من هو أعلم مني : هل يراني موضعًا لذلك ؟ سألت ربيعة وسألت يحيى بن سعيد فأمراني بذلك فقلت : يا أبا عبد الله فلو نَهوْك ؟ قال : كنتُ أنتهي ، لا ينبغي للرجل أن يرى نفسه أهلاً لشيء حتى يسأل من هو أعلم منه .

وقال خلف : دخلت على مالك بن أنس فقال لي : انظر ما تحت مُصلاي أو حصيري فنظرت فإذا بكتاب فقال : اقرأه فإذا فيه رؤيا رآها له بعضُ إخوانه . فقال: رأيت النبي ﷺ في المنام في مسجده وقد اجتمع الناس عليه فقال لهم : إني قد خبأت لكم تحت منبري طيبًا أو علمًا وأمرت مالكًا أن يفرِّقَه على الناس . فانصرف الناس وهم يقولون إذًا يُنفذُ مالك ما أمره به رسول الله ﷺ . ثم بكى فقمت عنه .

وعن ابن أبي أوَيس قال : كان مالك إذا أراد أن يُحدِّث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرَّح لحيته وتمكن في الجلوس بوقارٍ وهيبةٍ ثم حدَّث . فقيل له في ذلك ، فقال:

أحبُّ أن أعظِّم حديثَ النبيِّ ﷺ ولا أحدِّث به إلا على طهارة متمكّنًا . وكان يكره أن يحدِّث في الطريق وهو قائمٌ أو مستعجل . فقال : أحب أن يُفهم ما أحدِّث به عن رسول الله ﷺ .

قال إبراهيم بن المنذر : سمعت معن بن عيسى يقول : كان مالك بن أنس إذا أراد أن يحدث بحديث رسول الله ﷺ اغتسل وتبخّر وتطيّب ، وإذا رفع أحدٌ صوته عنده قال : اغضض من صوتك فإن الله - عز وجل - يقول : ﴿ **يا أيّها الذين آمنوا لا ترفعوا أصْواتكم فوق صوت النبيِّ** ﴾ [(١)] فمن رفع صوته عند حديث رسول الله ﷺ فكأنما رفع صوته فوق صوت رسول الله ﷺ .

وعن عبد الله بن وهب قال : سمعت مالك بن أنس يقول : ليس العلم بكثرة الرواية ، وإنما هو نُور يضعه الله في القلب .

وعنه : قيل لمالك بن أنس : ما تقول في طلب العلم ؟ قال : حسن جميل ، ولكن انظر إلي الذي يلزمكُ من حين تُصبح إلي حين تمسي فالزمْه .

وعن ابن مهدي قال : سأل رجل مالكًا عن مسألة فقال : لا أحسنها . فقال الرجل : إني ضربت إليك من كذا وكذا لأسألك عنها . فقالَ له مالك : فإذا رجعت إلى مكانك وموضعك فأخبرْهم أني قلتُ لك لا أُحسنها .

وعن حنبل بن إسحاق قال : سألت أبا عبد الله عن مالك فقال : مالك سيدٌ من سادات أهل العلم ، وهو إمامٌ في العلم والفقه . ثم قال : ومن مثْلُ مالكٍ متبع لآثار من تقدم مع عقلٍ وأدب ؟ .

مسانيد مالك أشهر من أن تذكر ، وهو النَّجْم الثاقب في أهل النقل .

وعن ابن أبي أويس قال : اشتكى مالك بن أنس أيامًا يسيرةً ، فسألتُ بعضَ أهلنا عما قال عند الموت فقال : تشهَّدَ ، ثم قال : لله الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ .

وتوفي صبيحةَ أربع عشرة من شهر ربيع الأول سنة تسعٍ وسبعين ومائة في خلافة هارون ودُفن بالبقيع وهو ابن خمسٍ وثمانين سنة . فذكرت ذلكَ لمصعبٍ الزبيريِّ فقال: مات في صفر - رحمه الله .

ومن الطبقة السابعة من أهل المدينة

١٩٠ ـ عبد الله بن عبد العزيز العمرى ويكنى أبا عبد الرحمن

عن عبد الله بن خبيق قال : تعبَّد عبدُ الله العمري وسكن المقابر ، وكان لا يُرى إلا

---

(١) سورة الحجرات آية : ٢ .

وفي يده كتاب يقرؤه ، وترك مُجالسة الناس فسُئل عن فعله فقال : لم أر أوْعظ من قبرٍ، ولا آنس من كتاب ، ولا أسْلَم من الوحدة ، فقيل له : قد جاء في الوحدة ما جاء ، قال: لا تفْسد إلا جاهلاً .

وعن الفضل بن غسان عن أبيه قال : رأى العمري رجلاً من آل علي يمشي يخطر ، فأسرع إليه فأخذ بيده فقال : يا هذا إن الذي أكرمك الله به لم تكن هذه مشيته . قال : فتركها الرجل بعدُ .

عن أبي المنذر إسماعيل بن عمر قال : سمعت أبا عبد الرحمن العمري يقول : إن من غفلتك عن نفسك إعراضَك عن الله بأن تَرَ ما يُسخطه فتجاوزه ، ولا تأمر ولا تنهى خوفًا ممن لا يملك ضرًا ولا نفعًا .

وقال سمعته يقول : من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مخافة المخلوقين نُزعت منه هيبةُ الله تعالى فلو أمر بعض ولده أو بعض مواليه لاستخفّ به .

وعن أبي قُدامة السرخسي قال : قام العمري للخليفة على الطريق فقال له : فعلت وفعلت . فقال له : ماذا تريد ؟ قال : تعمل بكذا وتعمل بكذا . فقال له هارون : نعم يا عَمّ ، نعم يا عمّ .

وعن سعيد بن سليمان قال : كنت بمكة في زقاق الشطوى وإلى جنبي عبد الله بن عبد العزيز العمري وقد حج هارون الرشيد فقال له إنسان : يا أبا عبد الرحمن هو ذا أمير المؤمنين يسعى قد أُخلي له المسعى . قال العمري للرجل : لا جزاك اللهُ عني خيراً، كلّفْتني أمرًا كنتُ عنه غنيًا ، ثم تعلّق نعليه وقام ، فتبعتُه وأقبل هارون الرشيد من المروة يريد الصّفا فصاح به : يا هارون ! فلما نظر إليه قال : لبّيك يا عمٍّ . قال ارْق الصفا . فلما رقيه قال: ارمْ بطرفك إلى البيت . قال : قد فعلت . قال : كم هُم ؟ قال : اعلم أيها الرجل أن كل واحد منهم يُسْأل عن خاصة نفسه وأنت وحدك تسأل عنهم كلّم فانظر كيف تكون ؟ قال : فبكى هارون وجلس وجعلوا يُعطونه منديلاً للدموع . قال العُمري : وأخرى أقولها . قال: قل يا عمٍّ . قال : والله إن الرجل ليسرف في ماله فيستحق الحجْر عليه . فكيف بمن يسرف في مال المسلمين ؟ ثم مضى وهارون يبكي .

قال محمد بن خلف : سمعت محمد بن عبد الرحمن يقول بلغني أن هارون الرشيد قال : إني لأحبّ أن أحجّ كل سنةٍ ما يمنعني إلا رجل من وَلَدِ عمر ثَمَّ يُسمعني ما أكره.

وقد رُوي لنا من طريق آخر أنه لقيهُ في المسعى فأخذ بلجام دابته فأهوت إليه الأجناد فكفَّهم عنه الرشيد فكلمه فإذا دموع الرشيد تسيل على مَعَرفة دابتّه . ثم انصرف . وأنه

لقيه مرّةً فقال : يا هارون فعلْت وفعلْت . فجعل يسمع منه ويقول: مقبولٌ منك يا عم ، على الرأس والعين . فقال : يا أمير المؤمنين من حال الناس كَيْتَ وكَيْتَ . فقال : عن غير علمي وأمري وخرج العمري إلى الرشيد مرّةً ليعظه فلما نزل الكوفة زحف العسكر حتى لو كان نزل بهم مائة ألف من العدوّ ما زادوا على هيبته . ثم رجع ولم يصلْ إليه.

وعن أبي يحيي الزهري قال : قال عبد الله بن عبد العزيز العُمري عند موته : بنعمة ربي أحدّث أني لم أصبح أملك إلا سبعة دراهم من لحاء شجر فتلتُه بيدي، وبنعمة ربي أحدث: لو أن الدنيا أصبحت تحت قدمي ما يمنعني أخذها إلا أن أزيل قدمي عنها ما أزلتها .

وعن أبي إسماعيل المؤدّب قال : جاء رجل إلى العمري فقال : عظْني قال : فأخذ حصاة من الأرض فقال : زنَة هذه من الورع يدخل قلبك خيرٌ لك من صلاة أهل الأرض، قال : زدْني قال : كما تحبّ أن يكون الله - عز وجل -لك غدًا فكن له اليوم.

أسند العمري الحديث وأدرك من التابعين أبا طوالة ، وروى عن أبيه وعن إبراهيم بن سعد .

وتوفي بالمدينة سنة أربعٍ وثمانين ومائة وهو ابن ستٍ وستين سنة .

١٩١ ـ موسى بن جعفر بن محمد بن علي[١] بن الحسين بن علي أبو الحسن الهاشمي - عليهم السلام

كان يُدعى العبد الصالح لأجل عبادته واجتهاده وقيامه بالليل . وكان كريمًا حليمًا إذا بلغه عن رجل أنه يؤذيه بعث إليه بمالٍ .

عن الفضل بن الربيع عن أبيه أنه لما حبس المهدي موسى بن جعفر رأى المهدي في النوم علي بن أبي طالب - عليه السلام - وهو يقول : يا محمد ﴿ **فهل عسيْتُم إن تولَّيْتمْ أنْ تُفْسدُوا في الأرضِ وتُقَطِّعوا أَرْحَامَكُمْ** ﴾ [٢] قال الربيع: فأرسل إليَّ ليلاً فراعني ذلك فجئته فإذا هو يقرأ هذه الآية وكان أحسن الناس صوتًا فقال: عليَّ بموسى بن جعفر . فجئته به فعانقه وأجلسه إلى جانبه وقال : يا أبا الحسن رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في النوم يقرأ عليَّ كذا فتؤمنني أن تخرج عليَّ أو عَلَى أحد من ولدي . فقال : والله لافعلتُ ذلك ولا هو من شأني . قال : صدقت ، يا ربيع أعطه ثلاثة آلاف دينار ورُدّه إلى أهله إلى المدينة .

---

(١) انظر : سير الأعلام (٦/ ٢٧٠) ، وتاريخ بغداد (١٣/ ٢٧) .
(٢) سورة محمد آية : ٢٢ .

قال الربيع : فأحكمت أمره ليلاً فما أصبح إلا وهو في الطريق خوف العوائق.

وعن شقيق بن إبراهيم البلخي قال : خرجت حاجا في سنة تسع وأربعين ومائتين فنزلت القادسية فبينا أنا أنظر إلى الناس في زينتهم وكثرتهم فنظرت إلى فتى حسن الوجه شديد السمرة يعلو فوق ثيابه ثوبٌ من صوف ، مشتمل بشملة، في رجليه نعلان وقد جلس منفردًا فقلت في نفسي : هذا الفتى من الصوفية يريد أن يكون كلاً على الناس في طريقهم، والله لأمضينَّ إليه ولأوبخنّه . فدنوت منه فلما رآني مُقبلاً قال : يا شقيق **﴿اجْتَنبُوا كَثيرًا منَ الظنِّ إنَّ بَعْضَ الظنِّ إثمٌ﴾** [1] ثم تركني ومضى . فقلت في نفسي : إن هذا لأمر عَظيم قد تكلم على ما في نفسي ونطق باسمي وما هذا إلا عبد صالح لألحقنّه ولأسألنّه أن يحالّني . فأسرعت في أثره فلم ألحقْه وغاب عن عينى فلما نزلنا واقصَةَ إذا به يصلي وأعضاؤه تضطرب ودموعه تجري فقلت : هذا صاحبي أمضي إليه وأستحلُّه فصبرت حتى جلس وأقبلت نحوه . فلما رآني مقبلاً قال : يا شقيق اتلُ : **﴿وإني لغفّارٌ لمن تاب وآمن وعمل صالحًا ثم اهتدى﴾** [2] ثم تركني ومضى . فقلت : إن هذا الفتى لمن الأبدال وقد تكلم علي سري مرّتين فلما نزلنا رمالاً إذا بالفتى قائمٌ على البئر وبيده ركْوة يريد أن يستقي ماءً فسقطت الركوة من يده في البئر وأنا أنظر إليه فرأيت قدْ رمق السماء وسمعتُه يقول :

أنت ربي إذا ظمئتُ من الما ء وقُوتي إذا أردتُ الطَّعاما

اللهم سيدي مالي سواها فلا تعْدمْنيها . قال شقيق : فوالله لقد رأيت البئر قد ارتفع ماؤها فمد يده فأخذ الركْوة وملأها ماءً وتوضأ وصلى أربع ركعات . ثم مال إلى كثِيبِ رمل فجعل يقبض بيده ويطرحه في الركوة ويحرّكه ويشرب . فأقبلت إليه وسلمت عليه فردّ عليَّ السلام . فقلت : أطعِمْني من فضل ما أنعم اللهُ به عليك ، فقال : يا شقيق لم تزل نعمة الله علينا ظاهرةً وباطنةً فأحسن ظنك بربك . ثم ناولني الركوة فشربت منها فإذا سويق وسكّر فوالله ما شربت قطُّ ألذَّ منه ولا أطيب ريحًا منه ، فشبعت ورويت فأقمت أيامًا لا أشتهي طعامًا ولا شرابًا ، ثم لم أره حتى دخلنا مكة فرأيته ليلة إلى جنب قبة الشراب في نصف الليل يصلي بخشوع وأنين وبكاء ، فلم يزل كذلك حتى ذهب الليل . فلما رأى الفجر جلس في مُصلاّه يسبّح الله . ثم قام فصلّي الغداة وطاف بالبيت أسبوعًا وخرج فتبعته فإذا له حاشية وموالٍ وهو على خلاف ما رأيته في الطريق ودار به الناسُ من حوله يسلّمون عليه . فقلت لبعض من رأيته يقرب منه : من هذا

(١) سورة الحجرات آية : ١٢ .   (٢) سورة طه آية : ٨٢ .

الفتى؟ فقال : هذا موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام . فقلت : قد عجبت أن تكون هذه العجائب إلا لمثل هذا السيّد .

وعن أحمد بن إسماعيل قال : بعث موسى بن جعفر إلى الرشيد من الحبس رسالةً كانت : إنه لن ينقضى عني يوم من البلاء إلا انقضى عنك معه يوم من الرخاء حتى نُفضي جميعًا إلي يوم ليس له انقضاء يخسَر فيه المبْطلون .

ولد موسى بن جعفر – عليه السلام – بالمدينة في سنة ثمانٍ وعشرين ، وقيل : تسعٍ وعشرين ومائة ، وأقدمه المهدي بغداد ثم ردَّه إلى المدينة فأقامً بها إلى أيام الرشيد فقدمً الرشيد المدينة فحمله معه وحبسه بغداد إلى أن توفي بها لخمسٍ بقين من رجب في سنة ثلاث وثمانين ومائة .

آخر المصطفيْن من المدنيين المعروفين

ذكر المُصْطَفَيْن من عبَّاد المدينة الذين لم تُعْرف أسماؤُهم

١٩٢ ـ عَابد من رعاة المدينة

قال عبد العزيز : قال نافع : خرجت مع ابن عمر في بعض نواحي المدينة ومعه أصحابٌ له فوضعوا سُفْرةً فمرَّ بهم راعٍ ، فقال له عبد الله : هلم يا راعي فأصبْ من هذه السُّفْرة . فقال : إني صائم . فقال له عبد الله : في مثل هذا اليوم الشديدَ حرُّه وأنت في هذه الشِّعاب في آثار هذه الغنم وبين الجبال ترعى هذه الغنم وأنت صائم ؟ فقال الراعي : أبادر أيامي الخالية . فعجب ابن عمر وقال : هل لك أن تبيعنا شاةً من غنمك نَجْتزرها ونطعمك من لحمها ما تفطّر عليه ونعطيك ثمنها ؟ قال : إنها ليست لي ، إنها لمولاي . قال : فما عسيتَ أن يقول لك مولاك إن قلت أكلها الذئب ؟ فمضى الراعي وهو رافعٌ إصْبَعَه إلى السماء وهو يقول : فأين الله ؟ .

قال : فلم يزل ابن عمر يقول : قال الراعي : فأين الله ؟ فما عدا أن قدم المدينة فبعث إلى سيِّده فاشترى منه الراعي والغنم ، فأعتق الراعي ، ووهب له الغنم – رحمه الله .

١٩٣ ـ عابد آخر

قال بن يزيد بن أسلم : قال محمد بن المنكدر : إني لليلةً مواجهٌ هذا المنبر جوف الليل أدعو إذا أنا بإنسانٍ عند أسطوانة مقنّع رأسه فأسمعه يقول : أي ربِّ إن القحط قد اشتدَّ على عبادك وإني مقسم عليك يا ربِّ إلا سقيتهم . قال : فما كان إلا ساعة إذا سحابة قد أقبلت ثم أرسلها الله – عز وجل – . وكان عزيزًا على ابن المنكدر أن يخفى عليه أحدٌ من أهل الخير . فقال : هذا بالمدينة ولا أعرفه ؟ فلما سلَّم الإمام تقنّع وانصرف

وأتبعه ولم يجلس للقاص حتى أتى دار أنس فدخل موضعًا فأخرج مِفْتاحًا ففتح ثم دخل. قال : فرجعت فلما أصبحت أتيته فإذا أنا أسمع نجرًا في بيته فسلَّمت وقلت : أدخل؟ قال: ادخل ، فإذا هو ينجُر أقداحًا يعملها . فقلت : كيف أصبحت أصلحك الله ؟ قال : فاستشهرها وأعظمها مني فلما رأيت ذلك قلت : أخي سمعت إقسامك البارحة على الله - عز وجل - يا أخى هل لك في نفقة تغنيك عن هذا وتفرغك لما تريد من الآخرة ؟ قال : لا، ولكن غير ذلك ، لا تذكرني لأحد ، ولا تذكر هذا لأحد حتى أموت ولا تأتنى يا ابن المنكدر ؛ فإنك إن تأتني تشهرني للناس . فقلت : إني أحب أن ألقاك . قال : القني في المسجد ، وكان فارسيا . قال : فما ذكر ذلك ابن المنكدر لأحد حتى مات الرجل .

قال ابن وهب : بلغني أنه انتقل من تلك الدار فلم يُرَ ولم يدر أين ذهب ؟ فقال أهل تلك الدار : الله بيننا وبين ابن المنكدر أخرج عنا الرجل الصالح .

١٩٤ ـ عابد آخر

عن محمد بن المنكدر قال : كانت لي سارية في مسجد رسول الله ﷺ أجلس أصليّ إليها بالليل فقحط أهل المدينة سنة فخرجوا يستسقون فلم يسقوا فلما كان من الليل صلّيتُ عشاء الآخرة في مسجد رسول الله ﷺ ثم جئت فتساندت إلى ساريتي فجاء رجل أسود تعلوه صفرة متَّزر بكساء وعلى رقبته كساء أصغر منه. فتقدم إلى السارية التي بين يدي وكنت خلفه ، فقام فصلى ركعتين ثم جلس فقال: أي رب خرج أهل حرم نبيك يستسقون فلم تسقهم فأنا أقسم عليك لمّا سقيتهم .

قال ابن المنكدر : فقلت : مجنون . قال : فما وضع يده حتى سمعتُ الرعد ثم جاءت السماء بشيء من المطر أهَمَّني الرجوع إلي أهلي فلما سمع المطر حمد الله بمحامد لم أسمع بمثلها قطُّ . قال : ثم قال : ومن أنا وما أنا حيث استجبتَ لي ، ولكن عُذتُ بحمدك وعُذتُ بطولك . ثم قام فتوشح بكسائه الذي كان متَّزرًا به وألقى الكساء الآخر الذي كان على ظهره في رجليه . ثم قام فلم يزل قائمًا يصلّي حتى إذا خشى الصبح ، سجد وأوتر وصلّى ركعَتيْ الصبح ثم أقيمت صلاة الصبح فدخل في الصلاة مع الناس ودخلتُ معه فلما سلّم الإمام قام فخرج وخرجت خلفه حتى انتهى إلى باب المسجد فخرج يرفع ثوبه ويخوض الماء فخرجت خلفه رافعًا ثوبي أخوض الماء فلم أدْر أين ذهب .

فلما كانت الليلة الثانية صلّيت العشاء في مسجد رسول الله ﷺ ثم جئت إلى ساريتي فتوسدت إليها وجاء فقام فتوشّح بكسائه وألقى الكساء الآخر الذي كان على ظهره في رجليه وقام يصلّي . فلم يزل قائما حتى إذا خشى الصّبح سجد ثم أوتر ثم صلّى ركعتَي

الفجر وأقيمت الصلاة فدخل مع الناس في الصلاة ودخلت معه . فلما سلّم الإمام خرج من المسجد وخرجت خلفه فجعل يمشي وأتبعه حتى دخل دارًا قد عرفتها من دُور المدينة ورجعتُ إلى المسجد . فلما طلعت الشمس وصلّيت خرجت حتى أتيت الدار فإذا أنا به قاعد يخرز وإذا هو إسكاف . فلما رآني عرفني وقال : أبا عبد الله مرحبًا ، ألك حاجة، تريد أن أعمل لك خُفا ؟ فجلست فقلت : ألست صاحبي بارحة الأولى ؟ فاسودّ وجهه وصاح بي وقال: ابنَ المنكدر ما أنت وذاك ؟ قال : وغضب . قال : ففَرِقْتُ والله منه وقلت : أخرج من عنده الآن . فلما كان في الليلة الثالثة صلّيت العشاء الآخرة في مسجد رسول الله ﷺ ثم أتيت ساريتي فتساندت إليها فلم يجيء . قال : قلت : إنا لله ما صنعتُ ؟ فلما أصبحت جلست في المسجد حتى طلعت الشمس ثم خرجت حتى أتيت الدار التي كان فيها فإذا باب البيت مفتوح وإذا ليس في البيت شيء : فقال لي أهل الدار يا أبا عبد الله ما كان بينك وبين هذا أمس ؟ قلت : ما له ؟ قالوا لما خرجت من عنده أمس بسط كساءه في وسط البيت ثم لم يدع في بيته جلدًا ولا قالبًا إلا وضعه في كسائه ثم حمله ثم خرج فلم ندر أين ذهب ؟ .

قال محمد بن المنكدر : فما تركت بالمدينة دارًا أعلمها إلا طلبته فيها فلم أجده - رحمه الله .

١٩٥ ـ عابد آخر

عن محمد بن المنكدر قال : جئت إلى المسجد فإذا أنا برجل عند المنبر يدعو بالمطر فجاء المطر بصوتٍ ورعد فقال : يا رب ليس هكذا . قال : فمطرت قال : فتبعتُه حتى دخل دار آل حزم أو دار آل عمر فعرفت مكانه فجئته من الغد فعرضت عليه شيئًا فأبي وقال : لا حاجة لي بهذا فقلت : حُجّ معي . فقال : هذا شيء لك فيه أجر فأكره أن أنفس عليك فأما شيء آخذه فلا .

١٩٦ ـ عابد آخر

عن محمد بن سويد أن أهل المدينة قحطوا وكان فيها رجل صالح لازمًا لمسجد النبي ﷺ فبينما هم في دعائهم إذ أنا برجل عليه طِمْران خَلَقان (١) فصلّى ركعتين أوجز فيهما ثم بسط يديه إلى الله تعالى . فقال : يا ربِّ أقسمت عليك إلا أمطرت علينا الساعة . فلم يردّ يده ولم يقطع دعاءه حتى تغشّت بالغيوم ومطروا حتى صاح أهل المدينة : الغرق. فقال : يا ربّ إن كنت تعلم أنهم قد اكتفوا فارفع عنهم . فسكن ، وتبع الرجل

---

(١) الثوب الخلق : أي البالي .

صاحب المطر حتى عرف موضعه ثم بكر عليه فنادى : يا أهل البيت ! فخرج الرجل فقال : قد أتيتك في حاجة . قال : وما هي ؟ قال : تخصني بدعوة . فقال : سبحان الله أنت أنت وتسألني أن أخصّك بدعوة ؟ ما الذي بلغك ما رأيت عني ؟ فأخبره فقال : ورأيتني؟ قال : نعم . قال: أطعت الله فيما أمرني ونهاني ، وسألته فأعطاني .

١٩٧ ـ عابد علوى من أهل المدينة

عن أبي عامر الواعظ قال : بينا أنا جالس في مسجد رسول الله ﷺ إذ جاءني غلام أسود برقعة فقرأتها فإذا فيها مكتوب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، متّعك الله بمسامرة الفكرة ، ونعّمك بمؤانسة العبرة ، وأفردك بحب الخلوة . يا أبا عامر أنا رجل من إخوانك بلغني قدومك المدينة فسُررت بذلك وأحببت زيارتك وبي من الشوق إلى مجالستك والاستماع إلى محادثتك ما لو كان فوقي لأظلني . ولو كان تحتي لأقلّني فسألتك بالذي حباك بالبلاغة لما ألحفتني جناح التوصل بزيارتك والسلام .

قال أبو عامر : فقمت مع الرسول حتى أتى بي إلى قباء فأدخلني منزلاً رَحْبًا خَرِبًا فقال لي : قف ها هنا حتى أستأذنَ لك . فوقفت فخرج فقال لي : لِج . فدخلت عليه فإذا ببيت مفرد في الخربة له باب من جريد النخل وإذا بكهل قاعد مستقبل القبلة تخاله من الوله مكروبًا ومن الخشية محزوبًا قد ظهرت في وجهه أحزانه وذهبت من البكاء عيناه ومرضت أجفانه ، فسلمت عليه فردّ عليَّ السلام ثم تحلل فإذا هو أعمى أعرج مسقام . فقال لي : يا أبا عامر غسل الله من ران الذنوب قلبك لم يزل قلبي إليك تواقًا وإلى استماع الموعظة منك مشتاقًا ، وبي جرح نَغِلٌ قد أعيا الواعظين دواؤه وأعجز المتطببين شفاؤه وقد وصف لي : نفع مراهمك للجراح والألم فلا تألُ يرحمك الله في إيقاع التِّرْياق وإن كان مُر المذاق فإني ممن يصبر على ألم الدواء رجاءَ الشفاء .

قال أبو عامر : فنظرت إلى منظر بهرني وسمعت كلامًا قطعني فأفكرت طويلاً ثم تأتي لي من كلامي ما تأتى وسهل من صعوبته ما منه رقَّ لي فقلت : يا شيخ ارم ببصر قلبك في ملكوت السماء وأجِلْ سمع معرفتك في سكان الأرجاء فتنقل بحقيقة إيمانك إلى جنة المأوى فترى ما أعد الله فيها للأولياء ، ثم تشرف على نار لظى فترى ما أعد الله للأشقياء ، فشتّان ما بين الدارين ، أليس الفريقان في الأموات سواء ؟ .

قال أبو عامر : فأنَّ أنَّةً وصاح صيحةً وزفر والتوى قال : الله يا أبا عامر وقع دواؤك على دائي وأرجو أن يكون عندك شفائي ، زدني يرحمك الله قال : فقلت له يا شيخ ، الله عالم بسريرتك مطَّلع على حقيقتك شاهدك في خلوتك ، بعينه كنت عند استتارك من

خلقه ومبارزته . قال فصاح صيحةً كصيحته الأولى ثم قال: من لفقري ؟ من لفاقتي؟ من لذنبي ؟ من لخطيئتي ؟ أنت لي يا مولاي وإليك منقلبي . ثم خرّ ميتًا -رحمه الله .

قال أبو عامر : فَأُسْقطَ في يدي وقلت : ماذا جنيت على نفسي إذ خرجت عليَّ جارية عليها مدرعة من صوفِ وخمارٌ من صوف قد ذهب السجودُ بجبهتها وأنفها واصفّر لطول القيام لونها وتورّمت قدماها . فقالت : أحسنت والله يا حادي قلوب العارفين ومثير أشجان غليل المحزونين لا نسي لك هذا المقام ربُّ العالمين ، يا أبا عامر هذا الشيخ والدي مُبتلًى بالسقم منذ عشر سنين صلَّى حتى أُقعد وبكى حتى عمى وكان يتمناك على الله ويقول : حضرت مجلس أبي عامر البناني فأحيا موات فكري وطرد وَسَنَ نومي وإن سمعته ثانيًا قتلني فجزاك الله من واعظ ومتّعك من حكمتك بما أعطاك .

ثم اكبّت على أبيها تقبّل عينيه وتبكي وتقول : يا أبي يا أبتاه ، يا من أعماه البكاء على ذنبه ، يا أبي يا أبتاه يا من قتله ذكر وعيد ربه ثم علا البكاء والنَّحيبُ والاستغفار والدعاء وجعلت تقول : يا أبي يا أبتاه يا حليف الحرقة والبكاء يا أبي يا أبتاه يا جليس الابتهال والدعاء ، يا أبي يا أبتاه يا صريع المذكّرين والخطباء ، يا أبي يا أبتاه يا قتيل الوعّاظ والحكماء .

قال أبو عامر : فأجبتها وقلت : أيها الباكية الحيرى النادبة الثَّكْلَى إن أباك نَحْبَهُ قد قضى وورد دار الجزاء وعاين كل ما عمل ، وعليه يُحصى في كتاب عند ربي لا يضل ربي ولا ينسى . فمحسن فله الزُلفى ، أو مسيء ، فواردٌ دار من أساء .

فصاحت الجارية كصيحة أبيها وجعلت ترشح عرقًا وخرجتُ مبادرًا إلى مسجد المصطفي محمد ﷺ وفزعتُ إلى الصلاة والدعاء والاستغفار والتضرّع والبكاء حتى كان عند العصر فجاءني الغلام الأسود فآذنني بجنازتهما فقلت : أحضر الصلاة عليهما ودفنهما . فحضرت وسألت عنهما فقيل لي : من ولد الحسين بن علي بن أبي طالب .

قال أبو عامر : فما زلت جزعًا مما حنيت حتى رأيتهما في المنام عليهما حُلَّتان خضراوان . فقلت : مرحبا بكما وأهلاً ، فما زلت حذرًا مما وعظتكما به . فماذا صنع الله بكما ؟ فقال الشيخ :

أنت شريكي في الذي نلته مستـــاهلاً ذاك أبا عامـــــر
وكـــــلّ مـن أيقـظ ذا غفلة فنصــفُ ما يُعــطاه للآمــرْ
مَـــن ردّ عبـــدًا آبقًا مذنبًا كان كمن قد راقــب القاهــرْ
واجتمعا في دار عَدْنٍ وفي جـــوارِ ربٍّ سيّــدٍ غافــــرْ

١٩٨ ـ عابد آخر

عن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ـ وكان مصعب يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة ويصوم الدهر ـ قال : بتُّ ليلةً في المسجد بعد ما خرج الناس منه ، فإذا برجل قد جاء إلى بيت النبي ﷺ فأسند ظهره إلى الجدار فقال : اللهم إنك تعلم أني كنت أمس صائمًا ثم أمسيت فلم أفطر على شيء اللهم فإني أمسيت أشتهي الثريد فأطعمنيه من عندك قال : فنظرتُ إلى وصيف داخل من خَوْخة [١] المنارة ليس في خلقة وصفاء الناس، ومعه قصعة فأهوى بها إلى الرجل فوضعها بين يديه وجعل الرجل يأكل، وَحَصَبَني فقال: هلم . فجئته وظننت أنها من الجنة فأحببت أن آكل منها فأكلت منها لقمة فأكلت طعامًا لا يشبه طعام أهل الدنيا ثم احتشمت فقمت فرجعت لمجلس فلما فرغ من أكله أخذ الوصيفُ القصعة ثم أهوى راجعًا من حيث جاء وقام الرجل منصرفًا فتبعته لأعرفه فلا أدري أين سلك ؟ فظننته الخضر – عليه السلام .

ومن عقلاء المجانين بالمدينة

١٩٩ ـ أبو نصر المصاب

عن محمد بن إسماعيل بن أبي فديك قال : كان عندنا رجل مجنون يكني أبا نصر من جهينة ذاهب العقل في غير ما الناس فيه ، لا يتكلم حتى يكلم وكان يجلس مع أهل الصّفة في آخر مسجد الرسول ﷺ وكان إذا سئل عن شيء أجاب فيه جوابًا حسنًا معجباً. فأتيته يومًا وهو في آخر المسجد مع أهل الصفّة منكسًا رأسه واضعًا جبهته بين ركبتيه فجلست إلى جنبه فحركته فانتبه فزعًا فأعطيته شيئًا كان معي ، فأخذه وقال . قد صادف منا حاجة . فقلت له : يا أبا نصر ما الشرف ؟ قال : حملُ ما ناب العشيرة أدناها وأقصاها ، والقبول من محسنها والتجاوز عن مُسيئها قلت له : فما المروءة ؟ قال : إطعام الطعام ، وإفشاء السلام وتوقيٍّ الأدناس . قلت له : فما السخاء ؟ قال : جهد مُقلّ . قلت له : فما البخل؟ قال : أف وحوّل وجهه عني فقلت تجيبني قال : قد أجبتك .

قال : وقدم علينا هارون فأخلى له المسجد فوقف على قبر رسول الله ﷺ وعلى منبره وفي موقف جبريل – عليه السلام – واعتنق أسطوانة التوبة ثم قال : قفوا بي على أصحاب الصفة . فلما أتاهم حُرّك أبو نصر وقيل : هذا أمير المؤمنين فرفع رأسه وقال : أيها الرجل إنه ليس بين عباد الله وأمة نبيه ﷺ ورعيتك وبين الله خلقٌ غيرك ، وإن الله سائلك عنهم فأعدّ للمسألة جوابًا وقد قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه : لو ضاعت

---

(١) الخوخة : فتحة فى الجدار تدخل الضوء .

سَخْلة على شاطىء الفرات لخاف عمر أن يسأله الله عنها . فبكى هارون وقال : يا أبا نصر إنّ رعيتي ودهرى على غير رعية عمر ودهره فقال له : هذا والله غير مُغْنٍ عنك فانظر لنفسك فإنك وعمر تُسألان عما خولكما الله .

فدعا هارون بصرة فيها ثلاثُ مائة دينار وقال : ادفعوها إلى أبي نصر . فقال أبو نصر : ما أنا إلا رجل من أهل الصفّة فادفعوها إلى فلان يفرّقها عليهم ويجعلني رجلاً منهم .

وكان أبو نصر يخرج في كل يوم جمعة ، صلاة الغداة ، فيدخل السوق مما يلي الثنية فلا يزال يقف على مربعة مربعة ويقول : أيها الناس ﴿ **واتقوا يومًا لا تَجْزى نفسٌ عن نَفْسٍ شيئًا ولا يُقبل منها عدلٌ ولا تنفعها شفاعةٌ** ﴾ [1] إن العبد إذا مات صحبه أهله وماله وعمله، فإذا أوضع في قبره رجع أهله وماله وبقي عمله ، فاختاروا لأنفسكم ما يؤنسكم في قبوركم – رحمكم الله – ثم لا يزال كذلك مربعة مربعة حتى يأتي مصلّى رسول الله ﷺ ثم يمضي إلى الجمعة فلا يخرج من المسجد حتى يصلي العشاء الأخيرة – رحمه الله .

ذكر المصطفيات من عابدات المدينة

٢٠٠ ـ فمن المعروفات (مليكة بنت المنكدر)

عن موسى بن عبد الملك أبى عبد الرحمن المروزي قال : قال مالك بن دينار : بينما أنا أطوف بالبيت إذا أنا بامرأة جهيرة في الحجر وهي تقول : أتَيْتُك من شُقّةٍ بعيدة مؤملة لمعروفك فأنلني معروفًا من معروفك تغنيني به عن معروف من سواك ، يا معروفًا بالمعروف فعرفت أيوب السختياني ، فسألنا عن منزلها وقصدناها وسلمنا عليها فقال لها أيوب : قولي خيرًا يرحمك الله قالت : وما أقول أشكو إلى الله قلبي وهواي فقد أضرا بي وشغلاني عن عبادة ربي ، قوما فإني أبادر طيّ صحيفتي .

قال أيوب : فما حدثت نفسي بامرأة قبلها فقلت لها : لو تزوجت رجلاً كان يعينك على ما أنت عليه : قالت : لو كان مالك بن دينار أو أيوب السختياني ما أردته . فقلت: أنا مالك بن دينار ، وهذا أيوب السختياني فقالت : أف لقد ظننت أنه يشغلكما ذكر الله عن محادثة النساء وأقبلت على صلاتها فسألنا عنها فقالوا : هذه مليكة بنت المنكدر .

وعن أبي خالد البراد قال : كلمنا ابنة المنكدر في تخفيف بعض العبادة فقالت: دعوني أبادر طي صحيفتي – رحمها الله .

---

(١) سورة البقرة آية : ١٢٣ .

٢٠١ ـ فاطمة بنت محمد بن المنكدر

عن إبراهيم بن مسلم القرشي قال : كانت فاطمة بنت محمد بن المنكدر تكون نهارها صائمةً فإذا جنها الليل تنادي بصوت حزين : هدأ الليل ، واختلط الظلامُ وأوى كل حبيب إلى حبيبه وخلوتي بك أيها المحبوب أن تعتقني من النار - رحمها الله .

ومن المجهولات الأسماء

٢٠٢ ـ امرأة كانت في زمن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه

عن عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده أسلم قال : بينا أنا مع عمر بن الخطاب وهو يعسُّ المدينة إذا أعيا واتكأ على جانب جدار في جوف الليل وإذا امرأة تقول لابنتها : يا ابنتاه قومي إلى ذلك اللبن فامذُقيه [1] بالماء فقالت لها : يا أمتاه وما علمت ما كان من عزمة أمير المؤمنين اليوم ؟ قالت : وما كان من عزمته يا بنيةُ قالت : إنه أمر مناديًا فنادى ألا يُشاب اللبن بالماء فقالت لها : يا بنية قُومي إلى اللبن فامذقيه بالماء فإنك بموضع لا يراك عمر ولا منادي عمر . فقالت الصبية لأمها : يا أمتاه ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلاء. وعمر يسمع كل ذلك . فقال : يا أسلم علِّم الباب واعرف الموضع . ثم مضى في عسسه حتى أصبح فلما أصبح قال : يا أسلم امضِ إلى الموضع فانظر من القائلة ومن المقول لها وهل لهم من بعل ؟ فأتيت الموضع فنظرت فإذا الجارية أيِّمٌ لا بعل لها وإذا تيك أمها وإذ ليس لهم رجل . فأتيت عمر بن الخطاب فأخبرته فدعا عمر ولده فجمعهم فقال : هل فيكم من يحتاج إلى امرأة أزوجه ؟ ولو كان بأبيكم حركة إلي النساء ما سبقه منكم أحد إلى هذه المرأة ، فقال عبد الله : لي زوجة . وقال عبد الرحمن : لي زوجة . وقال عاصم: يا أبتاه لا زوجة لي فزوجني . فبعث إلى الجارية فزوّجها من عاصم فولدت لعاصم بنتًا وولدت البنت بنتًا وولدت الإبنة عمر ابن عبد العزيز .

قال الشيخ : كذا وقع في رواية الآجري وهو غلط ولا أدري من أي الرواة. وإنما الصواب : فولدت لعاصم بنتًا وولدت البنت عمر بن عبد العزيز كذلك نسبه العلماء .

٢٠٣ ـ عابدة أخرى

عن عبد الله بن المبارك أن امرأةً قالت لعائشة : اكشفي لي عن قبر النبي ﷺ فكشفت لها عنه فبكت حتى ماتت .

---

(١) أي : اخلطيه بالماء .

٢٠٤ ـ عابدة أخرى

عن إبراهيم بن عبد الله المديني قال : حدّثني أصحابنا أن امرأة كانت بالمدينة ترهق فدخلت المقابر ذات يوم فإذا هي بجمجمة قد بدت .

فوالله ما عاودتني تلك الوسوسة بعد تلك الليلة .

قال : فصرخت . ثم رجعت منيبة ، فدخل عليها نساؤها فقلن : ما هذا ؟ فقلت :

بكى قلبـــي لذكـــر المـــوت لمّا ... رأيتُ جماجما جوف القبورِ

ثم قالت : اخرجن عني فلا تأتينى منكن امرأة ترغب في خدمة الله تعالى .

ثم أقبلت على العبادة حتى ماتت على ذلك .

٢٠٥ ـ عابدة أخرى

عن أبي أيوب (رجل من قريش) أن امرأةً من أهله كانت تجتهد في العبادة وتديم الصيام وتطيل القيام فأتاها الملعون فقال : إلى كم تعذبين هذا الجسم وهذه الروح ؟ لو أفطرت وقصّرت عن الصيام والقيام كان أدوم لك وأقوى قالت : فلم يزل يوسوس لي حتى هممت والله بالتقصير قالت : ثم دخلت مسجد رسول الله ، ﷺ معتصمةً بقبره وذلك بين المغرب والعشاء فحمدت الله وصلّيت على رسوله ثم ذكرت ما نزل بي من وساوس الشيطان واستغفرت وجعلت أدعو الله أن يصرف عني كيده ووساوسه . قالت : فسمعت صوتًا من ناحية القبر يقول : ﴿ **إنّ الشيطانَ لكم عَدُوٌّ فاتّخذوهُ عدوًا إنَّمَا يَدْعُوا حزْبَهُ لِيَكُونُوا من أَصْحَابِ السَّعير**﴾ (١) قالت : فرجعت مذعورةً وَجِلَةَ القلب فوالله ما عاوَدتني تلك الوسوسةَ بعد تلك الليلة .

٢٠٦ ـ عابدتان مدنيتان

بلغنا عن عبد الله ابن أخت مسلم بن سعد أنه قال : أردت الحج فدفع إلي خالي مسلم عشرة آلاف درهم وقال لي : إذا قدمت المدينة فانظر أفقر أهل بيت بالمدينة فأعطهم إياها . فلما دخلت سألت عن أفقر أهل بيت بالمدينة فدُللت على أهل بيت فطرقت الباب فأجابتني امرأة من أنت ؟ فقلت : أنا رجل من أهل بغداد أودعت عشرة آلاف وأمرت أن أسلمها إلى أفقر أهل بيت بالمدينة وقد وُصِفْتُم لي فخذوها فقالت : يا عبد الله إنّ صاحبك اشترط أفقر أهل بيت وهؤلاء الذين بإزائنا أفقر منا ، فتركتهم وأتيت أولئك فطرقت الباب فأجابتني امرأة فقلت لها مثل الذي قلت لتلك المرأة . فقالت : يا عبد الله نحن وجيراننا في الفقر سواء فاقسمها بيننا وبينهم .

انتهى ذكر أهل المدينة

---

(١) سورة فاطر آية : ٦ .

ذكر المصطفين من طبقات أهل مكة من التابعين ومن بعدهم ، فمن الطبقة الأولى

٢٠٧ ـ عبيد بن عمير بن قتادة الليثى يكنى أبا عاصم (١)

عن مجاهد قال : كنا نفتخر بفقيهنا وقاضينا : فأما فقيهنا فابن عباس ، وأما قاضينا فعبيد ابن عُمير .

وعنه : عن عبيد بن عمير قال : إن أعظمكم هذا الليل أن تكابدوه ، وبخلتم بالمال أن تنفقوه ، جبُنتم عن العدو أن تقاتلوه فأكثروا من ذكر الله - عز وجل - .

وعنه : عن عبيد بن عمير قال : ما المجتهد فيكم إلا كاللاعب فيما مضى .

وعن قيس بن سعد عن عبيد بن عمير قال : إن أهل ليتلقّون الميتُ يتلقى الراكب يسألونه فإذا سألوه ما فعل فلان ؟ فمن كان قد مات يقول : ألم يأتكم؟ فيقولون : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ذهب به إلى أمه الهاوية .

أسند عبيد بن عمير عن : أبي بن كعب ، وأبي ذر ، وأبي قتادة ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو ، وأبي هريرة ، وابن عباس ، وعائشة في جماعة من الصحابة . وروى عنه من كبار التابعين : مجاهد ، وعطاء ، وأبو حازم . في آخرين - رحمه الله .

ومن الطبقة الثانية

٢٠٨ ـ مجاهد بن جبير يكنى أبا الحجاج (٢)

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم هو مولى عبد الله بن السائب بن أبي السائب المخزومي ويقال مولى زيد بن الحارث المخزومي .

عن الأعمش قال : كنت إذا رأيت مجاهدًا ظننت أنه خَرْبندجٌ (٣) ضلّ حمارهُ فهو مهتمّ.

وعن ليث عن مجاهد قال : من أعز نفسه أذل دينه ومن أذل نفسه أعزّ دينه .

وعنه عن مجاهد قال : إن الله - عز وجل - ليصلح بصلاح العبد ولده وولدَ ولدِه.

---

(١) انظر : الحلية (٢/٢٦٦) ، وسير الأعلام (٤/١٥٦) .

(٢) انظر المصدر السابق (٤/٤٤٩) .

(٣) كلمة فارسية معناها : الحمّار .

وعنه عن مجاهد قال : إن العبد إذا أقبل إلى الله – عز وجل – بقلبه أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه .

وعنه عن مجاهد قال : لا تحدّ النظر إلى أخيك ولا تسأله من أين جئت ؟ وأين تذهب؟
وعنه عن مجاهد قال : كانوا يكتفون من الكلام باليسير .

عن محمد بن إسحاق بن أبان بن صالح عن مجاهد قال : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثَ عرضاتٍ أقِفُه على كل آية أسأله كيف أنزلت ؟ وكيف كانت ؟ .

وعن خالد بن زيد عن مجاهد قال : إن القرآن يقول : إني معك ما اتبعتني فإذا لم تعمل بي اتبعتك .

وعن مجاهد قال : إن لبني آدم جلساء من الملائكة فإذا ذكر الرجل أخاه المسلم بخير قالت الملائكة : ولك بمثله ، وإذا ذكره بسُوءٍ ، قالت الملائكة : ابنَ آدم المستور عورته أَرْبِعْ على نفسك واحمد الله الذي ستر عورتك .

وعن عمر بن ذر قال : قال مجاهد : ما من مرض يمرضه العبد إلا ورسول ملك الموت عنده حتى إذا كان آخر مرض يمرضه العبد أتاه ملك الموت فقال : أتاك رسول بعد رسول فلم تعبأ به وقد أتاك رسول يقطع أثرك من الدنيا .

وعن مجاهد قال : يؤمر بالعبد إلى النار يوم القيامة فيقول : ما كان هذا ظني فيقال : ما كان ظنك ؟ فيقال : أن تغفر لي ، فيقول خلّوا سبيله .

وعن الأعمش عن مجاهد قال : كان بالمدينة أهل بيت ذوو حاجة عندهم رأس شاة فأصابوا شيئًا فقالوا : لو بعثْنا هذا الرأس إلى من هو أحوج إليه منا . قال فبعثوا به فلمّ يزل يدور بالمدينة حتى رجع إلى أصحابه الذين خرج من عندهم .

وعنه قال : كنا عند مجاهد فقال : القلب هكذا ، وبسط كفه ، فإذا أذنب الرجل ذنبًا قال : هكذا . وعقد واحدًا . ثم أذنب وعقد اثنين ثم ثلاثًا ثم أربعًا ثم ردّ الإبهام على الأصابع في الذنب الخامس ثم يطبع على قلبه .

قال مجاهد : فأيكم يرى أنه لم يُطبع على قلبه .

وعن عمر بن ذر عن مجاهد قال : إذا أراد أحدكم أن ينام فليستقبلْ القبلةَ ، ولينم على يمينه ، وليذكر الله ، وليكن آخر كلامه عند منامه : لا إلهَ إلا اللهُ ، فإنها وفاء لا يدري لعلّها تكون منيّته ثم قرأ : ﴿ **وهو الذي يتوفّاكم بالليل** ﴾ [1] .

أسند مجاهد عن ابن عباس ، وابن عمر ، وابن عمرو ، وجابر بن عبد الله ، وأبي

---

(١) سورة الأنعام آية : ٦٠ .

سعيد الخُدْرِي ، وأبي هريرة ، ورافع بن خديج في آخرين ، وحدَّث عن عائشة إلا أن حديثه عنها مرسلٌ لأنه لم يسمع منها .

وحدَّث عنه من أعلامٌ التابعين : عطاء ، وطاووس ، وعِكْرمة ، في خلقٍ كثير .

(ذكر وفاته)

قال الفضل بن دُكَيْن : مات مجاهد سنة اثنتين ومائة يوم السبت وهو ساجدٌ ، وقال يوسف بن سليمان : توفي مجاهد بمكَة سنة ثلاثٍ ومائة .

وعن يحيى بن سعيد قال : مات مجاهد سنة أربعٍ ومائةٍ ، وقال ابنُ جريج : بلغ مجاهد يوم مات ثلاثًا وثمانين سنة - رحمه الله تعالى .

٢٠٩ ـ عطاء بن أبي رباح [١]

واسم أبي رباح أسلم . وكان عطاء من مولدى الجند نشأ بمكةَ وهو مولى آل أبي ميسرة الفهرى . وكان عطاء يكنى أبا محمد .

عن أبي عبد الله يعني أحمد بن حنبل قال : العلم خزائن يقسم الله لمن أحب، لو كان يخُصَّ بالعلم أحدٌ لكان بيتُ النبي ﷺ أولى ، كان عطاء بن أبي رباح حبشيًا ، وكان يزيد بن أبي حبيب نوبيًا أسود ، وكان الحسن مولى للأنصار ، وكان ابن سيرين مولى للأنصار .

وقال إبراهيم بن إسحاق الحربي : كان عطاء بن أبي رباح عبدًا أسود لامرأة من أهل مكةَ وكان أنفه كأنه باقلاة قال : وجاء سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين إلى عطاء هو وابناه فجلسوا إليه وهو يصلِّي فلمَّا صلَّى انفَتَلَ إليهم فما زالوا يسألونه عن مناسك الحجِّ وقد حول قفاه إليهم ، ثم قال سليمان لابنيه : قُوما ، فقاما ، فقال : يا ابنيّ لاتَنِيا في طلب العلم ؛ فإني لا أنسى ذُلّنا بين يدَيْ هذا العبد الأسود .

وعن أحمد بن محمد قال : كانت الحلقة في الفُتْيا بمكةَ في المسجد الحرام لابن عباسٍ، وبعد ابن عباس لعطاء بن أبي رباح .

وعن سلمة بن كهيل قال : ما رأيت أحدًا يريد بهذا العلم وجه الله - عز وجل - غير هؤلاء الثلاثة عطاء وطاووس ومجاهد .

وعن ابن جريج قال : كان المسجد فراش عطاء بن أبي رباح عشرين سنة .

وعن عمر بن ذر قال : ما رأيت مثل عطاء قطُّ وما رأيت على عطاء قميصًا ولا رأيت عليه ثوبًا يساوي خمسة دراهم .

---

(١) انظر : الحلية (٣/ ٣١٠) ، وسير الأعلام (٥/ ٨٧) .

وعن إسماعيل بن أمية قال : كان عطاء يطيل الصمت فإذا تكلم يخيل إلينا أنه يؤيد، وعن عمرو بن سعيد عن أمه قالت : قدم ابن عمر مكة فسألوه فقال : أتجمعون لي يا أهل مكة المسائل وفيكم ابن أبي رباح .

وعن عبد الله بن إبراهيم بن عمرو بن كيسان قال : أخبرني أبيَ قال : أذكرهم في زمان بني أمية يأمرون في الحاج صائحًا يصيح لا يفتي الناس إلا عطاء بن أبي رباح ، فإن لم يكن عطاء فعبد الله بن أبي نجيح . وعن الأوزاعى قال : ما رأيت أحدًا أخشع لله من عطاء ولا أطول حزنًا من يحيى بن أبي كثير .

وعن يعلى بن عبيد قال : دخلنا على محمد بن سوقة فقال : أحدثكم بحديث لعله أن ينفعكم ؛ فإنه قد نفعني ، ثم قال : قال لنا عطاء بن أبي رباح : يا بني أخي إنَّ من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدّون فضوله ما عدا كتاب الله - عز وجل - أن تقرأه وتأمر بمعروف أو تنهى عن منكر أو تنطق بحاجتك في معيشتك التى لا بدَّ لك منها . أتنكرون أن عليكم حافظين كرامًا كاتبين ، عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيبٌ عتيد ؟ أما يستحي أحدكم أن لو نشرت عليه صحيفته التي أملَّ صدر نهاره فإن أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه .

وعن ابن جريج قال : كان عطاء بعدما كبر وضعف يقوم إلى الصلاة فيقرأ مائتي آية من البقرة وهو قائم ما يزول منه شيء ولا يتحرك .

وعن ابن عيينة قال : قلت لابن جريج : ما رأيت مصليًا مثلك . قال : لو رأيت عطاء.

وعن معاذ بن سعيد قال : كنا عند عطاء بن أبي رباح فتحدث رجل بحديث فاعترض له آخر في حديثه فقال عطاء : سبحان الله ما هذه الأخلاق ما هذه الأخلاق ؟ إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم منه به فأريه أني لا أحسن منه شيئًا ، وعن عثمان بن الأسود قال : قلت لعطاء : الرجل يمرُّ بالقوم فيقذفه بعضهم ، أيخبره ؟ قال : لا المجالس بالأمانة .

وعن ابن أبي ليلى قال : حجَّ عطاء سبعين حجة وعاش مائة سنة ، أسند عطاء عن ابن عمر وابن عمرو وأبي سعيد وأبي هريرة وزيد بن خالد الجهني وابن عباس وابن الزبير في آخرين من الصحابة .

وروى عنه جماعة من التابعين : كعمرو بن دينار والزهري وقتادة وأيوب في آخرين .

ومات عطاء بمكة في سنة خمس عشرة ومائة ، وقيل : سنة أربع عشرة وهو ابن ثمان وثمانين سنة - رحمه الله .

٢١٠ ـ عبد الله بن عبيد بن عمير [1] (وكان من أفصح أهل مكة)

عن هارون البربري عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال : الإيمان قائد والعمل سائق والنفس حرون فإذا ونى قائدها لم تستقم لسائقها وإذا ونى سائقها لم تستقم لقائدها ولا يصلح هذا إلا مع هذا حتى تقوم على الخير والإيمان بالله مع العمل لله ، والعمل لله مع الإيمان بالله . .

وعن الوصافي عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال : لا ينبغي لمن أخذ بالتقوى ووزن بالورع أن يذل لصاحب الدنيا .

وعن وهب بن جرير قال : أنبأ أبي قال : سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير يقول : بعث سليمان بن داود إلى مارد من مردة الجن فأتي به فلما كان على باب سليمان أخذ عودًا وذرَّعه بذراعه ثم رمى به من وراء الحائط فوقع بين يدي سليمان فقال : ما هذا ؟ فأخبر بما صنع المارد فقال : أتدرون ما أراد ؟ قالوا : لا . قال : يقول : اصنع ما شئت فإنك تصير إلى مثل هذا من الأرض ، أسند عبد الله عن أبيه وغيره وتوفي سنة ثلاث عشرة ومائة بمكة . وكان صالحًا .

ومن الطبقة الثالثة من أهل مكة

٢١١ ـ عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج مولى أمية ابن خالد يكنى أبا الوليد

عن عبد الرزاق قال : كنت إذا رأيت ابن جريج علمت أنه يخشى الله وما رأيت مصليًا مثله قط .

وعنه قال : أهل مكة يقولون : أخذ ابن جريج الصلاة من عطاء وأخذها عطاء من ابن الزبير وأخذها ابن الزبير من أبي بكر الصديق وأخذها أبو بكر من النبي ﷺ .

قال عبد الرزاق : وكان ابن جريج حسن الصلاة ـ وعن مالك بن أنس قال : كان ابن جريج صاحب ليل .

سمع ابن جريج من طاووس مسألة واحدة ومن مجاهد حرفين من القرآن وسمع الكثير من عطاء بن أبي رباح .

وكان عطاء يقول : هو سيد شباب أهل الحجاز ، وسمع من عمرو بن دينار وأبي الزبير وابن المنكدر ونافع والزهري في خلق كثير وقيل : إنه أول من صنف الكتب .

---

(١) انظر : الحلية (٣/ ٣٥٤) ، وسير الأعلام (٤/ ١٥٧) .

وتوفي سنة خمسين ، وقيل إحدى وخمسين ومائة وقيل تسع وأربعين - رحمه الله .

٢١٢ - محمد بن طارق المكى

روى عن طاووس ، وروى عنه الثوري .

عن محمد بن فضيل قال : رأيت ابن طارق في الطواف قد انفرج له أهل الطواف ، عليه نعلان مطرقتان ، فحزروا طوافه في ذلك الزمان فإذا هو يطوف في اليوم والليلة عشرة فراسخ .

وعنه قال : سمعت ابن شبرمة يقول :

لو شئت كنت ككُرزٍ في تعبُّده   أو كابن طارق حول البيت والحرم

قد حاول دون لذيذ العيش خوفهما   وسارعا في طلاب الفوز والكرم

قال : وكان محمد بن طارق يطوف في اليوم والليلة سبعين أسبوعًا وكان كُرْز يختم القرآن في كل يوم وليلة ثلاث ختمات .

وعن ابن شبرمة قال : لو اكتفى أحد بالتراب كفى ابن طارق كف من تراب - رحمه الله .

٢١٣ - عثمان بن أبي دهرش المكى

يروى عن رجل من آل الحكم عن النبي ﷺ . روى عنه ابن عيينة - عن عبد الله بن المبارك عن عثمان بن أبي دهرش أنه كان إذا رأى الفجر قد أقبل عليه تنبَّه وقال : أصير الآن مع الناس ولا أدرى ما أجني على نفسي .

وقال عثمان بن أبي دهرش : ما صليت صلاة قط إلا استغفرت الله تعالى من تقصيرى فيها .

٢١٤ - وهيب بن الورد ابن أبي الورد (١)

مولى بني مخزوم . يكنى أبا أمية . وقيل : أبا عثمان . وكان اسمه عبد الوهاب فصغر فقيل وُهَيب .

عن سفيان بن عيينة عن وُهَيب بن الورد قال : بينا أنا واقف في بطن الوادي إذا أنا برجل قد أخذ بمنكبي فقال : يا وهيب خف الله لقدرته عليك ، واستْحي منه لقربه منك . قال : فالتفتُّ فلم أر أحدًا .

---

(١) انظر : الحلية (٨/ ١٤٠) ، وسير الأعلام (٧/ ١٩٨) .

وعن بشر بن الحارث قال : أربعة رفعهم الله بطيب المطعم : وهيب بن الـــورد ، وإبراهيم بن أدهم ، ويوسف بن أسباط ، وسالم الخواص .

وعن زهير بن عِباد قال : كان فضيل بن عياض ووهيب بن الورد وعبد الله بن المبارك جلوسًا فذكروا الرُّطب فقال وهيب : أو قد جاء الرطب ؟ فقال عبد الله بن المبارك : رحمك الله هذا آخره أو لم تأكله ؟ قال : لا ، قال : ولم ؟ قال وهيب : بلغني أن عامة أجنَّة مكة من الصوافي والقطائع فكرهتها . فقال عبد الله بن المبارك : يرحمك الله أو ليس قد رخص في الشِّرى من السوق إذا لم تُعرف الصوافي والقطائع منه ؟ وإلا ضاق على الناس خبزهم ؟ أو ليس عامة ما يأتي من قمح مصر إنما هو من الصوافي والقطائع ؟ لا أحسبك تستغنى عن القمح فسهل عليك . قال : فصعق .

قال فضيل لعبد الله : ما صنعت بالرجل ؟ فقال ابن المبارك : ما علمت أن كل هذا الخوف قد أعطيه فلما أفاق وهيب قال : يا ابن المبارك دعني من ترخيصك ، لا جرم لا آكل من القمح إلا كما يأكل المضطر من الميتة .

فزعموا أنه نحل جسمه حتى مات هزلاً .

أبو بكر المروزي قال : قال قادم الديلمي : قيل لوهيب بن الورد : ألا تشرب من زمزم؟ قال بأي دلو ؟ .

قال شعيب بن حرب [1] : ما احتملوا لأحد ما احتملوا لوهيب ، كان يشرب بدلوه.

وعن أحمد بن عبيد بن ناصح قال : قال يوسف بن أسباط : عن القعقاع بن عمارة ، عن وهيب المكي قال : يقول الله - عز وجل - : وعزتي وجلالي وعظمتي ما من عبد آثر هواي على هواه إلا أقللت همومه ، وجمعت عليه ضيعته ، ونزعت الفقر من قلبه ، وجعلت الغنى بين عينيه واتَّجرت له من وراء كل تاجر ، وعزَّتي وعظمتي وجلالي ما من عبد آثر هواه على هواي إلا كثرت همومه ، وفرقت عليه ضيعته ، ونزعت الغنى من قلبه، . وجعلت الفقر بين عينيه ثم لم أبالي في أيِّ أوديتها هلك .

وقال عبد الرحمن العراقي : قال وهيب بن الورد : خالطت الناس خمسين سنة فما وجدت رجلاً غفر لي ذنبًا فيما بيني وبينه ، ولا وصلني إذا قطعته ، ولا ستر عليَّ عورة، ولا أمنته إذا غضب ، فالاشتغال بهؤلاء حمق كبير .

وكان سفيان الثوري إذا حدث الناس في المسجد الحرام وفرغ قال قوموا إلى الطبيب ، يعني وهيبًا .

---

(١) هو شعيب بن حرب المدائني ، أحد أئمة الحديث ، روى عن مالك بن مغول وطبقته ، قال عنه أحمد : حمل نفسه على الورع ، توفى سنة (١٩٧ هـ) انظر : شذرات الذهب (١/ ٣٤٩) .

وعن ابن المبارك قال : ما جلست إلى أحد كان أنفع لي مجالسة من وهيب كان لا يأكل من الفواكه وكان إذا انقضت السنة وذهبت الفواكه يكشف عن بطنه وينظر إليه ويقول : يا وهيب ما أرى بك بأسًا ، ما أرى تركك الفواكه ضرَّك شيئًا .

وعن محمد بن مزاحم عن وهيب بن الورد قال : وجدت العزلة اللسان .

وعن محمد بن يزيد بن خنيس قال : قال وهيب بن الورد : كان يقال الحكمة عشرة أجزاء ، فتسعة منها في الصمت والعاشرة عزلة الناس قال : فعالجت نفسي على الصمت فلم أجدني أضبط كل ما أريد منه ، فرأيت أن هذه الأجزاء العشرة عزلة الناس .

وعن ابن أبي رواد قال : انتهيت إلى رجل ساجد خلف المقام في ليلة باردة مطيرة يدعو ويبكي فطفت أسبوعًا . ثم عدت فوجدته على حاله فقمت قريبًا منه الليل كله فلما أدبر الليل سمعت هاتفًا يقول : يا وهيب بن الورد ارفع رأسك فقد غفر لك ، قال : فلم أر شيئًا فلما برق الصبح رفع رأسه ومضى فاتبعته فقلت أو ما سمعت الصوت ؟ فقال: وأي صوت ؟ فأخبرته فقال : لا تخبر به أحدًا فما حدثت به أحدًا حتى مات وهيب .

وعن محمد بن يزيد بن خنيس قال : قال وهيب : عجبًا للعالم كيف تجيبه دواعي قلبه إلى ارتياح الضحك وقد علم أن له في القيامة روعات ، ووقفات وفزعات ! ثم غُشي عليه . وعنه قال : كانوا يرون الرؤيا لوهيب أنه من أهل الجنة فإذا أخبر بها اشتد بكاؤه وقال: قد خشيت أن يكون هذا من الشيطان .

وعنه قال : حلف وهيب بن الورد ألا يراه الله ضاحكًا ولا أحد من خلقه حتى يعلم ما يأتي به رسل ربه . قال : فسمعوه عند الموت يقول : وفيت لي ولم أف لك .

وعن عبد الرزاق قال : سمعت وهيب بن الورد يقول : من عدَّ كلامه من عمله قلَّ كلامه .

وعن محمد بن يزيد بن خنيس قال : قال وهيب بن الورد : لو أن علماءنا – عفا الله عنا وعنهم – نصحوا لله في عباده فقالوا : يا عباد الله اسمعوا ما نخبركم عن نبيكم ﷺ وصالح سلفكم من الزهد في الدنيا فاعملوا به ولا تنظرون إلى أعمالنا هذه الفَسْلة كانوا قد نصحوا لله في عباده ، ولكنهم يأبون إلا أن يجروا عباد الله إلى فتنتهم وما هم فيه .

وعن عبد الله بن المبارك قال : قيل لوهيب بن الورد : أيجد طعم العبادة من يعصي الله ؟ قال : لا ولا من يهم بالمعصية .

وعن جرير بن حازم عن وهيب قال : بلغني أن موسى – عليه السلام – قال : يا رب أخبرني عن آية رضاك عن عبدك فأوحى الله تعالى إليه إذا رأيتني أهيىء له طاعتي وأصرفه عن معصيتي فذاك آية رضاى عنه .

وعن محمد بن يزيد قال : سمعت وهيبًا يقول : ضُرب لعلماء السوء مثل فقيل : إنما مثل عالم السوء كمثل الحجر في الساقية فلا هو يشرب الماء ولا هو يخلِّي الماء إلى الشجر فيحيا به .

وعنه عن وهيب قال : بلغنا أن عيسى - عليه السلام - مرَّ هو ورجل من حوارِيِّيه بلص في قلعة له فلما رآهما اللص ألقى الله في قلبه التوبة . قال : فقال في نفسه : هذا عيسى ابن مريم - عليه السلام - روح الله وكلمته ، وهذا فلان حوارِّيه ، ومن أنت يا شقي ؟ لصٌ بني إسرائيل ، قطعت الطريق وأخذت الأموال وسفكت الدماء . ثم هبط إليهما تائبًا نادمًا على ما كان منه .

فلما لحقهما قال لنفسه تريد أن تمشي معهما ؟ لست لذلك بأهل ، امشِ خلفهما كما يمشي الخطَّاء المذنب مثلك . قال : فالتفت إليه الحواري فعرفه فقال في نفسه انظر إلى هذا الخبيث الشقي ومشيه وراءنا . قال : فاطَّلع الله على ما في قلوبهما ، من ندامته وتوبته ومن ازدراء الحواريِّ إياه وتفضيله نفسه عليه .

قال : فأوحى الله - عز وجل - إلى عيسى ابن مريم أن مُر الحواري ولص بني إسرائيل أن - يأتنفا العمل جميعًا : أما اللص فقد غفرت له ما قد مضى لندامته وتوبته، وأما الحواري فقد حبط عمله لعجبه بنفسه وازدرائه هذا التوَّاب .

قال وهيب : وبلغنا أن الخبيث إبليس تبدَّى ليحيى بن زكريا - عليهما السلام - فقال له : إني أريد أن أنصحك . قال : كذبت أنت لا تنصحني ولكن أخبرني عن بني آدم. قال: هم عندنا على ثلاثة أصناف : أما صنفٌ منهم فهم أشدُّ الأصناف علينا نُقبل حتى نفتنه ونستمكن منه ثم يفزع إلى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدركنا منه ، ثم نعود له فيعود فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا . فنحن من ذلك في عناء.

وأما الصنف الآخر فهم بين أيدينا بمنزلة الكرة في أيدي صبيانكم نتلقفهم كيف شئنا. فقد كفونا أنفسهم .

وأما الصنف الآخر فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شيء .

فقال له يحيى : على ذاك هل قدرت مني على شيء ؟ قال : لا إلا مرة واحدة فإنك قدَّمت طعامًا تأكله فلم أزل أشهيه إليك حتى أكلت أكثر مما تريد . فنمت تلك الليلة ولم تقم إلى الصلاة كما كنت تقوم إليها .

قال : فقال له يحيى : لا جرم لاشبعتُ من طعام أبدًا حتى أموت فقال له الخبيث : لا جرم لا نصحتُ آدميًا بعدك .

محمد بن يزيد قال : رأيت وهيب بن الورد صلَّى ذات يوم العيد . فلما انصرف الناس جعلوا يمرُّون به فنظر إليهم ثم زفر ثم قال : لئن كان هؤلاء القوم أصبحوا مستيقنين أنه قد تقبل منهم شهرهم هذا لكان ينبغي لهم أن يكونوا مشاغيل بأداء الشكر عمَّا هم فيه ، وإن كانت الأخرى لقد كان ينبغي لهم أن يصبحوا أشغل وأشغل .

ثم قال : كثيرًا ما يأتيني من يسألني من إخواني فيقول : يا أبا أمية ، ما بلغك عمَّن طاف سبعًا بهذا البيت ما له من الأجر ؟ فأقول : يغفر الله لنا ولكم بل سلُوا عما أوجب الله تعالى من أداء الشكر في طواف هذا السبع ورزقه إياه حين حرم غيره قال : فيقولون إنا نرجو . فيقول وهيب : فلا والله ما رجا عبدٌ قط حتى يخاف . ثم يقول : كيف تجترىء أن ترجو رضا من لا يخاف غضبه ؟ إنما كان الراجي خليل الرحمن إذ يخبرك الله - عز وجل - عنه قال : ﴿ **وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبَّل منَّا** ﴾ (١) ثم قال : ﴿ **والذي أطمعُ أن يغفر لي خطيئتي يوم الدِّين** ﴾ (٢) .

وعن علي بن أبي بكر قال : اشتهى وهيب لبنًا فجاءته خالته به من شاة لآل عيسى ابن موسى . قال : فسألها عنه فأخبرته فأبى أن يأكله . فقالت له : كلْ فأبى . فعاودته وقالت له : إني أرجو إن أكلته أن يغفر الله لك أي باتباع شهوتي فقال : ما أحب أنى أكلته وإن الله تعالى غفر لي . فقالت : لِمَ ؟ قال : إني أكره أن أنال مغفرته بمعصيته.

عن عمرو بن محمد بن أبي رزين قال : وسمعت وهيبًا يقول : إن العبد ليصمت فيجتمع له لبّه .

وسمعته يقول : لا يكن همُّ أحدكم في كثرة العمل ، ولكن ليكنْ همُّه في إحكامه وتحسينه ، فإن العبد قد يصلِّي وهو يعصي الله في صلاته ، وقد يصوم وهو يعصي الله في صيامه .

وعن مؤمل قال : سمعت وهيبًا يقول : لو قمت قيام هذه السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنك ؟ حلال أو حرام ؟ .

وعن محمد بن يزيد عن وهيب قال : بلغنا ، والله أعلم ، أن موسى - عليه السلام - قال: يا ربِّ أوصني . قال : أوصيك بي . قالها ثلاثًا ، كلّ ذلك يقول: أوصيك بي. حتى قال في الآخرة : أوصيك بي ألا يعرض لك أمر إلا آثرت فيه محبتي على ما سواها، فمن لم يفعل ذلك لم أرحمه ولم أزكِّه .

وعن ابن المبارك ، عن وهيب قال : اتقِّ أن تسُبَّ إبليس في العلانية وأنت صديقه في السر .

---

(١) سورة البقرة آية : ١٢٧ . (٢) سورة الشعراء آية : ٨٢ .

وعن أبي صالح الجدي قال : صليت إلى جنب وهيب العصر . فلما صلى جعل يقول: اللهم إن كنتُ نقصتُ منها شيئًا أو قصَّرتُ فيها فاغفر لي . قال : فكأنه قد أذنب ذنبًا عظيمًا يستغفر منه .

وعن بشر بن الحارث قال : كان وهيب بن الورد تبين خضرة البقل من بطنه من الهزال .

وعنه قال : بلغنا أن وهيبًا كان إذا أتي بقُرصته بكى حتى يبلُّها .

أدرك وهيب بن الورد جماعة من التابعين : كعطاء بن أبي رباح ومنصور بن زاذان وأبان ابن أبي عياش . وكان مشغولاً عن الرواية بالتعبد . على أنه قد نقل عنه حديث حسن .

ومات في سنة ثلاث وخمسين ومائة - رحمه الله .

ومن الطبقة الرابعة

٢١٥ ـ عبد العزيز بن أبي رواد مولى المغيرة بن المهلب بن أبي صفرة

عن شقيق البلخي قال : ذهب بصر عبد العزيز بن أبي رواد عشرين سنة لم يعلم به أهله ولا ولده . فتأمله ابنه ذات يوم فقال له : يا أبت ذهبت عينك ؟ قال: نعم يا بني، الرضا عن الله تعالى أذهب عين أبيك منذ عشرين سنة .

وعن شعيب بن حرب قال : جلست إلى عبد العزيز بن أبي رواد خمسمائة مجلس فما أحسب صاحب الشمال كتب شيئًا .

وعن يوسف بن أسباط قال : مكث عبد العزيز بن أبي رواد أربعين سنة لم يرفع طرفه إلى السماء . فبينما هو يطوف حول الكعبة إذا طعنه المنصور أبو جعفر في خاصرته بإصبعه، فالتفت إليه فقال : قد علمت أنها طعنة جبَّار .

وعن خلاد بن يحيى قال : حدثنا عبد العزيز بن أبي رواد قال : كان يقال من رأس التواضع الرضا بالدون من شرف المجالس . وكان يقول : في رأس كل إنسان حكمة آخذ بها ملك ، فإن تواضع لربه رفعه .

وقال : انتعش رحمك الله ، وإن تكبَّر قمعه ، وقال : اخسأ خسَّأك الله .

وعن محمد بن يزيد بن خنيس قال : قال رجل لعبد العزيز بن أبي رواد : كيف أصبحت؟ فبكى وقال : أصبحت والله في غفلة عظيمة عن الموت مع ذنوب كثيرة قد أحاطت بي ، وأجلٍ يسرع كلَّ يوم في عمري ، وموئل لست أدرى علام أهجم ؟ ثم بكى .

وعن سعيد بن سالم القداح قال : سمعت عبد العزيز بن أبي رواد يقول لرجل : من لم يتّعظ بثلاث لم يتعظ بشيء : الإسلام ، والقرآن ، والمشيب .

أسند عبد العزيز بن أبي رواد عن جماعة من كبار التابعين : كعطاء وعكرمة ونافع .

وتوفي بمكة سنة تسع وخمسين ومائة .

٢١٦ ـ زمعة بن صالح المكى

روى عن سلمة بن وهرام وابن طاووس وروى عنه وكيع .

عن القاسم بن راشد الشيباني : قال : كان زمعة نازلاً عندنا وكان له أهل وبنات وكان يقوم فيصلي ليلاً طويلاً فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته :

يا أيها الركب المعرسونا أكل هذا الليل ترقدونا

ألا تقومون فتـــــرحلونا

قال : فيتواثبون فيسمع من هاهنا باك ، ومن هاهنا داع ، ومن هاهنا قارئ ، ومن ههنا متوضئ ، فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته : عند الصباح يحمد القوم السرى – رحمه الله .

ومن الطبقة الخامسة

٢١٧ ـ سفيان بن عيينة بن أبي عمران يكنى أبا محمد

وهو مولى لبني عبد الله بن رُويبة . ولد بالكوفة وسكن مكة .

عن محمد بن عمر قال : أنبأ سفيان أنه ولد سنة سبع ومائة وكان أصله من الكوفة ، وكان أبوه من عمّال خالد بن عبد الله القسري ، فلما عزل خالد عن العراق وولى يوسف ابن عمر الثقفي طلب عمال خالد فهربوا منه فلحق عيينة بمكة فنزلها.

إبراهيم بن أزداد الرافقي قال : قال سفيان بنُ عيينة : لما بلغتُ خمس عشرة سنة دعاني أبي فقال لي : يا سفيان قد انقطعت عنك شرائع الصبا فاحتفظ من الخير تكن من أهله ، ولا يغرنَّك من اغترَّ بالله فمدحك بما يعلم الله خلافه منك، فإنه ما من أحد يقول في أحد من الخير إذا رضى إلا وهو يقول فيه من الشر مثل ذلك إذا سخط . فاستأنس بالوحدة من جلساء السوء لا تنقل أحسن ظني بك إلى غير ذلك ولن يسعد بالعلماء إلا من أطاعهم . قال سفيان : فجعلت وصية أبي قبلةً أميل معها ولا أميل عنها .

وعن صامت بن معاذ قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : من تزين للناس بشيء يعلم الله منه غير ذلك شانه الله .

وعن النعمان قال : سمعت ابن عيينة يقول : ليس من حب الدنيا طلبك ما لا بدَّ منه.

وعن محمد بن ميمون الخياط قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : إذا كان نهاري نهار سفيهٍ وليلي ليلَ جاهلٍ فما أصنع بالعلم الذي كتبت ؟ .

وعن علي بن الجعد قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : من زيد في عقله نقص من رزقه.

وعن ابن الأعرابي قال : قال سفيان بن عيينة : أرفع الناس منزلةً من كان بين الله وبين عباده ، وهم الأنبياء والعلماء .

وعن علي بن الحسن قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : من رأى أنه خير من غيره فقد استكبر وذلك أن إبليس إنما منعه من السجود لآدم - عليه السلام - استكباره.

وعن سعيد بن داود عن ابن عيينة قال : من كان معصيته في الشهوة فارج له التوبة فإن آدم عصى مشتهيًا فغفر له فإذا كانت معصيته في كِبْرٍ فاخْشَ على صاحبه اللعنة ، فإن إبليس عصى مستكبرًا فلُعن .

وعن بقية عن سفيان قال : أوحى الله - عز وجل - إلى موسى - عليه السلام - أن أول من مات إبليس ، وذلك أنه أول من عصاني وأنا أعدُّ من عصاني من الموتى.

وعن إسحاق بن منيب قال : قال سفيان بن عيينة : لم يعرفوا حتى أحبوا أن لا يعرفوا .

وعن بكر العابد قال : قلت لسفيان بن عيينة : يا أبا محمد أبلغك أن الناس يزدحمون يوم القيامة ؟ فقال : الأقدام يوم القيامة هكذا ووضع يده فوق الأخرى، ثم قال بكر : بلغني أن الناس يخرجون من قبورهم وهم يقولون الماء الماء ، العطش العطش .

وعن موسى بن إسماعيل قال : سمعت ابن عيينة يقول : أصابتني ذات يوم رقَّة فبكيت فقلت في نفسي لو كان بعض أصحابنا لرقَّ معي ثم غفوت فأتاني آت في منامي فرفسني وقال : يا سفيان خذ أجرك ممن أحببت أن يراك .

ابن وهب قال : قال سفيان بن عيينة : إنما منزلة الذي يطلب العلم ينتفع به بمنزلة العبد يطلب كل شيء يُرضي سيده يطلب التحبب إليه والتقرب إليه والمنزلة عنده لئلا يجد عنده شيئًا يكرهه .

وعن حرملة بن يحيى قال : أخذ سفيان بن عيينة بيدي فأقامني في ناحية فأخرج من كُمِّه رغيف شعير وقال لي : دع يا حرملة ما يقول الناس هذا طعامي منذ ستين سنة .

وعن أبي جعفر الحذَّاء قال : سمعت ابن عيينة يقول : إذا وافقت السريرة العلانية فذلك العدل وإذا كانت السريرة أفضل من العلانية فذلك الفضل ، وإذا كانت العلانية أفضل من السريرة فذلك الجَوْر .

محمد بن صباح يقول : أنبأ سفيان بن عيينة : إذا تـــرك العالم لا أدري أصيبت مقاتله .

وعن حيان بن نافع بن صخر بن جويرية قال : كان سفيان بن عيينة بعدما أسنَّ يتمثل بهذا البيت :

يعـــمَّر واحـــدٌ فيغـــرّ قـــومـــًا ... وينسى مَن يموت من الصغار

وعن عبيد الله بن عائشة قال : قال سفيان بن عيينة . لولا أن الله - عـــز وجل - طمأن ابن آدم بثلاث ماأطاقه شيء وإنهن لقيه وإنه على ذلك لوثَّاب : الفقر ، والمرض، والموت.

وعن حيان بن صخر بن جُويرية قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : ليس يضر المدحُ من عرف نفسه .

وعن أبي معمر عن ابن عيينة قال : العلم إن لم ينفعك ضرَّك .

وعن أبي موسى الأنصاري قال : قال سفيان : إن من توقير الصلاة أن تأتي قبل الإقامة.

وعن إسحاق بن أبي إسرائيل قال : سمعت سفيان بن عيينة قال : كان يقال : اسلكوا سبل الحق ولا تستوحشوا من قلة أهلها .

وعن الحسن بن هارون عن سليمان قال حدثنا سفيان بن عيينة قال : كان يقال: الأيام ثلاثة :

فأمس حكيم مؤدَّب ترك حكمته وأبقاها عليك ، واليوم صديق مودِّع كان عنك طويل الغيبة حتى أتاك ولم تأته وهو عنك سريع الظَّعن ، وغدًا لا تدري أتكون من أهله أو لا تكون .

وعن عبد الله بن وهب قال : ثنا سفيان بن عيينة قال : لم يجتهد أحد قط اجتهادًا ولم يتعبد أحد قط عبادة أفضل من ترك ما نهى الله عنه .

وعن إبراهيم بن الأشعث قال : ثنا سفيان بن عيينة قال : كان يقال : أشـــد الناس

حسرة يوم القيامة ثلاثة : رجل كان له عبد فجاء يوم القيامة أفضل عملاً منه، ورجل له مال فلم يتصدق منه فمات فورثه غيره فتصدق منه ، ورجل عالم لم ينتفع بعلمه فعلم غيره فانتفع به .

وعن أبي السرى منصور بن عرار قال : تكلمت في مجلس فيه سفيان بن عيينة وفُضيل بن عياض وعبد الله بن المبارك ، فأما سفيان فتغرغرت عيناه ثم نشفت الدموع . وأما ابن المبارك فسالت دموعه . وأما الفُضيل فانتحب ، فلما قام فضيل وابن المبارك قلت لسفيان: يا أبا محمد ما منعك أن يجيء منك مثلُ ما جاء من صاحبيك ؟ قال : هكذا أكمد للحزن ، إن الدمعة إذا خرجت استراح القلب.

وعن عيسى بن أبي موسى الأنصاري قال : سمعت سفيان بن عيينة ، وسئل عن حدِّ الرضا عن الله تعالى ، فقال : الراضي عن الله لا يتمنى سوى المنزلة التي هو فيها .

وعن حامد بن عمرو البكراوي قال : سمعت عبد الله بن ثعلبة يقول لسفيان ابن عيينة: يا أبا محمد واحزناه على الحزن . فقال سفيان : يا عبد الله هل حزنت قطٌّ لعلم الله - جلَّ وعزَّ - فيك ؟ فقال عبد الله : آهٍ تركتني لا أفرح .

وعن سفيان قال : قال الأحنف : قال لنا عمر بن الخطاب : تفقَّهوا قبل أن تَسُودوا قال سفيان : لأن الرجل إذا أفقه لم يطلب السؤدد .

أدرك سفيان بن عيينة ستةً وثمانين نفسًا من أعلام التابعين ، وأسند عن جمهورهم : كعمرو بن دينار والزُّهري وابن المنكدر وأبي حازم والأعمش وأيوب.

وحدّث عنه من كبار الأئمة : الثوري ، وشعبة ، والأعمش ، والأوزاعي .

(ذكر وفاته ومبلغ سنه)

عن سليمان بن أيوب قال : سمعت ابن عيينة يقول : شهدت ثمانين موقفًا .

وعن الحسن بن عمران بن عيينة ، ابن أخي سفيان بن عيينة ، قال : حججتُ مع عمِّي سفيان آخر حجَّة حجَّها سنة سبع وتسعين ومائة فلما كنا بجمعٍ وصلى استلقى على فراشه، ثم قال : قد وافيت هذا الموضع سبعين عامًا ، أقول في كل سنة: اللهم لا تجعله آخر العهد من هذا المكان ، وإني قد استحييت من الله من كثرة ما أسأله ذلك . فرجع فتوفي في السنة الداخلة يوم السبت أول يوم من رجب سنة ثمان وتسعين ومائة ، ودفن بالحجون وهو ابن إحدى وتسعين سنة .

وعن الحميدي قال : سفيان بن عيينة يقول ولدت سنة سبع ومائة .

قال الحميدي : ومات سفيان سنة ثمانٍ وتسعين في آخر يوم من جُمادى الأولى. - رحمه الله .

٢١٨ ـ الفضيل بن عياض التميمى[1]

ثم أحدُ بني يربوع يكنى أبا علي ، وُلد بخراسان بكُورة أبيورد ، وقدم الكوفة وهو كبير فسمع بها الحديث ثم تعبد وانتقل إلى مكة فمات بها .

عن إبراهيم بن أحمد الخزاعي قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول : لو أن الدنيا كلها بحذافيرها جُعلت لي حلالاً لكنت أتقذَّرها .

وعن أبي الفضل الخزاز قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول : أصلح ما أكون أفقرُ ما أكون ، وإني لأعصي الله فأعرف ذلك في خُلق حماري وخادمي .

وعن إسحاق بن إبراهيم قال : كانت قراءة الفضيل حزينة شهيَّة بطيئة مترسِّلة كأنه يخاطب إنسانًا ، وكان إذا مرَّ بآية فيها ذكر الجنة يردِّدها .

وكان يُلقَى له حصير بالليل في مسجده فيصلي من أول الليل ساعة حتى تغلبه عينه فيُلقي نفسه على الحصير فينام قليلاً ثم يقوم . فإذا غلبه النوم نام . ثم يقوم هكذا حتى يصبح .

---

(١) الفضيل : هو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التيمي من الأئمة المشهورين ، ولد بخراسان وقيل بسمرقند ونشأ بأبيتور ، ونقل الإمام المزى عن الفضل بن موسى قال : كان الفضيل بن عياض شاطراً يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس (أى لص قاطع طريق) ، وكان سبب توبته أنه عشق جارية فبينا هو يرتقى الجدران إليها إذ سمع تالياً يتلو : ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾ [الحديد : ١٦] ، فلما سمعها قال : بلى يارب قد آن ، فرجع فآواه الليل إلى خربة فإذا فيها سابلة فقال بعضهم : نرتحل ، وقال بعضهم : حتى نصبح ، فإن فضيلاً على الطريق يقطع علينا، قال : ففكرت وقلت : أنا أسعى بالليل فى المعاصى وقوم من المسلمين ها هنا يخافوننى ، وما أرى الله ساقنى إليهم إلا لأرتدع ، اللهم إنى قد تبت إليك ، وجعلت توبتى مجاورة البيت الحرام ا.هـ (تهذيب الكمال : فى ترجمة الفضيل) ، وفيه عن إسحاق بن إبراهيم الطبرى قال : ما رأيت أحداً كان أخوف على نفسه ولا أرجى للناس من الفضيل كانت قراءته حزينة ، شهية ، بطيئة ، مترسلة ، كأنه يخاطب إنساناً ، وكان إذا مرّ بآية فيها ذكر الجنة يردد فيها وسأل ، وكانت صلاته بالليل أكثر ذلك قاعداً ، يلقى له حصير فى مسجده فيصلي من أول الليل ساعة ثم تغلبه عينه فيلقي نفسه على الحصير فينام قليلاً ثم يقوم فإذا غلبه النوم نام ثم يقوم هكذا حتى يصبح ، وكان دأبه إذا نعس أن ينام ، ويقال أشد العبادة ما كان هكذا ، وكان شديد الهيبة للحديث إذا حدث وكان يثقل عليه الحديث جداً ربما قال لى : لو أنك طلبت منى الدراهم (وقال مرة الدنانير) كان أحب إليّ من أن تطلب منى الأحاديث ، ومن أقواله رحمه الله : إن رهبة العبد من الله على قدر علمه بالله ، وإن زهادته في الدنيا على قدر رغبته فى الآخرة ، وقال : ترك العمل من أجل الناس رياء ، والعمل من أجل الناس شرك ، والإخلاص أن يعافيك الله عنهما ، وقال : إنما أمس مثل واليوم عمل ، وغداً أمل، ومات رحمه الله تعالى مجاوراً لبيت الله الحرام سنة (١٨٧ هـ) .

قال : وسمعت الفضيل يقول : إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم مكبَّل كبَّلتك خطيئتك .

وعن منصور بن عمار قال : تكلمت يومًا في المسجد الحرام فذكرت شيئًا من صفة النار فرأيت الفضيل بن عياض صاح حتى غشي عليه فطرح نفسه .

وعن أبي إسحاق قال : قال الفضيل بن عياض : لو خُيِّرت بين أن أعيش كلبًا أو أموت كلبًا ولا أرى يوم القيامة لاخترت أن أعيش كلبًا أو أموت كلبًا ولا أرى يوم القيامة .

وعن مهران بن عمرو الأسدي قال : سمعت الفضيل بن عياض عشية عرفة بالموقف ، وقد حال بينه وبين الدعاء البكاء ، يقول واسوأتاه ، وافضيحتاه وإن عفوت ، وعن أحمد ابن سهل قال : قدم علينا سعد بن زنبور فأتيناه فحدثنا قال : كنا على باب الفضيل بن عياض فاستأذنا عليه فلم يؤذن لنا فقيل لنا إنه لا يخرج إليكم أو يسمع القرآن . قال : وكان معنا رجل مؤذن وكان صيِّتًا فقلنا له اقرأ ﴿**ألهاكم التكاثُر**﴾ ورفع بها صوته . فأشرف علينا الفُضيل وقد بكى حتى بل لحيته بالدموع ومعه خرقة ينشف بها الدموع من عينيه وأنشأ يقول :

بلغت الثمانين أو حُزْتُها فماذا أُؤمل أو أنتظرْ ؟
أتى لي ثمانون من مولدي وبعدَ الثمانين ما يُنتظَرْ
علتني السنون فأبلينني . . .

قال ثم خنقته العبرة . وكان معنا علي بن خشرم فأتمَّه لنا فقال :

علتني السنون فأبلينني فرقَّت عظامي وكلَّ البصر

وعن أبي جعفر الحذَّاء قال : سمعت فضيلاً بن عياض يقول : أخذتُ بيد سفيان بن عيينة في هذا الوادي . فقلت له : إن كنت تظن أنه بقي على وجه الأرض شر مني ومنك فبئس ما تظن .

وعن علي بن الحسن قال : بلغ فضيلاً أن جريرًا يريد أن يأتيه قال : فأقفل الباب من خارج . قال : فجاء جرير فرأى الباب مقفلاً فرجع . قال علي : فبلغني ذلك فأتيته فقلت له : جرير . فقال : ما يصنع بي ؟ يظهر لي محاسن كلامه وأظهر له محاسن كلامي ، فلا يتزين لي ولا أتزين له خيرٌ له .

وعن الفيض بن إسحاق قال : سمعت فضيلاً يقول : لو قيل لك يا مرائي لغضبت ولشق عليك وتشكو فتقول : قال لي : يا مرائي عساه قال حقًا من حبك للدنيا تزينت

للدنيا وتصنعت للدنيا . ثم قال : اتق ألا تكون مرائيًا وأنت لا تشعر تصنعت وتهيأت حتى عرفك الناس ؛ فقالوا هو رجل صالح فأكرموك وقضوا لك الحوائج ووسَّعوا لك في المجالس ، وإنما عرفوك بالله ولولا ذلك لهُنت عليهم .

قال : وسمعت الفضيل يقول : تزينت لهم بالصوم فلم ترهم يرفعون بك رأسًا ، تزينت لهم بالقرآن فلم ترهم يرفعون بك رأسًا ، تزينت لهم بشيء بعد شيء ، إنما هو لحبِّ الدنيا .

وعن الحسين بن زياد قال : دخلت على فضيل يومًا فقال : عساك إن رأيت في ذلك المسجد ، يعني المسجد الحرام ، رجلاً شرًا منك ، إن كنت ترى أن فيه شرًا منك فقد ابتُليت بعظيم .

وعن يونس بن محمد المكي قال : قال فضيل بن عياض لرجل : لأعلِّمنك كلمة هي خير من الدنيا وما فيها : والله لئن علم الله منك إخراج الآدميين من قلبك حتى لا يكون في قلبك مكان لغيره ؛ لم تسأله شيئًا إلا أعطاك .

وعن إبراهيم بن الأشعث قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول : ما يؤمنك أن تكون بارزت الله بعمل مقتك عليه فأغلق دونك أبواب المغفرة وأنت تضحك كيف ترى تكون حالك .

وعن عبد الصمد بن يزيد قال : سمعت الفضيل يقول : أدركت أقوامًا يستحيون من الله في سواد الليل من طول الهجعة ، إنما هو على الجنب فإذا تحرك قال : ليس هذا لك قومي خذي حظك من الآخرة .

وعن محمد بن حسان السمني قال : شهدت الفضيل بن عياض وجلس إليه سفيان بن عيينة . فتكلم الفضيل فقال : كنتم معشر العلماء سُرُج البلاد يستضاء بكم فصرتم ظُلْمَةً وكنتم نُجومًا يُهتدى بكم فصرتم حيرة ، ثم لا يستحي أحدكم أن يأخذ مال هؤلاء الظلمة، ثم يسند ظهره يقول : حدثنا فلان عن فلان. فقال سفيان : لئن كنا لسنا بصالحين فإنَّا نحبهم .

وعن بشر بن الحارث قال : قال الفضيل بن عياض : لأن أطلب الدنيا بطبل ومزمار أحبَّ إليَّ من أن أطلبها بالعبادة .

وعن الفضل بن الربيع قال : حج أمير المؤمنين الرشيد فأتاني فخرجت مسرعًا فقلت: يا أميرالمؤمنين لو أرسلت إليَّ أتيتك . فقال : ويحك قد حكَّ في نفسي شيء فانظر لي رجلاً أسأله . فقلت : هاهنا سفيان بن عيينة . فقال : امض بنا إليه . فأتيناه فقرعت

الباب فقال : من ذا ؟ فقلت : أجب أمير المؤمنين . فخرج مسرعًا فقال : يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليَّ أتيتك فقال له : خذ لما جئناك له - رحمك الله .

فحدثه ساعة ثم قال له : عليك دين ؟ قال : نعم . فقال : أبا عباس اقضِ دينه فلما خرجنا قال : ما أغنى عني صاحبك شيئًا ، انظر لي رجلاً أسأله . فقلت له : هاهنا عبد الرزاق بن همام . قال : امضِ بنا إليه . فأتيناه فقرعت الباب فقال : من هذا ؟ قلت: أجب أمير المؤمنين . فخرج مسرعًا فقال : يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليَّ أتيتك . قال : خذ لما جئناك له . فحادثه ساعة ثم قال له : عليك دين ؟ قال : نعم . قال : أبا عباس اقضِ دينه . فلما خرجنا قال : ما أغنى صاحبك شيئًا انظر لي رجلاً أسأله . قلت: هاهنا الفضيل ابن عياض . قال : امض بنا إليه . فأتيناه فإذا هو قائم يصلي يتلو آية من القرآن يرددها . فقال : اقرع الباب . فقرعت الباب فقال : من هذا ؟ فقلت : أجب أمير المؤمنين فقال : ما لي ولأمير المؤمنين ؟ فقلت : سبحان الله أما عليك طاعة ؟ أليس قد روي عن النبي ﷺ أنه قال : « ليس للمؤمن أن يُذل نفسه » فنزل ففتح الباب ثم ارتقى إلى الغرفة فأطفأ المصباح ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت . فدخلنا فجعلنا نجول عليه بأيدينا ؛ فسبقت كفٌّ هارون قبلي إليه . فقال : يا لها من كف ما ألينها إن نجت غدًا من عذاب الله - عز وجل - فقلت في نفسي : ليكلمنه الليلة بكلام نقي من قلب تقي . فقال له: خذ لما جئناك له - رحمك الله - فقال : إن عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة دعا سالم بن عبد الله، ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة فقال لهم : إني قد ابتُليت بهذا البلاء فأشيروا عليَّ . فعدَّ الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة . فقال له سالم بن عبد الله: إن أردت النجاة غدًا من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن إفطارك من الموت ، وقال له محمد بن كعب القرظي : إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أبًا وأوسطهم عندك أخًا وأصغرهم ولدًا فوقِّر أباك وأكرم أخاك وتحنن على ولدك.

وقال له رجاء بن حيوة : إن أردت النجاة غدًا من عذاب الله - عز وجل - فأحبَّ للمسلمين ما تُحبُّ لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك ، ثم مُت إذا شئت وإني أقول لك إني أخاف عليك أشدَّ الخوف يومًا تزل فيه الأقدام فهل معك - رحمك الله - من يشير عليك بمثل هذا ؟ فبكى هارون بكاء شديدًا حتى غُشي عليه فقلت له : أرفق بأمير المؤمنين فقال: يا ابن أم الربيع تقتله أنت وأصحابك وأرفُق به أنا ؟ ثم أفاق فقال له : زدني - رحمك الله - فقال : يا أمير المؤمنين بلغني أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكا إليه . فكتب إليه عمر : يا أخي أذكِّرك طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد ، وإيـــاك أن ينصرف بك من عند الله فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء . قال : فلما قرأ الكتاب

طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبد العزيز فقال له : ما أقدمك ؟ قال : خلعت قلبي بكتابك لا أعود إلى ولاية أبدًا حتى ألقى الله – عز وجل .

قال : فبكى هارون بكاء شديدًا ثم قال له : زدني رحمك الله – فقال يا أمير المؤمنين إن العباس عم المصطفى ﷺ جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله أمِّرني على إمارة ، فقال له النبي ﷺ : « إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة ، فإن استطعت أن لا تكون أميرًا فافعل » . فبكى هارون بكاء شديدًا وقال له : زدني – رحمك الله – فقال : يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله – عز وجل – عن هذا الخلق يوم القيامة ، فإن استطعت أن تقي هذا الوجه من النار فافعل ، وإياك أن تصبح وتُمسي وفي قلبك غِش لأحد من رعيتك فإن النبي ﷺ قال : « من أصبح لهم غاشًا لم يُرح رائحة الجنة » .

فبكى هارون وقال له : عليك دَيْن ؟ قال نعم ؛ دَيْن لربي يحاسبني عليه ، فالويل لي إن سألني ، والويل لي إن ناقشني ، والويل لي إن لم أُلْهَمْ حُجَّتي قال : إنما أعني دَيْن العباد . قال : إن ربي لم يأمرني بهذا ، أمر ربي أن أوحده وأطيع أمره ، فقال عزَّ وجل : ﴿ وما خلقتُ الجن والإنس إلا ليعبدُون ما أريدُ منهم من رزقٍ وما أُريد أن يُطعمون إن الله هو الرزَّاق ذو القُوَّة المتين ﴾ [1] .

فقال له : هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك وتقوَّ بها على عبادتك فقال : سبحان الله أنا أدلَّك على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا ؟ سلمك الله ووفقك .

ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده فلما صرنا على الباب قال هارون : أبا عباس إذا دللتني على رجل فدُلني على مثل هذا ، هذا سيد المسلمين .

فدخلت عليه امرأة من نسائه فقالت : يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال فتفرجنا به فقال لها : مثلي ومثلكم كمثل قومٍ كان لهم بعير يأكلون من كسبه فلما كبر نحروه فأكلوا لحمه .

فلما سمع هارون هذا الكلام قال : ندخل فعسى أن يقبل المال فلما علم الفضيل خرج فجلس في السطح على باب الغرفة ، فجاء هارون فجلس إلى جنبه فجعل يكلمه فلا يجيبه فبينا نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء فقالت : يا هذا قد آذيت الشيخ منذ الليلة فانصرف – رحمك الله – فانصرفنا .

اقتصرنا على هذا القدر من أخبار الفضيل لأنا قد أفردنا لكلامه ومناقبه كتابًا فمن أراد الزيادة فلينظر في ذلك الكتاب .

---

(١) سورة الذاريات آية : ٥٦ – ٥٨ .

وقد أسند الفضيل عن جماعة من كبار التابعين منهم : الأعمش ومنصور بن المعتمر وعطاء بن السائب وحصين بن عبد الرحمن ومسلم الأعور وأبان بن أبي عياش ، وروى عنه خلق كثير من العلماء ، وقد ذكرنا جملة من رواياته في ذلك الكتاب.

وتوفي - رضي الله عنه - في سنة سبع وثمانين ومائة .

٢١٩ ـ على بن الفضيل بن عياض [١]

ألحقناه بدرجة أبيه ، لأنه مات في حياة أبيه ، واقتصرنا من أخباره على اليسير لأنَّا قد أدرجناها في كتاب فضائل أبيه - رضي الله عنهما .

عن فضيل بن عياض قال : بكى ابني علي فقلت : يا عليُّ ما يبكيك ؟ قال : يا أبت أخاف ألا تجمعنا القيامة .

وعن بشر بن الحارث قال : كان عشرة ينظرون في الحلال النظر الشديد ، لا يدخل بطونهم إلا حلال ، ولو استفُّوا التراب فذكر منهم علي بن الفضيل .

وعن محمد بن الحسين قال : كان علي بن الفضيل يصلِّي حتى يزحف إلى فراشه ثم يلتفت إلى أبيه فيقول : يا أبت سبَقني العابدون .

وعن سفيان بن عيينة قال : ما رأيت أحدًا أخْوف من الفضيل وابنه .

أسند علي عن : عبد العزيز بن أبي رواد ، وسفيان بن عيينة وغيرهما - رضي الله عنهما .

٢٢٠ ـ محمد بن إدريس - الإمام الشافعي [٢]
رضي الله عنه يكنى أبا عبد الله

عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال : قال الشافعي : ولدت بغزة سنة خمسين ومائة وحملت إلى مكة وأنا ابن سنتين .

قال : وأخبرني غيره عن الشافعي قال : لم يكن لي مال فكنت أطلب العلم في الحداثة أذهب إلى الديوان أستوهب الظهور أكتب فيها .

وعن حسين الكرابيسي قال : سمعت الشافعي يقول : كنت امرءًا أكتب الشعر وآتي البوادي فأسمع منهم ، وقدمت مكة وخرجت وأنا أتمثل بشعرٍ للبيد وأضرب وحشى قدمي بالسوط فضربني رجل من ورائي من الحجبَة فقال : رجل من قريش ثم ابن المطلب

---

(١) انظر : الحلية (٨/ ٢٩٧) ، وسير الأعلام (٨/ ٤٤٢) .

(٢) انظر : الحلية (٩/ ٦٣) ، وسير الأعلام (١٠/ ٥) .

رضي من دينه ودنياه أن يكون معلّمًا ما الشعر ؟ الشعر إذا استحكمت فيه قعدت معلّمًا ، تفقه يُعْلكَ الله .

قال : فنفعني الله بكلام ذلك الحجبيّ ، ورجعت إلى مكة وكتبت عن ابن عيينة ما شاء الله أن أكتب . ثم كنت أجالس مسلم بن خالد الزنجي ، ثم قدمت على مالك فكتبت موطأه . فقلت له : يا أبا عبد الله أقرأ عليك ؟ فقال : يا ابن أخي تأتي برجلٍ يقرؤه عليَّ وتسمع . فقلت : أقرأ عليك فتسمع إلى كلامي . فقال : اقرأ . فلما سمع قرأتُ عليه حتى بلغت كتاب السيرَ . قال لي : اطوه يا ابْن أخي تفقَّه تُعْلَ .

وعن محمد بن إسماعيل الحميري عن أبيه . قال : كان الشافعيُّ يطلب اللغة والعربية والشعر وكان كثيرًا ما يخرج إلى البدو فيحمل ما فيه من الأدب . فبينما هو يومًا في حيٍّ من أحياء العرب جاء إليه بدوي فقال له : ما تقول في امرأة تحيض يومًا وتطهرُ يومًا ؟ قال : ما أدري قال : يا ابن أخي الفريضة أولى بك من النافلة . فقال له : إنما أريد هذا لذاك ، وعليه قد عزمت وبالله التوفيق . ثم خرج إلى مالك بن أنس .

وعن الحميدي عن الشافعي قال : كنت يتيمًا في حجر أمي ، ولم يكن معها ما تعطي المعلّم ، وكان المعلم قد رضي منيٍّ أن أخلفه إذا قام فلما ختمتُ القرآن دخلت المسجد فكنت أجالس العلماء فأحفظ الحديث والمسألة فكنت أنظر إلى العظم يلوح فأكتب فيه الحديث والمسألة وكانت لنا جرَّة عظيمة فإذا امتلأ العظم تركته في الجرة ، وفي رواية أخرى فامتلأ من ذلك حبان .

وعن إسماعيل بن يحيى قال : سمعت الشافعي يقول : حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين ، وحفظت الموطَّأ وأنا ابن عشر سنين .

وعن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال : يروى في الحديث أن الله تعالى يبعث على رأس كل مائة سنة من يصحح لهذه الأمة دينها (١) . فنظرنا في المائة الأولى فإذا هو عمر بن عبد العزيز ، ونظرنا في المائة الثانية فنراه الشافعي .

وقال مسلم بن خالد الزنجي للشافعي : يا أبا عبد الله أفت الناس ، آن والله أن تفتي، وهو ابن دون عشرين سنة .

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : قلت لأبي يا أبت أيّ رجل كان الشافعي ؟ سمعتك تُكثر من الدعاء له . فقال : يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا ، وكالعافية للناس، فانظر هل لهذين من خلفٍ أو عوض ؟ .

---

(١) انظر : المستدرك (٤/ ٥٢٢) .

وعن الميموني قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول : ستة أدعو لهم في السحر : أحدهم الشافعي . وعن ابن راهويه قال : كنت مع أحمد بمكة فقال لي تعالَ حتى أريك رجلاً لم ترَ عيناك مثله . فأراني الشافعي .

عن يونس بن عبد الأعلى قال : سمعت الشافعي وحضر ميتًا فلما سجَّينا عليه نظر إليه وقال : اللهم بغناك عنه وفقره إليك اغفر له .

وعن الربيع بن سليمان قال : سمعت الشافعي يقول : ما أردت الحقَّ والحجة على أحد فقبلهما مني إلا هبته اعتقدت مودَّته ، ولا كابرني على الحق أحد ودافع الحجَّة إلا سقط من عيني . وعن أحمد بن خالد الخلال قال : سمعت محمد بن إدريس الشافعي يقول : ما ناظرت أحدًا فأحببت أن يُخطىء .

وعن الحسين الكرابيسي ، يقول : سمعت الشافعي يقول : ما ناظرت أحدًا قط إلا أحببت أن يوفَّق ويسدد ويعان ، ويكون عليه رعاية من الله وحفظ ، وما ناظرت أحدًا إلا ولم أبال بيَّن الله الحق على لساني أو لسانه .

الربيع بن سليمان قال : سمعت الشافعي يقول أشد الأعمال ثلاثة : الجود من قلَّة ، والورع في خلوة ، وكلمة الحق عند من يُرجى ويُخاف .

وعنه قال : سمعت الشافعي يقول : لوددت أن الخلق يتعلمون مني ولا ينسب إليَّ منه شيء ، وسمعته يقول : طلب العلم أفضل من صلاة النافلة .

وعن أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال : سمعت الشافعي يقول : طالب العلم يحتاج إلى ثلاث : إحداها حُسن ذات اليد ، والثانية : طول عمر ، والثالثة : يكون له ذكاء . وعن الربيع قال : قال الشافعي : من طلب الرياسة فرت منه ، وإذا تصدر الحديث فاته علم كثير .

وعن يونس بن عبد الأعلى قال : قال لي الشافعي : يا يونس إذا بلغك عن صديق لك ما تكرهه فإياك أن تبادره بالعداوة وقطع الولاية فتكون ممن أزال يقينه بشك ، ولكن ألقه وقل له : بلغني عنك كذا وكذا واحذر أن تسمي له المبلغ فإن أنكر ذلك فقل له : أنت أصدق وأبر لا تزيدن على ذلك شيئًا وإن اعترف بذلك فرأيت له في ذلك وجهًا لعذر فاقبل منه ، وإن لم ترَ ذلك فقل له : ماذا أردت بما بلغني عنك ؟ فإن ذكر ماله وجه من العذر فاقبل منه ، وإن لم تر لذلك وجهًا لعذر وضاق عليك المسلك فحينئذ أثبتها عليه سيئة ، ثم أنت في ذلك بالخيار : إن شئت كافأته بمثله من غير زيادة وإن شئت عفوت عنه والعفو أقرب للتقوى وأبلغ في الكرم لقول الله تعالى : ﴿**وجزاء سيئة سيئة**

مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾ [1] فإن نازعتك نفسك بالمكافأة فأفكر فيما سبق له لديك من الإحسان فعدها ، ثم ابدر له إحسانًا بهذه السيئة ، ولا تبخسن باقي إحسانه السالف بهذه السيئة فإن ذلك الظلم بعينه يا يونس إذا كان لك صديق فشد يديك به فإن اتخاذ الصديق صعب ومفارقته سهل .

قال : سمعت الشافعي يقول : يا يونس الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء ، فكن بين المنقبض والمنبسط .

وعن أحمد بن الوزير قال : حدثنا محمد بن إدريس الشافعي قال : قبول السعاية شر من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول إجازة وليس من دل على شيء كمن أقبل وأجاز .

قال : وتنقص رجل محمد بن الحسن عند الشافعي فقال له : مه لقد تلمظت بمضغة طالما لفظها الكرام .

وعن الربيع بن سليمان قال : قال الشافعي : استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر .

وعنه قال : سمعت الشافعي يقول : من ضحك منه في مسألة لم ينسها أبدًا .

وعنه قال : قال لي الشافعي : يا ربيع رضا الناس غاية لا تدرك ، فعليك بما يصلحك فالزمه فإنه لا سبيل إلى رضاهم ، واعلم أنه من تعلم القرآن جلَّ في عيون الناس ، ومن تعلم الحديث قويت حجته ، ومن تعلم النحو هيب ومن تعلم العربية رق طبعه ومن تعلم الحساب جزل رأيه ، ومن تعلم الفقه نبل قدره ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه، وملاك ذلك كله التقوى .

وعن المزني قال : سمعت الشافعي يقول : من تعلم القرآن عظمت قيمته ، ومن نظر في الفقه نبل مقداره ، ومن تعلم اللغة رق طبعه ، ومن تعلم الحساب جزل رأيه ، ومن كتب الحديث قويت حجته ، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه.

وعن الربيع بن سليمان قال : سمعت الشافعي يقول : اللبيب العاقل هو الفطن المتغافل .

وعن أبي الوليد الجارودي قال : سمعت الشافعي يقول : لو علمت أن الماء البارد ينقص من مروءتي ما شربته .

وعن الربيع قال : سأل رجل الشافعي عن سنه قال : ليس من المروءة أن يخبر الرجل بسنه ، سأل رجل مالكًا عن سنه فقال : أقبل على شأنك .

(١) سورة الشورى آية : ٤٠ .

قال لنا أبو بكر بن أبي طاهر : وجدت في هذه الحكاية زيادة من رواية أخرى: ليس من المروءة أن يخبر الرجل بسنه لأنه إن كان صغيرًا استحقروه ، وإن كان كبيرًا استَهْرَمُوه. وعـنه قال : كان الشافعي قد جزأ الليل ثلاثة أجزاء : الثُلث الأول يكتب ، والثلث الثاني يصلي ، والثلث الثالث ينام .

وعنه قال : كان للشافعي في رمضان ستون ختمة لا يحسب منها ما يقرأ في الصلاة.

أبو بكر النيسابورى قال : سمعت الربيع يقول : كان الشافعي يختم كل شهر ثلاثين ختمة وفي رمضان ستين ختمة سوى ما يقرأ في الصلاة .

وعن نهشل بن كثير ، عن أبيه قال : أدخل الشافعي يومًا إلى بعض حُجَر هارون الرشيد لِيُستأذَن له ومعه سراج الخادم . فأقعده عند أبي عبد الصمد مؤدب أولاد هارون الرشيد . فقال سراج للشافعي : يا أبا عبد الله هؤلاء أولاد أمير المؤمنين وهذا مؤدبهم فلو أوصيته بهم . فأقبل عليه فقال : : ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح أولاد أمير المؤمنين إصلاحك نفسك ، فإن أعينهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ما تستحسنه والقبيح عندهم ما تكرهه : علمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملوه ولا تتركهم منه فيهجروه . ثم روِّهم من الشعر أعفَّه ومن الحديث أشرفه ، ولا تُخرجهم من علم إلى غيره حتى يُحكموه فإن ازدحام الكلام في السمع مضلةٌ للفهم .

وقال الحميدي : قدم الشافعي مرة من اليمن ومعه عشرون ألف دينار فضرب خيمته خارجًا من مكة فما قام حتى فرقها كلها .

عن المزني قال : سمعت الشافعي يقول : من نظَّف ثوبه قلَّ همه ، ومن طاب ريحه زاد عقله .

وعن الربيع بن سليمان قال : سمعت الشافعي يقول : لن يجفو فعلُ من يصفو .

وعنه قال : سمعت الشافعي يقول ، وسأله رجل عن مسألة فقال : رُوي فيها كذا وكذا عن النبي ﷺ . فقال له السائل : يا أبا عبد الله تقول به ؟ فرأيت الشافعي أُرعد وانتفض وقال : يا هذا أيَّ أرض تُقلني وأيَّ سماء تُظلُّني إذا رويت عن رسول الله ﷺ حديثًا فلم أقل به ؟ نعم على السمع والبصر .

قال : وسمعت الشافعي وقد روى حديثًا فقال له بعض من حضر : تأخذ بهذا ؟ فقال: إذا رويت عن رسول الله ﷺ حديثًا صحيحًا فلم آخذ به فأنا أشهدكم أن عقلي قد ذهب ومدَّ يديه .

وعنه قال : سمعت الشافعي يقول : إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ودعوا ما قلت .

وعن أبي بيان الأصبهاني قال : رأيت النبي ﷺ في النوم فقلت : يا رسول الله محمد ابن إدريس الشافعي ابن عمك هل نفعته بشيء أو خصصته بشيء ؟ فقال نعم سألت الله ألا يحاسبه . فقلت : بماذا يا رسول الله ؟ قال : إنه كان يصلي عليَّ صلاة لم يصلِّ بمثل تلك الصلاة أحد . فقلت : وما تلك الصلاة يا رسول الله ؟ قال : كان يصلي عليَّ: اللهم صلِّ على محمد كلمَّا ذكره الذاكرون وصلِّ علي محمد كلما غفل عنه الغافلون .

قال المصنف : أخبرنا محمد بن أبي منصور قال : قرأت في كتاب محمد بن طاهر النيسابوري بخطه للشافعي - رضي الله عنه :

إنَّ امـــرأً وجد اليســـارَ فـلم يُصبْ حمدًا ولا شُـــكرًا لغيـــرُ موفَّق
الجـــد يُدنـــي كلَّ شـــيءٍ شاسع والجـــدُّ يفتـــح كلَّ بـــاب مغلقِ
فإذا ســـــمعت بأن مجدودًا حوى عُـــودًا فأثمـــر فـــي يديه فصدِّق
وإذا ســـمعت بأن محـــرومًا أتـــى مـــاءً ليشـــربه فغـــاض فحقِّـق
ومـــن الدليل علـــى القضاء وكونه بؤسُ اللَّبيب وطيب عيش الأحمق

وعن المزني قال : دخلت على الشافعي في علَّته التي مات فيها فقلت : كيف أصبحت؟ فقال : أصبحتُ من الدنيا راحلاً ولإخواني مفارقًا ولكأس المنية شاربًا ولسوء أعمالي ملاقيًا وعلى الله تعالى واردًا فلا أدري رُوحي تصير إلى الجنة فأهنِّئها أو إلى النار فأعزيها ؟ ثم بكى وأنشأ يقول :

ولمَّا قَســا قلبـــي وضاقــت مذاهبي جعلـــتُ الرجا منِّي لعفوك سُلَّما
تعاظمـــني ذنبـــي فلمــا قرنْــتـــُه بعفـــوك ربِّي كان عفوك أعظما
وما زلت ذَا عفوٍ عن الذنب لم تزل تجـــود وتعفـــو منَّة وتكـــرُّمًا

وسمع الشافعي - رضي الله عنه - من : مالك بن أنس وإبراهيم بن سعد وسفيان بن عيينة وعبد العزيز الدراوردي ومسلم بن خالد الزنجي ، في خلق كثير .

وحدث عنه : أحمد بن حنبل وغيره من العلماء .

وتوفي سنة أربع ومائتين .

الربيع بن سليمان قال : توفِّي الشافعي ليلة الجمعة بعد العشاء الآخرة آخر يوم من رجب ودفنَّاه يوم الجمعة فانصرفنا فرأينا هلال شعبان سنة أربع ومائتين .

وعن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال : ولد الشافعي في سنة خمسين ومائة ، ومات في آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين عاش أربعًا وخمسين .

وعن الربيع قال : كنا جلوسًا في حلقة الشافعي بعد موته بيسير ، فوقف علينا أعرابي فسلَّم ثم قال لنا : أين قمر هذه الحلقة وشمسها ؟ فقلنا توفي - رحمه الله - فبكى بكاءً شديدًا ثم قال : رحمه الله وغفر له فلقد كان يفتح ببيانه منغلق الحجة، ويسد على خصمه واضح المحجَّة ، ويغسل من العار وُجوهًا مسودَّة ، ويوسِّع بالرأي أبوابًا منسدَّة . ثم انصرف .

وعنه قال : رأيت الشافعي بعد وفاته بالمنام فقلت : يا أبا عبد الله ما صنع الله بك ؟ قال: أجلسني على كرسيٍّ من ذهب ونثر عليَّ اللؤلؤ الرَّطب والسلام .

ممن بعد هؤلاء من الطبقات

٢٢١ ـ أبو غياث المكى مولى جعفر بن محمد

أبو حازم المعلى بن سعيد البغدادى قال : سمعت أبا جعفر محمد بن جرير الطبري في سنة ثلاثمائة يقول : كنت بمكة سنة أربعين ومائتين فرأيت خُراسانيًا ينادي: معاشر الحاج من وجد هميانًا فيه ألف دينار فرده عليَّ أضعف الله له الثواب قال : فقام إليه شيخ من أهلَ مكة كبير من موالي جعفر بن محمد فقال له : يا خراساني بلدنا فقيرٌ أهله شديدٌ حاله، أيامه معدودة ومواسمه منتظرة ، لعله يقع بيد رجل مؤمن يرغب فيما تبذله له حلالا يأخذه ويرده عليك . قال الخراساني : فكم يريد ؟ قال : العشر : مائة دينار . قال : لا أفعل ولكنا نُحيله على الله - عز وجل - قال : وافترقا .

قال ابن جرير : فوقع لي أن الشيخ صاحبُ القريحة والواجدُ للهميان . فاتَّبعته فكان كما ظننت فنزل إلى دار مستفلة ، خلقة الباب والمدخل فسمعته يقول: يا لبابة . قالت له: لبيك أبا غياث . قال : وجدت صاحب الهميان ينادي عليه مطلقًا فقلت له : قيِّده بأن تجعل لواجده شيئًا . فقال : كم ؟ فقلت : عُشره . فقال : لا ، ولكنَّا نُحيله على الله - عز وجل - فأيَّ شيء نعمل ولا بدَّ لي من ردِّه ؟ فقالت له : نُقاسي الفقر معك منذ خمسين سنة ولك أربع بنات وأختان وأنا وأمي وأنت تاسع القوم ، أشبعنا واكسنا ولعل الله - عز وجل - يغنيك فتعطيه أو يكافئه عنك ويقضيه . فقال لها : لست أفعل ولا أحرق حُشاشتي بعد ستٍّ وثمانين سنة .

قال : ثم سكت القوم وانصرفت ، فلما إن كان من الغد على ساعات من النهـار سمعت الخراساني يقول : يا معاشر الحاجِّ وفد الله من الحاضر والبادي ، من وجد هميانًا فيه ألف دينار فردَّه أضعف الله له الثواب . قال : فقام إليه الشيخ فقال : يا خراساني قد قلت لك بالأمس ونصحتك وبلدنا والله فقير قليل الزرع والضـرع ، وقد قلت لـك أن تدفع إلى واجده مائة دينار فلعله أن يقع بيد رجل مؤمن يخاف الله - عز وجل -

فامتنعت ، فقل له : عشرة دنانير منها فيردَّه عليك ويكون له في العشرة الدنانير ستر وصيانة . قال: فقال له الخراسانيّ : لا نفعل، ولكن نُحيله على الله - عز وجل - قال: ثم افترقا .

قال الطبري : فما اتَّبعت الشيخ ولا الخراساني وجلست أكتب كتاب النسب للزبير ابن بكار . فلما كان من الغد سمعت الخراساني ، ينادي ذلك النداء بعينه، فقام إليه الشيخ فقال له : يا خراساني قلت لك أول أمس العُشر منه ، وقلت لك أمس عُشر العُشر ، أعط دينار عُشْرَ عُشْرِ العُشْرِ يشتري بنصف دينار قربةً يستقي عليها للمقيمين بمكة بالأجرة ، وبنصف دينار شاة يحلبها ويجعل ذلك لعياله غذاء . قال : لا نفعل ، ولكن نُحيله على الله - عز وجل -.

قال : فجذبه الشيخ وقال له : تعالَ خذ هميانك ودعني أنام الليل ، وأرحنا من مُحاسبتك . فقال له: امشِ بين يدي فمشى الشيخ وتبعه الخراساني وتبعتُهما فدخل الشيخ فما لبث أن خرج وقال : ادخل يا خراسانيّ فدخل ودخلتُ . فنبش تحت درجة له مزبلة فأخرج منها الهميان أسود منخرق بخارية غلاظ فقال: هذا هميانك . فنظر إليه وقال : هذا همياني قال : ثم حل رأسه من شدٍّ وثيق ثم صب المال في حجر نفسه وقلَّبه مرارًا وقال : هذه دنانيرنا . وأمسك فم الهميان بيده الشمال وردَّ المال بيده اليمنى فيه ثم شدَّه شدا سهلاً ووضعه على كتفه ثم أراد الخروج فلما بلغ باب الدار رجع فقال للشيخ : يا شيخ مات أبي - رحمه الله - وترك من هذه ثلاثة آلاف دينار فقال لي : أخرج ثلثها ففرّقه على أحق الناس عندك ، وبعْ رحلي واجعله نفقة لحجَّتك . ففعلت ذلك ، وأخرجت ثلثها ألف دينار وشددتها في هذا الهميان ، وما رأيت منذ خرجت من خراسان إلى هاهنا رجلاً أحقَّ به منك خذه بارك الله لك فيه قال : ثم ولَّى وتركه قال : فوليت خلف الخراساني فعدا أبو غياث فلحقني وردَّني وكان شيخًا مشدود الوسط بشريط معصب الحاجبين ، ذكر أنَّ له ستًا وثمانين سنة ، فقال لي : اجلس فقد رأيتك تتبعني في أول يوم وعرفت خبرنا بالأمس واليوم ، سمعت أحمد بن يونس اليربوعي يقول : سمعت مالكًا يقول : سمعت نافعًا يقول : عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال لعمر وعليّ - رضي الله عنهما : « إذا أتاكما الله بهديَّة بلا مسألة ولا استشراف نفسٍ فاقبلاها ولا تردَّاها فتردَّ لها على الله - عز وجل». وهذه هديةٌ من الله والهدية لمن حضر .

ثم قال : يا لُبابة وفلانة وفلانة . فصاح ببناته وأخواته وزوجته وأمها وقعد وأقعدني فصرنا عشرة فحل الهميان وقال : ابسطوا حجُوركم فبسطت حجري وما كان لهنَّ قميصٌ له حجرٌ يبسطونه ، فمدُّوا أيديهم وأقبل يعدُّ دينارًا دينارًا حتى إذا بلغ العاشر إليَّ قال :

ولك دينار حتى فرغ الهميان وكانت ألفًا فيها ألف فأصابني مائة دينار ، فداخلني من سرور غناهم أشدُّ مما داخلني من سرور صيانتي بالمائة دينار .

فلما أردت الخروج قال لي : يا فتى إنك لمبارك وما رأيت هذا المال قط ولا أمَّلته وإني لأنصحك أنه حلال فاحتفظ به واعلم أني كنت أقوم فأصلي الغداة في هذا القميص الخلق ثم أنزعه فيصلِّين فيه واحدة واحدة ثم أكتسب إلى ما بين الظهر والعصر ثم أعود في آخر النهار بما فتح الله - عز وجل - لي من أقطٍ وتمر وكُسيرات ومن بقول نُبذت ثم أنزعه فيتداولنه فيصلين فيه المغرب وعشاء الآخرة ، فنفعهن الله بما أخذن ونفعني وإياك بما أخذنا، ورحم صاحب المال في قبره وأضعف ثواب الحامل للمال وشكر له .

قال ابن جرير : فودَّعته وكتبتُ بها العلمَ سنتين أتقوت بها وأشترى منها الورق ، وأسافر وأعطي الأجرة . فلما كان بعد سنة ست وخمسين سألت عن الشيخ بمكة فقيل : إنه مات بعد ذلك بشهور ، ووجدت بناته ملوكًا تحت ملوك ، وماتت الأختان وأمهن ، وكنت أنزل على أزواجهن وأولادهن فأحدِّثهم بذلك فيأنسون بي ويكرمونني ، ولقد حدَّثني محمد بن حيان البجلي في سنة تسعين ومائتين أنه ما بقي منهم أحد . فبارك الله لهم فيما صاروا إليه .

٢٢٢ ـ أبو جعفر المزين الكبير(١)

جاوَر بمكة ، وبها مات ، وكان من العبَّاد .

عن أحمد بن عبد الله ، هو أبو نعيم ، قال : سمعت أبا جعفر الخياط الأصبهاني بمكة يقول : سمعت أبا جعفر المزين يقول : محنتنا وبلاؤنا صفاتنا ، فمتى فنيت حركات صفاتنا أقبلت القلوب منقادة للحق .

وقال : سمعت أبي يقول : سمعت أبا جعفر المزين الكبير يقول إن الله لم يؤمِّن الخائفين بقدر خوفهم ولكن بقدر جوده وكرمه ، ولم يُفرح المحزونين بقدر حزنهم ولكن بقدر رأفته ورحمته .

٢٢٣ ـ أبو الحسن على بن محمد المزين الصغير

أصله من بغداد ولكنه أقام بمكة .

عن أبي عبد الله بن خفيف قال : سمعت أبا الحسن المزين بمكة يقول : كنت في بادية تبوك فتقدمت إلى بئرٍ لأستقي منها فزلقت رجلي فوقعت في جوف البئر فرأيت في البئر زاوية واسعة فأصلحتُ موضعًا وجلست عليه وقلت : إن كان مني شيء لا أفسد الماء

---

(١) انظر : الحلية (١٠/ ٣٤٠) .

على الناس ، وطابت نفسي وسكن قلبي فبينما أنا قاعد إذا بخشخشة فتأملت بأفعى ينزل على البئر ، فراجعتُ نفسي فإذا هي ساكنة . فنزل ودار بي وأنا هادئ السرِّ لا يضطرب عليَّ ثم لفَّ بي ذنبه وأخرجني من البئر وحلَّل عني ذنبه ، فلا أدري أرض ابتلعته أو سماءٌ رفعته ؟ وقمت ومشيت .

وعن جعفر الخلدي قال : ودعت المزين الصوفي فقلت : زوِّدني شيئًا . فقال: إن ضاع منك شيء أو أردت أن يجمع الله بينك وبين إنسان فقل : يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد ، اجمع بيني وبين كذا فإن الله يجمع بينك وبين ذلك الشيء أو ذلك الإنسان . فما دعوت بها في شيء إلا استُجيب .

وعن أبي بكر الرازى قال : سمعت أبا الحسن المزين يقول : الذنب بعد الذنب عقوبة الذنب ، والحسنة بعد الحسنة ثواب الحسنة .

وقال أبو الحسن المزين : من استغنى بالله أحوج الله الخلق إليه .

وقال : المعجب بعلمه مستدرج ، والمستحسن لشيء من أفعاله ممكورٌ به .

قال السلمي : صحب أبو الحسن المزين الجُنيد وسهل بن عبد الله ، وأقام بمكة مجاورًا حتى توفي بها سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة .

٢٢٤ ـ أبو القاسم سعد بن على بن محمد الزنجانى (١)

طاف الآفاق ولقيَ المشايخ وسكن مكة فصار شيخ الحرم . وكان إذا خرج إلى الحرم يُخلون المطاف ويقبِّلون يده أكثر من تقبيل الحجر . وكانت له كرامات .

عن أبي عبد الله محمد بن أحمد قال : لما عزم الشيخ سعد على الإقامة بالحرم عزم على نفسه نيِّفًا وعشرين عزمة يُلزمها أياها من المجاهدات والعبادات . ومات بعد ذلك بأربعين سنة ولم يخلَّ منها بعزيمة واحدة .

قال المصنف : أنبأ إسماعيل بن أحمد عن سعد بن علي الزنجاني قال : أنشدني أبو عبد الله محمد بن أحمد الواعظ قال : أنشدني علي بن عبد العزيز الجرجاني .

ما تطعَّمتُ لذَّة العيش حتى ... صرتُ للبيت والكتاب جليسا
ليس شيء أعزَّ عندي من العلم ... فلَم أبتغي سواه أنيسا ؟
إنما الذلّ في مخالطة الناس ... فدعهم وعش عزيزًا رئيسًا

توفي الزنجاني في سنة سبعين ، أو إحدى وسبعين وأربع مائة - رحمه الله .

---

(١) انظر : سير الأعلام (١٨/ ٣٨٥) .

ذكر المصطفين من عباد كانوا بمكة لم تعرف أسماؤهم

٢٢٥ ـ عابد

عن عبد الله بن المبارك قال : كنت بمكة فأصابهم قحط فخرجوا إلى المسجد الحرام يستسقون فلم يُسقوا . وإلى جانبي أسود منهوك فقال : اللهم إنهم قد دعوك فلم تُجبهم وإنّي أقسم عليك أن تسقينا . قال : فوالله ما لبثنا أن سُقينا .

قال : فانصرف الأسود واتَّبعته حتى دخل دارًا في الخياطين فعلَّمتُها فلما أصبحت أخذت دنانير وأتيت الدار فإذا رجل على باب الدار فقلت : أردت ربَّ هذه الدار . فقال : أنا . قلت : مملوك لك أردت شراءه فقال : لي أربعة عشر مملوكًا أخرجهم إليك فأخرجهم فلم يكن فيهم . فقلت له : بقي شيء ؟ فقال : لي غلام مريض ، فأخرجه فإذا هو الأسود . فقلت : بعنيه . قال : هو لك يا أبا عبد الرحمن . فأعطيته أربعة عشر دينارًا وأخذت المملوك فلما صرنا إلى بعض الطريق . قال لي : يا مولاي أيَّ شيء تصنع بي وأنا مرض ؟ فقلت : لما رأيت عشية أمس . قال : فاتكأ على الحائط فقال : اللهم إذ شهرتَني فاقبضني إليك . قال : فخرَّ ميتًا . قال : فانحشر عليه أهل مكة .

وقد رُويت لنا هذه الحكاية على صفة أخرى . قال ابن المبارك : قدمت مكة فإذا الناس قد قحطوا من المطر وهم يستسقون في المسجد الحرام ، وكنت في الناس مما يلي باب بني شيبة ، إذ أقبل غلام أسود عليه قطعتا خيش قد اتزر بإحداهما وألقى الأخرى على عاتقه، فصار في موضع خفي إلى جانبي فسمعته يقول : إلهي أخلقت الوجوه كثرةُ الذنوب ومساوئ الأعمال ، وقد منعتنا غيث السماء لتؤدب الخليقة بذلك ، فأسألك يا حليمًا ذا أناة، يا من لا يعرف عبادُه منه إلاّ الجميل ، اسقهم الساعة الساعة .

قال ابن المبارك : فلم يزل يقول : الساعة الساعة ، حتى استوت بالغمام وأقبل المطر من كل مكان وجلس مكانه يسبِّح وأخذت أبكي ، إذ قام فاتَّبعته حتى عرفت موضعه . فجئت إلى فضيل بن عياض فقال لي : ما لي أراك كئيبًا ؟ فقلت : سبقنا إليه غيرنا فتولاه دوننا فقال : وما ذاك ؟ فقصصت عليه القصة فصاح وسقط وقال : ويحك يا ابن المبارك خذني إليه . فقلت : قد ضاق الوقت وسأبحث عن شأنه .

فلما كان من الغد صليت الغداة وخرجت أريد الموضع فإذا شيخ على الباب قد بُسط له وهو جالس فلما رآني عرفني وقال : مرحبًا بك يا أبا عبد الرحمن ما حاجتك ؟ فقلت له: احتجت إلى غلام أسود .

قال : نعم عندي عدة فاختر أيَّهم شئت فصاح : يا غلام فخرج غلام جلد ، فقال : هذا محمود العاقبة أرضاه لك فقلت : ليس هذا حاجتي ، فما زال يخرج واحدًا بعد

واحد حتى أخرج إليَّ الغلام . فلما بصرت به بدرت عيناي فقال : هذا هو ؟ قلت : نعم. قال : ليس إلى بيعه سبيل قلت : ولم ؟ قال : قد تبركتُ بموضعه من هذه الدار وذلك إنه لا يرزؤني شيئًا . قلت : ومن أين طعامهُ وشرابه ؟ قال : يكسب من فتل الشريط نصف دانق أو أقل أو أكثر فهو قُوته ، فإن باعه في يومه وإلا طوى ذلك اليوم، وأخبرني الغلمان عنه أنه لا ينام هذا الليل الطويل ولا يختلط بأحد منهم مهتم بنفسه . وقد أحبّه قلبي فقلت له : أنصرف إلى سفيان بن عيينة وإلى فضيل بن عياض بغير قضاء حاجة ؟ فقال : إن ممشاك عندي كبير ، خذه بما شئت .

قال : فاشتريته فأخذت نحو دار فضيل بن عياض ، فمشيت ساعة فقال لي : يا مولاي. فقلت : لبيك قال : لا تقل لي لبيك فإن العبد أولى أن يُلبي من المولى . قلت : حاجتك يا حبيب . قال : أنا ضعيف البدن لا أطيق الخدمة وقد كان لك في غيري سعة وقد أخرج إليك من هو أجل مني . فقلت : لا يراني الله أستخدمك ولكن أشتري لك منزلاً وأزوِّجك وأخدمك أنا بنفسي . قال : فبكى . فقلت له : ما يبكيك؟ قال : أنت لم تفعل هذا إلا وقد رأيت بعض متَّصلاتي بالله - تعالى - وإلا فلم اخترتني من بين أولئك الغلمان؟ فقلت له : ليس بك حاجة إلى هذا ؟ فقال لي : سألتك بالله إلا ما أخبرتني ، فقلت له : بإجابة دعوتك فقال لي: إني أحسبك إن شاء الله - تعالى - رجلاً صالحًا . إن لله - عز وجل - خيرةً من خلقه لا يكشف شأنهم إلا لمن أحب من عباده ولا يُظهر عليهم إلا من قد ارتضى . ثم قال لي : ترى أن تقف عليَّ قليلاً فإنه قد بقيت عليَّ ركعات من البارحة فقلت : هذا منزلُ فضيلٍ قريبٌ . قال : لا ، ههنا أحبُّ إليَّ أمر الله - عز وجل - لا يؤخر فدخل من باب الباعة إلى المسجد ، فما زال يصلي حتى إذا أتى على ما أراد التفت إليَّ وقال : يا أبا عبد الرحمن هل من حاجة؟ قلت : ولِمَ ؟ قال: لأني أريد الإنصراف . قلت : إلى أين ؟ قال : إلى الآخرة . قلت: لا تفعل دعني أُسرُّ بك . فقال لي : إنما كانت تطيب الحياة حيث كانت المعاملة بيني وبينه - تعالى - فأما إذ اطلعت عليها أنت فسيطلع عليها غيرك فلا حاجة لي في ذلك . ثم خرّ لوجهه فجعل يقول : إلهي اقبضني الساعة الساعة .

فدنوت منه فإذا هو قد مات ، فوالله ما ذكرته قط إلا طال حُزني وصغُرت الدنيا في عيني رحمه الله .

٢٢٦ ـ عابد آخر

عن أبي سعيد الخزاز قال : كنت بمكة معي رفيق لي من الورعين ، فأقمنا ثلاثة أيام لم نأكل شيئًا وكان بحذائنا فقير معه كُويزة وركوة مغطاة بقطعة خيش، وربما كنت أراه

يأكل خبز خُوّاري . فقلت في نفسي والله لأقولن لهذا نحن الليلة في ضيافتك ، فقلت له . فقال : نعم وكرامة فلما جاء وقت العَشاء جعلت أراعيه ولم أر معه شيئًا . فمسح يده على سارية فوقع على يده شيء فناولني فإذا درهمان لا تشبه الدراهم . فاشترينا خبزًا وأدمًا . فلما مضى لذلك مدة جئت إليه وسلّمت عليه وقلت له : إني ما زلت أراعيك منذ تلك الليلة وأنا أحبُّ أن تعرِّفني بم وصلت إلى ذلك ؟ فإن كان يبلغ بعمل حدثتني فقال: يا أبا سعيد ما هو إلا حرف واحد . قلت : وما هو ؟ قال تخرج قدر الخلق من قلبك تصلْ إلى حاجتك .

٢٢٧ ـ عابد آخر

عن بيان المصري قال : كنت في مكة قاعدًا وشاب بين يدي فجاءه إنسان وحمل إليه كيسًا فيه دراهم فوضعه بين يديه ، فقال : لا حاجة لي فيه . فقال : فرِّقه على المساكين ففرَّقه . فلما كان العَشاء رأيته في الوادي يطلب شيئًا لنفسه فقلت : لو تركت شيئًا لنفسك مما كان معك . فقال : لم أعلم أني أعيش إلى هذا الوقت .

٢٢٨ ـ عابد آخر

عن عبد الله بن أبي نوح قال : قال لنا عابد كان بمكة : ما تركت النارُ للعاقل سرورًا في أهل ولا ولد ، ولبئس المصيرُ مصير مفْرط في المهلة ، ومتكل على الغرة وطول الغفلة . وقال لنا : لتكن الأثرة لله في قلوبكم ، المستولية على جميع أموركم يوشك أن تفوزوا بذلك يوم يخسر المبطلون - رحمه الله - .

ذكر المصطفيات من عابدات مكة

٢٢٩ ـ حكيمة المكية

عن سلمة بن خالد المخزومي قال: وكان من خيار بني مخزوم ، قال : كان هاهنا امرأة من بني مخزوم مجاورة ، وكان يقال لها حكيمة . وكانت إذا نظرت إلى باب الكعبة قد فُتح صرخت كما تصرخ الثَّكلى فلا تزال تصرخ حتى يُغمى عليها وكانت لا تكاد تفارق المسجد إلا للأمر الذي لا بدَّ منه . قال : ففتحت الكعبة يومًا وهي في بعض حاجتها فلما جاءت قالت لها امرأة كانت تجالسها : حكيمة فُتح اليوم بيت ربك فلو رأيت الطائفين يطوفون بالبيت والباب مفتوح وهم ينتظرون الرحمة من مليكهم لقد قرَّت عينك . قال فصرخت حكيمة صرخة ثم لم تزل تضطرب حتى ماتت - رحمها الله .

٢٣٠ ـ نقيش بنت سالم

عن أبي المورق قال : حدثني من سمع نقيش بنت سالم بمكة وهي تقول : يا سيـد

الأنام رحلت بي الشُّقة وهذا مقام العائذ بعفوك من سخطك ، وبرحمتك من غضبك . يا حبيب الأوَّابين ، يا من لا يُكديه الإعطاء ، يا ذا المنِّ والآلاء زدني بالثقة منك وصلة، واجعل قراي عتق رقبتي وأقرر عيني برضاك .

قال : ورأيتها بالموقف وهي تقول : بهظتني الآثام يا سيِّد الأنام كحلت عيني بمُلمول الحزن فوعزتك لا نعمتُ بضحك أبدًا حتى أعلم أين قراري ، وإلى أين تصير داري ؟ فلما رأت أيدي الناس مبسوطة للدعاء قالت : يا ربِّ أقامهم هذا المُقام خوفُ النار . يا قرَّة عيني وعيون الأبرار ، يلتمسون نائلك ويرجون فضلك. فلما رجعوا وضعت خدَّها وصرخت : انصرف الناس ولم أُشعر قلبي منك اليأس .

٢٣١ ـ عائشة المكية

عن أبي عبيد القاسم بن سلاّم قال : دخلت مكة ، وكنت ربما أقعد بحذاء الكعبة ، وربما كنت أستلقي وأمدّ رجلي . فجاءتني عائشة المكية وكانت من العابدات ممن صحب الفضيل ، فقالت لي : يا عبد الله يقال إنك عالم ، اقبل مني كلمة : لا تجالسه إلاّ بأدب فيمحو اسمك من ديوان القُرب .

٢٣٢ ـ ابنة أبي الحسن المكي

عن عبد الله بن أحمد بن بكر . قال : كان لأبي الحسن المكي ابنة مقيمه بمكة أشدُّ ورعًا منه وكانت لا تقتات إلا بثلاثين درهمًا يُنفذها إليها أبوها في كل سنة مما يستفضله من ثمن الخُوص الذي يُسفه ويبيعه . فأخبرني ابن الرواس التمار ، وكان جاره . قال : جئت أودعه للحج وأستعرض حاجته وأسأله أن يدعو لي فسلم إليَّ قرطاسًا وقال : تسأل بمكة عن الموضع الفلاني عن فلانة وتسلم هذا إليها فعلمت أنها ابنته .

فأخذت القرطاس وجئت فسألت عنها فوجدتها بالعبادة والزهد أشدَّ اشتهارًا من أن تخفى فتتبعت نفسي أن يصل إليها شيء من مالي يكون لي ثوابه ، وعلمت أنني إن دفعت إليها ذاك لم تأخذه . ففتحت القرطاس وجعلت الثلاثين خمسين درهمًا ورددته كما كان وسلمته إليها فقالت : أي شيء خبر أبي ؟ فقلت: سلامه . فقالت : قد خالط أهل الدنيا وترك الانقطاع إلى الله تعالي ؟ . . . أسألك بالله وبمن حججت إليه عن شيء فتصدقني ؟ فقلت : نعم . فقالت : خلطت بهذه الدراهم شيئًا من عندك ؟ فقلت: نعم فمن أين علمت بهذا ؟ قالت : ما كان أبي يزيدني على الثلاثين شيئًا لأن حاله لا يحتمل أكثر منها إلا أن يكون ترك العادة فلو أخبرتني بذلك ما أخذت منه أيضًا شيئًا . ثم قالت لي خذ الجميع فقد عققْتني من حيث قدرت أنك تبرَّني فقلت ولِمَ؟ قالت لا آكل شيئًا ليس هو من كسبى ولا كسب أبي ولا آخذ من مال لا

أعرف كيف هو شيئًا . فقلت : خذي منها الثلاثين كما أنفذ إليك أبوك وردِّي الباقي . فقالت : لو عرفتها بعينها من جملة الدراهم لأخذتها ولكن قد اختلطت بما لا أعرف جهته فلا آخذ منها شيئًا وأنا الآن أقتات إلى الموسم الآخر من المزابل لأن هذه كانت قُوتي تلك السنة ، فقد أجعتني ، ولولا أنك ما قصدت أذاي لدعوت عليك .

قال : فاغتممت وعُدت إلى البصرة وجئت إلى أبي الحسن فأخبرته واعتذرتُ إليه فقال : لا آخذها وقد اختلطت بغير مالي ، وقد عققتني وإياها قال : فقلت : فما أعمل بالدراهم ؟ قال : لا أدري . فما زلت مدة أعتذر إليه وأسأله ما أعمل بالدراهم ؟ فقال لي بعد مدة : تصدَّق بها . ففعلت .

ذكر المصطفيات من عابدات مكة المجهولات الأسماء

٢٣٣ ـ جارية سوداء

عن المثنى بن الصباح قال : كان عطاء ومجاهد يختلفان إلى جارية سوداء في ناحية مكة تُبكيهما ثم يرجعان .

٢٣٤ ـ عابدة أخرى

عن مالك بن دينار قال : رأيت امرأة بمكة من أحسن الناس عينين قال : فكان النساء يجئن فينظرن إليها . فأخذت في البكاء فقيل لها تذهب عيناك . فقالت : إن كنت من أهل الجنة فيبدلني الله عينين أحسن من هاتين ، وإن كنت من أهل النار فسيصيبها أشد من هذا . فبكت حتى ذهبت إحدى عينيها - رحمها الله .

٢٣٥ ـ عابدة أخرى

عن أبي عبد الرحمن المغازلي قال : كانت حكيمة مجاورة بمكة فدخلنا عليها ذات يوم، فقالت لها امرأة كانت تخدمها : إخوانك جاءوك يحبُّون أن يسمعوا كلامك .

قال : فبكت طويلاً ثم أقبلت علينا فقالت : إخوتي وقُرَّة عيني مثِّلوا القيامة نُصب أبصار قلوبكم وردُّوا على أنفسكم ما قد تقدَّم من أعمالكم فما ظننتم أنه يجوز في ذلك اليوم فارغبوا إلى السيد في قبوله وتمام النعمة فيه ، وما خفتم أن يردُ في ذلك اليوم عليكم فخذوا في إصلاحه من اليوم ولا تغفلوا عن أنفسكم فتردُّ عليكم حيث لا يوجد البدل ، ولا يقدر على الفداء . قال : ثم بكت طويلاً ثم أقبلت علينا فقالت : إخوتي وقرَّة عيني إنما صلاح الأبدان وفسادها في حُسن النية وسُوئها . إخواني وقرة عيني إنما نال المتقون المحبة لمحبتهم له وانقطاعهم إليه ولولا الله ورسوله ما نالوا ذلك ولكنهم أحبُّوا الله ورسوله فأحبهم عباد الله لحبهم الله ورسوله . إخواني وقُرَّة عيني ، كلَّم الخوفُ

قلوب أهله فاقتطعهم والله وشغلهم عن مطاعم اللذات والشهوات إخوتي وقُرَّة عيني ، بقدر ما تُعرِضون عن الله يعرض عنكم بخيره ، وبقدر ما تُقبلون عليه كذلك يقبل عليكم ويزيدكم من فضله ، والله واسع كريم .

٢٣٦ ـ عابدة أخرى

عن ابن أبي رواد قال : كان عندنا امرأة بمكة تسبِّح كل يوم اثنتي عشرة ألف تسبيحة . فأتت فلما بلغت القبر اختُلست من أيدي الرجال - رحمها الله .

٢٣٧ ـ عابدة أخرى

عن ابن شوذب قال : كتب عبدة بن أبي لبابة إلى شريك يقال له الحسن بن الخزاز : ادفع ثلاثمائة درهم إلى أحوج أهل بيت بمكة . فسأل فدُلَّ على أهل بيت فوقف بهم ، فخرجت إليه امرأة كبيرة حسنة السمت فقال لها : بُعث إليَّ بثلاثمائة درهم وأمرت أن أدفعها إلى أحوج أهل بيت بمكة فقالت المرأة : إن كنت أمرت بهذا فما نحن هم وما لنا فيها حق ، وأنا أعرف أهل بيتَ أحوج منا . فسألها فدلَّته عليهم فأعطاهم الدراهم وكتب إلى عبدة يخبره بحال المرأة فكتب عبدة أن أضْعِفْها أعطها ستمائة درهم .

وقد ذكرنا نحو هذه الحكاية عن عابدة من أهل المدينة .

٢٣٨ ـ عابدة أخرى

عن أبي الحسن الرام ، وكان من خيار الناس ، قال : كانت امرأة بمكة يأتيها العبَّاد فيتحدثون عندها ويتواعظون . فقالت لهم يومًا : حجبت قلوبكم الدنيا عن الله - عزَّ وجل - فلو جليتموها لجالت في ملكوت السموات ولأتتكم بطُرف الفوائد .

٢٣٩ ـ عابدة أخرى

عن صالح بن عبد الكريم قال : دُللت على امرأة بمكة أو بالمدينة تتعبد . فأتيتها وهي تتكلم . قال : فأحسنت حتى سكتت . قال : فصبرت حتى تفرق الناس عنها ثم دنوت منها فقلت : لقد تكلَّمت ولقد خشيتُ عليك العجب فقالت : إنما العجب من شيء هو منك فأما ما كان من غيرك ففيم العجب ؟ ثم قالت :

وله خصائصُ مصطفون لحبِّه   اختارهم في سالف الأزمانِ
اختارهم من قبل فطرة خلقه   بودائــعٍ وبحكــمةٍ وبيــانِ

ثم قالت : انهض إذا شئت .

٢٤٠ ـ عابدة أخرى

عن عبد الرحمن بن الحكم قال : كانت عجوز من قريش بمكة تـأوي في سرب

ليس لها بيت غيره . فقيل لها : أترضَيْن بهذا ؟ فقالت : أوليس هذا لمن يموت كثيرًا ؟ .

٢٤١ ـ عابدة أخرى

عن محمد بن بكار قال : كانت عندنا بمكة امرأة عابدة فكانت لا تمر بها ساعة إلا وهي صارخة فقيل لها يومًا : إنا لنراك على حال ما نرى غيرك عليها فإن كان بك داء عالجناك . قال : فبكت وقالت : من لي بعلاج هذا الداء ؟ وهل أقرح قلبي إلا التفكر في نيل معالجته ؟ أو ليس عجيبًا أن أكون حية بين أظهركم وفي قلبي من الاشتياق إلى ربي - عزَّ وجل - مثل شعل النار التي لا تُطفأ حتى أصير إلى الطبيب الذي عنده برء دائي وشفاء قلب قد أنضجه طولُ الأحزان في هذه الدار التي لا أجد فيها على البكاء مسعدًا ؟ .

انتهى ذكر أهل مكة

ومن المصطفين من أهل الطائف

٢٤٢ ـ سعيد بن السائب الطائفي

روى عن أبيه ونوح بن صعصعة وغيرهما وروى عنه وكيع ومعن بن عيسى .

عن سفيان قال : كان سعيد بن السائب الطائفي لا تكاد تجفُّ له دمعة إنما دموعه جاريةٌ دهرهُ : إن صلَّى فهو يبكي ، وإن طاف فهو يبكي ، وإن جلس يقرأ في المصحف فهو يبكي ، وإن لقيته في طريق فهو يبكي .

قال سفيان : فحدثوني أن رجلاً عاتبه على ذلك فبكى ثم قال : إنما ينبغي أن تعذلني وتعاتبني على التقصير والتفريط فإنهما قد استوليا عليَّ .

قال الرجل : فلما سمعت ذلك انصرفت وتركته .

وعن محمد بن يزيد بن خُنيس قال : ما رأيت أحدًا قط أسرع دمعة من سعيد بن السائب، إنما كان يُجريه أن يحرِّك فترى دموعه كالقطر .

عن محمد بن يزيد بن خنيس قال : قيل لسعيد بن السائب : كيف أصبحت؟ قال: أصبحت أنتظر الموت على غير عدة .

وعنه قال : سمعت الثوري يقول : جلست ذات يوم أحدِّث ومعنا سعيد بن السائب الطائفي ، فجعل سعيد يبكي حتى رحمته . فقلت : يا سعيد ما يبكيك. وأنت تسمعني أذكر أهل الخير وفعالهم ؟ فقال : يا سفيان وما يمنعني من البكاء إذا ذكرت مناقب أهل الخير وكنت عنهم بمعزل ؟

قال : يقول سفيان : حقَّ له أن يبكي - رحمه الله .

ذكر المصطفين من طبقات أهل اليمن من التابعين ومن بعدهم ، فمن الطبقة الثانية

٢٤٣ ـ طاووس بن كيسان[١]

يكنى أبا عبد الرحمن ، قال الواقدي كان طاووس مولى بحير بن ريسان الحميري وكان ينزل الجند ، وقال الفضل بن دكين هو مولى لهمدان وقال عبد المنعم بن ادريس هو مولى لابن هوذة الهمداني .

عن الحسن بن حصين قال : رأيت طاووسًا مرّ برءّاسٍ [٢] بمكة ، وقد أخرج رأسًا فلما رآه صعق .

وعن عبد الله بن بشر أن طاووسًا اليماني كان له طريقان إلى المسجد طريق في السوق وطريق آخر . فكان يأخذ في هذا يومًا وفي هذا يومًا فإذا مر في طريق السوق فرأى تلك الرؤوس المشويّة لم يَتَعَشَّ تلك الليلة ، وقد روي لنا : لم ينعس .

وعن مسعر عن رجل قال : أتى طاووس رجلاً في السحر فقالوا : هو نائم . فقال : ما كنت أرى أن أحدًا ينام في السحر .

عن عبد الرزاق قال : حدثني أبي قال : كان طاووس يصلي في غداة باردة فمرّ به محمد بن يوسف أخو الحجاج بن يوسف ، أو أيوب بن يحيى وهو ساجد في موكبه فأمر بساجٍ أو طيلسان مرتفع فطرح عليه فلم يرفع رأسه حتى فرغ من حاجته فلما سلّم نظر فإذا الساج عليه . قال : فانتفض ولم ينظر إليه ومضى إلى منزله .

وعن أبي إسحاق الضَّعْناني قال : دخل طاووس ووهب بن منبه علي محمد بن يوسف أخي الحجاج ، وكان عاملاً علينا ، في غداة باردة فقعد طاووس على الكرسي . فقال محمد : يا غلام هلمّ ذلك الطيلسان فألقه على أبي عبد الرحمن . فألقوه عليه فلم يزل يحرك كتفيه حتى ألقى عنه الطيلسان وغضب محمد بن يوسف . فقال له وهب : والله إن كنت لغنيًا أن تُغضبه علينا ، لو أخذت الطيلسان فبعته وأعطيت ثمنه المساكين فقال : نعم لولا أن يقال من بعدي: أخذه طاووس فلا يصنع فيه ما أصنع ، لفعلت .

وعن النعمان بن الزبير أن محمد بن يوسف وأيوب بن يحيى بعثا إلى طاووس بخمسمائة دينار وقالوا للرسول إن أخذها منك فإن الأمير سيكسوك ويُحسن إليك، فخرج بها حتى قدم علي طاووس فقال : يا أبا عبد الرحمن نفقة بعث بها إليك الأمير . قال:

---

(١) انظر : الحلية (٤/٣) ، وسير الأعلام (٥/٣٨) .

(٢) رءاس : أى بائع الرؤوس .

ما لي بها من حاجة قال فأراده على قبضها فأبى . فغفل طاووس فرمى بها في كوة في البيت ثم ذهب ، فقال لهم : قد أخذها . فلبثوا حينًا : ثم بلغهم عن طاووس شيء يكرهونه ، فقال : ابعثوا إليه فليبعث إلينا بمالنا فجاءه الرسول فقال : المال الذي بعث به إليك الأمير قال : ما قبضت منه شيئًا . فرجع الرسول فأخبرهم فعرفوا أنه صادق .

فقيل للرجل الذي ذهب بها ، فبعثوه إليه فقال : المال الذي جئتك به يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال : هل قبضتُ منك شيئًا ؟ قال : لا . قال : فهل تدري أين وضعته ؟ قال : نعم في تلك الكُوّة . قال : فأبصره حيث وضعته . قال : فمدّ يده فإذا هو بالصرّة قد بنت عليها العنكبوت فأخذها فذهب بها إليهم .

وعن سفيان قال : جاء ابنٌ لسليمان بن عبد الملك فجلس إلى جنب طاووس فلم يلتفت إليه . فقيل له : جلس إليك ابن أمير المؤمنين فلم تلتفت إليه ؟ قال : أردت أن يعلم أن لله عبادًا يزهدون فيما في يديه .

وعن سفيان عن عمرو قال : ما رأيت أحدًا أشدّ تنزّهًا مما في أيدي الناس من طاووس.

وعن ابن أبي رواد قال : رأيت طاووسًا وأصحابه إذا صلَّوا العصر استقبلوا القبلة ولم يكلموا أحدًا وابتهلوا في الدعاء .

وعن الصَّلت بن راشد قال : كنت عند طاووس ، فسأله سلم بن قتيبة عن شيء فزبره وانتهره . قال : قلت هذا سلم بن قتيبة صاحب خرسان . قال : ذاك أهون له عليّ .

وعن عبد الرزاق قال : قدم طاووس مكة فقدم أمير قال : فقيل له إن من فضله ومن ومن فلو أتيته . قال : ما لى إليه حاجة . قالوا : إنا نخافه عليك . قال : فما هو كما تقولون .

وعن ابن طاووس قال : قلت لأبي : أريد أن أتزوج فلانة . قال : اذهب فانظر إليها. قال : فذهبت فلبست من صالح ثيابي وغسلتُ رأسي وادّهنت فلمارآني في تلك الهيئة قال : اقعد لا تذهب .

وعن هلال بن كعب قال : كان طاووس إذا خرج من اليمن يعني إلى مكة لم يشرب إلا من تلك المياه القديمة الجاهلية .

وعن يوسفَ بن أسباط قال : مرّ طاووس بنهر قد كُرِىَ فأرادت بغلته أن تشرب فأبي أن يدعها . يعني كراهُ السلطان .

وعن عبد المنعم بن أدريس ، عن أبيه قال : صلى وهب بن منبه وطاووس اليماني الغداة بوضوء العتمة أربعين سنة .

وعن ابن جريج قال : قال لي عطاء : قال لي طاووس : يا عطاء لا تُنزلنّ حاجتك بمن أغلق دونك أبوابه وجعل عليها حجابه ، ولكن أنزلها بمن بابُه مفتوح لك إلى يوم القيامة ، أمرك أن تدعوه وضمن لك أن يستجيب لك .

وعن أحمد بن أبي الحواري قال : سمعت أبا سليمان قال : كان طاووس يفترش فراشه ثم يضطجع فيتقلى كما تتقلّى الحبة في المقلى ، ثم يثب فيُدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح ، ويقول : طيّر ذكرُ جهنم نوم العابدين .

وعن ليث عن طاووس قال : ما من شيء يتكلم به ابن آدم إلا أُحصي عليه ، حتى أنينه في مرضه .

وعن عبد الله بن أبي صالح المكي قال : دخل عليَّ طاووس يعودني فقلت : يا أبا عبد الرحمن ادع الله لي فقال : ادع لنفسك فإنه يجيب المضطر إذا دعاه .

وعن سفيان قال : قال طاووس : إن الموتى يفتنون في قبورهم سبعًا فكانوا يستحبّون أن يُطعَم عنهم تلك الأيام .

وعن داود بن إبراهيم أن الأسد حبس الناس ليلة في طريق الحج فدقّ الناس بعضهم بعضًا فلما كان في السحر ذهب عنهم فنزل الناس يمينًا وشمالاً فألقوا أنفسهم فناموا وقام طاووس يصليّ . فقال ابن طاووس : ألا تنام فقد نَصَبْتَ الليلة . فقال طاووس : ومن ينام السحر ؟ .

أدرك طاووس خلقًا كثيرًا من الصحابة وأكثر روايته عن ابن عباس .

وروى عنه من كبار التابعين : مجاهد وعطاء وعمرو بن دينار وأبو الزبير ومحمد بن المنكدر والزهري ووهب بن منبه .

وعن عبد الملك بن ميسرة عن طاووس قال : أدركت خمسين من أصحاب رسول الله ﷺ .

وعن سفيان قال : قلت لعبيد الله بن أبي يزيد : مع من كنت تدخل على ابن عباس؟ قال : مع عطاء والعامة ، وكان طاووس يدخل مع الخاصة .

(ذكر وفاته - رحمه الله)

توفي طاووس بمكة قبل يوم التروية بيوم وكان هشام بن عبد الملك قد حج فى تلك السنة وهو خليفة سنة ست ومائة فصلى على طاووس وكان له يوم مات بضع وتسعون سنة .

وعن ضمْرة عن ابن شوذب قال : شهدت جنازة طاووس بمكة سنة ست ومائة فسمعتهم يقولون : رحمك الله أبا عبد الرحمن ، حج أربعين حجة - رحمه الله - .

٢٤٤ ـ وهب بن منبه[١]

من الأبناء [٢] يكنى أبا عبد الله .

عن عبد العزيز بن رفيع عن وهب بن منبه قال : الإيمان عُريان ولباسه التقوى وزينته الحياء ومالهُ الفقه .

وعن عبد الصمد بن معقل أن وهب بن منبه قال في موعظة له : « يا ابن آدم إنه لا أقوى من خالق ولا أضعف من مخلوق ، ولا أقدر ممن طلبته في يده ، ولا أضعف ممن هو في يد طالبه ، يا ابن آدم إنه قد ذهب منك ما لا يرجـع إليك وأقام معـك ما سيذهب .

يا ابن آدم أقصر عن تناول ما لا تنال وعن طلب ما لا تدرك وعن ابتغاء ما لا يوجد واقطع الرجاء منك عما فقدت من الأشياء ، واعلم أنه رُبّ مطلوب هو شرٌ لطالبه . يا ابن ادم إنما الصبر عند المصيبة ، وأعظم من المصيبة سوء الخلف منها .

يا ابن آدم فأيّ الدهر ترتجي ؟ أيومًا يجيء في غرّة أو يومًا تستأخر فيه عن أوان مجيئه؟ فانظر إلى الدهر تجده ثلاثة أيام : يومًا مضى لا ترتجيه ، ويومًا لابد منه ، ويومًا يجيء لا تأمنه ، فأمس شاهدٌ مقبول وأمين مؤدّ وحكيم وارد ، قد فجعك بنفسه وخلّف في يديك حكمته ، واليوم صديق مودّع كان طويل الغيبة وهو سريع الظَّعن، أتاك ولم تأته وقد مضى قبله شاهد عدل ، فإن كان ما فيه لك فاشفعه بمثله .

يا ابن آدم قد مضت لنا أصول نحن فروعها فما بقاء الفرع بعد أصله .

يا ابن آدم إنما أهل هذه الدار سفرٌ لا يحلون عقدة الرحال إلا في غيرها وإنما يتبلّغون بالعواريّ فما أحسن الشكر للنعم ، والتسليم للمٌعير . فاعلم يا ابن آدم أنه لا رزيّة أعظم من رزيّة في عقل ممن ضيع اليقين .

أيها الناس إنما البقاء بعد الفناء وقد خُلقنا ولم نكن ، سنبلى ثم نعود ، ألا وإنما العوارى اليوم والهبات غدًا . ألا وإنه قد تقارب منّا سلب فاحش أو إعطاء جزيل فاستصلحوا ما تُقدمون بما تظعنون عنه .

أيها الناس إنما أنتم في هذه الدار غرضٌ فيكم المنايا تنتضل ، وإن الذي أنتم فيه من دنياكم نهب للمصائب ، لا تتناولون فيها نعمةً إلا بفراق أخرى ، ولا يستقبل معمَّر

---

(١) انظر عنه : الحلية (٤/ ٢٣) ، وسير الأعلام (٤/ ٥٤٤) ، وتاريخ الطبرى (٢/ ٢٠٩) .

(٢) أبناء فارس الذين وجههم كسرى إلى اليمن مع ابن ذي يزن وكانوا عمالاً للأكاسرة على اليمن، وأبقاهم النبي ﷺ بعد إسلامهم . انظر : الطبقات الكبرى (٥/ ٥٣٣) ، وفتوح البلدان (١١٤) .

منكم يومًا من عمره إلا بهدم آخر من أجله ، ولا تجدد زيادة في أجله إلا بنفاد ما قبله من رزقه، ولا يحيا له أثر إلاّ مات له أثر فنسأل الله أن يبارك لنا ولكم فيما مضى سن هذه العظة .

وعن بكار بن عبد الله قال : سمعت وهب بن منبه يقول : مرّ رجل عابد على رجل عابد فقال : ما لك ؟ قال : أعجب من فلان أن كان قد بلغ من عبادته فمالت به الدنيا فقال : لا تعجب ممن تميل به ولكن اعجب ممن استقام .

وعن أشرس ، عن وهب بن منبه قال : أوحى الله - عز وجل - إلى داود : يا داود هل تدري من أغفر له ذنوبه من عبيدي ؟ قال : من هو يا رب ؟ قال : الذي إذا ذكر ذنوبه ارتعدت منها فرائصه ، فذلك العبد الذي آمرُ ملائكتي أن يمحوا عنه ذنوبه .

قال : وقال داود إلهي أين أجدك إذا ما طلبتك ؟ قال : عند المنكسرة قلوبهمُ من مخافتي .

وعن بكار بن عبد الله عن وهب قال : قرأت في بعض الكتب أن مناديًا ينادي من السماء الرابعة كل صباح : أبناء الأربعين ، زرعٌ قد دنا حصاده ، أبناء الخمسين ماذا قدّمتم وماذا أخرتم ؟ أبناء الستين لا عذر لكم ، ليت الخلق لم يخلقوا وإذا خُلقوا علموا لماذا خُلقوا ، قد أتتكم الساعة فخذوا حذركم .

وعن عبد الصمد بن معقل قال : سمعت وهب بن منبّه يقول : قرأت في التوراة أيما دارٍ بُنيت بقوة الضعفاء جُعلت عاقبتها للخراب ، وأيما مالٍ جُمع من غير حلّ جُعلت عاقبته إلىّ الفقر .

وعن عبد الرزاق قال : أخبرني أبي قال : سمعت وهب بن منبه يقول : ربما صليت الصبح بوضوء العتمة ، وقد روى لنا من طريق آخر .

وعن المثنى بن الصباح قال : لبث وهب بن منبه عشرين سنة لم يجعل له بين العشاء والصبح وضوءًا .

وقد روينا في ترجمة طاووس أن وهب بن منبه صلّى الغداة بوضوء العشاء أربعين سنة .

وعن أبي سنان القسملي قال : سمعت وهب بن منبه ، وأقبلَ علي عطاء الخراساني فقال : ويحك يا عطاء ألم أخبر أنك تحمل علمك إلى أبواب الملوك وأبناء الدنيا ؟ ويحك يا عطاء تأتي من يُغلق عنك بابه ، ويُظهر لك فقره ، ويواري عنك غناه ، وتدع من يفتح لك بابه ، ويظهر لك غناه ويقول : ﴿ **ادْعُوني أستجِبْ لكُمْ** ﴾ [1] .

---

(١) سورة غافر آية : ٦٠ .

ويحك يا عطاء ارض بالدّون من الدنيا مع الحكمة ولا ترض بالدون من الحكمة مع الدنيا . ويحك يا عطاء إن كان يغنيك ما يكفيك . فإن أدنى ما فى الدنيا يكفيك . وإن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس فى الدنيا شىء يكفيك . ويحك يا عطاء إنما بطنك بحر من البحور ووادٍ من الأودية فليس يملؤه إلا التراب .

وعن منير مولى الفضل بن أبي عياش قال : كنت جالسًا مع وهب بن منبه فأتاه رجل فقال : إني مررت بفلان وهو يشتمك . فغضب وقال : ما وجد الشيطان رسولاً غيرك ؟ فما برحت من عنده حتى جاءه ذلك الرجل الشاتم فسلّم على وهب ، فردّ عليه ومدّ يده وصافحه وأجلسه إلي جنبه .

وعن إبراهيم بن عمر قال : قال وهب بن منبه : إذا مدحك الرجل بما ليس فيك فلا تأمنه أن يذمك بما ليس فيك .

وعن جعفر بن برقان ، عن وهب بن منبه قال : الإيمان قائد ، والعمل سائق، والنفس بينهما حرون ، فإذا قاد القائد لم يسق السائق ولم يُغن ذلك شيئاً، وإذا ساق السائق ولم يقد القائد لم يغن ذلك شيئًا ، وإذا قاد القائد وساق السائق اتبعته النفس طوعًا وكرهًا وطاب العمل .

أسند وهب بن منبه عن : جابر بن عبد الله ، والنعمان بن بشير ، وابن عباس وخلقٍ كثير يطول شرحهم .

وقد روى عن معاذ بن جبل ، وأبي هريرة ، في آخرين ، وروي خلقٍ كثير من كبار التابعين كطاووس .

وروى عنه من التابعين جماعة منهم : عمرو بن دينار ، وأبان بن أبي عياش ، وموسى بن عقبة في آخرين .

قال الواقدي : مات وهب بن منبه بصنعاء سنة عشر ومائة . وقيل: سنة أربع عشرة.

٢٤٥ ـ المغيرة بن حكيم الصنعانى

من الأبناء (١) .

عن عبد الله بن إبراهيم قال : أخبرني أبي قال : سافر المغيرة بن حكيم إلى مكة أكثر من خمسين سفرًا حافيًا محرمًا صائمًا ، لا يترك صلاة السحر في سفره. إذا كان السحر نزل فصلّى ويمضي أصحابه ، فإذا صلّى الصبح لحق متى ما لحق.

---

(١) من أبناء فارس الذين سكنوا اليمن ، وتقدم التعريف بهم قريباً .

وعن إيراهيم بن عمر قال : كان جزء المغيرة بن حكيم في يومه وليلته : القرآن كله، يقرأ في صلاة الصبح من البقرة إلى هود ، ويقرأ قبل الزوال إلى أن يصلي العصر من هود إلى الحج ، ثم يختم .

سمع المغيرة بن حكيم من ابن عُمر و أبي هريرة ، وغيرهما .

٢٤٦ ـ الحكم بن أبان العدنى أبو عيسى

عن إسحاق بن الضيف قال : سمعت مشيخةً يقولون : كان الحكم بن أبان سيد أهل اليمن وكان يصلّي الليل فإذا غلبه النوم ألقي نفسه في البحر وقال : أُسبّحُ لله - عز وجل مع الحيتان .

سمع الحكم من عكرمة وغيره ، وتوفي سنة أربع وخمسين ومائة - رحمه الله .

٢٤٧ ـ ضرغام بن وائل الحضرمى

عن الطلحي قال : كان رجل بأرض اليمن يقال له ضرغام بن وائل الحضرمي، وكان زاهد قومه . فقال لغلامه ذات يوم : اشدُد كتافي وعفّر خدّي بالثرى . ففعل . فقال : مليكي دنا الرحيل إليك ، ولا براءة لي من ذنب ، ولا عذر لي فأعتذر ، ولا لي قوة فأنتصر ، أنت أنت لي فتغمدني ، قال : ومات . فسمعوا قائلاً يقول : إسكان العبد لمولاه فقبله .

ذكر المصطفين من عباد اليمن المجهولين الأسماء

٢٤٨ ـ عابد

عن علي بن زيد قال : قال طاووس : بينا أنا بمكة بعث إليَّ الحجاج فأجلسني إلى جنبه وأتكأني على وساده إذ سمع ملبيًا يلبّي حول البيت رافعًا صوته بالتلبية ، فقال : عليَّ بالرجل . فأتي به . فقال : ممن الرجل ؟ فقال : من المسلمين . قال : ليس عن الإسلام سألتُ . قال : فعمّ سألت ؟ قال : سألتك عن البلد . قال : من أهل اليمن ؟ قال : كيف تركت محمد بن يوسف ؟ يريد أخاه . قال: تركته عظيمًا جسيمًا لبّاسًا ركابًا خرّاجًا ولاّجًا . قال : ليس عن هذا سألتك . قال فعمّ سألت ؟ قال : سألتك عن سيرته . فقال: تركته ظلومًا غشومًا مطيعًا للمخلوق عاصيًا للخالق .

فقال له الحجاج : ما حملك أن تتكلم بهذا الكلام وأنت تعلم مكانه مني . قال الرجل: أتراه بمكانة منك أعزّ مني بمكاني من الله - عز وجل - وأنا وافدُ بيته ومصدقُ نبيه وقاضي دينه ؟ قال : فسكت الحجاج فما أحار جوابًا . وقام الرجل من غير أن يؤذن له فانصرف .

قال طاووس : وقعت في أثره وقلت : الرجل حكيم . فأتي البيت فتعلق بأستاره ثم قال : اللهم بك أعوذ وبك ألوذ . اللهم اجعل لي في اللّهف إلى جُودكَ والرّضا بضمانك، مندوحةً عن منع الباخلين وغنى عما في أيدي المستأثرين ، اللهم فرجك القريب القريب ومعروفك القديم وعادتك الحسنة .

ثم ذهب في الناس فرأيته عشية عرفة وهو يقول : اللهم إن كنت لم تقبل حجّي وتعبي ونصبي فلا تحرمني الأجر علي مصيبتي بتركك القبول مني . ثم ذهب في الناس نرأيته غداة جمع يقول : واسوأتاه ، والله منك وإن عفوت ، يردد ذلك .

٢٤٩ ـ عابد آخر

موسى بن علي الأخميمي قال : قال ذو النون : وُصف لي رجل باليمن قد برز على الخائفين وسما على المجتهدين ، وذكر لي باللبّ والحكمة . فخرجت حاجًا فلما قضيت نُسكي مضيت إليه لأسمع من كلامه وأنتفع بموعظته أنا وناس كانوا معي يطلبون منه مثل ما أطلب .

وكان معنا شابّ عليه سيماء الصالحين ومنظر الخائفين ، كان مصفارّ الوجه من غير مرض، أعمش العينين من غير عمش ، ناحل الجسم من غير سقم ، يحب الخلوة ويأنس بالوحدة تراه أبدًا كأنه قريب العهد بالمصيبة . فخرج إلينا فجلسنا إليه فبدأ الشاب بالسلام عليه وصافحه ، فأبدى الشيخ له البشر والترحيب . ثم سلّمنا عليه فقال الشاب: إن الله بمنّه وفضله قد جعلك طبيبًا لسقام القلوب معالجًا لأوجاع الذنوب ، وبي جرحٌ نغلٌ وداءٌ قد استكمل ، فإن رأيت أن تلطف لي ببعض مراهمك وتعالجني برفقك .

فقال له الشيخ : سل ما بدا لك يا فتى . فقال له الشاب : يرحمك الله ما علامة الخوف من الله تعالى ؟ قال : أن يؤمنه خوفه كلَّ خوف غير خوفه . قال: متى يتبيّن للعبد خوفه من الله تعالى ؟ قال : إذا أنزل نفسه من الدنيا منزلة السقيم فهو يحتمي من أكل الطعام مخافة السقام ، ويصبر على مضض كلّ دواء مخافة طول الضنى .

فصاح الفتى صيحة ثم بقي باهتًا ساعة ثم قال : رحمك الله ما علامة المحبّ لله تعالى؟ فقال له : حبيبي إن درجة المحب درجة رفيعة . قال : وأنا أحب أن تصفها لي. قال : فإن المحبين لله تعالى شقّ لهم عن قلوبهم فأبصروا بنور القلوب عزّ جلال الله فصارت أبدانهم دنياوية وأرواحهم حُجبية ، وعقولهم سماوية تسرح بين صفوف الملائكة وتشاهد تلك الأمور باليقين فعبدوه بمبلغ استطاعتهم حبًا له لا طمعًا في جنّة ولا خوفًا من نار .

فشهق الفتى وصاح صيحة كانت فيها نفسه . قال : فأكب الشيخ عليه يلثمه ويقول : هذا مصرع الخائفين ، وهذه درجة المجتهدين .

٢٥٠ ـ عابدان

أبو بكر القرشي قال : قرأت في كتاب جعفر الآدمي بخطه : قال سلامة : كنت باليمن في بعض مخاليفها فإذا رجل معه ابن له شاب فقال : إن هذا أبي وهو من خير الآباء ولي بقر تأتيني مساء فأحلبها ثم آتي أبي وهو في الصلاة فأحبّ أن يكون عيالي يشربون فضله فلا أزال قائمًا عليه والإناء في يدي وهو مقبل على صلاته ، وعسى أن لا ينفتل ويقبل عليَّ حتى يطلع الفجر . قلت للشيخ : ما تقول ؟ قال : صدق . وأثنى على ابنه ، ثم قال : إني أخبرك بعذري ، إذا دخلتُ في الصلاة فاستفتحت القرآن ذهب بي مذاهب وشغلني ، حتى ما أذكره ، حتى أصبح .

قال سلامة : ذكرت أمرهما لعبد الله بن مرزوق فقال : هذان يُدفع بهما عن أهل اليمن قال : وذكرت أمرهما لابن عيينة قال : هذان يُدفع بهما عن أهل الأرض - رضي الله عنهما .

ذكر المصطفيات من عابدات اليمن

٢٥١ ـ خنساء بنت خدام وليست بالصحابية

عن حفص بن عمرو الجعفي قال : كانت باليمن امرأة من العرب جليلة جهورية حسنًا وجمالاً كأنها بدنة ، يقال لها خنساء بنت خدام ، فصامت أربعين عامًا حتى لصق جلدها بعظمها ، وبكت حتى ذهبت عيناها ، وقامت حتى أُقعِدت من رجليها .

وكان طاووس ووهب بن منبه يعظمان قدرها . وكانت إذا جن عليها الليل وهدأت العيون وسكنت الحركات تنادي بصوت لها حزين : يا حبيب المطيعين ، إلى كم تحبس خدود المطيعين في التراب ، ابعثهم حتى ينجزوا موعدك الصادق الذي أتعبوا له أنفسهم ثم أنصبوها . قال : فيسمع البكاء من الدور حولها .

٢٥٢ ـ سَوِيَة

عن أبي هشام ـ رجل من قريش من بني عامر ـ قال : قدمت علينا امرأة من أهل اليمن يقال لها سويّة . فنزلت في بعض رباعنا ، فكنت أسمع لها من الليل نحيبًا وشهيقًا . فقلت للجارية : أشرفي على هذه المرأة فانظري ما تصنع ؟ فإذا هي قائمة مستقبلة القبلة رافعة رأسها إلى السماء فقلت : ما تصنع ؟ قالت : ما أراها تصنع شيئًا غير أنها لا تردّ طرفها عن السماء . فقلت : اسمعي ما تقول . قالت : لا أفهم كثيرًا من قولها ، غير أني أسمعها تقول : أراك خلقت سويّة من طينة لازِبة غمرتها بنعمتك ، تغذوها من حال إلى حال وكل أحوالك لها حسنة ، وكل بلائك عندها جميل ، وهي

مع ذلك متعرِّضة لسخطك بالتوثب على معاصيك ، فلتة في إثر فلتة أترى أنها تظن أنك لا ترى سوء فعالها ؟ بلى وأنت على كل شيء قدير . ثم صرخت وسقطت . ونزلت الجارية فأخبرتني بسقطتها فلما أصبحنا نظرنا فإذا هي قد ماتت - والسلام .

ومن عابدات اليمن المجهولات الأسماء

٢٥٣ ـ عابدة

عن محمد بن سليمان القرشي قال : بينا أنا أسير في طريق اليمن إذا أنا بغلام واقف في الطريق في أذنيه قُرطان ، في كل قرط جوهرة ، يضيء وجههُ من ضوء تلك الجوهَرة، وهو يمجّد ربه بأبيات من الشعر . فسمعته يقول :

مَليك في السماء به افتخاري   عزيزُ القــدر ليــس به خفاءُ

فدنوت منه فسلمت عليه فقال : ما أنا براد عليك حتى تؤدي من حقّي ما يجب لي عليك . قلت : وما حقّك ؟ قال : أنا غلام علىٰ مذهب إبراهيم الخليل ﷺ لا أتغدى ولا أتعشى كل يوم حتى أسير الميل والميلين في طلب الضيف .

فأجبته إلى ذلك فرحّب بي وسرت معه حتى قربنا من خيمة شعر . فلما قربنا من الخيمة صاح : يا أختاه ، فأجابته جارية من الخيمة يا لبيكاه . فقال : قومي إلى ضيفنا. فقالت الجارية : حتى أبدأ بشكر المولى الذي سبب لنا هذا الضيف ، فقامت فصلت ركعتين شكرًا لله - عز وجل . فأدخلني الخيمة وأجلسني . وأخذ الغلام الشفرة وأخذ عناقًا ليذبحها فلما جلست في الخيمة نظرت إلى أحسن الناس وجهًا ، فكنت أسارقها النظر ففطنت لبعض لحظاتي إليها فقالت لي : مَهْ أما علمت أنه قد نقل إلينا عن صاحب يثرب ﷺ أن زنى العينين النظر ؟ أما إني ما أردت بهذا أن أوبّخك ، ولكني أردت أن أؤدّبك لكي لا تعود إلى مثل هذا . فلما كان النوم بتّ أنا والغلام خارجًا وباتت الجارية في الخيمة وكنت أسمع دويَ القرآن الليل كلّه بأحسن صوت يكون وأرقّه . فلما أصبحتُ قلت للغلام : صوتُ من كان ذلك ؟ فقال : تلك أختي تحيي الليل كلّه إلى الصباح فقلت : يا غلام أنت أحق بهذا العمل من أختك ، أنت رجل وهي امرأة . قال : فتبسّم وقال لي : ويحك يا فتي أما علمت أنه موفّق ومخذول ؟ .

انتهى ذكر أهل اليمن

ذكر المصطفين من أهل بغداد

نزل بغداد خلق كثير من العلماء والزهاد والأولياء والعبّاد ، وإنما ننتخب منهم من يدخل في شرط كتابنا هذا ونذكرهم علي طبقاتهم . والله الموفق .

٢٥٤ ـ أبو هاشم الزاهد[1]

قال أبو نعيم الحافظ : أبو هاشم من قُدماء زهّاد بغداد ، ومن أقران أبـي عبد الله البراثي . وبلغنى أن سفيان الثوري جلس إليه وقال : ما زلت أرائي وأنا لا أشعر حتى جالست أبا هاشم فأخذت منه ترك الرياء .

محمد بن حسين قال : حدثني بعض أصحابنا قال : قال أبو هاشم الزاهد: إن الله – عز وجل – وسم الدنيا بالوحشة ليكون أنس المريدين به دونها ، وليقبل المطيعون له بالإعراض عنها وأهل المعرفة بالله فيها مستوحشون وإلى الآخرة مشتاقون .

وعن حكيم بن جعفر قال : نظر أبو هاشم إلى شريك القاضي يخرج من دار يحيى ابن خالد فبكى وقال : أعوذ بالله من علمٍ لا ينفع .

وعن محمد بن الحسين قال : قال أبو هاشم الزاهد : أخذُ المرءِ نفسه بحُسن الأدب تأديبُ أهله .

٢٥٥ ـ أسود بن سالم

أبو محمد العابد . كان صالحًا ورعًا . وكان بينه وبين معروف الكرخي مؤاخاة ومودّة، عن علي بن محمد بن إبراهيم الصفّار قال : حضرت أسود بن سالم ليلة فقلت:

أمامـي موقـف قـُدّام ربّي   يسائلني وينكشفُ الغطاءُ

وحسبي أن أمرّ على صراطٍ   كحدّ السيف أسفلُه لظاءُ

قال : فصرخ أسود صرخةً ولم يزل مغشيًا عليه حتى أصبح .

وعن أحمد بن الحكم الصاغاني قال : جاء رجل إلى ابن حميد فقال : إني اغتبت أسود ابن سالم فأُتيت في منامي فقيل لي : تغتاب وليًا من أولياء الله لو ركب حائطًا ثم قال له سِر لسارَ .

وعن محمد بن إبراهيم السائح قال : قال أسود بن سالم : ركعتان أصليهما أحب إليّ من الجنة بما فيها . فقيل له : هذا خطأ . فقال : دعُونا من كلامكم ، رأيت الجنة رضا نفسي وركعتين أصلّيهما رضا ربيّ ، ورضا ربي أحبّ إلي من رضا نفسي .

أسند أسود عن : حماد بن زيد وسفيان بن عيينة وإسماعيل بن علية في آخرين.

وتوفي في سنة ثلاث عشرة أو أربع عشرة ومائتين .

(١) انظر : الحلية (١٠/ ٢٢٥) .

٢٥٦ ـ منصور بن عمار بن كثير أبو السرى الواعظ[1]

أصله من خراسان ، قال أبو عبد الرحمن السلمي : هو من أهل مرو ، وقيل: هو من أهل بُوشَنج ، وقيل : من البصرة ، سكن بغداد .

عن أبي سعيد بن يونس قال : كان منصور بن عمار في قصصه وكلامه شيئًا عجبًا لم يقص على الناس مثله .

وعن سليم بن منصور قال : رأيت أبي في المنام فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : إن الربّ قرّبني وأدناني وقال لي : يا شيخ السّوء تدري لِمَ غفرتُ لك ؟ قلت : لا يا إلهي. قال : إنك جلست للناس يومًا مجلسًا فبكّيتهم ، فبكى فيه عبد من عبادي لم يبكِ من خشيتي قطّ فغفرت له ووهبت أهل المجلس كلهم له، ووهبتك فيمن وهبت له.

وعن أبي الحسين السعداني قال : رأيت منصور بن عمار في المنام ، فقلت له: ما فعل الله بك ؟ قال : وقفت بين يديه فقال لي : أنت الذي كنت تُزهدّ الناس في الدنيا وترغب فيها ؟ قلت : قد كان ذاك ، ولكن ما اتّخذت مجلسًا إلا وبدأت بالثناء عليك ، وثنّيت بالصلاة علي نبيك ﷺ ، وثلّت بالنّصيحة لعبادك . فقال : صدق ، ضعوا له كرسيا في سمائى فيمجّدني في سمائي بين ملائكتي كما مجّدني فى أرضي بين عبادي .

أسند منصور عن معروف أبي الخطاب صاحب واثلة بن الأسقع ، وروى عن الليث وابن لهيعة في آخرين . وتوفي ببغداد .

٢٥٧ ـ ولد الرشيد المعروف بالسبتي

ويقال : اسمه أحمد - رضي الله عنه .

عن عبد الله بن الفرج قال : خرجت يومًا أطلب رجلاً يرُمُّ لي شيئًا في الدار. فذهبت فأُشيرَ لي إلى رجل حسن الوجه بين يديه مرٌ وزَبيل . فقلت : تعمل لي؟ قال : نعم بدرهم ودانق . فقلت : قم ؛ فقام فعمل لي عملاً بدرهم ودانق ودرهم ودانق ودرهم ودانق.

قال : ثم أتيت يومًا آخر فسألت عنه فقيل لي : ذلك رجل لا يُرى في الجمعة إلا يومًا واحدًا ، يوم كذا . قال : فجئت ذلك اليوم فقلت : تعمل لي ؟ قال : نعم بدرهم ودانق . فقلت أنا : بدرهم . قال : بدرهم ودانق . فقلت : قم . ولم يكن بي الدانق ولكن أحببت أن أستعلم ما عنده فلما كان المساء وزنت درهمًا فقال لي : ما هذا ؟ قلت: درهم . قال : ألم أقل لك درهم ودانق ؟ أفّ لقد أفسدت علي . فقلت : وأنا ألم أقل

(١) المصدر السابق (٩/ ٣٢٥) ، وسير الأعلام (٩/ ٩٣) .

لك بدرهم ؟ فقال : لست آخذ منه شيئًا . قال : فوزنت درهمًا ودانقًا ، فقلت : خذ فأبى أن يأخذه وقال : سبحان الله أقول لا آخذه وتلح علي ؟ فأبى أن يأخذه ومضى .

قال : فأقبل عليّ أهلي وقالت : فعلَ الله بك ، ما أردت إلى رجل عمل لك عملاً بدرهم أن أفسدت عليه ؟ قال : فجئت يومًا أسأل عنه فقيل لي مريض فاستدللت علي بيته فأتيته فاستأذنت عليه فدخلت وهو مبطون ، وليس في بيته شيء إلا ذلك المرّ والزّبيل ، فسلمت عليه ، وقلت له : لي إليك حاجة ، وتعرف فضل إدخال السرور على المؤمن : أُحبُّ أن تجيء إلى بيتي أمرضك . قال : وتحب ذلك ؟ قلت : نعم . قال : بشرائط ثلاث . قلت : نعم . قال : لا تعرض علي طعامًا حتى أسألك ، وإذا أنا متّ أن تدفنني في كسائي وجبّتي هذه . قلت : نعم . قال : والثالثة أشدّ منهما وهي شديدة . قلت : وإن كان . قال : فحملته إلى منزلي عند الظهر . فلما أصبحت من الغد ناداني : يا عبد الله . فقلت : ما شأنك ؟ قال : قد احتضرت ، افتح صرةً على كمّ جبتي . قال : ففتحتها فإذا فيها خاتم عليه فصّ أحمر . فقال : إذا أنا مت ودفنتني فخذ هذا الخاتم ثم ادفعه إلى هارون أمير المؤمنين وقل له يقول صاحب هذا الخاتم : ويحك لا تموتنّ علي سكرتك هذه ، فإنك إنْ متّ على سكرتك هذه ندمْتَ .

فلما دفنته ، سألت عن يوم خروج هارون أمير المؤمنين وكتبت قصّة وتعرّضت له . قال فدفعتها إليه وأوذيت أذى شديدًا فلما دخل قصره وقرأ القصة قال : عليّ بصاحب هذه القصة . قال : فأدخلت عليه وهو مغضب قال : تتعرّضون لنا وتفعلون ؟ فلما رأيت غضبه أخرجت الخاتم فلما نظر إلى الخاتم قال : من أين لك هذا الخاتم ؟ قلت : دفعه إليّ رجل طيّان . فقال لى : طيّان طيّان ! وقربنى منه فقلت له يا أمير المؤمنين إنه أوصانى بوصية . فقال لي : ويحك قل . فقلت : يا أمير المؤمنين إنه أوصاني إذا أوصلت إليك هذا الخاتم فقل له : يقرئك صاحب هذا الخاتم السلام ويقول لك : ويحك لا تموتنّ على سكرتك هذه فإنك إن متّ على سكرتك هذه ندمت .

فقام على رجليه قائمًا وضرب بنفسه على البساط وجعل يتقلب عليه ويقول يا بنيّ نصحت أباك . فقلت في نفسي : كأنه ابنه . ثم جلس وجاءوا بالماء فمسحوا وجهه وقال لي : كيف عرفته ؟ فقصصت عليه قصّته . قال : فبكى وقال : هذا أول مولود وُلد لي ، وكان أبي المهدي ذكر إلي زبيدة أن يزُوّجني فبصرتُ بهذه المرأة فوقعت في قلبي وكانت حسنةً فتزوجت بها سرًا من أبي ، فأولدتها هذا المولود وأحدرتُها إلي البصرة وأعطيتها هذا الخاتم وأشياء وقلت : اكتمي نفسك ، فإذا بلغك أنّي قد قعدتُ للخلافة فأتيني . فلما قعدت للخلافة سألت عنهما فذُكر لي أنهما ماتا ، ولم أعلم أنه باقٍ . فأين دفنته ؟

قلت: يا أمير المؤمنين دفنتُه في مقابر عبد الله بن مالك . قال : لي إليك حاجة ، إذا كان بعد المغرب فقف لي بالباب حتى أخرج إليك فأخرج متنكرًا إلى قبره .

فوقفت له فخرج متنكرًا والخدم حوله ووضع يده بيدي وصاح بالخدم فتنحَّوا وجئت به إلى قبره فما زال ليلته يبكي إلى أن أصبح . ويدير رأسه ولحيته على قبره يقول : يا بنيّ لقد نصحت أباك . قال : فجعلت أبكي لبكائه رحمةً مني له . ثم سمع كلامًا فقال : كأني أسمع كلام الناس . قلت : أجل أصبحت يا أمير المؤمنين ، قد طلع الفجر . فقال لي : قد أمرت لك بعشرة آلاف درهم ، وأكتُبْ عيالك مع عيالي ، مع من تهتم به ، فإن لك عليّ حقًا بدفنك ولدي ، وإن أنا متّ أوصيت من يلي بعدي أن يُجري عليك ، ما بقي لك عقب .

ثم أخذ بيدي حتى إذا بلغ قريبًا من القصر ويدُه بيدي إذا الخدم . فلما صاروا إلى القصر قال لي : انظر ما وصّيتك به : إذا طلعت الشمس قف لي حتى أنظر إليك وأدعو بك فتحدّثني حديثه . قلت : إن شاء الله . فلم أعد إليه .

قلت : وقد رُويت لنا قصته من طريق آخر ، وفيها نوع مخالفة لهذه :

عن أبي بكر بن أبي الطيب قال : بلغنا عن عبد الله بن الفرج العابد قال : احتجتُ إلى صانع يصنع لي شيئًا من أمر الروزجاريين فأتيت السوق فجعلتُ أرمق الصنّاع فإذا في أواخرهم شابّ مصفرّ بين يديه زَبيل كبير ومرٌّ ، وعليه جبّة صوف ومئزَر صوف . فقلت له: تعمل ؟ قال : نعم . قلت : بكم ؟ قال : بدرهم ودانق . قلت له : قم حتى تعمل. قال : على شريطة . قلت : ما هي؟ قال : إذا كان وقت الظهر وأذّن المؤذن خرجت وتطهّرت وصليت في المسجد جماعة ثم رجعت ، فإذا كان وقت العصر فكذلك. قلت : نعم . فقام معي فجئنا المنزل ، فوافقته على ما ينقله من موضع إلى موضع فشدّ وسطه وجعل يعمل ولا يكلمني بشيء . حتى إذا أذّن المؤذن للظهر قال : يا عبد الله قد أذّن المؤذن . قلت : شأنك فخرج فصلّى فلما رجع عمل أيضًا عملًا جيدًا إلى العصر . فلما أذّن المؤذن قال: يا عبد الله قد أذّن المؤذن . قلت : شأنك فخرج فصلّى . ثم رجع فلم يزل يعمل إلى آخر النهار فوزنت له أجرته وانصرف .

فلما كان بعد أيام احتجت إلى عمل فقالت لي زوجتي : اطلب لنا ذلك الصانع الشاب فإنه قد نصحنا في عملنا فجئت السوق فلم أره . فسألت عنه فقالوا : تسأل عن ذلك المصفرِ المشؤوم الذي لا نراه إلاّ من سبت إلى سبت ؟ لا يجلس إلا وحده في آخر الناس . فانصرفت .

فلما كان يوم السبت أتيت السوق فصادفته فقلت : تعمل ؟ فقال : قد عرفت الأجرة

والشرط . قلت : استخر الله تعالى . فقام فعمل على النحو الذي كان عمل . قال : فلما وزنت له الأجرة زدتهُ فأبى أن يأخذ الزيادة . فألححتُ عليه فضجر وتركني ومضى . فَغمّني ذلك فاتّبعته وداريته حتى أخذ أجرته فقط .

فلما كان بعد مدة احتجنا أيضًا إليه فمضيت في يوم السبت فلم أصادفه. فسألت عنه فقيل لي : هو عليل وقال لي مــن كان يخبرُ أمره : إنما كان إلى السوق من سبت إلى سبت ، يعمل بدرهم ودانق ، يتقوَّت كل يوم دانقًا وقد مرض . فسألت عن منزله فأتيته وهو في بيت عجوز فقلت لها : هذا الشاب الروزجاري فقالت: هو عليل منذ أيام . فدخلت عليه فوجدته لما به ، وتحت رأسه لبنة ، فسلمت عليه وقلت : لك حاجة ؟ قال: نعم إن قبلت . قلت : أقبلُ إن شاء الله تعالي . قال: إذا أنا متّ فبع هذا المرّ واغسل جبّتي هذه الصوف ، وهذا المئزر ، وكفني بهما وافتق جيب الجبة فإن فيها خاتمًا فخذه ، ثم انظر يوم يركب هارون الرشيد الخليفة فقف له في موضع يراك فكلّمه وأرهِ الخاتم فإنه سيدعو بك فسلّم إليه الخاتم ولا يكن هذا إلا بعد دفني . قلت : نعم .

فلما مات فعلت ما أمرني ، ثم نظرت اليوم الذي يركب فيه الرشيد فجلست له على الطريق فلما مرّ ناديته : يا أمير المؤمنين لك عندي وديعة ولوّحت بالخاتم فأمر بي فأخذت وحُملت حتى دخل إلى داره ثم دعا بي ونحّى جميع من عنده وقال : من أنت ؟ فقلت : عبد الله بن الفرج . فقال : هذا الخاتم من أين لك؟ فحدثته قصة الشاب . فجعل يبكي حتى رحمتْه . فلما أنس إليّ قلت : يا أمير المؤمنين من هو منك ؟ قال : ابني . قلت : كيف سار إلى هذه الحال ؟ قال : وُلد لي قبل أن أُبتلى بالخلافة فنشأ نُشوءًا حسنًا وتعلّم القرآن والعلم . فلما وليتُ الخلافة تركني ولم ينل من دنياي شيئًا . فدفعت إلى أمّه هذا الخاتم وهو ياقوت ويساوي مالًا كثيرًا فدفعته إليها وقلت لها: تدفعين هذا إليه ، وكان برا بأمّه، وتسأليه أن يكون معه فلعله أن يحتاج إليه يومًا من الأيام فينتفع به . وتوفيت أمه فما عرفتْ له خبرًا إلا ما أخبرتني به أنت . ثم قال لي : إذا كان الليل فاخرج معي إلى قبره . فلما كان الليل خرج وحده معي يمشي حتى أتينا قبره فجلس إليه فبكى بكاءً شديدًا . فلما طلع الفجر قمنا فرجع فقال لي : تعاهدني في الأيام حتى أزور قبره . فكنت أتعاهدُه بالليل فيخرج حتى يزور قبره ثم يرجع .

قال عبد الله بن الفرج : ولم أعلم أنه ابن الرشيد حتى أخبرني الرشيد أنه ابنه، أو كما قال ابن أبي الطيب .

قلت : هذا طريق حسن والطريق الذي قبله أصحّ لأنه متصل ورواتُه ثقات . وقد زاد القُصّاص في حديث السبْتي وأبدأوا وأعادوا وذكروا أن هذا الرجل : كانَ من زسدة وأنه

خرج يتصيّد فوعظه صالح المرّي فوقع فرسه في أشياء كلُّها مُحال. فاقتصرنا على ما صح. والله الموفق .

٢٥٨ ـ عبد الله بن مرزوق أبو محمد

زعم أبو عبد الرحمن السلمي أنه كان وزير هارون الرشيد ، فخرج من ذلك وتخلّى من ماله وتزهّد .

عن موسى بن أبي داود قال : استأذنتُ على عبد الله بن مرزوق ، فدخلت عليه فإذا هو قاعد كأن حزن الخلق عليه .

وعن الصّلت بن حكيم قال : كان عبد الله بن مرزوق كأنه رجل والهٌ ، كأنه رجل قد فاته شيء ، وكانت له شعرات طِوالٌ عند صُدغَيه . فكان إذا ذكّر فرق نتفها أو مدّها ففاض دمعه .

وعن سلامة : وصّى عبد الله بن مرزوق ؟ قال : قال عبد الله بن مرزوق في مرضه : يا سلامة إن لي إليك حاجة . قال : قلت : ما هي ؟ قال : تحملني فتطرحني على تلك المزبلة لعلي أموت عليها فيرى مكاني فيرحمني ، - رحمه الله .

٢٥٩ ـ عبد الله بن الفرج

أبو محمد القنطري . كان متعبْدًا ، وكان بشر بن الحارث يودّه ويزوره . وقد حكى عن فتح الموصلي وغيره حكايات .

عن إبراهيم بن سهل قال : قال عبد الله بن الفرج : سلوا الله عفوًا جميلاً . قال : فقلنا : يا أبا محمد أيّ شيء العفوُ الجميل ؟ قال : أن يأمر بك من الموقف إلى الجنة ، يعني لا يفتّشك .

وعن صاعد قال : لما مات عبد الله بن الفــرج حضرتُ جـنازته فلما واريتُه رأيته في الليل ، في النوم ، جالسا على شفير قبره معه صحيفة ينظر فيها . فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي ولكل من شيّع جنازتي قال : قلت : أنا كنت معهم ؟ قال : هو ذا اسمك في الصحيفة .

٢٦٠ ـ معروف بن الفيرزان الكرخي[1]

يكنى أبا محفوظ . وهو منسوب إلى كَرْخ بغداد .

عن أبي صالح عبد الله بن صالح قال : كان أبو محفوظ معروف قد ناداه الله عز وجل

---

(١) انظر : الحلية (٨/ ٣٦٠) ، وسير الأعلام (٩/ ٣٣٩) .

بالاجتباء في حال الصّبا ، يذكر أن أخاه عيسى قال : كنت أنا وأخي معروف في الكتّاب وكنا نصارى ، وكـان المعلّم يعلم الصبيان (أب ، وابن) فيصيح أخي معروف : أحد أحد ؛ فيضربه المعلّم على ذلك ضربًا شديدًا . حتى ضربه يومًا ضربًا عظيمًا فهرب على وجهه .

فكانت أمّي تبكي وتقول : لئن ردّ الله عليّ ابني معروفًا لأتبعنّه علي أي دين كان .

فقدم عليها معروف بعد سنين كثيرة فقالت له : يا بني على أيّ دين أنت ؟ قال: على دين الإسلام . قالت : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله . فأسلمت أمي وأسلمنا كلّنا .

وعن ابن أخت معروف قال : قلت لخالي معروف : يا خال أراك تجيب كل من دعاك. قال : يا بنيّ إنما خالك ضيف ينزل حيث ينزل .

وعن السّريّ بن سفيان الأنصاري قال : أقام معروف الصلاة ثم قال لمحـمد بـن أبي توبة : تقدّم فصلّ بنا . وذلك أن معروفًا كان لا يؤمّ إنما يؤذّن ويقيم ويقدّم غيره . قال محمّد بن أبي توبة : إن صلّيت بكم هذه الصلاة لم أصلّ بكم صلاة أخرى قال معروف: وأنت تحدّث نفسك أن تصلّي صلاةً أخرى ؟ نعوذ بالله من طول الأمل ، طولُ الأمل يمنع خير العمل .

قال محمد بن منصور الطوسي : كنا عند معروف الكرخي وجاءت امرأة سائلة فقالت أعطوني شيئًا أفطر عليه فإني صائمة . فدعاها معروف وقال لها : يا أختي سرُّ الله أفشيته وتأملين أن تعيشي إلي الليل ؟ .

وعن يحيى بن جعفر قال : رأيت معروفًا الكرخي يؤذن . فلما قال : أشهد أن لا إله إلا الله رأيت شعر لحيته وصُدغيه قائما كأنه زَرْع .

وعن عيسى ، أخي معروف ، قال : دخل رجل على معروف في مرضه الـذي مات فيه، فقال : يا أبا محفوظ أخبرني عن صومك . قال : كـان عيسى عليه السلام يصـوم كذا . قال : أخبرني عن صومك . قال : كان داود عليه السلام يصوم كـذا . قال : أخبرني عن صومك قال : كان النبي ﷺ يصوم كذا . قال : أخـبرني عـن صومك قال: أما أنا فكنت أصبح دهري كلَّه صائمًا فإن دعيت إلى الطعـام أكلت ولم أقل إني صائم .

وعن أحمد بن عبد الله بن ميمون قال : كان معروف الكرخي يضرب نفسه ويقول : يا نفس كم تبكين ؟ أخلِصي وتخلّصي .

وعن عمرو بن موسى قال : سمعت معروفًا يقول وعنده رجل يذكر رجلاً فجعل يغتابه، فجعل معروف يقول له : اذكر القُطن إذا وضعوه علي عينيك ، اذْكر القطن إذا وضعوه علي عينيك .

وقال سَرِيّ : سألت معروفًا عن الطائعين لله بأي شيء قدروه على الطاعة لله عز وجل؟ قال : بخروج الدنيا من قلوبهم ، ولو كانت في قلوبهم ما صحَّت لهم سجدة .

وعن القاسم بن نصر قال : جاء قوم إلى معروف فأطالوا عنده الجلوس . فقال : أما تريدون أن تقوموا وملك الشمس ليس يفتر عن سوقه ؟ .

وعن محمد بن حماد بن المبارك قال : قال رجل لمعروف : أوصني قال : توكل على الله حتى يكون جليسك وأنيسك وموضع شكواك ، وأكثر ذكر الموت حتى لا يكون لك جليسٌ غيره ، واعلم أن الشفاء لما نزل بك كتمانه ، وأن الناس لا ينفعونك ولا يضرونك ولا يعطونك ولا يمنعونك .

وعن القاسم بن محمد البغدادى قال : كنت جار معروفٍ الكرخي فسمعته في السحر ينوح ويبكي وينشد :

أيَّ شيء تريد مني الذنوبُ شُغِفَت بي فليس عنّي تغيبُ
ما يضرّ الذنوب لو أعتقتني رحمةً لي ؟ فقد علاني المشيب

وعن إبراهيم الأطرش قال : كان معروف الكرخي قاعدًا على دجلة ببغداد إذ مرّ بنا أحداث في زورق يضربون الملاهي ويشربون . فقال له أصحابه : أما ترى أن هؤلاء في هذا الماء يعصون الله ؟ ادْعُ عليهم . فرفع يده إلى السماء وقال : إلهي وسيّدي ، أسألك أن تُفرّحهم في الجنة كما فرّحتهم في الدنيا . فقال له أصحابه : إنما قلنا لك ادْع الله عليهم ، لم نقُل لك ادْع الله لهم . فقال : إذا فرّحهم في الآخرة تاب عليهم في الدنيا ولم يضرّكم بشيء .

أبو بكر بن الزيات قال : سمعت ابن شيرويه يقول : كنت أجالس معروفًا الكرخي، فلما كان ذات يوم رأيت وجهه قد خلا . فقلت : يا أبا محفوظ بلغني أنك تمشي على الماء. فقال لي : ما مشيت قطّ على الماء ، ولكن إذا هممت بالعبور يُجمع لي طرفاها فأتخطّاها .

وعن محمد بن منصور قال : مضيت يومًا إلى معروف الكرخي ثم عدت إليه من غدٍ فرأيت في وجهه أثر شجّة فَهِبتُ أن أسأله عنها . وكان عنده رجل أجرأ عليه مني فقال له : كنا عندك البارحة فلم نر في وجهك هذا الأثر . فقال له معروف : خذ فيما تنتفع

به . فقال له : أسألك بحق الله . فانتفض معروف ثم قال له : وما حاجتك إلى هذا ؟ مضيت البارحة إلي بيت الله الحرام ، ثم صرت إلى زمزم فشربت منها فزلّت رجلي فنطح وجهي الباب فهذا الذي ترى ، من ذلك .

وعن خليل الصياد ـ وكفاك به ـ قال : غاب ابني إلى الأنبار فوجدت أمُّه وجدًا شديدًا فأتيت معروفًا فقلت له : يا أبا محفوظ ابني قد غاب فوجدت أمُّه وجدًا شديدًا . قال : فما تشاء ؟ قلت : تدعو الله أن يردّه عليها . فقال : اللهم إن السماء سماؤك والأرض أرضك ، وما بينهما لك ، فأت به . قال خليل: فأتيت باب الشام فإذا ابني قائم منبهر، فقلت : يا محمد فقال : يا أبة الساعة كُنتُ بالأنبار .

وعن محمد بن صبح قال : مرّ معروف علي سقاء يسقي الماء وهو يقول : رحم الله من شرب فشرب ، وكان صائمًا ، وقال : لعل الله أن يستجيب له .

وعن سريّ قال : هذا الذي أنا فيه من بركات معروف : انصرفتُ من صلاة العيد فرأيت مع معروف صبيًا شعثًا فقلت له : من هذا ؟ قال : رأيت الصبيان يلعبون وهذا واقف منكسر فسألته لم لا تلعب ؟ قال : أنا يتيم . قال سريّ : فقلت له : فما ترى أنك تعمل به ؟ قال : لعلي أخلو فأجمع له نوى يشترى به جوزًا يفرح به . فقلت له : أعطنيه أغيّر من حاله . فقال لي : أو تفعل ؟ فقلت: نعم . فقال لي : خذه أغنى الله قلبك . فسويت الدنيا عندي أقلّ من كذا .

قال عبد الله بن سعيد الأنصاري : رأيت معروفًا الكرخي في المنام كأنه تحت العرش، فيقول الله عز وجل : ملائكتي من هذا ؟ فقالت الملائكة : أنت أعلم، هذا معروف الكرخي ، وقد سكر من حبّك لا يُفيق إلاّ بلقائك .

وقال أحمد بن الفتح : رأيت بشْر بن الحارث في منامي وهو قاعد في بستان، وبين يديه مائدة وهو يأكل منها فقلت له : يا أبا نصر ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي ورحمني وأباحني الجنة بأسرها وقال لي : كُلْ من جميع ثمارها واشرب من أنهارها وتمتّع بجميع ما فيها كما كنت تحرم نفسك الشهوات في دار الدنيا . فقلت له : فأين أخوك أحمد بن حنبل؟ قال : هو قائم على باب الجنّة يشفع لأهل السنة ممن يقول : القرآن كلام الله غير مخلوق . فقلت له : فما فعل معروفٌ الكرخي ؟ فحرّك رأسه ثم قال لي : هيهات حالت بيننا وبينه الحجُب ، إن معروفًا لم يعبد الله شوقًا إلى جنته ولا خـــوفًا من ناره ، وإنما عبده شوقًا إليه فرفعه الله إلي الرفيع الأعلى ، ورفع الحجُب بينه وبينه ، ذاك الترياق المقدّس المجرَّب ، فمن كانت له إلى الله حاجة فليأت قبره وليدعُ فإنه يُستجاب له إن شـاء الله تعالى .

وعن أبي بكر الزجّاجّ قال : قيل لمعروف الكرخي في علته : أوصِ . فقال : إذا متّ فتصدّقوا بقميصي هذا ، فإني أحبّ أن أخرج من الدنيا عُريانًا كما دخلت إليها عُريانًا .

أسند معروف عن بكر بن خُنيس وعبد الله بن موسى وابن السماك .

وتوفي سنة مائتين وقبره ظاهر ببغداد يتبرّك به . وكان إبراهيم الحربي يقول : قبر معروف الترياقي المجرب .

وإنما اقتصرنا هاهنا على اليسير من أخباره لأنا قد جمعنا أخباره ومناقبه في كتاب أفردناه لها فمن أراد الزيادة من أخباره فعليه بذلك الكتاب والله الموفق - رحمه الله - ورضي الله عنه .

٢٦١ - بشر بن الحارث الحافي[١]

يكنى أبا نصر ولد في سنة خمسين ومائة .

عن أيوب العطار قال : قال لي بشر بن الحارث الحافي : أحدثك عن بُدُوِّ أمري ؟ بينما أنا أمشي رأيت قرطاسًا على وجه الأرض فيه اسم الله تعالي ، فنزلت إلى النهر فغسلته وكنت لا أملك من الدنيا إلا درهمًا فيه خمسةُ دوانق ، فاشتريت بأربعة دوانيق مسكًا وبدانق ماء ورد ، وجعلت أتتبّع اسم الله تعالي وأطيبه ، ثم رجعت إلي منزلي فنمت فأتاني آت في منامي فقال : يا بشر كما طيّبت اسمي لأطيبن اسمك ، وكما طهرته لأطهرنّ قلبك .

وعن محمد بن بشار قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : أنا لله عشت إلى زمان إن لم أعمل فيه بالجفاء لم يسلم ديني .

وعن الحسين بن محمد البغدادي قال سمعت أبي يقول : زرت بشر بن الحارث فقعدت معه مليًا ، فما زادني على كلمة قال : ما اتقى الله من أحبَّ الشهرة ، وعن أحمد بن نصر قال : كنا قعودًا قدّام بشر بن الحارث نفسين . قال: فجاء الثالث فقام فدخل .

وعن أحمد بن الفتح قال : سمعت بشرًا يقول : بعث إلى عاصم بن علي بأبي زكريا الصفّار فقال : يا أبا نصر إن أبا الحسن يقرأ عليك السلام ويقول : قد اشتدّ شوقي إليك حتى لقد كدتُ أن آتيك من غير إذن فعلمتُ كراهيّتك لمجيء الرجال ، فإن رأيت أن تأذن لي فآتيك لأسلم عليك ، فلعل الله أن ينفعني برؤيتك . قال : فقلت له : قد فهمت رسالة الشيخ فأبلغه السلام وقل له : لا تأتني فإن في مجيئك إليّ شهرةً عليَّ وعليك .

---

(١) انظر : الحلية (٨/ ٣٣٦) .

وعن أبي حفص عمر بن موسى قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : لقد شهرني ربّي في الدنيا فليته لا يفضحني في القيامة . ما أقبح بمثلي يُظنُّ فيَّ ظنٌّ وأنا على خلافه، إنما ينبغي لي أن أكون أكثر ما يُظنّ بي أني أكره الموت وما يكره الموت إلاّ مُريب ، ولولا أني مريب ، لأي شيء أكره الموت ؟

وقال أحمد بن الصلت : سمعت بشر بن الحارث يقول : غنيمة المؤمن غفلة الناس عنه وإخفاءُ مكانه عنهم .

أبو بكر محمد بن الفياض قال : سمعت زُريقًا الدلاّل يقول : سمعت بشر ابن الحارث يقول : اللهم استُر واجعل تحت السّتر ما تحبّ ، فربما سترت على ما تكره . قال: ثم التفت إليَّ فقال : يا أخي بادر بادر فإن ساعات الليل والنهار تذهب الأعمار .

وعن محمد بن يوسف الجوهري قال : سمعت بشر بن الحارث يقولُ يوم ماتت أخته: إن العبد إذا قصرّ في طاعة الله سلبه الله من يؤنسه .

وعن محمد بن قدامة قال : لقى بشر بن الحارث رجلٌ سكران فجعل يقبّله ويقول : يا سيدى يا أبا نصر ، ولا يدفعه بشر عن نفسه . فلما ولّى تغرغرت عينا بشر وقال : رجلٌ أحبَّ رجلاً على خيرٍ توهّمه ، لعلّ المحبّ قد نجا والمحبوب لا يدري ما حالُه .

وقال رجل : رأيت بشر بن الحارث وقف على أصحاب الفاكهة فجعل ينظر . فقلت : يا أبا نصر لعلك تشتهي من هذا شيئًا ؟ قال : لا ولكن نظرت في هذا: إذا كان يُطعم هذا من يعصيه فكيف من يطيعه .

وعن أبي بكر المروزي قال : سمعت بعض القطانّين يقول : أهدى إليّ أستاذي رُطَبًا وكان بشر يقيل في دكاننا في الصيف . فقال له أستاذي : يا أبا نصر هذا من وجه طيّب فإن رأيت أن تأكل قال : فجعل يمسّه بيده ثم ضرب بيده إلى لحيته وقال : ينبغي أن أستحي من الله إني عند الناس تاركٌ لهذا وآكله في السر ؟ .

وعنه قال : سمعت أبا حفص ابن أخت بشر قال : سمعت بشرًا يقول : ما شبعتُ منذ خمسين سنة . وعنه قال : سمعت قرابة بشرٍ الحافي يقول : قدم بشر بن عبّادان ليلاً أو قال: من سفرٍ وهو متّزر بحصير .

عن يحيى بن عثمان قال : كان لبشر بن الحارث في كل يومٍ رغيف .

قال : وقال لي بشر : كان لي سنَّور فكنت إذا وضعتُ طعامي بين يديّ جاءت فعيناها في عيني فآكل وأرمي لها . قال : فقلتَ : إليك عني تأكُلين قُوتي .

وعن أبي بكر بن عثمان قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : إني لأشتهي شواءً منذ أربعين سنة ما صفا لي درهمه .

وعن أبي عمران الوركاني قال : تخرّق إزارُ بشر ، فقالت له أخته : يا أخي قد تخرّق إزارك وهذا البرد فلو جئت بقُطن حتى أغزل لك . قال : فكان يجيء بالإستارين والثلاثة . قال : فقالت له : يا أخي إن الغزل قد اجتمع أفلا تسلّم إزارك ؟ قال : فقال لها : هاتيه . قال : فأخرجته إليّ فوزنه فأخرج ألواحه وجعل يحسب الأساتير فلما رآها قد زادت فيه قال لها : كما أفسدته فخُذيه .

وعن الحسن بن عمرو بن الجهم قال : سمعت أبا نصر التمّار يوم مات بشر يقول : لولا أنّ بشرًا قد مات ما حدّثتكم بهذا .

أتاني ليلةً فقلت : يا أبا نصر الحمد لله الذي جاء بك ، جاءنا قُطن من خراسان فغزلته الابنة وباعته لفلان واشترت به لحمًا وأشياء على أن أفطر عليه . فالحمد لله الذي جاء بك . فقال : يا أبا نصر لا تُكثر عليّ فلو أكلت عند أحد من أهل الدنيا أكلتُ عندك . ثم قال : إني لأشتهي الباذنجان منذ ثلاثين عامًا . قلت : فإنّ فيها باذنجانًا . فقال : حتى تصفوا لي حبة الباذنجان من أين هي ؟ .

وعن إبراهيم بن هاشم قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : إني لأشتهي شواء ورُقاقًا منذ خمسين سنةً ما صفا لي درهمُه .

الفتح بن شحرف قال : قال عمر ابن أخت بشر : سمعت خالي بشرًا يقول لأمي : جوفي وجعٌ وخواصري تضرب عليّ . فقالت له أمي : ائذن لي حتى أصلح لك قليل حسا بكفٍّ دقيق عندي تتحسّاه يرُمّ جوفك . فقال لها : ويحك أخاف أن يقول من أين لك هذا الدقيق فلا أدري أيَّ شيء أقول له ؟ فبكت أمي وبكى معها وبكيت معهم .

قال عمر : ورأت أمي ليلة ما به من شدة الجوع وجعل يتنفّس تنفسًا ضعيفاً، فقالت له أمي : يا أخي ليت أمك لم تلدني فقد والله تقطع كبدي مما أري بك . فسمعته يقول لها: وأنا فليت أمّك لم تلدني وإذ قد ولدتني لم يَدرّ لها ثديٌ عليّ.

قال عمر : وكانت أمّي تبكي عليه الليل والنهار .

عبد الله بن خبيق قال رجل لبشر : ما لي أراك مغمومًا ؟ قال : ما لي لا أكون مغمومًا وأنا رجل مطلوب .

وعن أبي الحسن أحمد بن محمد الزعفراني قال : سمعت أبي يحكي عن بشر أنه قال: ربما رفعتُ يدي في الدّعاء فأردّها أو قال : فأستلّها .

أقول : إنما يفعل هذا من له عنده وجه .

وعن الفتح بن شحرف قال : كنت جالسًا عند بشر إذ جاءه رجل فسأله عن مسألة ، فأطرق مليًا ثم رفع رأسه ثم أطرق ثم رفع رأسه ، فقال : اللهم إنك تعلم أني أخاف أن أتكلم ، اللهم إنكَ تعلم أني أخاف أن أسكت ، اللهم إنك تعلم أني أخاف أن تأخذني فيما بين السكوت والكلام .

وعن زبدة أخت بشر بن الحارث قالت : دخل بشر عليّ ليلةً من الليالي فوضع إحدى رجليه داخل الدار والأخرى خارج الدار ، وبقي كذلك يتفكر حتى أصبح فلـما أصبح قلت له : في ماذا تفكَّرت طول الليلة ؟ قال : تفكرت في بشر النصراني ، وبشر اليهودي ، وبشر المجوسي ، ونفسي واسمي بشر فقلت : ما الذي سبق منك حتى خصّك ؟ فتفكّرت في تفضُّله عليّ وحمدتُه علي أن جعلني من خاصّته وألبسني لباس أحبائه .

وعن أحمد بن نصر قال : سمعت بشرًا يقول : يا مازني ليت لا يكون حظّي من الله هذا الذي يقول الناس بشر بِشر . ورأيت أشفار عينيه قد ذهبت من البكاء. وعن الحسن ابن عمرو قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : لو علمت أن رضاه أن أشدَّ في رجلي حجرًا ثم ألقي نفسي في البحر لفعلتُ .

وعن عباس بن دُهقان قال : قلت لبشر بن الحارث : أحب أن أخلو معك . قال : إذا شئت ، فبكرتُ يومًا فرأيته قد دخل قبةً فصلّى فيها أربع ركعات لا أحسن أن أصلي مثلها . فسمعته يقول في سجوده : اللهم إنك تعلم فوق عرشك أن الذلّ أحب إلى من الشرف ، اللهم إنك تعلم فوق عرشك أن الفقر أحبّ إليّ من الغنى ، اللهم إنك تعلم فوق عرشك أني لا أوثر على حبّك شيئًا . فلما سمعته أخذني الشهيق والبكاء . فلما سمعني قال : اللهم إنك تعلم أني لو أعلم أن هذا ههنا لم أتكلَّم .

وقال أحمد بن حنبل : والله إن بين أظهُركم رجلاً ما هو عندي بدون عـامر بـن عبد الله ، يعني بشر بن الحارث .

وعن أحمد بن عبـد الله بن خالد قال : سئل أحمد بن حنبل عن مسألة في الورع . فقال : أنا ؟ أستغفر الله لا يحلّ لي أن أتكلـم في مسألة في الورع ، أنا آكل من غلّة بغداد .

لو كان بشر بن الحارث صلح أن يجيبك عنه ؛ فإنه كان لا يأكل من غلّة بغداد ولا من طعام السّواد ، يصلح أن يتكلم في الورع .

وعن أبي بكر أحمد بن عبد الرحمن المروزي قال : سمعت بشرًا يقول : إن الجوع يُصفى الفؤاد ويورث العلم الدقيق . وسمعت بشرًا يقول : طوبى لمن ترك شهوةً حاضرة لموعد غيب لم يره .

وعن أحمد بن الصلت قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : حادثوا الآمال بقُرب الآجال .

وعن أبي بكر الباقلاّوي قال : سمعت أبي يقول : سمعت بشر بن الحارث ونحن معه بباب حرب ، وأراد الدخول إلى المقبرة فقال : الموتى داخل السور أكثر منهم خارج السور .

وعن أحمد بن الصلت قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : ليس من المودة أن تحبّ ما يُبغض حبيبك .

وعن عمرو بن موسى بن فيروز قال : رأيت بشرًا ومعه رجل فتقدم إلى بئر ليشرب منها . فجذبه بشر وقال : تشرب من البئر الأخرى حتى جاوز ثلاثة آبار . فقال له الرجلُ: أبا نصرٍ أنا عطشان . فقال له بشر : اسكت فهكذا ندفع الدنيا .

وعن إبراهيم الحربي قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : بحسبك أن أقوامًا موتى تحيا القلوبُ بذكرهم وأن أقوامًا أحياء تعمى الأبصار بالنظر إليهم .

وعن عمرو بن موسى الأحول قال : سمعت بشرًا يقول : يكون الرجل مرائيًا في حياته ، مرائيًا بعد موته . قيل : كيف يكون مرائيًا بعد موته ؟ قال : يحب أن يكثر الناس على جنازته .

وعن الحسن بن عمرو قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : الصدقة أفضل من الحجّ والعمرة والجهاد . ثم قال : ذاك يركب ويرجع ويراه الناس ، وهذا يعطي سرًا لا يراه إلا الله - عز وجل .

وسمعت بشرًا يقول : ما أقبح أن يُطلب العالمُ فيقال : هو بباب الأمير .

وعن أبي عبد الله الأسدي قال : قال لي بشرٌ الحافي يومًا :

قطعْ اللّيالي مع الأيام في خلقٍ ... والنومُ تحت رُواق الهمّ والقلقِ
أحرى وأعذر لي من أن يقال غدًا ... إني التمست الغنى من كفّ مختلقِ
قالوا : قنعتَ بذا ، قلت : القُنوعُ غنىً ... ليس الغنى كثرة الأموال والورقِ
رضيتُ بالله فى عسري وفي يُسري ... فلست أسلُك إلا أوضح الطُّرقِ

رحل بشر بن الحارث - رضي الله عنه - في طلب العلم إلى مكة والكوفة ،البصرة،

وسمع من وكيع وعيسى بن يونس وشريك بن عبد الله وأبي معاوية وأبي بكر بن عياش وحفص بن غياث وإسماعيل بن علية وحماد بن زيد ومالك بن أنس وأبي يوسف القاضي وابن المبارك وهشيم والمعافى بن عمران والفضيل بن عياض وأبي نعيم في خلق كثير . غير أنّه لم يتصدّ للرواية فلم يُضبط عنه من الحديث إلا اليسير .

وقد ذكرنا ما وقع إلينا من حديثه وأخباره في كتاب أفردناه لمناقبه وأخباره فلذلك اقتصرنا ههنا على ما ذكرنا .

وتوفي - رضي الله عنه - عشية الأربعاء لعشرٍ بقين من ربيع الأول ، وقيل لعشر خلون من المحرّم ، سنة سبع وعشرين ومائتين ، وقد بلغ من العمر خمسًا وسبعين سنة، وقيل سبعًا وسبعين

عن يحيى بن عبد الحميد الحماني قال : رأيت أبا نصر التمار وعلي بن المديني في جنازة بشر بن الحارث يَصيحان : هذا والله شرف الدنيا قبل شرف الآخرة . وذلك أن بشرًا خرجت جنازته بعد صلاة الصبح ولم يُجعل في القبر إلا في الليل، وكان نهارًا صائفًا ولم يستقرّ في القبر إلى العتمة .

وعن الكندي : قال رأيت بشر بن الحارث في النوم فقلت له : ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي وأقعدني على طيّار من لؤلؤة بيضاء وقال لي : سِرْ في مُلْكي .

وعن الحسن بن مروان قال : رأيت بشر بن الحارث في المنام فقلت : يا أبا نصر ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي وغفر لكل من تبع جنازتي . قال : قلت ففيم العمل ؟ قال : افتقد الكِسْرة .

وقال ابن خزيمة : لما مات أحمد بن حنبل بتّ من ليلتي فرأيته في النوم فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي وتوّجني وألبسني نعلَيْن من ذهب ، وقال لي : يا أحـمد هذا بقولك : القرآن كلامي . قلت : فما فعل بشْر ؟ فقال لي : بَخٍ بَخٍ ، مـن مثْل بشر؟ تركته بين يدي الجليل وبين يديه مائدة من الطعام والجليل مقْبل عليه وهو يقول له: كُلْ يا من لم يأكل ، واشربْ يا من لم يشرب، وانعم يا منْ لم ينعم - رحمه الله ورضي عنه .

٢٦٢ ـ أحمد بن محمد بن حنبل [١] أبو عبد الله الشيباني

جيء به من مَرْو حملاً فولد في ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة .

فأما نسبه فأخبرنا أبو منصور القزّاز قال : أنبأ أبو بكر بن ثابت ، قال : أنبأ أحمد

---

(١) انظر : الحلية (٩/ ١٦١) ، وسير الأعلام (١١/ ١٧٧) ، وتذكرة الحفاظ (٢/ ٤٣١) .

ابن عبد الله الحافظ : أنبأ أحمد بن جعفر بن حمدان قال : أنبأ عبد الله بن أحمد ، حدثنا أبي أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان ابن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة ابن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة ابن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان بن أدّ بن أدد بن الهميسع بن حمل بن النبت بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام .

وعن أبي بكر المروزي قال : قال لي أبو عفيف - وذكر أبا عبد الله أحمد بن حنبل - فقال : كان في الكتّاب معنا وهو غُلَيّم يُعْرَف فضلُه وكان الخليفة بالرقّة فيكتب الناسُ إلى منازلهم ، فيبعث نساؤهم إلي المعلّم : ابعث إلينا بأحمد بن حنبل . ليكتب لهم جواب كُتبهم ، فيبعثه . فكان يجيء إليهم مطأطىء الرأس فيكتب جواب كتبهم فربّما أملَوْ عليه الشيْء من المنكر فلا يكتبه لهم .

وعن إدريس بن عبد الكريم قال : قال خلف : جاءني أحمد بن حنبل يستمع حديث أبي عوانة فاجتهدت أن أرفعه فأبى وقال : لا أجلس إلا بين يديك أُمَرنا أن نتواضع لمن نتعلّم منه . وعن أبي زُرعة قال : كان أحمد بن حنبل يحفظ ألفَ ألف حديث فقيل له: وما يُدريك ؟ قال : ذاكرتُه فأخذتُ عليه الأبواب .

أبو جعفر بن أحمد بن محمد بن سليمان التُسْتَريّ قال : قيل لأبي زُرعة من رأيت من المشايخ المحدّثين أحفظ ؟ فقال : أحمد بن حنبل ، حُزِرت كتُبه اليوم الذي مات فيه فبلغت اثني عشر حملاً وعدلاً ، ما كان على ظهر كتاب منها حديث فلان ، ولا في بطنه حديث فلان ، وكل ذلك كان يحفظه عن ظهر قلبه .

وعن إبراهيم الحربي قال : رأيت أحمد بن حنبل كأن الله قد جمع له علم الأوّلين والآخرين من كل صنف ، يقول ما شاء ويُمسك ما شاء .

وعن أحمد بن سنان قال : ما رأيت يزيد بن هارون لأحد أشدَّ تعظيمًا منه لأحمد بن حنبل ، ولا رأيته أكرم أحدًا كرامته لأحمد بن حنبل . وكان يقّعد إلى جنبه إذا حدّثنا وكان يوقرّه ولا يمازحه . ومرض أحمد فركب إليه فعاده .

قال المصنف - رحمه الله - : قلت : كانت مخايل النّجابة تظهر من أحمد - رضي الله عنه - من زمان الصِّبا ، وكان حفْظه للعلم من ذلك الزمان غزيرًا وعمله به متوافرًا . فلذلك كان مشايخه يعظّمونه ، فكان إسماعيل بن عُليّة يقدّمه وقت الصلاة يصلّي بهم . وضحك أصحابه يوما فقال : أتضحكون وعندي أحمد بن حنبل ؟ .

وقال عبد الرزاق : ما رأيت أفقه ولا أورْع من أحمد بن حنبل .

وقال وكيع وحفص بن غياث : ما قدم الكوفة مثلُ أحمد بن حنبل .

وقال أبو الوليد الطّيالسي : ما بالمِصْرَيْن أحد أحبّ إليّ من أحمد بن حنبل .

وكان ابن مهدي يقول : ما نظرت إليه إلاّ ذكرت به سفيان الثوريّ ، ولقد كاد هذا الغلام أن يكون إمامًا في بطن أمه .

وقال يحيى بن سعيد : ما قدم عليّ مثْل أحمد بن حنبل .

وقال أبو عاصم النبيل ـ وقد ذُكر طلاب العلم ـ فقال : ما رأينا في القوم مثل أحمد ابن حنبل .

وقد ذكرنا هذه الأطراف وأمثالها في كتاب « فضائل الإمام أحمد » بأسانيدها ، فكرهنا الإعادة هاهنا .

وعن أبي بكر المرْوزي قال : كنت مع أبي عبد الله نحوًا من أربعة أشهر بالعسكر لا يدعُ قيام الليل وقراءة النهار ، فما علمت بختمةٍ ختمها . كان يُسِرُّ ذلك .

وعن أبي عصمة بن عصام البيهقي قال : بتّ ليلةً عند أحمد بن حنبل ، فجاء بالماء فوضعه . فلما أصبح نظر في الماء فإذا هو كما كان : فقال : سبحان الله ، رجل يطلب العلْم لا يكون له وِرْد بالليل ؟ .

وعن أبي داود السجستاني قال : لم يكن أحمد بن حنبل يخوض في شيء مما يخوض فيه الناسُ من أمر الدنيا ، فإذا ذكر العلْم تكلم .

وعن أبي عُبيد القاسم بن سلام قال : جالست أبا يوسف ومحمد بن الحسن ويحيى ابن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي فما هِبْتُ أحدًا منهم ما هبتُ أحمد بن حنبل ، ولقد دخلت عليه في السجن لأُسلّم عليه فسألني رجل عن مسألة فلم أجبه هيبةً له .

وعن عبد الملك بن عبد الحميد الميموني قال : ما أعلم اني رأيت أحدًا أنظف ثوبًا ، ولا أشدّ تعاهُدًا لنفسه في شاربه ، وشعر رأسه ، وشعر بدنه ، ولا أنقى ثوبًا وأشدَّه بياضًا من أحمد بن حنبل .

وعن علي بن المديني قال : قال لي أحمد بن حنبل : إني لأحب أن أصحبك إلى مكة وما يمنعني من ذاك إلا أني أخاف أن أملّك أو تملّني . قال : فلما ودّعته قلت : يا أبا عبد الله توصيني بشيء ؟ قال : نعم الزم التقوى قلبك ، والزم الآخرة أمامك .

وقال أبو داود السجستاني : كانت مجالسة أحمد بن حنبل مجالسة الآخرة ، لا يُذكر فيها شيء من أمر الدنيا . ما رأيت أحمد بن حنبل ذكر الدنيا قطّ .

وعن أحمد بن عتبة قال : لما ماتت أم صالح قال أحمد لامرأةٍ عندهم : اذهبي إلى

فلانة ابنة عمي فاخطبيها لي من نفسها . قال : فأتتْها فأجابته . فلما رجعت إليه قال : كانت أختُها تسمع كلامك ؟ قال : وكانت بعين واحدة ؟ قالت له : نعم قال : فاذهبى فاخطبى تلك التى بعين واحدة فأتتها فأجابتها وهي أم عبد الله . فأقام معها سبعًا ثم قالت له: كيف رأيت يا ابن عم أنكرتَ شيئًا ؟ قال : لا إلا أن نعلك هذه تصرّ .

وعن إبراهيم الحربي قال : كان أحمد بن حنبل يأتي العرْس والختِان والإملاك، يُجيب ويأكل .

وعن إسحاق بن راهويه قال : لما خرج أحمد بن حنبل إلى عبد الرزاق انقطعت به النفقة، فأكرى نفسه من بعض الجمّالين ، إلى أن وافى صنعاء ، وقد كان أصحابه عرضوا عليه المواساة فلم يقبل من أحد شيئًا .

وعن الرمادي قال : سمعت عبد الرزاق ـ وذكر أحمد بن حنبل فدمعت عيناه ـ فقال: قدم وبلغني أن نفقته نفدت فأخذت عشرة دنانير وأقمته خلف الباب ، وما معي ومعه أحد، وقلت : إنه لا تجتمع عندنا الدنانير وقد وجدتُ الساعة عند النساء عشرة دنانير فخذها فأرجو ألاّ تنفقها حتى يتهيأ عندنا شيء . فتبسم وقال لي : « يا أبا بكر لو قبلتُ شيئًا من الناس قبلتُ منك » ، ولم يقبل .

وعن صالح بن أحمد قال : جاءتني حسن فقالت : يا مولاي قد جاء رجل بتليسة فيها فاكهة يابسة وبهذا الكتاب قال صالح : فقمت فقرأت الكتاب فإذا فيه :

يا أبا عبد الله أبضعتُ لك بضاعة إلي سمرقند فوقع فيها كذا وكذا ، ورددتُها فيها كذا وكذا ، وقد بعثتُ بها إليك وهي أربعة آلاف درهم وفاكهة أنا لقطتها من بستاني ، ورثته عن أبي ، وأبي ورثه عن أبيه . قال : فجمعت الصبيان فلما دخل دخلنا عليه فبكيت وقلت له : يا أبة أما ترق لي من أكل الزكاة ؟ ثم كشفت عن رأس الصبية وبكيت فقال : من أين علمت ؟ دع حتى أستخير الله تعالى الليلة . قال : فلما كان من الغد قال : يا صالح صي فإني قد استخرت الله تعالى الليلة فعزم لي إلا آخذها . وفتح التليسة ففرّقها على الصبيان وكان عنده ثوبٌ عشاري فبعث به إليه وردّ المال . قال صالح: فبلغني أن الرجل اتّخذه كفنًا .

وعن علي بن الجهم قال : كان له جار فأخرج إلينا كتابًا فقال : أتعرفون هذا الخط ؟ قلنا : هذا خط أحمد بن حنبل ، كيف كتب لك ؟ قال : كنا بمكّة مقيمين عند سفيان ابن عيينة ففقدْنا أحمد بن حنبل أيامًا لم نره ثم جئنا إليه لنسأل عنه ، فقال لنا أهل الدار التي هو فيها : هو في ذلك البيت . فجئنا إليه والباب مردود عليه ، وإذا خُلْقان ، فقلنا له : يا أبا عبد الله ما خَبَرُك ؟ لم نرك منذ أيام. فقال : سُرقت ثيابي فقلت له : معي

دنانير فإن شئت فخذْ قرْضًا وإن شئت فصلة، فأبى أن يفعل . فقلت : تكتب لي بأجرة؟ قال : نعم . فأخرجنا دينارًا فأبى أن يأخذه وقال اشتر لي ثوبًا واقطعه بنصفين فأومأ إليّ أنه يأتزر بنصف ويرتدي بالنصف الاخر . وقال : جئني بنفقته ففعلت وجئت بورق فكتب لي، وهذا خطّه .

وعن صالح بن أحمد بن حنبل قال : دخلت على أبي في أيام الواثق والله يعلم في أيّ حالة نحن وخرج لصلاة العصر ، وكان له جلْد يجلس عليه ، قد أتت عليه سنون كثيرة حتى قد بَلِيَ فإذا تحته كتاب فيه : بلغني يا أبا عبد الله ما أنت فيه وعن الضيق وما عليك من الدين ، وقد وجهت إليك بأربعة آلاف درهم علي يديْ فلان لتقضى بها ديْنك وتوسّع بها على عيالك وما هي من صدقة ولا زكاة ، إنما هو شيْء ورثته من أبي .

فقرأت الكتاب ووضعتُه ، فلما دخل قلت له : يا أبة ما هذا الكتاب ؟ فاحمرّ وجهه وقال : رفعتُه منك . ثم قال : تذهب بجوابه إلى الرجل . وكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم . وصل كتابك إلي ونحن في عافية فأما الدَّيْن فإنه لرجل لا يُرهقنا وأما عيالنا فهم بنعمة الله ، والحمد لله .

فذهبت بالكتاب إلى الرجل الذي كان أوصل كتاب الرجل فقال : ويحك لو أن أبا عبد الله قَبِل هذا الشيْء ورمي مثلاً في دجلة كان مأجورًا لأن هذا الرجل لا يُعرف له معروف . فلما كان بعد حين ورَد كتاب الرجل بمثل ذلك فرد عليه الجواب بمثل ما ردّ . فلما مضت سنة أو أقل أو أكثر ذكرناها فقال : لو كان قبلناها كانت قد ذهبت .

وعن محمد بن موسى بن حماد الزيدي قال : حمل إلي الحسن بن عبد العزيز الحروي من ميراثه من مصر مائة ألف دينار ، فحمل إلى أحمد بن حنبل ثلاثة أكياس في كل كيس ألف دينار فقال : يا أبا عبد الله هـــذه ميراثُ حلال فخذْها فاستعنْ بها على عائلتك . فقال : لا حاجة لي فيها أنا في كفاية . فردَّها ولم يقبْلّ منها شيئًا .

وعن السّريّ بن محمد خال ولد صالح قال : جاء أحمد بن صالح يوضّئ أبا عبد الله يومًا وقد بلّ أبو عبد الله خرقةً فألقاها على رأسه . فقال له أحمد بن صالح : يا جدّي أنت محموم . قال أبو عبد الله : وأنّى لي بالحُمّى ؟ .

وعن رحيلة قال : كنت على باب أحمد بن حنبل والباب مُجاف [1] ، وأمّ ولده تكلمه وتقول له : إنّا معك في ضيق ، منزلُ بيت صالح يأكلون ويفعلونَ ، وهو يقول : قولي خيرًا . وخرج الصبّي معه فبكّى فقال له : أيَّ شيءٍ تريد ؟ قال : زبيب ، قال : اذهبْ فخُذْ من البقّال حبة .

---

(١) أي : مغلق .

وعن أبي بكر المروزي قال : سمعت أبا عبد الله يقول : إنما هو طعامٌ دون طعام، ولباس دون لباس ، وإنها أيام قلائل . وقال : سمعت أبا عبد الله يقول أسرُّ أيامي إليَّ يوم أصبح وليس عندي شيء .

وعن صالح بن أحمد قال : ربما رأيت أبي يأخذ الكسَر فينفض الغبار عنها ثم يصيّرها في قصْعة ثم يصب عليها ماءً حتى تبتلّ ، ثم يأكلها بالملَح ، وما رأيته قطّ اشترى رمانًا ولا سفرجلاً ولا شيئًا من الفاكهة ، إلا أن يكون يشترى بطيخة فيأكلها بخبز أو عنبًا أو تمرًا فأما غير ذلك فما رأيته قطّ اشتراه ، وربما خُبِزَ له فيَجعل في فخّارة عدسًا وشحْمًا وتمرات شهريز ، فيخص الصبيان بقصعة فيصوت ببعضهم فيدفعه إليهم فيضحكون ولا يأكلون . وكان كثيرًا ما يأتدم بالخل ،كان يُشترى له شحم بدرهم ، فكان يأكل منه شهرًا . فلما قدم من عند المتوكل أدْمن الصَّوم وجعل لا يأكل الدَّسم . فتوهّمتُ أنه كان جعل على نفسه إنْ سَلِمَ أنْ يفعل ذلك .

وعن النيسابوري صاحب إسحاق بن إبراهيم : قال لي الأمير : إذا جاء إفطاره أرنيه . قال فجاءوا برغيفين خبز وخيارة . فأريته الأمير فقال : هذا لا يُجيبنا إذا كان هذا يقنعه .

وعن الحسن بن خلف الصائغ قال : جاءني المرْوزي في علّة أبي عبد الله ، قال: أبو عبد الله عليل . فذهبت بالمتطبّب فدخلنا عليه . قال : ما حالُك ؟ قال: احتجمتُ أمس . قال : وما أكلت ؟ قال : خبزًا وكامخًا [1] قال : يا أبا عبد الله تحتجم ، وتأكل خبزًا وكامخًا ؟ قال : فما آكل ؟ .

وعن محمد بن الحسن بن هارون قال : رأيت أبا عبد الله إذا مشى في الطريق يكره أن يتبعه أحد .

وقال المروزي : سمعت أبا عبد الله يقول : الخوف يمنعني من أكل الطعام والشراب فما أشتهيه .

قال المروزي وبال أبو عبد الله في مرضه دمًا فأريْتُه عبد الرحمن المتطبّب فقال: هذا رجل قد فتّت الغم والحزن كبده .

وعن إبراهيم بن شماس قال : كنت أعرف أحمد بن حنبل وهو غلام يُحيي الليل .

وعن المروزي قال سمعت أبا عبد الله يقول : قد وجدت البَرْد في أطرافي ما أراه إلا من إدماني أكْلَ الخلّ والملْح .

وعن فوران قال : كنا عند أحمد بن حنبل قبل أن يموت بليلتيْن ، وكان ثمَّ غلام أسْود لأبي يوسف ، يعني عمّه ، اشتراه من هذا المال فذهب بروح أحمد فنهاه.

---

(١) الكامخ : نوع من المخللات .

وعن سليمان بن داود الشاذكوني أن أحمد رهن سطلا عند فاميّ فأخذ منه شيئًا يتقوّته. فجاء فأعطاه فكاكه فأخرج إليه سطلين ، فقال : انظر أيهما سطلك؟ فخذه . قال: لا أدري أنت في حلّ منه ومما أعطيتك . ولم يأخذ . قال الفاميّ : والله إنه لسطْله وإنما أردتُ أن أمتحنه فيه .

وعن أحمد بن محمد التُستريّ قال : ذكروا لي أن أحمد بن حنبل أتي عليه ثلاثة أيام ما كان طعم فيها . فبعث إلي صديق له فاستقرض شيئًا من الدقيق ، فعرفوا في البيت شدّة حاجته إلي الطعام فخبزوه عاجلاً فلما وُضـع بين يديه قال: كيف خبزتم هذا بسرعة؟ قيل له : كان التنّور في دار صالح ابنه مسجورًا فخبزْنا عاجلاً . فقال : ارفعوا ولم يأكل وأمر بسدّ بابه إلى دار صالح .

وعن عبد الله بن أحمد قال : كان أبي أصبر الناس على الوحْدة ، لم يره أحد إلاّ في مسجد أو حضور جنازة أو عيادة مريض . وكان يكره المشى في الأسواق .

وعنه قال : كان أبي يصلّي في كل يوم وليلة ثلاث مائة ركْعة . فلما مرض من تلك الأسواط أضعفته ، فكان يصلّي في كل يوم وليلة مائةً وخمسين ركعةً . وقد كان قرُب من الثمانين ، وكان يقرأ في كل يوم سبعًا يختم في سبعة أيام ، وكانت له ختْمةٌ في كل سبع ليالٍ سوى صلاة النهار ، وكان ساعة يصلّي عشاء الآخرة ينام نومةً خفيفة ثم يقوم إلي الصّباح يصلّي ويدعو . وحجّ أبي خمس حجّات : ثلاث حججٍ ماشيًا واثنتين راكبًا، وأنفق في بعض حجّاته عشرين درهمًا .

وعنه قال كنت أسمع أبي كثيرًا يقول في دُبُر الصلاة : اللهم كما صنتَ وجْهي عن السجود لغيرك صُنه عن المسألة لغيرك .

وعن أبي عيسى عبد الرحمن بن زاذان قال : صلّينا ، وأبو عبد الله أحمد بن حنبل حاضر ، فسمعته يقول : « اللهم من كان على هوى أو على رأى وهو يظن أنه على الحق وليس هو الحق فرُدّه إلى الحق حتى لا يضلّ من هذه الأمة أحدٌ . اللهم لا تشغل قلوبنا بما تكفّلت لنا به . ولا تجعلنا في رزقك خولاً لغيرك ، ولا تمنْعنا خير ما عندك بشر ما عندنا ، ولا ترنا حيث نهيتنا ولا تفقدْنا من حيث أمرْتَنا ، أعِزَّنا ولا تُذلّنا أعِزَّنا بالطاعة ولا تُذلّنا بالمعصية » .

وعن علي بن أبي حرارة قال : كانت أمي مقْعدة نحو عشرين سنة . فقالت لي يوماً: اذهب إلى أحمد بن حنبل فسلْه أن يدعوا الله لي . فمضيت فدققتُ عليه الباب . فقال : من هذا ؟ فقلت : رجل من أهل ذلك الجانب ، سألتْني أمي وهي زمنَة مقْعدة أن أسألك أن تدعوا الله لها . فسمعتُ كلامه كلام رجلٍ مغضب وقال : نحن أحْوج أن تـدعو الله

لنا . فولّيت منصرفًا فخرجتْ عجوز من داره فقالت : أنت الـذي كلّمت أبا عبد الله ؟ قلت : نعم . قالت : قد تركته يدعو الله لها .

قال : فجئت من فوري إلى البيت فدققتُ الباب فخرجتْ على رجليْها تمشي حتى فتحتْ لي الباب وقالت : قد وهب الله لي العافية .

وعن ميمون بن الأصبغ قال : كنت ببغداد فسمعتُ ضجّةً فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : أحمد بن حنبل يُمتحن . فدخلت فلما ضُرب سوطًا قال : بسم الله . فلما ضُرب الثاني قال : لا حول ولا قوّة إلا بالله . فلما ضُرب الثالث قال : القرآن كلام الله غير مخلوق. فلما ضُرب الرابع قال : ﴿ **قلْ لنْ يُصيبنا إلاّ ما كتب الله لنا** ﴾ [1] فضُرب تسعةً وعشرين سوطًا .

وكانت تكّة أحمد حاشية ثوب فانقطعت ، فنزل السراويلُ إلى عانته ، فرمي أحمد طرفه إلى السماء وحرّك شفتيه ، فما كان بأسرع أن بقي السراويل لم ينزل.

فدخلت إليه بعد سبعة أيام فقلت : يا أبا عبد الله رأيتك تحرّك شفتيك فأيّ شيء قلت؟ قال : قلت : اللهم إنّي أسألك باسمك الذي ملأت به العرش إن كنت تعلم أني على الصواب فلا تهتك لي سترًا .

وعن محمد بن إسماعيل بن أبي سُمينة قال : سمعت شاباص النائب يقول : لقد ضربتُ أحمد بن حنبل ثمانين سوطًا لو ضربته فيلاً لهدَّتْه .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : كنت كثيرًا أسمع والدي يقول : رحـــم الله أبا الهيثم ، غفر الله لأبي الهيثم ، عفا الله عن أبي الهيثم . فقلت : يا أبة من أبو الهيثم؟ فقال : لما أخرجت للسياط ومُدت يداي للعقابين إذا أنا بشاب يجذب ثوبي من ورائي ويقول لي : تعرفني ؟ قلت لا . قال : أنا أبو الهيثم العيّار اللصّ الطّرار ، مكتوب في ديوان أمير المؤمنين أني ضربت ثمانية عشر ألف سوْط بالتّفاريق ، وصبرت في ذلك على طاعة الشيطان لأجل الدنيا فاصبرْ أنت في طاعة الرحمن لأجل الدين . قال : فضُربت ثمانية عشر سوطًا بدل ما ضرب ثمانية عشر ألفًا ، وخرج الخادم فقال : عفا عنه أمير المؤمنين .

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : قال لي أبي : يا بنيّ لقد أعطيت المجهود من نفسي .

قال : وكتب أهل المطامير إلى أحمد بن حنبل : إن رجعت عن مقالتك ارتددْنا عن الإسلام .

---

(١) سورة التوبة آية : ٥١ .

وعن أحمد بن سنان قال : بلغني أن أحمد بن حنبل جعل المعتصم في حل في يوم فتْح بابك أو في فتح عمورية فقال : هو في حلّ من ضربي .

وقال إبراهيم الحربي : أحلّ أحمد بن حنبل من حضر ضربه وكلّ من شايع فيه والمعتصم ، وقال لولا أن ابن أبي دُواد داعية لأحللْتُه .

وقال صالح بن أحمد بن حنبل : ورد كتاب علي بن الجهم : إن أمير المؤمنين، يعني المتوكل ، قد وجّه إليك يعقوب المعروف بقوْصرة ، ومعه جائزة ويأمرك بالخروج فالله الله أن تستعفي أو تردّ المال ، فيتسع القولُ لمن يبْغضك .

فلما كان من الغد ورَد يعقوب فدخل عليه فقال يا أبا عبد الله أمير المؤمنين يقْرئك السلام ويقول : قد أحببتُ أن آنس بُقربك وأن أتبرَّك بدعائك ، وقد وجّهتُ إليك عشرة آلاف درهم معونة على سفرك ، أخرج صُرّةً فيها بدْرة نحو مائتي دينار والباقي دراهم صحاح . فلم ينظر إليها ثم شدها يعقوب وقال له : أعود غدًا حتى أبصر ما تعزم عليه وانصرف .

فجئت بإجّانة خضراء فكببتُها على البَدْرة ، فلما كان عند المغرب قال : يا صالح خذ هذا صيّره عندك . فصيرّتها عند رأسي فوق البيت . فلما كان سحرًا إذا هو ينادي : يا صالح فقمت فصعدت إليه فقال : ما نمت ليلتي هذه فقلت: لمَ يا أبة ؟ فجعل يبكي وقال : سلمتُ من هؤلاء حتى إذا كان في آخر عمري بُليت بهم ، قد عزمت على أن أفرّق هذا الشيْء إذا أصبحتُ . فقلت : ذاك إليك فلما أصبح قال : جئْني يا صالح بميزان . وقال : وجّهوا إلى أبناء المهاجرين والأنصار . ثم قال : وجّهْ إلى فلان يفرق في ناحية وإلى فلان فلم يزل حتى فرقها كلّها ونفضت الكيس ، ونحن في حالة الله تعالي بها عليم .

فجاء بُنَيّ لي فقال : يا أبة أعطني درهمًا . فنظر إليّ فأخرجت قطعة فأعطيته وكتب صاحب البريد : إنه قد تصدق بالدراهم من يومه حتى تصدّق بالكيس .

قال عليّ بن الجهم : فقلت : يا أمير المؤمنين قد علم الناس أنه قد قبل منك ، وما يصنع أحمد بالمال ؟ وإنما قُوتُه رغيف . فقال لي : صدقت يا عليّ .

قال صالح : ثم أُخرجْنا ليلاً معنا حرّاس ، معهم النفّاطات فلما أضاء الفجر قال لي: يا صالح معك دراهم ؟ قلت نعم . قال : أعطهم فأعطيتهم درهمًا درهمًا ودخلنا العسكر وأبي منكّس الرأس . ثم أنزل دار إيتاخ وجاء عليّ بن الجهم فقال : قد أمر لكم أمير المؤمنين بعشرة آلاف مكان التي فرّقها وأمر أن لا يعلم بذلك فيغتمّ .

ثم جاءه أحمد بن معاوية فقال : إن أمير المؤمنين يُكثر ذكرك ويشتهي قُربك وتُقيم ههنا تحدّث ؟ فقال : أنا ضعيف .

ثم حُمل إلى دار الخلافة . فأخبرني بعض الخدم أن المتوكل كان قاعدًا وراء ستْر فلما دخل أبي الدار قال لأمه : يا أماه قد أنارت الدار . ثم جاء خادم بمنديل فيه ثياب فأُلبِس وهو لا يحرّك يديه . فلما صار إلى الدار نزع الثياب عنه ثم جعل يبكي . ثم قال : سلمتُ من هؤلاء منذ ستين سنة حتى إذا كان في آخر عمري بُليت بهم ؟ ثم قال : يا صالح وجّه هذه الثياب إلى بغداد تُباع وتصدّق بثمنها ولا يشترىَ أحد منكم شيئًا منها .

وأجريت له مائدة وثلج وضرب الخيش فلما رآه تنّحى فألقى نفسه على مضربةٍ له وجعل يُواصل ويُفطر في كل ثلاثٍ على تمر شهريز . فمكث كذلك خمسة عشر يومًا ثم جعل يُفطر ليلةً وليلةً ولا يفطر إلا على رغيف . وكان إذا جيء بالمائدة توضع في الدهليز لكي لا يراها فيأكل من حضر .

وأمر المتوكل أن تُشترى لنا دار . فقال : يا صالح لئن أقررت لهم بشراء دارٍ لتكوننّ القطيعة بيني وبينك فلم يزل يدفع شرى الدار حتى اندفع .

ثم انحدرتُ إلى بغداد وخلّفت عبد الله عنده فإذا عبد الله قد قدم وقد جاء بثيابي التي كانت عنده . فقلت له : ما جاء بك ؟ فقال : قال لي : انحدر وقل لصالح : لا تخرج فأنتم كنتم آفتي ، والله لو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ ما أخرجت واحدًا منكم معي، ولولا مكانكم لمن كانت توضع هذه المائدة ؟ .

وفي رواية أخرى : ثم إنه مرض فأذن له المتوكل في العود إلي بغداد فعاد .

قال الشيخ : وإنما اقتصرنا على هذا اليسير من أخبار الإمام أحمد - رضي الله عنه - لأنا قد أفردنا لمناقبه وفضائله كتابًا كبيرًا يستوفيها فكرهنا الإعادة في التصانيف، وذكرنا في ذلك الكتاب أسماء الأشياخ الذين لقيهم وروي عنهم .

وتوفي - رضي الله عنه - في سنة إحدى وأربعين ومائتين ، وقد استكمل سبعًا وسبعين سنة .

قال المروزي : مرض أبو عبد الله ليلة الأربعاء لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين . ومرض تسعة أيام وتسامع الناس فأقبلوا لعيادته ولزموا الباب الليل والنهار يبيتون ، فربما أذن للناس فيدخلون أفواجًا يسلّمون عليه، فيردّ عليهم بيده .

وقال أبو عبد الله : جاءني حاجبٌ لابن طاهر فقال : إن الأمير يقرئك السلام وهو يشتهي أن يراك . فقلت له : هذا مما أكره ، وأمير المؤمنين قد أعفاني مما أكره .

ووضّأته فقال : خلّلِ الأصابع . فلما كان يوم الجمعة اجتمع الناس حتى ملأوا السكك

والشوارع . فلما كان صدر النهار قُبض - رحمه الله - ، فصاح الناس وعلت الأصوات بالبكاء حتى كأن الدنيا قد ارتجّت .

وعن إسحاق قال : مات أبو عبد الله وما خلّف إلا ستّة قطعٍ أو سبعة ، وكانت في خرقةٍ كان يمسح بها وجهه قدر دانقين .

وعن حنبل قال : أعطى بعض ولد الفضل بن الربيع أبا عبد الله وهو في الحبس ثلاث شعرات فقال : هذا من شعر النبي ﷺ . فأوصى أبو عبد الله عند موته أن يُجعل على كل عين شعرة وشعرة على لسانه . ففعل ذلك به بعد موته .

وعن صالح بن أحمد قال : قال لي أبي جئني بالكتاب الذي فيه حديث ابن إدريس عن ليث عن طاووس أنه كان يكره الأنين . فقرأته عليه فلم يئن إلا في الليلة التى مات فيها .
وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : لما حضرت أبي الوفاةُ جلستُ عنده وبيدي الخرقة لأشدّ بها لحييه . فجعل يعرق ثم يفيق . ثم يفتح عينيه ويقول بيده هكذا : لا بعد لا بعد . ففعل هذا مرّة وثانية . فلما كان في الثالثة قلت له : يا أبة أيّ شيء هذا قد لهجت به في هذا الوقت ؟ تعرق حتى نقول قد قضيت . ثم تعود فتقول : لا بعد لا بعد . فقال لي : يا بني ما تدري ما قلتُ ؟ قلتُ : لا . فقال : إبليس لعنه الله قائم حذائي عاضّ على أنامله يقول لي : يا أحمد فُتَّني . فأقول : لا بعد لا بعد حتى أموت.

وعن بنان بن أحمد القصباني أنه حضر جنازة أحمد بن حنبل فيمن حضر . قال فكانت الصفوف من الميدان إلى قنطرة باب القطيعة . وحزر من حضرها من الرجال ثمان مائة ألفٍ ومن النساء ستين ألف امرأة .

وعن موسى بن هارون قال : يقال إن أحمد بن حنبل لما مات مُسحت الأمكنة المبسوطة التى وقف الناس عليهـا للصلاة فحزر مقادير الناس بالمساحة على التقدير ستمائة ألف وأكثر ، سوى ما كان في الأطراف والجوالي والسطوح والمواضع المتفرقة أكثر من ألف ألف .

وقال أبو بكر المروزي : رأيت أحمد بن حنبل في النوم كأنه في روضة وعليه حلّتان خضراوان ، وعلى رأسه تاج من النور ، وإذا هو يمشي مشية لم أكن أعرفها فقلت : يا أحمد ما هذه المشية التي لم أكن أعرفها لك ؟ فقال : هذه مشية الخُدام في دار السلام . فقلت : ما هذا التاج الذي أراه على رأسك ؟ فقال: إن ربي عز وجل أوقفني وحاسبني حسابًا يسيرًا وحباني وقرّبني وأباحني النظر إليه ، وتوّجني بهذا التاج وقال لي : يا أحمد هذا تاج الوقار توّجتك به كما قلت : القرآنُ كلامي غير مخلوق .

وعن أبي يوسف بن الحيان قال : لما مات أحمد بن حنبل رأى رجـــل في منامه كأن

على كل قبر قنديلاً فقال : ما هذا ؟ فقيل له : أما علمت أنهُ نوّر لأهل القبور قبورهم بنزول هذا الرجل بين أظهرهم ، قد كان فيهم يعذب فرُحِم .

وعن أبي علي بن البناء قال : لما ماتت أم القطيعي دفنها في جوار أحمد بن حنبل . فرآها بعد ليال فقال : ما فعل الله بك ؟ فقالت : يا بني رضي الله عنك فلقد دفنتني في جوار رجل تنزل على قبره في كل ليلةٍ أو قال في كل ليلة جمعة رحمةٌ تعمّ جميع أهل المقبرة ، وأنا منهم .

٢٦٣ ـ محمد بن مصعب أبو جعفر الدعاء

عن حسين بن فهم قال ـ وذكر محمد بن مصعب ـ فقال : استسقى ماء فحطّت بَرّادة فسمع صوتها فشهق وصاح وقال : يا محمد بن مصعب من أين لك في النار برادة ؟ قال: ثم رفع صوته فقرأ ﴿ وإنْ يستغيثوا يُغاثُوا بماء كالْمُهْل ﴾ (١) .

وعن محمد بن نصر بن منصور الصائغ قال : كان المأمون قد أمر بمحمد بن مصعب إلى الحبس فقال ـ وقد ذهب به إلى الحبس ـ ورفع رأسه إلى السماء وقال: أقسمت عليك إن حبستني عندهم الليلة فأخرُج في جوف الليل . فصلّى الغداة في منزله .

أسند محمد بن مصعب عن ابن المبارك وغيره . وكان أحمد بن حنبل يُثني عليه ويقول : كان رجلاً صالحاً .

وتوفّي ببغداد في ذي القعدة سنة ثمان وعشرين ومائتين .

٢٦٤ ـ سعيد بن وهب أبو عثمان مولى بني سلمة بن لؤي

كان شاعرًا ماجنًا كثير القول في الغزل والخمر وكان يسكن البصرة ثم توطن ببغداد . وتاب وتعبّد وحج راجلاً .

عن الحسين بن عبد الرحمن قال : حجّ سعيد بن وهب ماشيًا فبلغ منه وجهد فقال :

قَدميَّ اعْتَوِرا رمْلَ الكثيبِ ... واطرُقا الآجنَ من ماءِ القليبِ
رُبَّ يوم رُحتما فيه على ... زَهرة الدنيا وفي وادٍ خصيبِ
وسماعٍ حسنٍ مِنْ حَسَنٍ ... صخَب المزهَرِ كالظَبي الرَّبيب
فاحسبَا ذاك بهذا واصبرا ... وخُذا من كلّ فنٍ بنصيب
إنما أمشي لأنّي مذنبٌ ... فلعل الله يعفو عن ذنوبي

توفي سعيد في زمان المأمون – رحمه الله .

---

(١) سورة الكهف آية : ٢٩ .

٢٦٥ ـ يحيى بن أيوب أبو زكريا [1]

العابد المعروف بالمقابري كان من خيار عباد الله ومن أهل السنة .

عن العباس بن محمد بن عبد الرحمن الأشهلي قال : حدّثني أبي قال : مررت بالمقابر فسمعت همهمةً فاتّبعت الأثر فإذا يحيى بن أيوب في حفرة من تلك الحُفَر، وإذا هو يدعو ويبكي ويقول : يا قرّة عين المطيعين ، ويا قرّة عين العاصين . ولم لا تكون قرة عين المطيعين وأنت مننتَ عليهم بالطاعة ؟ ولم لا تكون قرّة عين العاصين وأنت سترت عليهم الذنوب ؟ قال : ويعاود البكاء قال : فغلبني البكاء ففطن لي ، فقال لي : تعالَ لعل الله إنما بعث بك لخيرٍ .

سمع يحيى بن أيوب من : شريك وإسماعيل بن علية في خلق كثير . وتوفي سنة أربع وثلاثين ومائتين .

٢٦٦ ـ سريج بن يونس [2]

يكنى أبا الحارث المروزي . سكن بغداد .

عن أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن الجعد قال : سمعت سُريج بن يونس يقول : رأيت ربّ العزة تعالى في المنام فقال لي : يا سريج سلني فقلت : يا رب سِرّ بسرّ .

وعن إسحاق بن إبراهيم الجيلي قال : سمعت سريج بن يونس الشيخ الصالح الصدوق يقول : رأيت فيما يرى النائم كأن الناس وقوف بين يدي الله وأنا في أول صف في آخره ، ونحن ننظر إلي ربّ العزة تعالى ، إذ قال : أيَّ شــيء تريدون أن أصنع بكم؟ فسكت الناس . قال سريج : فقلت أنا في نفسي : ويحهم قد أعطاهم كلَّ ذا من نفسه وهمُ سكوت ؟ فقنّعت رأسي بملحفتي وأبرزت عينًا وجعلت أمشي وجزُت الصفّ الأول بخطا فقال أيّ شيء تريد ؟ فقلت : رحمان سِرّ بسرّ إنْ أردت أن تعذبنا فلم خلقتنا ؟ قال : قد خلقتكم ولا أعذبكم أبدًا . ثم غاب في السماء فذهب .

وعن موسى بن هارون قال : بلغني أن سريج بن يونس رأي رب العزة تعالى في المنام فأتيته فسألته فأخبرنا أنه رأى فيما يري النائم كأن صفًا من الناس ، قال : وأنا علي يمين الصف ، فقال: أيَّ شيء تريدون ؟ فلم يجبه أحد فقلت : ويحكم ما لكم لا تتكلمون؟ ثم قنّعت رأسي ثم تقدمت وأنا أتمايل ـ أراه قال من الهول ـ فقلت : رحمان سرّ بسرّ إذ خلقتنا فلا تعذّبنا . قال : فإني لا أعذبكم . أو قال : قد غفرت لكم . ثم رأيت بعد ذلك في رمضان كأنه قد نزل إلى الأرض فقال رجل : اللهم اغفر لي . فقال شيئًا معناه:

---

(١) انظر : سير الأعلام (١١/٣٨٦) .

(٢) المصدر السابق (١١/١٤٦) .

سننزل إلى الأرض فنغفر لواحد قال سريج فقلت بيدي : هكذا ولم أتكلم وفي نفسي أن يغفر للمؤمنين . فقال : إني قد غفرت للمؤمنين .

وعن أحمد بن عبد العزيز بن الجعد قال : حدثني بقّال سريج بن يونس قال: جاءني سريج ليلاً وقد ولد له مولود فأعطاني ثلاثة دراهم فقال : أعطني بدرهم عسلاً وبدرهم سمنًا وبدرهم سويقًا ، ولم يكن عندي شيء قد عزلتُ الظروف لأبكرّ وأشترى . فقلت: ما عندي شيء قد عزلت الظروف لأبكر واشتري . فقال لي : انظر قليلا أيش ما كان ، امسح البرانّي فجئت فوجدت البراني والجراب ملاءً فأعطيته شيئًا كثيرًا فقال لي : ما هذا أليس قلت ما عندي شيء ؟ قال : قلت خذ واسكت . فقال : ما آخذ أو تصدُقني فحدثته القصة فقال لا تحدّث به أحدًا ما دمتُ حيًا .

أسند سريج عن : سفيان بن عيينة وهشيم وغيرهما .

وتوفيّ في ربيع الأول سنة خمس وثلاثين ومائتين .

٢٦٧ ـ أحمد بن نصر الخزاعي [١]

يكنى أبا عبد الله . كان من كبار العلماء الآمرين بالمعروف . وسمع الحديث من مالك ابن أنس وحمّاد بن زيد وهشيم وغيرهم .

امتحنه الواثق بالقرآن فأبى أن يقول إنه مخلوق . فقتله في يوم السّبت غُرّة رمضان سنة إحدى وثلاثين ومائتين بسُرّ من رأى . فصُلب جسده هناك وأنفذ رأسه إلي بغداد فنصبه فلم يزل كذلك ست سنين . ثم حُطّ وجُمع بين رأسه وبدنه ودُفن بالجانب الشرقيّ من بغداد في المقبرة المعروفة بالمالكية في يوم الثلاثاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع وثلاثين ومائتين .

وعن داود بن سليمان قال : حدّثني أبي قال : سمعت أحمد بن نصر الخزاعي يقول: رأيت مُصابًا قد وقع فقرأت في أذنه ، فكلمتني الجنية من جوفه: يا أبا عبد الله بالله دعني أخنقه فإنه يقول : القرآن مخلوق .

وعن أبي بكر المروزي قال : سمعت أبا عبد الله أحــــمد بن حنبل - وذكر أحمد بن نصر - فقال : رحمه الله ما كان أسخاه ، لقد جاد بنفسه .

وعن إبراهيم بن إسماعيل بن خلف قال : كان أحمد بن نصر خلّى فلما قُتل في المحنة وصُلب أخبرت أن الرأس يقرأ القرآن : فمضيت وبتّ بقرب من الرأس مشرفًا عليه . وكان عنده رجّالة وفرسان يحفظونه . فلما هدأت العيونَ سمعت الرأس يقرأ ﴿ألم

(١) المصدر السابق (١١/١٦٦) .

﴿ أحسبَ الناسُ أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهُم لا يفتنون ﴾ [1] فاقشعر جلدي ثم رأيته بعد ذلك في المنام وعليه السندس والإستبرق ، وعلي رأسه تاج فقلت : ما فعل الله بك يا أخي قال : غفر لي وأدخلني الجنة ، إلا أني مغمومًا ثلاثة أيام . قلت : ولِمَ ؟ قال : كان رسول الله ﷺ مرّ بي فلما بلغ خشبتي حوّل وجهه عني . فقلت بعد ذلك : يا رسول الله قُتلتُ على الحق أو على الباطل ؟ فقال : أنت على الحق ، ولكن قتلك رجل من أهل بيتي فإذا بلغت إليك أستحي منك . وعن إبراهيم بن الحسن قال : رأى بعض أصحابنا أحمد بن نصر في النوم بعد ما قُتل فقال له: ما فعل الله بك ؟ قال : ما كانت إلا غفوة حتى لقيت الله - عز وجل - فضحك إليّ - رحمه الله .

٢٦٨ ـ أبو محمد الطيب بن إسماعيل بن إبراهيم الذهلي

ويعرف بأبي حمدون الدلاّل . كان أحد القرّاء المشهورين والزهّاد الصالحين .

روى القراءة عن الكسائي ويعقوب الحضرمي ، وحدّث عن المسيّب بن شريك وسفيان ابن عيينة وشعيب بن حرب .

عن أبي العباس أحمد بن مسروق قال : سمعت أبا حمدون المُقرىء يقول : صليت ليلة فقرأت فأدغمت حرفًا فحملتني عيني فرأيت كأن نورًا قد تلبّب بي وهو يقول لي : بيني وبينك الله . قال :قلت : من أنت ؟ قال أنا الحرف الذي أدغمتني ، قال : قلت: لا أعود . فانتبهت فما عدتُ أدغم حرفًا .

وعن أبي محمد الحسن بن علي بن صليح قال : إن أبا حمدون الطيب بن إسماعيل كُفَّ بصره فقاده قائده ليدخله المسجد ، فلما بلغ المسجد قال له قائده : يا أستاذ اخلع نعليك قال: يا بني لِمَ أخلعهما ؟ قال : لأن فيهما أذي . فاغتم أبو حمدون وكان من عباد الله الصالحين . فرفع يده ودعا بدعوات ومسح بها وجهه فردّ الله إليه بصره ومشى .

وعن أبي عبد الله بن الخطيب قال : كان لأبي حمدون صحيفة فيها مكتوب ثلثمائة من أصدقائه . قال : وكان يدعو لهم كل ليلة . فتركهم ليلة فنام . فقيل له في نومه : يا أبا حمدون لمْ تُسرِج مصابيحك الليلة . قال : فقعد وأسرج وأخذ الصحيفة فدعا لواحدٍ واحدٍ حتى فرغ .

وعن أبي الحسين بن المنادي قال : أبو حمدون الطيّب بن إسماعيل الذهلي من خيار الزهّاد المشتهرين بالقرآن ، كان يقصد المواضع التي ليس فيها أحد يقرىء الناس .

---

(١) أول سورة العنكبوت .

فيقرئهم حتى إذا حفظوا انتقل إلى آخرين بهذا النعت وكان يلتقط المنبوذ كثيرًا - رحمه الله .

٢٦٩ ـ مسرور بن أبي عوانة

واسم أبي عوانة : الوضاح ، مولى يزيد بن عطاء الواسطي : نزل بغداد وكان عابدًا مجتهدًا .

عن إسماعيل بن زياد أبو يعقوب قال : قد رأيت العباد والمجتهدين ما رأيت أحدًا قط أصبر على صلاة الليل والنهار وطول السهر والقيام من مسرور بن أبي عوانة كان يصلي الليل والنهار لا يفتُر .

قال : وقدم علينا مرة فقال : أخرجوني إلى الساحل أنظر إلي الماء حتى لا أنام .

وعن الفضل بن عبد الوهاب أبو المساور خَتَن [1] أبي عوانة ، قال : كان أبو عوانة من أكثر الناس صلاة بالليل وأطوله اجتهادًا . فلما قدم علينا مسرور بن أبي عوانة قال لي أبو عوانة : يا أبا المساور احتقرت والله نفسي ، أو قال : تصاغرتُ إلى نفسي .

٢٧٠ ـ الحارث بن أسد المحاسبي أبو عبد الله [2]

عن أحمد بن محمد بن مسروق قال : سمعت حارثًا المحاسبي يقول : ثلاثة أشياء عزيزة أو معدومة : حُسن الوجه مع الصيانة ، وحُسن الخلق مع الديانة ، وحُسن الاخاء مع الأمانة .

وقال الجُنيد : كنت كثيرًا أقول للحارث عُزلتي أُنسي . فيقول : كم تقول أنسي وعزلتي، لو أن نصف الخلق تقرّبوا منّي ما وجدتُ بهم أنسًا ، ولو أن نصف الخلق الآخر نأي عنّي ما استوحشت لبُعدهم .

وقال : كان الحارث كثير الضرّ فاجتاز بي يومًا وأنا جالس على بابنا ، فرأيت على وجهه زيادة الضرّ من الجوع . فقلت له : يا عمّ لو دخلت إلينا فنلت من شيء عندنا وعمدت إلى بيت عمي كان أوسع من بيتنا ، لا يخلو من أطعمة فاخرة لا يكون مثلها في بيتنا سريعًا . فجئت بأنواع كثيرة من الطعام : فوضعته بين يديه ، فمدّ يده فأخذ لقمة فرفعها إلى فيه فرأيته يلُوكها ولا يزدردها . ثم وثب فخرج وما كلّمني .

فلما كان الغد لقيته فقلتُ : يا عم سررتني ثم نغّصت عليّ فقال : يا بني أما الفاقة فكانت شديدة وقد اجتهدت في أن أنال من الطعام الذي قدمت إليّ ولكن بيني وبين الله

---

(١) الختن : زوج الأخت .

(٢) انظر : الحلية (١٠/٧٣) ، وسير الأعلام (١٢/ ١١٠) .

علامة إذا لم يكن الطعام مُرضيًا ارتفع إلي أنفي منه زفورة فلم تقبله نفسي ، فقد رميت بتلك اللقمة في دهليزكم وخرجتُ .

وقال الجُنيد : مات أبو الحارث المحاسبي وإن الحارث لمحتاج إلى دانق فضّة وخلّف أبوه مالاً كثيرًا وما أخذ منه حبّة واحدة . وقال : أهل ملّتين لا يتوارثان . وكان أبوه واقفيًا .

أسند الحارث عن : يزيد بن هارون وطبقته .

وتوفّي سنة ثلاث وأربعين ومائتين - رحمه الله .

٢٧١ ـ عبد الوهاب بن الحكم[١]

ويقال ابن الحكم بن نافع الورّاق . يكنى أبا الحسن .

عن أبي بكر الحسن بن عبد الوهاب الورّاق قال : ما رأيت أبي ضاحكًا قطّ إلا تبسماً، وما رأيته مازحًا قطّ ، ولقد رآني مرّة وأنا أضحك مع أمي فجعل يقول لي : صاحبُ قرآن يضحك هذا الضحك ؟ .

وعن أبي بكر المروزي قال : سمعت أبا عبد الله يقول : عبد الوهاب الورّاق رجل صالح، مثله يوّفق لإصابة الحقّ .

وعنه قال : قال لي عبد الوهاب ، يعني الورّاق : أنت كيف استخرت تقيم بسُرّ من رأى؟ فذكرت ذلك لأحمد فقال : فلم لَمْ تقل له ما كان بدّ للأسير ممن يخدمه . ثم قال : لا نزال بخيرٍ ما كان في الناس من يُنكر علينا .

وعنه قال : سمعت إسحاق بن داود يقول : كنت أدعو عبد الوهاب فأضع الطعام بين يديه فآكل وأتركه . فيقول لي : يا أبا يعقوب قل لي كُلْ . فأتغافلُ عنه وآكل فيأخذ بيدي ويقول لي : قُل لي كُلْ . فأقول له : فلم دعوتك ؟ .

أسند عبد الوهاب عن يحيى بن سليم الطائفي وعبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد ومعاذ ابن معاذ العنبرى في آخرين .

وكان مختصًا بصحبة أحمد بن حنبل . وكان أحمد يقول : إني لأدعو الله له، ومن يقوى على ما يقوى عليه عبد الوهاب ؟ وقيل له عند موته : من نسأل بعدك ؟ فقال : سلُوا عبد الوهاب .

وتوفي سنة خمسين ، وقيل إحدى وخمسين ، ومائتين .

---

(١) المصدر السابق (١٢/ ٣٢٣) .

عن عاصم الحربي قال : رأيت في المنام بشر بن الحارث الحافي فقلت : من أين يا أبا نصر ؟ فقال من علّيين . قلت : ما فعل أحمد بن حنبل ؟ قال : تركت الساعة أحمد ابن حنبل وعبد الوهاب الوراق بين يدي الله تعالى يأكلان ويشربان ويتنعمان – رحمهما الله .

٢٧٢ ـ السرى بن المغلس السقطى(١)

يكنى أبا الحسن . خال أبي القاسم الجُنَيد ، وأستاذه . وقد ذكرنا في أخبار معروف أنه دعا له وقال : أغنى الله قلبك . فوقع الزهد في قلبه حينئذ .

عن أبي القاسم سليمان بن محمد الضرّاب قال : حدثني بعض إخواني أن سريا السقطي مرت به جارية معها إناء فيه شيْء ، فسقط من يدها فانكسر فأخذ سريّ شيئًا من دكانه فدفعه إليها بدلَ ذلك الإناء . فنظر إليه معروف الكرْخي فأعجبه ما صنع ، فقال له معروف : بغّض الله إليك الدنيا .

وعن مظفّر بن سهل المُقري قال : سمعت علاّن الخياط ، وجرى بيني وبينه مناقب سريّ السقطي ، فقال علان : كنت جالسًا مع سريّ يومًا فوافته امرأة فقالت : يا أبا الحسن أنا من جيرانك ، أخذ ابْني الطائف وأنا أخشى أن يؤذيه ، فإن رأيت أن تجيء معي أو تبعث إليه .

قال علان : فتوقّعت أن يبعث إليه . فقام وكبّر وطوّل في صلاته . فقالت المرأة : يا أبا الحسن الله فيّ ، هو ذا أخشى أن يؤذيه السلطان ، فسلّم وقال لها : أنا في حاجتك .

قال علان : فما برحت حتى جاءت امرأة إلى المرأة فقالت : الْحقي قد خلَّوْا ابنك .

قال علان : وأي شيء يتعجب من هذا اشتري كُرَّ لَوْز بستين دينارًا وكتب في روزنامجه ثلاثة دنانير ربْحَه . فصار كُرُّ اللّوز بتسعين دينارًا . فأتاه الدلاّل وقال : أريد ذاك اللّوز . فقال : خذه . فقال : بكم ؟ قال : بثلاثة وستين دينارًا . قال له الدلال : إن اللوز قد صار الكُرّ بتسعين . فقال له : قد عقدتُ بيني وبين الله عَقْدًا لا أحلّه : ليس أبيعه إلا بثلاثة وستّين دينارًا . فقال له الدلال : إنّي قد عقدتُ بيني وبين الله تعالى لا أغشّ مسلمًا ، لست آخذ منك إلا بتسعين دينارًا . فلا الدلاّل اشترى منه ، ولا سريّ باعه ، فكيف لا يُستجاب دعاءُ من هذا فعْلُه ؟ .

وعن ابن أبى الورد قال : دخلت على سريّ السّقطي وهو يبكي ، ودَوْرَقُه مكسور .

---

(١) المصدر السابق (١٢/ ١٨٥) ، والحلية (١٠/ ١١٦) .

فقلت : ما لك ؟ قال : انكسر الدّورق . فقلت : أنا أشتري لك بدله. فقال لي : تشتري بدله وأنا أعرف من أين الدانق الذي تشترى به الدورق؟ ومَن عمله ؟ ومن أين طينه ؟ وأيّ شيْء أكل عاملُه حتى فرغ من عمله .

وعن سعيد بن عثمان قال : سمعت سريّ بن المغلس يقول : غزوْنا أرض الروم فمررت بروضة خضرة فيها الخيار وحجر منقور فيه ماء المطر ، فقلت في نفسي: لئن أكلت يومًا حلالاً فاليوم . فنزلت عن دابتي وجعلت آكل من ذلك الخيار وشربت من ذلك الماء . فإذا هاتف يهتف بي : يا سري ، النفقة التى بلغت بها إلى هاهنا من أين؟.

وعن الجُنيد قال سمعت سريّ بن المغلس يقول : أشْتهي منذ ثلاثين سنة جزرةً أغمِسُها في الدبس وآكلها ، فما يصحّ لي .

وعن حسن المسُوحي قال : دفع إليّ سرّى السقطي قطعة ، فقال : اشْتر لي باقلّي من رجلٍ قِدْرُه داخل الباب . فطفت الكرخ كلّه فلم أجد إلا من قِدْره خارج الباب . فرجعت إليه فقلت : خذ قطعتك فإني لا أجد إلا من قِدْره خارجُ .

وعن أبي عبيد علي بن الحسين بن حرب القاضي قال . سمعت سريًا السقطي يقول : إني لأذكر مجيء الناس إليّ فأقول : اللهم هَبْ لهم من العلم ما يشغلهم عنّي ، فإني لا أريد مجيئهم ولا أن يدخلوا عليّ .

وعن علي بن عبد الحميد الغضائري قال : سمعت السريّ السقطي ـ ودققتُ عليه الباب، فقام إلى الباب ـ فسمعته يقول : اللهم أشغل من يشغلني عنك بك.

قال ابن المُقرى : وزادني بعض أصحابنا عنه أنه قال : فكان من بركة دعائه أني حججتُ أربعين حجّة على رجْلي من حلب ذاهبًا وراجعًا .

وعن جُنيد قال : دخلت على سريّ وهو جالس يبكي وبين يديه كوزٌ مكسور. فجلست حتى سكتَ فقلت : ما يبكيك ؟ قال : كنت صائمًا فجاءت ابنتي بكوز فيه ماء فعلّقتْه هناك فقالت : يبرد لك لتفطر عليه . فحملتني عيني فرأيت كأن جارية قد دخلتْ عليّ من هذا الباب عليها قميص فضة وفي رجليها نعلان لم أر قدمًا قطّ في نعْل أحسن منهما فقلت لها: لمن أنت ؟ قالت : لمن لا يبرّد الماء في الكيزان الخُضر . وضربتْ بكُمّها الكوز فرمتْ به، وهو هذا ، ثم انتبهتُ .

قال جنيد : فمكثت أختلف إليه مدةً طويلة أرى الكوز بين يديه مكسورًا عليه التراب وهو لا يرفعه .

وعنه قال : قال لي سريّ : إن أمكنك ألاّ تكون آلةُ بيتك إلاّ خزفًا فافعل . قال لي

الجنيد : وهكذا كانت آلةُ بيته ، وسمعت سريًا يقول : رأيت الفوائد ترِد في ظلم الليل. قال وكان سريّ إذا جنّ عليه الليل دافع أوّله ، ثم دافع ، ثم دافع ، فإذا غلبه الأمر أخذ في النحيب والبكاء .

جعفر بن محمد بن نصير يقول : سمعت الجُنيد يقول : سمعت السريّ قال : ما أري لي على أحدٍ فضلاً . قيل : ولا على المخنّثين ؟ قال : ولا على المخنثين؟.

قال السلمي : وسمعت أبا بكر محمد بن عبد الله الرازى يقول : سمعت أبا عمر الأنماطي يقول : سمعت الجنيد يقول : سمعت السري يقول : من أراد أن يسلم دِيُنه ويستريح قلبه وبدنه ويقلّ غمّه فليعتزل الناس ، لأن هذا زمانُ عزلة ووحدة .

وعن عبدوس بن القاسم قال : سمعت السريّ يقول : كلّ الدنيا فضول إلا خمس خصال : خبْز يُشبعه ، وماء يرويه ، وثوب يستره ، وبيت يُكنّه ، وعلْم يستعمله .

وعن علي بن عبد الحميد الغضائري قال : سمعت السريّ يقول : من لم يعرف قدر النعم سُلِبهَا من حيث لا يعلم ، ومن هانت عليه المصائب أحرزَ ثوابها.

وعنه قال : سمعت السريّ يقول : قليل في سنّة خير من كثير في بدْعة ، كيف يقل عملٌ مع تقوى ؟ وسمعته يقول : أقوى القوة غلَبَتُك نفسك ، ومن عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز ، ومن أطاع من فوقه أطاعه من دونه ، ومن خاف الله خافه كلّ شيء .

وقال : إن اغتممت بما ينقُص من مالك فابْك على ما ينقص من عُمرك .

وقال : من قلة الصدق كثرة الخُلطاء، ومن علامة الاستدراج العمي عن عيوب النفس.

وعنه قال : سمعت السريّ يقول : أجلد الناس من ملك غضبه ، ومن تزيّن للناس بما ليس فيه سقط من عين الله ، ولم يَكْمُل رجلٌ حتى يُؤْثر دينه على شهوته ولن يهلك حتى يُؤثر شهوته علي دينه .

وعن الجُنيد قال : سمعت سريًا يقول : ما أحب أن أموت حيث أعرف أخاف ألاّ تقبلنى الأرض فأفتضح .

وقال : سمعت سريًا يقول : إني لأنظر إلى أنفي في كل يوم مرّتين مخافة أن يكون قد اسودّ وجهي .

أحمد بن عبد الله قال : أخبرني جعفر بن محمد فـي كتابه قال : سمعـت الجنيد قال: سمعت السـري بن مغلس يقول : لو أحسست بإنسان يريد أن يدخل عليّ فقلت بلحيتي كذا ـ وأمرّ يده على لحيته كأنه يريد تسويتها من أجل دخول الداخـل لخفت أن يعذبني

الله على ذلك بالنار . وسمعته يقول : أحب أن آكل أكلة ليس لله عليّ فيها تبعة ولا لمخلوق عليّ فيها منّة فما أجد إلى ذلك سبيلاً .

وسمعته يقول : خرجْنا يومًا من مكة فلما أصحرنا رأيت في مجرى السيل طاقة بقلٍ فمددت يدي فأخذتها وقلت : الحمد لله ورجوت أن تكون حلالاً ليس لمخلوق فيها منّة . فقال لي بعض من رآني وقد أخذتها : يا أبا الحسن التفتْ . فالتفتُّ فإذا مثْل تلك الطاقة كثير . فقال لي : خذ فقلت له : الطاقة الأولى ليس لأحدٍ فيها منّة وهذا بدلالتك ، وإنما أريد ما لا منّة فيه لمخلوق ، ولا لله فيه تبعة .

قال : وسمعته يقول : كنت بطرسوس فكان معي في الدار فتيان متعبّدون وكان في الدار تنّور يخبزون فيه . فانكسر التنور فعملتُ بدله من مالي فتورّعوا أن يخبزوا فيه .

وقال له رجل : كيف أنت ؟ فأنشأ يقول :

مَنْ لم يبتْ والحبّ حشْو فؤادهِ   لم يــدرْ كيــف تُفتَّــت الأكبــادُ

وسمعته يقول : اللهم ما عذّبتني بشيء فلا تعذّبني بذلّ الحجّاب .

وسمعته يقول : إذا فاتني جزء من وِرْدي لا يمكنني أن أقضيه أبدًا .

وسمعته يقول : إذا ابتدأ الإنسان ثم كتب الحديث فتر وإذا ابتدأ بكِتْبه الحديث ثم تنسّك نفذ .

وذُكر له أهل الحقائق من العبّاد فقال : أكْلهم أكل المرضى ، ونومهم نوم الغرقى .

وسمعته يقول : احذر لا تكون ثناء منشورًا وعيبًا مستورًا .

وسمعته يقول ، وقد ذُكر الناس ، فقال : لا تعمل لهم شيئًا ، ولا تترك لهم شيئًا ، ولا تعط لهم شيئًا ، ولا تكشف لهم عن شيء . يريد بهذا أن تكون أعمالك كلّها لله تعالى .

قال : وسمعت الحسن البزار يقول : سألت أحمد بن حنبل عن السريّ بعد قدومه من الثغر . فقال : أليس الشيخ الذي يعرف بطيب الغذاء ؟ قلت بلى . فقال : هو على سترةٍ عندنا قبل أن يخرج .

وقد كان السريّ يكثر من ذكر طيّب الغذاء وتصفية القُوت وشدة الورع حتى انتشر ذلك وبلغ أحمد بن حنبل .

قال الجنيد : وكان السريّ يقول لنا ونحن حوله : أنا لكم عبرة يا معشر الشباب ، اعملوا فإنما العمل في الشبيبة . وكان يقول : من الناس ناس لو مات نصفُ أحدهم ما انزجر النصف الآخر ولا أحسبُني إلاّ منهم .

وسمعت السريّ يقول : قلوب المؤمنين معلّقة بالسوابق ، وقلوب الأبرار معلقة بالخواتيم، وهؤلاء يقولون : بماذا يختم لنا ؟ وأولئك يقولون : ماذا سبق من الله لنا؟ .

وعن أبي عباس المؤدّب قال : دخلت على سريّ السقطي يومًا فقال : لأعجبنّك من عصفور يجيء فيسقط على هذا الرُّواق فأكون قد أعددت له لُقَيْمة فأفتّها في كفّي فيسقط على أطراف أناملي فيأكل . فلما كان في وقت من الأوقات سقط على الرواق ففتتّ الخبز في يدي فلم يسقط على يدي كما كان ، ففكّرتُ في سرّي : ما العلّة في وحشته مني ؟ فوجدتُني قد أكلت ملْحًا مطيّبًا . فقلت في نفسي : أنا تائب من الملح المطيّب . فسقط على يدي فأكل وانصرف .

وعن الجنيد قال : دخلت على سريّ فقال : ألا أعجّبك من عصفور ؟ فذكره .

وعن أبي القاسم الجوهري قال : دخلت على سريّ فقال : لأعجّبنّك من عصفور . فذكر نحوه .

وعن أبي عبيد بن حربويه قال : سمعت السريّ السقطي يقول : من النذالة أن يأكل الإنسان بدينه .

وعن علي بن عبد الحميد قال : سمعت السريّ السقطي يقول : من حاسب نفسه استحيا الله من حسابه . وسمعته يقول : من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل .

وعن أبي عبيد بن حربويه قال : سمعت سريًا السقطي يقول : سلب الدنيا عن أوليائه وحماها عن أصفيائه ، وأخرجها من قلوب أودّائه لأنه لم يرْضها لهم .

وعن أحمد بن محمد الصوفي قال : سمعت السريّ بن مغلس يقول : انقطع من انقطع عن الله بخصلتين ، واتصل من اتصل بالله بأربع خصال : فأما من انقطع عن الله فإنه يتخطى إلي نافلة بتضييع فرض ، والثاني عمل بظاهر الجوارح لم يواطئ عليه صدق القلوب . وأما الذي اتّصل به المتصلون : فبلزوم الباب ، والتشمير في الخدمة ، والصبر على المكاره ، وصيانات الكرامات .

وعن أبي بكر النساج قال : سمعت السريّ يقول : لو علمت أن جلوسي في البيت أفضل من خروجي إلى المجلس ما خرجت ، ولو علمت أن جلوسي معكم أفضل من جلوسي في البيت ما جلست ، ولكني إن دخلت اقتضاني العلم لكم ، وإن خرجت نافرتْني الحقيقة ، فأنا عند منافرتي مستحْيٍ ، وأنا عند اقتضاء العلم محجوج .

وعن الجنيد قال : سمعت السريّ يقول : وددت أن حزن الخلق كلهم علي . وسمعته يقول : إن في النفس لشغلاً عن الناس .

وعن محمد بن علي الحربي قال سمعت سريًا يقول : حمدت الله مرة وأنا أستغفر الله من ذلك الحمد منذ ثلاثين سنة . قيل : وكيف ذلك ؟ قال : كان لي دكّان وكان فيه متاع، فوقع الحريق في سوقنا فقيل لي ، فخرجت أتعرّف خبر دكّاني ، فلقيت رجلاً فقال أبشر فإن دكّانك قد سلم . فقلت : الحمد لله . ثم أفكرت فرأيتها خطيئة .

وعن الجنيد بن محمد قال : دخلت على سريّ السقطي فسلمت وجلست فقال لي : أقربْ مني . فقربت منه فأخذ بيدي وقال لي : أعلم يا بني أن الشوق والأنس يرفرفان على القلب ، فإن وجدا هنالك الهيبة والإجلال حلاّ وإلاّ رحلا .

وعن ابن مسروق قال : سمعت سريًا يقول : ثلاثٌ من كنّ فيه استكمل الإيمان : من إذا غضب لم يُخرجه غضبه عن الحق ، وإذا رضي لم يخرجه رضاه إلى الباطل ، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له .

وعن جنيد قال : سمعت سريًا يقول : إذا فاتني شيْء من وِرْدي لم أقدر أن أعيده .

قال جنيد : كان سريّ متصل الشغل وكان إذا فاته شيء لا يقدر أن يعيده ، وكذا كان عمر بن الخطاب لم يكن له وقت ينام فيه ، فكان ينعس وهو قاعد ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ألا تنام ؟ فقال : كيف أنام ؟ إن نمت بالنهار ضيّعت أمور المسلمين وإن نمت بالليل ضيّعت حظي من الله - عز وجل - .

وعنه قال : أخبرنا سري السقطي قال : صلّيت ليلة ثم جلست ساعة ومددت رجْلي . فنوديت في سرّي: يا سريّ من جالس الملوك ينبغي أن يحسن الأدب .

وعن حسن البزار قال : كان أحمد بن حنبل هاهنا ، وكان بشر بن الحارث ههنا ، وكنا نرجو أن يحفظنا الله بهما . ثم ماتا وبقي سريّ فإني أرجو أن يحفظنا الله بسريّ .

وعن الجنيد قال : ما رأيت أعبد لله . من السريّ السقطي . أتت عليه ثمان وسبعون سنة ما رُئي مضطجعًا إلاّ في علّة الموت .

وعن القاسم بن عبد الله البزار قال : سمعت سريّ بن المغلس يقول : لو أن رجلاً دخل إلى بستان فيه من جميع ما خلق الله تعالى من الأشجار ، عليها من جميع ما خلق الله تعالي من الأطيار ، فخاطبه كل طائر منها بلُغته وقال : السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه إلى ذلك ، كانت في يدها أسيرةً .

وعن إبراهيم بن السرى السقطي قال : سمعت أبي يقول : عجبت لمن غدا وراح في طلب الأرباح وهو مثْلَ نفسه لا يربح أبدًا . وسمعت أبي يقول : لو أشفقت هذه النفوس على أديانها شفقتها على أولادها لاقت السرور في معادها .

وعن الجنيد بن محمد قال : سمعت سريًا يقول : لولا الجمعة والجماعة لسددتُ على نفسي الباب ولم أخرج .

وعن ابن مسروق قال : سمعت سريًا يقول لإخوانه : الدهر ثلاثة أيام ، يوم مضى بؤسُه وشدته وغمّه لم يبق منه شيء ، واليوم الذي أنت فيه صديق مودع لك طويل الغيبة عنك ، سريع الرحلة عنك ، وغدًا في يديك تأميله ولعلك من غير أهله .

وقال : أمسِ أجلٌ واليومَ عمل ، وغدًا أمل .

وقال الجنيد : كنت نائمًا عند سريّ رحمه الله فأنبهني فقال لي : يا جُنيد رأيت كأني قد وقفت بين يدي الله تعالى ، فقال لي : يا سريّ خلقت الخلق فكلهم ادعى محبتي ، وخلقت الدنيا فهرب مني تسعة أعشارهم وبقي معي العشر، وخلقت الجنة فهرب مني تسعة أعشار العُشر وبقي معي عُشر العُشر ، فسلطت عليهم ذرّة من البلاء فهرب مني تسعة أعشار عُشرِ العُشر ، فقلت للباقين معي ، لا الدنيا أردتم ولا الجنة أخذتم ، ولا من النار هربتم ، فماذا تريدون ؟ قالوا : إنك تعلم ما نريد . فقلت لهم : فإنّي مسلّط عليكم من البلاء بعدد أنفاسكم . ما لا تقوم له الجبال الرواسي ، أتصبرون ؟ قالوا : إذا كنت أنت المبتلى لنا فافعلْ ما شئت . فهؤلاء عبادي حقًا .

وعنه قال : كنت يومًا عند السرىّ بن مغلس وكنا خاليين وهو متزّر بمئزر فنظرت إلى جسده كأنه جسد سقيم دنف مُضني كأجهد ما يكون . فقال : أنظر إلى جسدي هذا لو شئت أن أقول إن ما بي من المحبة لله تعالى لكان كما أقول. وكان وجهه أصفر ثم أشرب حمرةَ حتى تورّد . ثم اعتلّ . فدخلت عليه أعوده فقلت له : كيف تجدك فقال :

كيف أشكو إلى طبيبى مــا بي ؟ والــذي بي أصــابني من طبيبي

فأخذت المرْوَحة أروحهْ فقال لي : كيف يجد روح المروحة من جوفهُ يحترق من داخل؟ ثم أنشأ يقول :

القــلــب محترقٌ والدمــعُ مستبقُ والكرب مجتمع ، والصبر مفترقُ
كـيف القرار على من لا قرار له مما جناه الهوى والشـوق والقلق ؟
يا رَبّ إن كان شيءُ فيه لي فرَج فامنُن عليّ به ما دام بي رمــــق

وعنه قال : دخلت على سري السقطي وهو في النزع ، فجلست عند رأسه فوضعت خدّي على خده فدمعتْ عيناي فوقع دمعي على خدّه ففتح عينيه فقال لي : من أنت ؟ قلت : أنا خادمك الجنيد . فقال : مرحبًا . فقلت له : أيها الشيخ أوصني بوصية أنتفع بها بعدك . قال : إياك ومصاحبة الأشرار ، وأن تنقطع عن الله بصحبة الأخيار .

وقد رواها جعفر الخلدي عن الجنيد أيضًا .

أسند سري عن هشيم وأبي بكر بن عياش ويزيد بن هارون وغيرهم . وصحب معروفًا الكرخي .

قال أبو عبيد علي بن الحسين بن حرب القاضي . توفّي سري بن المغلس يوم الثلاثاء لست خلوْن من رمضان سنة ثلاث وخمسين ومائتين .

وعن أبي الحسن بن مقسم المقرْي قال : مات سري سنة إحدى وخسمين ومائتين.

وقال المصنف رحمه الله : والأول أصحّ .

وعن أبي عبيد بن حربويه قال : حضرت جنازة سري السقطي فسررت فحدثنا رجل عن آخر أنه حضر جنازة سري السقطي فلما كان في بعض الليل رآه في النوم فقال له : ما فعل الله بك قال : غفر لي ولمن حضر جنازتي وصلى عليّ فقلت : فإني ممن حضر جنازتك وصلى عليك قال : فأخرج درجًا فنظر فيه فلم ير لي فيه اسمًا فقلت : بلى قد حضرت قال : فنظر فإذا اسمي في الحاشية – رحمه الله ورضي عنه .

٢٧٣ ـ على بن الموفق ، أبو الحسن العابد

عن محمد بن أحمد بن المهدي قال : سمعت علي بن الموفق ، ما لا أحصيه ، يقول: اللهم إن كنت تعلم أني أعبدك خوفًا من نارك فعذّبني بها ، وإن كنت تعلم أني أعبدك حبًا مني لجنتك وشوقًا مني إليها فاحرِمْنيها ، وإن كنت تعلم أني أعبدك حبًا مني لك وشوقًا مني إلى وجهك الكريم فأبِحْنيه واصنع بي ما شئت .

قال : وسمعته يقول : خرجت يومًا لأؤذن فأصبت قرطاسًا فأخذته ووضعته في كميّ وأقمت وصلّيت فلما صليت قرأته فإذا فيه مكتوب :

« بسم الله الرحمن الرحيم . يا عليّ يا ابن الموفّق ، تخاف الفقر وأنا ربّك ؟ » .

وعن عبد الله بن العباس الطيالسي قال : سمعت عليّ بن الموفق يقول : قام رجل من إخوانكم في ليلة باردة فلما تهيأ للصلاة إذا شُقاقٌ في يديه ورجليه فبكى، فهتف به هاتف من البيت أيقظناك وأنمناهم وتبكي علينا .

وعن عبد الرحمن بن عبد الباقي بطرسوس قال : سمعت بعض مشايخنا يقول : قال علي بن الموفق : لما تمّ لي ستون حجة خرجت من الطواف وجلست بحذاء الميزاب وجعلت أتفكر لا أدري أيّ شيء حالي عند الله ، وقد كثر ترددّي إلى هذا المكان . قال: فغلبتْني عيني ، فكأن قائلاً يقول : يا عليّ أتدعو إلى بيتك إلاّ من تحبه ؟ فانتبهت وقد سُريَ عني ما كنت فيه .

وعن محمد بن إسحاق السراج قال : سمعت علي بن الموفق يقول : حججت نيّفًا وخمسين حجّة فنظرت إلى أهل الموقف وضجيج أصواتهم فقلت : اللهم إن كان في هؤلاء أحد لم يُتقبّلْ حجُّه فقد وهبت حجّتي له . فرحت إلى مزدلفة فبت بها فرأيت ربّ العزة تعالى في المنام فقال لي : يا علي يا ابن الموفق تتسخّى عليّ ؟ قد غفرت لأهل الموقف ولأمثالهم وشفّعت كل واحد منهم في أهل بيته وعشيرته وذريته ، وأنا أهل التقوى وأهل المغفرة .

وعن أحمد بن عبد الله الحفار قال : رأيت أحمد بن حنبل في النوم فقلت : يا أبا عبد الله ما فعل الله بك ؟ قال : حباني وأعطاني وقرّبني وأدناني . قال : قلت : الشيخ الزّمن عليّ بن الموفق ما صنع الله به ؟ قال : الساعة تركتُه في زُلال يريد العرش .

قال المؤلف : أسند ابن الموفق عن منصور بن عمار وأحمد بن أبي الحواري .

وتوفي سنة خمس وستين ومائتين - رحمه الله .

٢٧٤ ـ أبو شعيب البراثى العابد(١)

قال الجنيد بن محمد : أبو شعيب البراثي أول من سكن براثًا في كوخ يتعبّد فمرّت بكوخه جارية من بنات الكبار أبناء الدنيا فتجردّت مما كانت فيه وتزوجت به . مكثا سنين كثيرة يتعبدان أحسن عبادة ، وتوفيّا على ذلك متعاونين - رحمهما الله .

٢٧٥ ـ أبو عبد الله بن أبي جعفر البراثى(٢)

عن أبي مريم قال : قلت لأبي عبد الله البراثي : كمْ تبكي ؟ كم هذا البكاء ؟ فأخرج إليّ يده وإذا على أصبعه شعرة ملفوفة . فنشرها ثم قال : إذا كان المجاز على مثل هذه فأيّ قدمٍ يثبت على مثل هذا ؟ ثم بكى .

وعن حكيم بن جعفر قال : سمعت أبا عبد الله البراثي يقول : لن يرد القيامة أرفع درجة من الراضين عن الله على كل حال ، ومن وهب له الرضا فقد بلغ أفضل الدرجات، ومن زهد على حقيقة كانت مُؤنته خفيفة ، ومن لم يعرف ثواب الأعمال ثقلت عليه في جميع الأحوال .

وعنه قال : سمعت أبا عبد الله البراثي يقول : كرمك أطمعنا سيّدي في عفوك، وجودُك أطمعنا في فضلك ، وذنوبنا قد تُؤيسنا من ذلك ، وتأبى قلوبنا لمعرفتها بك أن تقطع رجاءها بك منك ، فتفضل أيها الكريم وجُد بعفوك يا رحيم.

---

(١) انظر : الحلية (١٠/ ٣٢٣) .

(٢) المصدر السابق (١٠/ ١٣٧) .

وعنه قال : سمعت أبا عبد الله البراثي يقول : بالمعرفة هانت على العاملين العبادة وبالرضا عن الله - عز وجل -في تدبيره زهدوا في الدنيا ورضوا منها لأنفسهم بتقديره .

وعنه قال : سمعت أبا عبد الله البراثي يقول : من كرمت نفسه عليه رغب بها عن الدنيا . وعن البرجلاني قال : سمعت أبا عبد الله البراثي يقول : حملتنا المطامع على أسوأ الصنائع ، نذلّ لمن لا يقدر لنا على ضرر ولا على نفْع ، ونخضع لمن لا يملك لنا رزْقًا ولا حياة ولا موتًا ولا نشورًا ، فكيف أزعم أني أعرف ربي حقّ معرفته وأنا أصنع ذلك؟ هيهات هيهات !! .

٢٧٦ - أبو جعفر المحولى [1]

سكن باب المُحَوَّل من بغداد فنسب إليه .

عن إسماعيل بن إبراهيم الترجماني قال : سمعت أبا جعفر المحولي وكان عابدًا عالمًا يقول : حرامٌ على قلب محب الدنيا أن يسكنه الورع الخفيّ ، وحرام على نفسٍ عليها رياسة الناس أن تذوق حلاوة الآخرة ، وحرامٌ على كل عالم لم يعمل بعلمه أنْ يتخذه المتقون إمامًا .

وعن عبد الله بن أبي حبيب قال : سمعت أبا جعفر المحولي يقول : إليك أشكو بدنًا غُذيَ بنعمتك ، ثم توثّب على معاصيك .

وعن الصلت بن حكيم قال : قال أبو جعفر المحولي يومًا ، وذُكر عنده الفالوذج ، فقال : إن قلبًا يتفرغّ لصنعة الفالوذج حتى يأكله لقلبٌ فارغ جدًا ثم بكى .

وعنه قال : سمعت أبا جعفر المحولي يقول : إذا جاع العبد صفا بدنه ، ورق قلبه ، وهطلت دمعته ، وأسرعت إلى الطاعة أطواره وجوارحه ، وعاش في الدنيا كريمًا .

٢٧٧ - إبراهيم الآجرى الكبير

عن عبدون الزجاج قال : قال إبراهيم الآجرّيّ ، وكان من الفاضلين ، لأن تردَّ همك إلى الله - عز وجل - ساعةً خيْرٌ لك مما طلعت عليه الشمس .

٢٧٨ - أبو بكر محمد بن مسلم بن عبد الرحمن القنطري

عن ابن المنادي قال : أبو بكر محمد القنطري كان ينزل قنطرة البردان ، وكان يشبَّه في الزهد والورع والشغل عن الدنيا وأهلها ببشر بن الحارث وكان قُوته شيئًا يسيرًا إنما كان فيما أخبرت عنه يكتب « جامع » سفيان الثورى لقوم لا يشكّ في صلاحهم ببضعة

(١) المصدر السابق (١٠/ ١٤٤) .

عشر درهمًا ، فمنها قوته . وقالوا : كان له ابن أخت حدث فرآه يلعب بالطيور فدعا الله أن يميته فما أمسى يومه ذلك إلا ميتًا .

وعن أبي بكر أحمد بن محمد المروزي قال : دخلت على أبي بكر بن مسلم صاحب قنطرة البردان يوم عيد فوجدته عليه قميص مرقوع نظيف مُطْبِق وقدّامه قليلُ خُرنوب يقرضه . فقلت : يا أبا بكر اليوم عيد الفطر وتأكل خرنوبا ؟ فقال لي : لا تنظر إلى هذا ولكن أنظر إن سألتني عنه من أين هو ، أيْش أقول ؟ .

وقال الجنيد بن محمد : عبرت يومًا إلى أبي بكر بن مسلم في نصف النهار فقال : ما كان لك في هذا الوقت عمل يشغلك عن المجيء إليّ ؟ قلت : إذا كان مجيئي إليك عملاً فما أعمل .

وعنه قال : كان لي شيوخ كانت رؤيتهم لي قوتًا من الأسبوع إلى الأسبوع ، وإن أبا بكر ابن مسلم منهم .

وعن أبي بكر المروزى قال : سمعت أبا بكر بن مسلم يقول : الدنيا لأيّ شيء تُراد؟ إن كان إنما تراد للذة فلا كانت الدنيا ولا كان أهلها . إنما تراد الدنيا أن يُطاع الله فيها .

توفي أبو بكر بن مسلم يوم الثلاثاء لخمس بقين من ذي الحجة سنة ستين ومائتين .

٢٧٩ ـ أبو جعفر بن السماك العابد

عن سريّ السقطي قال : دخل عليَّ أبو جعفر بن السماك وكان شيخًا متعبدًا مترويًا فرأى عندي جماعة فوقف ولم يقعد . ثم نظر إليّ وقال : يا سريّ صرت مُناخ البطالين ورجع ولم يقعد وكره اجتماعهم حولي .

قال المؤلف : هكذا رُوِيَ لنا في نسبه أبو جعفر بن السماك . وقال أبو عبد الرحمن السلمي : هو أبو جعفر السماك ، بغدادي من مشايخ سريّ السقطي .

٢٨٠ ـ أيوب الحمال

يكنى أبا سليمان من العباد المجتهدين ، من ذوي الكرامات ، وهو من أقران بشر وسريّ وصحب سهل بن عبد الله .

عن محمد بن خالد قال : سمعت أيوب الحمال يقول : عقدت على نفسي ألاّ أمشي غافلا ولا أمشي إلا ذاكرًا فمشيت مشية فأخذتْني عرْجة فعلمت من أين أتيت ؟ فبكيت واستغثت وتُبت فزالت العلة والعرجة . فرجعت إلى الموضع الذي غفلت فيه ، فرجعت إلى الذكر فمشيت سليمًا .

وعن أحمد بن محمد بن وهب عن بعض أصحابه أنه حجّ مع أيوب الحمال . قال :

فلما أن ظعنّا في البادية وسرنا منازل ، إذا عُصفُور يحوم علينا وحولنا . فرفع أيوب رأسه فنظر إليه فقال له : قد جئت إلى ههنا ؟ وأخذ خبزًا ففتّه له في كفّه . فوقع العصفور على يده وجعل يأكل منها . ثم صبّ له ماء فشرب . ثم قال له : اذهب الآن. فطار العصفور . فلما كان من الغد رجع العصفور ففعل به أيوب مثل ما فعل في اليوم الأول ثم لم يزل يفعل به ذلك حتى انتهى إلى آخر السُفْرة .

٢٨١ ـ محمد بن محمد بن عيسى بن عبد الرحمن بن عبد الصمد

مولى سعيد بن العاص القُرشي يكنى أبا الحسن ويلقب بحبش . ويعرف بابن أبي الورد . عن علي بن عبد الحميد قال : سمعت محمد بن أبي الورد يقول : هلاك الناس في حَرْفَين : اشتغال بنافلة ، وتضييع فريضة ، وعملٍ بالجوارح بلا مواطأة القلب عليه ، وإنما مُنعوا الوصول بتضييع الأصول .

وعن أبي بكر الصوفي الأسكاف قال : سمعت أبا الحسن محمد بن محمد بن أبي الورد يقول : أشكر الخلْق لله - عز وجل - من لم ير أنه شكر الله - عز وجل - قطّ .

وعن جعفر بن محمد قال : سئل محمد بن أبي الورد عن قوله : ﴿ أفمنّ زُين له سوءُ عمله فرءاه حسنًا ﴾ [1] قال : من ظن في إساءته أنه محسن .

وقال : من آداب الفقير في فقره ترك الملامة ، والتعبير لمن ابتُلي بطلب الدنيا ، والرحمة والشفقة عليه ، والدعاء له ليريحه الله من تعبه فيها .

وعن عبد الرحمن بن أحمد قال : سمعت أبا الحسن محمد بن محمد بن أبي الورد يقول : إن لله - عز وجل - يومًا لا ينجو من شرّه منقادٌ لهواه ، وإنّ أبطأ الصّرعى نهضةً يوم القيامة صريعُ الشهوة ، وإن العقل معدن والفكر معْول ، فبقدر الطاقة والقوة يكون انتهاؤه ، وعلى العاقل مراعاة قلبه وحفظ ساعته لا غير.

وعن أبي الحسين بن المنادي قال : وأبو الحسن محمد بن محمد المعروف بحبش ابن أبي الورد ما زال مشهورًا بالورع والزهد والفضل والانكماش في العبادة حتى فارق الدنيا .

قال المؤلف : أسند محمد عن أبي النضر هاشم بن القاسم وبشر الحافي وصحب سريًا والمحاسبي .

وتوفي في رجب سنة ثلاث وستين ومائتين - رحمه الله .

٢٨٢ ـ أخوه أحمد بن محمد بن أبى الورد

وقيل يكنى أبا الحسن أيضًا .

---

(١) سورة فاطر آية : ٨ .

وعن جعفر بن محمد قال : قال أحمد بن أبي الورد : وليُّ الله إذا زاد جاهُهُ زاد تواضعه ، وإذا زاد ماله زاد سخاؤه ، وإذا زاد عمره زاد اجتهاده .

وقال : وصل القوم بخمس : بلزوم الباب ، وترك الخلاف ، والنفاذ في الخدمة ، والصبر على المصائب ، وصيانة الكرامات .

وعن أبي علي الروذباري قال : كان أحمد ومحمد ابنا محمد بن أبي الورد صحبا أبا عبد الله الساجي ، وكان أبو عبد الله يقول : من أراد أن يخدم الفقراء فليخدم خدمة ابنيْ الورد : صحباني عشرين سنة ما سألاني مسألة قطّ ، وما رأيت منهما منكرًا قطّ .

صحب أحمد بن أبي الورد بشْرًا الحافي والحارث المحاسبي وسريًا ومات قبل أخيه محمد .

٢٨٣ ـ الحسن الفلاس(١)

تأدب ببشر الحافي ، وعاصر سريًا السقطي ، وكان سري يُفخّم أمره .

عن وهب بن نعيم بن الهيصم قال : جاء حسن الفلاس إلي بشر بن الحارث مرة ومرتين وثلاثًا ، يتردد إليه في مسألة ليكون الحجة فيما بينه وبين الله تعالى . فتركه بشر وقام مرة ومرتين وثلاثًا .

فلما كان بعد ذلك تبعه إلى المقابر . فلما صار إلى المقابر وقف بشْر فقال له: يا حسن أيودّ هؤلاء أن يُردّوا فيُصلحوا ما أفسدوا ؟ إلا فاعلم يا حسن أنه من فرح قلبه بشيْء من الدنيا أخطأ الحكمةَ قلبُه . ومن جعل شهوات الدنيا تحت قدميه فرق الشيطان من ظلّه ، ومن غُلب هواه فهو الصابر الغالب ألا واعلم أن البلاء كله في هواك ، والشفاء كله في مخالفتك إياه . فإذا لقيته فقل : قال لي .

فرجع الحسن فعاهد الله ألا يأكل ما يُباع ولا ما يُشترى ، ولا يلبس ما يُباع ولا ما يشترى ، ولا يمسك بيده ذهبًا ولا فضة ولا يضحك أبدًا . وكان يأوي ستة أشهر في العباسية وستة أشهر حول دار البطيخ ويلبس ما في المزابل .

ولقبه رجل بالذندرن منصرفًا على هذه الصورة . فقال : يا حسن من ترك شيئًا لله عوّضه الله ما هو خير منه يعني فما عوّضك ؟ قال الحسن : الرضا بما ترى .

فلما رجع من غَزاته خرج به خُراجٌ وكانت فيه ميتتُه . فلما اشتد به الأمر قال لمولاة له: لا تسقِني ماء حتى أطلب منك . فلما قرب منه الأمر طلب منها الماء فشرب وقال : لقد أعطاني ما يتنافس فيه المتنافسون .

---

(١) انظر : الحلية (١/ ٢١٦) ، وسير الأعلام (١٢/ ٢١٢) .

وعن سري السقطي قال : تعجبني طريقة حسن الفلاس . وكان حسن الفلاس لا يأكل إلا القُمامة - رحمه الله .

٢٨٤ ـ محمد بن منصور الطوسي

يكنى أبا جعفر . أصله من طُوس. سكن بغداد ومات بها . أثنى عليه أحمد ابن حنبل.

وعن أحمد بن محمد بن الفضل المؤذن قال : سمعت محمد بن منصور الطوسي ، وحواليه قوم ، فقالوا له : يا أبا جعفر أيّ شيء عندك اليوم ؟ فقد شك الناس فيه يوم عرفة هو أو غيره . فقال : أصبروا . فدخل البيت . ثم خرج فقال : هو عندي يوم عرفة فاستحْيوْا أن يقولوا : من أين لك ذلك ؟ فعدّوا الأيام والليالي فكان اليوم الذي قال: فجاء إليه ابن سلام فقال : مِنْ أين علمت أنه يوم عرفة ؟ قال : دخلت البيت فسألت ربي تعالى فأراني الناس في الموقف .

وعن الحسن بن علوية قال : قال محمد بن منصور : ستٌّ خصالٍ يعرف بها الجاهل : الغضب في غير شيْء ، والكلام في غير نفع ، والعظة في غير موضعها ، وإفشاء السرّ، والثقة بكل أحدٍ ، ولا يعرف صديقه من عدوه .

أسند محمد بن منصور عن هاشم بن القاسم وغيره ، ومسانيده كثيرة .

وتوفي يوم الجمعة لست بقين من شوال سنة أربع وخمسين ومائتين - رحمه الله.

٢٨٥ ـ محمد السمين (١)

الخلدي قال : قال الجنيد : قال لي محمد السمين : كنت في وقت من الأوقات أعمل على الشوق وكنت أجد من ذلك شيئًا أنه به مشتغل . فخرجت إلى الغزو وهذه الحالة حالي ، وغزا الناس وغزوت معهم . فكثر العدوّ على المسلمين وتقاربوا والْتقوا ولزم المسلمين من ذلك خوفٌ لكثرة الروم .

قال أحمد : فرأيت نفسي في ذلك الموطن وقد لحقها رَوْعٌ . فاشتد ذلك عليّ وجعلت أوبّخ نفسي ، وألومها وأؤنبها وأقول لها : كذّابة تدّعين الشوق فلما جاء الموطن الذي يؤمل في مثله الخروج اضطربت وتغيرت ؟ فأنا أوبخها إذا وقع لي أنزل إلى النهر فأغتسل . فخلعت ثيابي واتزرت ودخلت النهر فاغتسلت وخرجت وقد اشتدّت لي عزيمة لا أدري ما هي ؟ فخرجت بقوة تلك العزيمة ولبست ثيابي وأخذت سلاحي ودنوت من الصفوف وحملت بقوة تلك العزيمة حملة وأنا لا أدري كيف أنا ؟ فخرقت صفوف المسلمين وصفوف الروم حتى صرتُ من ورائهم ثم كبرت تكبيرة فسمع الروم تكبيرًا فظنوا

---

(١) انظر : الحلية (١٠/ ٣٣٦) .

أن كمينًا قد خرج عليهم من ورائهم فولّوا وحمل عليهم المسلمون فقُتل من الروم بسبب تكبيرتي تلك نحو أربعة آلاف، وجعل الله - عز وجل - ذلك سببًا للفتح والنصر .

٢٨٦ ـ زهير بن محمد بن قمير[1]

ابن شعبة أبو محمد مروزي الأصل سكن بغداد .

عن أبي القاسم أحمد بن منيع قال : ما رأيت بعد أبي عبد الله أحمد بن حنبل أزهد من زهير بن قمير .

وعن محمد بن زهير بن قمير قال : كان أبي يجمعنا في وقت ختمه القرآن في شهر رمضان ، في كل يوم وليلة ثلاث مرات ، تسعين ختمة في شهر رمضان.

وعن عبد الله بن البغوي قال : سمعت زهيرًا يقول : أشتهي لحمًا من أربعين سنة ولا آكله حتى أدخل الروم فآكله من مغانم الروم .

أسند زهير بن محمد بن قمير عن الحسين بن محمد المروزي والحسن بن موسى الأشيب ويعلى بن عبيد والقعنبي وعبد الرزاق في آخرين .

وانتقل في آخر عمره إلى طرسوس فرابط بها إلى أن توفي بها في سنة سبع وخمسين. وقيل ثمان وخمسين ومائتين .

وذكر أبو الحسن المنادي أنه دفن في مقابر باب حرب ، والصحيح الأول .

٢٨٧ ـ إبراهيم بن هانىء[2]

أبو إسحاق النيسابورى رحل في طلب العلم إلى البلدان واستوطن بغداد واختفى عنده أحمد بن حنبل ، وكان يثني عليه ويقول لا أطيق ما يطيق إبراهيم من العبادة .

عن أبي بكر النيسابورى قال : حضرت إبراهيم بن هانئ عند وفاته فقال لابنه إسحاق: أنا عطشان . فجاءه بماء . فقال : غابت الشمس ؟ قال : لا . قال : فردّه ، ثم قال : ﴿**لمثْلِ هذا فلْيعملِ العاملون**﴾ [3] ثم خرجت رُوحه .

وعنه قال : حضرتُ إبراهيم بن هانئ النيسابوري يوم وفاته ، فدعا ابنه إسحاق فقال : هل غربت الشمس ؟ قال : لا . ثُمّ قال : يا أبة رُخص لك في الإفطار في الفرض وأنت متطوّع . قال : امهل. ثم قال : ﴿ **لمثْلِ هذا فلْيعملِ العاملون** ﴾ ثم خرجت نفسه.

وعن أبي بكر بن زنجويه قال : قال أحمد بن حنبل : إنْ كان ببغداد من الأبدال أحد فأبو إسحاق إبراهيم بن هانئ.

---

(١) سير الأعلام : (١٢/ ٣٦٠) .
(٢) المصدر السابق : (١٣/ ١٧) .
(٣) سورة الصافات آية : ٦١ .

أسند إبراهيم بن هانئ عن : يعلى ، ومحمد ابنْي عبيد ، وقبيصة ، وأبي اليمان في خلق كثير .

وتوفي يوم الأربعاء لأربع خلْون من ربيع الآخر سنة خمس وستين ومائتين - رحمه الله .

٢٨٨ ـ فتح بن شحرف بن داود بن مزاحم ، أبو نصر الكشي

قال البربهاري : سمعت ابن شحرف يقول : رأيت رب العزة جلّ وعزّ في النوم فقال: يا فتح احذر لا آخذُك على غرة . قال : فتهتُ في الجبال سبع سنين.

وعن رُويم بن أحمد قال : لقيني يومًا الفتح بن شحرف فقال : يا أبا محمد أنت أمين الله على نفسك لا ترى عليّ شيئًا محتاج إليه ولا عندي شيء تزحمك الحاجة إليه فتتخلّف عن أخذه .

وعن محمد بن المسيب قال : قال الإمام أحمد بن حنبل : ما أخرجت خراسان مثل فتح ابن شحرف .

وعن الحسين بن يحيى الأرموي قال : كتب فتح بن شحرف على باب بيته : رحم الله ميتًا دخل على هذا الميت فلم يذكر الموتى عنده إلا بخير .

وقال أحمد بن عبد الجبار : سمعت أبي يقول : صحبت فتح بن شحرف ثلاثين سنة فلم أره رفع رأسه إلى السماء . ثم رفع رأسه إلى السماء وفتح عينيه ونظر إلى السماء . ثم قال : قد طال شوقي إليك فعجّلْ قُدومي عليك .

وعن أبي الحسين الحمادى القاضي قال : سمعت الفتح بن شحرف يقول رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - صلوات الله عليه - في النوم . فقلت له : يا أمير المؤمنين أوصني : قال لي : ما أحسن تواضُع الأغنياء للفقراء وأحسنُ من ذلك تيهُ الفقراء على الأغنياء . قال : فقلت له : زدني . فأومأ إليّ بكفه فإذا فيه مكتوب :

قد كنت ميتًا فصرْت حيا   وعــن قــليل تصيرُ ميْتًا
أغنى بــدار الفناءِ بيــت   فابْــنِ بـدار البقــاء بيْـتًا

حدّث الفتح بن شحرف عن : رجاء بن مرجا ، وجعفر بن عبد الواحد ، ومحمد بن عبد الملك بن زنجويه وغيرهم .

وتوفيّ يوم الثلاثاء للنصف من شوال من سنة ثلاث وسبعين ومائتين . ودفن في المقبرة التي بين باب حرب وباب قُطربلٌ ، وصلى عليه بدر المغازلي .

قال أبو محمد الحريري غسلتُ الفتح بن شحرف فقلبتُه على يمينه فإذا على فخذه الأيمن

مكتوب : خلقه الله – كتابة بيّنة – قال جعفر : ورأيت الفتح بن شحرف هذا وكان رجلاً صالحًا زاهدًا لم يأكل الخبز ثلاثين سنة . وكان ذا أخلاق حسنة وكان يطعم الفقراء، ومن يزوره من الأصحاب ، الطعام الطيّب . وكان حسن العبادة والورع والزهد .

عن أبي محمد الحريري قال : غسلنا الفتح بن شحرف فرأينا على فخذه مكتوبًا « لا إله إلا الله » فتوهمناه مكتوبًا فإذا هو عرْق داخل الجلْد .

وعن إسحاق بن إبراهيم بن هانيء قال : لما مات فتح بن شحرف ببغداد صُلّي عليه ثلاثا وثلاثين مرة . أقلّ قومٍ كانوا يصلون عليه يعدّون خمسة وعشرين ألفًا إلى ثلاثين ألفًا – رحمه الله .

٢٨٩ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي[١]

ولد سنة ثمان وتسعين ومائة . وأصله من مرْو وكان إمامًا في جميع العلوم . وله التصانيف الحسان . وكان زاهدًا في الدنيا وكان يقول : صحبت قومًا من الكرخ في طلب الحديث فسمّوني الحربيّ لأن عندهم أن من جاوز قنطرة العتيقة من الحربية .

وعن أحمد بن عبد الله بن خالد قال : سمعت إبراهيم بن إسحاق الحربي يقول : أجمع عقلاء كل أمة أنه من لم يجْرِ مع القدر لم يتهنَّ بعيشه . كان يكون قميصى أنظف قميص وإزاري أوسخ إزار ، ما حدّثت نفسي أنهما يستويان قطّ وفردُ عقبي مقطوع والآخر صحيح أمشي بهما وأدور بغداد كلها هذا الجانب وذاك الجانب لا أحدث نفسي أن أصلحها وما شكوتُ إلى أمّي ولا إلى أختي ولا إلى امرأتي ولا إلى بناتي قطُّ حمّى وجدتها الرجلُ الذي يدخل غمّه على نفسه ولا يغم عياله . وكان برأسي شقيقة [٢] خمسًا وأربعين سنة ما أخبرت بها أحدًا قط ، ولي عشر سنين أبصر بفرد عين ما أخبرت به أحدًا . وأفنيت من عمري ثلاثين سنة برغيفيْن إن جاءتْني بهما أمي أو أختي أكلتُ وإلا بقيت جائعًا عطشان إلى الليلة الثانية . وأفنيت ثلاثين سنة من عمري برغيف في اليوم والليلة، إن جاءتني امرأتي أو إحدى بناتي به أكلته وإلا بقيت جائعًا عطشان إلى الليلة الأخرى . والآن آكل نصف رغيف وأربع عشرة تمرة إن كانت بَرْنيًا ، أو نيّفًا وعشرين إنْ كان دقلا ، ومرضت ابْنتي فمضت امرأتي فأقامت عندها شهرًا فقام إفطارى في هذا الشهر بدرهم ودانقيْن ونصف ، دخلت الحمّام واشتريت لهم صابونًا بدانقين فقام نفقة شهر رمضان كله بدرهم وأربعة دوانيق ونصف .

وعن القاسم بن بكير قال سمعت إبراهيم الحربي يقول : ما كنا نعرف من هذه

(١) انظر : سير الأعلام (١٣/ ٣٥٦) .

(٢) الشقيقة : الصداع النصفي .

الأطبخة شيئًا . كنت أجيء من عشاء إلى عشاء وقد هيأت لـــي أمي باذنجانة مشوية أو لعْقةَ بن أو باقة فجْلٍ .

وقال أبو بكر بن عليّ الخرّاط : كنت يومًا جالسًا مع إبراهيم بن إسحاق على باب داره فلما أن أصبحنا قال لي : يا أبا علي قم إلى شغلك فإن عندي فجلةً قد أكلت البارحة خضرتها أقوم أتغذّي بجزرتها .

وعن أبي عثمان الرازي قال : جاء رجل من أصحاب المعتضد إلى إبراهيم الحربي بعشرة آلاف درهم من عند المعتضد يسأله عن أمر أمير المؤمنين يفرق ذلك فردّه . فانصرف الرسول ثم عاد فقال : إن أمير المؤمنين يسألك أن تفرقه في جيرانك . فقال : عافاك الله هذا مالٌ لم نشغل أنفسنا بجمعه فلا نشغلُها بتفرقته، قل لأمير المؤمنين : إن تركْتنا وإلا تحولنا من جوارك .

وعن أبي القاسم الجبلى قال : اعتلَّ إبراهيم الحربي علّةً حتى أشرف على الموت فدخلتُ إليه يومًا فقال لي : يا أبا القاسم أنا في أمر عظيم مع ابنتي . ثم قال لها : قومي اخرجي إلى عمك فخرجت فألقت على وجهها خمارها . فقال لها إبراهيم : هذا عمك كلّميه . فقالت لي : يا عمِّ نحن في أمر عظيم لا في الدنيا ولا في الآخرة ، الشهر والدهر ، ما لنا طعام إلا كِسَر يابسة ومِلْح وربما عدمْنا الملْح وبالأمس قد وجّه إليه المعتضد مع بدْر بألف دينارٍ فلم يأخذْها ، ووجَّه إليه فلان وفلان فلم يأخذ منهما شيئًا وهو عليلٌ . فالتفت الحربي إليها وتبسم وقال : يا بنيَّةُ إنما خفت الفقر ؟ قالت نعم .

قال : انظري إلى تلك الزاوية فنظرتْ فإذا كُتب . فقال : هناك اثنا عشر ألف جزء لغة وغريبٍ كتبتهُ بخطي إذا متّ فوجهي كل يوم بجزء فبعيه بدرهم ، فمن كان عنده اثنا عشر ألف درهم فليس هو فقير .

وقال أحمد بن سليمان القطيعي : أضقت إضاقةً فمضيت إلى إبراهيم الحربي لأبثه ما أنا فيه . فقال لي : لا يضيق صدرك فإن الله من وراء المعونة . إني أضقت مرةً إلى أن انتهي أمري في الإضاقة [1] إلى أنْ عدم عيالي قوتهم ، فقالت لي الزوجة : هب أني وإياك نصبر ، فكيف نعمل بهاتين الصَّبيَّتين ؟ فهات شيئًا من كُتبك حتى نبيعه أو نرهنه، فضننت بذلك فقلت : اقترضي لهما شيئًا وأنظريني بقية اليوم والليلة وكان لـــي بيت في دهليز داري فيه كُتبي وكنت أجلس فيه للنسخ والنظر . فلما كان في تلك الليلة إذا داقّ يدقّ الباب فقلت : من هذا ؟ فقال : رجل من الجيران . فقلت : ادخل فقال :

---

(١) في الأصل : الإضافة بالفاء وهو تصحيف .

أطفيء السراج حتى أدخل فكببت على السراج شيئًا وقلت : ادخل . فدخل وترك إلى جانبي شيئًا وانصرف . فكشفت على السراج ونظرت فإذا منديل له قيمة وفيه أنواع من الطعام وكاغد فيه خمسمائة درهم . فدعوت الزوجة وقلت : أنبهي الصبيان حتى يأكلوا . ولما كان من الغد قَضَيْنا دَيْنًا كان علينا من تلك الدراهم وكان وقت مجيء الحاجّ من خراسان فجلست على بابي من غد تلك الليلة فإذا جمّال يقود جملين عليهما حمْلان ورقًا وهو يسأل عن منزل إبراهيم الحربي فانتهى إليَّ ، فقلت : أنا إبراهيم الحربي ، فحط الحمليْن وقال هذان الحملان أنفذهما لك رجل من أهل خراسان . فقلت : من هو ؟ فقال: قد استحلفني ألا أقول من هو؟ .

وعن ثعلب قال : ما فقدت إبراهيم الحربي من مجلس نحوٍ أو لغةٍ نحو خمسين سنة .

وعن محمد بن صالح الأنماطي قال : لا نعلم أن بغداد أخرجت مثل إبراهيم الحربي في الأدب والحديث والفقه والزهد .

وقال أبو الحسن العتكي : سمعت إبراهيم الحربي يقول لجماعة عنده : من تعدّون الغريب في زمانكم هذا ؟ فقال واحد منهم : الغريب من نأى عن وطنه . قال آخر : الغريب من فارق أحبابه ، وقال كل واحدٍ منهم شيئًا .

فقال إبراهيم : الغريب في زماننا رجلٌ صالح عاش بين قوم صالحين ، إنْ أمر المعروف آزروه ، وإن نهى عن المنكر أعانوه وإن احتاج إلى شيء من الدنيا مانُوه ، ثم ماتوا وتركوه .

وعن مقاتل بن محمد بن بنان العتكي قال : حضرت مع أبي وأخي عند ابن إسحاق، يعني إبراهيم الحربي ، فقال إبراهيم لأبي : هؤلاء أولادك ؟ قال : نعم . قال : احذر لا يرونْك حيث نهاك الله فتسقط من أعينهم .

وعن محمد بن خلف بن وكيع قال : كان لإبراهيم الحربي ابن ، وكان له إحدى عشرة سنة ، حفظ القرآن ، ولقنّه من الفقه شيئًا كثيرًا قال : فمات . فجئت أعزّيه . فقال : كنت أشتهي موت ابني هذا . قال : قلت يا أبا إسحاق أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا في صبي قد أنجب ولقنته الحديث والفقه ؟ قال : نعم رأيت في النوم كأن القيامة قد قامت وكأن الصبيان بأيديهم قلالٌ فيها ماء يستقبلون الناس يسقونهم ، وكان اليوم يومًا حارًا شديدًا حرُّه . قال : فقلت لأحدهم : اسقني من هذا الماء . قال : فنظر إليَّ وقال: ليس أنت أبي . فقلت : أى شيء أنتم ؟ قال : فقال : نحن الصبيان الذين متْنا في دار الدنيا وخلّفنا آباءنا . نستقبلهم فنسقيهم الماء . قال : فلهذا تمنيت موته .

وعن عيسى بن محمد الطوماري قال : دخلنا على إبراهيم الحربي وهو مريض، وقد

كان يُحمل ماؤه إلى الطبيب . فجاءت الجارية وردّت الماء وقالت : مات الطبيب فبكى وأنشأ يقول :

إذا مات المعالِج من سقامي   فيوشك للمعالَج أن يموتا

وعن علي بن الحسن البزار قال : سمعت إبراهيم بن إسحــاق الحـربى يقول ، وقد دخل عليه قوم يعودونه ، فقالوا : كيف تجدك يا أبا إسحاق ؟ قال : أجدني كما قال الشاعر :

دبّ فـيّ البلاءُ سفْلاً وعلوًا   وأراني أموت عُضْوًا فعضْوا

ذهبت جِدّتي بطاعة نفسي   وتذكرت طاعة الله نِضْــوًا

أسند إبراهيم الحربى عن أبى نُعيم الفضل بن دُكَيْن ، وعفان ، ومسدّد ، وأحمد بن حنبل ، وخلقٍ كثير لا يُحصَوْن .

وتوفي ببغداد سنة خمس وثمانين ومائتن . وقبره ظاهر يتبرّك الناس به - رحمه الله .

٢٩٠ ـ يحيى الجلاء

كان من خيار الناس . وصحب بشر بن الحارث .

قال محمد بن الحسين بن الحسن : سمعت أبا عبد الله بن الجلاء قال : قلت لذى النون لم سُمَيّ أبي الجلاءَ ؟ أكان يصنع صنعة ؟ قال : لا نحن سميناه الجلاء، كان إذا تكلَّم علينا جلا قلوبنا .

وعن أبي عبد الله أحـــمد بن يحيى الجلاء قال : مات أبي ، فلما وُضع في المغسل رأيناه يضحــك ، فالتبس على الناس أمره فجاؤوا بطبيب وغطَّوْا وجهه . فأخذ مجسّه فقال: هذا ميت . فكشفوا عن وجهه الثوب فرآه يضحــك فقال الطبيب : ما أدري أحيّ هو أم ميت ؟ .

فكان إذا جاء إنسان ليغسله لبسته منه هيبة لا يقدر على غسله حتى جاء رجل من إخوانه فغسله وكفَّنه ، وصلى عليه ، ودفن .

٢٩١ ـ أبو إبراهيم السائح

عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : كان في دهليزنا دكان ، وكان إذا جاء إنسان يريد أبى أن يخلو معه أجلسه على الدكان ، وإذا لم يرد أن يخلو معه أخذ بعضادتيْ الباب وكلّمه .

فلما كان ذات يوم جاءنا إنسان فقال لي : قل له : أبو إبراهيم السائح فجلسنا على الدكان فقال لي أبي : سلّم عليه فإنه من كبار المسلمين أو من خيار المسلمين فسلّمت عليه

فقال له أبي : حدثني يا أبا إبراهيم . فقال له أبو إبراهيم : خرجت إلى الموضع الفلاني بقرب الدير الفلاني فأصابتني علةٌ منعتْني من الحركة فقلت في نفسي : لو كنت بقرب الدير لعل من فيه من الرهبان يداويني فإذا أنا بسبع عظيم يقصد نحوي حتى جاءني فاحتملني على ظهره حملاً رفيقًا حتى ألقاني عند الدير . فنظر الرهبان إلى حالي مع السبع فأسلموا كلُّهم وهم أربعمائة راهب - رحمه الله .

٢٩٢ ـ إسماعيل بن يوسف أبو علي المعروف بالديلمي

جمع بين العلم والعبادة والحديث وجالس أحمد بن حنبل . وحدث عن مجاهد بن موسى .

عن أبي الحسين بن المنادي قال كان إسماعيل الديلمي من خيار الناس . وذُكر لي أنه كان يحفظ أربعين ألف حديث .

قالوا : وكـان يعبر إلى الجانب الشرقي قاصدًا محمد بن أشكاب الحافظ ، فيذاكره بالمسند .

وكان إسماعيل من أشهر الناس بالزهد والورع والتميز بالصَّوْن وأما مكسبه فكان من المشاهرة في الأرحاء .

وعن أبي علي الأبراري قال : قلت لإسماعيل الديلمي : تُشْهِر في هذه الأرحاء بثلاثة دراهم ؟ وأيّ شيء تكفي ثلاثة دراهم ؟ فقال : يا بني ما لم يتصل بنا عزُّ التوكل فلا ينبغي أن نستعجل الذل بالتشرّف .

وعن كردان قال : قال لي إسماعيل الديلمي اشتهيت حُلْوًا وبلغت شهوته إليَّ فخرجت من المسجد بالليل لأبول ، فإذا جَنَبَتَيْ الطريق أخاوين حلوًا فنوديت يا إسماعيل هذا الذي اشتهيت ، فإن تركته فهو خير لك . فتركتُه .

قال ابن مخلد : وقد كتبت أنا عن كردان كان يكون في قنطرة بني زريق وقد رأيت إسماعيل الديلمي وكان ما شئت من رجل ، رأيته عند أبي جعفر بن أشكاب .

قال المعافى : إسماعيل هذا من خيار الناس .

والناس يزورون قبره وراء قبر معروف الكَرْخي ، وبينهما قبور يسيرة . وقد زرنا مرارًا . وحدثني بعض شيوخنا عنه أنه كان حافظًا للحديث ، كثيرَ السماع ، وإنه كان يذاكر بسبعين ألف حديث .

٢٩٣ ـ زكريا بن يحيى بن عبد الملك أبو يحيى الناقد

كان من كبار الأخيار .

عن محمد بن جعفر بن سام قال : لو قيل لأبي يحيى الناقد غدًا تموت ما ازداد في عمله .

وقال أبو زرعة الطبري : قال أبو يحيى الناقد اشتريت من الله تعالى حوراء بأربعة آلاف ختمة . فلما كان آخر ختمة سمعت الخطاب من الحوراء تقول : وفيت بعهدك فها أنا الذي اشتريتني فيقال : إنه مات عن قريب .

أسند أبو يحيى الناقد عن : خالد بن خداش ، وفضيل بن عبد الوهاب ، وأحمد بن حنبل في آخرين .

وكان أحمد يقول فيه : هذا رجل صالح .

وتوفي ليلة الجمعة لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة خمس وثمانين ومائتين.

٢٩٤ ـ أبو بكر الرقاق واسمه : محمد بن عبد الله [(١)]

عن الحسن بن أحمد بن عبد العزيز قال : سمعت الرقاق يقول : لي تسعين سنة أرُبّ هذا الفقر من لم يصحبه في فقره الورع أكل الحرام النَّصَّ .

محمد السراج قال : قال جنيد : رأيت إبليس في منامي وكأنه عُرْيان فقلت له: ما تستحيي من الناس ؟ فقال : بالله هؤلاء عندك من الناس ؟ لو كانوا من الناس ما تلاعبتُ بهم كما يتلاعب الصبيان بالكرة ولكن الناس غيرُ الناس فقلت له : ومن هم ؟ قال : قوم في مسجد الشونيزي قد أضنْوا قلبي وأنحلوا جسمي كلما هممت بهم أشاروا إلى الله تعالى فأكاد أحترق .

قال جنيد : فانتبهت ولبست ثيابي وجئت إلى مسجد الشونيزي وعلى ليل . فلما دخلت المسجد إذا أنا بثلاثة أنفس جلوس ورؤوسهم في مرقّعاتهم فلما أحسوا بي قد دخلت أخرج أحدهم رأسه وقال : يا أبا القاسم أنت كلما قيل لك شيء تُقْبل .

قال ابن جهضم : ذكر لي أبو عبد الله بن جامار أن الثلاثة الذين كانوا في مسجد الشونيزي : أبو حمزة ، وأبو الحسين النوري ، وأبو بكر الرقاق .

٢٩٥ ـ أبو يعقوب الزيات

قال الجنيد بن محمد : دققت على أبي يعقوب الزيات بابه في جماعة من أصحابنا ، فقال : ما كان لكم شغل في الله يشغلكم عن المجيء إليّ ؟ قال الجنيدُ : فقلت له : إذا كان مجيئنا إليك من شُغلنا به لم ننقطع عنه ففتح الباب .

---

(١) انظر : الحلية (١٠/ ٣٤٤) .

وقال يومًا لبعض المريدين : أتحفظ القرآن ؟ فقال : لا ، فقال : واغوثاه ، بالله مريد لا يحفظ القرآن كأترنْجةٍ لا ريح لها فبم يتنعّم ؟ فبم يترنّم ؟ فبم يناجي ربه؟ رحمه الله.

٢٩٦ ـ الجنيد بن محمد بن الجنيد أبو القاسم الخزاز القواريري

كان أبوه يبيعُ الزجاجَ ، وكان هو خزّازًا ، وأصله من نهاوند إلا أن مولده ومنشؤه ببغداد .

عن جعفر الخلدي قال الجنيد ذات يوم : ما أخرج الله إلى الأرض علمًا وجعل للخلق إليه سبيلاً وقد جعل لي فيه حظا ونصيبًا .

قال الخلدي : وبلغني عن الجنيد أنه كان في سوقه ، وكان وِرْده في كلّ يوم ثلاثمائة ركعة ، وثلاثين ألف تسبيحة .

وعنه قال : كان الجنيد عشرين سنة لا يأكل إلا من الأسبوع إلى الأسبوع ، ويصلّي كل يوم أربعمائة ركعة .

وعنه قال : لم نر في شيوخنا من اجتمع له علم وحال غير أبي القاسم الجنيد ، ولا أكثرهم كان يكون له علم كثير ، ولا يكون له حال ، وآخر كان يكون له حال كثير وعلم يسير ، والجنيد كانت له حال خطيرة وعلم غزير ، فإذا رأيت حاله رجحته على علمه ، وإذا رأيت علمه رجحته على حاله .

وعن أبي محمد المرتعش قال : قال الجنيد : كنتُ بين يدي سري السقطي [١] ألْعب، وأنا ابن سبع سنين ، وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي : يا غلام ما الشكر؟ فقلت : ألا تعصي الله بنعمه . فقال لي : أخشى أن يكون حظك من الله لسانك ، قال الجنيد : فلا أزال أبكي على هذه الكلمة التي قالها السريّ لي .

وعن أبي الحسن المجلسي قال : قيل للجنيد : ممن استفدت هذا العلم ؟ قال : من جلوسي بين يدي الله تعالى ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة . وأومأ إلى درجة في داره .

قال السلمي : وسمعت جدي إسماعيل بن نجيد يقول : كان الجُنيد يجيء كل يوم إلى السوق فيفتح حانُوته فيدخله ويسبل الستر ويصلّي أربعمائة ركعة . ثم يرجع إلى بيته .

وعن أحمد بن عبد الحميد السامري قال : سمعت الجنيد بن محمد يقول : معاشر الفقراء إنما عرفتم بالله وتكرمون له ، فإذا خلوتم به فانظروا كيف تكونون معه ؟ .

وعن أبي الطيب بن الفرحان قال : سمعت الجنيد يقول : علامة إعراض الله عن العبد أن يشغله بما لا يعنيه .

---

(١) تقدمت ترجمته برقم (٢٧٢) .

وعن حامد بن إبراهيم قال : قال الجنيد بن محمد : **الطريق إلى الله مسدود على خلق الله - عز وجل - إلا على المقتفين آثار رسول الله ﷺ والتابعين لسنّته ، كما قال الله - عز وجل - ﴿ لقدْ كان لكُمْ في رسول الله أُحسوةٌ حسنةٌ ﴾** (١) .

وعن خير قال : كنت يومًا جالسًا في بيت فخطر لي خاطرٌ أن أبا القاسم جنيدًا بالباب أخرج إليه فنفيت ذلك عن قلبي ، وقلت : وسوسة . فوقع لي خاطرٌ ثان يقتضي مني الخروج : إن جُنيدًا على الباب فأخرج إليه . فنفيت ذلك عن سرّي فوقع ليَ خاطر ثالث فعلمت أنه حق وليس بوسوسة . ففتحت الباب فإذا أنا بالجنيد قائم ، فسلم عليَّ وقال : يا خير ألا خرجت مع الخاطر الأول ؟ .

وعن أبي محمد الحريري قال : سمعت الجنيد يقول : لقد مشى رجالٌ باليقين على الماء ، ومات بالعطش أفضل منهم يقينًا .

وعن أبي عمرو بن علوان قال : خرجت يومًا إلى سوق الرّحبة في حاجة فرأيت جنازة فتبعتها لأصلي عليها . ووقفت حتى يدفن الميت في جملة الناس فوقعت عيني على امرأة مسفرة من غير تعمّد ، فألححت بالنظر واسترجعت واستغفرت الله تعالى ، وعدت إلى منزلي فقالت لي عجوز : يا سيدي ما لي أرى وجهك أسود فأخذت المرآة فنظرت فإذا وجهي أسود . فرجعت إلى سرّي أنظر من أين دُهيت ؟ فذكرت النظرة ، فانفردت في موضع أستغفر الله وأسأله الإقالة أربعين يومًا فخطر في قلبي أن زُرْ شيخك الجنيد . فانحدرت إلى بغداد فلما جئت الحجرة التي هو فيها طرقت الباب فقال لي : أدخل يا أبا عمرو ، تذنب بالرحبة ونستغفر لك ببغداد .

وعن أبي بكر محمد بن أحمد قال سمعت الجنيد يقول : فتح كلَّ باب وكلَّ علم نفيس بذْلُ المجهود .

وعن أحمد بن عطاء قال : قال الجنيد : لولا أنه يروى أنه يكون في آخر الزمان زعيمُ القوم أرذلهم ما تكلّمت عليكم .

وعن أبي القاسم المطرز قال : سمعت الجنيد بن محمد يقول : أضرُّ ما على أهل الديانات الدعاوي .

وعن أبي بكر المفيد قال : سمعت الجنيد يقول : احذر أن تكون ثناءً منشورًا وعيبًا مستورًا .

وعن العباس بن عبد الله قال : سمعت الجنيد بن محمد يقول : المروءةُ احتمالُ زَلَلِ الإخوان .

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٢١ .

وعن أبي القاسم النقاش قال : سمعت الجنيد يقول : الإنسان لا يعاب بما في طبعه إنما يُعاب إذا فعل ما ينافي طبعه .

وسأله رجل : كيف الطريق إلى الله ؟ فقال : توبة تحلّ الإصرار ، وخوف يُزيلُ الغرّة ورجاء مُزعج إلى طريق الخيرات ، ومراقبة الله في خواطر القلوب .

وقال أبو الحسن : سمعت الجنيد يقول : ليس يتّسع عليّ ما يرد عليّ من العالم ، لأني قد أصلّت أصلاً وهو أن الدار دار غمّ وهمّ وبلاء وفتنة وأن العالم كله شر ، ومن حُكمه أن يتلقّاني بكل ما أكره فإن تلقاني بما أحبّ فهو فضل ، وإلا فالأصل الأول .

وعن جعفر بن القاسم ، قال سمعت الجنيد يقول : كان يعارضني في بعض أوقاتي أن أجعل نفسي كيوسف ، وأكون أنا كيعقوب فأحزن على ما فقدت من نفسي كما حزن يعقوب على فقد يوسف . فمكثت مدة أعمل على حسب ذلك .

وعن محمد بن نصير في كتابه قال : قال الجنيد : لو أقبل صادقٌ على الله ألف ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاته أكثر مما ناله .

وقال رجل للجنيد علام يتأسف المحب ؟ قال : على زمان بسْطٍ أورثَ قبضًا أو زمان أنسٍ أورثَ وحشةً . وأنشأ يقول :

قد كان لي مشْرب يصفو برؤيتكم فكدرته يد الأيام حين صَفَا

قال جعفر : وقال أبو العباس بن مسروق : مررت مع الجنيد في بعض دروب بغداد وإذا مغنّ يغني :

منازلٌ كـنت تهـواها وتألفهـا أيام أنت على الأيـام منصورُ

فبكى الجنيد بكاء شديدًا ثم قال : يا أبا العباس ما أطيب منازل الألفة والأنس، وأوحش مقامات المخالفات ، لا أزال أحنّ إلى بُدُوِّ إرادتي وجدة سعْيي .

إسماعيل بن نجيد يقول : ودخل أبو العباس بن عطاء على الجنيد وهو في النزع ، فسلم عليه ، فلم يردّ عليه . ثم رد عليه بعد ساعة وقال : اعذرْني فإني كنت في وِرْدي. ثم حوّل وجهه إلى القبلة وكبّر ومات - رحمه الله .

وقال أبو محمد الحريري كنت واقفًا على رأس الجنيد في وقت وفاته ، وكان يوم جمعة، وهو يقرأ القرآن فقلت : يا أبا القاسم أرفق بنفسك . فقال : يا أبا محمد ما رأيت أحدًا أحْوج إليه مني في هذا الوقت ، وهو ذا تُطوى صحيفتي .

وعنه قال : حضرت عند الجنيد قبل وفاته بساعتين ، فلم يزل باكيًا وساجدًا فقلت له: يا أبا القاسم قد بلغ بك ما أرى من الجهد . فقال : يا أبا محمد أحوج ما كنت إليه هذه الساعة . فلم يزل باكيًا وساجدًا حتى فارق الدنيا .

وعن فارس بن محمد قال : كان أبو القاسم الجنيد كثير الصلاة ثم رأيناه في وقت موته وهو يدرس ويقدّم إليه الوسادة فيسجد عليها . فقيل له : ألا روّحت عن نفسك ؟ فقال : طريق وصلتُ به إلى الله لا أقطعه .

وقال أبو بكر العطار : حضرت الجنيد عند الموت في جماعة من أصحابنا . قال : فكان قاعدًا يصلّي ويثْني رجله كلما أراد أن يسجد . فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجله فثقل عليه حركتها فمدَّ رجليه وقد تورّمتا ، فرآه بعض أصدقائه فقال : ما هذا يا أبا القاسم ؟ فقال : هذه نعَم ، الله أكبر ، فلما فرغ من صلاته قال له أبو محمد الحريرى : لو اضطجعت . قال : يا أبا محمد هذا وقْت يؤخذ منه ، الله أكبر . فلم يزل ذلك حاله حتى مات - رحمه الله .

أسند الجنيد الحديث عن : الحسن بن عرفة .

قال المصنف - رحمه الله : أخبرنا أبو منصور الصرار قال : أنبأ أحمد بن علي ابن ثابت ، قال أخبرنا أبو سعد الماليني ، قال أنبأ أبوالقاسم عمر بن محمد بن مقبل ، قال: أنبأ جعفر الخلدي ، قال : أنبأ الجنيد بن محمد ، قال : حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : أنبأ محمد بن كثير الكوفي عن عمرو بن قيس الملائي عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « اتّقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » [(١)] ، ثم قرأ: ﴿ إنّ في ذلك لآيات للمُتوَسِّمين ﴾ [(٢)] .

قال أبو بكر الخطيب : لا يعرف للجنيد غير هذا الحديث .

قال المصنف : قلت : وقد رويت له حديثًا آخر : أخبرنا محمد بن عبد الباقي قال : أنبأ رزق الله بن عبد الوهاب ، قال : أنبأ أبو عبد الرحمن السلمي قال : أنبأ أحمد بن عطاء الصوفي قال : أنبأ محمد بن علي بن الحسين قال : سئل الجنيد عن الفراسة ، قال: فقال : أنبأ الحسن بن عرفة قال : ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن زر ، عن عبد الله قال : كنت أرعى غنمًا لعُقبةَ بن أبي مُعَيْط ، وذكر الحديث ، وقال في آخره : قال لي النبي ﷺ : « إنك عَليم معلَّم » [(٣)] .

---

(١) رواه الترمذى فى « التفسير » برقم (٣١٢٧) وقال : حديث غريب ، إنما نعرفه من هذا الوجه، وقد روى عن بعض أهل العلم تفسير هذه الآية قال : للمتفرسين .

وأخرجه الطبرانى (٧/ ١٢١) ، دون ذكر الآية ، وأورده الحافظ فى الفتح ، كتاب التعبير (باب / ١٠) وسكت عنه ، وانظر : المجمع (١٠/ ٢٦٨) ، والفوائد المجموعة للشوكانى ، والسلسلة الضعيفة (١٨٢١) .

(٢) سورة الحجر آية : ٧٥ .

(٣) انظر : مسند أحمد (١/ ٤٦٢) ، ومصنف ابن أبى شيبة (٧/ ٥١ ، ١١/ ٥١٠) ، وطبقات ابن سعد (٣/ ١/ ١٠٦ - ١٠٧) ، ومجمع الزوائد (٩/ ٢٨٧) ، وموسوعة الصحابة برقم (١٨) .

قلت : وقد لقيَ الجنيد خلْقًا من العلماء ودرس الفقه على أبي ثور ، وكان يُفتي في حلقته بحضرته وهو ابن عشرين سنة . وصحب جماعة من العباد واشتهر بصحبة خاله سريّ ، والحارث المحاسبي .

وتوفي يوم السبت في شوال سنة ثمان وتسعين ومائتين ، وقيل سبع وتسعين . وغسله أبو محمد الحريري ، وصلى عليه ولده ، وحزروُا الجمع الذي صلَّى عليه فكانوا نحو ستين ألفًا .

وعن جعفر الخلدي ، في كتابه قال : رأيت الجنيد في النوم فقلت له : ما فعل الله بك؟ قال : طاحت تلك الإشارات ، وغابت تلك العبارات ، وفنيت تلك العلوم، ونفدت تلك الرسوم ، وما نفعنا إلا رُكَيْعات كنّا نركعها في السحر- رحمه الله .

٢٩٧ ـ الحسن بن علي ، أبو علي المسوحي[١]

قال أبو القاسم الجنيد كلّمت يومًا حسنًا المسوحي في شيء من الأنس ، فقال لي : ويحك ما الأنس ؟ لو مات من تحت السماء ما استوحشت .

وعن الجنيد ، وأبي العباس بن مسروق ، وأبي أحمد المغازلي ، وأبي محمد الحريري وغيرهم ، قالوا : سمعنا حسنًا المسوحي يقول : كنت آوي باب الكُناس كثيرًا وكنت أقرب من مسجد ثم أتفيّأ فيه من الحرّ وأستكنّ فيه من البرد ، فدخلت يومًا وقد كظّني الحر واشتدّ عليّ ، فحملتني عيني فنمتُ ، فرأيت كأن سقف المسجد قد انشقّ ، وكأن جارية قد نزلت عليّ من السقف ، عليها قميص فضة يتحشحش ، ولها ذؤابتان . فجلست عند رجْلي ، فقبضت رجلي عنها ، فمدّت يدها فنالتْ رجْلي . فقلت لها : يا جارية لمن أنت ؟ قالت : أنا لمن دام على ما أنت عليه .

أسند حسن المسوحي حديثًا عن بشْر الحافي ، وهو من كبار أصحاب سريّ السقطي .

٢٩٨ ـ أبو علي أحمد بن إبراهيم بن أيوب المسوحي

صحب سريًا السقطي وغيره ، وروى عن حسن المسوحي أيضًا .

وقال محمد بن الحسين السلمي : قال أخبرنا أحمد بن إبراهيم المسوحي، من جلة مشايخ بغداد وظرّافهم ومتوكّليهم .

وعن جعفر الخواص قال : كان أحمد بن إبراهيم المسوحي يحجّ بقميص ورداء ونعْل طاق ، ولا يحمل معه شيئاً : لا ركْوة ولا كوزًا إلا كوز بلّور فيه تفّاح شاميّ يشمّه من جوف بغداد إلى مكة ، وكانَ من أفاضل الناس .

---

(١) سير الأعلام (١٢/ ٥٨٠) .

٢٩٩ ـ سمنون بن حمزة [(١)]

يكنى أبا القاسم . أصله من البصرة ، ولكنه سكن ببغداد .

عن أبي أحمد المغازلي قال : كان وِرْد سمنون في كل يوم وليلة خمسمائة ركعة .

وقال أبو أحمد القلانسي : فرّق رجل ببغداد على الفقراء أربعين ألف درهم ، فقال لي سمنون : يا أبا أحمد ما ترى إلى ما أنفق هذا ؟ نحن ما نرجع إلى شيْء ننفقه فامض بنا إلى موضع نصلي فيه بكل درهم أنفقه ركعة . فذهبنا إلى المدائن فصلينا أربعين ألف ركعة وزرنا قبر سليمان ، وانصرفنا .

وعن خلف بن الحسن العبّاداني قال : سمعت سمنونًا يقول : أول وِصَال العبد للحق هجرانُه لنفسه ، وأول هجران العبد الحقَّ . مواصلته لنفسه .

وقال أبو الطيب العكّي ذُكر لي أن سمنونًا كان جالسًا على شط دجلة وبيده قضيب يضرب به فخذه حتى تبدّد لحمه ، وهو يقول :

كـان لـي قلْب أعيـش بـه ... ضـاع منّـي فـي تقلّبهِ
رَبِّ فـارْدده عـليّ فقـد ... ضاق صـدْري في تطلّبهِ
وأغثْ ما دام بـي رمـقٌ ... يا غـياثَ المستـغيث بـه

وعن محمد بن حمدان قال : رأيت سمنونًا وقد أدخل رأسه في زُرْمانِقَته [(٢)] ، ثم أخرج رأسه بعد ساعة وزفر وقال :

تـركت الفؤادَ عليلاً يُعادُ ... وشرّدتُ نوْمي فما لي رُقادُ

وعن أبي بكر الواسطي قال : قال سمنون : يا رب قد رضيت بكل ما تقضيه عليّ ، فاحتبس بوله أربعة عشر يومًا فكـان يتلوّى كما تتلوّى الحية على الرمل ، يتقلّب يمينًا وشمالاً . فلما أطلق بوله قال : يا رب تبت إليك .

وعن علي بن أحمد بن جعفر قال : أنشدني ابن فراس لسمنون :

وكـان فـؤادي خـاليًا قبل حُبّكم ... وكـان بذكْـر الخلق يلْهو ويمرحُ
فلمـا دعـا قلـبي هـواك أجـابه ... فلسـت أراه عـن فنـائك يبرَحُ
رُميتُ ببـيْنٍ مـنك إن كنـتُ كاذبًا ... وإن كنتُ في الدنيا بغيـرك أفرحُ
وإن كـان شيءٌ فـي البـلاد بأسْرها ... إذا غِبـتَ عن عيني ، لعيني يملُحْ
فإن شئت واصلْني وإن شئت لا تَصِلْ ... فلستُ أرى قلبي لغيرك يصـلُحُ

---

(١) الحلية (١٠/٣٠٩) .

(٢) جبة من الصوف .

وقال أبو الفضل بن عبد السميع الهاشمي : سمعت سمنونا يقول :

أمستـوحشٌ أنت ممـا جنـيْتَ فأحسـنْ إذا شئْتَ واسـتأنسِ

وقال :

أسـفًا عليك وحسـرةً وتلهّفًا ألاّ أكـون بحيث ما ترضانـي

قد صحب سمنون سريًا السقطي ، وأبا أحمد القلانسى ، ومحمد بن علي القصّاب ، في آخرين .

ولا نعلمه أسند حديثًا أصلاً . وكان قد وسوس . فانتخبنا ما ذكرنا من كلامه . وتوفي بعد الجُنيد .

٣٠٠ ـ إبراهيم بن سعد ، أبو إسحاق العلوى

من أهل بغداد ، ثم انتقل عنها إلى الشام فاستوطنها .

قال أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين قال : قال إبراهيم بن سعد العلوي أبو إسحاق: كان حسنيًا من أهل بغداد ، وكان يقال له الشريف الزاهد . وكان أستاذ أبي الحارث الأوْلاسي .

حكى عنه أبو الحارث قال : كنت معه في البحر فبسط كساءه على الماء وصلّى عليه .

وعن أبي الحسن الدربندي قال : رأيت إبراهيم بن سعد العلوى وكان عليه كساء ، فبسط كساءه على البحر ووقف وصلّى على الماء .

وقال أبو الحارث الأوْلاسى : خرجت من حصن أوْلاس أريد البحر فقال لي بعض إخواني : لا تخرج فإني قد هيأت لك عجّةً حتى تأكل . قال : فجلست وأكلت معه ونزلت إلى الساحل فإذا أنا بإبراهيم بن سعد العلوي قائمًا يصلّي ، فقلت في نفسي : ما أشك إلا أنه يريد أن يقول لى امش معى على الماء ولئن قال لى : لأمشينّ معه ، فما استحكم الخاطر حتى سلّم ثم قال . هيه يا أبا الحارث ، امش على الخاطر . فقلت : بسم الله فمشى هو على الماء وذهبت أمشي . فغاصت رجلي فالتفت إليّ وقال : يا أبا الحارث العجّة أخذت برجْلك .

وعنه قال : أقبلنا من جبل اللُّكام مع أبي إسحاق العلوي الزاهد ، وكان أبو إسحاق لا يأكل إلا في كل ثلاثة أيام سفّات خرنوب ، فلقينا امرأة وقد سخّر جنديّ حمارًا لها . فاستغاثت بنا فكلّمه العلوي فلم يردّ عليها فدعا عليه فخرّ الجندي والمرأة والحمار . ثم أفاقت المرأة ثم أفاق الحمار ومات الجندي . فقلت : لا أصحبك فإنك مستجاب الدعوة وأخشي أن يبدو مني سوء أدب فتدعو عليّ . فقال: لست تأمن ؟ قلت : لا . قال : فأقلل إذًا من الدنيا ما استطعت .

وعنه قال : خرجت سنة من السنين من مكة ، في وسط السنة ، أريد الشام فإذا في بعض الطريق ثلاثة نفر يتذاكرون ، فتقدّمت وسلّمت عليهم وقلت : أمشي معكم ؟ فقالوا : ما شئت . فمشيت معهم إلى أن تفرقوا وبقيت أنا وآخر ، فقال لى : أين تريد يا شاب ؟ فقلت : بلد الشام . فقال : وأنا أريد اللكام. وكان الرجل إبراهيم ابن سعد العلوي .

فمشينا أيامًا وافترقنا . وكانت تأتيني كُتبه فما شعرت ذات يوم وأنا بالأوْلاس وقد خرجت أريد البحر ، فإذا برجلٍ صاف قدميْه يصلّي على الماء . فاضطرب قلبي حين رأيته وغلبتني الهيبة له . فلما أحس بي أوجز في صلاته . ثم التفت إليّ فإذا هو إبراهيم بن سعد العلوي ، فقال لي : غيّب شخصك عني ثلاثة أيام ثم ائتني بعد ذلك.

قال : ففعلت ما قال ثم جئته بعد ثلاثة أيام فإذا هو قائم مكانه يصلّي . فلما أحس بي أوجز في صلاته ثم أخذ بيدي فوقفني على البحر وحرّك شفتيه ، فقلت في نفسي : إن مشى على الماء مشيت معه . فما لبث إلا يسيرًا فإذا الحيتان قد برزت مدّ البصر وقد أقبلت إلينا رافعةً رؤوسها من الماء ، فاتحةً أفواهها . فقلت في نفسي : أين ابن بشْر الصياد ؟ فلما ذكرته في نفسي تفرّقت فالتفت إليّ إبراهيم وقال : مر فلست مطلوبًا لهذا الأمر ولكن عليك بالوصال ، والتخلّي في الجبال ، ووارِ نفسك ما أمكنك ، حتى يشغلك بذكره عن ذكر من سواه ، وعليك بالتقللّ من الدنيا ما استطعت ، حتى يأتيك اليقين . ومضى .

وعنه قال : كان سبب رؤيتي إبراهيم بن سعد أني خرجت من أولاس إلى مكة في غير أيام الموسم . فرافقت ثلاثةً . فتفرق إثنان منهم وبقيت أنا والثالث. فقال لي : أين تريد ؟ فقلت : الشام . قال : وأنا أريد اللّكام فإذا هو إبراهيم ابن سعد العلوي ، وكان حسنيًا ثم تفرّقنا . وكانت تأتينى كُتبه . فخرجت يومًا من أولاس فإذا إبراهيم بن سعد العلوي ، فلما رآني قصّر في صلاته وسلّم عليّ وجاء إلى البحر ، فنظر إليه وحرّك شفتيه فإذا بحيتان كثيرة مصفوفة قد أقبلتْ فلما رأيتها قلت : أين الصيادون ؟ فنظرت فإذا السمك قد تفرّق . فقال لي إبراهيم : ما أنت بمطلوب في هذا الأمر ، ولكن عليك بهذه الرمال فتوارَ فيها ما أمكنك، وتقلّل من الدنيا حتى يأتيك أمر الله . ثم غاب عني فلم أره، وكانت كتبه ترد عليّ . فلما مات كنت قاعدًا يومًا فتحرّك قلبي للخروج فلما خرجت صرتُ إلى المسجد فإذا أنا بأسْود فقام إليّ فقال لي : أنت أبو الحارث ؟ قلت : نعم . قال: آجرك الله في أخيك إبراهيم بن سعد .

وكان هذا موليً له يسمى ناصحًا ، فذكر أن إبراهيم بن سعد أوصاه أن يؤدي هذه

الرسالة : يا أخي إذا نزل بك أمر من أمر الله فاستعمل الرضا ، فإن الله مطّلع عليك يعلم ما في ضميرك ، فإن رضيت فلك الثواب الجزيل . وأنت في رضاك وسخطك لست تقدر أن تزداد في الرزق المقسوم والأمر المكتوب . فإن لم تجد إلى الرضا سبيلاً فاستعمل الصبر فإنه رأس الإيمان ، فإن لم تجد فعليك بالتجمل ولا تشْكُ من ليس بأهل أن يُشكي وهو من أهل الشكر والثناء لقديم ما أولى ، فإذا اضطررت وقلّ صبرك فالجأ إليه بهمّك وأشكُ إليه بثّك واحذر أن تستبطئه وتُسيء به ظنًا فإن كلّ شيء بسبب ولكل سبب أجل، ولكل أجل كتاب ، ولكل هم من الله فرج ، ومن علم أنه بعين الله استْحيا أن يراه يرجو سواه ، ومن أيقن بنظر الله إليه أسقط اختيار نفسه ، ومن علم أن الله الضارُّ النافع أسقط مخاوف المخلوقين . فراقب الله في قُربه واطلبُ الأمور من معادنها ، واحذرْ أن تعتمد على مخلوق أو تفشي إليه سرًا أو تشكو إليه شيئًا فإن غنيهّم فقير، وفقيرهم ذليل في فقره ، وعالمهم جاهل في علْمه، وجاهلهم فاجرٌ في فعله ، إلا القليل ممن عصم الله . فاتقوا الفاجر من العلماء والجاهل من العباد فإنهم فتنة لكل مفْتون .

وقال عبد الله بن سهل : بات عندي أبو الحارث الأوْلاسي فسألته عن مفارقته إبراهيم ابن سعد العلوي فقال : كانت الدنيا طوْع يديه ، فلما انتهى إلى الساحل قال لي : ترجع ؟ قلت : بل أصحبك فتفل في البحر فإذا جوق من سمك مصفوف فوق الماء كأنه سرير ، فوثب إليه ثم قال لي : الله خليفتي عليك . قلت : ادعُ لي قال : قد فعلت . فاحفظ حدود الله وارحم خلْقه إلا من عاند .

٣٠١ ـ أبو إسحاق إبراهيم الآجري الصغير ، ولا يعرف اسم أبيه[١]

قال أبو العباس بن مسروق وأبو محمد الحريرى وأبو أحمد المغازلي وغيرهم، عن إبراهيم الآجري ، قالوا : جاء يهودي يقتضيه شيئًا من ثمن قصب فكلّمه فقال له : أرني شيئًا أعرف به شرف الإسلام وفضله على ديني حتى أسْلم فقال له : وتفعل ؟ قال: نعم. قال له : هات رداءك . قال : فأخذه فجعله في رداء نفسه ولف رداءه عليه ورمى به في النار ـ نار أتون الآجر ـ ودخل في أثره . فأخذ الرداء وخرج من الباب ففتح رداء نفسه وهو صحيح ، وأخرج رداء اليهودي حراقَ أسْود من جوف رداء نفسه ، فأسلم اليهودي - رحمه الله .

٣٠٢ ـ أبو نصر المحب جمع بين الزهد والمروءه[٢]

عن أبي العباس بن مسروق قال : اجتزت أنا وأبو نصر المحب في الكرخ وعلى أبي نصر إزارٌ له قيمة ، فإذا نحن بسائل يسأل وهو يقول : شفيعي إليكم محمد ﷺ . فشق

(١) انظر : الحلية (١٠/٢٢٣) . (٢) المصدر السابق (١٠/٣٤٧) .

أبو نصر إزاره فأعطاه النصف ، ومشى خطوتين وقال : هذه نذالة . فانصرف إليه فأعطاه النصف الآخر - رحمه الله .

٣٠٣ ـ أبو سعيد الخرّاز ، واسمه أحمد بن عيسى

قال الجنيد : لو طالبنا الله بحقيقة ما عليه أبو سعيد الخراز لهلكنا . قال علي : فقلت لإبراهيم : وأيّ شيء كان حاله ؟ قال أقام كذا وكذا سنةً يخرز ، ما فاته الحق بين الخرزتين .

وقال أبو جعفر الصيدلاني : سمعت أبا سعيد الخرّاز يقول : من ظن أنه ببذل الجهد يصل فمتمنّ ، ومن ظن أنه بغير بذل الجهد يصْل فمتعنّ .

أبو الفضل العباس ابن الشاعر ، يذكر عن تلميذة لأبي سعيد قالت : كنت أسأله مسألة والإزار بيني وبينه مشدود . فاستفزّني حلاوة كلامه فنظرت في ثقْب من الإزار فرأيت شفته . فلما وقعت عيني عليه سكت وقال : جرى ها هنا حدث ، فأخبريني ما هو ؟ فعرفته أني نظرت إليه ، فقال : أما علمت أن نظرك إليّ معصية وهذا العلم لا يحتمل التخليط ؟ .

وعن أبي القاسم بن مروان قال : كان عندنا بنهاوند فتى يصحبني وكنت أصحب أبا سعيد الخراز : فكنت إذا رجعت حدثت ذلك الفتى ما أسمع من أبي سعيد . فقال لي ذات يوم إن سهل الله لك الخروج خرجتُ معك حتى أرى هذا الشيخ .

فخرجت وخرج معي ووصلنا إلى مكة فقال لي : ليس نطوف حتى نلقي أبا سعيد . فقصدناه وسلمنا عليه فقال الشاب : مسألة ـ ولم يحدّثني أنه يريد أن يسأل عن شيْء ـ فقال له الشيخ : سل . فقال : ما حقيقة التوكل ؟ فقال له الشيخ : أن لا تأخذ الحجّة من حمولا وكان الشاب قد أخذ حجةً من حمولاً، وهو رئيس نهاوند وما علمت .

فورد على الشاب أمر عظيم وخجل . فلما رأي الشيخ ما حلّ به عطف عليه وقال : ارجع إلى سؤالك . ثم قال أبو سعيد : كنت أراعي شيئًا من هذا الأمر في حداثتي فسلكت بادية الموصل فبينا أنا سائر سمعت حسًّا من ورائي ، فحفظت قلبي عن الالتفات فإذا الحس قد دنا مني وإذا بسبعيْن قد صعدا على كتفي فلحسا خدي فلم أنظر إليهما حين صعدا ولا حين نزلا .

وعن علي بن حفص الرازي قال : سمعت أبا سعيد الخراز يقول : ذنوب المقرّبين حسنات الأبرار .

وعن أبي محمد الحريرى قال : سمعت أبا سعيد الخرّاز يقول في معنى قول النبي

ﷺ : « جبلت القلوبُ على حُبّ من أحسن إليها » : يا عجبًا لمن لم ير محسنًا غير الله، كيف لا يميل بكلّيته إليه ؟ .

وعـن العباس بن أحمد الرملي قال : قال أبو سعيد الخراز المعرفة تأتي القلوب من جهتين : من عيْن الجود ومن بذْل المجهود .

أحمد بن عبد الله قال : قال أبو سعيد الخراز إذا بكت عين الخائفين فقد كاتبوا الله بدموعهم .

وعن أحمد بن محمد الزيادي قال : سمعت أبا سعيد الخراز يقول : العافية سترت البرّ والفاجر ، فإذا جاءت البلوى يتبيّن عندها الرجال .

وقال أبو بكر الشقاق : سمعت أحمد بن عيسي الخراز يقول : كنت يومًا أمشي في الصحراء فإذا قريب من عشرة كلاب الرعاة شدّوا عليّ . فلما قربوا مني جعلت أستعمل المراقبة فإذا كلب أبيض قد خرج من بينهم وحمل على الكلاب فطردهم عني ولم يفارقني حتى تباعدتْ عني الكلاب ثم التفتّ أرَه .

قال أبو سعيد : وكان لي معلّم يختلف إليّ يعلمني الخـوف ثـم ينصرف . فقال لي يوماً: إني معلّمك خوفًا يجـمع لك كل شيء . قلـت : ما هو ؟ قال : مراقبة الله عزّ وجل .

أسند أبو سعيد عن عبد الله بن إبراهيم الغفاري وإبراهيم بن بشاري صاحب إبراهيم ابن أدهم .

وصحب بشر بن الحارث وسريًا وذا النون وأبا عبد الله الساجي وأبا عبيد السري ونظراءهم .

وتوفي في سنة سبع وسبعين وقيل ست وثمانين ومائتين .

٣٠٤ ـ أبو الحسين النوري

واسمه أحمد بن محمد بغدادي المولد والمنشأ خراسانيّ الأصل ، من قرية بين هراة ومرْو الروذ يقال لها بَغْشُور ولذلك كان يُعرف بابن البغوي .

قال أبو أحمد المغازلي : ما رأيت أحدًا قط أعبد من النّوري . فـقيل : ولا جـنيد ؟ قال: ولا جنيد . وكـان له قنّينة تسع خمسة أرطال ماءً يشربها في خمسة أيام ، وقت إفطاره .

قال عبد الكريم : ثم حدّثني أبو جـعفر الفرغاني قال : مكث أبو الحـسين النـوري عشرين سنة يأخذ من بيته رغيفين ويخرج ليمضي إلى السوق فيتصدّق بالرغيفين ويدخل

المسجد فلا يزال يركع حتى يجيء وقت سوقه . فإذا جاء الوقت مضى إلى السوق فيُظن أنه قد تغدى في بيته ، ومن في بيته عندهم أنه قد أخذ معه غداءه ، وهو صائم .

قال ابن جهضم : وحدثني عمر المجد قال : دخل أبو الحسين النورى إلى الماء ليغتسل، فجاء لصّ فأخذ ثيابه فخرج عن الماء فلم يجد ثيابه فرجع إلي الماء . فلم يكن إلا القليل حتى جاء اللص ومعه ثيابه فوضعها مكانه وقد جفّت يده اليمنى فخرج أبو الحسين من الماء ولبس ثيابه وقـال : سيدى ، قد ردّ عليّ ثيابي فرُدّ عليه يده . فردّ الله عليه يده ، ثم مضى .

وقال أبو عمر الأنماطى : اعتلّ النوري فبعث إليه الجنيد بصرّة فيها دراهم وعاده فردّها النوري . ثم اعتل الجنيد فدخل عليه النوري عائدًا فقعد عند رأسه ووضع يده على جبهته فعوفي من ساعته . فقال النوري للجنيد : إذا عدت إخوانك فارفُق بهم بمثل هذا البِرّ .

وعن الصاد قال : سمعت أبا الحسين النوري يقول : وقد سئل عن الرضا ، فقال : عن وجْدي تسألون أو عن وجْد الخلق ؟ فقيل له : عن وجْدك . فقال : لو كنت في الدّرْك الأسفل من النار لكنت أرضى ممن هو في الفردوس .

سند النوري عن سرى السقطي حديثًا واحدًا .

وتوفي قبل الجنيد في سنة خمس وتسعين ومائتين .

٣٠٥ ـ عمرو بن عثمان المكى ، يكنى أبا عبد الله . سكن بغداد (١)

عن أبي بكر القناديلى قال : قال عمرو بن عثمان المكيّ : المروءة التغافل عن زلل الأخوان .

وقال : العلم قائد ، والخوف سائق والنفس حرون بين ذلك ، خدّاعة روّاغة ، فاحذرها وراعها بسياسة العلم وسقها بتهديد الخوف يتم لك ما تريد .

وعن محمد بن علي بن الحسين قال : سمعت عمرو بن عثمان يقول : واغمّاه من عهد لم يقم له بوفاء ، ومن خلوة لم تُصحب بحياء، ومن أيام تفنى ويبقى ما كان فيها أبدًا.

وعن أبي بكر محمد بن أحمد القناديلي قال : قال عمرو بن عثمان المكي : لقد وبخّ الله التاركين للصبر على دينهم بما أخبرنا عن الكفار أنهم قالوا : ﴿ **امْشُوا واصْبِروا على آلهتكم** ﴾ (٢) فهذا توبيخ لمن ترك الصبر من المؤمنين على دينه .

وقال عثمان بن سهل : دخلت على عمرو بن عثمان المكيّ في علّته التي توفّي فيها فقلت له : كيف تجدك ؟ فقال : أجد سرّي واقفًا مثل الماء لا يختار النُقْلة ولا المقام .

---

(١) انظر : الحلية (١٠/٢٩١) ، وسير الأعلام (١٤/٥٧) .

(٢) سورة ص آية : ٦ .

سمع عمرو بن يونس بن عبد الأعلى ، والربيع بن سليمان بن سيف الحرّاني وغيرهم.

وكان يقول : ما صحبت أحدًا كان أنفع لي صحبتُه ورؤيته من أبي عبد الله الساجي.

وتوفي ببغداد سنة ست وتسعين ومائتين وقيل سبع وتسعين . قيل إحدى وتسعين . ويقال مات بمكة والأول أصحّ - رحمه الله .

٣٠٦ ـ رُوَيْمْ بن أحمد

ويقال ابن محمد بن رويم بن يزيد : أبو الحسن . ويقال : أبوالحسين ، من بني شيبان . وكان يتفقّه لداود الأصبهاني .

ابن الهيكل الهاشمي قال : سمعت رُوَيْمًا يقول : **الفقر له حرمة ، حرمته ستره وإخفاؤه والغيْرة عليه والضن به ، فمن كشفه وأظهره وبذله فليس هو من أهله ، ولا كرامة .**

وعن محمد بن إبراهيم قال : سمعت رويم بن أحمد يقول : **منذ عشرين سنة لا يخطر بقلبي ذكر الطعام حتى يحضر .**

وقال عبد الله بن محمد الدينورى : سمعت رويم بن أحمد يقول : **مكثت عشرين سنة لا يعرض فى سرّى ذكر الأكل حتى يحضر .**

وعن جعفر الخلدي في كتابه قال : سمعت رويم بن أحمد يقول : **الإخلاص ارتفاع رؤيتك عن فعلك ، والفتوة أن تعذُر إخوانك في زلَلهم ، ولا تعاملهم بما يُحْوِجك إلى الاعتذار إليهم . وسمعته يقول : الصبر ترك الشكوى ، والرضا استلْذاذ البلوى ، والتوكل إسقاط رؤية الوسائط .**

وقال أحمد بن فارس : قال رويم : **ليس إلاّ بذل الروح ، وإلاّ فلا تشتغل بتُرّهات الصّوفية .**

وعن الحسن بن هارون قال : سمعت رُويمًا الصوفي يقول : **إذا وهب الله لك مقالاً وفعالاً ، فأخذ منك المقال وترك عليك الفعال فلا تُبال ، فإنها نعمة . وإن أخذ منك الفعال وترك عليك المقال فَنُح على نفسك فإنها مصيبة . وإن أخذ منك المقال والفعال فاعلم أنها نقمة .**

أسند رويم عن . يزيد بن سنان البصري .

وتوفي ببغداد في سنة ثلاث وثلاثمائة - رحمه الله .

٣٠٧ ـ أبو عبد الله بن الجلاء[1]

واسمه أحمد بن يحيى . من أهل بغداد ، لكنه انتقل فسكن الشام .

قال أبو عـمر الدمشقي : سمعـت ابن الجلاّء يقول : قلت لأبي وأمي أحب أن تهباني لله . فقالا : قد وهبناك لله . فغبت عنهما مدة ثم رجعت من غيبتي ، وكانت ليلة مطيرة ، فدققت عليهما الباب ، فقالا: من ؟ قلت : ولدك . قال : كان لنا ولد فوهبناه لله ، ونحن من العرب لا نرجع فيما وهبناه . وما فتح لي الباب .

وعنه قال : سمعت أبا عبد الله بن الجلاء يقول : من بلغ بنفسه إلى رتبةٍ سقط عنها، ومن بُلغ به ثبت عليها .

وكان إذا سئل عن المحبة قال : ما لي وللمحبة ؟ أنا أريد أن أتعلم التوبة .

وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال : قال أبو عبد الله بن الجلاّء من علت همّته عن الأكوان وصل إلى مكوّنها ، ومن وقف بهمّته على شيء سوى الحقّ فاته الحق ، لأنه أعزّ من أن يرضى معه بشريك .

قال المصنف : لا نعلم أن ابن الجلاء أسند شيئًا وقد صحب أبا تراب النخشبي وذا النون وغيرهما .

وتوفى يوم السبت لاثنتي عشرة خلت من رجب سنة ست وثلاث مائة .

٣٠٨ ـ أبو العباس بن عطاء [2]

واسمه أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الآدميّ .

عن الحسن بن محمد بن عيسى بن خاقان قال : كان أبو العباس بن عطاء ينام من الليل والنهار ساعتين .

وعن أبـي الحسين بن حبيش – وذكر أبا العباس بن عطاء – فقال كان له في كلِ يوم ختمة ، وفي شهر رمضان في كل يوم وليلة ثلاث ختمات ، وبقي في ختمة يستنبط مُودَع القرآن بضع عشرة سنة فمات قبل أن يختمها .

وقال أبو جعفر محمد بن عبد الله الفرغاني : قال أبو العباس بن عطاء : يا أبا جعفر، لي من سنين كثيرة ، ذكرها ، كلّ يوم ختْمة لا تفوتني ، ولي في شهر رمضان كل يوم وليلة ثلاث ختمات ، ولي ختمة منذ أربـع عشـر سنة ما بلغت النصف منها ـ يريد الفهم منها ـ .

---

(١) انظر : الحلية (١٠/ ٣١٤) ، وسير الأعلام (١٤/ ٢٥١) .
(٢) انظر : الحلية (١٠/ ٣٠٢) ، وسير الأعلام (١٤/ ٢٥٥) .

وعن أبي العباس بن عطاء قال : من ألزم نفسه بآداب السنة عمر الله قلبه بنور المعرفة، ولا مقام أشرف من متابعة الحبيب في أوامره وأفعاله وأخلاقه والتأدب بآدابه .

وعن محمد بن علي بن حبيش قال : سئل أبو العباس بن عطاء وأنا حاضر عن أقرب شيء إلي مقْت الله تعالى . قال : رؤية النفس وأفعالها ، وأشد من ذلك مطالعة الأغراض عن أفعالها .

وسمعته يقول : علامات الولي أربعة : صيانة سره فيما بينه وبين الله ، وحفظ جوارحه فيما بينه وبين أمر الله ، واحتمال الأذي فيما بينه وبين خلْق الله ومداراته للخلق على تفاوت عقولهم .

أسند أبو العباس بن عطاء ، عن : يوسف بن موسى القطان ، والفضل بن زياد صاحب أحمد بن حنبل ومن في طبقتهما .

وتوفي في ذي القعدة سنة تسع وثلاث مائة . رحمه الله .

٣٠٩ ـ أبو الحسن على بن محمد بن الزاهد

عن أبي الحسن أحمد بن مقسم قال : سمعت أباالحسن بن بشار يقول ـ وكان إذا أراد أن يخبر عن نفسه بشيء قال : أعرف رجلاً كان حاله كذا وكذا ـ فقال ذات يوم : أعرف رجلاً يشتهي ، منذ ثلاثين سنة أن يشتهي ليترك ما يشتهي ، فما يجد شيئًا يُشتهى ! .

ودخل أبو محـمد ابن أخي معروف الكرخي إلى أبي الحسن بن بشار ، وعليه جبة صوف ، فقال له أبو الحسن : يا أبا محمد صوّفت قلبك أو جسمك صوّف قلبك والبس القُوهيّ على القُوهيّ [١] .

وقال رجل لأبي الحسن بن بشار : كيف الطريق إلى الله تعالى ؟ فقال له : كما عصيت الله تعالى سرًا تطيعه سرًا ، حتى يُدخلَ إلى قلبك لطائف البرّ .

وقال : منذ ثلاثين سنة ما تكلمتُ بكلمة أحتاج أن أعتذر منها .

وقال المصنف – رحمه الله – : كان ابن بشار يذكر الناس ، وكان يفتتح مجلسهُ فيقول: « وإنك لتعلُم ما نُريد » فسأله رجل : ما الذي تريد ؟ فقال : هو يعلم أنني ما أريد من الدنيا ولا الآخرة سواه .

وحدّث ابن بشار عن : صالح بن أحمد بن حنبل ، وأبي بكر المروزي وكانت له كرامات ظاهرة .

---

(١) القوهى : الثياب البيض .

توفي في ربيع الأول سنة ثلاث عشرة وثلاث مائة وقبره ظاهر بالجانب الغربي - رحمه الله .

٣١٠ - أبو محمد الحريرى ، واسمه أحمد بن محمد بن الحسين

عن عبد الله الرازي قال : سمعت الحريرى يقول : منذ عشرين سنة ما مددت رجْلي في الخلْوة ، فإن حُسن الأدب مع الله أولى .

وقال علي بن عبد الله : اعتكف أبو محمد الحريري بمكة في سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، فلم يأكل ، ولم ينم ، ولم يمد رجليه ، فقال له أبو بكر الكناني : يا أبا محمد بماذا قدرت على اعتكافك ؟ فقال : عَلِم صدقَ باطني فأعانني على ظاهري .

وقال أبو الحسن الفارسي . قال أبو محمد الحريرى : من توهم أن عملاً من أعماله يُوصله إلى مأموله الأعلى والأدنى فقد ضل عن طريقه ؛ لأن النبي ﷺ قال : « لن ينجي أحدكم عملُه » [1] ، فما لا يُنجي من المخوف كيف يبلغ إلى المأمول ؟ ومن صحّ اعتماده على فضل الله تعالى فذاك الذي يُرجي له الوصول .

وقال محمد بن داود الدينَوَريّ : سمعت أبا محمد الحريرى يقول : أمرنُا هذا كله مجموع على فصل واحد ، وهو أن تُلزم قلبك المراقبة ، ويكون العلْم على ظاهرك قائماً .

وعنه قال : سمعت أبا محمد الحريرى يقول ؛ وكان عنده جماعة ؛ فقال : هل فيكم من إذا أراد الله أن يُحدث في المملكة حدثًا أبدى علْمه إلى وليّه قبل إبدائه في كونه ؟ فقالوا لا .

قال : مرّوا وابكوا على قلوب لم تجد من الله شيئًا من هذا .

أخبرنا ابن ناصر بالإسناد عن أبي محمد الحريري قال : من استولت عليه النفس صار أسيرًا في حكم الشهوات ، محصورًا في سجن الهوى ، فحرّم الله على قلبه الفوائد فلا يستلذ بكلامه ولا يستحليه وإن كثر تردده على لسانه .

أسند الحريرى الحديث . وهو من كبار أصحاب الجنيد ، وصحب سهل بن عبد الله .

وتوفي - رحمه الله - في سنة إحدى عشرة وثلاث مائة - رحمه الله .

٣١١ - بنان بن محمد بن حمدان الحمال[2]

يكنى أبا الحسن أصله من واسط . لكنه ببغداد نشأ وأقام وسمع الحديث إلا أنه انتقل إلى مصر فمات بها .

وقال بنان الحمّال : البريء جريء ، والخائن خائف ، ومن أساء استوحش .

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٢٣٥) .

(٢) الحلية (١٠/ ٣٠٤) ، وسير الأعلام (١٤/ ٤٨٨) .

وعن أبي علي الرُوذباري قال : سمعت بنان الحمّال يقول : دخلتُ البرية على طريق تبوك وحدي فاستوحشت فإذا هاتف يهتف : يا بنان نقضت العهد ، لِمَ تستوحش ؟ أليس حبيبك معك ؟ .

وقال أبو علي الرُّوذَباري : كان سبب دخولي مصر حكاية بنان ، وذلك أنه أمر ابن طولون بالمعروف ، فأمر أن يُلقى بين يديْ السبع . فجعل السبع يشمّه ولا يضره . فلما أُخرج من بين يدي السبع قيل له : ما الذي كان في قلبك حين شمك السبع ؟ قال : كنت أتفكر في سُؤر السباع ولُعابها .

وعن عمرو بن محمد بن عراك أن رجلاً كان له على رجل مائة دينار بوثيقة إلى أجل. فلما جاء الأجل طلب الوثيقة فلم يجدها . فجاء إلى بنان فسأله الدعاء. فقال له : أنا رجل قد كبرت وأنا أحب الحلواء اذهب فاشتر لي رطْل معقودٍ وجئني به حتى أدعو لك. فذهب فاشترى له ما قال ، ثم جاء به فقال بنان : افتح القرطاس ففتح الرجل القرطاس فإذا هو بالوثيقة . فقال لبنان : هذه وثيقتي. فقال : خذ وثقيتك وخذ المعقود أطعمه صبيانك . فأخذ ومضى .

وعن الحسين بن عبد الله القُرشي قال : سمعت بنان يقول : من كان يسرهّ ما يضرّه متى يفلح ؟ .

سمع بنان من الحسن بن عرفة وحميد بن الربيع والحسن بن محمد الزعفراني وبكار ابن قتيبة وغيرهم . وأسند الحديث .

وتوفي في رمضان سنة ست عشرة وثلاث مائة بمصر .

٣١٢ ـ أبو علي الحسين بن صالح بن خيران ، الفقيه الشافعي[1]

جمع بين الفقه والورع ، وأريد على القضاء فأبى .

قال أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عُبيد العسكري : أريد أبو علي بن خيران للقضاء فامتنع فوكل عليُّ بنُ عيسى الوزير ببابه . فشاهدت الموكَّلين ببابه وختم الباب بضعة عشر يومًا . فقال لي أبي : يا بني انظر حتى تحدّث بهذا إن عشت ، إنّ إنسانًا فُعل هذا به لِيَلى فامتنع . وكُلّم الوزير فأعفاه .

وعن أبي عبد الله الحسين بن محمد الفقيه الكشفلي أن علي بن عيسي وزير المقتدر بالله أمر نازوك صاحب البلد يطلب الشيخ أبا علي بن خيران الفقيه الشافعي حتى يعرض عليه قضاء القُضاة . فاستتر فوكَّل بباب داره رجاله بضعة عشر يومًا حتى احتاج إلى الماء فلم

(١) المصدر السابق (١٥/٥٨) .

يقدر عليه إلا من عند الجيران . فبلغ الوزير ذلك فأمر بإزالة التوكّل عنه ، وقال في مجلسه ، والناس حضور : ما أردنا بالشيخ أبي علي بن خيران إلا خيرًا ، أردنا أن يعلم أن في مملكتنا رجلاً نعرض عليه قضاء القُضاة شرقًا وغربًا وهو لا يقبل .

توفي أبو علي بن خيران في حدود العشرين وثلاث مائة .

٣١٣ ـ خير بن عبد الله أبو الحسين النَّسّاج(١)

أصله من سُرّ من رأى ، لكنه نزل بغداد .

وحكى السلمي عن فارس البغدادى قال : كان اسم خير محمد بن إبراهيم السامري .

قال السلمي : وتاب في مجلسه : إبراهيم الخوّاص والشبلي .

عن جعفر الخلدي ، قال : سألت خيرًا النساج : أكان النسج حرفتك ؟ قال : لا قلت: فمن أين سُميت به ؟ قال : كنت عاهدت الله ألا آكل الرطب يومًا . فغلبتْني نفسي يومًا فأخذت نصف رطل ، فلما أكلت واحدة إذا رجل قد نظر إلي وقال : يا خيرُ ، يا آبقُ ، هربت منّي ؟ وكان له غلام اسمه خير قد هرب منه فوقع عليّ شبهه . فاجتمع الناس فقالوا : هذا والله غلامك خير . فبقيت متحيّرًا وعلمت بم أخذت ؟ وعرفت جنايتي . فحملني إلى حانوته الذي كان ينسج فيه غلمانه فقالوا : يا عبد السوء تهرب من مولاك؟ أدخل فاعمل عملك الذي كنت تعمل . فأمرني بنسج الكرباس (٢) . فدلّيت رجلي على أن أعمل ، فكأني كنت أعمل من سنين . فبقيت معه أربعة أشهر أنسج له . فقمت ليلة فتمسّحت وقمت إلى صلاة الغداة فسجدت وقلت في سجودي : إلهي لا أعود إلى ما فعلتُ . فأصبحت فإذا الشَّبه قد ذهب عنّي وعدت إلى صورتي التى كنت عليها فأطلقت . فثبت عليّ هذا الاسم فكان سبب النسج إتياني شهوةً عاهدت الله تعالى ألاّ آكلها ، فعاقبني الله بما سمعت .

وكان يقول : لا نسب أشرف من نسب من خلقه الله بيده فلم يعصمه ، ولا علْم أرفع من علْم من علَّمة الله الأسماء كلها فلم ينفعه في وقت جريان القضاء عليه .

قال الخطيب : هذه الحكاية طريفة جدًا يسبق إلى القلب استحالتها . وقد كان الخلدي كتب إلى شيخنا أبي نُعيم يجيز له رواية جمع علومه عنه ، وكتب أبو نعيم هذه الحكاية عن أبي الحسن بن مقسم عن الخلدي ، ورواها لنا عن الخلدي نفسه إجازةً ، والخلدي ثقة، وكان ابن مقسم غير ثقة . والله أعلم .

---

(١) المصدر السابق (٢٦٩/١٥) ، والحلية (٣٠٧/١٠) .

(٢) الكرباس : ثوب من القطن ، وقيل : الثوب الخشن .

وعن عيسى بن محمد قال سمعت أبا الحسن خيرًا النساج يقول : تقدم إليّ شاب من البغداديين وقد انطبقت يده فقلت له : ما لك ؟ فقال : جلست إليك فحللتُ عقدةً من طرف إزارك فجفت يدي فقلت : كنتُ قد بِعتُ به لأهلي غزلاً. ثم مسحت يده بيدي فردّ الله عليه يده وناولتَهُ الدرهم وقلت : اشتر به شيئًا ولا تَعُد .

قال أبو بكر الرازى : قال خير النسّاج : الخوف سوط الله يقوّم به أنفسنا ، وقد تعودتْ سوء الأدب ، ومتى أساءت الجوارح الأدب فهو من غفلة القلب وظلمة السرّ .

وقال : العمل الذي يبلّغ إلى الغايات هو رؤية التقصير والعجز والضعف .

علي بن هارون الحربي يحكي عن غير واحد ممن حضر موت خيرٍ من أصحابه أنه غُشي عليه عند صلاة المغرب ، ثم أفاق ونظر إلى ناحية من باب البيت فقال : قف عافاك الله فإنما أنت عبد مأمور وأنا عبد مأمور ما أُمرت به لا يفوتك ، وما أُمرتُ به يفوتني ، فدعني أمضي لما أمرت به . ودعا بماء فتوضأ للصلاة وصلّى ثم تمدد وغمّض عينيه وتشهّد فمات . فرآه بعض أصحابه في المنام فقال له : ما فعل الله بك ؟ قال : لا تسألني عن هذا ولكن استرحت من دنياكم الوضرة .

قال المؤلف : صحب خير النساج أبا حمزة البغدادى وسريًّا السقطي وكان يذكر أن إبراهيم الخوّاص صحبه .

وبلغ مائة وعشرين سنة وتوفي سنة اثنتين وعشرين وثلاث مائة .

٣١٤ ـ أبو على الروذباري(١)

واسمه أحمد بن القاسم . هكذا ذكر السلمي ، وصححه . وقال أبو بكر الخطيب : اسمه محمد بن أحمد وصحح ذلك .

أصله من بغداد لكنه سكن مصر وتقدّم بها وكانت له معرفة بالحديث . كان يقول : أستاذي في الحديث إبراهيم الحربي ، وفي الفقه أبو العباس بن سريج وفي النحو ثعلب، وفي التصوف الجنيد .

قال محمد بن علي بن المأمون : سمعت أبا علي الروذباري يقول : من الاغترار أن تُسيء فيُحسن إليك فتترك الإنابة والتوبة توهّمًا أنك تسامح في الهفوات وترى أن ذلك من بسْط الحق لك .

وعن أبي منصور بن أحمد الأصبهاني قال : بلغني عن أبي عليّ الرُوذباري أنه قال : أنفقت على الفقراء كذا وكذا ألفًا فما وضعتُ شيئًا في يد فقير . كنت أضع ما أدفع إلى

(١) الحلية (١٠/٣٥٦) ، وسير الأعلام (١٤/٥٣٥) .

الفقراء في يدي فيأخذونه من يدي حتى تكون يدي تحت أيديهم ولا تكون يدي فوق يد فقير .

صحب أبو علي الجنيد والنّوري وابن الجلاّء والمسوحي وغيرهم وأسند الحديث .

وتوفي بمصر سنة اثنتين وعشرين وثلاث مائة . وقيل ثلاث وعشرين - رحمه الله .

٣١٥ ـ أبو بكر محمد بن على بن جعفر الكنانى(١)

أصله بغدادي ، لكنه أقام بمكة ومات بها وكان المرتعش يقول : الكناني سراج الحرم .

وقال محمد بن عبد الله بن شاذان . كان يقال : إن الكناني ختم في الطواف اثنتي عشرة ألف ختمة .

وقال أبو جعفر الأصفهاني : صحبت الكناني سنين فكان يزداد على الأيام ارتفاعًا وفي نفسه اتضاعًا . وسمعته يقول : روْعة عبدٍ عند انتباهٍ من غفلة ، وارتعادٌ من خوف خطيئةٍ أعْوَد على المريد من عبادة الثقلْين .

وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال : قال الكناني : إن الله تعالى نظر إلى عبيدٍ من عبيده فلم يرهم أهلاً لمعرفته ، فشغلهم بخدمته .

صحب الكناني : الجنيد والخرّاز والنوري ، ولا نحفظ له مسندًا .

وتوفي بمكة سنة ثمان وعشرين وثلاث مائة . وقيل اثنتين وعشرين - رحمه الله .

٣١٦ ـ أبو بكر الشبلى(٢)

واختلفوا في اسمه فقيل : دلف بن جعفر . وقيل : دلف بن جحدر . وقيل: جحدر ابن دلف . وقيل : دلف بن جعبرة وقيل : دلف بن جبعويه وقيل : اسمه جعفر بن يونس . أصله خراساني من أهل سروسة من قرية يقال لها شبلية . ومولده بُسرّ من رأى. وكان حاجب الموفق . وكان أبوه حاجب الحجاب . فحضر الشبلي يومًا مجلس خيرِ النساج فتاب فيه . وكان يقول : خلّف أبي ستّين ألف دينار سوى الضياع فأنفقت الكل وقعدت مع الفقراء .

قال الحسين بن أحمد الصفار : سئل الشبلى وأنا حاضر : أىّ شيء أعجب ؟ قال : قلْبٌ عرف ربه ثم عصاه .

وعن أبي الحسن علي بن المثني التميمي قال : دخلت على أبي بكر الشبلي داره وهو يهيج ويقول :

---

(١) انظر المصدر السابق (١٤/٥٣٣) ، والحلية (١٠/٣٥٧) .

(٢) المصدر السابق (١٠/٣٦٦) .

علـــى بُعدك لا يصبر   من عــادتُه القـــــربُ
ولا يقوى علـى هجر   ك مــن تيّمــــه الحب
فـإن لم تَــرك العـين   فقد أبصـــرك القلـــب

وقال أحمد بن محمد الآملي سمعت الشبلي يقول : مجاهدة النفس بالنفس أفضل من مجاهدة الغير بالنفس .

وقال الحسين بن أحمد الصفار : كنت يومًا عند الشبلي ، وكان يذم الدنيا وأهلها ، فقال : يا من باع كلّ شيء ، واشترى لا شيء بكل شيء . وسمعته يقول : ليس من استأنس بالذّكْر كمن استأنس بالمذكور .

وسئل : ما الزهد ؟ فقال : نسيان الزهد . ودخل بعض أصحابنا يوما على الشبلى وهو يقول : أفـلا شجًا بحنين ؟ أفلا رنّة بأنين من قلبٍ قريح حزين ؟ أفلا شارب بكأس العارفين ؟ أفلا مستيقظ عن رقدة الغافلين ؟ يا مسكين ستقدَم فتعلَم وينكشف الغطاء فتندم. وقال الشبلى : العارف سيّار إلى الله عز وجل تعالى غير واقف .

وسئل وأنا حاضر : أيّ شيء أعجب ؟ قال : قلبٌ عرف ربه ثم عصاه .

وكان الشبلي ينوح يومًا ويقول : مكَر بك في إحسانه فتناسيت وأمهلك في غيّك فتماديت ، وأسقطك من عينه فما دريت ولا باليت .

وقال : ليت شعري ما اسمى عندك غدًا يا علاّم الغيوب ؟ وما أنت صانعٌ في ذنوبي يا غفّار الذنوب ؟ وبم تختم عملي يا مقلّب القلوب ؟ .

قال : وكان الشبلي يقول في جوف الليل قُرّةَ عيني وسرور قلبي ، ما الذي أسقطني من عينك ؟ ثم يصرخ ويبكي .

قال : وقال الشبلي : لا تأمين على نفسك وإن مشيت على الماء حتى تخرج من دار الغِرّة إلى دار الأمل .

وقال الشبلي : إذا وجدت قلبك مع الله فاحذر من نفسك ، وإذا وجدت قلبك مع نفسك فاحذر من الله .

وقال أحمد الحلقاني : سمعت الشبلي يقول : من عرف الله عز وجل لا يكون له غمّ وسمعته يقول : أحبّك الخلْق لنعمائك وأنا أحبّك لبلائك .

وعن أبي حاتم الطبري قال : سمعت أبا بكر الشبلي يقول : إن أردت أن تنظر إلى الدنيا بحذافيرها فانظر إلى مزبلة فهي الدنيا وإذا أردت أن تنظر إلى نفسك فخـذ كفًا من تراب ، فإنـك منه خلقت وفيه تعود ومنه تخرج . وإذا أردت أن تنظر ما أنـت ؟ فانظر

ماذا يخرج منك في دخولك الخلاء ؟ فمن كان حاله كذلك فلا يجوز أن يتطاول أو يتكبر على من هو مثله .

وعن الحسين بن أحمد الهروي قال : سمعت أبا بكر الشبلي يقول : ليس للأعمى من رؤية الجوهرة إلا مسُّها ، وليس للجاهل من الله إلا ذكره باللسان .

وسأل جعفر بن نصير بكْران الدينوري ، وكان يخدم الشبلي : ما الذي رأيت منه ؟ يعني عند وفاته . فقال : قال لي : عليّ درهم مظلمة تصدّقت عن صاحبه بألوف فما على قلبي شغْل أعظم منه ثم قال : وضّئني للصلاة . ففعلت فنسيت تخليل لحيته وقد أمسك عليّ لسانه ، فقبض علي يدي وأدخلها في لحيته ثم مات.

فبكى جعفر وقال : ما تقولون في رجل لم يفتْه في آخر عمره أدبٌ من آداب الشريعة؟

وعن بكـير صاحب الشبلي قال : وجد الشبلي في يوم جمعة خفّةً من وجع كان به فقال : تنشَط تمضي إلى الجامع ؟ قلت نعم فاتكأ على يدي حتى انتهينا إلى الورّاقين من الجانب الشرقي . قال : فتلقانا رجل جاءني من الرصافة ، فقال : بكير ! قلت : لبيك. قال : غدًا يكون لنا مع هذا الشيخ شأن .

ثم مضينا فصلينا ثم عُدنا فتناول شيئًا من الغداء . فلما كان الليل مات رحمه الله ، فقيل لي : فـي درب السقّائين رجل شيخ صالح يغسل الموتى . فدلّوني عليه في سحَر ذلك اليوم ، فنقرت الباب خفيًا فقلت : سلام عليكم . فقال : مات الشبلي ؟ قلت : نعم . فخرج إليّ فإذا به الشيخ . فقلت : لا إله إلا الله .فقال : لا إله إلا الله ، تعجبًا. ثم قلـت : قال لي الشبلي أمس لما التقينا بك في الورّاقين : غدًا يكون لي مع هذا الشيخ شأن . بحقّ معبودك من أين لك أن الشبلي قد مات ؟ قال : يا أبله فمن أين للشبلي أنه يكون له معي شأن من الشأن اليوم ؟ .

عمر بن عبيد قال : حدثني بكير ، فذكر معنى الحكاية .

صحب الشبلي الجنيد وطبقته ، وتفقّه على مذهب مالك ، وكتب الحديث الكثير ولا نعلم له مسندًا سوى حديث واحد .

أخـبرنا أبـو منصور الصرّار ، أنبأ أبو بكر أحمد بن علي ، أنبأ إسماعيل بن أحمد الحيري ، أنبأ أبو عبد الرحمن السلمي ، أنبأ أحمد بن محمد بن أحمد بن حسن الهروي، أنبأ أبو عبد الرحمن ، أنبأ عبد الواحد بن العباس ، أنبأ أحمد بن محمد بن ثابت ، أنبأ محمد بن علي الجمال قال :

سمعت أبا بكر الشبلي يقول : ثنا محمد مهدي المصري ، أنبأ عمر بن أبي سلمة ،

أنبأ صدقة بن عبد الله عن طلحة بن زيد عن أبي فروة الرهاوي عن عطاء عن أبي سعيد الخدري قال :

قال رسول الله ﷺ لبلال : « القَ الله فقيرًا ولا تلقه غنيًا » قال : يا رسول الله كيف لي بذلك ؟ قال : « ما سئلت فلا تمنع وما رُزقت فلا تخْبأ » قال : يا رسول الله كيف لي بذاك ؟ قال : هو ذاك وإلاّ فالنار .

توفي الشبلي في ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاث مائة وهو ابن سبع وثمانين سنة رحمه الله .

٣١٧ ـ أبو أحمد المغازلي

جعفر الخلدي قال : سمعت أبا أحمد المغازلي يقول : كنت يومًا من الأيام قاعدًا ، فخطر على قلبي ذكْر من الأذكار فقلت : إن كان ذكر يُمشَى به على الماء فهو هذا . فقمت إلى الماء فوضعت قدمي على الماء فثبتتْ ، ثم رفعت قدمي الأخرى لأضعها على الماء فخطر بقلبي كيفية ثبوت الأقدام على الماء فغاصتا جميعًا - رحمه الله .

٣١٨ ـ عيسى بن إسحاق بن موسى ، أبو العباس الأنصارى

روى عن أبي الربيع الزهراني وغيره . وروى عنه أحمد بن كامل القاضى ، قال : وكان يمشي حافيًا ويلبس قميصًا ناتناف تزهدًا . وكان صادقًا زاهدًا عابدًا . ومات قبل سنة ثمانين ومائتين .

قال أبو عمر الزاهد: أنبأ أبو العباس الأنصاري . وكان يقال إنه من الأبدال في زمانه.

٣١٩ ـ أبو محمد عبد الله بن محمد النيسابورى[1]

ويقال له المرتعش . صحـب الجنيد ، وأقام ببغداد في مسجد الشونيزى . وكانوا يقولون : عجائب ببغداد ثلاثة : إشارات الشبلي ، ونُكت المرتعش ، وحكايات جعفر الخوّاص .

وقال أبو الفرج الصائغ : قال المرتعش : من ظنّ أن أفعاله تُنجيه من النار أو تبلغه درجة الرضوان فقدْ جعل لنفسه ولفعله خطرًا ، ومن اعتمد على فضل الله بلّغه الله أقصى منازل الرضوان .

وقيل له : إن فلانًا يمشي على الماء . فقال : إن من مكّنه الله من مخالفة هواه فهو أعظم من المشي على الهواء والماء .

---

(١) الحلية (١٠/ ٣٥٥) ، وسير الأعلام (١٥/ ٢٣٠) .

وعن أحمد بن علي بن جعفر قال : كنت عند المرتعش قاعدًا فقال رجل : قد طال الليل وطاب الهواء . فنظر إليه المرتعش وسكت ساعة ثم قال : لا أدري ما يقول ، غير أني أقول ما سمعت من بعضهم ، يقول :

لســـت أدري أطـــال ليلي أم لا   كيف يدري بذاك مَن يتقلّى ؟

لو تفـــرّغتُ لاســـتطالة ليلـــي   ولـــرعْي النجوم كنت مُخِـلاً

قال : فبكى من حضره ، واستدلوا بذلك على عمارة أوقاته .

قال السلمي : وتوفي ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلاث مائة - رحمه الله .

٣٢٠ ـ أبو جعفر المجذوم[(١)]

قال أبو الحسن الدرّاج : كنت أحج فتصحبني جماعة ، فكنت أحتاج إلى القيام معهم والأشغال بهم . فذهبت سنة من السنين ، يعني على الوحدة ، وخرجت إلى القادسية . فدخلت المسجد فإذا رجل في المحراب مجذوم ، وعليه من البلاء شيءٌ عظيم . فلما رآني سلّم عليّ وقال : يا أبا الحسين عزمت علي الحج ؟ قلت على غيظٍ مني وكراهيةٍ له : نعم. قال : فقال لي : فالصحبة . فقلت في نفسي : أنا هربت منَ الأصحّاء أقع في يدي مجذوم ؟ قلت : لا . قال لي: افعل . قلت : لا والله لا أفعل . فقال لي : يا أبا الحسين ، يصنع الله للضعيف حتى يتعجّب القويّ . فقلت : نعم ، على الإنكار عليه .

قال : فتركته . فلما صليت العصر مشيت إلى ناحية المُغيثة ، فبلغت كالغد ضحوة . فلما دخلت إذا بالشيخ . فسلّم عليّ وقال لي : يا أبا الحسين يصنع الله للضعيف حتى يتعجّب القويّ . قال : فأخذني شبيه الوسواس في أمره .

قال فلم أحسّ حتى بلغت القرعاء على الغد ، فبلغت مع الصبح فدخلت المسجد فإذا أنا بالشيخ قاعدًا فقال لي : يا أبا الحسين ، يصنع الله للضعيف حتى يتعجّب القويّ .

قال : فبادرت إليه فوقعت بين يديه على وجهي فقلت : المعذرة إلى الله وإليك . قال لي : ما لك ؟ قلت : أخطأت . قال : وما هو ؟ قلت الصحبة . قال : أليس حلفت ؟ وإنا نكره أن نُحنثك ، قال : قلت : فأراك في كل منزل . قال : ذاك لك .

قال : فذهب عني الجوع والعطش والتعب في كل منزل ليس لي همّ إلا الدخول إلى المنزل فأراه . إلى أن بلغت المدينة فغاب عني فلم أره .

فلما قدمت مكة حضرت أبا بكر الكناني وأبا الحسين المزيّن فذكرت ذلك لهم فقالوا :

---

(١) الحلية (١٠/ ٣٣٣) .

يا أحمق ذلك أبو جعفر المجذوم ، ونحن نسأل الله أن نراه . فقالوا : إن لقيته فتعلق به لعلّنا نراه . قلت : نعم .

فلما خرجنا إلى منى وعرفات لم ألقه ، فلما كان يوم الجمرة رميت الجمار ، فحدثني إنسان وقال : يا أبـا الحسين السلام عليك . فلما رأيته لحقني من رؤيته فصحْت وغُشي على . وذهب عني وجئت إلى مسجد الخيف وأخبرت أصحابنا.

فلما كان يوم الوداع صلّيت خلف المقام ركعتين ورفعت يدي فإذا إنسان خلفي جذبني فقال : يا أبا الحسين عزمت عليك أن تصبح قلت : لا ، أسألك أن تدعو لي . فقال : سل ما شئت . فسألت الله تعالى ثلاث دعوات فأمّن على دعائى فغاب عني فلم أره .

فسألته عن الأدعية فقال : فأما أحدها فقلت : يا ربّ حبّب إليَّ الفقر فليس في الدنيا شيء أحب إليّ منه . والثاني قلت : اللهم لا تجعلني أبيت ليلة ولي شيء أدّخره لغد ، وأنا منذ كذا وكذا سنةً ما لي شيْء أدّخره . والثالث قلت : اللهم إذا أذنت لأوليائك أن ينظروا إليك فاجعلني منهم وأنا أرجو .

قال السلمي : أبو جعفر المجذوم بغدادي ، من أقران أبي العباس بن عطاء .

٣٢١ ـ عباس بن المهتدى أبوالفضل

قال أبو عبد الرحمن السلمي : عباس بن المهتدي من بغداد . كنيته أبو الفضل. يرجع إلى فتوة ظاهرة وفراسة حادة ، وحبّ للفقراء وميلٍ إليهم . دخل مصر وصحب بها أبا سعيد الخراز .

وعن محمد بن عبد الله الفرغاني قال : تزوج عباس بن المهتدي امرأةً فلما كانت الليلة التي أراد أن يدخل بها وقعت عليه ندامة فدخل عليها وهو كاره ، فلما أراد أن يدنو منها زُجر عنها فامتنع من وطئها وقام وخرج من عندها .

فلما كان بعد ثلاثة أيام ظهر للمرأة زوج .

٣٢٢ ـ خزرج بن على بن العباس ، أبو طالب الصوفى

قال أبو عبد الله بن خفيف : دخل أبو طالب خزرج بن علي شيرازًا فاعتلّ علةً ، فكنت أخدمه وأقدّم إليه الطست في الليل مرارًا كثيرة . وكنت في ذلك الوقت في حال الرياضة فكنت لا أفطر إلا على الباقلّي اليابس .

فسمع أبو طالب ليلةً كَسْرِي للباقلي بأسناني فقال لي : ما هذا ؟ فعرّفته حالي. فبكى وقال : يا أبا عبد الله ، فإني كنت كذلك حتى حضرت ليلة مع أصحابنا في دعوة ببغداد

فقُدّم إلينا حمل مشوي فأمسكت يدي ، فقال لي بعض أصحابنا : كُلْ . فأكلت لقمةً وأنا منذ أربعين سنة إلى خلف .

قال ابن خفيف : ثم تماثل وخرج إلى بعض البلدان وجلس في رباط ، وسوّد داخل الرباط وخارجه ، وقال هكذا جلوس أهل المصائب . فما خرج منه حتى مات .

قال المؤلف : أسند أبو طالب الحديث عن : أحمد بن عبد الله النرمسي ، وكان من أصحاب الجنيد .

٣٢٣ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن حماد الأزدى[1]

مولى آل جرير بن حازم . قال القاضي أبوالحسين الجراحي : ما جئت إلى إبراهيم بن حماد قطّ إلا وجدته قائمًا يصلي أو جالسًا يقرأ .

وقال أبو بكر النيسابوري : ما رأيت أعبدَ منه .

أسند إبراهيم عن الحسن بن عرفة وخلْق وتوفي في صفر سنة ثلاث وعشرين وثلاث مائة .

٣٢٤ ـ أبو بكر أحمد بن سليمان بن الحسن النجاد[1]

عن أبي إسحاق الطبري قال : كان أحمد بن سليمان يصوم الدهر ، ويفطر كل ليلة على رغيف ، ويترك منه لقمة . فإذا كان ليلة الجمعة تصدق بذلك الرغيف وأكل تلك اللُقم التي استفْضلها .

وقال أبو عبد الله أحمد بن عبد الله الحربي : سمعت أبا بكر أحمد بن سليمان النجّاد يقول : من نقّر على الناس قلّ أصدقاؤه ، ومن نقَّر على ذنوبه طال بكاؤه، ومن نقّر على مطعمه طال جوعه .

أسند النجاد عن : أبي داود السجستاني في خلق لا يُحصوْن . وكان يمشي في طلب الحديث حافيًا .

وتوفّي في سنة ثمان وأربعين وثلاث مائة وقد بلغ خمسًا وتسعين سنةً ودُفن عند قبر بشْر ابن الحارث .

٣٢٥ ـ جعفر بن محمد بن نصير الخلدى

يكنى أبا محمد حج ستين حجة .

قال علي بن المثني التميمي : سمعت جعفرًا الخلدي يقول لرجل : كن شريف الهمة فإنّ الهمم تبلغ بالرجال لا المجاهدات .

---

(١) انظر : سير الأعلام (١٥/ ٣٥) .

(٢) المصدر السابق (١/ ٢ ٠ ٥) .

أسند جعفر الخلدي عن : الحارث بن أبي أسامة وغيره وسمع الكثير من الحديث ولقي جماعة من المشايخ كالجنيد وغيره .

وتوفّي في يوم الأحد لتسعٍ خلوْن من شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وثلاث مائة .

٣٢٦ ـ جعفر بن حرب

عن علي بن المحسن المسوحي ، عن أبيه : أن جعفر بن حرب كان يتقلد كبار الأعمال للسلطان ، وكانت نعمته تقارب نعمة الوزارة . فاجتاز يومًا راكبًا في موكب له عظيم . ونعمتهُ على غاية الوفور ، ومنزلتهُ بحالها في الجلالة فسمع رجلاً يقرأ ﴿ **أَلَمْ يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبُهم لذكر الله وما نزل من الحق**﴾ [1] فصاح : اللهم بلى . يكررها دفعات . وبكى ، ثم نزل عن دابته ونزع ثيابه ودخل إلى دجلة واستتر بالماء . ولم يخرج منه حتى فرّق جميع ماله في المظالم التي كانت عليه وردّها وتصدّق بالباقي . فاجتاز رجل فرآه في الماء قائمًا وسمع بخبره فوهب له قميصًا ومئزرًا فاستتر بهما وخرج ، فانقطع إلى العلم والعبادة حتى مات .

٣٢٧ـ أبو بكر محمد بن سعيد الحربى

ويعرف بابن الضرير الزاهد .

عن عبد الواحد بن أبي الحسين الفقيه قال : سمعت أبي يقول سمعت أبا بكر بن الضرير الزاهد يقول : دافعت الشهوات حتى صارت شهوتي المدافعة فحسب .

قال المصنف : كان أبو بكر ينزل الحربية من بغداد وروى عن إبراهيم بن نصر المنصوري وغيره . وتوفي في ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وثلاث مائة .

٣٢٨ ـ أبو بكر محمد بن الحسين الآجرىّ

كان ثقةً دينًا عالمًا مصنفًا . وقد سمع عن أبي مسلم الكجي ، وأبي شعيب الحرّاني ، وجعفر الفريابي ، في خلق يطول ذكرهم .

وحدّث ببغداد قبل سنة ثلاثين وثلاث مائة ، ثم انتقل إلي مكة فأقام بها حتى مات في محرّم سنة ستين وثلاث مائة .

قال أبو سهل محمود بن عمرو العكْبري : لما وصل أبو بكر محمد بن الحسين الآجري إلى مكة استحسنها واستطابها فهجس في نفسه أن اللهم أحْيني في هذه البلدة ولو سنة . فسمع هاتفًا يهتف ويقول : يا أبا بكر لِمَ سنة ؟ ثلاثين سنة .

---

(١) سورة الحديد آية : ١٦ .

فلما كان في سنة ثلاثين سمع هاتفًا يقول : يا أبا بكر قد وفينا بالوعد . فمات في تلك السنة .

٣٢٩ ـ يوسف بن عمر بن مسرور

أبو الفتح القواس ، قال الأزهري : كان أبو الفتح من الأبدال ، وكان مجاب الدعوة .

وقال أبو الحسن الدارقطني : كنا نتبرك بأبي الفتح القوّاس وهو صبي .

وقال أبو ذر الهروي : كنت عند أبي الفتح القواس وقد أخرج جزءًا من كتبه فوجد فيه قرْض الفار ، فدعا الله على الفارة التى قرضته فسقطت من سقف البيت فارة ولم تزل تضطرب حتى ماتت .

سمع يوسف بن عمر القواس من : البغَوي ، وأبي بكر بن أبي داود ويحيى بن صاعد ، في خلْق كثير . وتوفي يوم الجمعة لسبع بقين من شهر ربيع الآخر من سنة خمس وثمانين وثلاث مائة ودُفن بمقبرة أحمد - رضي الله عنهما .

٣٣٠ ـ أبو الحسين محمد بن أحمد بن إسماعيل ابن عبيس بن سمعون ، وكان يلقب الناطق بالحكمة

عن أبي بكر الأصبهاني ، وكان خادم الشبلي ، قال : كنت بين يدي الشبلي في الجامع يوم جمعة فدخل أبو الحسين بن سمعون وهو صبيّ على رأسه قلنسوة بشفاشك مُطَيْلس بفوطة ، فجاز علينا وما سلّم . فنظر الشبلي إلى ظهره وقال: يا أبا بكر أتدري أيّ شيْء لله من الذخائر في هذا الصبي ؟ .

وقال الحسن بن محمد الخلال : قال لي أبو الحسين بن سمعون : ما اسمك؟ فقلت : حسن فقال : قد أعطاك الله الاسم فسلْه أن يعيطك المعنى .

وقال أبو طاهر عبد الواحد بن عمر بن المظفر : سمعت ابن سمعون يقول : رأيت المعاصي نذالةً ، فتركتها مروءةً ، فاستحالت ديانةً .

وقال أبو الفتح القواس لحقتني إضافة في وقت من الأوقات ، فنظرت فلم أجد في البيت غير قوسٍ لي وخفّين كنت ألبسهما فأصبحت وقد عزمت على بيعهما . وكان يوم مجلس أبى الحسين بن سمعون . فقلت في نفسي : أحضر المجلس ثم أنصرف فابيع الخفّين والقوس فحضرت فلما أردت الانصراف ناداني أبو الحسين : يا أبا الفتح لا تبع الخفّين ، ولا تبع القوس ، فإن الله سيأتيك برزقٍ من عنده : أو كما قال .

وعن عليّ بن طلحة المقْري قال سمعت أبا الحسين بن سمعون يقول : كل من لم ينظر بالعلْم ، فيما لله عليه فالعلْم حجة عليه ووبال .

وسمعته يقول : الصادقون الحذّاق هم الذين نظروا إلي ما بذلوا في جنب ما وجدوا ، فصغُر ذلك عندهم فاعتذروا .

وسمعته يقول : قلّلوا اهتمامكم لكم ، ووفّروا اهتمامكم بكم وتوسّدوا أوسادًا من الشكر ، والبسوا لباسًا من الذكر ، والتحفوا لحافًا من الخوف ؛ تفوزوا بمدحة الرب الله أن تستهينوا بشيء يوجب الذم دون أن تستهينوا بما يوجب العقوبة .

وسمعته يقال : يا هذا ، تظلَّم إلى ربك منك ، واستنصرْه عليك ينصرْك .

وسمعته يقول : احزنوا على ما فاتكم ، وأسَفوا على تقصيركم ، وأحرزوا بضائعكم من التلف لا تخرج القطاعُ عليها .

وسمعته يقول : كل داء عرُف دواؤه فهو صغير ، والذي لم يُعرف له دواء . كبير .

وسمعته يقول : أجهد يا هذا أن يُسرق منك ولا يُسرق لك .

وسمعته يقول : احذروا الصغائر فإن النُقط الصغار آثار في الثوب النقي .

وسمعته يقول : احذر أن ترى عملك لك، فإن رأيته لك كنت ناظرًا إلى ما ليس لك.

وسمعته يقول : من الوقاحة تمنّيك مع توانيك . استْوف من نفسك الحقوق ثم وفّها الحظوظ حسب ما يكفيها لا ما يُطغيها ، قفْها بين الجنة والنار تأباك الجنة بكل معنى وتقْبلك النار بجملتك .

وسمعته يقول : معنى قوله « لا يزال عبدي يتحببّ إليّ حتى أحبّه » قال : حتى أظهر له حبّي لأنه لم يزل محبًا .

وسمعته يقول : الخير كله في هذا الزمان تركُ ما الناسُ عليه ، ومصّ النوى ، وسفّ الرمل ، وأنشدنا :

لــو كــلُّ جارحـةٍ منيّ لها لغةٌ	تثنى عليك بما أوليْتَ من حَسَنِ
لكان ما زان شُكري إذ أشْرتُ به	إليــك أزْيَدَ في الإحسان والمننِ

وأنشدنا أيضًا :

حاشـــاك مـــن أن ترابـــى	محمـــــد يحـــبّك خـــوفاً
لــــم يبــــق مــــني وفــاء	إلا وما مـــنك أوفـــــــــى
أفنيتنــــي عـــن جميعـــــي	فصـــرت أهـــواك طـــرفاً

قال محفوظ بن أحمد الكلوداني ، قال لنا الشيخ الصالح أبو علي الحسن بن غالب الحربي سمعت أبا الحسين بن سمعون يقول : يا هـذا أكرمتُك لمّا عـاملتك وصنتك لما

نهيتك فمعاملتي لك كرامة ونهي لك صيانة كلفتك الصلاة ولعلمي بتوانيك لم أجعل لها وقتًا واحدًا ، جعلتُ لها أولاً وآخرًا وأنت تقول : الوقت واسع متى ما اتسع الوقت على عاقل ؟ أما علمت أن الأوقات على العقلاء أدق من ثقب الإبر تهتم لك كأني لستُ مولاك ، وتدع الاهتمام بك كأني لستُ مطالبك . أما علمت أنه إذا بدا النهار أطالبك بحق ملكي ، وإذا بدا الليل أطالبك بحق حبي .

قال أبو علي وكنا جلوسًا عند أبي الحسين بن سمعون في مجلسه فجاز قوم معهم كلاب الصيد فنبحت عليها كلاب الدرب فقال : سبحان الله كأن هذه حادثت هذه . فقالت هذه الأهلية لكلاب الصيد : يا مساكين رغبتم في نعيم الملوك فسوجروكم [1] ، ولو قنعتم بالمنبوذ مثلنا كنتم مخلّين . فقالت لها كلاب الصيد : خفي عليكم حالنا نحن رأوا فينا آلة الخدمة فحبسونا على الخدمة وقاموا لنا بالكفاية قالت الأهلية فالواحد منكم إذا كبر خلي وصار معنا قالت كلاب الصيد : لأنه قصر عما يجب عليه وكل من قصر فيما يجب عليه طُرد .

قال أبو علي وسمعت أبا سعيد أحمد بن المسك بن أحمد البزاز يقول : سمعت عمي محمد بن أحمد يقول : رأيت في المنام رسول الله ﷺ في جامع الخليفة وإلى جانبه رجل مكتهل . فسألت عنه فقيل : هو عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ، وهو يقول للنبي ﷺ: أليس في أمتي الأحبار ؟ أليس في أمتي الرهبان ؟ أليس من أمتي أصحاب الصوامع ؟ قال : فدخل أبو الحسين بن سمعون فقال له رسول الله ﷺ : في أمتك مثل هذا ؟ فسكت وانتبهتُ .

وعن أبي طاهر محمد بن عليّ العلاف قال : حضرت أبا الحسين بن سمعون يومًا في مجلس الوعظ ، وهو جالس على كرسيه يتكلم وكان أبو الفتح بن القواس جالسًا إلى جنب الكرسي فغلبه النعاس فنام فأمسك أبو الحسين عن الكلام ساعة حتى استيقظ أبو الفتح ورفع رأسه . فقال له أبو الحسين : رأيت رسول الله ﷺ في نومك ؟ قال : نعم. فقال أبو الحسين : لذلك أمسكت عن الكلام خوفًا أن تنزعج وتنقطع عما كنت فيه . أو كما قال .

وعن أبي البرقاني قال : لأبي الحسين بن سمعون : أيها الشيخ ، أنت تدعو الناس إلى الزهد في الدنيا ، والترك لها ، وتلبس أحسن الثياب وتأكل أطيب الطعام ، فكيف هذا ؟ فقال : كل ما يُصلحك فافعله إذا صلح حالُك مع الله : بلُبس ليّن الثياب ، وأكل طيّب الطعام ، فلا يضرّك .

---

(١) أى ربطوكم بالساجور ، وهو خشبة تعلق فى عنق الكلب .

أسنـد ابن سمعون عن خلق كثير يطول ذكرهم ، منهم : عبد الله بن أبي داود السجستاني . وأملى الحديث .

وتوفي يوم النصف من ذي القعدة سنة سبع وثمانين وثلثمائة وكان مولده سنة ثلثمائة ودُفن في داره ، ثم نقل بعد تسع وثلاثين سنة إلى باب حرب وكفنُه لم يَبْلَ .

قال عبد القادر بن محمد بن يوسف : أخبرني أبي قال : كنت مع الذين أخرجوا أبا الحسين من داره وقد دُفن فيها أربعين سنة ، فأخرج إلى قبر أحمد وأكفانه تتقعقع كما دُفن - رحمه الله .

٣٣١ ـ عبد الصمد بن عمر بن محمد بن إسحاق أبو القاسم الواعظ

كان من أهل الزهد والصلاح الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر .

عن أحمد بن علي بن ثابت قال : حدثني الضمري قال : كان عند عبد الصمد جزء عن النجّاد فأخذت من أبي بكر البقّال نسخته ومضيت أنا وأبو يعلى بن المأمون إليه ، فسلمنا عليه وسألناه أن يحضرنا في المسجد لنسمع الجزء منه وسبقناه إلى المسجد .

فدخل وسلم وصلّى ركعتين ثم جاء فجلس بين أيدينا فقلت له : إنما حضرنا لنسمع منك فإن رأيت أن ترتفع إلى صدر المجلس . فقال : هذا ابن عم رسول الله ﷺ ـ وأشار إلى ابن المأمون ـ وأنت رجل من أهل العلم ، وما كنت لأرتفع عليكما في المجلس .

وعن علي بن محمد الحسن المالكي قال : جاء رجل إلى عبد الصمد بمائة دينار ليدفعها إليه فقال له : أنا غني عنها فقال : فرّقها على أصحابك هؤلاء فقال : ضعها على الأرض ففعل . فقال عبد الصمد للجماعة : من احتاج منكم إلى شيء فليأخذ على قدْر حاجته فتوزعها الجماعة على صفات مختلفة من القلة والكثرة ولم يمسها هو بيده ثم جاءه ابنه بعد ساعة فطلب منه شيئًا فقال له : اذهب إلى البقال فخذ منه ربع رطل تمرًا .

وقال التنوخي : كنت يوم الجمعة في جامع المنصور والخطيب على المنبر وعلى يساري علي بن طلحة المقري البصري فمددت عيني فرأيت عبد الصمد بالقرب مني فهممت بالنهوض إليه ، وكان صديقًا لي ، فاحتشمت من القيام في مثل ذلك الوقت مع قرب قيام الصلاة . فقام ومشى نحوي فقمت إليه فقال لي : إجلس أيها القاضي فليس إليك قصدت ولا لك أردت بمجيئي إنما هذا أردت وإليه قصدت يعني ابن طلحة وذلك أن نفسي تأباه وتكرهه فأردت أن أذلّها بقصده وأخالف إرادتها ، فقصدته . فقام ابن طلحة إليه وقبل رأسه ، وعاد عبد الصمد إلى موضعه .

وعن محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله السكّري قال : اجتاز عبد الصمد يومًا

بسوق الطعام فرأى غلامًا يقال له عزيز وقد خرج مع العيّارين ، وكانت أيامهم والناس مجتمعون عليه ، وأبواه يبكيان ويعذُلانه ويأبى عليهم .

فلما أكثرا عليه قال لهما مثلي يقول شيئًا يرجع عنه ؟ قد قلت لأصحابي إنّي منكم ، أمضيا أطلبا عزيزًا غيري ، شاروفتي في جيبي .

يقال عبد الصمد : رأيته قد تابع الهوى على الوفاء ، مع علمه بأنه إذا وقع في الشدائد لا يجيره فبايعت ربي على الوفاء مع علمي بأني إذا رقعت في الشدائد يجيرني، فاجتزت يومًا بباب دَرْب الدَيْزَج ، فشممت روائح طيبة فطالبتْني نفسي بشْيء منها فقلت: أطلبي عبد الصمد غيري شاروفتي في جيبي.

قال : وسمعت عبد الصمد يقول : كنت يومًا أمشي في بعض الطرق وإذا بساعٍ قد أقبل من عدوه وقد بقي عليه من الطريق بقيّة ، والنـــاس يستقبلونه بالتحــف. فقال لــه رجـــل أيْ فلان مُتْ اليوم حتى تعيش أبدًا . فقلت لنفسي : هذا لك مُوتي اليوم حتى تعيشي أبدًا .

وعن أبي عليّ الحسن بن علي بن فهر القلاف ، قال : قال عبد الصمد : يا أبا علي رأيت اليوم عجبًا : اجتزت ببعض الخرابات فسمعت منها أنينًا فدخلت وإذا برجل قد شدّ حبلاً يريد أن يخنق نفسه فزعقت عليه وقلت له لا يحل لك أن تفعل هذا . فقال لي : فأعذر . فقلت : وما شأنك والغَدْر ؟ قال : قد قامرتُ في قتل نفسي فقمرتها وما أرى الغدر . فنحيت الحبل من عنقه وعجبت كيف لم يستجز الغدْر في هوى الشيطان فكيف يجوز الغدْر في رضا الرحمن ؟.

وحكى أبو الوفاء بن عقيل قال : هجم عيد على عبد الصمد والبيت فارغ من القُوت ، فجاءه رجل بدراهم فقال : خذ هذه . فقال : يا هذا بالله دعني اليوم أتلذذ بفقري كما يتلذذ الأغنياء بغناهم ، وكان يقول أبدًا اوجدهم في تعذيبه عذوبة .

قال المؤلف : بلغني عن عبد الصمد أنه كان في دعوة فقيل له : انبسط وتمكّنْ فقال : وما يمكّني ؟ من يحتشم ربّه في الخلوة لا ينبسط .

وكان يحرّض أصحابه إلى الجدّ ويقول : هيه قد فاتتكم الدنيا فلا تفوتنّكم الآخرة .

وقال التنوخي : حدّثني من حضر عبد الصمد وقد احتُضر ، فدخلت عليه أم الحسن بنت القاضي أبي أحمد بن الأكفاني ، وكانت أحد من يقوم بأمره ويراعيه . فقالت له : أسألك وأقسم عليك إلا سألتني حاجة . فقال لها : نعم كوني لهنيّة، يعني ابنته ، بعد موتي كما أنتِ لها في حياتي . فقالت : أفعل . ثم أمسك ساعة وقال : أستغفر الله ، وكرّرها ، الله لها خيرٌ منكِ .

وحكى ابن عقيل عن بعض من حضر عبد الصمد عند الموت قال : حضرته وهو يقول: يا سيّدي لليوم خبّأتك ، ولهذه الساعة اقتنيتُك ، حقّقْ حُسن ظني بك .

أسند عبد الصمد عن : أحمد بن سلمان النجّاد .

وتوفي يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي الحجة . وقيل : في آخر يومٍ من ذي الحجة سنة سبع وتسعين وثلاث مائة . وقيل : توفي ليلاً وكانت وفاته بدرب شماس ، من نهر الغلابين وقبره اليوم ظاهر يُتبرّك به بمقبرة الإمام أحمد .

٣٣٢ ـ عثمان بن عيسى أبو عمر الباقلاّوى

كان يقال له : العابد الصَّموت . لإمساكه عن الكلام فيما لا يعنيه .

قال أحمد بن علي الحافظ : كان عثمان الباقلاّوي أحد الزهاد المتعبّدين ، منقطعًا عن الخلق ، ملازمًا للخلوة .

قال : وسمعت بعض الشيوخ الصالحين يقول : سمعت عثمان الباقلاوي يقول: إذا كان وقت غروب الشمس أحسستُ بروحي كأنها تخرج ، يعني لاشتغاله في تلك الساعة بالإفطار ، عن الذكْر .

قال : وسمعته يقول : أحب الناس إليّ من ترك السلام عليّ لأنه يشغلني بسلامه عن الذكْر .

وقال محمد بن محمد بن عبد العزيز العباسي : حدثني أبي قال : مضيت يومًا في صحبة خالي إلي عثمان بن عيسى الباقلاّوي ، فتلقّيناه خارجًا من المسجد إلى داره وهو يسبّح : فقال له خالي : ادْعِ لي فقال : يا أبا عبد الله شغلْتَني أنظر ما تظنه فيّ فافعلْه وادْعُ أنت لي فقلت له أنا : بالله أدْعُ لي فقال : رَفق الله بك . فاستزدته . فقال : الزمان يذهب والصحائف تختم .

وعن أبي الحسين محمد بن محمد بن المهتدي أنه قال : هذا الذي أنا فيه من بركة عثمان الباقلاوي ، وذلك أنني كنت أصلي به فكان إذا خلا بي مسح يده على صدري ودعا لي ، فأنا أعتقد أن الذي أنا فيه من بركة دعائه .

قال : وكان له مغتسل وحارة في المسجد ، فكان يصلي بينهما وكنت أصلي به شهر رمضان . فقرأت ليلةً سورة الحاقة حتى أتيت هذه الاية : ﴿ **فيومَئذٍ وقَعت الواقعةُ** ﴾ [1] فصاح وسقط مغشيًا عليه ، فما بقي أحد في المسجد إلا انتحَب.

---

(١) سورة الحاقة آية : ١٥ .

وكان عثمان يتعمّم بشاروفة ، وكان يأكل من كسب البوازي وكان قد سأله السعيد التركي أن يصل إليه منه شيء ، فأبـى . فقال لـه : إذ أبيت فتأذنُ لي أن نشتري دُهنًا نُشعله في المسجد ؟ وكان مأواه المسجد ، ما كان يخرج منـه إلا إلى الجمعة . فأجاب إلى ذلك . فلما عاد الرسول على أنه يحمل إليه دهنًا قال له : لا تجئني بشيء آخر فقد أظلم على البيت .

أسند عثمان الباقلاّوي عن : إبراهيم بن محمد المطوعي ، والحسن بن أبي النجم مؤدّب الطائع لله ، وغيرهما وتوفي في يوم الجمعة لسبع بقين من رمضان سنة اثنتين وأربع مائة ودفن في مقبرة جامع المنصور .

عن عرس الخباز قال : لما دفن عثمان البلاقلاّوي رأيت في المنام بعض من هو مدفون في جوار قبره ، فقلت له : كيف فرحكم بجوار عثمان ؟ فقال : وأين عثمان ؟ لمّا جيء به سمعنا قائلاً يقول : الفردوس الفردوس . أو كما قال - رحمه الله .

٣٣٣ ـ بكر بن شاذان بن بكر ، أبو القاسم

قرأ القرآن على جماعة ، وسمع الحديث من جعفر الخلدي ، وأبي بكر الشافعي، وغيرهما وكان يقرىء القرآن ويروي الحديث ويعظ الناس . وكان من قُوّام الليل وأهل التقوى .

عن الحسن بن غالب المقرىء أن بكر بن شاذان وأبا الفضل التميمي جرى بينهما كلام، فبدر من أبي الفضل كلمة ثقلت على بكر وانصرفا . ثم ندم التميمي فقصد أبا بكر بن يوسف وقال له : قد كلّمتُ بكرًا بشيْء قد خفي عليه وندمت على ذلك ، فأريد أن تجمع بيني وبينه . فقال له ابن يوسف سيخرج لصلاة العصر . فخرج بكر وجاء إلى ابن يوسف والتميمي عنده ، فقال له التميمي : أسألك أن تجعلني في حلّ . فقال بكر : سبحان الله ما فارقتك حتى أحللتك وانصرف .

قال التميمي : قال لي والدي : يا عبد الواحـد احذر أن تخـاصم من إذا نمت كان منتبهًا .

قال ابن غالب : وكان لبكر ورْد من الليل لا يُخلّ به .

توفي في يوم السبت التاسع من شوال سنة خمس وأربع مائة، ودفن بمقبرة باب حرب.

٣٣٤ ـ أبو أحمد عبد الله بن أحمد بن محمد الفرضي

قال علي بن عبد الواحد بن مهدي : اختلفتُ إلى أبي أحمد الفرْضي ثلاث عشرة سنة لم أره ضحك فيها . غير أنه قرأ علينا يومًا كتاب الانبساط فأراد أن يضحك فغطى فمه .

وقال عيسى : كان أبو أحمد إذا جاء إلى أبي حامد الأسفرائيني قام أبو حامد من مجلسه ومشي إلى باب مسجده حافيًا مستقبلاً له .

قال : وكتب أبو حامد مع رجل خراساني كتابًا إلى أبي أحمد يشفع له أن يأخذ عليه القرآن . فظن أبو أحمد أنها مسألة قد استُفتي فيها ، فلما قرأ الكتاب غضب ورماه عن يده وقال : أنا لا أُقرِيء القرآن بشفاعة أو كما قال .

وقال أبو القاسم منصور بن عمرو الفقيه : لم أر في الشيوخ من يعلّم العلْم خالصًا لله لا يشوبه شيء من الدنيا غير أبي أحمد الفرْضي ، فإنه كان يكره أدنى سببٍ حتى المدْح لأجل العلْم . قال : وكان قد اجتمعت فيه أدوات الرياسة : من علم وقرآن وإسناد وحالة متسعة في الدنيا وغير ذلك ، وكان أورع الخلق ، وكان يبتدىء كل يوم بتدريس القرآن ، ويحضر عند الشيخ الكبير ذو الهيئة فيقدّم عليه الحدث لأجل سبقه ، فإذا فرغ من إقراء القرآن وَلِي قراءة الحديث علينا بنفسه ، فلا يزال كذلك حتى يستنفد قوّته ، ثم يضع الكتاب من يده وينصرف . قال : وكنت أطيل القعود معه وهو على حالة واحدة لا يتحرّك ولا يعبث بشيء من أعضائه ولا يغيّر شيئًا من هيئته حتى أفارقه .

وقد بلغني أنه كان يجلس مع أهله على هذا الوصف ولم أر في الشيوخ مثله .

سمع أبو أحمد من : القاضي المحاملي ، ويوسف بن يعقوب بن البهلول . وحضر مجلس أبي بكر بن الأنباري .

وتوفي في يوم الثلاثاء للنصف من شوال سنة ست وأربعمائة وقد بلغ اثنتين وثمانين سنة . ودفن في مقبرة جامع المدينة - رحمه الله .

٣٣٥ ـ أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن ابن سعد الأبيوردي

كان فقيهًا فصيحًا من أصحاب أبي حامد الأسفرائيني . توطن بغداد وليَ القضاء بها على الجانب الشرقي ومدينة المنصور ، وكان مدرسًا مفْتيًا مناظرًا ، وكانت له حلْقة بجامع المنصور .

ذكر عبيد الله بن عثمان الصيرفي عمن حدثه : أن القاضي أبا العباس الأبيوردْي كان يصوم الدهر ، وأنّ غالب إفطاره كان على الخبز والملح . وكان فقيرًا يظهر المروءة . قال: ومكث شتوةً لا يملك جبّة يلبسها .

وكان يقول لأصحابه : فيَّ علّةٌ تمنعني عن لبس الحشو . فكانوا يظنونه يعني المرض ، وإنما كان يعني بذلك الفقر ولا يظهره تصونًا ومروءةً .

وقال ابن ثابت : حدثني الصّوري أنه سأل الأبيوردي عن مولده فقال : سنة سبع وخمسين وثلاثمائة .

ومات يوم السبت السادس من جمادي الآخرة سنة خمس وعشرين وأربعمائة ودفن في مقبرة باب حرب ، والله أعلم .

٣٣٦ ـ أبو الحسن على بن عمر بن محمد ابن الحسن الحربي المعروف بالقزوينى[1]

وكان من كبار الصالحين ومولده في محرم سنة ستين وثلاث مائة ببغداد . وأصل أبيه من قزوين وقرأ القرآن بالقراءات على أبي حفص الكناني وغيره .

وسمع الحديث من ابن كيسان النحوي ، والقاضي الجراحي ، وأبي حفص بن الزيات، وأبي عمر بن حيوْة ، وأبي الحسين مظفر ، وأبي الحسين بن سمعون ، في جماعة أخرى . وتفقه على أبي القاسم الداركي ، وعلّق النحو على أبي الفتح بن جني.

وكان منذ كان صبيا حسن الطريقة . ملازمًا للصمت عما لا يعنيه ، وافر العقل . ثم كان يقرأ القرآن ويروي الحديث ولا يخرج من بيته إلا إلى الصلاة . وله كرامات كثيرة. ولما توفي غسله أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي .

قال أحمد بن علي بن ثابت : كان أبو الحسن القزويني أحد الزهاد المذكورين ومن عباد الله الصالحين . توفي في شعبان سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة . وصُلّي عليه في الصحراء بين الحربية والعتابين ، وحضرتُ الصلاة عليه . وكان الجمع متوفّرًا جدًا يفوت الإحصاء لم أر جمعًا على جنازة أعظم منه وغُلق جميع البلد في ذلك اليوم .

وقال أبو الفتح بن علوس الدينوري : صلّى الناس على القزوينى حيث توجهوا ، ولم يُحطّ إلى الأرض لكثرة الخلق ، إنما كان على أيدي الرجال حيث اتجه صلّوا عليه .

وقال أبو الوفاء بن عقيل : شهدت جنازته وكان يومًا لم يُرَ في الإسلام بعد جنازة أحمد ابن حنبل مثْله ، غلقت له المكاتب والحمامات ، وبلغت المعبرة بباب الطاق مع كون الجسر ممدودًا ربع دينار ولم يسع الناس جامع ولا أمكن أن يصلي عليه إمام معيّن ، فجعل كلّ قبيل فيه ألوفٌ من الناس يصلي بهم رجل يصلح للتقدّم . وكانت الضجة تمنع التبليغ للتكبير فصلى أكثر الناس وُحدانا ، ورأيت عدّة بنانيك ، فيها من المداسات الكثيرة، ينادي عليها ليأخذها أربابها .

عبد الله بن محمد البرداني قال : انتبه أخي أبو غالب يوسف بن محمد في الليلة التي

(١) انظر : سير الأعلام (١٧/ ٦٠٩) .

مات فيها القزويني ، وهو يبكي ، وقد أخذته الرّعْدة فسكّنه والدُنا وأمسكه وقرأ عليه وقال له : ما لك يا بني ؟ قال : رأيت في المنام كأن أبواب السماء قد فُتحت وابن القزويني يصعد إليها ، فلما كان في صبيحة تلك الليلة سمعنا المنادي ينادي بموته .

وقال أبو الفرج عبد العزيز بن عبد الله الصائغ : صليت على أبي الحسين القزويني فهالني كثرة الخـلق الذين حضروا جنازته واستعظمتهم ، فرأيته تلك اللية فـي المنام وهو يقول لي : استعظمت الخلق الذين صلَّوا عليَّ ؟ قد صلّي علـيّ من الملائكة في السماء أكثر من ذلك .

٣٣٧ ـ أبو بكر محمد بن عبد الله الدينوري

وكان يسكن الرصافة ببغداد . وكان زاهدًا حسن العيش .

وكان أبو الحسن القزويني يقول : عبر الدّينوري قنطرة خلَّفَ من بعده وراءه .

قال أبو الوفاء بن عقيل الواعظ : كنت شابًا حديث السن أتردد إلى مجلس ابن بشران الواعظ ، وكان يعتاد عيني الرَّمد كثيرًا . فرآني ذات يوم في المجلس رجل كان يبسط لابن بشْران بساط المنبر يقال له : بكار ، فقال لي : أراك تداوم على حضور هذا المجلس؟ فقلت لعلّي استفيد شيئًا ينفعني في ديني . فقال لي اجلس حتى ينقضي المجلس فجلست . فلما انقضي المجلس أخذ بيدي وحملني إلى الرُّصافة وجاء بي إلى بابٍ فطرقهُ فقال قائل من داخل الدار : من ؟ فقال : أنا بكار . فقال : يا بكار ألست قد كنت هاهنا اليوم ؟ فقال : جئت في حاجة مهمّة . ففتح الباب وهو يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله . ثم دخلنا وإذا بشيخ جالس مستقبل القبلة على رأسه سطح كالطّرحة فسلّمنا عليه فردّ علينا السلام . فقال بكار يا سيّدي هذا صبيّ يداوم حضور المجلس ويحبّ الخير، وقد دام مرض عينه فادْع له . فدعاني ، فأتيته ، فأدخل خنصره في فيه ثم مسح عيني به . فبقيت بعد ذلك نحو ستّين سنة لم ترْمد عيني فلما خرجت سألت عنه فقيل لي : هذا أبو بكر الدينوري صاحب ابن سمعون .

توفّي الدينوري في شعبان سنة ثلاثين وأربعمائة .

٣٣٨ ـ أبو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبري[1]

ولد بآمُلَ في سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة . وسافر في طلبِ العلم . سمع من أبي أحمد الغطريفي ، والدارقطني ، والمعافي بن زكريا وغيرهم . وتفقه على أبي الحسن الماسرْجسي وبرع في الفقه . وجمع التقوي إلى العلم . وولي القضاء بربع الكرخ بعد

---

(١) انظر : سير الأعلام (١٧/٦٦٨) .

أبي عبد الله الصيمري ، وقد كان رأى النبي ﷺ في المنام ، فقال له يا فقيه فكان يفرح ويقول : سمّاني رسول الله ﷺ فقيهًا .

قال أحمد بن علي بن ثابت : أنشدني أبو الطيب الطّبري لنفسه :

ما زلت أطلبُ علْم الفقهِ مصطبرًا ... علـى الشـدائد حتى أعـقب الخيـرَا
وكان ما كرّ من درْسٍ ومن سهـرٍ ... في عظْم ما نلْتُ من عُقباه مغتـفرَا
حفظـــت مأثورهِ حفظًا وثقْتُ به ... وما يقـــاس على المأثـور مُعتـــبرَا
صنّــفت فــي كل نوعٍ من مسائله ... غرائب الكتب مبسوطًا ومختصـــراً
أقـــول بالأثـــر المـــرويّ متبعـًا ... وبالقيـــاس إذا لم أعـرف الأثـــرَا
إذا انتضـيْتُ بيانــي عن غوامضه ... حسـرتُ عنها قناع اللّبْس فانحسرَا
وإن تحـــرَّيت طوْقَ الحق مجتهدًا ... وصـلْتُ منها إلى ما أعجزَ الفـكرَا
وكنـــتُ ذا ثـــروة لّما عُنيت بـــه ... فلم أدَعْ ظاهـــرًا منهـــا ومدّخـــرَا
وما أبالـــي إذا ما العلْم صاحبني ... ثم التقى فيه أنْ لا أصـحب البشرَا
ثنـــتْ عنـــاني عنه همةٌ طمحت ... إلى الهوى فاستطابت عنده الصـبرا
أصدى فلا أتصـدي للئيـم ولا ... أبيـــت دون الغنى حزنان منكســرا
إذا أضقْتُ سألت الله ، معـتذرًا ... كفايتـــي فأطاب الـــورْدَ والصّــدرَا

وقرأت بخط الشيخ أبي الوفا بن عقيل قال : حكى لي بعض أهل العلم أن القاضي أبا الطيّب صعد من سميرية وقد تم له عشر المائة ، فقفز منها إلى الشط ، فقال له بعض من حــضر يا سيّدنا لا تفعل هذا فإن أعضاءك تضعف وربما أورث مثلُ هذه الطفرة فتْقًا في المعى . فقال يا هذا إن هذه أعضاءنا حفظناها من معاصي الله فحفظها الله علينا .

وقال أبو الحسن محمد بن أحمد بن عبد الله الفاميّ : ابتدأ القاضى أبو الطّيب الطبرى يدرس الفقه ويتعلم العلْم وله أربع عشرة سنة ، فلم يخلّ به يومًا واحدًا إلى أن مات .

قال الخطيب : وتوفي في يوم السبت لعشر بقين من ربيع الأول سنة خمسين وأربعمائة ، ودفن من الغد في مقبرة باب حرب ، وحضرت الصلاة عليه في المنصور وكان إمامنا في الصــلاة عليه أبو الحسين بن المهتدي ، وبلغ من السن مائة سنة وسنتين وكان صحيح العقل ، ثابت الفهم ، يقضى ويُفتي إلى حين وفاته - رحمه الله .

٣٣٩ ـ أبوالحسن البرداني

كان من الزّهاد المنقطعين بجامع المنصور .

حدثني أبو محمد عبد الله بن علي المقْريء قال : كان أبو الحسن البرداني صالحًا مقيمًا بدار القطّان ، وكان الناس يزورونه فيقول : ترى أيّ شيء زاد فيّ حتى أزارُ ؟ أنا كنت أكارًا ولباسي اليوم لباسي الذي كان ، وأكلي أكلي الذي كان ، وما تركت شيئًا من الدنيا أحمد على تركه فلماذا أُزار ؟ .

قال أبو محمد : وكان بجامع المنصور رجل يقال له ابن عبد العزيز ، من القراء ، فسمعه البرداني يقول يومًا : هؤلاء الحشوية يقولون في القرآن كذا . فبقي مدة لا يصلي خلفه . فلما شاع هذا تعصب له جماعة وجاؤوا بتوقيع من السلطان بتقديمه وتمكينه . فجاء ابن عبد العزيز والناس معه فباتوا بباب البصرة . فقال خادم البرداني له : يا سيدي قد جاء القوم وقد عزموا على تقديمه وتمكينه . فقال : ما يجيئون ، وكيف يجيئون .

فقال ابن عبد العزيز في بعض الليلة : فؤادي يوجَعُني . ومات من ليلته .

٣٤٠ ـ أبو بكر أحمد بن على العلبى

كان يُقريء القرآن ويؤم الناس ويعمل بيده ولا يقبل من أحد شيئًا ، ويذهب بنفسه في كل ليلة إلي دجلة فيأخذ في كوز له ماء يُفطر عليه ويمشي في حوائج نفسه ولا يستعين بأحد ، وكان إذا حج يزور القبور بمكة ويجيء إلى قبر الفُضيل بن عياض ويخطّ بعصاه ويقول: يا رب هاهنا ، يا رب هاهنا .

فاتفق أنه خرج للحج في سنة ثلاث وخمس مائة ، فشهد عرفة محرمًا ، وتوفي عشية ذلك اليوم في أرض عرفات فحُمل إلى مكة وطيف به حول البيت، ودفن يوم منحر إلى جانب الفضيل بن عياض .

٣٤١ ـ أبو المعالى الرجل الصالح

ساكن باب الطاق . قال أبو الحسن بن مالان : وكان ثقة . حدثني أبو المعالي الصالح قال : ضاق بي الأمر في رمضان حتى أكلت فيه رُبْعين باقلّي . عزمت على المضى إلى رجل من ذوي قرابتي أطلبُ منه شيئًا . فنزل طائر فجلس على منكبي وقال : يا أبا المعالي أنا الملك الفلاني ، لا تمض إليه ، نحن نأتيك به فبكر الرجل إليّ .

وحدثني أبو محمد عبد الله بن على المقْريء قال : كنت عند أبي المعالي الصالح فقيل له : جاء سعد الدولة شحْنَةُ بغداد فقال : أغلقوا الباب فجاء فطرق الباب وقال : ها أنا قَدْ نزلت عن دابتي وما أبرح حتى تفتح لي . ففتح له فدخل ، فجعل يوبخه على ما هو فيه وسعد الدولة يبكى بكاءً كثيرًا . فانفرد بعض أصحابه وتاب على يده . وقال لي أبو محمد : كان أبو المعالي لا ينام إلا جالسًا ولا يلبس إلا ثوبًا واحدًا شتاءً كان أو صيفًا ، وكان إذا اشتد البرد عليه يشد المئزر بين كتفيه .

حدثني أبو محمد : أن رجلاً توفّي وسلّم إلى ابن عقيل مالاً وأمره أن يدفعه إلى أبي المعالي الصالح ليقسمه بعد موته . فلما مات الرجل بعث ابن عقيل إلى أبي المعالي بالمال وأخبره بالقصة . فقال : ما أقبل هذه الوصية فعاوده فأبي . فبينما هم على ذلك جاء ولد الميّت فقال : إن أبي أوصى بما لا يخرج من الثلث . فقال ابن عقيل : والله لقد كُوشف ذاك الرجل ، فهو يقبل خمسة أرطال من الخبز ، ولولا أنه كوشف بهذا ما ردّه ، رحمه الله .

٣٤٢ ـ أخو جمادى

كان منقطعًا بباب الطاق ، والناس يزورونه ويتبرّكون به .

حدثني أبو محمد عبد الله بن علي المقْرِيء عن أخي جمادي قال : خرجت في يدي عيون وانتفخت فأجمع الأطبّاء على قطعها . فبتّ ليلة علي سطْح قد رقيت إليه فقلت في الليل : يا صاحب هذا المُلْك الذي لا ينبغي لغيره ، هبْ لي شيئًا بلا شيء فنمت فرأيت رسول الله ﷺ في المنام فقلت : يا رسول الله يدي ، انظرْ إليها . فقال : مُدَّها . فمددْتها فأمرَّ يده عليها وأعادها وقال : قم . فقمتُ وانتبهت والخرق التي شُدّت بها مخانق . فقمت فـــي الليل وذهبت إلى باب الأزج إلى قرابة لي ، فطرقت الباب فقالت المرأة لزوجها : قد مات فلان ، تعنيني ، وظنّت أن مخبرًا قد جاء يخبرها بذلك. فلما فَتحتْ الباب ورأتْني تعجّبتْ . ورجعتُ إلى باب الطاق فرأيت الناس من عند دار السلطان إلى منزلي خلقًا لا يُحصى، معهم الجرار والأباريق ، فقلت : ما لكم ؟ فقالوا : قيل لنا إن رجلاً قد رأى النبي ﷺ هاهنا يتوضأ في بئر . فقلت في نفسي إن مضيت لم يكن لي معهم عيش . فاختفيت في الخرابات طول النهار .

٣٤٣ ـ عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد الأنماطي[1]

ويكنى أبا البركات . سمع الكثير وكتب الكثير . وروي لنا عن أبي محمد الصُّريفيني وابن النقور ، وخلقٍ كثير من القدماء .

وما عـرفنا من مشايخنا أكثر سماعًا منه ، ولا أكثر كتابة للحديث ، ولا أصبر على الإقراء ، ولا أحسن بشْرًا ولقاءً ، ولا أسرع دمعة ولا أكثر بكاء .

ولقد كنت أقرأ عليه الحديث في زمان الصبّا ولم أذق بعد طعم العلْم ، فكان يبكى بكاءً متّصلاً ، وكان ذلك البكاء يعمل في قلبي وأقول : ما يبكي هذا هكذا إلا لأمر عظيم . فاستفدت ببكائه ما لم أستفد بروايته .

---

(١) انظر : سير الأعلام (٢٠/ ١٣٤) .

وكان مجلسه منزّهًا عن غيبة الناس ، وكان - رضي الله عنه - على طريقة السلف ، وكنا ننتظره من يوم الجمعة ليأتي من داره بنهر القلائين إلى جامع المنصور ، فلا يأتي على قنطرة باب البصرة ، وإنما يمرّ على القنطرة العتيقة . فسألته عن سبب هذا . فقال : كانت تلك دار ابن معروف القاضي ، فلما قُبض عليه بُنيت قنطرة .

قال : وحدثنا أبو محمد التميمي عنه أنه أحل من يعبر عليها غير أني لا أفعل.

وكان مولده في رجب سنة اثنتين وستين . وتوفي يوم الخميس الحادي والعشرين من المحرَّم سنة خمس وثلاثين وخمس مائة .

وعدته في مرضه وقد بلِيَ وذهب لحمه ، فقال لي : إن الله عزَّ وجل لا يُتَّهم في قضائه .

ذكر المصطفين من عباد بغداد المجهولين الأسماء

٣٤٤ ـ عابد

عن أبي عبد الله أحمد بن يحيي الجلاّء قال : سمعت أبي يقول : كنت عند معروف في مجلسه فدخل عليه رجل فقال : يا أبا محفوظ رأيت في هذه الليلة عجبًا . قال : وما رأيت رحمك الله ؟ قال اشتهى عليّ أهلي سمكًا فذهبت إلى السوق فاشتريت لهم سمكة وحملتها مع حمّال ، فمشى معي ، فلما سمعنا أذان الظهر قال الحمال : يا عمّ هل لك أن نصلي ؟ فكأنه أيقظني من غفلة . فقلت له : نعم نصلّي .

فوضع الطبق والسمكة عليه على مُستراح ودخل المسجد . فقلت في نفسي ، الغلام قد جاد بالطبق ، أجود أنا أيضًا بالسمكة . فلم يزل يركع حتى أقيمت الصلاة فصلينا جماعة وركع بعد الصلاة وخرجنا . فإذا الطبق على حاله موضوع فجئت إلى البيت وحدثت أهلي بهذا فقالوا لي : قل له يأكلْ معنا من هذا السمك . فقلت له : تأكل معنا من هذا السمك ؟ فقال : أنا صائم . فقلت له: فأفطر عندنا قال : نعم أروني طريق المسجد : فأريته فدخل المسجد وجلس إلي أن صلّينا المغرب .

فجئت إليه وقلت له : تقوم رحمك الله ؟ فقال : أو نصلي عشاء الآخرة . فقلت في نفسي هذه ثانية . يريد أن فيه خيرًا .

فلما صلّينا ، جئت به إلى منزلي ولنا ثلاث أبيات : بيت فيه أنا وأهلي ، وبيت فيه صبيّة مقعدة ولدتْ كذلك ، لها فوق العشرين سنة ، وبيت كان فيه ضيفنا .

فبينا أنا مع أهلي إذ دقَّ داقٌ الباب في آخر الليل ، فقلت : من يدقّ الباب ؟ فقالت: أنا فلانة . فقلت : فلانة قطعة لحم مطروحة في البيت ، كيف يستوي لها أن تمشي ؟

فقالت : أنا هي ، افتحوا لي ففتحنا لها فإذا هي . فقلت : أيّ شيء الخبر ؟ فقلت : سمعتكم تذكرون ضيفنا هذا بخير فوقع في نفسي أن أتوسل إلي الله - عز وجل - به فقلت : اللهم بحق ضيفنا هذا وبجاهه عندك إلا أطلقت أسْري : فاستويتُ وقمت وأنا في عافية كما تروْني .

فقمت إليه أطلبه في البيت فإذا البيت خالٍ ليس فيه أحد فجئت إلى الباب فوجدته مغلقًا بحاله فقال معروف : نعم ، فيهم صغار وكبارٌ . يعني الأولياء .

٣٤٥ ـ عابد آخر مجذوم

أبو عبد الله البراثي قال : قال خلف البرزالي : أتيت برجل مجذوم ذاهب اليدين والرجليْن أعمى ، فجعلته مع المجذومين . فغفلت عنه أيامًا ثم ذكرته فقلت : يا هذا إني غفلت عنك فكيف حالك ؟ فقال لي حبيبى ومن أنا أحبه فقد أحاطت محبّته بأحشائى فلا أجد لما أنا فيه من ألم مع محبته لا يغفل عني .

فقلت له : إني نسيت . فقال : إنّ لي من يذكّرني ، وكيف لا يـذكر الحبيب حبيبه وهو نصب عينيه تائه العقل والقلب ؟ قلت له : ألا أزوّجك امـرأة تنظّفك من هذه الأقذار؟ قال : فبكي ثم تنفس ورمى ببصره نحو السماء وقال : يا حبيب قلبي . ثم أُغمي عليه .

فأفاق فقلت : ما تقول ؟ فقال : كيف تزوّجني وأنا مالك الدنيا وعروسها ؟ قلت : أي شيء الذي عندك من مُلك الدنيا وأنت ذاهب اليدين والرجليْن ، أعمى ، تأكل كما تأكل البهائم ؟ قال : رَضِيَ عني سيدي إذ أبلى جوارحيَ وأطلق لساني بذكره .

قال : فوقع منّي بكل موقع فما لبث إلا يسيرًا حتى مات . فأخرجت له كفنًا فيه طولٌ، فقطعت منه . فأتيت في منامي فقيل لي : يا خلف بخلت على وليٍّ ومحبّي بكفن طويل ؟ قد رددْنا عليك كفنك وكفّنّاه عندنا بالسندس والإستبرق . قال : فصرتُ إلى بيت الأكفان فإذا الكفن مُلقَى .

٣٤٦ ـ عابد آخر

قال إبراهيم الآجري الكبير : كنت يومًا قاعدًا على باب المسجد في يوم شاتٍ إذ مرّ بي رجل عليه خرْقتان فظننت أنه من هؤلاء الذين يسألون . فقلت في نفسي : لوْ عمل هذا بيده كان خيرًا له . قال : ومضي الرجل .

فلما كان الليل أتاني ملكان فأخذا بضبْعي (١) ، ثم أدخلاني المسجد الذي كنت علي

---

(١) الضبع : العضد .

بابه قاعدًا ، فإذا رجل نائم عليه خرقتان . فكشف لي عن وجهه فإذا هو الذي مرّ بي . فقالا لي : كلْ لحمه . فقلت : ما اغتبتُه . قالا لي : بلى حدثت نفسك بغيبته ، ومثلك لا يرضى منه بمثل هذا . قال : فانتبهت فزعًا فمكثت ثلاثين يومًا أقعد على باب المسجد لا أقوم إلا لفرْض ، أنتظر أنْ يمرّ بي فأستحلّه .

فلما كـان بعد الثلاثين مرّ بي على حاله والخرْقتان عليه . فوثبت إليه فغمز وغمزت خلفه ، فلما خفت أن يفوتني قلت : يا هذا قف أكلّمك . قال : فالتفت إليّ ثم قال : يا إبراهيم وأنت أيضًا ممن يغتاب المؤمنين بقلبه ؟ قال : فسقطت مغشيًا عليّ . قال : فأفقت وهو عند رأسي فقال : أتعود ؟ قلت : لا . ثم غاب عن عيني فلم أره بعد ذلك .

٣٤٧ ـ عابد آخر

قال الجنيد : أرقت ليلة فرمتُ السكون فما وجدته . ثم اجتهدت في قضاء ورْدٍ كان لي فلم أقدر . ثم حرصت على دراسة شيء من القرآن فلم أقدر ، فوقع بي انزعاج شديد فأخذت ثوبي على كتفي ثم انصرفت وذاك آخر الليل . فلما توسطت الدرب عثرت بإنسان ملتفّ في عباء فرفع رأسه وقال : إلى الساعة ؟ فقلت : سيدي عن موعد تقدم ؟ فقال : لا ، ولكن سألت محرّك القلوب أن يحرّك لي قلبك . فقلت : قد فعل حاجة ؟ قال : نعم قلت : ما هي ؟

قال يا أبا القاسم متى يكون الداءُ دواءً ؟ فقلت : إذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواءها . قال : فتنفس وقال : قد أجبتها بهذا الجواب الليلة سبع مرات . فقالت : لا أو أسمعه من جنيد ، ها قد سمعت منه . ثم مضى فما رأيته بعد ذلك .

٣٤٨ ـ عابد آخر

عبيد الله بن عبد الله قال : كنت عند الجنيد يوم قدمَ أبو حفص النيسابوري فوثب إليه الجنيد وعانقه ، فقال للجنيد : دعني من المعانقة ، عندك شيء تطعمني ؟ فقال له : أيّ شيء تومي ؟ فعيَّن له على شيء يطبخ فالتفت الجنيد إلى ابن زيري فقال : قد سمعت : فمضى ابن زيري فغاب ساعة ثم عاد ومعه ما أراد . فقال الجنيد لأبي حفص : قد حضر ما ذكرت . فقال : يا أخي قد أحببت أن أوثر به ، أتساعدني ؟ فقال له : أحب ما تحب . فقال الجنيد لابن زيري : قد سمعت فأنفذه إلى مستحقّ فأقبل ابن زيري إلى الحمال فقال : أمش بين يديّ وحيث أعييتَ فقف . فمشى الحمال ساعة ووقف بين دارين فدقَّ ابن زيري أقـرب الدارين إلى الحمال فإذا نداء من داخل الدار : ادخل إن كان معك كذا كذا وإلا فلا ، وعيَّن علي ما كان مع الحمال . قـال : ففتحـت الباب فإذا شيخ قاعد وخيش مرسل على باب ، فوضعت ما كان مـع الحـمال بين يدي الشيخ وصرفت الحمّال وقعدت .

فقال لي : وراء هذا الخيش صبيان وبنات يحتاجون إلى هذا الطعام . فقلت له : لا أنصرف أو تخبرني بالحال . فقال : هؤلاء الصبيان يسألوني هذا الطعام منذ مدّة ولم تسامح نفسي أن أسأل الله تعالى ، فوجدت البارحة مسامحة أن أسأل فجعلت علامة إجابة الله إياي وجود المسامحة من السؤال ، فلما دققت الباب علمت ما معك .

٣٤٩ ـ عابد آخر من بعض قرى بغداد

بلغنا عن جُنيد قال : سمعت السريّ بن المغلس يقول : إن في قرى بغداد لأولياء لا يعرفهم الخلْق . قال : وكنت أدور في القرى لعلي أجد منهم واحدًا فبينا أنا يومًا في بعض القرى دخلت مسجدًا فرأيت فيه شابًا ساكتًا فتقدّم إليّ ، وقال لي أتأذن أن أسألك مسألة ؟ فقلت : هات . فقال : مسألة ، فسأل مسألة من أحوال القلب دقيقة فأجبته فقلت له : يقع لك مثل هذه المسألة ؟ فقال : كثير . فقلت : كيف تعمل ؟ قال : أنا إنسان قد لازمت هذا الموضع فإذا وقع لي مثل هذه المسألة قيض الله لي وليًا مثلك فيجيبني . فعلمت صدق قول السري .

٣٥٠ ـ عابد آخر

أبو جعفر السقاء قال : خرجت يوما من بيتي في يوم مطير فإذا أسْود مطروح علي المزبلة مريـــض فجررته فأدخلته إلي بيتي . فلما أمسينا دعاني فقال : يا أبا جعفر لا تفسد ما صنعت ، اقعد عندي . قال : وفاح البيت بريح المسك وصار ريح جبتي وكسائي وجرتي وكوزي وكل شيء في البيت ريح المسك . قال : فقال اقعد عندي : قال : ثم قال بيده: هكذا ، لا تضيّق على جلسائي . قال: فسمعته يقول : (آنْدَكْ آنْدك يا بارْ خُداه) [1] أي: ارفقْ بي يا مولاي ، قال : ثم خرجت نفسه . قال : قلت : أبيع كسائى ، أبيع جبتي فأشتري له كفنًا . قال : فطرق بابي قريب من سبعين إنسانًا ، كل يقول : يا أبا جعفر مات عندك إنسان يحتاج إلى كفن .

٣٥١ ـ عابد آخر

عن أبـــي الحسن بن خيرون صاحب أبي بكر عبد العزيز قال : قال لي أبو بكر عبد العزيز :

كنت مع أستاذي ، يعني أبا بكر الخلال ، وأنا غلام مشتدٌ . فاجتمع جـــماعة يتذاكرون بعد عشاء الآخرة . فقال بعضهم لبعـــض : أليس مقبل يعني رجلاً أسود كـان ناطورًا بباب حرب لنا مدة ما رأيناه ؟ فقاموا يقصدونه . وقال لي أستاذي ، يعني

(١) كلمات فارسية .

الخلال: لا تبرح ، أحفظ الباب . فتركتهم حتى مضوا وأغلقت الباب وتبعتهم فلما بلغنا بعض الطريق قال أستاذي : هو ذا أرى وراءنا شخصًا آخر ، قفوا فقالوا لي : من أنت؟ فأمسكت فزعًا من استاذي. فقال أحدهم لأستاذي : بالله عليك إلا تركته فتركني ، ومضيت معه فدخلنا إلى قراح فيها باذنجان مملوء والأسود قائم يصلّي فسلموا وجلسوا إلى أن سلّم وأخرج كيسًا فيه كِسَر يابسة وملْح جريش . قال : كلوا فأكلوا وتحدثوا وأخذُوا يذكرون كرامات الأولياء وهو ساكت .

فقال واحد من الجماعة : يا مقبل قد زرناك فما تحدّثنا بشيء ؟ فقال : أيّ شيء أنا وأيّ شيء عندي أحدّثك ؟ أنا أعرف رجلاً لو سأل الله تعالي أن يجعل هذا القراح الباذنجان ذهبًا لفعل .

فوالله ما استتم الكلام حتى رأينا القراح يتّقد ذهبًا فقال له أستاذي ، يعني الخلال : يا مقبل ، لأحد سبيلٌ أن يأخذ من هذا القراح أصلاً واحدًا ؟ فقال له: خذ وكان القراح مسْقيًا . فأخذ أستاذي الأصل فقلعه بعروقه وجميع ما فيه ذهبًا . فوقعت من الأصل باذنجانة صغيرة وشيء من الورق ، فأخذته وبقاياه معي إلى يومي .

قال : ثم صلّى ركعتين وسأل الله تعالى فعاد القراح كما كان ، وعاد مكان ذلك الأصل أصل باذنجان آخر .

٣٥٢ ـ عابد آخر

محمد بن داود الرقيّ قال : كنت مارًا ببغداد وإذا بعض الفقراء يمرّ في الطريق وإذا مغنّ يغنّي ويقول :

أمدّ كـــــفيّ بالخضوع　　إلى الذي جاد بالصنيع

قال فشهق الفقير شهقة خرّ ميتًا .

قال المؤلف : وقد رويت لنا عن الرقي عن غيره .

الحسين بن محمد قال : سمعت الرقي يقول : سمعت العسقلاني يقول : كنت مارًا ببغداد فإذا أنا ببعض الفقراء مارًا في الطريق ومغنّ يغنيّ ويقول :

أمـــدّ كفـــيّ بالخضـــوع　　إلى الذي جاد بالصنيع

قال : فشهق الفقير شهقةً خرّ ميتًا .

٣٥٣ ـ عابد آخر

بلغنا عن أبي الصَّوفي قال : دخلت في يوم عيد على بعض مشايخنا فرأيت عنده خلاً وهنْدَباء فاشتغل قلبي وخرجت فدخلت على بعض أهل الدنيا فأخبرته فدفع إليّ صـــرّة

فيها دراهم وقال : احملها إليه . فقلت : جئت بها لتستعين بها على وقتك . قال : وما الذي رأيت من حالي ؟ قلت له : رأيت عندك خلاً وهندبًا فقال : كأنك افتقدت ذلك لو كان في بيتي امرأة كنت تفتقدها قم فوالله لا كلّمتك شهرًا .

فخرجت فضرب الباب في وجهي فسال الدم . فأتيت الشبلي فقلت له يا أبا بكر : رجل مشى في طاعة الله فانفتح وجهه ما سبب هذا ؟ فقال : لعله أراد أن يأتي إلى شيْء صاف يكدّره .

٣٥٤ ـ عابد آخر

عن أبي الحسين بن سمعون قال : اجتزت يومًا على الصّراة [١] ، فرأيت امرأة تلتقط ورق البقل الذي يأتي على الماء ، فقلت : لا شك أن هذه امرأة فقيرة فوقفتُ حتى رجعتْ . فتبعتُها ، فأتت إلى دار فدخلتْ فرجعتُ إلى بيتي ، فما استقر بي المنزل حتى أتاني خادم معه دنانير ودراهم فقال : ادفع هذا إلى محتاج .

فأخذته وقمت فأتيت بيت المرأة فطرقت الباب فخرج رجل من خواصّ مجلسي ومن الملازمين لي فلما رآني قال : ما لك هكذا ؟ فقلت : جئتكم بهذه الدنانير تستعينون بها على الوقت . فنظر إلى مغضبًا وقال : يا شيخ تحذّرنا من الدنيا وتأتينا بها . ثم ردّ الباب في وجهي ودخل فرجعت منكسرًا إلى بيتي .

ثم قلت في نفسي : لا بد أن أعود إليه فأعتذر فأتيته في اليوم الثاني فطرقت الباب مرارًا فلم يجبني أحد ، وإذا امرأة من الجيران تقول : ما لك يا رجل ؟ فقلت لها : ما فعل أهل هذه الدار ؟ فقالت : كان في هذه الدار رجل مع والدته وكنا نتبرك بهم فجاء بالأمس شيطان فكلّمهم بما كرهوا فانتقلوا عنا .

قال : فعدت وأنا شديد الحزن على ما فعلت وجعلت أتفقد مجلسي ولا أرى الرجل .

فلما كان يوم عرفة وأنا أتكلم على الناس رأيته في أواخرهم . فلما انقضى المجلس مضيت إليه وسلّمت عليه فرد علي وقال : لا تُعدْ ما فات ، ولا تقل شيئًا ، فلولا أني أعتقد كلامك دواء لقلبي لم أحضر وإنما غبتُ عنكَ لأنا انتقلنا إلى مكان آخر حتى لا نُعرف . فقلت : ما أتيتُ إلا معتذرًا وما أعود . ثم فارقته .

ذكر المصطفين من عقلاء المجانين ببغداد

٣٥٥ ـ سعدون المجنون

قال يحيى بن أيوب : خرجت يومًا إلى مقابر باب خراسان ، ثم جلست في موضع

---

(١) نهر ببغداد .

أرى منه من يدخل المقابر . فنظرت إلى رجل دخل المقابر مقنّعًا فجعل يجول في المقابر كلما رأى قبرًا محفورًا أو منخسفًا وقف عليه وبكى .

فقمت رجاء أن أنتفع به ، فلما صرت إليه إذا هو سعدون المعتُوه وكان يكون في كوخ مقابر عبد الله بن مالك . فقلت له : يا سعدون أيَّ شيء تصنع ؟ فقال: يا يحيى هل لك في أن تجلس فنبكي على بلى هذه الأبدان قبل أن تبلي فلا يبكي عليها باكٍ ؟ ثم قال: يا يحيى البكاء من القدوم على الله عز وجل أولى بنا من البكاء على بِلَى الأبدان ثم قال : يا يحيى : ﴿ **وإذا الصُّحُف نُشِرَت** ﴾ [1] ثم صاح صيحة شديدة وقال : واغوثاه بالله مما يقابلني في الصحف . قال يحيى : فغشى عليّ فأفقت وهو جالس يمسح وجهي بكمّه وهو يقول : يا يحيى من أشرف منك لو مُتّ ؟ .

قال الفتح بن شخرف : كان سعدون صاحب محبة لله ، صام ستّين سنة حتى خف دماغه فسماه الناس مجنونًا لتردّ قوله في المحبة فغاب عنا زمانًا فبينا أنا قائم على حلقة ذى النون رأيته عليه جبة صوف وعليها مكتوب : لا تباع ولا تشترى فسمع كلام ذي النون فصرخ وأنشأ يقول :

ولا خير في شكوى إلى غير مشتكي   ولا بدّ من سلوى إذا لم يكن صبر

أحمد بن عبد الله بن ميمون قال : سمعت ذا النون المصريّ يقول : خرج الناس إلى الاستسقاء بالبصرة فخرجت فيمن خرج فبينا أنا مارّ بين الناس إذا بيديْن قبضتا على رجلْي فقلت من أنت ؟ خلّ عني . فقال : أنا سعدون المجنون أين تريد يا أبا الفيض ؟ قلت أريد المصلّى أدعو الله تعالى ، فقال : بقلب سماويّ أو بقلب جاف ؟ فقلت : بقلب سماوي . قال : انظر يا ذا النون لا تبهرَجْ ، فإن الناقد بصير . وقال تدعو الله وأؤمن على دعائك أو أدعو الله وتؤمن على دعائى ؟ فقلت : تدعو أنت وأؤمن عليه .

قال : فصفّ قدميه ثم قال إلهي بحق البارحة إلا أمطرْتنا قال ذو النون : لقد رأيت الغيوم قد ارتفعت عن اليمين والشمال حتى التقت ، فجاءنا المطر كأفواه العزالي فقلت له: بحق معبودك أيّ شيء كان بينك وبين الله البارحة ؟ فقال لي لا تدخل بيني وبين قُرّة عيني قلت لا بد أن تخبرني فأنشأ يقول :

أنستُ به فلا أبغي سواهُ   مخافة أن أضلّ فلا أراهُ
فحسبك حسرةً وضنىً وسُقْمًا   بطرْدك عن مجالس أولياهُ

قال ذو النون : رأيت سعدونًا في المقبرة في يوم حارّ ، وهو يناجي ربه عز وجل

(١) سورة التكوير آية : ١٠ .

بصوت عالٍ ويقول أحد أحد فاتّبعته فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت له بحق من تناجيه إلا وقفت لي وقفة . فوقف وقال لي قُل وأوجز فقلت : أوصني بوصية أحفظها عنك أو تدعو لي بدعوة فقال :

يا طالب العلم ههنا وهنا ومعدنُ العلم بين جنبيكا
إن كنت تبغي الجنان تدخُلها فأذرف الدمع فوق خديكا
وقُمْ إذا قام كل مجتهد وادْعُ لكيما يقول : لبيكا

قال : ثم مضى فقال : يا غياث المستغيثين أغثني . قلت له : ارفق بنفسك ، فلعله يلحظك بلحظة فيغفر لك . فنفض يده من يدي وعدا يقول :

أنِسْتُ به فلا أبغي سواهُ مخافة أن أضلَّ فلا أراهُ
فحسبك حسرةً وضنىً وسُقْمًا بطردِكَ عن مجالس أولياهُ

قال الأصمعي : مررت بسعدون المجنون فإذا هو جالس عند رأس شيخ سكران يذبّ عنه . فقلت له : سعدون ما لي أراك جالسًا عند رأس هذا الشيخ؟ فقال : إنه مجنون فقلت له أنت المجنون أو هو ؟ قال لا بل هو قلت : من أين قلت ذلك ؟ قال : لأني صلّيت الظهر والعصر جماعة وهو لم يصل جماعة ولا فرادى . فقلت له : فهل قلت في ذلك شيئا فأنشأ يقول :

تركت النبيذ لأهل النبيذِ وأصبحتُ أشرب ماءً قراحا
لأن النبيذ يذلُّ العزيزَ ويكسو الوجوه النضَار الصّباحا
فإن كان ذا جائزًا للشباب فما العذر فيه إذا الشيب لاحا ؟

فقلت له : صدقت وانصرفت .

قال صالح المري : قرأت بين يدي سعدون المجنون ﴿ **كأنهنّ الياقوتُ والمرجان**﴾ (١) فصرخ ثم قال ملاّح والله . ثم أنشأ يقول :

إن في الخلد جارية هي حسنٌ كما هيه
لو تراها على النما رق بالغُنْج ماشيةْ
لتمنيت أنها لك ما عشت باقيه
كتبت في شقائق الخدّ سطرًا بغاليه
أنا للزّاهد الذي عينُه الدهر باكيَةْ

(١) سورة الرحمن آية : ٥٨ .

٣٥٦ ـ بهلول

سَرِيّ السقطي قال : اجتزت يومًا بالمقابر فإذا أنا ببهلول قد دلّى رجليْه في قبر وهو يلعب بالتراب . فقلت : أنت ههنا ؟ قال : نعم أنا عبد قوم لا يؤذونني ، وإن غبت عنهم لا يغتابوني . فقلت : يا بهلول ، الخبز قد غلا . فقال : والله ما أبالي ولو حبة بمثقال : إنّ علينا أن نعبده كما أمرنا وعليه أن يرزقنا كما وعدنا ثم ولّى عني وهو يقول:

يا مـــن تمتَّع بالدنيـــا وزينتهـــا   ولا تنامُ عن اللذّات عيناهُ

أفنيت عمرك فيما لست تُدركه   تقول لله ماذا ؟ حين تلقاه

عن سري السقطي قال : خرجت يومًا إلى المقابر فرأيتُ بهلولاً قد دلّى رجليه في قبر وهو يعبث بالتراب ، فقلت له : أيّ شيء تصنع ههنا ؟ فقال : أنا عند قوم لا يؤذوني، وإن غبتُ عنهم لا يغتابوني . فقلت : لا تكون جائعًا ؟ فولّى وأنشأ يقول :

نجوعُ فإن الجوع من علم التُّقي   وإن طويلَ الجوع يومًا سيشبعُ

فقلت له : إنّ الخبز قد غلا . فقال : والله ما أبالي ولو بلغت حبةٌ بمثقال ، علينا أن نعبده كما أمر وعليه أن يرزقنا كما وعد . ثم ولّى وهو يقول :

أفٍّ لدنيا فليست لي بدارٍ   إنّمـــا الراحة في دار القرار

أبتِ الساعات إلاّ سـرعةً   في بِليَ جسمي بليلٍ ونهـار

عن الفضل بن الربيع قال حججت مع هارون الرشيد ، فمررنا بالكوفة فإذا بهلولٌ المجنون يهذي ، فقلت : اسكت فقد أقبل أمير المؤمنين . فسكت . فلما حاذاه الهودج قال : يا أمير المؤمنين حدَّثني أيمن بن نابل قال : أنبأنا قدامة بن عبد الله العامري قال : رأيت النبي ﷺ بمنى على جمل وتحته رحْل رثّ فلم يكن ثمَّ طردٌ ولا ضرْب ولا إليك إليك . قلت يا أمير المؤمنين إنه بهلول المجنون . قال: قد عرفته ، قل يا بهلول فقال : يا أمير المؤمنين .

هَب أنّك قد ملكت الأرض طُرًا   ودانَ لك البلادُ فكان ماذا ؟

أليـــس غـــدًا مصـــيرُك تُـــرْبٍ   ويحثو التُرْبَ هذا ثُم هذا ؟

قال : أجدت يا بُهلول ، أفغيره ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، من رزقه الله جمالاً ومالاً فعفَّ في جماله ، واتّقى في ماله ، كتُب في ديوان الأبرار .

قال : فظن أنه يريد شيئًا . قال فإنّا قد أمرنا بقضاء ديْنك . قال لا تفعل يا أمير المؤمنين، لا تقض دينًا بدَيْن ، ارددُ الحق إلى أهله واقض دَيْن نفسك من نفسك .

قال : إنا قد أمرنا أن تُجرى عليك جراية . قال : لا تفعل يا أمير المؤمنين ، لا يعطيك وينساني ، أجرى عليّ الذي أجري عليك لا حاجة لي في جرايتك .

٣٥٧ ـ مجنون آخر يقال له أبو علي (المعتوه)

خلف بن سالم قال : قلت لأبي علي المعتوه ، وكان ينزل في المُخرِّم : يا أبا علي ألك مأوى ؟ قال : نعم . قلت : وأين مأواك ؟ قال في دار يستوي فيها العزيز والذليل. قال : قلت له : وأين هذه الدار قال : المقابر . قلت يا أبا عليّ ما تستوحش في ظُلم الليل ؟ قال : إني أكثر ذكْر ظُلم اللحدّ ووحشته ، فهوَّن علي ظُلمَ الليل . قلت له : فربما رأيت في المقابر شيئًا تنكره : قال : ربما، ولكن في هوْل الآخرة ما يشغل عن هول المقابر .

قال الأشهلي : قلت لأبي : يا أبة مثل هذا الكلام الجيد الصحيح يتكلم به مجنون ؟ قال : يا بني هؤلاء قوم كان لهم فضل ودين ومعرفة ، فزالت عقولهم وبقي ذلك الفضل. فلم يختلط فيما اختلط .

٣٥٨ ـ مجنون آخر

أبو بكر الشبلي قال : رأيت يوم الجمعة معتوهًا عند جامع الرصافة قائمًا عُريانًا وهو يقول : أنا مجنونُ الله ، أنا مجنونُ الله . فقلت له : لِمَ لا تدخل الجامع وتتوارى وتصلي ؟ فأنشد :

يقولون زُرنا واقـض واجب حقنا ... وقد أسقطتْ حالي حقـوقهم عني
إذا هُمْ رأَوْا حالي ولم يأنفوا لها ... ولـم يأنفوا منهـا أنِفْتُ لهمْ مني

٣٥٩ ـ مجنون آخر

قال لي ابن القصاب الصوفي البغدادي دخلنا جماعة إلى المارستان فرأينا فيه فتى مصابًا شديد الهوس ، فولعنا به ، وزدنا في الولع فأتعبناه فصاح وقال : انظر إلى شعور مطرَّرة وأجساد معطَّرة ، قد جعلوا الولع بضاعة ، والسخف صناعة ، جانبوا العلم رأساً . فقلنا له تحسن العلم ؟ نسألك . فقال ، إيْ والله إني لأحسنُ علْمًا جمًا فسلوني . فقلت له : من السخيُّ في الحقيقة ؟ فقال . الذي رزق أمثالكم وأنتم لا تساوون قُوت يوم فضحكنا وقلنا : من أقل الناس شكرًا ؟ قال من عُوفي من بلّيه فرآها في غيره فترك العِبْرة والشكر إلى الطنز [1] واللهو فكسر قلوبنا بذلك .

---

(١) الطنز : السخرية .

فقال له آخر : ما الظَّرف ؟ قال : خلاف ما أنتم عليه . ثم بكى وقال يا ربّ إن لم ترد عليّ عقْلي فرُدَّ عليَّ يدي لعلّي كنت أصفع واحدًا من هؤلاء .

فتركناه وانصرفنا .

ذكر المصطفيات من عابدات بغداد

٣٦٠ ـ جوهرة العابدة البراثيه

نَزَلَتْ براثًا مع زوجها أبي عبد الله البراثي .

حكيم بن جعفر قال : كانت جوهرة امرأة أبي عبد الله البراثي جارية لبعض الملوك فعتقتْ فخلعت الدنيا ولزمت أبا عبد الله البراثي ، فتزوج بها وتعبّدت .

أبو عبد الله البراثي قال : قالت لي جوهرة يومًا : يا أبا عبد الله النساء يحلين في الجنة إذا دخلْنها ؟ قلت : نعم . قال : فصاحت صيحة غُشي عليها . فلما أفاقت قلت: ما هذا الذي أصابك ؟ قالت : ذكرت حالي تلك وما كنتُ قد نلت من الدنيا فخشيتُ والله حرمان الآخرة .

أبو عبد الله البراثي قال : رأت جوهرة في منامها خيامًا مضروبة فقالت : لمن ضُربت هذه الخيام ؟ فقيل : للمتهجّدين بالقرآن . فكانت بعد ذلك لا تنام .

عن أبي عبد الله البراثي قال : كانت جوهرة تنبّهني من الليل وتقول : يا أبا عبد الله « كارْوان رَفْت » معناه : قد سارت القافلة .

حكيم بن جعفر قال : كنا نأتي أبا عبد الله بن أبي جعفر الزاهد ، وكان يسكن براثًا ، وكانت له امـرأة متعبدة يقال لها جوهرة ، وكان أبو عبد الله يجلس على جلَّة خوصٍ بحرانية ، وجوهرة جالسة حذاءه على جلة أخرى مستقبلةً القبلة في بيت واحد . قال : فأتيناه يومًا وهو جالس على الأرض ليست الجلة تحته . فقلنا : يا أبا عبد الله ما فعلت بالجلة التي كنـت تقعد عليها ؟ قال : إن جوهرة أيقظتْني البارحة فقالت : أليس يقال في الحـديث : إن الأرض تقـول لابـن آدم : تجـعل بيني وبينك سترًا وأنت غدًا في بطني؟ قال : قلت : نعم . قالت:فأخـرجْ هذه الجلال لا حاجة لنا فيها . فقمتُ والله فأخرجتُها .

٣٦١ ـ زوجة أبي شعيب البراثي العابد

الجنيد بن محمد قال : كان أبو شعيب البراثي أول من سكن براثًا في كوخٍ يتعبد فيه، فمرت بكوخه جارية من بنات الكبار من أبناء الدنيا ، كانت رُبيت في قصور الملـوك، فنظرت إلى أبي شعيب فاستحسنتْ حاله ، وما كان عليه ، فصارت كالأسير له، فعزمت

على التجردّ من الدنيا والاتصال بأبي شعيب . فجاءت إليه وقالت : أريد أن أكون خادمة. فقال لها : إن أردت ذلك فغيّري هيئتك، وتجردي عما أنت فيه حتى تصلحي لما أردت . فتجرَّدتْ عن كل ما تملكه ولبست لبسة النسّاك وحضرته فتزوجها . فلما دخلت الكوخ رأت قطعة خصاف كانت مجلس أبي شعيب ، تقيه من الندي ، فقالت : ما أنا مقيمة فيه . حتى تُخرج ما تحتك لأني سمعتك تقول : إن الأرض تقول لابن آدم: تجعل اليوم بيني وبينك حجابًا وأنت غدًا في بطني ؟ فما كنتُ لأجعل بيني وبينها حجابًا. فأخذ أبو شعيب الخِصاف ورمي بها . فمكثتْ معه سنين كثيرة يتعبّدان أحسن عبادة ، وتوفّيا على ذلك متعاونينْ .

قال المؤلف : قد ذكرنا عن جوهرة العابدة مثل هذه الحكاية ، وهذا قد اتفق لهاتين المرأتين ، فلا نظن أن الحكايتين واحدة .

٣٦٢ ـ أخوات بشر الحافى

وهنّ ثلاث مُضْغة ، ومُخّة ، وزبدة بنات الحارث ، وأكبرهن مضغة .

قال السلمي : أخوات بشْر مُخّة وزبدة ومضغة . وكانتْ زبدة تكنى أم عليّ .

وكانت « مضغة » أخت بشرُ أكبر منه ، وماتت قبله ، وقيل : لما ماتت مضغة توجّع عليها بشر توجعًا شديدًا وبكي بكاء كثيرًا . فقيل له في ذلك فقال قرأت في بعض الكتب أن العبد إذا قصّر في خدمة ربه سلبه أنيسه ، وهذه كانت أنيستي من الدنيا .

قال الخطيب : وذكر إبراهيم الحربي أن بشْرًا قال : هذا يومُ ماتت أخته مُخّة ، والله أعلم .

أبو عبد الله بن يوسف الجوهري قال : سمعت بشر بن الحارث يوم ماتت أخته يقول: إن العبد إذا قصّر في طاعة الله عز وجل سلبه من يؤنسه .

أبو عبد الله القحطبي قال : كان لبشْر أخت صوّامة قوّامة .

غيلان القصائدي قال : قال بشر بن الحارث تعلّمت الورع من أختي فإنها كانت تجتهد ألا تأكل ما للمخلوق فيه صُنع .

عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : كنت مع أبي يومًا من الأيام في المنزل فدقّ دَاقٌّ الباب فقال لي : اخرجْ فانظر من بالباب ؟ فخرجت فإذا امرأة ، فقالت لي: أستأذن لي على أبي عبد الله : قال فاستأذنته . قال : أدخلْها . قال : فدخلتْ فسلّمت عليه وقالت له : يا أبا عبد الله أنا امرأة أغزل بالليل في السراجُ فربما طفىء السراج فأغزل في القمر

فعليّ أن أبيّن غزْل القمر من غزْل السراج ؟ قال : فقال لها : إن كان عندك بينهما فرق فعليك أن تبيّني ذلك . قال : قالت : يا أبا عبد الله أنين المريض شكوى ؟ قال : أرجو ألاّ يكون ، ولكنه اشتكاء إلى الله عز وجل . قال فودعتْه وخرجت : فقال : يا بنيّ ما سمعت قطّ إنسانًا يسأل عن مثل هذا. اتْبع هذه المرأة فانظر أين تدخل ؟ قال : فاتّبعتها فإذا قد دخلت إلى بيت بشْر بن الحارث وإذا هي أخته قال : فرجعت فقلتُ له ، فقال : مُحال أن تكون مثلُ هذه إلا أختَ بشْر.

قال المصنف : قلت هذه المرأة التي سألتْ أحمد هي مُخّةُ وقد نقلت عنها حكاية سُمّيت فيها تشبه هذه الحكاية .

عبد الله بن أحمد بن حنبل ببغداد قال جاءت مُخّة أخت بشر بن الحارث إلى أبي فقالت: إني امرأة رأس مالي دانقان، أشتري القُطن فأغزله وأبيعه بنصف درهم، فأتقوّت بدانق من الجمعة، فمرّ ابن طاهر الطائفُ ومعه مشعل، فوقف يكلّم أصحاب المسالح فاستغنمتُ ضوء المشعل فغزلت طاقات، ثم غاب عني المشعل، فعلمت أنّ لله فيَّ مطالبة، فخلّصني خلّصك الله فقال لها تخرجين الدانقين ثم تبقين بلا رأس مال حتى يعوّضك الله خيرا منه .

قال عبد الله : قلت لأبي : يا أبت لو قلت لها لو أخرجت الغزل الذي أدرجت فيه الطاقات ؟ فقال : يا بني سؤالها لا يحتمل هذا التأويل . ثم قال : من هذه ؟ قلت مُخّة أخت بشر بن الحارث . فقال : من ها هنا أُتيت .

قرأت بخط أبي علي الراذاني قال : كانت مُخّة من بين أخوات بشر تقصد أحمد بن حنبل وتسأله عن الورع والتقشّف ، وكان أحمد يعجب بمسائلها .

السلمي قال : قالت زبدة أخت بشْر : أثقل شيء على العبد الذنوبُ ، وأخفُّه عليه التوبةُ ، فما له يدفع أثقل شيْء بأخف شيْء ؟ .

٣٦٣ ـ امرأة عبد الله بن الفرج العابد

أبو بكر محمد بن الحسين الآجري قال : بلغني أن عبد الله بن الفرج لما مات لم تُعْلم زوجتُه إخوانه بموته ، وهم جلوس بالباب ينتظرون الدخول عليه في علته فغسلته وكفنته في كساء له وأخذت فَرْدَ باب من أبواب بيته وجعلته فوقه وشدّته بشريط ثم قالت لإخوانه. قد مات وقد فرغت من جهازه .

فدخلوا واحتملوه إلى قبره وأغلقت الباب خلفهم .

٣٦٤ ـ ميمونة أخت إبراهيم بن أحمد الخواص لأمه

كانت تسلك مسلك أخيها إبراهيم في الزهد والتقلّل والورع والتوكل .

أحمد بن سالم قال : دقّ دَاقٌ باب إبراهيم الخوّاص ، فقالت له أخته مـن تطلب ؟

فقال : إبراهيم الخواص . فقالت : قد خرج . فقال : متى يرجع فقالت : مَن رَوْحه بيد غيره من يعلم متى يرجع ؟ .

٣٦٥ ـ مؤمنة بنت بهلول

عيسى بن إسحاق الأنصاري قال سمعت مؤمنة بنت بهلول تقول ما النعيم إلا في الأنس بالله ، والموافقة لتدبيره .

٣٦٦ ـ أم عيسى بنت إبراهيم الحربي

أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ذكر لي أن أم عيسى بنت إبراهيم الحربي كانت فاضلة عالمة تفتي في الفقه ، ودُفنت إلى جنب أبيها إبراهيم ، والسلام .

٣٦٧ ـ أمة الواحد بنت القاضى أبى عبد الله الحسين ابن إسماعيل المحاملى

أبو بكر البرقاني قال : كانت بنت المحاملي تفتي مع أبي علي بن أبي هريرة .

أبو الحسن الدارقطني قال : أمة الواحد بنت الحسين بن إسماعيل بن محمد القاضى المحاملي سمعت أباها ، وإسماعيل بن العباس الوراق ، وعبد الغافر بن سلامة الحمصي، وأبا الحسن المصري ، وحمزة الهاشمي الإمام وغيرهم .

وحفظتْ القرآن والفقه على مذهب الشافعي ، والفرائض وحسابها والنحو ، وغير ذلك من العلوم وكانت فاضلة في نفسها ، كثيرة الصدقة مسارعة في الخيرات، وحدَّثت وكُتب عنها الحديث . وتوفيت في رمضان من سنة سبع وسبعين وثلاثمائة .

ذكر المصطفيات من العابدات البغداديات المجهولات الأسماء

٣٦٨ ـ عابدة

نوحٌ الأسود قال : رأيت امرأة تأتي أبا عبد الله البراثي فتجلس تسمع كلامه ، ولا تكاد تتكلم ولا تسأل عن شيء . فقلت لها ذات يوم : لا أراك يرحمك الله تتكلمين ولا تسألين عن شيء ؟ فقالت : قليل الكلام خير من كثيره ؛ إلا ما كان من ذكر الله ، والمنصت أفهم للموعظة ، ولن ينصحك امرؤ لا ينصح نفسه، وجملة الأمر يا أخي : إنْ أردت الله بطاعة أرادك الله برحمةٍ ، وإن سلكت سبيل المعْرضين فلا تلُم إلا نفسك إذا صرْتَ غدًا في زمرة الخاسرين .

قال : ثم استَبْكَت فقامت . وسمعتها تعظ ابنها يومًا وتقول :

ويحك يا بنيّ ، احذر بطالات الليل والنهار ، فتنقضي مهلات الأعمار وأنت غيرُ

ناظرٍ لنفسك ولا مستعدٌ لسفرك ، ويحك يا بني ، ما من الجنة عوضٌ ، ولا في ركوب المعاصـي ثمنٌ من حلول النـــار . ويحك يا بني ، مهِّدْ لنفسك قبل أن يحال بينك وبين ذلك ، وجدّ قبل أن يجدّ الأمر بك ، واحذر سطوات الدهر وكيد الملعون عند هجوم الدنيا بالفتن وتقلّبها بالعبر ، فعند ذلك يهتم التّقيّ كيف ينجو من مصائبها .

ثم قالت : بؤسًا لك يا بنيّ إن عصيت الله وقد عرفته وعرفت إحسانه ، وأطعت إبليس وقد عرفته وعرفت طغيانه .

٣٦٩ ـ عابدة أخرى

غيلان صاحب السريّ قال : كان لسريّ تلميذة وكان لها ولد عند المعلّم في الكُتّاب . فبعث به المعلّم الرَّحى فنزل الصبي في الماء فغرق .

فجاء المعلم إلى سريّ فأخبره بذلك فقال سريّ : قوموا بنا فمضوا إلى أمه فجلس عندها وتكلّم سريّ في علْم الصبْر إلى حد ما ، ثم تكلم عليها في علْم الرضا . فقالت له : يا أستـاذي وأيَّ شيء تريـد بهذا ؟ فقال لها : إن ابنك قد غرق فقالت : ابني ؟ قال لها : نعم . فقـالت : إن ربي - عز وجل - ما فعل هذا . ثم عاد سريّ في كلامه في الصبر ، فقالت : قوموا بنا فقاموا معها حتى انتهوا إلى النهر فقالت : أين غرق ؟ فقالوا: ههنا فصاحـت : ابني محمد ! فأجابها : لبيك يا أماه . فنزلت فأخذت بيده ومضت به إلى منزلها . قال غيلان : فالتفت سريّ إلى الجنيد وقال : أى شيء هذا ؟ فقال الجنيد: أقول بمقال سرى قال : إن المرأة مراعية لما لله عز وجل عليها ، وحكم من كان مراعيا لما لله - عز وجل - عليـه : ألا تحدث حادثة حتى يعلم بذلك ، فلما لم تكن حادثة تعلمها بذلك فأنكرت وقالت : إن ربى - عز وجل - ما فعل هذا .

٣٧٠ ـ عابدة أخرى

أبو الحسن البحراني صاحب إبراهيم الخوّاص ، قال : سألتْ امرأة من المتعبدات إبراهيم الخوّاص عن تغيّر وجدتْه في قلبها وتغيّر وجدته في حالها ، فقال لها : عليك بالتفقّد . فقالت : قد تفقّدتُ فما رأيت شيئًا . فأطرق الخوّاص ساعة ثم رفع رأسه وقال: أما تذكرين ليلة المشْعَل ؟ فقالت : بلى . فقال : هذا التغيّر من ذلك .

فبكتْ وقالت : نعم كنتُ أغزل فوق السّطح فانقطع خيطي فمرّ مشْعلٌ للسلطان فغزلتُ في ضوءه خيطًا ، ثم أدخلت ذلك الخيط في غزْلِ ونسجتُ منه قميصًا ولبسته .

ثم قامت إلى ناحية فنزعت القميص وقالت : يا إبراهيم إنْ أنا بعته وتصدّقت بثمنه يرجع قلبي إلى الصفاء ؟ فقال : إن شاء الله تعالى ذلك .

٣٧١ ـ عابدتان بغداديتان

بلغني أنه كان ببغداد رجل بزّاز له ثروة . فبينا هو في حانوته أقبلت إليه صبية فالتمست منه شيئًا تشتريه . فبينا هي تحادثه كشفت وجهها في خلال ذلك . فتحيّر وقال: قد والله تحيّرت مما رأيت . فقالت : ما جئت لأشتري شيئًا ؛ إنما لي أيام أتردّد إلى السوق ليقع بقلبي رجلٌ أتزوّجه ، وقد وقعت أنت بقلبي ولي مال ، فهل لك في التزوّج بي ؟ فقال لها : لي ابنة عم وهي زوجتي ، وقد عاهدتها ألاّ أغيّرها ، ولي منها ولد . فقالت : قد رضيتُ أن تجيء إليّ في الأسبوع نوبتين . فرضي ، وقام معها فعقد العقْد ومضى إلى منزلها فدخل بها . ثم ذهب إلى منزله فقال لزوجته : إن بعض أصدقائي قد سألني أن أكون الليلة عنده. ومضى فبات عندها . وكان يمضي كلّ يوم بعد الظهر إليها . فبقي على هذا ثمانية أشهر . فأنكرت ابنة عمه أحواله فقالت لجارية لها : إذا خرج فانظري أين يمضي ؟ فتبعته الجارية فجاء إلى الدكان فلما جاءت الظُّهر قام وتبعته الجارية وهو لا يدري ، إلى أن دخل بيت تلك المرأة . فجاءت الجارية إلى الجيران فسألتهم لمن هذه الدار ؟ فقالوا : لصبية قد تزوّجت برجل تاجر بزاز . فعادت إلى سيدتها فأخبرتْها فقالت لها : إياك أن يعلم بهذا أحد . ولم تُظهر لزوجها شيئًا . فأقام الرجل تمام السنة ثم مرض ومات وخلّف ثمانية آلاف دينار فعمدت المرأة التي هي ابنة عمه إلى ما يستحقّه الولد من التَّركة وهو سبعة آلاف دينار فأفردتْها وقسّمت الألف الباقية نصفين وتركت النصف في كيس وقالت للجارية : خُذي هذا الكيس واذهبي إلى بيت المرأة وأعلميها أن الرجل مات وقد خلّف ثمانية آلاف دينار ، وقد أخذ الابن سبعة آلاف بحقّه ، وبقيّت ألف فقسمتُها بيني وبينك وهذا حقك . وسلّميه إليها . فمضت الجارية فطرقتْ عليها الباب ودخلت وأخبرتْها خبر الرجل وحدّثتْها بموته وأعلمتْها الحال فبكتْ وفتحت صندوقها وأخرجت منه رقعةً وقالت للجارية: عُودي إلى سيدتك وسلمي عليها عني وأعلميها أن الرجل طلّقني وكتب لي براءة، ورُدّي عليها هذا المال فإني ما أستحق في تركته شيئًا . فرجعت الجارية فأخبرتها بهذا الحديث .

انتهى ذكر أهل بغداد

* * *

ويليه القسم الثانى من الكتاب
وأوله : (ذكر من اصطفى من أهل المدائن)

فهرس المجلد الأول ويضم محتويات الجزء الأول والثاني
من كتاب صفة الصفوة

مطبعة جزيرة الورد
المنصورة ـ نوسا البحر
ت : ٠٥٠ / ٤٤١١٩١